

يا  
القلب  
دون  
دقت  
تدعو  
تظن  
ك  
مضة  
الطرد  
رغبة  
منحه  
الحياة!!!

طبي  
أفرد  
طفا  
شيء  
أفرد

غالباً.. لم تكن فكرة عودته المفاجئة بالفكرة السديدة..

على الأقل بالنسبة لها !

فذلك الرجل الذي نظر في عينيها قبل ثلاث سنوات بينما

يلقي بوعد دمارها الأبدي..

لا يمكنه أن يعود اليوم بهيئة جديدة لا تشبهه..

رافعاً راية السلام في يد و الكثير من الوعود في اليد الأخرى

منتظراً منها أن تصدق بها..

و لا أن ينظر في عينيها و يتسم فقط بإخلاص ليمندوها

وعداً جديداً بأبدية بائسة من هواجس الخوف من الخذلان و

التخلي..

لقد سقط خبر عودته المفاجئ مثل الصاعقة على رأسها..

لكن الصاعقة الحقيقية كانت حينما سمعت الخبر

التالي..

و هو أن ذلك الرجل الذي وقعت في حبه منذ طفولتها

الأولى.. و الذي غرس في فؤادها خنجراً مسموماً من

الخدلان سابقاً..

قد عاد بنية حاسمة للزواج منها !!

و هو لا ينوي هذه المرة أن يستسلم أبداً قبل أن يقتنص

الموافقة منها... و برضاها أيضاً !!

حتى آخر رمق

شيماء أمارة

" الأهم أني تيقنت أن الشيخوخة و مرور الزمن ليس  
مفرعاً لهذا الحد إذا ما كنت تعرف الحُب حقاً ! "

**غابرييل غارسيا**

## - لمحّة -

" حبيبتي سارة.. لا ، لن أقول حبيبتي..  
سارة فقط.. سارة فؤاد الغالي.. أو أقول... الغالية ابنة الغالي !  
أعلم بما تفكرين الآن.. هل يستطيع جاد فعلها؟!.. هل يطاوعه قلبه على  
فعلها بي؟!..  
و الجواب هو نعم !  
لقد فعلتها.. سارة فؤاد الغالي بكل فخامة قدرها و كبرياءها ليست إلا فتاة  
ضعيفة هشة.. و سانحة !!  
للحقيقة لقد أتعبني كبرياءك المزعوم.. لكن لا يهم.. النتيجة أهم!..  
لقد انتهت مهمتي بنجاحٍ كما خططت.. و تحرّرت سارة فؤاد الغالي من وهم  
جاد إلى الأبد..  
أم أقول.....  
تحرّرت من وهم كبرياءها و نكائها المزعوم !!  
وداعًا للأبد... حبيبتي !!! "



## " الرmq الأول ؛ مآب "

هل سمعتم من قبل بتدبير القدر !!؟

القدر يشبه كتابًا مغلقًا تظن بأنك تملكه.. لكنك و ما إن تضع يدك عليه عازمًا على فتحه تجده مغلقًا بإحكام بمفتاح مفقود..

ربما في ثنايا عقلك تشعر بأن ذلك المفتاح وقع بين يديك ذات يوم ثم اختفى بدون أن يلفت انتباهك.. لكنه يبقى محض شعور عابر..

ثم تضطر بعدها للإحتفاظ بالكتاب.. و تقبل حقيقة أن ما بداخله سيبقى بداخله.. حتى و لو كانت حياتك نفسها مرهونة به !..

هنا عاشت... وسط تلك المزرعة ذات الطابع الهادئ و المريح للعين و القلب.. بذلك المرج الذي يحتضن حوض أزهار مشرقة..

و الأهم من كل ذلك كان... الاصطبل الكبير الذي يتوسط ساحة أكبر منه لطالما كانت تحب أن تلجأ إليها لتأخذ جولة على ظهر حصانها الأبيض - أبيض - !

المزرعة التي تضم قصر والدها رفيع الطراز.. لم ترَ بجماله يومًا.. كما لن ترى !

فهذا القصر ليس عاديًا.. ما يميزه هو أنه يضم بداخله كل ذكريات طفولتها الجميلة... الجميلة جدًا !!

" سارة فؤاد الغالي "

عاشت حياة شديدة الرفاهية.. بمكانة مميزة تحسدها عليها كل فتيات جيلها.. مكانة لم تصنعها بنفسها لنفسها.. بل وجدت نفسها عليها..

كما يقال " ولدت و في فمها ملعقة من ذهب " !

فقد كان والدها من أغنى أغنياء البلد.. و هي كانت مدللته الصغيرة.. أو ربما الكبيرة !! فأختها سيلين تقاسمت معها نفس المكانة و رفاهية الحياة..

مكانتها المرموقة لم تجعل منها إنسانة متكبرة.. بل على العكس تمامًا.. كل شخص عرفها أحبها..

و كل من سيعرفها... سيقع لها دون تردُّد !!

اليوم تعود سارة لقصرها الحبيب بعد طول غياب.. فقد كانت تدرس في العاصمة.. كانت قد درست أولى سنوات دراستها هنا.. لكنها فضلت أن تتم الأخيرة منها هناك..

و بالفعل هذا ما حدث..

الآن تجد نفسها و قد أصبحت " دكتورة نفسية " لها صداها و اسمها في العاصمة.. كما تمنى دومًا أن تكون !..

توقفت بسيارتها الفاخرة بعد أن وصلت إلى وجهتها.. لتفتح الباب و تطرق الأرض المصقولة بكعب حذائها الرفيع الذي زادها طولًا فوق طولها الفاره..

راقبت عيناها من تحت نظاراتها الشمسية الحارس و هو يقترب بسرعة لينزل حقائبها هاتفًا بأجمل كلمات الترحيب التي لم تنتبه لها لشدة اشتياقها لمنزلها..

فكان أن اكتفت بايماءة صغيرة مع ابتسامة هادئة و هي ترفع النظارات إلى أعلى شعرها البني في أفتح درجاته.. قبل أن تقترب من الباب الداخلي للمنزل الذي كان مفتوحًا على مصراعيه كما العادة..

\_ سارة !!

تناهى إلى مسامعها هذا النداء الرقيق من أختها التي تصغرها بسنواتٍ قليلة أثناء اقترابها منها بسرعة لتتنقض عليها معانقة بقوة..

و تسقط عليها بعدها وابلًا من كلمات الاشتياق و اللوم..

فقد غابت هذه المرة طويلاً.. و -سيلين- بطبيعتها المتعلقة بأختها كانت  
ستموت شوقاً و لهفة لعودتها..

\_حسناً حسناً.. أنا آسفة..كنت سأعود قبل شهر لكنني لم أستطع..

قالتها مقاطعة إياها باعتذار..ثم لم تلبث أن نظرت حولها بترقبٍ و هي  
تسأل ؛

\_أين أبي ؟!!!

و قبل أن تضيف كلمة أخرى رأته بسعادة و هو يفتح باب مكتبه العريض  
هنا ليقترّب منها بطلته الحبيبة..فوالدها كما اعتادت يجب أن يكون أول  
شخص يستقبلها..

لا..ليس والدها فحسب..بل إنه كل عالمها..هي ترى فيه أبيها و أمها و أخيها  
و صديقها..ببساطة كل شيء !

فبعد وفاة أمها..لم تجد سِواه..و سيلين..سيلين الرقيقة التي توفيت أمهما و هي  
تلدها..فبقيت نار الحسرة تحرق قلبيهما سوياً على فقدانها في ذلك السن  
الصغير !

اقتربت منه بسرعة فاقت سرعة خطواته لتلقي برأسها المنهك فوق صدره و  
تهمس بينما تتشبث به بحرارة طفلة صغيرة مشتاقة لصدر أبيها ؛  
\_اشتقت إليك أبي..اشتقت إليك حبيبي..اشتقت إليك جداً..

قبل أن تبتعد لتتظر لملامحه الحازمة المحببة إلى قلبها..و كان دوره ليربت  
فوق وجنتها هامساً بحنانٍ اعتادته منه ؛

\_كيف حالكِ حبيبتى ؟!

اتسعت ابتسامتها الرائقة أكثر و هي ترد بنبرة ذات مغزى جميل ؛

\_الآن أصبحت بخير!

همست هذا محتفظة بابتسامتها كأكثر عادة تجيدها في الحياة.. فهي بطبعها لطالما كانت إنسانة طموحة و إيجابية.. ابتسامتها الهادئة الرصينة تكاد أن لا تفارق شفيتها إلا مضطرة..

و ربما.. هذا ما جعلها تختار الطب النفسي.. آملة أن تستطيع تخفيف آلام الناس و أحزانهم... و لو قليلاً !

---

كانت مدة الإجازة التي قررتها هي شهران.. و بالفعل.. فقد مرّ شهر كامل.. شهر من السعادة و الدفء العائلي اللذين لطالما افتقدتهما طويلاً كلما كانت في العاصمة..

شهر من مشاكسات سيلين و اهتمام والدها.. شهر قضته ما بين الخروج أحياناً للتجول بين أروقة المدينة الحبيبة.. و الجلوس في أحيان أخرى خلف شرفتها لتراقب السماء الشاسعة بينما ترتشف من فنجان قهوتها اليومي.. و العديد من الحوارات الجميلة الطويلة و الجولات المألوفة برفقة حصانها.. كهواية تمثل جزءاً مهماً في حياتها.. إن لم تكن أهم جزء!

كانت تقف في غرفتها.. في منتصف تلك الشرفة العريضة المطلّة على كل مكانٍ في المزرعة.. لكنها لم تكن تتأمل السماء بنجومها الساحرة كما العادة.. بل كانت منشغلة في خوض بعض الأحاديث السرية مع عصفورها الجميل -روميوا- !

روميوا كان هدية والدها لها في أحد أعياد ميلادها.. حيث الجميع يدركُ عشقها للطيور.. و منذ ذلك الوقت و هي تحتفظ به كما يحتفظ الإنسان بقلبه..

لنقل أنه رفيقها الروحي !!!

كاتم أسرارها.. و طبيبها النفسي !!



اتسعت ابتسامتها الجميلة و هي تهمس بينما تدخل أناملها الرقيقة بين خيوط  
قفصه الحديدي ؛

\_ اووه.. لا تقل بأنك منزعج مني.. أعلم بأنني تركتك طويلاً هذه المرة.. لكن  
ليس بيدي حيلة حبيبي..

ضحكت بعدها برقة و هي تقول بمرح ؛

\_ أم أن سيلين الشقية تهملك في غيابي !!

و الجواب بعض التغريدات التي يطلقها العصفور كعادته.. و التي لا تعني  
شيئاً في الحقيقة..

لكنها فقط تعتبرها ردًا و كأنها تفهمها !!

انتفضت من شرودها الجميل فجأة على صوت أختها التي لم تعرف متى  
دلفت إلى الغرفة لتقتحم الشرفة بسرعة هاتفة بصوت مرتفع ؛

\_ جاد عاد !!!

و لم تكذ تتم عبارتها حتى كانت سارة تقترب منها بسرعة ناظرة لها بعينين  
متسعيتين ذهولاً و حيرة و... جزعاً غريباً !!!

ظلت هكذا تنقل أنظارها بين عينيها عاجزة عن الفهم.. محاولة بكل قدرتها أن  
تلفظ كلمة استفسار واحدة لكنها عجزت لهول صدمتها غير المتوقعة..

و سيلين بدورها لم تبدو كمن بحاجة لتسمع سؤالها كي تجيب..

فاندفعت تكمل بسرعة ؛

\_ نعم.. لقد رأيتك بعيني.. عاد.. عاد يا سارة.. إنه في الأسفل مع أبي !!!

أغمضت سارة عينيها للحظات تستوعب فيها ما تقوله هذه الحمقاء أمامها.. و  
من الفراغ بدأت مجموعة صور تتسلل إلى عقلها في آن واحد لتشوش لها  
تفكيرها أكثر..

كانت صورًا مشوشةً لماضٍ بعيدٍ ظننت بأن صفحته قد انطوت تمامًا..  
لطفل صغير يبكي في حضن طفلة أخرى تبادلته البكاء.. قبل أن تمسك بيده  
امرأة كانت لها يومًا كل الحياة و تأخذه بعيدًا عنها...

دون أن تلقي عليها نظرة أو توذّعها حتى !!

والدها و هو يناظرهم بغضبٍ استطاعت أن ترى بعين قلبها ما وراءه من  
حسرة و ألم.. شاب مشعث بلامح خشنة مخيفة.. مخيفة جدًا.. جدًا لقلبها !

ذلك الشاب المخيف.. هل حقًا عاد؟! هل عاد!!!!!!

لا.. لا.. مستحيل.. لا يمكن أن يعود الآن.. هي لا تريده أن يعود.. ليس عليه أن  
يعود !

للحظة شعرت بكل حواسها تخونها.. و جسدها يكاد أن يسقط أرضًا لشدة  
صدمتها.. لكنها بدلًا عن ذلك وجدت نفسها تفتح عينيها على تلك النيران  
الهائجة من المشاعر فيهما.. ثم دفعت سيلين لتغادر الغرفة بسرعة متوجهة  
للأسفل حيث يجب أن يكون..

اقتربت من السلالم بسرعة تنوي النزول فورًا لكن خطواتها توقفت في  
الدرجة الأولى و هي... تراه !!

\_شكرًا لك خالي !!

كانت هذه أول جملة سمعتها بنبرته الرخيمة.. بينما وقعت عيناها على يده  
التي امتدت لتصافح كفّ والدها بحرارة.. و ابتسامة أنيقة على شفثيه..

خالي !! هل هذا يوم المفاجآت العالمي؟!!!

مهلاً مهلاً.. متى تصالحا؟!!! بل متى كان جاد ينادي والدها بـ -خالي-؟! و  
يصافحه !!

هل هذا حلم؟! لأنها لا يمكن أن تصدق غير ذلك !!

فجاد الذي كان يكره والدها بشدة.. ليس هو جاد الذي كان يقف أمامها الآن..  
حسنًا.. لا تنكر أنه حقًا تغير.. لقد كان يبدو و كأنه شخصٌ آخر عن الذي  
عرفته دائمًا.. ببذلته الناصعة الأنيقة.. على عكس ثيابه الرثة التي كان يرتديها  
في الماضي !!

تسريحة شعره الشبيهة بتسريحات مشاهير كرة القدم.. على عكس تسريحته  
القديمة التي يمكنها أن تعطيك فكرة واحدة عنه بمجرد رؤيته..

### الفقير المجنون !!

و ابتسامته.. ابتسامته.. يا الله كم حركت بداخلها من مشاعر.. تلك الابتسامة  
التي تراها لأول مرة.. فشخص مثله لم يكن يبتسم أبدًا..

لقد كان يبدو منطلقًا أكثر من اللازم.. الآن و هي تنظر له.. لم تعد تشعر بأن  
جاد عاد.. بل إنها تكاد أن تقسم أنه شبيه غريب لجاد !!

### \_ها.. أتت سارة..

عبارة والدها قطعت عليها حبل أفكارها و تساؤلاتها الطويل.. كما زادت من  
شعورها بالخوف و الرهبة.. الرهبة من مقابلته مجددًا.. و الخوف من نواياه  
التالية..

فهي حتى الآن لم تنسى توعده لهم في آخر مرة رآته فيها.. في هذا المنزل.. و  
ربما في نفس ذلك المكان الذي يقف فيه الآن بهيئة لا تشبهه أبدًا..

" حسنًا.. سأرحل.. لكنني أعدك أنني سأعود.. سأعود عندما أصبح أقوى  
منك.. لأنزع منك كل ما تملكه.. و أولهم ابنتك الحبيبة ! "

ازدردت ريقها بتوتر يشوبه الكثير الكثير من الخوف.. خاصة حينما رفع  
رأسه ببطءٍ لتلتقي عيناها.. لوهلة كانت ستشبح بأنظارها عنه كرِّ فعل  
تلقائي.. لكن ابتسامته التي بدت في منتهى العفوية و الهدوء جمدها مكانها..

كان ينظر لها بابتسامة بينما لم تكن نظرتها هي أقل من نظرة.....  
مصدومة!!!!

ذكرى أخرى قفزت إلى عقلها من الماضي..في ذلك اليوم حينما تفاجأت به  
يقف في منتصف غرفتها بعد أن تسلل من الشرفة كعادته.. لتهمس له بذهول  
بينما تقفز واقفة من أمام مراتها حيث كانت تجلس أمامها..

" أنت.. هل جنتت؟! كيف دخلت إلى هنا؟! "

و كان ردُّه كما العادة في منتهى الفظاظة..فقد مد يده ليقبض على ذراعها  
فجأة بينما يقول من بين أسنانه بما لم تستوعبه بداية ؛

" اصمتي و تعالي معي "

لكنها لم تسمح له بأن يقودها خطوة واحدة..قالت بغضب و هي تسحب يدها  
منه بقوة ؛

" إياك.. إياك و أن تعيدها مرة أخرى جاد.. و الله أنسى أنك ابن عمتي و  
أشكوك لأبي "

إلا أنه عاد ليقبض على مرفقها بنفس الطريقة و كأنها غير مرئية أمامه  
تزامناً مع صوته الذي ارتفع أمام وجهها هاتفاً بغضب فاق غضبها ؛

" والدك الحقير أنا لا أخاف منه..لهذا لا تحاولي أن تهديني مجدداً به..بل  
هذه آخر مرة أسمع منك تهديداً من أي نوع..أنا فقط أفعل ما أشاء و أحصل  
على كل ما أريد..و أنا الآن.....أريدك أنت! "

لا تزال تتذكر جيداً لفحة الجشع التي اكتسحت صوته بينما ينطق آخر  
جملة..و ربما تلك الجملة هي نفسها من جعلتها تسحب ذراعها منه للمرة  
الثانية بقوة..بينما ارتفع صوتها قليلاً فقط قائلة بنبرة قاطعة ؛

" إذا كنت تريدني فعليك أن تريد أبي أيضاً..و أنت تكرهه بهذا الشكل فلا  
تحلم بي..أبداً.. "

تتذكر أيضًا نظرة التعجب الزائف تمامًا التي احتلت عينيه.. شبح الابتسامة  
المُستهينة الذي لاح فيهما و هو يقول ؛

" حبيبتى لم تعد تخاف منى !! "

فهتفت في وجهه بقوة ؛

" لستُ حبيبتك.. و لا أخاف منك! "

هي لم تنكر يومًا أنها كانت تخاف منه.. تخاف منه بشدة.. و كيف لا تخاف؟!  
من عينيه النافذتين إلى أعماقها بشراسة منقطعة النظير.. نظراته حادة التقاسيم  
على الدوام.. تسلطه المزعج.. و تناقضاته اللآ متناهية..

لكن خوفها ذلك لم يضعفها يومًا أمامه.. كان كبرياءها دائمًا يقف له بالمرصاد  
ليفوز هو بجدارة !!

و قد كانت تلك المرة للأسف.. واحدة من المرات التي شعرت فيها بالخوف و  
كادت حتى أن تستسلم له لوهلة حينما راقبت تقدمه منها خطوة جديدة  
فتراجعت واحدة مثلها بدون أن تشعر..

لولا أن خلصها حظها الجميل منه.. و أنقذتها طرقات على الباب.. عرف  
كلاهما تلقائيًا من صاحبتهما.. و التي لم تكن سوى سيلين !!

ليختفي من نفس النافذة التي دخل منها بلمح البصر بعد أن رمقها بأخر نظرة  
حملت التوعد.. فقط !!

عادت من ذكرياتها التي تمنيت حقًا لو تنساها و لا تعود لديها أيُّ ذكرياتٍ  
تجمعها معه.. ليس لأنها تكرهه.. بل على العكس تمامًا..

هي تعلم أنها مهما بذلت من جهد لن تستطيع أن تحب غيره..

لا يمكنها أبدًا أن تحب غيره و لو حاولت لألف سنة أخرى.. ذلك لأن  
مشاعرها له لم تكن حديثة الولادة.. الحقيقة أنها لا تتذكر حتى متى كانت أول  
مرة وقعت في حبه..

لقد كان حبًا أزلّي لا تملكُ أيّ بداية له.. لكنها تتمنى أن تستطيع خط نهايته  
بأنامل حازمة ذات يوم !!

لقد كانت تلكَ المشاعر..بالإضافة إلى ذكرى جاد الصغير..هي الشيء الوحيد  
الذي لطالما شفع له عندها كل تصرفاته في الماضي..  
لتجد نفسها تنصاع لخفقات غبية..للتغاضي في كل مرة..و للتستر على  
إزعاجاته و تصرفاته القميئة !!!

---

نزلت الدرجات بخطواتٍ بطيئة مرتجفة..لولا نداءات والدها لها لفضلت  
الهروب فورًا من حصار عينيه..

وقفت أمامه بجانب والدها..و حاولت..حاولت بشدة أن تشيح بعينيها عنه..أن  
تطرق برأسها..أو تنظر لوالدها فقط لتهرب من حصاره المألوف..غير  
المألوف !!

لكن كمن تمّ ربطهما بخيط رفيع غير مرئي..وجدت نفسها أسيرة لعينيه..و  
كم اشتاقت لعينيه !!

يبدو أنه ليس الشخص الوحيد المتناقض هنا !!

كانت نظراتهما و كأنهما يخوضان تحدي من يشيح بوجهه أولاً يفوز..و قد  
كان الأجدر بالفوز..فقد استطاع أن يبعد بصره عنها بكل بساطة..و همس  
بلطفٍ و كأنه لم يتأثر أبدًا برواها ؛

\_مرحبًا !

اهتزت حدقتها و هي تنزلهما ببطءٍ لتنظر ليده الممتدة نحوها..و تاهت تمامًا  
غير قادرة لا على مصافحته..و لا أن تصرخ بالسؤال الذي كان يتلاعب  
بعقلها بفضافة..

" ماذا تفعل هنا ؟!! بل لماذا عدت أساسًا ؟!!! "



لكنها عجزت تمامًا عن لفظِ حرفٍ واحدٍ.. و بقيت متمسكة في شرودها تاركة  
يده ممتدة في الهواء بينهما لوقتٍ.. إلى أن سمعت صوت والدها القلق ؛

\_سارة؟!!!!\_

حينها فقط كانت تطرف بعينيها لتخرج من شرودها.. فرمقت -فؤاد- بنظرة  
فارغة.. قبل أن ترفع يدها المرتجفة بترددٍ إلى أن صافحت يده..

شعرت بأنامله تضغط على يدها ببعض القوة و هو ينظر في عينيها و كأنه  
مثلها لا يصدق بأنه يلمس يدها بعد كل هذا الوقت.. و علمت.. حتمًا علمت  
من طريقته في التمسكِ بها بأنه قد استشعر ارتجافة أناملها بكل وضوح..

همست تبتلع ريقها بغير تركيز ؛

\_أهلاً..\_

ثم التفتت لوالدها ترمقه بنظرة متساءلة حائرة.. قابلها بابتسامته التي لم تداري  
قلقه و حذره و هو يهمس بينما يربت فوق كتفِ جاد ؛

\_هذه هي مفاجئتي التي أخبرتكِ عنها.. لقد عاد جاد قبل فترة ليست  
بالطويلة.. و اعتذر لي على كل ما مضى.....\_

هنا فقط.. كانت عيناها تتسعان بعدم فهم.. و كأنها تسأله باستنكار شديد..

" و سامحته؟!!!! "

قبل أن يكمل فؤاد و ابتسامته تكتسب بعض الراحة ؛

\_لقد تفاجأت جدًا حينما علمتُ أن المستثمر الجديد في عملنا هو جاد.. لكن  
دهشتي لم تكن بقدر سعادتي و أنا أرى ما حقَّقه من نجاحات..\_

ثم صمت لبرهة أمام أنظارها المذهولة بالكامل و أضاف بشيءٍ من التردد  
غير المفهوم..

أو الذي بدا لها و كأنه غير مفهوم في البداية فقط !

\_كنت أريد أن أخبرك.. لكنه طلب مني بأن أُوجل الأمر إلى أن يقابلك  
شخصيًا.. كما أنه.....

نظر في عينيها مباشرة مستأنفًا بنبرة خاصة جدًا ؛

\_جاد طلب يدك للزواج ابنتي !!

---

## "الرمق الثاني؛قولي أحبك !"

\_جاء طلب يدكٍ للزواج ابنتي !!

و كأنما تمّ دفعها من حافة جبل شاهق الطول..فغرت شفيتها بغباءٍ تام..بل  
بصدمة تامة..و تلاحقت أنفاسها قليلاً و عقلها يتوه للحظات قصيرة في دوامة  
قائمة من الماضي..يكّرر نفس الجملة بصوتٍ والدها مراراً..

" جاء طلب يدكٍ للزواج ابنتي !! "

ألم يكن سيطلب يدها في ذلكَ اليوم أيضاً؟!!

نفسه الذي انتهى بمأساة شجاره مع والدها و خروجه بعد أن ألقى بوعد  
المرعب ذاك..ذلكَ الوعد الذي لا تزال كلماته تتردّد في ذهنها حتى  
اليوم..تحفظها كلمة كلمة كنصّ من قصيدة لا تحبها لكنها تحفظها عنوة منذ  
أن قرأتها لأول مرة رغم ذلك !

ثم...ألم تكن غايته التالية الإنتقام منهم ؟ لماذا الآن إذن.....

كانت تشعر بالذهول لدرجة أنها عجزت عن الإستيعاب و التفكير حتى في  
تلك اللحظة..فقد ظلت فقط تنقل نظراتها التائهة بين والدها و بينه..  
و ما إن استطاعت استجماع القليل فقط من صمودها لتتكلم قاطعها صوته  
الذي أتاها في منتهى الهدوء...

في منتهى الأدب و التفهم و اللطف !

\_هل يمكن أن نتكلم قليلاً أنا و أنتِ؟!!

نظرت له شبه مُجفلة..و فتحت فمها تنوي الرفض تلقائياً..لكنها  
مجدداً.....وجدت نفسها أسيرة لعينييه النافذتين إلى أعماقها..و  
لابتسامته..معضلة قلبها الأعظم و الأسمى كانت ابتسامته !

يا إلهي.. لقد كانت تظن بأنها نجّت بقلبها.. لم تفكّر و لو للحظة خلال كل سنوات غيابه بأنه لا يزال يمتلك كل هذا التأثير عليها.. حتى في تلك اللحظات التي كانت تتوقف بينها و بين نفسها حينما تخترق عقلها ذكرى عابرة لهما فجأة..

كانت تهز رأسها قانطة و تعود إلى حياتها الطبيعية مرغمة نفسها بأن حياتها بدونها.. طبيعية فعلاً !

و في اللحظة التي أيقظت نفسها في محاولة أن تجيبه بأي شيء.. فقط أي شيء تختم به مهزلة هي في غنى عنها.. وجدت نفسها بلا إدراكٍ تومئ له بكل..... غياب !!!

هزّ جاد رأسه و همس موجهًا كلامه لوالدها بدون أن يزيح بأنظاره عنها.. بنفس ابتسامته تلك التي لا يبدو أنها أصبحت تفارق عينيه أبدًا..

\_ هل تسمح لنا خالي ؟!

\_ بالطبع.. اخرجنا للشرفة و تكلمنا براحتكما..

صوت والدها تسلل إليها متباعدًا جدًّا.. بينما غامت عيناها مجددًا في اللا شيء و هي تجبر قدميها على السير به إلى الشرفة فعلاً ما إن أشار لها جاد بيده لتتقدمه..

و ما هي إلا لحظات.. حتى وجدت نفسها تقف أمامه في الشرفة الخارجية.. بمفردهما.. و كأنما تمّ النقر على زرّ الإدراك لديها فجأة.. فزفرت أنفاسها المرهقة من كل شيء..

و صمتت للحظاتٍ حاولت فيها بشتى الطرق أن تحافظ على صلابتها.. قبل أن ترفع رأسها دفعة واحدة إليه لتقول بلا مقدمات ؛

\_ هل ستحاول أن تقنعني أنا أيضًا بما جعلت والدي يصدقه؟! إذا كان هذا ما تريده فلا.. أنا ارفضك!.. أعلم أن لقاءك بأبي في العمل لم يكن صدفة.. كما أعلم أن طلبك ليدي وراءه أمر ما.....

صمتت للحظة واحدة تنظر إلى تلك الملامح التي كانت.. و لا تزال رغمًا عن  
أنفها.. الأقرب إليها في العالم !

تلك الملامح الثابتة التي ظهرت بها بالكاد نظرة تشبه الحذر و هو يلاقي منها  
هذا الهجوم فجأة بدون سابق إنذار.. ثم أضافت بصوتٍ انخفض قليلاً بنبرة  
ذات مغزى ؛

\_ و أظن بأنني غالبًا... أعلم ما هو !!

لمحت الطريقة التي ضاقت بها عيناه عليها.. كيف انعقد حاجباه و كأنه يسألها  
أن تبوح بكل ما في جعبتها و تتم كلامها إلى النهاية.. و هو يقصد بالطبع بأن  
تتم كلامها... أن تشرح جملتها الأخيرة تلك !

و هي فعلت.. قالت و هي تنقل عينيها الجميلتين كسطح قهوة لامع بين عينيها  
السوداوتين و اللتين لطالما استطاعت أن تميز بهما هالة... خطيرة لكل من  
يدقق النظر بأعماقهما !

قالت كشخصٍ يحاول تعرية أكثر أسرار عدوه دناءة ! لولا أنه لم يكن عدوها  
فعلًا ! لا يمكنها أن تضعه في خانة العدو حتى و لو أرادت !!

\_ أنت عدتَ لتفي بوعدك لأبي.. عدت لتنتقم مني و من أبي ! أليس كذلك !!!

\_ لا.. ليس كذلك !

و أخيرًا سمعت صوته !

قال مبتسمًا بكل هدوء.. ذلك الهدوء الذي لم يكن يلائم ملامحه سابقًا.. و  
بطريقة ما..

فهي لا تزال حتى اليوم لا تشعر بأنه يلائمه !

لكن ابتسامته تداعت تدريجيًا و هو ينظر في عينيها حيث كانت هناك نظرة  
اتهام واضحة.. خطوة واحدة اقتربها و تراجع معهما خطوة شبه مرئية.. قبل  
أن يرتفع صوته مجددًا..

لكن هذه المرة.. لأول مرة بعد سنوات.. يخرج مُحملاً

بعاطفة حقيقية.. حينما قال بعد صمتٍ قصير جالب للتوتر ؛

\_\_عدت لأجلك.. و أنتِ تعلمين لماذا لأجلك !!

كادت أن تقاطعه مجدداً باندفاع لا تملكُ أمره.. كما لا تملك أمر تلك الخفقات  
المجنونة التي أخذت تضرب قفصها الصدري بضراوة.. لكن أنامله التي  
امتدت إلى شفيتها تكّمها برقة فجأة أخرستها..

فابتلعت ريقها الجاف ببطءٍ غير قادرة على الفرار من أسر عينيه العاصفتين  
بثورة هادئة.. حينما همس بحرارة ؛

\_\_ترعمين أنكِ تعرفيني جيداً.. لكنكِ لا تعرفين شيئاً.. جاد الذي عانى و  
تعذب في عشقكِ لسنواتٍ طويلة لن يعود لينتقم بعد أن من عليه الله و وصل  
إلى ما وصلت إليه اليوم.. غضبي كان سببه فقري المُدقع و وحدتي و.....و  
حُبكِ الذي كان يبدو لي كأمنية مُستحيلة بعيدة المنال.. تحقيقها يشبه تحقيق  
حُلم طفل صغير جداً بالطيران !

صمت قليلاً.. ثم استرسل بنفس النبرة و هو يسقط يده عن شفيتها سامحاً لها  
أخيراً بتحرير نفس كان يخنتق بداخل حنجرتها ؛

\_\_حُبكِ الذي منحني القوة لأبدأ من جديد.. و لأصل إلى حيث أنا الآن.. و أعود  
إليكِ بعد أن أكون متأكداً من أنني أستحقكِ بالفعل كما تمنيت أنتِ دائماً.. و  
كما تمنى أبيكِ!

و فقط.. بدا و كأن كلماته تلك قد قيحت مشاعراً قديمة.. قد جعلت جرحاً كان  
قد جار عليه الزمن ينزف مجدداً.. فغامت عيناها بدموع أبت النزول بصمود  
كاذب..

لكنها كانت أكثر من كافية بالنسبة إليه.. فهذا يعني بأنها تشعر به على الأقل  
حتى و إن كان ذلك الحُب غير المُطوع في قلبها قد فقد وهجه السابق  
نسبياً !!



خطوة أخرى صغيرة اقتربها منها.. نفس الخطوة التي ابتعدتها قبل قليل.. و  
قال يخاطب تلك العينين بصوتٍ خافتٍ شابه بعض التحشرج ؛

\_أنا... أحبك سارة ! لقد كنت أحبك.. و لا أزال أحبك.. و سأظل أحبك ما  
حييت !

لم تشعر بنفسها و هي تسدل عينيها العاصفتين بقوة بعد عبارته تلك.. و ظلت  
هكذا للحظاتٍ كان قلبها فيها يقرع طبول العجز و الألم.. و كأنما اخترق  
جدارها الهش الذي ظننته جليدياً بمجرد كلمات.. كلمة..

و ها هو ذا نفس الضعف المرتبط به يعود ليجتاحها !

و ما إن فتحت عينيها.. استطاع جاد أن يلمح ذلك البريق الدامع بهما بكل  
وضوح.. انعقد حاجباه قليلاً كمن يتكبد عناءً جسدياً عصبياً.. و قد بدا مجفلاً  
في اللحظة الأولى و هو ينظر لها..

ثم لم تلبث أن امتدت أنامله لتلامس وجنتها بغرض مسح دموعها لا أكثر.. و  
قال بصوته الأجهش.. بمزيج من ندم و حزن بدا و كأنه حقيقي ؛

\_أنا آسف... حبيبتى ! آسف على كل ما مضى.. لقد كنت رجلاً مجنوناً  
أعلم.. لكن حتى المجانين يمتلكون قلباً.. و أنتِ دكتورة نفسية و ستفهميني.. ما  
عشته في طفولتي و ما عانيته من ألم جعلني أصبح على ما كنت عليه.. لكنني  
الآن تغيرت.. أنا لستُ جاد المهووس و المجنون الذي يحبك بالإجبار.. الآن  
أنا أميز بين الصواب و الخطأ.. فقط ينقصني أنتِ !!!

أطبقت سارة رموشها أكثر عاجزة عن التجاوب مع ما يقوله بكلمة  
واحدة.. إلى أن همست تنسيف ذلك الحاجز الهش عن آخره.. بصوتٍ متهدج ؛

\_لقد ظننتك لن... تعود !!!

فتحت عينيها في نفس اللحظة تقابل بهما عينيها اللتين لم تبارحهما نظرات  
الألم.. فقال جاد يهز كتفيه باستسلام ؛

\_و أنا ظننت ذلك و فكرت في ذلك في كثير من الأحيان.. لكنني لم  
أستطع.. قلبي لم يطاوع و حبك أعادني !

زمت سارة شفيتها بقوة و هي تنقل عينيها بين عينيهِ بحيرة تملك منها..  
هناك صوت عميق بداخلها يهددها بالندم لو تنازلت.. بينما صوت آخر يحُثها  
بألم.. يتوسلها أن تتنازل !

و ما بين الصّوت الأول.. صوت عقلها! و الثاني.. قلبها!

كانت عيناه !!

عيناه تبدوان في قمة الصّدق... و قمة الخداع ! رباه !!!

ابتلعت ريقها ببطءٍ شديد و كأنها تعجز عن التنفس بشكل سوي.. و زفرت  
نفسًا عميقًا طويلًا.. قبل أن ترفع يدها لتضعها فوق يده التي على وجنتها.. و  
قالت بينما تنزلها ببطءٍ بغاية التحرّر منها لا غير و تقابل الرجاء في عينيهِ  
ب.....بحزم!

\_أريد أن أفكر.. امنحني فترة أفكر فيها بيني و بين نفسي ثم أجيبك !

توقعت ردّه مسبقًا.. أو ربما لم تتوقعه!

فجاد الماضي لم يَكُن يقبل أن يتلقى الأوامر أو الشروط من أيّ أحد ! لكن  
جاد اليوم كما أخبرها.. كان أكثر تفهّمًا و لطفًا !! فقال بينما يهز رأسه قليلًا  
بأمل مُنقطع النظير ؛

\_و أنا لا أمانع بالطبع.. خذي راحتك في التفكير.. أنا سأنتظر جوابك و أتمنى  
أن يكون كما.....أريده!

ارتفع حاجبا سارة فورًا مع آخر كلمة قالها.. لكنه أكمل متداركًا بسرعة ؛

\_أقصد... كما أتمناه !

صمت قليلاً أمام عينيها اللتين غادرتهما كل التعابير فجأة.. قبل أن يضيف  
بجدية ؛

و إذا كان جوابك رفضاً فأنا أيضا لن أتذمر و سأقبله بكل رحابة  
صدر.. لكن فقط أتمنى حينها أن لا ينقطع الوصل بيننا مجدداً و  
نظل.....أصدقاء !!

صمت طويل ساد من طرف سارة بعد جملته تلك و لم يفهمه..صمت مرفق  
بتلك النظرة الواجمة قليلاً التي غزت عينيها.. نظرة عميقة التعبير رغم  
هدوءها الظاهري.. نظرة كانت تحمل أسئلة اخترقت عقلها من المجهول !  
هل يجب أن تكون في حياته في جميع الحالات ؟!! سواء كصديقة أو حبيبة !

هل هو قدر ملعون أحكم طوقه على قلبها لدرجة جعلها سعيدة بعودته ؟  
سعيدة بكلماته و بنظرات عينيه ! و ستكون أسعد لو كان كل ما تعيشه الآن  
حقيقي فعلاً !!!

هل هو حُب حقيقي بالفعل ؟! أم محض هوس متبادل بينهما ؟!!  
و دليله تلك السعادة الخائنة- التي اكتسحت قلبها.. و تلك النظرة الجديدة التي  
غزت عينيه... و كأنها إجابة و تأكيد غير منطوق على سؤالها !  
اومات له ببطء.. في حركة بدت متباعدة جداً عن عينيها الساهمتين.. ثم بدون  
أن تضيف كلمة.. استدارت عنه لتغادر بهدوء تاركة وراءها شاباً ينظر في  
أثرها بملامح..... خالية من التعابير !!!

---

توقفت بسيارتها الأنيقة أمام واجهة ذلك المحل الذي يبدو أكثر أناقة.. ثم  
نزلت بخطوات رتيبة ترافقها أختها سيلين.. كانت تتجول بذهن غائب نسبياً  
بينما سيلين تنظر حولها باهتمام لكل تفصيل متقن بهذا المحل الذي كان  
يخصّ بيع الأحذية..

إلى أن قالت فجأة بعد لحظاتٍ بحيرة ؛

\_ لا أعرف حقًا.. ساعديني سارة..

إلا أن صمّتًا تمامًا قابلها من طرف سارة.. فالتفتت تنظر لها بيأس.. و كما توقعت تمامًا فقد كانت هذه الأخيرة تمشي بشرود تام لم يعد يفارق ملامحها إلا نادرًا !!

\_ سارة !!!

هتفت بها بتذمر فانتفضت سارة من شرودها و هي تنظر لها هاتفة بجزع ؛

\_ ماذا ماذا؟! أفزعني!!!!

مطت سيلين شفيتها و هي تهمس مؤنبة بيأس ؛

\_ لم أستغرب صراحة.. أنت من البداية لستِ معي!

ثم استدارت تكمل تأملها ببساطة.. فتنهدت سارة بإرهاق و هي ترفع أحد أصابعها لتحكّ طرف جبهتها هامسة بما يشبه الاعتذار ؛

\_ بلى أنا معك.. لكنني شردت قليلًا..

ثم نظرت حولها بملل و هي تقول ؛

\_ أنا أرى فكرة الحذاء غير مناسبة.. لما لا نشترى له ساعة أنيقة؟!!

قالت سيلين رافعة حاجبيها بذهول ؛

\_ مجددًا !! هل نسيتِ أنكِ أهديته العام الماضي ساعة!!!!

عبست بشدة و هي تكمل :

\_ لا.. ليس العام الماضي فقط.. بل لثلاثِ سنوات متوالية أنتِ كنتِ تجلبين له نفس الهدية و تقدمينها بسذاجة.. و طبعًا أبي المسكين يقبلها منكِ برحابة صدر ليرتديها بدل التي قبلها !!

طرفت سارة بعينيها بغباءٍ و هي تهمس ؛

حَقًّا؟!!!

ثم سرعان ما هزت رأسها لتستعيد تركيزها و قالت بعنادٍ مستفز ؛

و إن يَكُن..أنا أريد أن أهديه ساعة أنيقة مجدداً..

هزت سيلين كتفيها بلا مبالاة و هي تلتفت مجدداً تنقل نظرها بين الأحذية

الرجالية المرتبة بعناية أمامها..بينما عادت سارة إلى شرودها..

" أنا...أحبك سارة! لقد كنت أحبكِ..و لا أزال أحبكِ..و سأظل أحبكِ ما حييت  
!"

" جاد الذي تعذب و عانى في حبكِ طويلاً لن يعود لينتقم بعد أن من الله عليه  
و وصل إلى ما وصلت إليه.. "

" أنا...أحبكِ سارة!"

" سأظل أحبكِ ما حييت ! "

" فقط ينقصني أنتِ! "

لا تزال تلك الكلمات تحفر نفسها بذاكرتها بقوة..بل إنها لن تبالغ لو اعترفت  
لنفسها أنها حتى الآن تحفظها عن ظهر قلب.. كلماته الحانية تلك و نظراته  
التي تحمل حزناً لم يَكُن يلائمها سابقاً..كانت كالمرهم لجروحها..

تراجع خوفها السابق قليلاً ليحل محله التردد و الشك..

نعم.....الشك !!

هي حتى الآن لا تستطيع..لا تستطيع أن تسقط كل حواجزها تجاهه و تثق  
به..الحقيقة أنها رغم المشاعر التي كانت تكنها له..و مهما حاولت سابقاً..لم  
تستطع أن تثق به يوماً...ببساطة لأنه لم يسمح لها !

انتفضت على صوتِ رنينِ هاتفها الكلاسيكي..بما أن عشقها الأكبر كان  
الموسيقى الكلاسيكية..و التي لا تشبه هذه الصّيحة الموسيقية التي باتت  
يعشقها الشباب اليوم..

نظرت للهاتف عاقدة حاجبها بشدة و هي تنظر إلى الرقم الغريب الذي لا  
تعرفه..قبل أن تزفر و هي ترفعه قائلة باختصار ؛

\_مرحبًا؟!\_

جاءها الصوت من الجهة الأخرى في منتهى اللطف ؛

\_مرحبًا..\_

انعقد حاجباها أكثر و هي تتعرف على الصوت فورًا.. ثم لم تلبث أن أبعدت  
الهاتف لتنظر إلى الرقم لوهلة قبل أن تعيده إلى أذنها سائلة باستغراب ؛

\_من أين حصلت على رقم هاتفي؟!\_

\_و هل هذا يهم؟!\_

جاءها صوته الرحيم يسأل بهدوء..ثم لم تلبث أن شعرت بابتسامته الواسعة  
من خلال صوته و هو يستطرد ؛

\_لقد أخذتها من خالي..هل لديك أيّ مانع?!?!\_

ساد صمت قصير كانت فيه سارة تشعر بالتشوش لا تدرّ لما..همست بغير  
تركيز تام ؛

\_لا لا..لا مشكلة بالطبع!\_

شعرت ببعض ذبذبات الترددّ تصلها من جهته..و من الصمت القصير الذي  
ساد من طرفه..إلى أن قال بتردد فعلاً ؛

\_كنت أفكر أن...نلتقي اليوم..أريد أن أتكلم معك حول موضوع ما!\_

نقلت سارة عينيها عشوائياً حولها..ثم قالت ترفع حاجبها بتوتر ؛



\_ في الحقيقة.. لا أظن بأنني أستطيع اليوم.. أنا لست في المنزل!

\_ أعلم.. أنا أقف أمام منزلك الآن..

طرفت سارة بعينها بنفس التشوش.. ثم قالت بغباءٍ تام رفض أن يرحم عقلها  
اليوم ؛

\_ لماذا؟!!!

و الجواب تنهيدة هادئة جدًا تخللت أذنيها عبر الخطوط بينهما.. ثم صوته  
يقول بكل صبر ؛

\_ لأنني كنت هناك للتو.. لقد أخبرتك بأنني أريد مقابلتك !!

ظلت سارة صامتة لعدة ثوانٍ أخرى لا تعرف أيُّ جوابٍ تمنحه.. فجاءها  
صوته متسائلًا ؛

\_ سارة؟!!!

حينها فقط كانت تبتلع ريقها.. ثم قالت بتشوش ؛

\_ ح.. حسنًا.. أنا سأرسل لك العنوان عبر رسالة نصية..

أقفلت الخط و هي تنظر إلى سيلين التي كانت قد اختارت حذاءً رجاليًا  
رماديًا جميل الشكل.. قبل أن ترتفع أنظارها إلى ملامحها المُحدقة بها بحاجبٍ  
مرتفع بجذل..

لكنها أبدًا لم تبدو في مزاج مناسبٍ للشرح.. فقالت بلا مبالاة و هي تتجاوزها  
؛

\_ دعينا نخرج من هنا..

مطت سيلين شفيتها و هي تزفر ملتفتة عنها بضيقٍ لتدفع ثمن الحذاء الذي لم  
تأخذ رأي سارة فيه حتى.. و ما هي إلا دقيقة واحدة أخرى حتى كانتا تتوقفان  
فوق الرصيف بعيدًا عن المحل بمسافة قصيرة...

كانت أنظار سيلين قانطة بينما سارة تنقل عينيها حولها بحيرة.. إلى أن  
همست فجأة بنفاذ صبر ؛

\_ هل سننتظره ؟!

نظرت سارة إلى ساعتها الأنيقة بمعصمها و هي تجيبها بهدوء ؛

\_ دقيقة واحدة فقط إذا لم يصل سنغادر..

و بالفعل كان هناك بعد أقل من دقيقة.. رأته و هو يفتح باب سيارته و يترجل  
منها ب.. فخامة ناسبته تماماً.. لا.. لم تناسبه.. إنها رغم كل شيء تجد عقلها كلما  
رأته يقع في مقارنة لا نهاية لها تشمل شكله المزري في الماضي و شكله  
اليوم !

كان يرتدي قميصًا أسودًا فوق بنطال رسمي و حذاء في نفس اللون.. لوهلة  
تاقت أنظارها غير قادرة على إزاحتها عنه.. و لا أن تنكر بأنه كان يبدو في  
غاية... الوسامة !

أساسًا.. لطالما كان الأسود لونه الأفضل و الملائم له تمامًا.. في شعره و  
حاجبيه الكثيفين.. الشعيرات الخفيفة التي تغطي فكا رجوليًا حادًا  
و..... شخصيته السوداوية ماضيًا !

استطاعت بصعوبة أن تصنع الصمود فوق ملامحها مع اقترابه منهما.. إلى  
أن توقف أمامهما تمامًا.. قال بوجه كلامه لسيلين بابتسامة هادئة ؛

\_ مرحبًا سيلين..

ابتسمت سيلين بتكافٍ و هي ترد ؛

\_ أهلاً.. كيف حالك ؟!!

اتسعت ابتسامته جاد برصانة و هو يردف بمودة متجاهلاً القنوط الذي تجسده  
تلك الابتسامة ؛

\_ أنا بألف خير.. شكرًا لك !

ثم نقل أنظاره لتلك التي كانت تراقب الوضع بصمتٍ مبهمٍ.. نظر في عينيها مباشرة للمرة الأولى اليوم.. و فقط... تسمرت عيناه السوداوين لوهلة في مقابل أنهار من القهوة اجتاحت صوابه فنسفت قدرته على التحدث بعد للحظات..

إلى أن ارتفع صوته سائلاً بثبات ؛

\_إدًا.. هل نذهب !!؟

كانت ابتسامته واسعة اليوم أيضًا.. و قد أحست سارة لسببٍ ما بأنه ربما يعتمد اللعب فوق أوتار مشاعرها التي ترتعش و تتهدج بمرآها! قالت بعدم فهم ؛

\_ نذهب إلى أين ???

لكنه لم يجبها.. بل نظر لسيلين لوهلة بترددٍ.. ثم قال بلطفٍ ؛  
\_سيلين أنت بالطبع تجيدين القيادة.. هلاً سمحت لي بأخذها منك قليلاً و أنت استقلي سيارة أختك لتعودي إلى البيت..  
تلكأت سيلين في الإجابة للحظة.. فاتخذت سارة زمام الأمر و هي تقول بحسم ؛

\_ لا.. لن تذهب !

هزت سيلين كتفيها باستسلامٍ زائفٍ تمامًا و هي تنظر إلى عيني جاد اللتين كانتا تنبضان بالتحدي الآن.. قبل أن يردف موجهًا أنظاره لسارة بوضوح تراه منه لأول مرة منذ عودته ؛

\_ألن نتكلم ???

منحته سارة ابتسامة أكثر هدوءًا من ابتسامته.. و قالت بكل ثباتٍ ؛  
\_بلى.. سنتكلم في مكانٍ عامٍ و معنا سيلين.. هي لن تغادر بدوني بالطبع و أنا لن أستقل معك سيارتك..... هذا لا يجوز !!

لم تتغير ملامح جاد أبدًا.. سوى من ارتفاعة ضئيلة بأحد حاجبيه.. ثم قال بينما عيناه لا تزالان على تواصلهما بعينيها الناعستين.. لطالما كان يراها كذلك..

عيناه عميقتان في لونهما كسطح قهوة شهية للتذوق.. غامضتان حدّ الجنون.. و ناعستان و كأن بينهما و بين العالم جدار و هميّ يحميها من همومه !

هزّ رأسه بالإيجاب.. لكنه قال رغم ذلك بجدية ؛

\_حسناً.. لكن ستذهبان معي في سيارتي..

ثم عادت ابتسامته لتتألق بنفس الجدية و هو يكمل بنبرة ذات مغزى ؛

\_ثم إنني لا أعدّ غريبًا.. أم أنك نسيتِ بأننا أقرباء من الدرجة الأولى !!

---

لقد كان من الغباء حينما تذرع بحجة الكلام معها.. خاصة بوجود سيلين.. فما إن استقر ثلاثتهم جالسين في أحد المقاهي وجد نفسه عاجزًا عن تجميع جملة سليمة واحدة..

بعد أن نال منه الارتباك ما نال و بانته نيته في كونه كان يريد رؤيتها فقط.. لكن سيلين أفسدت عليه حلوة اللقاء.. فكلما كان يهم بالكلام و سارة تنظر له رافعة حاجبيها باهتمام كانت عيون سيلين المُحدقة بفضول تمنعه فيصمت مجددًا..

لا يصدق أن هذه الصغيرة قادرة على إرباكه !!

تنهد بقوة و هو يقترب مستندًا بمرفقيه إلى الطاولة بينهما.. و ما إن فتح فمه ليبدأ بالكلام أخيرًا.. ليقول أيّ شيء ينقذ به موقفه.. كان صوت رنين هاتف سارة يقاطعه..... تبًا !!

\_لحظة واحدة..

قالت سارة بلطف بدا له مستفزاً و هي تخرج هاتفها من محفظتها الصغيرة  
الأنيقة ككل شيء بها.. بدءاً من الفستان الأزرق الناعم الذي كان يلفّ جسدها  
برقة.. إلى شعرها البني المنسدل بحرية فوق كتفيها و حول وجهها.. تقيدته  
قليلاً بنظارة شمسية سوداء ترتاح على مقدمته..

وضعت الهاتف فوق أذنها مردفة بهدوء أمام عينيه اللتين لم تبارحا مراقبتها  
حتى أثناء تحدثها.. و هي لم تبارح تجنبهما و هي تتحدث بثبات خوفاً من أن  
تقع في فخ فقدان تركيزها مجدداً !

\_ أهلاً أبي... نعم... لا لا أنا مع جاد... و سيلين معنا نعم.....

التقت عيناها بعينيه أخيراً تزامناً مع نطقها لآخر كلمة.. قبل أن ترتسم ابتسامة  
صغيرة تخللتها دهشة طفيفة و تلقفتها عيناه كما العادة و هو يسمعها تضيف  
بهدوء ؛

\_ حسناً.. سأخبره..

أسقطت الهاتف بعدها لتعيده إلى حقيبتها.. قبل أن تنظر في عينيه مجدداً قائلة  
بنبرة... عادية فقط !

\_ أبي يطلب منك أن تنضم إلينا اليوم للعشاء !!

او ما لها جاد بالإيجاب بدون ردّ و قد بدا شاردًا تمامًا في اللا شيء.. أو  
تحديدًا... فيها!

قبل أن يزفر نفساً مكتومًا و يستقيم بغير ارتياح حينما ارتفع صوت تلك  
المزعجة أختها تقول فجأة و هي تستند بذقنها إلى يدها بملل شديد ؛

\_ هل نستطيع الذهاب الآن ???

كان يشعر بالضيق الشديد و هو يستقر مكانه في السيارة منطلقاً في وتيرة هادئة.. خاصة حينما وجدها تتجه إلى المقعد الخلفي لتجلس هناك تاركة سيلين تجلس بجانبه.. سيلين المزعجة !

لن يتوقف عن نعتها بالمزعجة أبداً !

و رغم ذلك.. فقد وجدها فرصة ثمينة لتأملها بكل راحة عبر المرآة الصغيرة الأمامية لسيارته بدون أن تنتبه له.. فقد كانت ساهمة في الفراغ..

تتكئ بمرفقها إلى حاجز نافذة المقعد الخلفي المفتوحة على آخرها.. بينما خصلات شعرها الشبيهة بلون عينيها تتطاير عشوائياً.. و لا يدري لما لمح حزناً دفيناً عميقاً.. غير مفسر بجوفهما !

انتبهت سيلين لتلك النظرات.. فرفعت أحد حاجبيها بترقبٍ في نفس الوقت الذي تحتل شفاهها شبه ابتسامة لم تكتمل.. كانت انظاره تتألق ما بين رغبة و هيام و بريق بدا.. كالإصرار..

و كأن عينيه تتوعدانها بكسب ودّها و جعلها ملكه !!!

حسناً هي لم تجرب الحب من قبل.. لكنها تستطيع قراءة نظراته بكل سهولة.. خاصة و هو يتأمل أختها أمامها بدون خجل هكذا.. تنحنحت فجأة و هي تقول ؛

\_ انتبه للطريق..

كتمت ابتسامتها بصعوبة حينما وجدته يعقد حاجبيه بتشوش و هو يزيح أنظاره عن سارة لينقلها إليها.. فأشارت له بذقنها للطريق أمامه في حركة ذات مغزى لم تفهمها سارة نفسها التي رمقتها بنظرة خاطفة..

حينها فقط كان ينبه حواسه ليرفع رأسه مراقباً الطريق بصمت.. لكن أيضاً بدون أن تتوقف عيناه عن مراقبة الأميرة الشاردة القابعة وراءه و لو

للحظة !!

---

ما إن اجتمع كل الأفراد خلف طاولة الأكل..حتى ساد صمت خانق لم يتجرأ على قطعه أيُّ أحد منهم..كان الوضع متوتراً جداً بينهما في البداية..و قد تمننت لو تلكز سيلين أو تتوسل أبيها بأن يفتح موضوعاً عشوائياً يبذد به ما يحدث..

كان يجلس في مقابلها..يبدو هادئاً جداً في غاية الإنطلاق و هو يتناول من صحنه بمنتهى الأدب الذي لم يكن يعرف معناه حتى في الماضي..

لكن عينيه..رباه..كانتا عليها..حتى و هو مُطرق برأسه لم يرحمها من مُراقبته السرية..و لا تدري بالفعل هل هو يراقبها حقاً أم أنه مجرد شعور مزعج حدّ الجنون !

و حينما شعرت بنفسها غير قادرة بعد على تحمل هذا الصمت المربك..الخانق..استأذنت فجأة و هي تضع الشوكة و السكين من يدها فوق الصحن بمنتهى الأناقة..و لم تفكر و هي تتجه إلى الشرفة الخارجية بينما تسمع صوت والدها الذي ارتفع أخيراً يلقي بسؤال لم تهتم بسماعه على جاد..سؤال يخصّ العمل غالباً !

وقفت خلف السور الخاص بالشرفة الخارجية قابضة على طرفي حاجزها الرخامي شاعرة بالضيق الشديد..

ظلت واقفة هناك لعدة دقائق تراقب الظلام المائل أمامها..

لكنها أخيراً استطاعت أن تزفر أنفاسها لتزفر معها تضاييقها و تخرج هاتفها بغاية انتقاء أغنيتها المفضلة من بين كل الأغاني هناك.. ووضعتة فوق سطح السور ببطءٍ حيث مالت تستند إليه بمرفقيها بعد أن زفرت نفساً عميقاً..

" قُولِي أُحِبُّكَ كِي تَزِيدَ وَسَامَتِي "

ما إن اندلعت أول جملة من أغنيتها المفضلة بصوت "القيصر" حتى كانت  
تغمض عينيها على ابتسامة رقيقة جدًا.. ابتسامة لم تكتمل لكنها لامست قلبها  
بشعور جميل..

" قولي أجبك كي تصير أصابي..

ذهبًا و تصب..... "

\_ و تصبح جبتهتي قنديلاً !!

أطبقت عينيها أكثر و هي تسمع الصوت الرخيم الأجلش من خلفها يقاطع  
نشوتها الخاصة بهمسه.. ثم زفرت نفسًا طويلًا و هي تلتفت إليه لتقع عيناها  
مباشرة على عينيها الباسمتين..

لكنها لم تمنحه أيّ ردة فعل ترجى.. مجرد نظرة عابرة عادت بعدها لتشريح  
بأنظارها محدقة أمامها..

رفعت رأسها تطالع السماء السوداء بنجومها ذات المنظر الخلاب و كأنها لم  
تره.. لكنها سرعان ما سمعت صوت خطواته التي اقتربت منها  
ببطء.. فاضطربت أنفاسها قليلاً بمزيج من مشاعر متضاربة..  
إلى أن وقف بجانبها ينظر إلى جانب وجهها بنظراتٍ مُبهمة..

لحظاتٍ طويلة من الصمت استمر فيها كلاهما بالنظر في اتجاه واحد.. هي  
تحقق بالسماء.. و هو يحدق بها هي!

قبل أن تقرّر سارة قطعه هامسة بهدوء ؛

\_ ظننت بأنك غادرت !!

بالكاد تمكن جاد من أن يشيح بعينيها عن جانب وجهها.. فكّها الجميل الناعم و  
خصلات شعرها الحرة المتطايرة في كل مكان.. و لكي يخرج صوته طبيعيًا  
و هو يجيبها ؛

\_ لم أكن لأرحل بدون أن أودعك و أتمنى لك ليلة سعيدة !



حينها فقط.. كانت تلتفت إليه سارة.. قالت غير قادرة على إخفاء تضاييقها من هذه السيطرة التي يفرضها على قلبها بوجوده فقط.. و صوته... و ابتسامته!

\_ لا أرى أنك تودعني.. أنت لا تزال تقف مكانك !

قالتها بصوتٍ هادئٍ رغم أنها كانت تتمنى في داخلها لو تمكنت أن تطرده.. لكن جاد أخذ الأمر على شكل مزحة لا أكثر.. فانسعت ابتسامته إلى أن شملت كل وجهه بشكل استنفر حواسها أكثر.. و ترك للصمت الفرصة للتسيّد بينهما لعدة لحظاتٍ أخرى...

كادت سارة أن تشيح بوجهها عنه.. و همّت بفتح فمها لتتمنى له ليلة سعيدة كما قال لعله يرحل و يعتقها من دوامة الأفكار العقيمة المهيمنة على عقلها.. لكنها و قبل أن تفعل..

تسمرت عيناها على يده التي امتدت نحوها فجأة.. بينما هو تراجع خطوة صغيرة بعيدًا عنها.. و قال بدون أن يتخلى عن ابتسامته ؛

\_ لو رقصتِ معي فسأذهب في الحال !

انعقد حاجبا سارة ببطءٍ شديدٍ و هي تسدل رموشها الكثيفة الجميلة غير قادرة على إزاحة عينيها عن يده التي تطالبها بالرقص باستماتة.. تتوسّلها بإغراء قبيح أن تتمسك بها فقط..

لكن حواسّها كانت متجمدة.. و يدها تجمدت أكثر لدرجة شعرت معها بأنها عاجزة عن تحريكها.. و كانت النتيجة أن امتدت يده هو لتلتقط كفّها بدون استئذان.. بعد أن اقترب نفس الخطوة التي ابتعدها..

راقبت عيناها باضطراب أنامله التي أخذت تتخلل أناملها بنفس البطء.. و كأنه يعزف فوق أوتار نغمة شديدة الحساسية عليه أن لا يتسرع حتى لا تضيع منه الألحان !

لكن سحر تلك اللحظة انتهى فجأة.. و عادت حواسها لتتنشط بشكل سريع  
حينما جذبتها نفس اليد إلى صاحبها.. لتجد نفسها و قد وقعت على صدره  
ناظرة إلى عينيه اللتين كادت أن تخترقان عينيها..

رباه.. أيُّ سحر يمتلكه هذا الرجل يجعلها فاقدة لصوابها أمامه بهذا الشكل !!  
لا.. لا يمكن.. هي لا يمكنها أن تنهار بمنتهى البساطة هكذا أمامه.. لا يمكنها  
أن تنصاع لسيطرته السادية فتغدو محض امرأة خائرة القوى..

خائرة العزيمة أمام مشاعرها !

همّت بأن تبتعد بحزم لكن يده التي تمسّكت أكثر بيدها منعتها.. و ما إن فتحت  
فمها تنوي التعقيب على ما يفعله بانفعال حقيقي بدأت تظهر أماراته في  
حدقتها..

قاطعها بصوته العميق الذي عاد الحزن ليتخلله من حيث لا تعلم ؛

\_للحظة واحدة.. اللحظة واحدة فقط دعينا نتناسى كل شيء و نتظاهر بأننا  
أشخاص آخرين.. أنا الآن جاد فقط و أنتِ سارة.. لسنا سوى شخصين التقت  
طرقهما سويًا ذات يوم فوقعا بالحُب.....صدفة !!!

مال على أذنها ليهمس بنبرة ارتجف لها قلبها المسكين بين أضلعها ؛

\_تناسي كل شيء و تذكرني فقط أنني.....أحبك !!!

ثم ابتعد قليلًا ليقابل عينيها بتلك النار المندلعة بجوفهما و أضاف ؛

\_رجاء !!!

هل تعرفون ذلك المثل الشهير الذي يقول "أقرب طريق إلى قلب الرجل هو  
معدته " !! و أقرب طريق إلى قلب المرأة هو ما ينتقيه -الرجل- من كلمات!

إن الكلمات رغم بساطة شاعريتها إلا أنها قادرة على أن تنسف كل قناعات  
المرأة و مبادئها في لحظة واحدة..قادرة على التسلل إلى قلبها من أوسع  
أبوابه التي ظنتها موصدة بأقفال فولاذية لن تنفتح إلا بأمر من عقلها !

هذا بالضبط ما فعلته بها كلماته في تلك اللحظة !!

انحدرت عيناه ببطءٍ تراقبان حركة حلقها و هي تتبلع ريقها باختناق.. بينما  
ساد صمت قصير.. قصير جدًا وجدت نفسها تومئ له بعده بـ... بضعفٍ !

و سمحت لذلك الدفء الخائن باكتساح جسدها مع اقترابه أكثر.. و  
أكثر.. فأغمضت عينيها بقوة صامة أذنيها عن هتافات عقلها المتضرع  
بالتراجع.. تاركة يدها المرتعشة تستريح فوق صدره.. و يده التي حاوطت  
خصرها تتلاعب بخفقات قلبها كما تشاء..

و ليبتها لم تفعل.. بل ليبتها لم تسمح له بهذا الإقتراب أبدًا.. لما كانت فعلت لو  
لمحت تلك الابتسامة التي ارتسمت فوق شفثيه..

كانت ابتسامة.. مريرة.. ساخرة..... قاسية !!!

في ظرف ثوانٍ.. تحولت أنفاسها من هادئة رتيبة إلى متسارعة  
مضطربة.. نبضات قلبها كانت تضرب قفصها الصدري بعنفٍ مؤلم.. رائحة  
عطره الأسرة المألوفة تقتحم قلبها قبل أنفها..

بينما قدماها متجاوبتان مع حركة قدميه و كأنها رقصة قديمة العهد بينهما.. و  
اليوم يكرّرانها بخطواتٍ يحفظها كلاهما عن ظهر قلب!

" قولي أحبك كي تزيد وسامتي

فبغير حبك لا أكون جميلًا..

قولي أحبك كي تصير أصابعي

ذهبًا وتصبح جبته قنديلا..

الآن قولها..

الآن قولها.. ولا تترددي..

بعض الهوى لا يقبل التأجيلًا..

سأغير التقويما لو أحببتني  
أمو فصولا أو أضيف فصولا  
وسينتهي العصر القديم على يدي  
وأقيم عاصمة النساء بديلا..  
قولي أحبك كي تزيد وسامتي  
فبغير حُبكِ لا أكون جميلا..  
ملكٌ أنا لو تصبحين حبيبتي  
أو ذوا الشمس مراكبا وخيولا  
لا تخجلي مني فهذي فرصتي  
لأكون بين العاشقين رسولا..  
قولي أحبك كي تزيد وسامتي  
فبغير حُبكِ لا أكون جميلا "

شعورها في تلك اللحظة بالذات لم يكن قابلاً للوصف..و كأنها تطفو فوق  
غيمة سحرية بيضاء تنقلها من عالم الوعي إلى اللا وعي..  
رغم أنها داخلياً كانت تدرك ما يحدث..تعلم بأنها مخطئة..هو لا يحق له أن  
يقترب منها لهذا الحد..حتى هذه الرقصة ليست من حقه..  
لكن صوت الأنغام كان يدفعها إلى دوامته أكثر..يداه المتمسكتين بها باستماتة  
بينما يتمايل بها كما يشاء..  
و كأنها غيمة صغيرة فعلا تموج في سماء قاتمة كبيرة جداً..أكبر من قدرتها  
على التحرر منها..أكبر من قدرتها على الهرب..على التوقف..على التنفس  
حتى بعيداً عن هذه اللحظة !

إلى أن تلاشت الألحان كما تتلاشى السحب من السماء بعد يوم مُمطر  
سعيد.. لكن تلك السعادة يلفها غموض مخيف.. و حينها فقط.. كانت تفتح عينيها  
العاصفتين ضعفاً و عشقاً لتقابل صدره لوهلة..

و ما إن رفعت رأسها إليه ببطء.. كان حاجباه هو من ينعقدان بألم.. عقدة لم  
تفهم لها سبباً.. لم تستطع أن تحدّد لها خلفية.. لكن بدا.. بدا و كأن منظر تلك  
العبرات التي التمعت بجوف عينيها و شعرت بتأثيرها بدون أن تحاول كبحتها  
لأول مرة.. قد هاله تماماً !

إنها بكل بساطة.....عاجزة !!!

كل ما بها يبدو متناقضاً.. تريد أن تسامحه و لا تريد.. تثق به و لا تثق.. تكره  
جزءاً منه بينما تعشق كل أجزاءه الأخرى..

تخاف منه... و لا تخافه !

و كعادة قديمة.. فقد كان هو الأقوى بينهما في تلك اللحظة.. بحيث تمكن بكل  
بساطة من أن يترك يدها و يحرّر خصرها من الأخرى.. بينما تداعت تلك  
النظرة السابقة في عينيهِ و هو يتراجع خطوة شبه ملحوظة قال على إثرها  
بثبات تحسده عليه..

إنها لا تملك من أمرها إلا أن تحسده عليه !

\_أظن بأنني منحت و عدًا و يجب أن أفي به.. سأذهب الآن !

منحته سارة نصف ابتسامة لا معنى لها.. أو ربما تحمل معنى.. كان ذلك  
الجزع الغريب الذي استوطن عينيها خلصة عن الجميع إلا عنه.. قبل أن  
تتراجع خطوتين للوراء..

ثم قالت تبتلع ريقها محاولة إضفاء هدوء و ثبات لا تملكه إلى صوتها.. فهي  
تعلم بأنها لو بقت للحظة واحدة أخرى هنا.. قد تفقد السيطرة كليًا !

\_تصبح على.....خير..

انسحبت بعدها فوراً مغادرة الشرفة كشخصٍ يلوذ بالفرار ضد خطر  
وشيك..تاركة خلفها للمرة الثانية..أو ربما الألف.. رجلاً يراقب أثرها بلامح  
غير مفسرة التعابير..

و همسة من نصيبها شكلها صوته بدون أن يشعر ؛

\_الآن قولها!!!!

---

## " الرmq الثالث ؛ أبيض "

هل تكون الأيام دائماً كفيلة بإنهاء كل شكوكنا التي لم تنبني إلا على منطق و واقع؟! أم أن الحب وحده من يمنحنا وهمًا و رديًا يصور لنا كل العالم بالطريقة التي نتمناها نحن !!

تتوالى الأيام تباعًا و تتوالى معها مخاوفها المبطنة كلما شعرت بقوتها تتخاذل تحت وطأة دفئه الكاسح و اهتمامه المميز..

إن ذلك الشخص الذي قابلته بعد سنوات.. و الذي يتوافد إلى منزلها كل يوم ليس نفس الشخص الذي كانت تعرفه في الماضي !

إنها رغبًا عنها مهما تسلحت بذكاءٍ و حذر لا حدود له تجد نفسها تنجذب لتياريه ببطءٍ.. ليس شديدًا لكنه مهلك و قاهر.. إنها تكاد أن لا تعرف نفسها.. لقد كانت تظن بأنها تعودت على الحياة بدونه..

كانت تظن بأنها تجاوزت حدود حبه و ما ينشئه بداخلها من ضعف!

لكنها لا تجد نفسها إلا تقترب منه كل يوم خطوة جديدة لا تملك أمر التراجع عنها.. أحاديثه مع أبيها.. ابتسامته الهادئة الرصينة بشكل مبالغ به.. نظراته الحانية و الشديدة التفهم و العشق لها..

صوته الرخيم الذي فقد جنون الماضي و اكتسب بحة مغرية..

و كأن كل ذلك لا يكفي.. فما إن تلتفت من حولها لا تسمع إلا المديح عنه.. سواء من خفقات قلبها التي تكاد أن تقودها إلى الجنون.. أو من والدها الذي كان يبدو في أوج السعادة التي تمنها طويلاً..

لطالما كانت تشعر بأن والدها رغم كل جفائه الماضي و قسوته و غضبه من جاد.. و رفضه لعلاقتهم.. يكن مشاعرًا عائلية حقيقية نحوه.. فهو في النهاية ابن أخته العزيزة.. تلك التي رآته يذرف الدموع المكتومة حسرة على رحيلها..

حتى علاقته بسيلين تحسنت كثيرًا مقارنة بما سبق.. هي فقط من كانت تبدو متباعدة عنهم في هذه الأجواء.. أحيانًا تشعر بأنها هي الشخص الغريب هنا لا هو !

و مع ذلك لا تنكر بأنها أحببت هذا الدفء العائلي الذي غلف منزلها الدافئ أساسًا بعد عودته.. و لا تنكر بأنها في داخلها عميقًا كانت قد بدأت تميل إلى رغبة الإستسلام !

تتمنى أن يكون ما تعيشه حقيقي.. أن تكون همساته و ابتساماته و نظراته صادقة.. أن تبسم من أعماق قلبها..

بعد أن تتخلص من كل التردد و الشكوك و الحذر المزعج نحوه !

لكنها كلما اقتربت.. إبتعدت.. و العكس صحيح تمامًا !

\_ صباح الخير يا مزعجة.. ماذا تريدين ؟!!

قالت بصوتٍ ناعسٍ و جفون نصف مغلقة و هي تنظر لسيلين الواقفة أمامها تحاول إيقاظها بكل طريقة ممكنة منذ لحظات.. فاندفعت سيلين لتزيل عنها الغطاء هامسة بخبث ؛

\_ لستُ أنا.. ابن عمتنا العزيز و حبيبك الوسيم هنا.. و ينتظرك في الأسفل..

ابنة عمتهما ؟ حبيبها الوسيم !!!

فتحت عينيها على اتساعهما بذهول.. ثم تحركت لتجلس بسرعة هاتفة بصوتها الناعس بضيق ؛

\_ ماذا يريد ؟!!!

\_ و من يعلم.. ربما يريد أن يأخذك في جولة على ظهر الحصان مثلًا !!!

قالتها سيلين تزيد من إغاظتها بنفس الخبث.. فرفعت سارة حاجبيها بنفاز صبر.. لتتدارك الأخرى باستسلام ؛



يقول أنه بعث لك رسالة بالأمس.. و الآن يريد أن يخرج كلاكما في جولة  
على ظهر الحصان !!

هزت سارة رأسها بتساؤل و هي تقول بعدم فهم ؛

رسالة.. أي رسالة ؟!

مطت سيلين شفيتها كإجابة صامتة لا معنى لها.. ثم ابتسمت و هي تهمس لها  
قبل أن تخرج ؛

أنا لديّ جامعة.. لا تتأخري عليه.. فالمسكين يوشك على فقدان صبره..

أغلقت الباب خلفها لتترك سارة مكانها ناظرة في أثرها بوجه  
ممتقع.. همست لنفسها بغباء و حاجباها ينعقدان باستنكار ؛

يوشك على فقدان صبره !!!!

ثم تذكرت الرسالة فالتقطت هاتفها بسرعة لتجد رسالته هناك.. جالت عيناها  
عليها تركيز و أصابع يدها الأخرى تتحرك مرتبة خصلات شعرها المبعثرة  
إلى الوراء..

" مرحبًا أيتها الأميرة.. أنتظرك صباحًا لنخرج أنا و أنتِ في جولة على ظهر  
الحصان.. طبعًا بعد إذن سموك !! "

هزت رأسها قليلاً مبتسمة بياس.. قبل أن تنتهد بقوة مَلقية بالهاتف فوق  
السريير عفويًا و تقف بحزم في نية تجهيز نفسها..

و في الأسفل.. كان جاد يجلس في البهو الكبير يتبادل أطراف الحديث مع  
فؤاد.. حينما لفت انتباهه صوت خطوات أنيقة تقترب.. خطوات يحفظ وقعها  
جيدًا.. و على إثرها رفع رأسه بسرعة لتقع عيناه فورًا عليها...

على أميرة أرستقراطية بشعر بني رفعته بمنتهى الإحترافية و العناية على  
شكل ذيل حصان.. ترتدي سترة جلدية سوداء فوق قميصها الصوفي القصير  
الأبيض.. و سروالا يبدو أنه من نفس نوع السترة..

غرة فاتنة منسلة من الربطة لتلامس فكّها القابل للرسم.. و حذاءً يصل حتى  
ركبتيها..أسود كذلك !!

رباه كم يليق بها الأسود !!

كانت سارة قد لمحته أثناء نزولها.. عيناه اللتان لم تتوقفا عن تأملها بتفحصٍ  
أثارتا بداخلها ارتباك لم تظن بأنها من الممكن أن تشعر به بسببه يومًا.. لكنها  
استطاعت إخفاءه بنجاح و هي تشيح ببصرها عنه ناظرة لوالدها..

همست ما إن توقفت أخيرًا بهدوء محاولة قدر الإمكان أن تتجاهل انعكاس  
عينيه التي لم تطرف أبدًا و هو يتأملها و كأنها نسيت الطريقة المثلى لفعل  
ذلك..

\_ صباح الخير !

بادلها فؤاد تحية الصباح بمحبة.. و قبل أن يهمس أيّ منهما بكلمة أخرى  
سمعت صوت جاد الذي قال بنبرة غريبة و هو يقف فجأة ؛

\_ هل... نذهب ؟!!!!

كان يراقبها طوال الطريق.. بينما بدت سارة منشغلة عنه تمامًا بأشياء  
وهمية.. كالتحديق أمامها بين الحينة و الأخرى.. و رفع يدها لإبعاد نفس  
الخصلة الساحرة.. الهاربة من شعرها إلى خلف أذنها.. و أحيانًا حينما تلتقي  
عيناهما بالصدفة فيمنحها ابتسامة هادئة تبادله بأخرى غير مكتملة..

إلى أن وصلا إلى وجهتهما التي كانت ذلك الاصطبل الواسع و الذي لا يبعد  
عن منزلها إلا بعدة أمتار شعرت للعجب لأول مرة بأنها مسافة طويلة  
جدًا.. لكن اللحظة الأجمل كانت حينما قابلت حصانها الأبيض..

فانسابت عيناه بنهم غير مطوع على ابتسامتها التي يشعر بها حقيقية لأول  
مرة منذ عودته.. و لم يمنع نفسه من تتبع كل تحركات يديها اللتين أخذتا  
تربتان بمنتهى الرفق على ظهر الحصان و وجهه بينما يسيران باتجاه  
الساحة العريضة..

لما تزال صورتها من الماضي تمر في ذهنه.. صورة مماثلة تقريبًا لصورتها اليوم.. حينما كان يقف من البعيد.. يراقبها بينما تمتطي نفس الحصان و تركض بكل قوة و كأنها تنفّس عن حنقها المتأجج على الدوام بسببه..

الفرق بين الماضي و اليوم أنه يستطيع أن يقف بجانبها.. و يشاركها نفس الهواية دون اعتراضٍ من أحد.. بل و يستطيع الدخول إلى منزلها من بابه الواسع متى ما أراد.. لا أن يتسلل من خلف النوافذ كصنّ ليلي..

راقبها باهتمام و هي تمتطي حصانها بخفة و رشاقة تدعو للإعجاب.. و قد همّ.. هم لوهلة بأن يفتح فمه ليطلب منها فقط أن يمتطيا نفس الحصان.. لكنه تراجع في آخر لحظة مدركًا كم سيبدو موقفه سخيفًا أمامها.. غير أنها لن توافق أساسًا..

لهذا فقط.. التفت يفعل نفس حركتها.. يمتطي الحصان الأسود الذي وقع اختياره عليه من بين كل من وقعت أنظاره عليهم في الاصطبل..

كان الجو هادئًا هذا اليوم.. نسيم عليل شعر به يداعب وجهه برقة.. لكنها رقة لا تضاهي أبدًا بالمنظر الذي وقعت عيناه عليه ما إن التفت صوبها مجددًا.. منظر ملامحها الجميلة المنشرحة بسكون.. و النسيم الدافئ و هو يداعب خصلات شعرها بلطف..

صوت بداخله أخبره بضرورة قطعه لهذا الصمت.. إلا أنه ظل يطرده بتكاسل للحظات بحجة تأملها فقط.. إلى أن تتحنح بخفوت.. ثم أجبر نفسه على التحدث أخيرًا بصوتٍ خافتٍ رائق ؛

\_\_ ألا تزالين مولعة بركوب الخيل ؟!!!!

نظرت له سارة بهدوءٍ مجيبة بابتسامة هادئة.. حقيقية هذه المرة ؛

\_\_ إنه الشيء الوحيد الذي من سابع المستحيلات أن أتخلى عنه..

قبل أن يستطيع الرد عاجلته بسؤال هادئ ؛

\_ و أنت ؟!!

نظر لها جاد بعدم فهم.. فهمت بنبرة ذات مغزى ؛

\_ أتذكر بأنك كنت تكره رائحة الخيول حتى.. فماذا تغير ؟!!!

بدا و كأنها قد أصابت موضعًا حساسًا جدًّا في قلبه.. جعله يصمت لعدة ثوانٍ.. ثم همس ينظر في عينيها بما يشبه.. الصدق!

\_ كل شيء !

كانت نبرته غريبة.. بها من الغموض ما جعلها تعقد حاجبها بتوتر و حيرة.. و كأن إجابته تتعدى حدود سؤالها بالفعل..

و لم تفهم هل يقصد بقوله " كل شيء " حبه للخيول أو ذلك الحب الأسطوري الذي كان يكنه لها في الماضي رغم كل ما به من عيوب و تناقضات !

طرفت بعينيها قليلاً بتشوش و هي تشيح بأنظارها عنه محدقة بالجانب الآخر بصمتٍ.. فأتاها صوته يهمس ببساطة الآن ؛

\_ إذا ؟!!

تردّدت سارة قليلاً قبل أن تلتفت إليه بصمت.. فقال جاد يرسم ابتسامة جادة على ملامحه ؛

\_ هل سأسمع قرارك بشأننا قريبًا ؟!!

شحبت أنظارها بشكل بدا ملحوظًا له.. فأضاف مستدرجًا ؛

\_ إنه محض سؤال عابر.. الحقيقة أنني مستعد للانتظار إلى الأبد لو كانت النتيجة أن أحصل عليك في النهاية !

ها هو مجددًا يتكلم بطريقة لا تعجبها !

قالت سارة تقابل أنظاره باستنكار هادئ ؛

تحصل علي؟! هل تظن بأن لفظ " أحصل عليك " يرتقي للتحدث عن إنسانة !

هنا فقط..شعر جاد بقدميه تغوصان في منطقة محظورة..فصمت للحظة واحدة..ثم قال ينفي برأسه بصوت عميق تخلل إلى جوارحها ؛

حينما أقول " أحصل عليك " فأنا لا أشيئك..بل على العكس تمامًا أنا أخبرك بطريقة غير مباشرة بأنك تتصدرين قائمة أجمل أحلامي التي أتمنى و أسعى لتحقيقها..أنت تشبهين حلمًا أبيضًا جميلًا لا يراه الإنسان إلا مرة واحدة في حياته..فإما أن يتشبث بتلابيب النوم حتى لا يفقده مجددًا..أو يفتح عينيه دفعة واحدة على حقيقة أنه فقده... للأبد !

رباه..ماذا عساها تقول الآن؟! كيف يستطيع أن يغير كل سلبية يلتقطها عقلها عنه إلى إيجابية؟! كيف يستطيع التلاعب بالكلمات بكل مهارة بهذا الشكل..فإما أن يسقطها إلى جوف الأرض..أو يرفعها حتى عنان السماء بمجرد كلمة..كيف !

ابتلعت ريقها شاعرة بنفس المرارة المرتبطة به تمنعها من التنفس و فصل الحقيقة عن الوهم بوضوح..بينما امتلأت عيناها بالتوتر أكثر و عادت تشيح بأنظارها عنه شاعرة بأنفاسها تتهدج بقوة مؤلمة..

مرّت الدقائق بعدها بشكلٍ رتيب..و لم يتوقف جاد عند تلك النقطة..فقد استمر يفتح مواضيعًا جديدة حتى و لو عابرة كان هدفه الوحيد منها نسف الصمت و تبديد التوتر..

و هذا ما حدث بالفعل..فقد نجح أخيرًا بعد عدة محاولات بجعلها تتجاوب معه و لو نسبيًا..

سألها عن العمل..و عن حياتها طيلة هذه الثلاث سنوات التي ابتعدها..ثم انتهى الحديث باستفرازه لها برغبته في خوض سباق حقيقي معها على ظهر الحصان..

و لم تكن سارة لترفض أيّ تحدي بالطبع.. فأطلقت العنان اليوم أيضاً  
لجموحها و أنفاسها الثائرة بوجوده.. و كانت النتيجة متوقعة تماماً.. فوزاً  
سحيقاً ناله منها !!

إلى أن توقف جاد أخيراً يلهث أنفاسه.. قال بينما يرفع كلتا يديه دليلاً على  
الإستسلام ؛

\_ حسناً حسناً إنه خطئي.. أنا من اقترحت هذا التحدي !

و كانت تلك هي اللحظة التي عجزت سارة فيها عن كتم ابتسامتها الرصينة  
و الفخورة بنفسها.. قالت و هي تربت على عنق حصانها برفق ؛

\_ هل أعتبره إعترافاً بالخسارة إذاً؟! !!

قال جاد مبتسماً بتألق ؛

\_ خسارة كلية !

قبل أن يتسلل إلى مسامعهما صوت رنين هادئ بهاتفها.. فقفزت سارة بخفة  
من فوق ظهر الحصان لتدس يدها بداخل جيب سترتها و تخرجه..

لكن ابتسامتها تلاشت ببطء.. و انعقد حاجباها بقدر ضئيل و هي ترفع عينيها  
لجاد الذي كان ينظر لها بترقب.. قالت بنبرة عادية لكن بها بعض الحذر  
الخفي ؛

\_ إنه صديقي المقرب من العمل.. اسمه تامر !

تعمدت أن تصفه بـ "صديقي المقرب" حتى تعاین شيئاً ما بملامح جاد.. لكن  
أيّ ردة فعل توقعتها لم تحدث.. بل اكتفى بإيماءه لطيفة بدون ردّ..

ثم قال و هو يرى أنظارها تتسمر عليه قليلاً بطريقة غريبة ؛

\_ ألن تجيبي عليه!!!؟

رغمًا عنها.. شعرت بسعادة متطفلة تتسلل إلى قلبها.. بينما غرق عقلها لوهلة في مقارنة عميقة..

هذه... ليست ردة الفعل التي توقعتها منه.. بل هي ردة فعل لا تمثل أبدًا جاد الماضي.. و تمثل جاد اليوم !

جاد الماضي.. كان شابًا عنيقًا لا يقبل التهاون في أيّ شيءٍ كان.. إنها لا تزال تتذكر حتى هذه اللحظة تلك المرات النادرة التي كانت تجده فيها يقف في انتظارها أمام الجامعة رغبة في التحدث معها..

لكن رغبته كانت تنطفئ لو رآها تقف مع شاب ما.. فكان يقترب بغير تردّد ليسحبها من بين صديقاتها بتسلطٍ تكرهه..

لو كان جاد لا يزال بالفعل متمسكًا بطبيعته.. لما استطاع أن يصمد حين سماع سيرة رجل آخر!

لكنها تخشى أن يكون قد تغير بالفعل.. لكن لشيءٍ أكثر سلبية!

او مأت له بغير اقتناع تام و هي تستدير عنه مبتعدة عدة خطوات عن حصانها لتفتح الخط و ترفع الهاتف إلى أذنها.. لكنها انتفضت بعد ثانية واحدة حينما تسلل إلى مسامعها صوت إطلاق قوي من النار من جهة معينة..

و ما إن التفتت بجزع.. وقعت عيناها على شكل حصانها الذي سقط بعد أن أصدر صوت نحيبٍ متألم.. تركت الهاتف من يدها و هي تنخفض بفرع لتضع يدها على مكان الإصابة النازفة بعنقه بقوة..

ارتعشت يدها بشدة غير قادرة على استيعاب أيّ شيء.. بينما اضطربت أنفاسها و احتقنت عيناها ببعض الدموع بدون أن تلمح جاد الذي نزل بسرعة من فوق الحصان ليقرب منها إلى أن جثا على ركبتيه بجانبها..

لحظة لحظة دعيني أرى!

قالها بسرعة فرفعت سارة حدقتها إليه و كأنها تذكرت وجوده للتو.. قالت بصوتٍ مختنق و هي تنظر حولها بعجز عن الفهم ؛

\_ من فعل هذا !!!!

لكن جاد لم يرد.. و ما إن أعادت أنظارها إليه لمحت يده التي انكشفت فوق الأرض تجمع حفنة من التراب و تربت بها فوق مكان الإصابة برفق شديد.. بينما عيناه.. بدتا في غاية الجدية و العطف..

لم تستطع أن تمنع عينيها من الشرود قليلاً و هي تنظر له بغير تركيز.. ثم همست تبتلع ريقها و دموعها بحيرة ؛

\_ ماذا.. تفعل ؟!!!

لم ينظر لها جاد.. قال و هو مستمر فيما يفعله بتركيز ؛

\_ لقد كانت أمي تفعل ذلك.. أتذكرين ! ربما لن يشفيه تمامًا لكنه سيخفف الألم ريثما يصل الطبيب..

فغرت سارة شفيتها قليلاً ناظرة له باندهاشٍ شديد غير قادرة على إزاحة عينيها عنه.. لكن عقلها سرعان ما كان يستوعب شيئاً ما فاتسعت عيناها قليلاً.. و قالت و هي تقف فجأة حاملة هاتفها الذي كانت قد ألقته فوق الأرض لشدة انفعالها ؛

\_ أنا... أنا سأتصل بالطبيب..

رفعت الهاتف إلى أذنها بأنامل ترتعش لتستدعي الطبيب ببضع كلمات مختصرة مضطربة.. و لم تكذ تنزل الهاتف حتى كانت تسمع صوت جاد الذي وقف بجانبها يهمس بينما يده تمتد لتربت فوق كتفها برفق ؛

\_ اهدئي.. سيكون على ما يرام !

هزت سارة رأسها بالنفي بقوة و هي تقول غير قادرة على التسلح بهدوءٍ زائف ؛



\_ يجب أن نعلم من فعل هذا..

ثم التفتت لتقترب من الحصان بينما ظلّ جاد متسمراً مكانه يحدق بها للحظات بنظراتٍ بالغة المعاني.. قبل أن يقرّر الاقتراب منها مجدداً بحيث كانت تجلس القرفصاء بجانب حصانها مواسياً و مطمئناً ريثما يصل الطبيب..

و كأبيّ شريكٍ حياةٍ حقيقيّ أمضى باقي اليوم معها.. و لم يبارحها إلا بعد أن اطمئن على صحة الحصان..

إلى أن توقفت معه في المساء في حاجز الباب بغية توديعه.. و حينها لم تستطع أن لا تهمس له بنبرة امتنان خالصة و حقيقية ؛

\_ لا أعلم بأيّ طريقةٍ عليّ أن أشكرك!

منحها جاد أكثر ابتسامةٍ حنونة متواجدة في العالم و هو يرد ببساطة ؛

\_ لا داعي لكل هذا بالفعل.. أهم شيء في الموضوع أن أبيض بخير الآن.. و أنت... بخير !

لم تستطع سارة أن تجيبه بكلمات.. فاكثفت بإيماءة هادئة و ابتسامةٍ مشابهة لابتسامته.. ابتسامة تأملها قليلاً باهتمام قبل أن يتراجع عدة خطوات بطيئة نحو الوراء ؛

\_ عموماً... نتكلم غداً.. ليلة سعيدة !

و نفس الرد.. إيماءة حانية و ابتسامة خالصة المعنى.. إلى أن التفت عنها ليغادر في صمتٍ.. و ظلت هي واقفة مكانها تراقب انصرافه.. في صمت أيضاً !

في تلك الليلة.. لم تستطع سارة النوم أبدًا.. فقد استلقت فوق سريرها تقابل  
السقف الذي يحمل لها مشاهدًا ما عادت تستطيع أن تضعها في خانة "   
العابرة " و تتجاهلها..

و تساءل عقلها بكل أمل..

هل يجب عليها أن تعقد الأمور بهذا الشكل؟!!! لما لا تتراجع فقط و تستسلم!  
إنها... تحبه !

و هو يحبها منذ الأزل.. حتى في تلك الأوقات التي عاملها فيها بفضاظة كان  
يحبها.. حتى في لحظات قسوته و جنونه كانت تستطيع أن تلمح عشقها  
الجارف في عينيه..

و ها هو ذا تخلى عن جانبه المظلم ذاك لأجلها.. ها هو ذا يقدم لها نفسه  
الجديدة على طبق من ذهب.. يمهد لها السبيل لتحقيق حلم قديم جدًا طال به  
الإننتظار.. يفرد أنامل السلام ناحيتها محفرًا إياها على التمسك بها فقط..

لم لا تفعل إذا؟! لما؟!!!

لما؟!!! لأنها ببساطة لا تزال عاجزة عن تناسي كلماته الماضية..  
تهديداته.. ماذا لو.. كان يخدعها بالفعل؟! ماذا إذا خذلها؟! ماذا لو اكتشفت  
بعد أن تسلّم زمام أمورها بأن كل ما عاشته معه كان محض كذبة كبيرة؟!!!

لا.. مجرد تخيل ذلك يوجب شعور الخوف بداخلها منه و من غاياته الدفينة  
وراء ملامحه البريئة تلك، لكن..... ماذا ستكون غايته يا ترى؟! إذا كان  
يريد الإنتقام فلماذا لا يفعل ذلك في العلن؟!!

لقد كان يفعل من قبل و هو فقير معدوم القيمة.. الآن و قد أصبح ذا قيمة في  
المجتمع فما الذي يردعه عن ذلك؟!!

لا.. هو ليس مضطرًا للتمثيل أبدًا..

هي تعرف جاد جيداً.. جاد إنسان واضح.. عندما يكره شخصاً ما فهو يكرهه في العلن.. حتى لو كان ذلك الشخص أقوى منه سلطة و مكانة!

لقد كان يعلم بأن خاله بنفوده يستطيع نفيه ليس من المدينة فقط.. بل من كل الحياة !!

كما كان يعلم بأن علاقتهما سويًا مستحيلة ما لم يوافق عليها والدها.. و مع ذلك لم يردعه ذلك عن اللحاق بها باستماتة في كل مكان!

" لكنني سأعود.. سأعود عندما أصبح أقوى منك.. لأنتزع منك كل ما تملكه.. و أولهم ابنتك الحبيبة! "

يا الله.. ألا يمكن لتلك الكلمات أن تتبخر من عقلها فقط !

و ذلك اليوم !!

في ذلك اليوم.. كان قد قرّر أن ينصاع لرغبتها و يغير من نفسه قليلاً.. فقط ليحسن هيئته و تصرفاته التي كانت تثير غضبها و تقززها بهمجيته و عنفه اللأ محدود في التعامل معها -خاصة..

و فعلاً.. فقد تفاجأت به بعد أيام يذلف إلى القصر بعد أن طلب الإذن من والدها و سمح له بالدخول.. في تلك اللحظة شعرت بفرحة عارمة تجتاح قلبها..

عادة جاد عندما يأتي للقصر فإنه يشعله بصراخه و شجاره مع الحراس.. لكن اليوم هو مختلف.. فقد طلب الإذن كشخص نبيل تمامًا و دخل بعد أن سُمح له بالدخول !!

نظرت له من مكانها بصالة المنزل العريضة.. حيث كانت تدرس هناك.. بداخلها هي كانت تعلم سبب قدومه.. فحديثهما الأخير التي لا تزال كلماته كما كلماتها عالقة في ذهنهما ربما هو ما ترك هذا التأثير لديه و جعله يأخذ هذه الخطوة..

"جاد أنا أيضاً أحبك..تعلم أنني أحبك منذ طفولتنا..لكنك بأسلوبك هذا أنت تبعدني عنك أكثر..أنا لا أستطيع أن أتحمل..أنا تعبت..إذا كنت تحبني حقاً فستثق بي..حاول أن تتغير قليلاً..إن لم يكن من أجلي..فمن أجل نفسك..أنا لا أحب أن أراك هكذا..صدقني ! لكنك تدفعني للجنون بتصرفاتك التي لا تمت للمنطق بصلة..أنت تحبني أعلم..لكن هل الحب وحده يكفي؟! إذا أردت الحب فعليك أن تطلبه برفق..تعال و أخبر أبي..أعلم أن علاقتكما ليست جيدة نوعاً ما..بل إنها ليست جيدة أبداً..لكن أبي يحبك..صدقني..أنت افعل ما بوسعك و أنا سأحاول إقناعه..و سنكون معاً بإذن الله !"

لكنها لم تحسب حساباً لما حدث بعدها..عندما سمعت صوت صراخ والدها بجاد من الداخل !!

ليندفع الباب و يخرج جاد أولاً بملامح متجهمة غاضبة..

و يخرج بعده فؤاد..بنفس الملامح !!

تحركت شفاهها و كأنها ستقول شيئاً لكن جاد سبقها و هو يهتف بوالدها بغضبٍ أسود على مرأى و مسمع منها ؛

\_\_حسناً.. سأرحل..لكنني أعدك أنني سأعود..سأعود عندما أصبح أقوى منك..لأنتزع منك كل ما تملكه..و أولهم ابنتك الحبيبة !!

و لم تكذ تستوعب شيئاً حتى كان قد غادر المكان..دون أن يلقي عليها نظرة حتى !! سوى كلماته التي أردت قلبها قتيل الخذلان !!

بعد ذلك الموقف حاولت أن تستفسر من والدها كثيراً لكنه أبى أن يتكلم عن الموضوع..و اكتفى بأن طمأنها ببضع كلماتٍ أخبرها فيها أن جاد كانت نيته غير سليمة و ما فعله فقد فعله لمصلحتها..

و في الحقيقة لم تكن تحتاج لأكثر من ذلك لتقتنع و تنهي الموضوع..إذا كان هناك خلل فهو بالطبع في جاد..لا أحد يعرف والدها أكثر منها..

والدها لا يمكن أن يظلمه أبداً !!

لهذا حاولت جهدها أن تطوي تلك الصفحة.. و هو ساعدها باختفائه  
المفاجئ !!

تنهدت بقوة و هي تعود من تلك الذكرى المنفرة التي تأبى مفارقة عقلها.. قبل  
أن تمد يدها لتطفئ الضوء المنبعث من المصباح الصغير فوق المنضدة  
الملاصقة لسريرها..

لم تدرِ بأن الغد يحمل لها مفاجأة جديدة.. محزنة و جميلة.. فما إن دلفت  
لغرفتها في مساء اليوم التالي.. تناهى إلى مسامعها صوت رنين  
هاتفها.. فاقتربت منه بعد أن كانت تنوي التوجه إلى حاسوبها..

شبه ابتسامة محايدة ارتسمت فوق شفثيها و هي تفتح الخط.. ليأتيها صوته  
الحاني يهمس بخفوت ؛

\_ سارة ؟!!!

ظلت سارة صامتة لثوانٍ.. ثم همست بينما تتجه لنافذتها لتزيح ستارها و  
تتأمل الليل المظلم بعينين مضيئتين ؛

\_ كيف حالك ؟!!

قالت سؤالها بهدوء و قد تعمدت رغم أنها تمننت أن تسأله عن سبب عدم  
زيارته لهم اليوم أن لا تظهر أيّ اهتمام بالموضوع.. جاءها صوته مترددًا  
بنفس درجة الخفوت ؛

\_ أنا بخير حال...

صمت للحظاتٍ أخرى انعقد فيها حاجبا سارة ببعض التوجس ثم أردف ؛

\_ أنا... لقد اتصلت بكِ لأودعكِ !

لم يكد يكمل جملته حتى كانت عيناها تتسعان بقوة.. ثم طرقت بعينيها شاعرة  
بكل الدماء تنسحب منها فجأة.. إلى أن قالت بصوتٍ مضطرب حاولت جعله  
ثابتًا ؛

\_ل...لما؟!!!

لم تدري لما التقطت مسامعها شيئاً يشبه خيبة الأمل في صوته و هو يقول  
مبّرراً ؛

\_لقد طرأ لي عمل مفاجئ..و أنا مضطر للسفر إلى العاصمة لفترة..  
زفرت سارة نفساً ثقيلاً بدون صوت..لكن عقلها الذي التقط كلمة معينة ممّا  
قال دفعها لأن تهمس بتشوش ؛

\_العاصمة؟! هل...كنت تقطن بالعاصمة قبل أن تأتي إلى هنا !  
إنها نفس المدينة التي تدرس و تشتغل فيها منذ ثلاثة سنوات!  
سمعت صوت جاد يقول ببساطة ؛

\_نعم !

فساد صمت جديد من ناحيتها..قبل أن تهز رأسها لتجلي ذهنها من أفكارها  
الحمقاء و تقول بتوتر ؛

\_كم...ستبقى؟!!!

\_لا أعلم بالضبط..لكن ليس طويلاً..أسبوعان إلى ثلاثة أسابيع !  
لا تدري أيّ شعور ذلك الذي لامس قلبها و جعلها ترغب بثنيه عن هذا  
السفر..خاصة و هي تلمح بين كلماته تلميحاً خفياً لما بينهما..و كأنه يستنكر  
فكرة السفر قبل أن يسمع ردها !

سمعت صوت تنهيدته الطويلة بعد لحظات..ثم قال فجأة ؛

\_أنا...على الأرجح عليّ الذهاب..تصبحين على خير !

ثم أغلق الخط فوراً قبل حتى أن تستوعب جملته تلك..فتحت فمها لوهلة و  
كأنها ستقول شيئاً..لكنها عادت تزمه و هي تبعد الهاتف عن أذنها ناظرة إلى  
شاشته التي انطفت بذهول شديد..

ذهول تحول إلى استياء تام بعد لحظة.. ثم ألقى بالهاتف فوق السرير عشوائياً  
و هي تقول عاقدة حاجبها بغير استيعاب ؛

\_وقح!!!!

\_من هو الوقح!؟

سمعت صوت سيلين التي دخلت فجأة ملتقطه آخر كلمة قالتها.. فعقدت  
حاجبها باستياء أكبر و هي تكتف ذراعيها أمام صدرها ناظرة أمامها.. إلا أن  
سيلين أبت إلا أن تزيد في إلحاحها.. فقالت بينما تقترب منها لتقف بجانبها ؛

\_جاد!؟!!!

تراجعت بفرغ ما إن التفتت لها سارة لتتهف بها بانزعاج ؛

\_سيلين لا تزيد الوضع سوءاً.. و أخرجي من هنا.. هيا..

ابتسمت سيلين بصبر.. فهي نوعاً ما معتادة على هذا التقريع بين الحينة و  
الأخرى من أختها الكبيرة.. قالت بهدوء تام و هي تشاركها تأمل منظر السماء  
المضيئة بنجوم صغيرة ؛

\_حسناً.. أنا أعلم بأنني لا أملك حق التدخل في هذا الشأن لكن.....

التفتت إليها مجبرة سارة أيضاً على النظر لها بطرف عينيها.. حينما قالت  
بجدية ؛

\_ألا ترين بأن فترة التفكير هذه طالت جداً جداً !

أغمضت سارة عينيها و هي تزفر نفساً عميقاً.. لكنها عجزت تماماً عن  
احتواء أفكارها المشوشة.. فنظرت لها قائلة بعصبية ؛

\_هل انتهت كل المواضيع من العالم!؟!!

هزت سيلين كتفيها ببساطة و هي ترد ؛

\_\_ باستثناء هذا الموضوع ؟ نعم.. لا أجد أن هناك أي موضوع يتطلب التحدث فيه غير هذا !

عادت سارة لتتهد بقوة و كأنها تحاول التخلص من حمل ثقيل أرهاقها..فانحنى حاجبا سيلين بحنانٍ و هي تهمس بجدية ؛

\_\_ هل تريدان رأيي في الأمر ؟!!!

نظرت لها سارة بترددٍ.. لكنها اومأت لها ببطءٍ..فقالت سيلين بحكمة لا تليق بحقيقة كونها تخاطب الآن أختها الكبرى و الأشد حكمة منها في جميع شؤون الحياة ربما باستثناء هذا الأمر ؛

\_\_ رأيي هو أن تتوقفي عن الضغطِ على نفسكِ و التفكير بهذا الشكل! جاد يحبك..كلانا نعلم ذلك..لطالما أحبك منذ الصغر كما بادلته أنتِ الحب..لكن الظروف كانت عائقًا بينكما دومًا..و اليوم لم يعد هناك عائق بينكما..سوى قلبك العنيد هذا !!

نقلت سارة عينيها بين عيني سيلين بحيرة لا تزال تستوطن عقلها..لكن سيلين لم تلمح سوى نظرة استجداء جعلتها تقول بذاتِ النبيرة الرصينة ؛

\_\_ لقد عاد لأجلك..تغير لأجلك..ماذا بقي بعد ؟!!!

صمتت قليلا ثم أضافت بنبرة خاصة ؛

\_\_ و تنازل عن إرثه و كل حقوقه من أجلك !!!

الآن اتسعت عينا سارة بصدمة و ذهول تام..فاومأت سيلين بحزم و هي تكمل مؤكدة على كلامها ؛

\_\_ نعم...لقد أخبرني أبي أنه رفض أن يأخذ منه أيّ شيءٍ ممّا كان يدعي في الماضي أنه أملاكه..و عندما ألحَّ عليه أبي رفض بشدة أكبر و طلب منه أن يغلق دفاتر الماضي لنبدأ جميعنا صفحة جديدة..ألا يستحق بعد كل هذا أن يحصل على فرصة أخرى منك ؟!!!



قلبت سارة أبصارها داخل عيني أختها بحيرة أكبر.. ثم قالت تبتلع ريقها  
كطفلة صغيرة حائرة ؛

\_ أنا... لا أعلم.. ماذا عليّ أن أفعل يا سيلين ؟! ساعديني !!!!

ابتسمت سيلين بحنانٍ و هي تمسكُ بيديها لتبسّط راحتها فوق قلبها تمامًا.. و  
همست بحزم بدون أن تتركها ؛

\_ افعلي ما يخبرك به قلبك.. هو الوحيد من سيمنحك الجواب و ليس أنا !!

نظرت لها سارة برجاءٍ و كأنها غير قادرة على توكيل هذه المهمة بالفعل إلى  
قلبها.. فقلبها دائمًا ما خذلها في أمور الحب و العاطفة !

لكنها أخيراً همست بصوت أجش.. بعينين دامعتين بأسى ؛

\_ أنا أحبه يا سيلين.. إنك تعلمين هذا !

و جوابًا قاطعًا او مأت لها سيلين بالإيجاب.. ثم قالت تحثها بجدية ؛

\_ لم لا تذهبين إليه و تخبرينه بهذا وجهًا لوجه إذا !

لكن سارة ظلت صامته تمامًا تنظر في عينيها بنفس العجز.. فعقبت سيلين  
بنبرة مرتفعة الآن و كأنها توبخها ؛

\_ سيسافر غدًا يا حمقاء !

\_ لكن.....

لكن سيلين قاطعتها بشجاعة ؛

\_ لا يوجد لكن.. إما أن تذهبي إليه الآن أو انتظري لثلاثة أسابيع أخرى.. و لا

تلوميني إذا اختفى فجأة معلناً يأسه من انتظارك !

أطرقت سارة قليلاً برأسها تناظر الأرض بلا هدف.. و طال صمتها قبل أن

تعود لترفع رأسها نحو أختها.. إلى أن همست بتردد ؛

لكن..ستذهبين معي !

رفعت سيلين حاجبيها بدهشة و هي تهم بالرفض..لكن سارة قاطعتها بقوة  
رغم نبرة صوتها المتحشجة قليلا ؛

لن أذهب بدونك !

و فقط..لم يعد هناك مجال للرفض..فهزت سيلين كتفيها باستسلام و هي  
ترافقها بطاعة..توقفت السيارة بعد وقتٍ ليس بالطويل أمام بناية شاهقة  
الإرتفاع..و التي لم تكن سوى واجهة الفندق حيث يقطن جاد هذه الفترة..

تردد مزعج عاد ليفرض نفسه على قلب سارة للحظات..لكنها تلك المرة  
كانت أكثر حزمًا..فمدت يدها إلى المقبض تفتحه بسرعة قبل أن تنزل قدميها  
في الأرض متجهة إلى البوابة الكبيرة..لكنها توقفت فجأة و استدارت إلى  
سيلين سائلة ؛

ألن تنزلي ؟!!

كانت سيلين لا تزال جالسة مكانها في السيارة الفارحة..أجابت بكل رصانة و  
هي ترتاح في مقعدها أكثر ؛

و هل عليّ أن أنزل ؟ أنت من يريد رؤيتها لا أنا..اذهبي و سأنتظرك هنا..

كادت سارة أن تفتح فمها محاولة حثها على مرافقتها مجددًا..لكنها بدلا عن  
ذلك هزّت رأسها بلا فائدة و هي تلتفت متوجهة نحو مدخل الفندق بسرعة..و  
لم تحتج لسؤال أحد فقد كانت تعلم مسبقًا رقم الغرفة من جاد !!

نعم..رغم أنها أخبرته أن لا داعي لذلك و أنها لن تحتاجها..لكنه أصر على  
أن يخبرها..ليس عن الغرفة فقط..بل عن كل شيء يخصه !

ما إن استقلت المصعد..شعرت بفورة من ندم غريبة تجتاحها مجددًا..  
فأغمضت عينيها و أخذت نفسًا عميقًا مرتجفًا محاولة بكل جهدها أن تقمع أيّ  
تردد جديد ينتابها ناحيته..

إلى أن توقف المصعد و خرجت منه بنفس التردد..تكاد أن تتراجع خطوة  
كلما تقدمت واحدة جديدة..إلى أن توقفت أمام باب غرفته..

رفعت يدها ببطءٍ و كأنها ستطرق الباب..لكنها عادت لتعلق قبضتها  
بانفعال...

هل هي حمقاء؟! ماذا تفعل هنا؟! هل...هل ستستسلم بهذه البساطة؟!!!  
هي..هي لن تستطيع حتمًا..ليس بهذه السرعة..بل ربما تستطيع!

وجدت نفسها تلتفت بسرعة تهم بالهروب..الهروب فقط!! لكنها تجمدت  
مكانها تمامًا و هي تسمع صوت تحريك المقبض من الداخل لينفتح الباب  
بعدها في لمح البصر..

اتسعت عيناها جزعًا و هي ترفع أنظارها ل فوق بما يشبه الرجاء..هل عاد  
هناك مجال للهرب؟! قطعًا لا!

التفتت إليه باندفاع تسيرها مشاعر هوجاء..فتأوهت بقوة و وجهها يصطدم  
بصدره القوي..تراجعت بسرعة نحو الورااء فبدت كفتاة خرقاء بأنفاسها  
المتسارعة و عينيها المتسعيتين..

قبل أن تتمالك نفسها فرفعت أبصارها إليه بارتباك..تشعر بالإحراج يلتهم  
وجنتيها لأول مرة في حياتها لهذا الحد..بينما بدا جاد متفاجئًا تمامًا و هو  
ينظر لها بعينين تبرقان..

ما الذي تفعلينه هنا؟!

قالها و هو ينظر لها باستغرابٍ لم يخفي بواذر سعادة خفية لامست عينيه و  
كأنه توقع سبب مجيئها قبل أن يسأل..فتحنحت سارة داخليًا لتجلي صوتها..

ثم همست تتلعثم في جميع الحروف ؛

أنا...كنت أريد أن أتكلم معك..أقصد أريد أن أخبرك شيئًا مهمًا لكن.....

توقفت فجأة..فرجع جاد أحد حاجبيه باهتمام و هو يحثها هامسًا ؛

\_ لكن ؟!!!!

لكن نفس الصمت لاقاه.. فأكمل بحذر و ذلك البريق بعينيه يتضاعف و  
يتضاعف ؛

\_ هل... هذا الموضوع يخصنا ؟ أقصد.. هل ستطلعيني على رأيك قبل أن  
أسافر ؟!

ابتلعت سارة ريقها ببطءٍ و عقلها يخبرها بأن هذه هي اللحظة.. لقد جاءت  
بقدميها إلى هنا و لا يمكنها أن تتراجع بمنتهى البساطة.. إنها مجازفة غير  
محسوبة لكنها ستخوضها.. لأجل قلبها ستفعل!

اومات له ببطءٍ شديد.. ثم همست تحاول رسم ابتسامة أمل جديد ؛

\_ أنا.. لقد فكرت ملياً و قرّرت بأنني... موافقة ! أنا..... أوافق عليك !!

---

## " الرmq الرابع ؛ روميو و جوليت "

\_ أنا... لقد فكرت مليًا و قررت بأنني... موافقة ،أنا أوافق عليك!

للحظة شعرت بأنه تجمد مكانه و لن يتحرك بعد الآن..إلا من عينيه اللتين  
انقلتا بين عينها بدهشة..أو صدمة..أو سعادة..أو بريق فوز برز عميقًا فيهما  
و جعلها هي من تنقل أنظارها بينهما بشيءٍ من الرهبة الرهينة بهذه اللحظة  
الحاسمة !

إنها... تسلم نفسها إليه !

لقد أسقطت كل الحواجز و بنست كل وعودها السابقة لنفسها و  
استسلمت..إنها تمنحه صكّ ملكية جديد كان قد طعن في مصداقيته هو بنفسه  
في الماضي !!

إنها تدرك ذلك..لكنها تؤمن أيضًا.. هو من جعلها تؤمن..بأن جمالية الشعور  
تستحق المجازفة !

حاولت أن ترسم ابتسامة جديدة تقنع نفسها هي بها بأن ما تراه في عينيه هو  
مجرد بريق سعادة طبيعي..لكن ابتسامتها ماتت قبل أن تكتمل و اتسعت  
عينها حينما شعرت به يقترب منها على حين غفلة ليحاوطها بين ذراعيه في  
عناق هادئ جدًا..

عكس خفقات قلبها التي أخذت تتضارب بقوة كبيرة.. جدًا !

لم تستطع أن تتحرك قيد أنملة..ظلت عينها مستقرتان أمامها بلا  
هدف..بحيرة يشوبها قلق..تشوبه سعادة غير مكتملة..مشاعر متضاربة  
جعلتها تفقد سلطتها على كل حواسها..غير قادرة لا على مبادلتها هذا العناق  
الذي شعرت بأنه حقيقي صادق..و لا دفعه !

لكنها تمكنت في النهاية من أن تطرف بعينيها راسمة نفس الإبتسامة الشاحبة قليلاً و هي تقابل وجهه..لكنها تفاجأت و هي تراه يلتفت فجأة عائداً إلى الغرفة..

ثم عاد بعد لحظة واحدة يحمل في يده علبة صغيرة فتحها ليخرج منها خاتماً ذهبياً رفعه بأنامله أمام عينيها المشوشتين به..

اتسعت ابتسامتها المرتجفة المندهشة بقدر ضئيل جداً..

و لم تستطع أن لا تستقبل برحابة تلك السعادة الخائنة التي غلفت مشاعرها عندما مدّ يده لها و كأنه يستأذنها في أن يلبسها إياه..بدون أن يأخذ إذنها فعلاً..

فقد امتدت يده قبل حتى أن تستطيع تشكيل إيماءة صغيرة تدل على موافقتها لتتمسك بيدها باحتواءٍ أثناء مهمة إدخال ذلك الخاتم بنصرها..

تاھت عيناها عليه و هي تترك يدها بين يديه لعدة لحظات.. لحظات سمحت له هو بقراءة تعابيرها..و قد استطاع أن يلح الكثير من الحب و العجز و الإنصهار..لمح ذلك بقلبه فقط..أما عقله فقد كان عالقاً في دوامة سحيقة تمنع عنه تمييز الحقيقة بوضوح!

ترك يدها أخيراً ليدخل كفه في جيب سترته و يخرج خاتماً رجالياً بسيط الشكل وضعه في راحة يدها ببطءٍ و كأنه يتعمد تعذيب خفقات قلبها بشر..و لم ترفض أبداً إشارة عينيه و هي تلتقط يده الممتدة نحوها لتدخل الخاتم في بنصره ناظرة له من بين غمامة دموع خفية..

نظراتها كانت تشبه الإستنجاد..هي كانت تستنجد قلبه حرفياً أن لا يقتل بذور الأمل قبل حتى أن تزدهر..فليكن عادلا في حق نفسه و حقها لمرّة واحدة في حياته..و أن لا يعيد نفسه هفوة الخذلان القديم..

كانت عيناها طوال الطريق ضائعتان..تنظر لذلك الخاتم بيدها بينما تتلاعب به بين أناملها بغير هدف..بينما سيلين التي تولت مهمة القيادة الآن تكتم الكثير من التساؤلات التي أجلتها حتى يصل إلى المنزل..

رافقتها بصبر حتى غرفتها..و لم تكذ تغلق الباب خلف سارة التي دخلت قبلها حتى كانت تلتفت إليها سائلة بحماس فاق حدود الحماس ؛

\_إِذَا؟!!

اتجهت سارة إلى السرير لتجلس في طرفه لا تزال عيناها ساهمتان في الفراغ..لكنها انتفضت فجأة ما إن سمعت صوت سيلين التي نادى اسمها بالحاح و هي تجلس بجانبها..

نظرت لها سارة عاقدة حاجبيها بتشوش يشوبه غضب لحظي.. فسألت سيلين غير قادرة على التحكم في انفعالاتها و فضولها الشديد ؛

\_أخبريني ماذا حدث بينكما؟!

انعقد حاجبا سارة بتشوش أكبر..ثم قالت بغباء ؛

\_ماذا حدث؟!!!

لكن حواسها تنشطت فجأة مع استيعابها لسؤال سيلين فقالت بذهول ؛

\_ما الذي عساه قد يحدث؟! هل أنتِ حمقاء؟!!!

زفرت سيلين أنفاسها بيأس..قبل أن تتدارك بنفاذ صبر ؛

\_أنا أقصد هل اعترفتِ له؟! ماذا قال؟!!!!!

حينها فقط كان حاجبا سارة يرتفعان قليلا بعد أن انفكت العقدة بينهما..و زفرت نفساً عميقاً قبل أن ترفع يدها بتردد أمام وجه سيلين التي انتقل غباءها تلقائياً إليها حينما وقعت عيناها على الخاتم اللامع في يد أختها..

فغرت شفيتها بانبهار تام..ثم قالت و بواذر ابتسامة تظهر في عينيها ؛

\_هل...هل تبادلتما الخواتم منذ الآن؟!!!

نظرت لها سارة بقنوط و هي تنزل يدها.. فهمست سيلين بترقب ؛

\_لا تبدين سعيدة !

تنهدت سارة بقوة و عيناها تشردان على ذلك الخاتم مجددًا.. قبل أن ترفع رأسها لتتنظر لسيلين الآن.. و قالت بهدوء ؛

\_الأمر ليس كذلك.. أنا سعيدة جدًا لكنني... لا أشعر بالإرتياح فحسب سيلين..

ثم صمتت للحظة و أكملت بقلق ؛

\_ألا تظنين بأنني تسرعت ؟!!!

زمت سيلين شفيتها قليلا بيأس و هي تقول ؛

\_رجاءً رجاءً توقفي عن تحليل الأمر من وجهة نظر دكتورة نفسية تحاول التأكد من أن مريضها المميز صاحب أكثر العقد تعقيدًا في العالم قد تعافى تمامًا و اهدئي.. هذه حياة.. و أنتِ هنا سارة فقط و هو جاد..

رفعت يدها لتربت بها على ذراعها و هي تضيف بحنان ؛

\_اهدئي !

ظلت سارة تنظر لها قليلا بصمت.. ثم لم تلبث أن ارتسمت ابتسامة حانية فوق وجهها.. قالت بعدها بنبرة امتنان و حب خالصة لسيلين ؛

\_تعالى إلى هنا !

اقتربت منها سيلين لتطوقها بذراعيها بشدة.. فأغمضت سارة عينيها و هي تهمس بصوتٍ خافتٍ في غاية الهدوء ؛

\_ربما أنتِ محقة فحسب !



كانت الفترة التي تلت عودته من سفره الذي طال لمدة فاقت الأسبوعين.. تشبه الجنة تمامًا.. حياتها التي كانت رتيبة أصبحت تضج بالحماس و الترقب و الحب.. كان حبًا حقيقيًا جعل عقلها يفتن تمامًا بتلك الجملة التي قالتها لسيلين ذلك اليوم..

ربما سيلين محقة بالفعل.. ربما يكون العالم بأكمله محق و هي الوحيدة المخطأة ها هنا.. ربما يكون هذا هو تدبير القدر المثالي بالفعل.. أن يكلل ذلك الحب القديم بعقد شرعي غير قابل للإنبثاق !!

ذلك العقد الذي وقعت عليه بمحض إرادتها.. وقعت و هي تبتمس ملأ قلبها رغم كل ما يشوبها من تردد.. ذلك العقد الذي كان بمثابة صكِّ حقيقي تصرح من خلاله بانتماءها له..

لقد أصبحت تنتمي له.. الآن هي تحولت من سارة فؤاد الغالي فقط إلى سارة زوجة جاد مراد رسميًا ! حتى و لو كان زفافهما سيمتد إلى ما بعد شهر واحد من عقد قرانهما..

كانت تجلس في غرفتها أمام انعكاسها بالمرآة.. تمسك بفرشاة الشعر التي أخذت تمررها بين خصلات شعرها بدون أن تشعر بحركتها تلك فعلاً..

لقد طلب منها جاد بكل صراحة أن تمدد إجازتها لأجله.. حتى يستطيع العودة سويًا إلى العاصمة ما إن يتم حفل زفافهما المنتظر , و هي... وافقت!

لقد وافقت بمنتهى البساطة و كأن أمر انصياعها لطلباته أيًا كانت أصبح شيئًا مفروغًا منه.. فهي ما إن تنظر لعينيهِ.. و تلمح ابتسامته التي تذيب قلبها حرفيًا... تنصاع!

في الأمس كان عقد قرانهما.. مرّ في جو عائلي هادئ جدًا.. و ما إن انتهت كل المراسم المتفق عليها حتى وجدت عقلها يستقبل فكرة بدت غريبة جدًا.. أنها أصبحت زوجته!

فكرة ما لبثت تتأرجح هناك إلى أن توقفت أمامه قبيل الغروب.. هي و هو فقط أمام الباب بينما هو يستعد للذهاب.. لكنه لم ينسى أن يطوق وجهها بين يديه برفق شديد.. ثم يطبع قبلة بالغة المعاني فوق جبينها..

قبلة كانت تشبه وعدًا دافئًا قدمه قلبه لقلبها بمساندتها و حمايتها حتى النهاية.. حتى و لو كان سيحميها من نفسه هو سيحميها فقط !!

هكذا شعرت تمامًا بينما تسدل جفونها بسلام إزاء قبلته النبيلة.. تستشعر بدون أن تحتاج للمس خفقات قلبه المتضاربة في مقابل خفقاتها..

و ليته يفعل بالفعل.. ليته يحميها من نفسه !

أحيانًا تجد عقلها يغرق في تساؤلات خبيثة.. ما الذي عساه قد يفعله الآن؟! كيف سيكون انتقامه يا ترى و بأيّ طريقة قد ينفذه لو كان هذا ما عاد لأجله و يهفو إلى تحقيقه بالفعل !

لقد تم عقد قرانهما..

ما الذي يستطيع الرجل أن يفعله ليؤذي زوجته ؟

و النتيجة مجرد فراغ.. هو لم يعد يمتلك حيلة في أذيتها.. أو ربما هي فقط من تظن ذلك !

هي.. هي تثق به رغم كل شيء.. تثق بأنه مهما تمادى في كرهه و خداعه لن يستطيع أن يؤذيها فعليًا.. فهو يحبها قبل كل شيء! أو ربما يستطيع؟!!!

بل السؤال الأهم هنا هو.. هل هي تستطيع أن تتحمل !!

ألا يمكن أن تكون مخطئة في ثقتها بصمودها و قوتها !! هي تثق بأنها قوية بالقدر الكافي الذي يجعلها قادرة على إكمال حياتها بشكل طبيعي حتى بعده.. كما فعلت من قبل !!

ألم تكن تحبه حينها !!

نعم.. كانت تفعل.. و فقدته.. لكن ذلك لم يكسر ما بقدر ما جعلها أقوى.. أقوى و أقوى لتدوس على كل الماضي الكئيب و تلحق بأحلامها..

ماذا لو خارت قواها بينما تحاول التشبث بتلابيب الصدق الذي لمحتة في عينيه مختلطاً ب...لمعة انتصار !

بل ماذا لو كان صادقاً بالفعل ! هو صادق بالفعل !!

هو لم ينتظر سماع تلك الكلمة السحرية منها حتى.. لقد كان يبدو أكثر من سعيد ليلة أمس.. كانت اللفتة تملأ عينيه بينما يوقع على عقد القران بتأني..

و كانت كل نظرة منه هي حياة بالنسبة لها.. عيناه كقبلته تحملان آلاف الوعود التي تبدو صادقة تماماً.. و ابتسامته ترتجف بين كل لحظة و أخرى بفرحة حقيقية..

هو حتى لم يبارحها للحظة بعدها و كأن العالم كله أصبح متجسداً بها.. فهل يمكن أن يكون كل ذلك كذباً؟!!

" جاد !!!! "

همست بها بصوتٍ لاهث و عينها تتجمدان على انعكاسه الساحر الذي تجسد ورائها فجأة.. و كأنما فرَّ هارباً من أفكارها ليتجسد لها على شكل صورة حية مشبعة ب..وميض الحُب !

فجأة وجدت كل تلك الأفكار تتلاشى من عقلها تلقائياً.. بينما ارتجف قلبها عدة ارتجافات و هي تسمع صوت خطواته البطيئة جداً يتسلل إلى أذنيها..

كان يقترب و يقترب.. ببطء.. و كأن ما بينهما جبال و محيطات لا مجرد عدة خطواتٍ يستطيع اختصارها في لحظة واحدة..

إلى أن توقف ورائها تماماً ينظر في عينها التائهتين بابتسامته الجانبية الساحرة.. امتدت يده ببطءٍ لترتاح فوق كنفها مربتة بلطف.. بينما مال هو

على أذنها في نفس اللحظة ليهمس في جوفهما بصوتٍ خافتٍ جدًا.. ذو مغزى عميق جدًا ؛

\_ يبدو الأمر و كأنك ظللتِ تفكرين بي طوال الليل !!

طوال الليل فقط !!!

هي لن تبالي لو اعترفت بأن كل أفكارها أصبحت تتمحور حوله فقط.. حتى في تلك اللحظات التي تتناساه فيها بصعوبة ينتهي بها الحال بمقابلته مباشرة !

ازدردت ريقها بصعوبة.. بدون أن تشعر بأناملها التي أخذت ترتخي حول الفرشاة إلى أن تركتها تنساب من بينها لتقع أرضًا بمنتهى السهولة..

و عجزت تمامًا عن تشكيل حرفٍ واحد بعد اسمه و هي تراه ينحني قليلا ليلتقط فرشاة الشعر و يعيد أنظاره إليها.. حينها فقط كانت تتمالكُ نفسها قليلا فقط فرفعت يدها المرتجفة تنتظره أن يضع الفرشاة فيها.. لكنه لم يضعها..

احتلت عيناه نظرة غريبة و هو ينظر لشعرها البني المنسدل بتموجاتٍ خفيفة ساحرة.. قبل أن تمتد أنامله لتتخذ وظيفة المشط متخللة خصلاتها بهدوء..

شعور غريب من رغبة في الاغماء انتابها.. حتى أن جفونها تناقلت قليلا و كأنها على وشك الاغماء فعلا.. إلا أنها استطاعت بطريقة ما أن تهمس في النهاية بغير تركيز تام ؛

\_ ك.. كيف دخلت إلى هنا؟! !!

كان صوتها متلعثمًا مبوحًا قليلا.. يوضح مدى هذا الضياع الذي يلفها بقربه.. و قد اختار جاد أن يفاقم من وضعها أكثر بدلا من تخفيفه..

فاتسعت ابتسامته التي تعشقها.. بينما امتدت يده الإثنتان لتقبضان على حاجزي الكرسي الذي تجلس عليه و قد أصبحت محاطة بأنفاسه تمامًا بينما يهمس لانعكاسها بكل هدوء ؛

\_ أنا لست جاد الذي يتسلل خلسة من الشرفة ليرى حبيبته.. أنا جاد الذي يقف أمام الباب ليطلب الإذن و يقابل حبيبته في العلن و بكل فخر !

\_ حبيبته؟!!

همست بها بنفس الضياع و كأنها تكلم نفسها فقط.. فأردف جاد يجيبها بهيام ؛

\_ حبيبتي.. صديقتي.. زوجتي.. تسقط قيمة الأسامي أمام لهفة المشاعر !

أغمضت سارة عينيها بشدة عن ملامحه و نبرة صوته التي أثارت القشعريرة في كل أوردتها.. و قد كانت كل مشاعرها و أفكارها مفضوحة لعينيها..

أحيانًا لا يصدق بالفعل بأنه استطاع أن يصل إليها بمثل هذه السهولة !  
نعم.. هذه السهولة !

لقد كانت أقصى توقعاته بعد عودته أن ينال الرفض القاطع الذي لن يجد فرصة لنيل الصفح بعده منها.. كان مستعدًا لأن يبذل كل جهوده معها.. و لم يتوقع أبدًا بأنه قد يكون يمتلك كل هذا التأثير عليها..

بل بالأحرى.. منذ متى يمتلك كل هذا التأثير عليها؟!!

بحيث تتناقل أنفاسها.. و تتداعى وتيرة خفقات قلبها.. و ترتعش رموشها ككل أطرافها كلما اقترب إنشًا واحدًا منها.. الغريب بالفعل أن تلك المشاعر نفسها كانت لديه !!

تنهد بقوة و هو يطرد كل تلك الأفكار -المزعجة- من عقله.. قبل أن يستقيم فجأة محررًا إياها من سطوته العاطفية السادية.. عدة خطوات تراجعها بعيدًا فانعقد حاجبا سارة بعدم فهم و هي تراه يتجاوز الباب الخشبي بتصميمه المحترف لغرفتها..

لكنه عاد بعد لحظة واحدة و في يده.....

\_ روميوا بدون جولبيت هو نكرة.. كجاد تمامًا عندما لا تكون معه سارة !!

قالها بحماسٍ حقيقي و هو يرفع أنامله بذلك القفص الذهبي الذي كانت  
بداخله.....عصفورة !!

و كم تهوى هي العصافير !!

لهذا وجدت نفسها تندفع إليه بسرعة ناظرة للعصفورة بلهفة تشبه لهفة  
نظراتها لروميوا.. اقترب جاد من نافذة الشرفة الواسعة حيث كانت تعلق  
القفص الخاص بعصفورها بداخل الغرفة اليوم.. و فعل ما توقعته تمامًا..فتح  
كلا القفصين لينقل العصفورة إلى نفس القفص مع روميوا..

ثم أغلقه بالمفتاح الذي كان أساسًا مندرسًا في القفل..و دسّه في حركة ربما لم  
تلمحها لشدة انبهارها في جيب بنطاله الرسمي..

و كأنما يدسُّ مفتاح قلبها الذي كان و لا يزال و سيبقى ما حيا..ملغًا له !!  
التفت بعدها لينظر لملامحها المبتسمة بسعادة خالصة في تلك اللحظة..كانت  
نظراتها الآن منصبة على العصفورين..لكنها التفتت إليه فجأة سائلة بترقب ؛

\_ اسمها جولبيت ؟!!

فارتفعت يده برفق إلى أن أحاط وجنتها الناعمة براحته مبتسمًا بحنان ؛

\_ إذا كان يناسبك..و إلا فلنغير اسمها إلى " سارة " !

صمت قليلا ثم أكمل بنبرة مميزة ؛

\_ لكن حينها سنضطر لتغيير اسم العصفور أيضًا إلى جاد..لكي تكتمل  
الصورة كما تخيلتها دائمًا..سارة حبيبة جاد..سارة لجاد فقط و لن تكون  
لغيره..أبدًا !!

انعقد حاجباه قليلاً و هو يرى ابتسامتها تتلاشى تدريجيًا..و قد شعر بحماسها  
يتداعى فجأة كمن استيقظ على واقع مرير..حينما همست بخفوت ؛

\_ لا..روميوا و جولبيت.....أفضل!

رغم نظرة القلق التي احتلت عينيه إلا أنه استطاع أن يرد بمنتهى  
السهولة.. بكامل الهدوء !

\_ كما تريدن.....حبييتي !

يا الله.. يبدو بأن جاد لم يكتفي بأن سرق قلبها.. بل إنه يطمح لسرقة عقلها  
أيضًا.. تلك الكلمة على بساطتها و هدوءها كانت تزيد من تهيج من  
مشاعرها.. تكاد أن تقتل البعض من صمودها المتبقي بعد أن تلاشى معظمه..  
إنها.. إنها تشعر به و هو يقولها.....

\_ حبييتي !!

مجددًا !!!

نظرت له سارة بصمتٍ بدون أن تجيبه بأيّ كلمة.. فسأل هو ينقل عينيه بين  
عينها بنبرة متوجسة غريبة ؛

\_ أنا أستطيع أن أناديك بحبييتي.. أليس كذلك ؟!

شحبت عيناها بعض الشيء أمام أنظاره بدون رد.. فأكمل بعد صمتٍ بنفس  
النبرة ؛

\_ أم أنك.....

صمت فجأة متعمدًا تاركًا نفسَ التعابير تحتل عينيه.. بينما لم تستطع سارة أن  
لا تهمس عن اقتناع تام.. بصوتها الذي تهدج لا تدري أبفعل سعادتها أو  
خوفها..

قالت ببطءٍ شديد أمام عينيه ؛

\_ حبييتك يا جاد.. حبييتك و لن أكون لغيرك.. أنتَ تستطيع أن تنادينني بتلك  
الكلمة متى شئت بالطبع!

كانت لحظة غريبة.. بدا فيها الإثنان و كأنما تناسيا كل العالم فلم يبق  
سواهما.. هي.. و هو.. و تلك النظرات البالغة المعاني التي تبادلها.. بينما  
تبدلت لمسة يده البريئة إلى أخرى أكثر جرئة..

حينما تحركت على وجهها تلامس ملامحها الشبه حزينة.. حاجباها  
الرفيعان.. عيناها الفائضتان بشتى المشاعر.. أنفها.. فكها المتشنج.. شفتاها  
حيث تسمرت أنظاره للحظات.....

قبل أن يعود إبهامه ليرتاح فوق خدها يرسم أشكالا عشوائية هناك..

لمساته الحنونة تلك ألهمت مفاصلها حدّ الوهن.. فأغمضت عينيها تاركة لقلبها  
الخافق مهمة استشعار كل تلك الأحاسيس الجديدة التي لم تجربها قبلاً..

بينما كان جاد يدقّ النظر بكل تفاصيلها.. يطالعها كشخصٍ على شفا حفرة  
من الموت.. كشخصٍ فقد كل حيلته أمام قلبه فقرّر أن يتجاهل أوامره ليلحق  
عقله فقط..

لكنه اليوم فقط.. هو مضطر لأن ينصاع لكلاهما في نفس الوقت.. بما أنهما  
عزما على اتخاذ نفس الخطوة!

و اقترب منها.. اقترب منها ببطءٍ شديد تقوده مشاعر هوجاء مغلقة برغبة  
خفية لم يطلع أيّ أحدٍ عليها من قبل.. إلى أن ارتاحت شفاهه أولاً فوق  
وجنتها..

بينما أطبقت أنامله على كتفيها تضمها باحتواء.. كان يتذوق رحيقها  
ببطءٍ.. يقترب أكثر و أكثر.. يتمادى أكثر و أكثر.. يخترق حصونها المنيعه و  
يهدم كل حواجزها بمهارة..

إلى أن أتاه صوتها من بين برائثين و عيها الغائب.. تهمس باعتراضٍ ضعيف  
بينما تستقر أناملها فوق صدره ؛

\_\_جاد... جاد هذا لا يصح ،نحن لم.....



نحن نحب بعضنا !

قاطعها بتلك الجملة الخافتة دون أن ينظر لها.. فقد كان غارقاً في نعيمه  
الخاص المتمثل في نبض عنقها حيث ارتاحت شفاهه لأول مرة في الحياة  
بهذا القرب..

عادت تهمس بصوتٍ ثقيلٍ.. ثقيل جداً و قد ماتت مبادئها تحت وطأة عاطفة  
كاسحة دمرت صمودها ؛

لكن.....

لكن صوته الهامس المتباعد عاد ليتسلل إلى أذنيها مقاطعاً بدفء.. غالباً نفس  
الدفء الذي التفت ذراعاه به من حول خصرها بهدف واحد.. أن يقربها أكثر  
منه !!

ششش.. أنتِ زوجتي !

و فقط.. كانت تلك الهمسة المرفقة بلحن شفتيه على بشرتها آخر ما التقطته  
مسامعها و عقلها.. ثم سرعان ما وجدت نفسها بعدها تغرق في بحرٍ لا قرار  
له..

بحر تخلت فيه قسراً عن مبادئها و قناعاتها الراسخة منذ الأزل.. بحر كانت  
أمواجه هي عيناه.. و رماله تشكلت في صدره.. بينما أنفاسه كانت كسماء  
دافئة في يوم مشمس قبيل الغروب !

## " الرمق الخامس ؛ تصفية حسابات "

" بعد شهر كامل... "

النقطت أناملها باقة الورد الحمراء التي ستحملها العروس معها.. كانت تقف أمام المرأة الفارحة ككل شيءٍ بهذه الغرفة التابعة للقاعة الكبيرة حيث سيتم حفل الزفاف.. تتأمل انعكاسها الجميل كذلك اليوم تمامًا..

اليوم الذي تغير فيه كل شيء بينها و بين جاد..

على الأقل بالنسبة إليها !

لكن الفرق أن نظرتها ذلك اليوم كانت تختلف تمامًا عن نظرتها هذا اليوم.. كانت نظرتها ذلك اليوم نظرة فتاة قلقة مع بعض السعادة و الارتياح.. الارتياح لفكرة أنها لا تزال تقف في بر الأمان..

لكنها اليوم.. تخطت كل حدود الأمان.. فقد فاق ذبولها حماسها.. و بدت قلقة أكثر من كونها سعيدة.. تشعر بالارتياح.. و انعدام الارتياح في نفس الآن !

اندفع الباب من خلفها فانتفضت عيناها داخليًا بدون أن تصدر عن جسمها أي حركة.. ثم التفتت لتتظر لسيلين التي جالت بعينيها عليها بابتسامة جميلة..

من الفستان الأبيض الناعم الذي كان ينساب على قوامها بسحر قادر على أن يسبب أكثر القلوب قسوة و صمودًا.. إلى شعرها المرفوع في تسريحة فاتنة تبدأ بظفيرتين على الجانبين و تنتهي بكعكة جميلة على مؤخرة رأسها..

قبل أن تهمس بخفوت ؛

\_\_تبددين جميلة جدًا.. دعينا ننزل !

نزلت درجات السلم و سيلين ترافقها بخطوات بطيئة.. كانت عيناها تتجولان بين الحضور الضخم بحثًا عن وجه واحد.. هي تريد أن تراه.. تحتاج أن تراه الآن و حالاً..

تحتاج لأن تقابل عينيه مجددًا و تفضي إليه بكل مخاوفها.. ليقابلها هو بنفس ابتسامته الأسرة التي ستطرد عنها كل المشاعر السلبية المخلفة من الماضي الكئيب..

لم يكن قلقها رهينًا بالماضي فقط.. بل بتلك الليلة.. تلك الليلة التي كانت بالنسبة له أجمل ليلة قضاها بين كل ليالي العمر.. تلك الليلة التي كانت توثيقًا رسميًا و تأكيدًا لحبها و ثققتها به كما وصف هو..

و بالنسبة لها هي.. مجرد "هفوة" كبيرة ربما لن تسامح نفسها عليها أبدًا.. رغم أنه حاول كثيرًا تصحيح فكرتها بكلماته الحانية في ذلك اليوم و حتى بعده.. فقبل كل شيء.. و بعد كل شيء هو يعتبر زوجها على سنة الله و رسوله..

فقط تبقى الزفاف كإشهار لزواجهما لا أكثر..

لكن كل تلك الأعذار لم تكفي.. و الحقيقة أنها كرهت ذلك الضعف الذي منعها من إيقاف كل ذلك قبل أن يحدث.. كما كرهت نفسها للحظة من الزمن.. و تمننت لو تعيد الوقت فتدفعه عنها بقوة مذكرة نفسها بأنها سارة فؤاد الغالي..

سارة صاحبة الكبرياء و القوة التي لا ترضخ و لا تستسلم.. سارة فؤاد الغالي صاحبة المبادئ التي يستحيل أن تسمح لأي أحد بتجاوزها.. و قد كان الأمر أمر مبدأ قبل كل شيء.. لكنها سمحت له بتجاوزه بمنتهى البساطة !

\_ أنتِ بخير ؟!

كان هذا صوت سيلين الحبيبة التي كانت تقف بجانبها فوق منصة الزفاف الخاصة بالعروسين.. و قد هالها الشحوب الذي ارتسم فوق ملامح سارة بشكل غريب..

الحقيقة أنه لم يكن شحوبًا لحظيًا..فهي تشعر بهذا الغثيان و التعب منذ فترة  
ليست بالطويلة..

قابلتها سارة بابتسامة بدت هادئة جدًا و هي تقول ؛

\_أنا...بألف خير..لا تقلقي !

ثم تنهدت و هي تتجول بأنظارها حول المكان بقلق ؛

\_لقد تأخر !

فهمت سيلين فحوى جملتها فورًا فقالت تهز رأسها قليلاً مطمئنة ؛

\_لا بدّ أنه على وشك الوصول..اهدئي أنتِ فقط..

اومأت سارة بغير اقتناع تام تاركة عينيها تتجولان بنفس القلق الخفي في كل  
مكان..لم يكن تأخره هو ما يخيفها..بل ذلك الإنقباض الغريب الذي استوطن  
صدرها اليوم..و كأنها مقبلة على كارثة جديدة !

اقترب منها بعض الضيوف بغرض تقديم التحية و التهنئة و حينها فقط كانت  
تتخلى عن قلقها قليلا لترسم ابتسامة هادئة لطيفة قابلتهم بها..

لكنها و بين اللحظة و الأخرى..كانت تعود و ترمق الباب المفتوح على  
مصراعيه..و مع مرور الثواني و الدقائق التي بدت لها كالسنوات ثقيلة..ثقيلة  
جدًا..بدأ القلق يتحول إلى خوفٍ حقيقي لم تنفك وتيرته عن الإرتفاع في  
قلبها..

و كلما كادت تسقط ضحية اليأس وجدت كلماته الحانية تسحبها نحو دائرة  
الأمان مجددًا و مجددًا..بينما بدا قلبها عازمًا على الدفاع عنه باستماتة و  
ابتكار كل الأعذار الموجودة في العالم و التي قد تكون أخرته..إلا عذر تخليه  
عنها !

دقيقة..دقيقتان..نصف ساعة..ساعة..ساعتان..لم يأتي أيُّ أحد.....جاد لم  
يأتي !!!

و هنا كان عقلها يقرع ناقوس الخطر..خاصة و هي تقابل عيني والدها  
القلقتين و المتساءلتين..لكن حتى قلقه لم يكن ليمنعه عن الاهتمام بالضيوف  
متظاهراً بأن كل شيء على ما يرام.. محاولاً بكل الطرق صنع أعذار مقبولة  
بيّرر بها تأخيره لهم..

زاغت عيناها قليلاً و هي تنتظر لنفسِ الباب بآخر أمل تولد في قلبها..هاتفه  
من كل أعماقها بداخلها..بحزم شديد..

جاد واقع في ورطة..لا بد أنه كذلك..جاد لن يخدعها..لا يمكن أن يفعل بها  
ذلك..

هو لن يفعل بها ذلك !!!!

لكن كل محاولاتها للهروب من مخاوفها بيّست تماماً ما إن وصلت...ورقة!  
كانت بمثابة الإعدام لها !!

من طفل صغير يزعم أنه من طرف جاد..طفل تخطى كل الحضور إلى أن  
وقف أمامها تماماً و..و ارتفعت يده الصغيرة نحوها بالظرف الملعون..و لم  
تكد تستلمه منه بأنامل ترتعش حتى كان يغادر بعدها راكضاً بلمح البصر و  
كانه لم يأتي !!

ازدردت ريقها بصعوبة و عيناها تتعلقان بذلك الظرف المغلق بين يديها..و  
أنظار الجميع تتعلق بها هي..و عقلها يعود ليذكرها بماضٍ بعيد..و كلماتٍ  
تمنت كثيراً لو أنها تنمحي من ذاكرتها للأبد!

لكنها أبت إلا أن تتردد في عقلها في هذه اللحظة التي تشعر بنفسها على حافة  
السقوط..

أغمضت عينيها لوهلة..أخذت نفساً عميقاً لم يكن كافياً للتخفيف من تلك  
الغصة المختنقة التي تستوطن حنجرتها.. قبل أن تشرع أناملها المرتجفة  
بشدة في فتح ذلك الظرف و إخراج تلك الورقة التي رفعتها إلى مستوى  
بصرها تشرع في قراءتها بتردد..

" حبيبتي سارة...!

لا ، لن أقول حبيبتي.. سارة فقط.. سارة فؤاد الغالي.. أو لعلي أقول.. الغالية ابنة الغالي !

أعلم بما تفكرين الآن.. هل يستطيع جاد فعلها؟! هل يطاوعه قلبه على فعلها بي؟!

و الجواب هو نعم ! لقد فعلتها...

لكن هل تعلمين ماذا اكتشفت؟!

بأن سارة فؤاد الغالي بكل فخامة قدرها و كبرياءها ليست إلا فتاة ضعيفة هشة جدًا... و ساذجة !!

للحقيقة لقد أتعبني كبرياءك المزعوم.. لكن لا يهم.. النتيجة أهم !

جاد مراد أوفى بوعده لك كما العادة..

الآن ارفعي رأسك و انظري للناس من حولك.. طبقتك الأرسنقراطية

المنمقة.. ماذا تجدين؟! لا بدّ أن الجميع يراقبك الآن بتوجس و

ترقب.. انظري جيدًا.. ألا ينظر لك أحدهم ب.....شفقة !!

بالطبع.. ماذا عساهم يفعلون غير ذلك !!

هل ترين نظراتهم جيدًا؟ مثلها كان يمنحني الجميع في الماضي.. لكنني لم

أكن أهتم سوى بنظرتك أنت..

لقد كنت تشفقين عليّ مثلهم.. أليس كذلك؟!

لحظة.. أنا لما أسألك؟! !!!

على العموم.. لقد انتهت مهمتي بنجاح تام كما خطّطت.. و تحرّرت سارة فؤاد

الغالي من وهم جاد إلى الأبد..

أم أقول.....

تحرّرت من وهم كبرياءها و ذكاءها المزعوم !!

ما حدث في الفترة السابقة بيننا..كله..لم يكن سوى - تصفية حسابات - !

لقد اكتمل انتقامي..و انتهى !

وداعًا للأبد...حبيبيتي !!! "

هل جربتم من قبل شعور الخذلان؟! شعور الخيانة؟! أن تضعوا كل أملكم

في شخصٍ واحد..ثم يأتي نفس الشخص بوثيقة الإعدام لكم !

هل كانت تشعر بالتعب قبل قليل؟! الآن هي تشعر بأنها قد فقدت القدرة على

الرؤية..و على السمع..و على الكلام..بل على كل شيء !

أنفاسها بدأت تغادر شفثيها ببطءٍ شديد..بصعوبة شديدة..أصابعها ترتجف

بشدة حول الورقة..و رموشها ترتعش فوق تلك السطور بغير

تصديق..الحقيقة أن لا كلمات في هذا العالم بدت كفيّلة بوصف حالتها في تلك

اللحظة..

صمت قاتم..مظلم..فراغ...فقط!

هذا كل ما كانت تشعر به..في لحظة واحدة اختفى العالم كله من حولها و لم

تعد ترى سوى ابتسامته الساخرة..و وعده الصريح ذاك!

" سأعود..عندما أصبح أقوى منك لأنتزع منك كل ما تملك..و أولهم ابنتك

الحبيبة ! "

و لقد انتزعها..لقد انتزعها من نفسها..لقد انتزعها بطريقة لو أمضت كل

حياتها تبحث عن نفسها لما نجحت بعد !!

رباه..هذا ما كانت تخشى منه..و قد حدث..جاد خدعها..جاد سرق شرفها و

كبرياءها و كرامتها...و قلبها.....و رحل !!

لقد رحل..هكذا ببساطة !!!

شعرت بأن الأرض بدأت تميد بها.. الجدران تطبق على قلبها لتمنعها من التنفس بشكل سوي.. كل الوجوه من حولها أصبحت ضبابية فجأة.. بينما وعيها المنشود ينسحب منها تدريجياً محفزاً كل حواسها على الإستسلام فقط..

و قد كانت ستستسلم.. لولا القليل من صمود دفعها لأن ترفع ذقنها بإبائه تحسد عليه.. تنقل عينيها بين الحضور الذين يراقبون كل حركة منها بفضولٍ مميت..

و كأنما الجميع تواطئ مع جاد و ها هم يترقبون لحظة سقوطها بعد أن ذاع الخبر السخيف !

صاعقة موتها انتشرت كالنار في الهشيم !

و هنا تذكرت سؤاله.. هل ينظر لك أحدهم بـ.. شفقة ! بالطبع.. ماذا عساهم يفعلون غير ذلك !

هل ينتظرون سقوطها بالفعل !؟

حسناً.. سينتظرون طويلاً.. لأنها..... لن تسقط أبداً !!

كلماته بدلا من أن تسحبها نحو الأرض.. سحبتها نحو السماء.. سارة فؤاد الغالي لم و لن تتخلى عن -كبريائها المزعوم-..

لذا رفعت ذقنها أمام الجميع بنظرة أخذت من الجليد كل جموده.. رغم أن عينيها كانتا كالغيوم المنذرة بتساقط كثيف..

انغلقت يدها بقوة حول تلك الرسالة لوهلة.. قبل أن تأخذ نفساً طويلاً داخلياً.. و تتحرك يدها بتلك الورقة ببطءٍ شاردة في تمزيقها إلى أشلاء صغيرة بحركاتٍ آلية مقتضبة لا تمت للعصبية أو الإنهيار بصلة !



غير عابئة بنظراتِ الناس..و لا بصوتِ سيلين التي عجزت عن كتم شهقة مرتفعة فرت من بين شفثيها بعد أن قرأت معها كل ما كانت تحتويه تلك الورقة..

لكنها و قبل أن تستوعب حتى..بل قبل أن تسمح سارة لأيِّ أحد هنا بالإستيعاب كانت تنزل الدرجات الثلاثة ثم تتقدم عدة خطواتٍ بدت واثقة في منتهى الجمود..

سارت في البساط الأحمر الذي ينتصف القاعة متجاوزة الحضور الراقى كشخصٍ لا ينتمي لهذا المكان..ك..كمجرد ضيفة لم يرق لها ما رأته فقررت الإنسحاب ببساطة..لا كعروس تركها عريسها في يوم زفافها !

و غادرت متجاهلة نداء أختها و والدها الذي انتقلت أنظاره بمجرد اختفاءها عن مجال نظره باستنكار لسيلين..لكن هذه الأخيرة كانت مثله..لا تملكُ أيَّ جواب..سوى من حركة شبه مرئية تمثلت في ايماءة عاجزة من رأسها..

و طبقة الدموع التي تشكلت في عينيها و كادت أن تغشي عنها الرؤية..و التي تلقاها والدها كجواب..أمثل جواب !

---

لكن أحدًا منهم لم يكن ليتوقع بأن تلك القوة..و الشموخ الذي خرجت به سارة فؤاد الغالي ما هو إلا قناع متقن اعتادت تغليف ضعفها به دائمًا أمام الجميع ! لكنه سقط مع أول بادرة حب تقدمها هو نحوها !

فما إن خطت خطوة واحدة نحو الخارج..حتى كانت تتحول الخطوات السريعة الواثقة إلى أخرى مندفعة متخاذلة بعد أن لم يعد هناك أحد حولها ليراه..

كانت تمشي في ذلك الممر الطويل المؤدي لسيارتها بخطوات سريعة غير ثابتة..تكاد أنفاسها التي تلاحقت بشدة أن تخنقها.. تشعر بأن كل العالم من حولها أصبح يضيق..و يضيق بها حتى لم يعد قادرًا على احتوائها بعد..

إلى أن وصلت لسيارتها..فتحت الباب بأنامل ترتجف أكثر من ارتجافة  
دموعها المكتومة حتى الآن..ثم لم تلبث أن اتخذت مكانها لتدير المحرك  
باندفاع و تنطلق بعيدًا..بعيدًا..بعيدًا عن هذا المكان المنفر !

قادت بلا وجهة..بلا هدف..بلا حياة..لساعاتٍ طالت جدًا كانت فيها كمن  
يبحث عن منفى بعيد يحتوي حزنه..دموعه..لكنها أخيرًا عجزت عن التحكم  
بنفسها و التمسك بقناع القوة القاهر فتوقفت مصدرة صريرًا مرتفعًا في  
جانب الطريق..

ظلت عيناها متجمدتان أمامها لمجرد ثوان كانت فيها يدها تشتد و تشتد حول  
المقود..و حاولت بكل ما تملكه من قوة و جهد أن تمنع دموعها التي تتوسلها  
التحرر منذ ساعات..

لكن ما حدث أن شهقة مرتجفة هربت من بين شفثيها المُطبقتين بشدة..شهقة  
كانت بمثابة أول ردة فعل حقيقية تصدر منها..و سرعان ما تحولت إلى  
شهقات..سرعان ما فاضت عيناها بالدموع كنهر لا يملك أمر مجراه..

كان جسدها يرتعش بشدة و كأن كل خلية بداخلها تنشطت فجأة رافضة تقبل  
فكرة خذلانه لها..مجددًا..

مجددًا يا جاد !!!!

أو لم تكفيك كل السنوات التي ضاعت هباءً في انتظارك؟! أو لم يكن ألم  
الفراق مؤذيًا بالقدر الكافي في المرة الأولى حتى تختار اختباره مجددًا !!  
أو لم تكفيك كل الدموع التي نزلتها عيناها قهراً بسببك؟! و كل العشق الذي  
فضلتك به عن كل العالم.....أو لم يكفي !

اقتربت من المقود لتستند بجبينها المرهق عليه سامحة لعبراتها بالإنسياب  
أكثر و أكثر..و بكت..بكت بألم كما لم تبكي من قبل أبدًا..

لم تكن تعلم وجهتها و لا هذا المكان الذي توقفت به..لكنها حمدت الله و هي  
تدرك بأن لا أحد هنا لسمع صوت بكاءها أو ليرى ضعفها المخزي..

لا أحد ليواسيها أيضًا.. رغم أنها لا تريد مواساة باهتة لن تبعد عنها مرارة ما  
تشعر به.. و قد كانت تشعر.. بالموت فقط ! فهل يمتلك أيُّ أحد سلطة إنقاذها  
من الموت !!؟

و من بين كل ذلك الإنهيار الذي يجتاحها.. تسلت كلماته بسحر خبيث لتردي  
قلبا قتل الحسرة و الألم للمرة الألف..

" عدت لأجلك.. و أنت تعلمين لماذا لأجلك ! "

" تزعمين أنك تعرفيني جيدًا.. لكنك لا تعرفين شيئًا.. جاد الذي عانى و تعذب  
لن يعود لينتقم بعد أن من عليه الله و وصل إلى ما وصلت إليه.. غضبي كان  
سببه فقري و وحدتي و.. و حبك ! "

" أنا أحبك.. أحبك سارة !! "

" أنا آسف حبيبتي.. آسف على كل ما مضى.. لقد كنت مجنونًا أعلم.. لكن حتى  
المجانين يمتلكون قلبًا.. و أنتِ دكتورة نفسية و ستفهميني.. ما عشته في  
طفولتي و ما عانيته من ألم جعلني أصبح على ما كنت عليه.. لكنني الآن  
تغيرت.. أنا لست جاد المهووس المجنون الذي يحبك بالغضب.. الآن أنا أميز  
بين الصواب و الخطأ.. فقط ينقصني أنتِ ! "

" روميوا بدون جولبيت هو نكرة.. كجاد تمامًا عندما لا تكون معه سارة !! "

" لكن حينها سنضطر لتغيير اسم العصفور أيضًا إلى جاد.. لكي تكتمل  
الصورة كما تخيلتها دائمًا.. سارة حبيبة جاد.. سارة لجاد فقط و لن تكون  
لغيره.. أبدًا !! "

" حسنًا.. سأرحل.. لكنني أعدك بأنني سأعود.. سأعود عندما أصبح أقوى  
منك.. لأنتزع منك كل ما تملكه.. و أولهم ابنتك الحبيبة "

سأعود !! و عاد بالفعل !

عاد بعد أن أصبح أقوى من ذي قبل.. عاد لينتزعها من نفسها و قد نجح.. عاد  
ليفي بوعوده القديمة.. و تناسى تمامًا أن يفي بوعوده اللاحقة لها !

ظلت الكلمات تتردد في عقلها في وتيرة مزعجة لا متناهية.. تتكرر  
مرارًا.. تختلط و يختلط معها صوته.. و ابتسامته الساخرة.. فهي فقدت ميزة  
استمداد القوة من ابتسامته -الأسرة- !

و حينما شعرت بأنها لن تحتل أكثر.. رفعت يديها لتغطي أذنيها هاتفة  
بصوتٍ لم يعلو عن الهمس بقهر و توسل ؛

\_توقف.. توقف أرجوك.. توقف...توقف.....

تخاذل صوتها في آخر كلمة حتى تلاشى تمامًا.. و تلاشت معه كل ذرة  
صمود تمتلكها.. فتراجعت ببطء.. بتعب شديد أحكم طوقه على جسدها.. إلى أن  
لامس رأسها ظهر المقعد و أغمضت عينيها كمن تستقبل النوم برحابة  
صدر..

لكن الحقيقة أنها لم تنم.. بل فقدت و عيها مرغمة.. و راغبة في نفس الوقت!

---

## "الرمق السادس؛ انهيار"

بعد عدة ساعات كان منزل عائلة فؤاد الغالي يعج بالقلق و الحيرة.. كان فؤاد يذرع غرفة الجلوس ذهابًا و إيابًا يكاد أن يفقد عقله لشدة قلقه على سارة التي اختفت تمامًا منذ أن خرجت من القاعة بهمة يعلم بأنها زائفة..

بينما سيلين تجلس فوق طرف الأريكة البيضاء من خلفه تغطي فمها بيديها محدقة أمامها بعينيها الباكيتين بلا هدف...

و أثناء ذلك الضياع اللذان كانا يعانيانه كانت سارة قد استعادت و عيها بعد وقتٍ لا تعلمه.. رفعت رأسها قليلاً لتستقيم جالسة ببطء.. بينما شرعت تنقل عينيها من حولها و كأنها تحاول تنشيط عقلها قليلاً لعلها تستعيد البعض من استيعابها للعالم..

لكن ذلك الألم الذي كان يداهم رأسها منعها.. فهرب تأوه مكتوم من بين شفثيها و هي ترفع يدها لتدلك جانب عنقها و صدغها بدون أن تتوقف عن تفقد هذا المكان الغريب حيث كانت متوقفة سيارتها..

سمعت صوت رنين هاتفها فنظرت له بحيث كان ملقى بإهمال فوق الكرسي الملاصق لكرسي السائق لترى اسم والدها منيرًا بوضوح..

عقدت حاجبها قليلاً و هي تمد يدها بثقل إلى أن حملته و رفعته إلى عينيها تنظر للإسم الحبيب بلا تعابير.. تكاد أن تتراءى لها ملامحه الآن بكل القلق الذي يحتويها.. لكنها لم تشعر برغبة في إجابته الآن... أو لم تقوى !

فألقت بالهاتف في نفس المكان بغير مبالاة زائفة تمامًا قبل أن تشرع في تحريك السيارة لتنتقل مجددًا.. هذه المرة بسرعة أقل.. و إلى وجهة محددة..

توقفت أمام المنزل بعد دقائق ففتحت الباب لتتنزل بتردد.. و تسمرت عيناها على واجهة المزرعة الفاخرة.. تشعر لأول مرة بأنها لا تريد الدخول إلى منزلها و مقابلة عائلتها..

إنها تحتاج لأن تنفرد بنفسها.. لكنها لا تملك مكاناً في هذا الظرف سوى  
غرفتها هنا لتحتمي بها..

تقدمت بضع خطواتٍ نحو الباب المفتوح كالعادة و ما إن دلفت حتى كانت  
تقابل بعينيها الذابلتين بشدة رغم نظرة الجفاء و التبدل الزائف بهما زوجان  
من العيون هما الأحب إليها في العالم..

كان فؤاد أول من تكلم فهتف بها بجزع برز بوضوح في نبرة صوته.. بينما  
هبت سيلين واقفة من مكانها ناظرة لها بلهفة..

\_أين كنتِ بالله عليك؟! لقد اتصلت بكِ حوالي المئة مرة و أنتِ لا.....

لم يجد الفرصة ليكمل هتافه.. فسارة لم تكلف نفسها عناء الوقوف لسماعه  
حتى.. فقد فغر شفثيه بغباء تام شاركته به سيلين و هو يراها تتجاوز كلاهما  
بصمتٍ متجهة إلى السالم..

و بدون أن تنبس بنصف كلمة.. بدون أن تمنحها أيّ رد فعل يبدد القليل من  
قلقهما.. هي لم تلتفت حتى لتلقي عليهما و لو نصف نظرة عابرة.. كانت  
تصعد الدرجات الطويلة بخطواتٍ قد تبدو ثابتة لمن يراها..

لكنها في الحقيقة كانت تجر كل خطوة بصعوبة شديدة شاعرة بأنها تمشي  
فوق رأسها لشدة الإنهاك الذي يغلفها..

دلفت إلى غرفتها تجر معها أذيال الخيبة التي التفتت من حولها.. و لم تفكر و  
هي تتجه إلى الحمام إلى أن وقفت تحت المغسلة بفسنانها الأبيض حيث  
تركت المياه الباردة تتدفق فوق رأسها لتبلل شعرها المنسدل بإهمال و كل  
جسدها..

و للمرة الألف ربما خلال ساعات قليلة.. شعرت بصوته في عقلها.. كلماته  
تداهمها.. و تذكرت تلك اللحظات الشاعرية و تلك اللمسات التي حسبتها بكل  
سذاجة لمسات حُب و عشق..

لكنها اكتشفت أن كل نظرة.. كل قبلة.. كل تنهيدة و ابتسامة.. كانت محض عرضٍ تمثيلي.. و قد كانت هي الجمهور الوحيد الذي صدق و آمن بصدق تمثيلته تلك !

" نحن نحب بعضنا ! "

هو لم يحبها يوماً.. لقد كان حبًّا زائفاً.. حبا من طرفٍ واحد.. لقد كانت مجرد علاقة -سامة- تنازلت فيها عن كل شيء..

بينما لم يتنازل هو حتى عن انتقام غبي لا شأن لها به !

" أنتِ زوجتي ! "

هل هي زوجته بالفعل؟! أم أنها كانت محض خدعة أخرى !

لكنها وقعت عقد القران بيدها !

لقد كانت تلك اللحظات مثل الحلم لها.. لحظات امتلاكه لها و امتلاكها له.. لكنها أضحت مجرد كابوس مخيف.. كابوس مرعب لأن احتمالية استيقاظها منه منعدمة تماماً!

أغمضت عينيها بقوة مطلقة العنان لعبراتها مجدداً.. و مجدداً كانت تشعر بالإنهيار.. فانخفضت بقوى خائرة إلى أن جلست فوق الأرض الباردة تحتضن ركبتيها بذراعيها بقوة و كأنها تقي نفسها صقيع خيانتته !

لم تكن قطرات المياه الباردة تؤثر عليها بأي شيء.. لم تخف من حرارة شعورها.. و لم تبدد تلك النار التي كانت تشتعل و تشتعل بداخلها أكثر و أكثر.. و لا استطاعت أن توقف سيل دموعها الحارقة الذي نافسها في قوة انسيابه..

لم تشعر بجسدها و هو يهتز بدموعها.. هي فقط سمحت لجبينها المرهق بأن يسقط أخيراً مخفية ملامحها المتألّمة بين ركبتيها..

إلا أن صوت طرقاتٍ خافتةٍ فوق الباب.. جعلها ترفع رأسها باستسلام و عقلها تلقائيًا يخمن هوية الواقف وراءه.. لم تعلم بأن صوت شهقاتها الضعيفة كان مسموعًا قبل لحظات لسيلين التي توقفت هناك عاجزة عن التخفيف عنها بأيّ طريقة.. و لا عن منحها راحة البقاء بمفردها..

فهي لا تستطيع تركّها بهذا الشكل.. لن تدعها تعاني المرارة بمفردها.. فحفزت يدها على الإرتفاع و طرق الباب بخفوتٍ و مباشرة كان يختفي صوت الشهقات مخلّفًا صمتًا أشد مرارة من دموع غاليته حتى..

اقتربت من الباب أكثر حينما لم تسمع أيّ رد منها باستثناء صوت انسياب المياه بهدوء لتهمس بخفوتٍ.. بصوتٍ شاحب ؛

\_ سارة.. هل أنتِ بخير؟!\_

لكن نفس الصّمت قابلها.. فنقلت عينيها حولها بأسى قبل أن تعود لتهمس بنفس النبرة ؛

\_ رجاءً افتحي الباب.. أنا أعلم بأنكِ لست.....

صمتت فجأة حينما انفتح الباب فجأة على مصراعه فتراجعت قليلاً ناظرة إلى أختها التي كانت تقف أمامها.. ترتدي رداء الحمام الابيض بينما تنظر لها بعينين فارغتين تمامًا..

لا.. ليس تمامًا.. إنه تعبير تمكنت من رسمه فوق ملامح وجهها بعد جهد طويل..

جالت عينا سيلين عليها قليلاً بقلق لم تحاول إخفاءه.. وجهها الشاحب بشدة.. ثم خصلاتٍ شعرها المبللة و التي كانت الآن منسدلة على شكل لفاتٍ خفيفة فوق كتفيها..

و ما إن فتحت فمها بغاية الكلام كانت سارة تقاطعها بأن تجاوزتها لتتجه إلى الخزانة بصمتٍ و تفتحها باحثة بين الثياب المعلقة بعناية..



استطاعت أن تنتقي بشكل عشوائي "بيجامة" منزلية تتكون من بنطال أسود  
حريري و قميص من نفس النوع..

عادت تتجه إلى الحمام لكن صوت سيلين التي كانت لا تزال تقف مكانها  
أوقفها هذه المرة ؛

\_سارة..رجاء !!

لم تتحمل سارة مشاعر الأسى و التوسل في نبرتها فالتفتت إليها لتتف بها  
بدون أن تشعر ؛

\_ماذا ؟!!!!

لم تتراجع سيلين أبداً عن موقفها..و تضاعفت مشاعر الألم في عينيها و هي  
تهمس إزاء التهيج الذي اكتسح صوت أختها ضد كل صمود كاذب تحاول  
ملاحها رسمه ؛

\_تعلمين بأنك لا تستطيعين أن تخذعيني بهذا البرود المُصطنع..أنا أعلم بأنك  
تتألمين..رجاءً..لا...تكنمي ذلك عني !

قالت آخر كلماتها بعجز تمكن من صوتها و عينيها..بينما تلاشى القليل من  
البرود الذي يحتل عيني سارة ليحل محله عجز مشابه جعلها تشيح بأنظارها  
عنها محدقة في الجدار الأبيض الخاص بالحمام الذي تقف في حاجزه الآن..

شعرت بالدموع تلسع عينيها مجدداً فزمت شفيتها بقوة و كأنها تحاول التحكم  
بنفسها..لكن عبثاً..فما إن أعادت عينيها لسيلين..حتى وجدت نفسها تسقط  
يدها بفشل محررة الباب..و محررة معه مشاعرها الحقيقية التي تمثلت في  
طبقة دموع جديدة احتقنت بها عيناها..

اقتربت منها سيلين بسرعة لتحاوطها بذراعيها بشدة مغمضة عينيها..و قد  
كانت تلك الحركة كافية بالفعل لتجعلها تغمض عينيها بقوة هي الأخرى..و  
طال صمت كئيب بينهما..محمل بمشاعر أثقلها الألم..

ثم وجدت نفسها بدون أن تشعر.. تهمس بصوتٍ مكتوم في كتف أختها و هي  
تشدد من تمسكها بها ؛

\_لقد...سلمته كل شيء يا سيلين..لم يتبقى لي أي شيء..لم يترك لي أي  
شيء...أي شيء !

أطبقت سيلين جفنيها أكثر شاعرة بقلبها يتمزق وجعًا..لكنها رغم ذلك  
استطاعت أن تهمس محاولة قدر الإمكان التخفيف عنها و لو قليلاً ؛

\_بل العكس تمامًا..يجب أن تشكري الله ألف مرة لأن حقيقته ظهرت منذ  
الآن و ليس بعد الزواج..أنت لا تزالين على البر.. جميعنا لا نزال على  
البر..

قابلها صمت تام مرعب من جهة سارة..فعدت حاجبيها بشعور دخيل من  
عدم الارتياح..قبل أن تمسك بكتفي أختها لتبعدها قليلا إلى أن قابلت وجهها..  
و قد كانت نظرة سارة غاية في الإستسلام..غامضة بشكل مقلق..قالت سيلين  
تبتلع ريقها بصعوبة و تعقد حاجبيها قليلاً بشك ؛

\_أنت لا تزالين على البر..أليس كذلك !!؟

سألته بنبرة مرتجفة يشوبها خوف غريب..و قد أتاها الجواب في غاية  
الأسف و الوضوح ليعزز ذلك الخوف أكثر ؛

\_لقد أخبرتك بأنني سلمته كل شيء..و أنا أقصد بكل شيء...كل  
-شيء-...حرفياً!

تجمدت سيلين مكانها تمامًا على نظرة فاقت حدود الصدمة.. بينما اشتد  
ضغط يديها على كتفي سارة لوهلة و كأنها تعاني انفعالاً قويًا..و كأن عقلها  
كان يستوعب كل شيء منذ البداية..لكنه توقف عن الإستيعاب الآن..

لكن سارة بدت في غاية الإستسلام و هي تهز رأسها ببطء مؤكدة في حركة  
شبه مرئية..و لم تتفاجئ أبدًا حينما رأت سيلين تزفر نفسًا طويلًا مرهقًا بينما

تغمض عينيها يأسًا و ترفع يدها إلى شعرها تشده بقوة مشيحة بعينيها عنها  
بعيدًا..

نظرة أبلغ من أيّ كلام كانت ترسم في عينيها الآن.. نظرة استطاعت سارة  
قراءتها بغير عناء..

هي لا يعجبها ما سمعته أبدًا.. لكنها لا تستطيع أن تلومها أيضًا.. فبأيّ حق  
ستلومها و قد كانت أول شخصٍ حثها على التمسكِ بهذه العلاقة الغبية؟!!!  
كما أنها لن تتمسكَ بقشرة الموز و تتركَ المحتوى.. و المحتوى الوحيد هنا  
هو مشاعر سارة... و ما تعانيه سارة الآن!

\_ أنا... أحتاج للإنفراد بنفسي قليلًا..

سمعت هذه الجملة الخافتة من سارة.. و لم تكذ تلتفت إليها حتى وجدتها تدلف  
للحمام و تغلق الباب في وجهها بهدوء.. و كأن كل الأحداث في العالم تسير  
وفق منهج سليم.. و كأن كل شيءٍ على ما يرام.. لكن الحقيقة أن لا شيء على  
ما يرام..

فهي لم تهرب بتلك السرعة إلا لتعفي سيلين من رؤية هذا المشهد الضعيف  
لها أكثر.. هي لا تريد أن تغدو صغيرة في عينيها أكثر من هذا الحد!

اقتربت من المغسلة بسرعة لتستند إلى طرفها بيديها و تنخفض مفرغة كل ما  
كان في معدتها الفارغة أساسًا بعد يوم كامل لم تتناول فيه أيّ شيء.. و لا  
تشعر بأيّ رغبة في تناول أيّ شيء..

فتحت صنوبر المياه لتغرق يديها تحته و انخفضت أكثر تغسل وجهها لعدة  
مراتٍ.. و ما إن عادت تستقيم قليلًا.. وقعت عيناها على انعكاس امرأة  
شاحبة.. بجفون محتقنة مرهقة و نظرة خالية المعنى..

تحركت يدها بدون سابق إنذار لتتجول برهبة فوق تفاصيل ذلك الانعكاس.. و  
لأول مرة تعجز عن التعرف على نفسها.. كما عجزت عن منع نفس تلك اليد  
من أن تنخفض ببطءٍ إلى أن ارتاحت و تقلصت فوق خاصرتها..

و ارتجفت رموشها بشدة و عقلها يتشبث بفكرة واحدة مبهمة.. لكنها ستصبح واضحة بعد عدة ساعات..

---

ها هو جاد يدخل إلى القاعة متأنقاً ببدلته السوداء التي اقتناها حسب ذوقها -هي-.. و بابتسامته الخلابه التي لن يزول تأثيرها على قلبها ما حيت..

جاد.. حبيبها الذي سيصبح زوجها أمام العالم اليوم.. يقترب منها بنظرة تكاد أن تلتهمها عشقاً.. ها هو ذا يقترب أكثر.. يقف أمامها.. يمسك بيدها.. يميل عليها.. أكثر و أكثر.. ليهمس في أذنها..

" تصفية حسابات !!! "

و اختفى جاد !!!!

\_جاد !!!!

انتفضت من رقدتها برعب على اسمه المقيت.. كان الظلام يحتل الغرفة كما يغشي لها عينيها.. عقارب الساعة تتردد إلى مسامعها في ترتيب مستفر..  
صوته يعود ليتردد في أذنها بنفس العبارة الجارحة.. جبينها يتفصد بالعرق الندي.. أنفاسها تخرج ثقيلة بصعوبة.. أناملها ترتعش..

لحظة.. لحظتان.. و كانت تنتفض كالمجنونة لتشغل الضوء في الغرفة ناظرة حولها بأنفاسٍ أخذت تتسارع أكثر.. لكن المكان كان فارغاً تماماً.. غرفتها فارغة إلا منها..

لكنه كان هنا للتو.. أين هو الآن !

لمحت عيناها فجأة ذلك القفص الحديدي الذي كان يحتوي العصفورين بداخله.. فعصفت نظرتها بالجنون و عقلها يرسل لها جملة حمقاء سمعتها ذات مرة قريبة منه..

" لكن حينها سنضطر لتغيير اسم العصفور أيضًا إلى جاد.. لكي تكتمل الصورة كما تخيلتها دائمًا.. سارة حبيبة جاد.. سارة لجاد فقط و لن تكون لغيره... أبدًا ! "

اقتربت من القفص بسرعة تهمة بفتحه.. لكنها ما إن وضعت يدها على مكان المفتاح اكتشفت بأنه غير موجود أساسًا.. فاشتد فكّها و تفصد جبينها أكثر حينما أرسل لها عقلها ذكرى كانت عابرة حتى يوم الأمس.. لكنها لم تعد عابرة بعد..

لقد...أخذ المفتاح أيضًا !

نعم هي تتذكر ذلك.. لقد وضعه في جيب بنطاله لكنها لم تنتبه حتى الآن بأنه لم يعيده.. أو ربما انتبهت.. لكن عقلها و قلبها اللذين كانا غارقين في دوامة كاسحة تغاظيا تمامًا عن أمره..

لكن.. ألا تبدو هذه كإشارة ما.. إنها كذلك بالفعل !

اشتدت أناملها فوق خصلات شعرها بقهر.. و ما إن التفتت تنوي الهروب من حصاره الفتاك حتى كانت تقع عيناها مجددًا على هلاكها.. على مراتها التي جلست أمامها ذلك اليوم.. حينما همس في أذنها بكل شاعرية..

" يبدو الأمر و كأنك ظللتِ تفكرين بي طوال الليل ! "

كان كل مكان في الغرفة يذكرها به.. المرأة.. النافذة.. الشرفة.. السرير..... هو لم يترك أيّ مكان هنا بدون أن يضع فيه بصمته.. إنها لا تستطيع الهروب منه.. إنه... إنه في كل مكان !

لم تشعر بنفسها و هي ترفع أناملها التي تشنجت بشدة ملنقطة الكأس الزجاجي الذي كان فوق المنضدة الملاصقة لسريرها لتلقي به نحو المرأة بانهيأ تام.. و التقطت مسامعها فورًا صوتًا قويًا لتكسرهما إلى أجزاء صغيرة..

أنزلت أبصارها و كل خلية بجسدها تتشنج أكثر و ترتجف.. لتلمح انعكاس صورتها الباكية و التي شوهدت ملامحها شظايا زجاج المرآة المنكسر..

و لم تشعر بنفسها و هي تنهار على الأرض..جلست بجانب الشظايا أو فوقها لا تعلم..هي فقط رفعت يدها بثقل لتشرع أناملها في ترتيب قطع الزجاج المتناثرة على الأرض..

و كأنها ترتب أجزاء صورتها المشوهة عبثًا !!

اندفع الباب بعد لحظة واحدة لتدلف سيلين بجزع بعد أن تلقت مسامعها أصوات كل الفوضى التي اندلعت هنا في منتصف الليل..و قد كان هذا مشهدًا لم تتوقع رؤيته رغم كل شيء..

اتسعت عيناها بقوة و هي تقترب بلهفة من تلك الجالسة فوق الأرض..و التي كانت ترتب بحركات ثقيلة قطع الزجاج المتناثرة في كل مكان..و قد علمت..قبل حتى أن تصل إليها استطاعت أن تتكهن كمية الضياع التي كانت تكتنف أختها بحيث لم تشعر حتى بالألم..

أو ربما لم تلاحظ تلك الدماء التي كانت قد بدأت تنساب من أناملها و هي ترفع قطعة بعد أخرى خالقة جروحًا جديدة !!

همست اسمها بأنفاسٍ لاهثة و هي تسقط بجانبها..و امتدت يدها في محاولة لإبعادها عن الأذى..لكن سارة بدت كالمغبية تمامًا و هي تهمس فجأة بدون أن تنظر لها أو تتوقف عما تفعله..بنبرة ساخرة ميته ؛

\_ لا تخافي يا سيلين..أختك العاقلة الدكتوراة النفسية لا تزال بكامل إدراكها..أنا لم أصاب بالجنون بعد !

صمتت للحظة ثم أضافت بصوتٍ عميق..شارد ؛

\_بل إذا صح القول فأنا في أوج إدراكي للواقع الآن أكثر من أيّ مرة كنت فيها من قبل !

رفعت رأسها فجأة تنظر لوالدها الذي كان قد دلف للتو.. فارتعشت عيناها  
أكثر أمام عينيهِ الحنونتين..نقل هذا الأخير أنظاره بين وجهها و أناملها..قبل  
أن ينظر إلى سيلين أمرًا بحزم ؛

\_تركينا بمفردنا قليلاً..

همت سيلين بالرفض لكن نظرة والدها التي احدثت قليلاً بصرامة جعلتها  
تومئ بتفهم..وقفت بعدها متجهة إلى الباب إلى أن أغلقت من خلفها بهدوء..

انحنى فؤاد بهدوء إلى أن اتخذ نفس مكان سيلين بجانب ابنته الكبرى..تلك  
التي عجزت تمامًا عن رفع أنظارها إليه بعد تلك النظرة الأولى..

بدت كطفلة مخذولة وحيدة..نظرتها التي مزجت ما بين ضعف كاسح و  
شحوب مخيف و الكثير الكثير من الدموع التي لا تزال مختزنة في عينيها  
ترفض أن تنتهي رافة بها جعلت من قلبه ينفطر حزنًا عليها..

مالت عيناها قليلاً حنانًا و هو يمد يده ليحتوي كتفيها بغاية تحفيزها على  
الوقوف..و قد انصاعت له هذه المرة إلى أن جعلها تجلس في طرف السرير  
و هو بجانبها..

ظلت تنظر بعيدًا و كأنها سئمت من تكرار نفس المشهد.. بحيث يأتي أحد  
منهما سواء أبيها أو سيلين لمواساتها ثم تنخرط في نوبة بكاء جديدة لا  
تزيدها سوى قهراً و ضعفًا أكبر من الذي بها..

لكن ذلك الصمت المطبق الذي قابلها من جهة والدها جعل بعض التشوش  
يحتضن عينيها..فتنهدت بتعب شديد و هي ترفع رأسها إليه أخيرًا  
بصمتٍ..فلمحته و هو يفتح أحد أدراج الخزانة القريبة ليخرج علبة  
الإسعافات الأولية و يعود ليتخذ مكانه بجانبها..

امتدت يده إلى يدها بصمتٍ شارعًا في معالجة تلك الجروح الطفيفة هناك..و  
ما إن انتهى كان يغلق العلبة ليضعها جانبًا..ثم نظر لها سائلًا بحزم ؛

هل تشعرين بالقليل من الرضا الآن؟!

انعقد حاجبا سارة بشيءٍ من التشوش.. فقال فؤاد مؤكداً بنفس نبرته ؛  
\_ أنا اسأل بجدية.. هل كان مجدياً؟! تكسير المرأة و الصراخ و البكاء.. هل  
كان كل ذلك مجدياً؟! ..

أغمضت سارة عينيها بتعب.. ثم همست تهز رأسها قليلاً بعذاب ؛  
\_ أبي رجاء.....

لكن فؤاد قاطعها بحزم يشوبه الكثير من قلقه و خوفه عليها بينما تمتد يده  
لتغطي وجنتها فجأة ؛

\_ رجاء أنتِ.. رجاء توقي عن استنزاف نفسك بهذا الشكل.. حسناً لقد كان  
الأمر يستحق كل هذا الألم الذي تعيشينه لكن كفى.. أنا لا أستطيع رؤيتك بهذا  
الشكل بعد..

هز رأسه قليلاً و أكمل ببطءٍ بينما ينظر في عينيها تماماً بحزم أكبر ؛  
\_ أنتِ..-سارة فؤاد الغالي..-أنتِ أقوى من كل ذلك.. سارة ابنتي التي رببتها  
بنفسي و أعرفها حق المعرفة تستطيع تخطي كل هذا بقوة.. أما جاد ذاك  
فحسابه لن يكون يسيراً أبداً عن.....

\_ لن تفعل له أي شيءٍ يا أبي !

كان دورها لتقاطع هذه المرة بقوة.. فضيق عينيه قليلاً و كأنه لا يفهمها.. إلى  
أن استرسلت سارة ناظرة إلى شظايا المرأة المكسورة بقسوة تناقض تماماً  
صوتها المبحوح ؛

\_ ما حدث حدث لي أنا.. أعلم بأنني لم أكن ضمن هذا الإنتقام منذ البداية لكن  
طالما هو أقحمني بداخله فقد بات الموضوع بيني و بينه فقط.. لهذا أنا أريدك  
أن تعيده لي فقط.. دعني أقابله وجهًا لوجه و أنا.. سأصرف !

بدا فؤاد غير مقتنعاً أبداً بكلامها هذا.. فهز رأسه باستنكار ؛

\_ لكن.....



لكنها عادت لتقاطعه بإلحاح أكبر ؛

\_رجاء... من أجلي !!

ظل فؤاد ينظر لها بغير اقتناع.. تتلأأ الحروف على أعتاب فمه ثم تعود  
لنتوارى خلف نظرة الرجاء الضعيفة بعينيها.. ثم في النهاية.. وجد نفسه يتنهد  
باستسلام و هو يهز رأسه إيجاباً رغم كل ما به من حيرة..

---

كانت أول وجهة لها في الصباح هي الصيدلية.. لقد عمدت أن تستيقظ اليوم  
قبل والدها و سيلين.. ثم خرجت بدون أن تصدر صوتاً أو تخبر أحداً..  
و ها هي ذي تقف في حمام غرفتها تنظر إلى النتيجة الواضحة أمامها بعينين  
جاحظتين... إيجابي !

أغمضت عينيها بألم و هي تحرك يدها بتردد لتضعها فوق بطنها شاعرة  
بثقل هائل يجثم فوق صدرها ,إنها.....حامل !

هي...حامل منه! إنها تحمل طفلاً من صلبه.. طفلاً سيظل يذكرها للأبد  
بانقمامه و غبائها ! طفلاً سيقيد أحلامها و كل ما بنته طوال سنوات مضت  
بعيداً عنه..

طفلاً سيعيش ربما بدون أب !

في حالة أخرى كانت ستطير فرحاً و شوقاً و حماساً.. لكنها الآن لا تشعر  
سوى بالخزي و الندم.. ندم هائل لن تصفه كلمات.. و لن تمنحها الحياة فرصة  
أخرى للعودة قليلاً نحو الوراء و التخلص من عبئه !

إنها تحمل ثمرة صغيرة تكونت منه و منها.. ثمرة لا تستطيع التخلص منها  
رغم ما تشعر به من ضياع.. ببساطة لأنها لا تستطيع.. إنها لا تستطيع التخلي  
عن روح بريئة تشكلت من دمائها.. لا تستطيع !

خرجت بعد لحظاتٍ من الحمام مقتربة من سريرها إلى أن جلست في طرفه  
لا تزال تنظر للجهاز الصغير بعينين زائغتين..

ماذا...ستفعل الآن ؟!!!! هل تخبر سيلين ؟! هل تخبر أباهما ؟! لكن ماذا  
سيكون موقفها أمامه..كيف ستقولها ؟!!

إنها تحمد الله على الحقيقة الوحيدة الموثقة رغم مرارتها.. حقيقة كونها  
زوجته شرعًا و قانونًا..هي لا تعلم ما غايته بعد منها..لكنها تعلم بالدليل  
القاطع بأنها زوجته..

لقد تأكد والدها بنفسه من صحة الأوراق و مصداقيتها..و قد كان ذهوله  
مشابهًا لذهولها و هو يخبرها قبل ساعات..لقد كان زواجًا حقيقيًا ينقصه  
الإشهار فقط ثم ينتقلان للعيش سويًا..

لقد كانت في فترة عقد القران التي تسبق حفل الزفاف..و التي كان عليها أن  
تحترمها !!

ربما هي فتاة متحررة..و ربما تكون ترعرعت في بيت خال من القيود و  
التقاليد الصارمة التي تقتل الأمل..لكنها على الأقل كان يجب أن تضع في  
الحسبان احتمالية انفصالهما قبل إتمام حفل الزفاف..كان عليها.....

مهلاً..لماذا تزوجها رسميًا و في نيته تركها ؟! لماذا لم يخدعها أيضًا في هذا  
الموضوع ؟!! ألم تكن تلك الرسالة هي محطة الوداع بينهما..هل يعقل  
أن.....

\_لا لا لا...\_

هتفت بصوتٍ منخفضٍ لم يتعدى الهمس بهستيريا و هي تحيط رأسها بيديها ؛  
كفالكِ يا سارة..لقد تهدمت كل أعمدة الأمل هنا..حتى لو كانت هناك غاية من  
توثيق زواجكما فستكون غاية دنيئة كصاحبها !

بدا و كأن -صاحبها- قد سمع كل همساتها اليتيمة لنفسها فقرّر أخيرًا أن يزيح  
عنها القليل من حيرتها !

فسمعت بعد أقل من ثانية صوت رنين هاتفها من مكان لا تعلمه.. أنزلت يديها  
و هي تنظر حولها قليلاً فوقت عيناها عليه فوق المنضدة.. لا تتذكر حتى  
آخر مرة أمسكته بها و لا متى وضعته هناك..

تجمدت نظراتها قليلاً عليه و كأنها خمنت هوية هذا المتصل العجيب  
تلقائياً.. قبل أن تمتد يدها لتلتقطه و تقربه من عينيها.. و قد كان رقمًا  
مجهولاً.. فزفرت و هي تغلق الخط ملقية به عشوائياً فوق السرير..

لكن الرنين عاد ليتكرّر بالحاح مرة.. و مرتين.. و ثلاث.. إلى أن زفرت  
بانفعال و هي تمسكُ به مجددًا لتفتح الخط بعنف و ترفعه إلى أذنها.. لم تشعر  
برغبة أبدًا في الكلام فظلت صامتة تنتظر أن يعرّف هذا المتصل عن نفسه  
بنفسه..

لكن نفس الصّمت قابلها.. سوى من هسيس أنفاس خافتة هادئة.. صوت أنفاسٍ  
تعرفها جيدًا حق المعرفة !

انعقد حاجباها ببطء.. و ابتلعت ريقها بصعوبة.. و ارتجفت خفقات قلبها  
بقوة.. و احتدت عيناها بقسوة مريرة.. و ما إن استطاعت التماسك  
قليلاً.. همست بحذر شديد ؛

\_جاد !!!!

## "الرمق السابع؛ إكراه"

كان يجلس في سيارته.. ينظر أمامه بعينين قاسيتين لكن يتخللهما وميض  
حزن خفي.. حينما سمع همستها الخافتة باسمه ؛

\_\_ جاد !!

حينها لم يشعر بنفسه و هو يغمض عينيه بقوة كاتمًا نفسًا حارقًا لو تحرّر  
الآن لهُدمت كل حصونه.. هل كانت تحاول أن تقسو ؟!

لكن صوتها وصله ضعيفًا متحشرجًا متخاذلاً للحد الذي جعل من أنفاسه  
الهادرة منذ تلك اللحظة التي قرّر فيها و عزم على التثبيت بخيوط انتقامه  
الذي عاد لأجله و التخلي عنها... مؤقتًا!

تتسارع بشدة بداخله..

إنه لا ينكر بأنه يتألم.. رغم أن كل ما يعيشه الآن هي مشاعر لم يظن أنه ما  
زال يمتلكها نحوها.. مشاعر لم يضعها في الحسبان أبدًا..

لقد كانت غايته الأولى دفع كل فرد من عائلة فؤاد الغالي على تذوق نفس  
كأس المرارة الذي تذوقه برفقة أمه في الماضي !

أرادها أن تعيش نفس الضياع الذي جعلته يعيشه ذات مرة.. أراد أن يرى  
فؤاد الغالي منكسر الهمة أمامه.. أن يلمح نفس العجز الذي رآه يرتسم ذات  
يوم بداخل عيني والدته في عينيه..

و هو يعلم بأن شعور العجز لن يلامس قلبه إلا بفقدانها.. قرة عينه... ابنته  
سارة !

سارة !!!

كان صوت أنفاسها يتسلل إلى أذنيه بوضوح عبر الهاتف.. أنفاسها متقطعة  
متسارعة تشعره بأنها تجرّها بمشقة.. فتح عينيه فجأة على نفس النظرة

القاسية.. قبل أن يهمس بنبرة ساخرة لم تحمل من تلك العاطفة المشؤومة التي  
اكتسحت قلبه قبل قليل بسماع صوتها شيئاً ؛

\_جيد!... لقد ظننت لو هلة بأني سأضطر للتعريف بنفسِي منذ البداية  
مجددًا.. فسارة فؤاد الغالي التي تتقن فن النسيان لا يمكنها إلا أن تحذف اسمي  
من قائمة حياتها بعد كل خطأ ارتكبه في حقها.. سواء كان بقصد.. أو بغير  
قصد.. صحيح؟! !!!

لم يصله أي ردٍ من ناحية سارة.. فقد كانت عيناها الزائغتين تنظران في اتجاه  
واحد محدّد بدون تعابير.. الجدار البارد في مقابلها..

صمتها استغزه أكثر.. فهز رأسه قليلاً و هو يستأنف بنفسِ النبرة الساخرة  
القاسية ؛

\_هل تظنين بأن ما فعلته بكِ يعد انتقاماً؟! إنه لا يرتقي لدرجة وصفه بتلك  
الكلمة حقاً يا حبيبتِي!

احتدت نظرتَه أكثر و كأن صمتها يحفز غضبه أكثر و أكثر فأكمل بدون أن  
يرتفع صوته عن الهمس بفحيح سام ؛

\_ما فعلته بكِ لم يكن سوى تمهيداً.. و ما سأفعله بكِ في المستقبل لن يتصوره  
عقلك أو عقل والدك الصغير ذاك أبداً.. سأنتقم و أسترد كل حقوقي التي  
سلبتموها مني عندما أجعله يفقدك.. عندما أحقق له أسوء كوابيسه.. عندما  
يراك تتعذبين دون أن يستطيع فعل أيّ شيء لكِ.. سأجعله يشارك أُمي  
شعورها بالعجز ليستشعر بنفسه كم كان ذنبه الذي ظنه هيناً في حقنا عظيماً  
!!!!!!

كانت أناملها تعتصر بقوة غطاء السرير الجالسة في طرفه.. بينما تشنج  
جسدها بقوة كنظرتها التي تحولت إلى عاصفة من الإنفعالات المكبوتة.. و من  
بين كل ذلك كان هناك شعور متطفل ضئيل.. كانت تشعر بـ.. بالصدمة!

نعم..إنها تتعجب كل هذا الجفاء و القسوة التي غلفت ذلك الصوت الذي  
انساب على أذنيها حتى قبل أيام قليلة بأجمل الهمسات..تتعجب ذلك القلب  
الذي توقعت كل شيء منه إلا أن يدمرها بهذه الطريقة الدنيئة!

كيف خول له -قلبه- أن يؤذيها بهذا الشكل؟! كيف استطاع؟! كيف يستطيع  
أن يخاطبها بكل هذا الكره و الحقد و البرود بعد كل ما فعله بها..بعد كل ما  
كان بينهما !

ألم يلامس الندم قلبه و لو للحظة واحدة؟! ألم يتردد و لو لثانية واحدة فيما  
انتواه بها؟! ألم يتردد !!!

و رغم كل ما حدث بينهما..فقد شعرت بكلماته اليوم تخترق فؤادها كالسهم  
الذي لا يمكن أن يخطأ هدفه!

و كأن سماع الحقيقة بصوته أشد وطأة و ألمًا من قراءتها على شكل حروفٍ  
لا تعابير لها في ورقة !

لكن...لماذا تبدو أنفاسه هادرة بهذا الشكل؟! هل هو يتألم؟! لكن لماذا عساه  
سيتألم؟! لأجلها؟!!

هل يمكن أن يبكي -الجزار- ألمًا على ضحية نحرها بيديه؟! هل ستشكل  
الدماء المتناثرة فرقًا في قلب أمعن التخطيط قبل أن يقطع الخطوة الأولى  
نحو طريق دمارها !

\_أريد أن أقابلك حاليًا !

هذه الجملة التي قالها بصيغة الأمر..بصوتٍ قاطع جعلت حواسها تنتشط  
فجأة..فخرجت عن شرودها الأحمق..و لم تفكر و هي تهتف..تخاطبه للمرة  
الأولى بنبرة فاقت نبرته قسوة و حقًا ؛

\_ستراني في الجحيم عندما أدفعك إليه إن شاء الله..

لم تتردد أبدًا و هي تبعد الهاتف هامة بإغلاق الخط في وجهه لكن صوته عاد  
ليستوقفها مجددًا قبل أن تفعل ؛

\_إياك أن تقفلي و إلاّ فما سيحدث لن يعجبك !

تشنجت أناملها فوق الهاتف بقوة.. و زفرت عدة أنفاسٍ متتاليةً بجنون.. قبل أن  
تعيد الهاتف لأذنها صارخةً به من بين أسنانها بانفعال شديد لأول مرة  
يستحوذها بهذه القوة ؛

\_اسمعي جيدًا سيد جاد مراد.. لا تظن للحظة واحدة بأنك قد فزت.. لا تزال  
اللعبة في البداية و لم تحدّد النتيجة بعد.. أعدك بأنني سأجعلك تندم على كل  
دمعة سقطت من عيناى بسببك.. على كل نظرة شفقة و شماتة رأيتها في  
أعين الناس.. على حسرة أبي.. و خوف أختي.. سأجعلك تندم.....

زمت فمها قليلًا بانفعال عنيف أكبر.. ثم أكملت بصوتٍ أقل ارتفاعًا.. لكنه أشد  
حقًا و غضبًا ؛

\_على مشاعر قلبي التي تلاعبت بها.. هذا وعد سارة فؤاد الغالي الذي سأفي  
به... أقسم بأنني سأفي به !

ابتسامه ساخرة اهتزت لها شفتاه و هو يستريح في مقعده في السيارة مجيبًا  
ببرود يخفي خلفه براكينًا هائجة ؛

\_ما رأيك أن نتقابل أولًا و نقولين كل الكلام الذي قلته الآن في وجهي  
مباشرة !!؟

\_لن أقابلك..

هتفت بها قبل أن يكمل حتى كلامه.. فاستقام جاد مجددًا في مقعده و هتف هذه  
المرة بجديّة لا تقبل النقاش ؛

\_أنا لا أمزح معك.. الموضوع مهم جدًا و يخصّ والدك..

مجرد ذكر اسم والدها.. جعل ملامحها الشاحبة أساسًا تزداد شحوبًا.. و طرفت  
برموشها المبللة في حركة ثقيلة و عيناها تمتلآن بالحيرة و القلق..

إلى أن هتفت مهذّدة بنبرة هجوم واضحة لم تخفي إرهاقها النفسي و  
الجسدي.. هتفت بدون أن تشعر.. و كم تمننت بالفعل لو يكون أمامها الآن  
لخرمشت ملامحه الباردة بأظافرها..

\_ إذا حاولت حتى مجرد المحاولة أن تؤذي أبي فسأقتلك و لن أتردد أبدًا في  
فعل ذلك.. هل فهمت !!!!

سمعت صوت ضحكة ساخرة قصيرة منه فأجفلت قليلاً شاعرة بالرعب  
يجتاح قلبها.. لكنها تلاشت بسرعة و جاءها صوته يهمس بإيجاز ؛

\_ هذا الأمر يعود لك أنت في الحقيقة.. إما أن تقابليني حالاً أو تتحملي عواقب  
عنادك الغبي هذا.. و حينها لا تلوميني لأنني حذرتك !

ماذا يريد منها بعد ؟!! يا الله ألا يكفي كل ما عانتها على يديه ! أليس ما فعله  
بها يعد انتقامًا ؟.. ألم يودعها في آخر أسطر رسالته الغبية تلك ؟! ما الذي  
يريده الآن ؟!!

ازدردت ريقها بصعوبة و هي تغمض عينيها لثوانٍ طويلة محاولة استرداد  
أنفاسها.. قبل أن تفتحهما لتقول مباشرة ؛

\_ حسنًا.. أنا قادمة ، أخبرني أين أنت ؟!!!!

أنزلت الهاتف بعد أقل من ثانيتين.. لتتسمر عيناها أمامها في الفراغ.. لكن  
الفراغ أيضًا كان يحمل صورته و صوته.. انغلقت يدها بقوة حول الهاتف.. و  
عصف عقلها بعدة تساؤلات و أفكار عشوائية عن ماهية هذا اللقاء.. و غايته  
من هذا اللقاء..

قبل أن تجد نفسها بدون أن تشعر ترفع الهاتف عاليًا ملقياً به إلى الجدار  
بانهيار.. و هذه المرة بدون أن تسقط أرضًا فشلًا أو يأسًا..



كانت هناك دمعة واحدة شعرت بها تنساب ببطءٍ على وجنتها.. فرفعت يدها لتنسفها في منتصف الطريق غير سامحة لنفسها بالإنجراف لموجات الضعف أكثر..

---

لم يستغرق الأمر إلا بضعة دقائق.. و كانت تتوقف بسيارتها أمام تلك الحديقة العامة المقابلة لمقر عمل والدها.. لا تعلم حتى لماذا اختار هذا المكان بالذات ليقابلها فيه..

لمحت بالصدفة عينيها المرهقتين في المرآة الأمامية.. فمدت يدها لتفتح صندوقاً صغيراً أمامها و تخرج نظاراتها الشمسية السوداء حاجبة ذلك الضعف المخزي بها و تنزل من السيارة بذقن مرفوع رغم الوهن الذي يلفها..

كان جاد يقف على بعد مسافة ليست بالطويلة.. ظهره مواجهاً لها بينما يراقب حركة بعض الأطفال يلعبون أمامه مغرقاً يديه في جيبي بنطاله الرسمي الأسود كسترتة.. كلاهما يماثلان قلبه سواداً..

لكنه استدار فجأة حينما وصلت و كأن قلبه أعطاه الأمر قبل عقله ليستدير إليها.. و هناك لمحها و هي تغلق باب السيارة لتتقدم عدة خطواتٍ.. واثقة؟! هز رأسه قليلاً بشكل شبه مرئي و هو يدقق النظر بها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها..

سارة فؤاد الغالي.. أما أن لك أن تستسلمي بعد !!

كانت ترفع شعرها إلى الأعلى على شكل ذيل حصان.. ترتدي بنطالاً أسوداً و قميصاً قماشياً يماثله اللون يبدو شديد الأناقة و الرقيّ عليها.. و فوقهما معطف كلاسيكي رمادي غامق.. و تلف عنقها بوشاح في نفس اللون !

خلف نظاراتها الشمسية السوداء استطاع أن يلمح ذلك الذبول الذي تحاول أن تخفيه بها.. شعرها كان يماثل ملامحها ذبولاً رغم شكله الذي يبدو مرتباً بكل احترافية..

و لونه البني باهت فاقد لبريقه رغم جماله !!

تلك الخصلات المنسابة على جانبي وجهها و المتمردة من العقدة أبهرت قلبه أكثر و هو يراقب أصابعها الفنانة بينما تقوم بتثبيتها خلف أذنها..

خطواتها مضطربة بينما ذقنها مرتفع بكبرياءٍ فقدته على يديه !!!

ثم عقدت ذراعها ما إن وصلت إليه رافعة ذقنها.. كان ينتظرها بصبر أن تبعد النظارات عن عينيها.. و ما إن فعلت بملا إرادتها حتى وجد نفسه يعقد حاجبيه... ذهولاً !

هو لم يرى الضعف الذي يجب أن يراه !!!

بل على العكس كانت هناك بوادر ابتسامة ساخرة مريرة لامست عينيها فقط.. تلك العينين اللتين لا يستنكر الاعتراف بافتتانه بهما.. بينما ملامحها جامدة تماماً بتعابير مبهمة..

أرغم نفسه بالقوة على أن يتجاهل تلك النظرة بعينيها.. فتتحنج بصوتٍ مرتفع ليجلي صوته و هو يهم بالكلام.. لكنه لم يكذب يلفظ حرفاً واحداً حتى كانت يدها تقف له بالمرصاد..

حينما ارتفعت عالياً ل... لتتنزل بها فوق صفحة وجهه بقوة !! لقد صفعته  
!!!!!!

تسمر جاد مكانه للحظاتٍ و هو ينظر جانباً بعينين تقدحان الشرر الصامت.. و ما إن التفت إليها وجد نفسه يهتف بغير استيعاب ؛

\_ ما الذي.....

لم يجد أيّ كلمة يقولها فأطبق شفثيه ناظرًا لها بعينين متسعيتين بذهول  
الغضب..و كأنما سرقت سارة كل ذلك البرود الزائف السابق منه..فقد  
نفضت يديها بكل هدوء..

لتقول ببرود شديد السخرية بينما تعود لتعقد ذراعيها أمام صدرها ؛  
\_ هذه لتعلم بأنني لا أزال بخير..فأنا أعلم بأنك تخاف عليّ كثيرًا يا...حبيبي  
جاد !!

اتسعت عيناه أكثر بدهشة و هو ينظر لها بتمعن غير مصدقًا..لكنه سرعان  
ما استطاع أن يتمالك نفسه قليلا فرفع حاجبيه محدقًا بها بسخرية بدت  
مشابهة لسخريتها..لكن صمته بدا أطول من صمتها..

إلى أن قال أمام عينيها ببطء ؛

\_كنت سأكون أشد سعادة لو بدلت لفظ "حبيبي" بـ "زوجي"..وقع الكلمة يبدو  
أفضل و أكثر صداقية..أليس كذلك !!؟

لم تمنحه أيّ رد..و لم يبدو و كأنه في انتظار ردها..فقد عاد ليغرق يديه في  
جيبه بنطاله و كأن أيّ شيء لم يحدث..لكن النظرة في ملامحه أصبحت  
أكثر جدية..و خرج صوته الساخر لا يحمل ذرة من مزاح ؛

\_لكن دعينا من ذلك الآن..فالموضوع الذي استدعيتك لأجله مهم جدًا بالنسبة  
لك..و ربما تنهارين من فرط الصدمة أمامي...لكن لا تخافي ف-حبيبيك- جاد  
هنا و أنا سأسندك !

كان صوته مستفزًا..مقيتًا..يتسلل إلى عقلها بشرّ ليعت كل مشاعر النفور و  
الكره إلى قلبها أكثر..فضلت للمرة الثانية أن لا تجيب سخريته المنفرة  
فأشاحت بوجهها عنه جانبًا..

بينما مال جاد على سيارته التي كان يقف على مقربة منها ليخرج ملفًا رفعه  
أمام وجهها في حركة ذات مغزى..

فاضطرت لأن تعيد أنظارها إليه رامقة الملف ذاك بتشوشٍ قبل أن ترفعهما  
إلى وجهه ناظرة له بعدم فهم.. لكن جاد لم يكلف نفسه عناء إجابتها.. بل  
برزت ابتسامته أكثر بسخرية أكبر..

تفضلي..

قال باقياً على نفس الإبتسامة التي لا تشبه أبداً تلك الإبتسامة التي قابلها بها  
في أول يوم بعد عودته.. تلك التي صنفتها قلبها على أنها أسمى نقطة ضعفٍ  
لديها.. الآن تراها تختفي لتحل محلها هذه الإبتسامة.. المقيتة.. الشريرة..

رفعت يدها بتردد لتأخذه منه.. قبل أن تبتلع ريقها ببطءٍ ثم فتحتته بأنامل  
ترتجف أمام عينيه.. و ما إن فعلت و تجولت حدقتهاها بقلبي فوق تلك  
السطور.. حتى كانت ملامحها تشحب تماماً بـ.. بصدمة !

و قد جاء صوته ليخذ صدمتها أكثر ؛

لطالما تساءلت في نفسي.. من أين لك بكل هذا الغباء المفرط.. الآن أصبحت  
أعلم..... إنه وراثي !!

قال آخر كلمة بنبرة تعمد أن تكون مميزة عن سابقتها.. فأغمضت سارة  
عينها بقوة عن تلك السطور.. ثم لم تلبث أن ابتلعت ريقها بصعوبة و هي  
ترفع رأسها لتقابل عينيه مجدداً بعجز عن الإستيعاب..

فاتسعت ابتسامته أكثر و هو يقول ببساطة ؛

لا بأس.. تستطيعين أن تمدحي ذكائي.. هذا مسموح !

قالت سارة بصوتٍ باهتٍ و هي تشعر بكل دماء الحياة تبدأ بالإنسحاب من  
وجهها تدريجياً ؛

هذا لا يمكن أن يكون توقيع والدي !!

صوتها المرتعش و المتلعثم قليلاً بينما عيناها تحملان أملاً واهناً جعل بعض  
الأسى الخائن يجتاح قلبه..شعور لم يسمح له بأن يحبط موقفه أبداً..حينما قال  
مؤكدًا بكل هدوء ؛

\_بلى..صدقيني كنت معه و هو يوقع..حتى أنني وقفت عند رأسه و انتظرته  
إلى أن وقعها كاملة..ورقة ورقة.....

خطف الملف من بين يديها و هو يستأنف ؛

\_الآن دعينا من كل ذلك..الغبي والدك وقع على شهادة موته بابتسامة..  
أخبرتك بأن الغباء وراثي في عائلتكم !!

في هذه اللحظة بالذات..وجدت نفسها تفقد كل تعقلها الباقي فقالت من بين  
أسنانها بجمود ؛

\_والدتك تكون عمتي بالمناسبة..إذا كنت قد نسيت أم أنك تحاول أن  
تتناسى؟!

و كأنما نكأت جرحاً قديماً كان لا يزال غائراً في قلبه..فتراجعت قليلاً بعينيها  
فقط و هي ترى لفحات الغضب المرعبة التي اجتاحت عينيه..لمجرد نطقها  
لاسم والدته ! على الرغم من أنه كان يشتم والدها للتو !!

لكنه كان غضباً مؤقتاً لاح فيهما لثانية واحدة قبل أن يعود ليخفي تماماً  
بطريقة جعلتها تشكُّ بما رأتها حتى..ثم قال يهز رأسه قليلاً باستخفاف ؛

\_هل تعلمين ماذا؟! أنا أتفق معك في هذه الجزئية..فلولا هذا السبب لما كان  
والدك الغبي وثق بي ووقع هذه الأوراق بأعين مغلقة..

غامت عيناها بدون أن ترد فاستأنف مؤكداً بنفس النبرة ؛

\_نعم..الحقيقة لم يكن الأمر صعباً كما تخيلته..ربما لو تجاهلني والدك منذ  
البداية و اعتبرني مجرد شريك في العمل لا غير..لما استطعت خداعه..لكن  
مكانتي كصهر مستقبلي و ابن أختٍ خولت لي فعل كل هذا و بكل

سهولة.. خاصة و أنا أطلب منه بكل إخلاص أن ينسى الماضي الكئيب...و  
تمكنت منه.....

فتح ذراعيه و هو يقول بنبرة إقرار مستفزة ؛

\_ هكذا... ببساطة !!!

ثم عاد ليرفع الملف أمام وجهها الشاحب مسترسلاً ؛

\_ هذه الأوراق تعد تنازلاً رسمياً عن كل أملاكه لي.. لقد داهمته عندما كان  
منشغلاً و استغلّيت الوضع فوق لي ظناً منه بأنها مجرد وثائق عادية تعزز  
شراكتنا..

ثم قال بعينين تبرقان بنظرة انتصار ؛

\_ و الآن إذا أردت أستطيع أن أحرم والدك من كل ما يملك و يصبح لي.. ما  
رأيك ؟!!!

كانت عيناها في هذه الأثناء عبارة عن مجموعة تناقضات.. أفكار مشوشة  
داهمت عقلها دفعة واحدة.. لتغرقها في دوامة سحيقة شعرت فيها بانعدام  
الأمان.. خاصة و هي تراه يكمل بنبرة مبهمة لكنها واضحة أيضاً بشكل  
غريب ؛

\_ لكنني لن أفعل.. هل تعلمين لماذا ؟!!

تعمد أن ينزل أبصاره ببطءٍ ليشملها بالكامل بنظرة غير عابرة أبداً حتى عاد  
ببصره إلى وجهها... فقال بنبرة ذات مغزى ؛

\_ لأن ما أريده أهم و أؤمن من الأملاك !!

تحولت عيناها فجأة من الصدمة الشديدة إلى ذهول أشد.. و لم تشعر بنفسها و  
هي ترفع يدها و في نيتها صفعه مجدداً بينما تهتف ؛

\_ أيها النذل !!!!

لكن يدها توقفت في الهواء بفعل يده التي امتدت بسرعة تقبض على  
معصمها بقوة كانت لتؤلمها في وضع آخر.. ثم هدر صوته بشراسة ؛

\_تجرئي و افعليها مرة أخرى لأكسر لك يديك الإثنتين !

نفض يدها بحدة و هو يرفع اصبعًا محذرًا أمام وجهها و قد زال العبث عن  
ملامحه ؛

\_الآن اسمعيني جيدًا... أنتِ مخيرة بين اثنين.. إما أن تقنعي والدك و تذهبي  
معي بكل هدوء كزوجة مطيعة.. أو تتمسكي في عنادك الغبي هذا و يدفع  
الثمن والدك.. اختاري !!

أنزل يده أخيرًا بدون أن يزيح أنظاره عنها..

راقب عينيها عن قرب و هما تتسعان أكثر ببطء.. و رأى بوضوح ذلك  
الشحوب الذي تضاعف و تضاعف في وجهها.. ثم ارتعاشة شفثيها الضعيفة  
و هي تزمهما بقوة كشخصٍ يحاول ردع نفسه عن... عن البكاء !!!

و قد لاقت كل محاولاتها الفشل و تلك اللمعة في عينيها زادتهما بريقًا و  
شفافية لعينييه.. لكن دموعها لم تنزل.. و لن تسمح لها بالنزول على ما يبدو !

فقط تلك اللمعة من أخبرته بوضوح بأنها تتألم !!

الغريب أن ذلك لم يشعره بالسعادة كما أراد.. بل على العكس.. لقد شعر  
بروحه تكاد أن تحترق بألمها !!

أحيانًا يكره نفسه !.. كما كره نفسه في ذلك اليوم !

في ذلك اليوم تردّد طويلًا.. طويلًا.. كانت قدماه تتلكان و كأنه على وشك  
اتخاذ الطريق ركضًا و الذهاب إليها.. لكن عقله يعود ليتخذ القيادة فينبهه  
مجددًا لهذا الواقع الصريح الذي يعيشه!

لا مجال للتراجع الآن.. لم يعد هناك مجال!

صحيح بأنه ناغم عليها.. لكنه يريد لها.. يريد لها بكل الكره الذي تحمله  
نحوه.. بكل آلامها التي انشأها بها.. بكل صمودها و استسلامها يريد لها..

و ما يريد يحصل عليه بأيّ طريقة كانت !!

شعر بنفسه غير قادر على تحمل تلك الغصة التي استوطنت قلبه برؤية  
ضعفها المخفي أكثر.. فاهتزت رموشه قليلا و هو يشيح بوجهه عنها بصمتٍ  
منتظراً ردها المنشود..

و أتاه الرد.. لكن ليس كما توقع !!

\_\_ ماذا فعلت لك ؟!!

هذا السؤال الخافت الذي يحمل كل المشاعر المتناقضة في العالم جعل جبينه  
يتجدد قليلا بتشوش.. و عاد ليلتفت إليها ببطءٍ شديد.. و هذه المرة استطاع أن  
يلمح تلك الدموع تتحرّر بألم.. ببطءٍ !

بينما هي.. هزت كتفيها مستأنفة بصوتها الذي خنفته الغصة بعجز عن  
الفهم.. عن الإستيعاب ؛

\_\_ ماذا فعلت لك أنا ؟! ماذا فعلت لأستحق منك كل هذا الألم ؟! هل لأنني  
أحببتك.. أم لأنني وثقت بك ؟! ماذا فعلت غير ذلك ؟!!! ماذا ..... ؟!!!

كان صوتها قد بدأ يرتفع قليلاً ببعض الإنفعال في آخر كلماتها.. بينما  
تسارعت أنفاسها و ارتفعت يداها فجأة لتضرب صدره بقوة بدت أضعف من  
أن تتجح في زحزحته من مكانه.. لكنها كانت قد فقدت البقية المتبقية من  
أعصابها فاستمرت في دفعه هاتفة بانهيـار تام ؛

\_\_ ماذا فعلت لك ؟! ماذا فعلت لأستحق كل هذا أخبرني ؟! ماذا كان ذنبي أنا  
في انتقامك المعنوه ذاك ؟!! ما هو ذنبي ؟!! ما هو ذنبي.....

شعر بأنها قد تنهار تماماً لو استمر الوضع هكذا.. فامتدت يداها فجأة لتثبت  
يديها فوق صدره مانعاً إياها عن دفعه أكثر..



و حينها فقط كانت تتوقف لاهثة حينما هتف بصوتٍ خافتٍ حادٍ و هو يرى  
الأنظار من العامة و التي التفتت تحدجها بفضول ؛

\_ اهدئي.. اهدئي قليلاً.. الجميع ينظر إلينا !!!

\_ لا تلمسني !!!!

هتفت به في نفس اللحظة و هي تنفض يديه بتقرز و تبتعد خطوة للوراء  
ناظرة له بأنفاسٍ تتسارع غضباً و حقداً و ألماً.. ثم رفعت يدها لتمسح دموعها  
بعنفٍ.. قبل أن تهز رأسها قليلاً قائلة بصوتٍ لم يستعد قوته بعد ؛

\_ حسناً.. لك ما تريد.. أنا سأقنع أبي و أقبل بك..

فغز جاد فمه قليلاً باندهاش و كأنه لم يتوقع أبداً ردّها هذا.. رغم أن هذا هو  
الشيء الذي كان يخطط له منذ البداية..

لكنها لم تلمح دهشته.. بل أخذها ذلك البريق الذي برز في عينيه.. بريق  
انتصار و لهفة بدت مشمئزة بالنسبة لها.. و عجز هو عن إخفاءها عنها..  
لكنها تلاشت رغماً عنه حينما انحدرت عيناه لتستقران على ذلك الإصبع  
المحذر الذي رفعته أمام وجهه.. ثم قالت بنبرة و عيد..

كلمات يشكُّ بأنه سينساها في حياته !!

\_ لكن ضع في عقلك.. لن أكون سارة فؤاد الغالي إذا لم أجعلك تبكي دمماً بدل  
الدموع و تندم على كل ما اقترفته في حقي !!

---

لم تدري أيُّ قوة و أيُّ جرأة امتلكتها و جعلتها تقف أمام والدها لتخبره  
بأحمق قرار قد تتخذه امرأة ناضجة لو كانت في مكانها.. فكان أول ردِّ فعل  
جاءها منه..

\_ ماذا ؟!!!!!!!

هتف بها بصوتٍ مرتفع استنكارًا و بعينين متسعيتين بجنون الصدمة.. و كيف لا يكون مصدومًا؟! هذه المجنونة أمامه تطلب منه أن يسمح لها بأن تعود لجاد.. تريد أن تسامح جاد.. بل إنها سامحته!!!

كانت سارة تقف في مقابله في غرفة مكتبه.. حينما قالت بنبرة لا تقبل التراجع و النقاش.. بينما عيناها كانتا متورمتين مرهقتين لأقصى حد.. يوطرهما احمرار يجعل كل من ينظر لهما يجفل للوهلة الأولى..

و هذا ما حدث مع والدها بمجرد أن رآها اليوم.. لكن صدمته بوضعها تداعت تمامًا ما إن فتحت ابنته الكبرى فمها لتعاجله بصدمة أكبر.. لكمة تلقاها قلبه كأب و جسدها نظراته الغاضبة الآن كشخص ينظر و يستمع إلى مجنون..

**\_ جاد يكون زوجي.. أنا لا أطلب المستحيل !**

لم يستطع فؤاد أن يتمالك نفسه الآن فاقترب منها بسرعة ليقبض على ذراعيها يهزها بغضب بينما يهتف شاعرًا بأنه يخاطب مجنونة بالفعل !!  
**\_ هل أنتِ واعية لما تقولين؟! هل ما فعله جاد جعلك تفقدين عقلك؟! هل جنت؟!!!!!!!**

نفضت سارة يديه بغضب مشابه و هي تصرخ في وجهه ربما لأول مرة في حياتها بمثل هذا الانفعال ؛

**\_ نعم جنت.. تعلم أن روحي لن تبرد إلا بأخذ الثأر من ذلك الدنيء ابن أختك.. وسأفعل بأيّ طريقة كانت!!!!**

تلاشى الغضب قليلا من ملامحه ليحل محله الذهول و هو يترك ذراعيها ليقول بغير تصديق ؛

**\_ و تتوقعين مني أن أسانديك و أسلمك إليه بنفسي!!!**  
ابتلعت سارة ريقها بصعوبة و هي تجيب بخفوتٍ مضطرب ؛  
**\_ نعم..**

ظل فؤاد ينظر لها للحظاتٍ بعجز عن الفهم أو الاستيعاب.. و لم يشعر بتلك  
الإبتسامة الغريبة الشديدة الذهول التي ظهرت في وجهه.. قبل أن يهتف بها  
فجأة من بين أسنانه ؛

\_ على جثتي.. سأموت قبل أن أسمح لك !!

لكن سارة بدت في غاية التمرد و العناد.. قالت بصرامة جعلت كلمة الصدمة  
تتخاذل أمام ما يشعر به ؛

\_ أنا لا أطلب الإذن منك !

نظرته التي تلت جملتها هذه.. ألمتها بشدة.. ألمتها لدرجة جعلتها تتمنى لو  
ترتمي بين أحضانه لتبثه كل أحزانها و مآسيها الجديدة و التي لا يعرفها.. لا  
يعرفها أحد للأسف..

لدرجة جعلتها تتمنى لو تعود بالزمن للخلف قليلاً فقط لكانت قطعت كل سبل  
الوصال بين ذلك الرجل الخائن و بين عائلتها.. بينما تردّد والدها قليلا في  
إخراج الحروف.. إلى أن همس بغير تركيز ؛

\_ حقاً !!

أغمضت سارة عينيها بشدة عن ملامحه الحبيبية.. تحارب دموعاً توشك على  
الانسياب مجدداً.. بينما هتف قلبها ملثاعاً..

من أجلك يا أبي.. و الله من أجلك !!

فتحت عينيها مجدداً لتقول بجفاء بينما تشيح بوجهها عنه غير قادرة على  
مواجهة نظرات اللوم و العتاب و الإنكار و الصدمة في عينيها أكثر..

\_ حقاً !

ظلت ملامح فؤاد على حالها.. و اوماً ببطء و عيناها تمتلآن بنظرة غريبة.. ثم  
همس فجأة ؛

\_ هل سيغير رأيي من قرارك !!؟ هل.. لو رفضت ستذهبين ضدّ رغبتى !!؟

هنا فقط.. شعرت بتماسكها يتداعى تمامًا.. فأشاحت بوجهها عنه أكثر شاعرة  
بالدموع تلسع عينيها بشدة.. قبل أن تهمس بصوتٍ بارد استوطنته الغصة ؛

\_ كنت أتمنى أن أذهب برضاك.. لكنك... لم تترك لي أي حل غير ذلك !!

ساد صمت طويل بعد أن قالت ما قالت.. صمت كئيب.. و كأن كل صبره و  
محاولاته المستميتة في ردعها ماتت.. و قد ظنت بالفعل بأنه استسلم..

لكنها تفاجأت به يندفع نحوها مجددًا فجأة ليقبض على ذراعها و يديرها نحوه  
صارحًا بقوة.. مستخدمًا آخر سلاح يمتلكه و لا يمتلكه في نفس الوقت!

\_ إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لك فاسمعيني أنا إذن.. أنت لن تخرجي من عتبة  
هذا المنزل إلا على جثتي.. حتى لو اضطررت لتقييدك و حبسك لا و ألف  
لا.. لن تعود لي لذلك الحقير.. و أنا من سأعاقبه بنفسه لو.....

لم يستطع أن يكمل هتافه.. فقد قاطعته سارة هاتفة بنفس طريقتة و هي تنفض  
ذراعها منه للمرة الثانية ؛

\_ و الله لن تمنعني.. قلت سأذهب يعني سأذهب و أنت ستبقى خارج  
الأمر.. أبي... و إلا.....

زمت شفتيها و كأنها لا تريد أن تكمل تهديدها.. لكن صوت فؤاد الذي خرج  
محفزًا بحدة ؛

\_ و إلا؟! أكملي !!!!

جعلها تستأنف جملتها ناظرة في عينيها بجديّة قاطعة ؛

\_ و إلا فستضطرنني للإستعانة بالقانون ضدك !!!!

صمتت للحظة واحدة ثم أكملت بنفس النبرة.. بدون أن يرف لها جفن أمامه ؛

\_ جاد يكون زوجي بالشرع و القانون.. كما أنني لست مضطرة للإنصياع  
لك.. أنا امرأة ناضجة تعرف مصلحة نفسها جيدًا...

## سارة!!!!!!

سمعت صوت سيلين يأتيها باهتًا بشدة يحمل نفس الصدمة من خلفها.. بعد أن سمعت كل شيء بتخطيط مسبق.. فهي لم تستطع أبدًا أن تجلس صامدة مكانها حينما أتاها صوت صراخهما المفزع من الداخل..

فاقتربت مرغمة لترهف السمع بقلق حتى بعد أن أمرها والدها أن لا تتدخل ما إن طلبت منه سارة أن يتكلما على انفراد قبل قليل..

تمكنت سارة بصعوبة من أن تتمسك بصمودها أمام نقطتي ضعفها الأكبر.. فالتفتت قليلًا لترمق سيلين بنظرة خالية من المشاعر.. ثم قالت و هي تقف بينهما موجهة كلامها لكليهما ؛

جاء سيصل بعد قليل.. لا أريد من أحد منكما أن يتدخل بيني و بينه.. سأصعد لأجهز نفسي الآن.. إذا نزلت ولم أجدكما فسأفهم بنفسي موقفكما و سأرحل بصمتٍ بدون أن تسمعا صوتي...كنت أتمنى حقًا أن أودعكما بشكل لائق !!

ابتسمت ابتسامة شاحبة باردة رأت سيلين ما خلفها من ألم و معاناة.. قبل أن تقترب من الباب الذي كانت تقف سيلين في حاجزه.. لتخرج بصمتٍ متجنبة النظر لها..

فاصطدم كتفها بكتف الأخرى التي تراجعت خطوة فاشلة غير مرئية نحو الخلف.. قبل أن تختفي من أمامهما في لمح البصر..

زفر فؤاد عدة أنفاسٍ ثقيلة مجنونة و هو يسند يديه إلى خصره مغمضًا عينيه بشدة.. عاجزًا عن التصرف.. و قد شعرت سيلين بنفس العجز.. لكنه عجز عن الوقوف هنا أكثر.. فاستدارت بسرعة لتركض باتجاه السلم المؤدي إلى غرفة سارة لاحقة بها..

سارة التي ما إن دخلت إلى غرفتها حتى كانت تغلق الباب بسرعة و تقف مستندة إليه بظهرها.. تنتظر أمامها بعينين جاحظتين بشدة..

هل كانت تتكلم ببرود قبل لحظات؟! الآن تحول البرود إلى نار.. نار هائجة  
اشتعلت بقلبها و حواسها فأطبقت عينيها بقوة هاتفة من بين أسنانها تخاطب  
نفسها بصوتٍ متشنجٍ خافتٍ ؛

\_ لا لا لن أبكي..تمالكي نفسك سارة..تمالكي نفسك..أنت أقوى من ذلك..نعم  
أنت أقوى من كل ذلك..لا لا لن أبكي..لن أبكي..لن.....

ووسط همسها لنفسها بأنها " لن تبكي " وجدت نفسها تجهش في البكاء بألم  
للمرة التي لا تدري كم خلال فترة قصيرة !!!

قبل أن تجفل بقوة حينما سمعت صوت طرق قوي فوق الباب..ثم صوت  
سيلين يأتيها نافذ الصبر لأول مرة ؛

\_ سارة..سارة افتحي هذا الباب حالاً !

لكن سارة لم تفتح فوراً..بل رفعت عينيها الضائعتين لتتنظر أمامها شاعرة  
بأنها على وشك السقوط في حالة إغماء شديدة لشدة تعبها..إلى أن جاءها  
صوت سيلين مهدداً بالحاح أحقق ؛

\_حسناً لا تفتحي إذن لكنني لن أتزحزح من هنا إلا بعد أن.....

انقطع صوتها فجأة حينما انفتح الباب ليظهر من خلفه وجه سارة يحمل نفس  
التعابير التي كان يحملها يوم الأمس فقط.. حينما توقفت في حاجز باب  
الحمام تدعي قوة لا تمتلكها..كما ادعت دائماً !

لم ترمقها بأيّ نظرة أبداً..فقد تركت الباب بكل برود لتتجه إلى المنضدة  
الملاصقة لسريرها حيث كانت تضع فوقها علبة مستطيلة صغيرة استطاعت  
سيلين تكهن فحواها تلقائياً..

فتحتها بأنامل تحكمت بارتجافتها مخرجة الهاتف الجديد الذي كانت قد  
اشترته أثناء طريق عودتها..قبل أن تنخفض لتحمل القديم حيث كان لا يزال  
ملقى فوق الأرض في نفس المكان الذي تركته به سابقاً..

حملته بغاية وحيدة أن تخرج منه البطاقة الصغيرة التي تحمل رقم هاتفها  
لنثبثها في الآخر.. قبل أن تضعه فوق المنضدة ثم تقترب مباشرة من الخزانة  
الأنيقة الخاصة بها..

لا تزال تتظاهر بأنها الوحيدة المتواجدة في الغرفة..

و أمام أنظار سيلين.. ارتفعت قليلاً لتسحب حقيبة متوسطة الحجم من فوقها و  
تضعها فوق السرير بعد أن فتحتها..

ثم عادت تقترب من نفس الخزانة مجددًا لتفتحها هي الأخرى شارعة في نقل  
مجموعة من الثياب بعشوائية إلى حقيبتها.. إلى أن همست تقاطع لحظات  
الصمت الكئيبة تلك بغير مبالاة و هي تشعر بعيني أختها الصغرى تتبعان  
تحركاتها ؛

\_ إذا كنتِ قد أتيتِ لتحاولي إقناعي بالعكس في موضوع مفروغ منه  
فأنصحكِ منذ الآن أن تتراجعي.. لن أغير رأيي !

كانت سيلين تقف عاقدة ذراعيها إلى صدرها.. مستندة إلى حاجز الباب  
المفتوح بكتفها.. تراقبها بنظراتٍ تبدو غير مقروءة ظاهريًا فقط.. أجابت بنبرة  
هادئة ساخرة ؛

\_ لا.. لن أحاول.. أردت فقط أن... أودعكِ !

توقفت أنامل سارة فوق الثياب للحظة بعد أن سمعت كلامها.. بينما تجمدت  
عينها على نظرة غريبة لم تغفلها عينا سيلين كما لم تغفل أيّ من تحركاتها..  
ثم سرعان ما عادت لتكمل ما كانت تفعله بدون أن تبدي أيّ ردة فعل..  
لكن سيلين اختارت أن تنكأ جانبها المهتاج ففتحت فمها مجددًا قائلة بنبرة  
باردة ذات مغزى ؛

\_في حالة الناس الطبيعيين فهم يتعلمون من أخطاءهم الأولى ليصححونها فيما بعد.. لكن الفئة الأخرى.. "الفاقدين لتعقلهم"..تجديهم يكرّرون نفس الخطأ مرارًا بكل غباء !!

هنا..كانت أنامل سارة تعود لتتوقف بنفس الطريقة فوق السلسلة الصغيرة الخاصة بالحقيبة و التي كانت تنوي إغلاقها للتو..

انعقد حاجباها ببطء و هي ترفع رأسها سائلة بشيء من الإندفاع ؛

\_ماذا تقصدين ؟!!

فقط..القليل من الانفعال ما كانت تحتاجه سيلين..فاندفعت إليها بسرعة لتقبض على ذراعيها تهزها بقوة هاتفة أمام وجهها برجاءٍ معذب و حزن تحرّرت كل مقاليد فجأة ؛

\_أخبريني بأنك تكذبين..أخبريني بأنه تمثيل..أنا...أنا أعرفك أكثر من نفسك..و أعلم بأن هذه ليست أنت..هذه ليست أنتِ سارة..ما قلته في الأسفل لم يكن بإرادتك..و ما سيحدث لن يكون برضاك..أنا أعرف أنك تخفين شيئاً..أخبريني الحقيقة الآن..ماذا فعل لكِ جاد ؟!!!! بماذا هددك ؟!!!

قالت سارة بنبرة قاطعة و هي تحرّرت ذراعيها من بين يدي سيلين..بدون أن ترمش بعينيها حتى أمام عيني أختها النافذتين إلى أعماقها لشدة قلقها ؛

\_بلى..كله برضاي..و ما سيحدث أيضاً برضاي.....

لم يكن هناك أيّ مجال صغير حتى لكي تفتتح أختها بهذا الرد المختصر.. فصمتت للحظة واحدة ثم أكملت بقسوة لم تعهدها سيلين منها ؛

\_هل تعلمين ماذا ؟! أنا تعبت..ما فعله جاد معي كان بسبب والدك..لقد كان يجدر بهذا الانتقام أن يكون من نصيبه لا من نصيبي..و أنت من أقنعتني بإعطائه فرصة أخرى..هل تتذكرين جيداً ؟! كنتِ أنتِ!..أنتِ من همس في أذناي بكل تلك الكلمات الشاعرية التي تمدح في جاد..أنتِ السبب..بل

كلاكما...كلاكما دمرتما حياتي !!



كان صوتها يزداد ارتفاعاً بعد كل اتهام جديد ينطقه لسانها.. و قد ارتفع أكثر في آخر جملة حتى كاد أن يتخطى حدود جدران الغرفة.. و كادت شرايين عنقها أن تتمزق انفعالاً..

و لم تتمالك سيلين نفسها أمام كل هذه الإتهامات الصريحة و هي تهتف بها مترجعة خطوة شبه ملحوظة بدون أن تشعر ؛

\_اخرسي.. لا تتجرئي حتى.. أنا؟! أنا من دفعتك لهذه النهاية.. أليس كذلك؟! و والدي بسببه انتقم منك جاد.. أليس كذلك?!

هزت رأسها بانفعال تمكن منها و هي تقول بنبرة إقرار زائفة ؛

\_حسناً نحن كذلك.....

ثم صرخت في نفس اللحظة بنبرة أعلى بدون أن تستطيع منع نفسها ؛

\_الآن أخبريني.. من منا أنا و والدي شجعك على ارتكاب الخطأ معه قبل الزفاف؟!.. حسناً لقد أقنعتك بأن تمنحيه فرصة جديدة و تعترفي له بحبك مع العلم بأنك أيضاً كنت تتمنين ذلك و تفكرين به.. لكن لا بأس.. فلنقل أنا.. لكنك أنت من تصرفت بسذاجة منقطعة النظير عندما سلمته نفسك.. أنت من تخليت عن كل مبادئك و انصعت لعاطفة هوجاء في لحظة ضعف مريرة.. أنت من تناسيت كل الأعراف و التقاليد و تصرفت كما يحلو لك.. أنت من قللت من شأن نفسك و أنزلت من قدرها أمامه.. أنت مهدي انتقامه.. أنت.. أنت تصرفت معه بكل رخص فاعتبرك رخيصة و تخلى عنك.. تصرف معك بكل قذارة لأنك سمحت له.....

\_اخرسي!!

كان هذا دور سارة لتصرخ بنفس الكلمة.. تزامناً مع يدها التي ارتفعت بقوة لتسقط فوق صفحة وجه سيلين بصفعة قوية جعلت وجهها يرتد جانباً.. ثم..... صمت تام!

أغمضت سيلين عينيها بقوة بينما يدها تستقر فوق وجنتها بدون أن تنظر لسارة..و قد بدت كلتا الأختين كمن استفاق من نوبة جنون طويلة أخذت بكل تعقله..خاصة سارة التي ارتجفت يدها بقوة و كأن عقلها يستنكر فعلتها هذه.. امتلأت عيناها بالأسى..و سألت دموعها التي كانت تحاول احتواءها قبل قليل أكثر..و امتدت نفس اليد و كأنها ستلمس سيلين..و كأنها ستربت على شعرها..تلمسها لآخر مرة..

لكنها بدلا عن ذلك وجدت نفسها تلتفت عنها بسرعة مولية إياها ظهرها..سامحة لدموعها بأن تنساب أكثر و أكثر بدون أن تسمح لسيلين برؤيتها..

و هذه المرة..لم تبدو سيلين بنفس ذلك التفهم المعهود..أو لم تقوى..لم تقوى على التمسك في حبال الإقناع الواهية..لم تقوى على الإقتراب منها كما العادة و احتضانها بعد كل شجار صغير أو كبير يحدث بينهما..

رغم أن هذا يعد رسمياً و حرفياً أول شجار حقيقي يدور بينهما!

لم تقوى أيضاً على فتح فمها لا للإعتذار أو للصراخ بها أكثر برفض لكل قراراتها الحمقاء..

فاستدارت بصمتٍ لتغادر مغلقة الباب خلفها بعنفٍ..و لم تكد تفعل حتى كانت تقترب من غرفتها القريبة بخطواتٍ بطيئة مية..كانت هناك طبقة دموع خفيفة بدأت تتشكل خلف جدار عينيها الشبيهتين في لونهما بعيني سارة..

و كأنها توأمها الوحيد في هذه الحياة..نسخة أصغر منها !!

طبقة دموع تحولت إلى دموع حقيقية عجزت عن خنقها بصدرها أكثر فتحررت بقوة مع أول خطوة تخطوها بداخل غرفتها..جالت عيناها في الفراغ و هي تستند بظهرها إلى الباب الذي أغلقته للتو و كلماتها التي أسمعتها لسارة تقتحم عقلها مجدداً كالرصاص !!

لقد... انكسر شيءٌ ما بينهما ! ربما ذلك الود و العطف المعهود.. ربما ذلك  
الرابط غير القابل للإنفصام و المتشكل فطرياً بينهما.. المهم أن شيئاً ما  
انكسر... بسببها !

وجدت نفسها تنخفض ببطءٍ لتجلس فوق الأرض لا تزال تلقي بثقلها على  
الباب المغلق.. و لأول مرة تشعر بهذا الثقل الجسيم يريزح فوق قلبها.. ثقل  
جعلها تشاركُ سارة نفسَ الألم.. و نفس حرارة الدموع!

بينما ظلت سارة متسمة مكانها للحظاتٍ أخرى و كأن العالم توقف  
هناك.. قبل أن تقترب من السرير لتعلق الحقيبة بأنامل ترتعش بشدة مخيفة..

وضعت يدها فوق بطنها في حركة لا إرادية و هي تسقط جالسة فوق  
السرير.. بل في طرفه الصغير كضيفة لم يعد مرغوباً بها.. انحنت برأسها  
المرهق و هي ترفع يدها الأخرى متخللة خصلات شعرها بجنون.. مغمضة  
عينها بقوة شاعرة برغبتها في السقوط تتضاعف أكثر..

لكنها لن تسقط.. ليس الآن على الأقل !

رن الهاتف بجانبها فوق المنضدة فشنته بنظرة خالية من التعابير.. قبل أن  
تمتد يدها الحرة لتلتقطه بدون أن تبعد يدها عن بطنها..

أتاها صوت جاد يقول بهدوءٍ و كأن أيّ شيءٍ لم يكن ؛

\_ أنا أقف أمام الباب.. هل أدخل أنا أم.....

\_ لا.. لا تدخل...

قاطعته بسرعة.. ثم همست بصوتها المختنق الضعيف باستسلام ؛

\_ أنا... سأخرج حالا.. انتظرنى قليلاً بعد..

أغلقت الخط ووقفت مجددًا متحاملة على نفسها لتنزل حقيبتها عن السرير  
بصعوبة..

كانت ترتدي فستانًا أصفرًا رقيقًا يصل حتى مرفقيها..بينما شعرها الناعم  
منسدل نائر بفوضى فوق كتفيها و ظهرها..

ملامحها تبدو ذابلة ميتة..و لم تنسى أن ترفع نظاراتها الشمسية لتؤدب بها  
خصلات شعرها إلى الوراء !!

نزلت السلالم و هي تجر حقيبتها بصعوبة..

كانت تقف في آخر درجة سلم عندما لمحت والدها يخرج من مكتبه ليقف  
هناك ناظرًا لها من مكانه بـ..نظرة فراغ !

لكنها استطاعت أن تلمح بداخلها الكثير الكثير من القلق و العجز و  
القهر..القلق و العجز و القهر عليها هي !!

نصف ابتسامة شاحبة خطت شفتيها و هي تنظر لمامحه كاملة بدون أن  
تغفل عن إنشٍ واحد من وجهه..بابتسامة...و قد أدرك بحدسه..أنها لم تكن  
سوى ابتسامة وداع !!

إن لم يكن وداعًا للأبد فوداع مؤقت !!

أشاح بوجهه أخيرًا عن ملامحها..ثم أغمض عينيه بعذاب..تلك ابنته..ابنته  
التي يقف عاجزًا اليوم عن منعها من أذية نفسها !!

تلك التي كانت تنصاع لكل كلمة منه..تلك التي كانت لا ترفض له طلبًا حتى  
لو كان على حساب حياتها !! اليوم..ترحل ضدَّ رغبته و تقف أمامه لتدافع  
عن من تسبَّب لها بالأذى !!!

أطرقت برأسها أخيرًا و هي تكمل طريقها باتجاه الباب..لكنها توقفت مجددًا  
في منتصف الطريق قبل أن تصل إلة الباب..ثم التفتت تدفعها قوة مجهولة  
المصدر لتقع عيناها مباشرة على سيلين التي كانت تقف أعلى السلم تنظر لها  
بملامح ميتة..و عيون متورمة !!

لم تستطع سارة أن لا ترفع يدها لتشير إليها في حركة خاطفة.. مبتسمة لها  
باعتذار صامتٍ.. فانسابت دموع سيلين ببطءٍ دون أن ترد لها إشارتها أو  
ابتسامتها..

إلا من ملامح ميتة يتخللها الكثير من العتاب !!

و رأت بعينيها أختها الوحيدة و هي تلتفت عنها أخيراً.. لتفتح الباب و تخرج  
بكل هدوء مغلقه إياه وراءها بنفس الهدوء !!

لكنه كان هدوءًا زائفًا سرعان ما تلاشى تمامًا بتلاشيها..

فاستدار فؤاد عائداً إلى مكتبه إلى أن اختفى بداخله مغلقاً الباب بعنفٍ.. و  
سقطت هي جالسة فوق درجة السلم التي كانت تقف عليها.. مسندة رأسها  
إلى عمودها بيأسٍ..

معلنة عن آخر ذرة لتحملها !!

---

## " الرmq الثامن ؛ ملكي أنا "

كان يقف مستندًا بظهره إلى سيارته السوداء.. ينقل عينيه بين الحين و الآخر  
بين ساعته المطوقة لمعصمه و الأنحاء الخالية إلا منه..

رمق الساعة بنظرة أخرى تخللتها تهيدة طويلة.. و ما كاد أن يرفع رأسه  
مجددًا حتى...لمحها !

كانت تمشي بخطواتٍ بطيئةٍ مترددةٍ و قويةٍ في نفس الآن باتجاهه.. تسحب  
حقيبتها المتوسطة الحجم و التي لا بد بأنها تحتوي كل أغراضها المهمة و  
التي ما عاد مكانها هنا.. بل في بيته هو !

ذقنها مرفوع كما اعتاد.. حاجباها معتفكان سويًا في خطٍ متشابه.. لكن جفناها  
منحنيان بضعفٍ غير الذي اعتاد !!!

جالت عيناه على وجهها.. ملامحها ذابلة جدًا تفوق ما كانت عليه في الصباح  
! كانت تبدو في تلك اللحظة كمن فقد روحه مضطرًا.. فماتت كل مشاعره  
بعدها !!

هو حتمًا لم يرها بهذا الشكل من قبل !

ارتعشت رموشه قليلاً و لسان حاله يتساءل..

هل...تشعر بالدوار؟! هل هي متعبة إلى هذا الحد؟! !!

تبًا إنها تبدو رغم حدة تعابيرها و توازن خطواتها كمن على وشك السقوط  
في أي لحظة !!

لهذا وجد نفسه يندفع إليها مسرعًا بدون أن يشعر.. لتمتد يده بغية إعفاءها من  
ثقل حقيبتها.. لكنها رفعت رأسها نحوه في نفس اللحظة و قالت برفضٍ و  
نفور في وجهه ؛

\_ابتعد..

زفر جاد و هو يقول ببعض الرفق بينما هذا التعب الذي يفترس ملامحها لا  
يزيده إلا قلقًا ؛

\_ أنتِ تبدين متعبة جدًا.. دعيني أستلم ثقلها عنك !

نقلت سارة عينيها بينه و بين الحقيبة قليلًا.. قبل أن تهز رأسها بتفهم زائف  
لتركها و تتجاوزها متجهة إلى السيارة لكن بنفس ملامحها الحادة الكارهة..  
وقفت بجانب الباب الخلفي لسيارته عاقدة ذراعيها أمام صدرها.. ناظرة إلى  
البعيد بينما هو منشغل بوضع الحقيبة في صندوق السيارة..

إلى أن اقترب منها ليفتح الباب بعد أن تأكد بنفسه بأنها لن تفعل.. و ربما  
تقضي اليوم كله واقفة هناك منتصبه الظهر بنفس الطريقة لو لم يفعل بنفسه !  
لم ترمقه بأيّ نظرة جديدة.. فقد سعدت على مضض و هي تتظاهر بالجمود  
و القوة.. تتظاهر فقط !

أما الحقيقة التي لا يمكن أن تنكرها أمام نفسها أنها كانت تشعر... بالخوف !!  
نعم.. تشعر بالخوف منه !!

فجاد الذي يجلس أمامها الآن ليس جاد ابن عمته المهووس الذي اعتاد أن  
يلاحقها في كل مكان في الماضي.. أو جاد الذي عاد بعد ثلاث سنوات ليعثر  
كل هدوء مشاعرهما و يقحمها في دوامة حبه من جديد !!

إنه جاد الذي خانها.. الذي خدعها.. جاد الذي تركها في العلن و لم يسأل عنها  
!! الذي شوه سمعة والدها و سمعتها بعده.. الذي تركها يوم زفافها تنتظره  
بثوبها الأبيض..

لتستوعب بعدها أنها لم تكن تنتظر سوى السراب.. و أنها بالنسبة لجاد لم تكن  
سوى وسيلة لإنتقام لا تعرف هل انتهى.. أم أنه ينتوي أن يذيقها أنواعًا أخرى  
من العذاب !!!

كان الطريق طويلاً..طويلاً جداً..فهو كما أخبرها مرة من قبل يعيش في العاصمة..مدينتها الحبيبة التي تحتضن مكان عملها و منزلها الدافئ..

لكنها هذه المرة ليست متجهة إلى منزلها..بل إلى مكانٍ مجهول لن تلمح فيه سوى صاحب هذه الملامح التي ما عادت تقوى على التحديق فيها بدون أن تهزمها رغبة عنيفة بالتقيء !

فكرة كونها ستعيش معه تحت سقف واحد لوحدها باتت مؤذية جداً..أن تنام و تستيقظ على وجهه..أن تقابل نظرات الفوز و الإنتصار في عينيه كل يوم..أن تسمع صوته بنبرته الرخيمة القاسية جداً..و الدافئة في أحيانٍ قليلة جداً !

كانت عازمة على أن تبقى نفسها مستيقظة مهما حدث..هي لن تنام هنا..لن تترك نفسها طعمًا لهذا -الذئب- المتلف لرؤية ضعفها..

لن تترك نفسها له !

لكن كل محاولاتها لاقت فشلاً ذريعاً..فشعرت بالإرهاق يفتكُ برأسها و إدراكها أكثر..و بعينيها تتوسلان عقلها منحهما رحمة الإنسدال و النوم و لو قليلاً..

و بدون تخطيط مسبق منها وجدت نفسها تميل على النافذة إلى أن أصبحت تستند عليها بجبهتها مراقبة حركة الشارع الهادئة بعينين لا تميزان تفاصيل الألوان عن بعضها البعض..

ارتفعت يدها إلى بطنها ممسدة برفق و كأنها تحاول أن تملأ عقلها بتلك الحركة..و تقنع نفسها بأنها ليست وحيدة معه.. هي تذهب معه اليوم و برفقتها روح صغيرة منه..روح لا يعلم بوجودها و لا هي تملكُ أيَّ رغبة في إطلاعه على حقيقة وجودها..

كانت عيناها تنغلقان و تنفتحان بأمر من عقلها في دوامة متتالية سخيفة..إلى أن أغمضتهما نهائياً مستسلمة لوهن جسدها..أو جسدها من استسلم لوهن صاحبه..دون أن تدري بأنها كانت شبه مراقبة من طرفه !!



فهو لم يستطع أن يمنع عينيه من رمق المرأة الصغيرة التي تعكس صورتها إليه بنظرة خاطفة في كل ثانية.. إلى أن سحبها تلايبب النوم إلى دوامتها ببطء.. فزفر نفساً طويلاً مستمراً في مراقبتها حتى بعد أن نامت بضمير.. أو بانعدام ضمير !

بعد دقائق ليست بالطويلة توقفت سيارته أمام " السوبر ماركت " .. فنزل بسرعة متوجهاً إليه.. ليعود بعد قليل و في يده كيس بلاستيكي يحتوي بعض الحاجيات المنزلية وضعه في المقعد الخلفي بجانبها..

ثم جلس هو الآخر... بجانبها !!

جلس ببطء تاركاً عينيه عليها.. غير قادر على منع نفسه للمرة الألف من تأمل ملامحها الساكنة الذابلة بلهفة رغماً عنه !!!

لا يستطيع أن يصدق أنها أصبحت ملكه أخيراً.. ملكه بدون قيود.. بدون عائلة.. بدون إزعاجات... هي و هو فقط !!!

يعلم أنه كان قاسياً جداً في انتقامه.. لكنه أيضاً لم يخطأ.. إنه انتقامه الذي أجله طويلاً.. انتقام لم يقتنع بوجوبه إلا بعد أن واجه أكبر حقيقة مريرة في حياته.. أن قيمة البشر مرهونة بقدر المال الذي يملأ جيوبهم.. أنه ليصل إلى غايته عليه أن يتصف بالقليل من الذكاء و المكر و الخداع !!!

أن سارة حبيبته الصغيرة التي لطالما جابهت تسلطه بقوة ليست سوى أمنية بعيدة المنال جداً على شاب لا يستطيع أن يكسب قوت يومه حتى.. شاب لا يملك من هذا العالم إلا حبها و الكثير من الصفات السيئة التي زرعتها به الحياة..

إن الفضل في إدراكه لكل ذلك يعود لأبيها بالطبع.. ذلك الرجل الذي وقف أمامه ذلك اليوم ليمنحه نظرة مغلقة بالجفاء.. و بحنية رآها زائفة.. ليطرده بأكثر طريقة لائقة..

و ما كانت الحجة !؟

أنهما لا يزالان صغيرين و أنها لن ترتبط قبل أن تكمل دراستها.. و أنه شخص عنيف متسلط لن يفهمها و يسعدها.. فغيرته غير الطبيعية قد تجعله يؤذيها...!

فهو على كل حال لم يكن غافلاً عن تصرفاته معها.. لكنه كان يتغاضى في أحيانٍ و يتجاهل في أحيانٍ أخرى.. من أجل ابنته التي كانت تدافع عنه دائماً و تبرئه من كل أفعاله الهوجاء.. و أحياناً من أجل روح أخته الوحيدة التي تكون والدته !

لينتهي النقاش بأن عرض عليه خاله بأن يمنحه حصة من ماله يكون نفسه بها.. على وعد كاذب بأنه ما إن يصبح مسؤولاً و قادراً على توفير كل ظروف العيش لها كما في منزل والدها سيوافق على علاقتهما..

لكن جاد بعناده الأسطوري و عزة نفسه لم يرتضي لنفسه هذا الذل.. ذلك الإرث من حقه و إذا ما أراد استعادته فلن يطلبه منه..

ليس جاد مراد من يقبل بالصدقة.. خاصة من خاله الذي يكرهه أشد الكره !

تنهد و هو يعود من شرود ذكرياته الكئيبة البائسة.. ثم التفت مجدداً لينظر لملامحها النائمة بسكون تام.. بضعف تام.. هذا هو انتقامه الذي سعى له منذ البداية.. و الذي لأجله عاد.. لأجله.. و لأجلها !!

سارة لن تكون سوى له.. من هذه اللحظة هي ملكه فقط.. لن ترى سواه.. لن تلجأ لغيره !

امتدت أنامله ببطء لتزيح بعض الخصلات المتمردة من فوق خدها برفق شديد.. بينما تاه عقله إلى فكرة غريبة أقر فيها باستحالة وجود حياته من دونها.. إنها رغم كل شيء.. و قبل و بعد كل شيء تنتمي له..

مهما كانت خفقات القلب متسارعة مؤذية فهي تبقى مرهونة به.. و مهما كان القلب عليلاً فهو لن يموت إلا بتلاشي خفقاته.. لا يستطيع القلب أن يعيش بدون -دقات القلب- !

و هي تمثل له خفقات قلبه.. مهما تسبب لها من أذى.. و مهما كُنّت له من حقد  
فخفقاتها باقية على إخلاصها لقلبه.. إنه قدر لا يستطيع أحدهما الهروب أو  
التملص منه..

سارة خلقت من أجله.. و هو المثل!

كلاهما يعلمان و يدركان ذلك.. لكنها للأسف انصاعت لمغريات الحياة و  
تناست مكانها الحقيقي بين ذراعيه..

و هو كانت مهمته أن يعيدها لذلك المكان.. ليجعلها تفهم من هي و من هو.. و  
لمن تنتمي حقًا !!

كان يجب أن تستوعب أن وجودها معه أمر مسلم به.. سواءً شائت أم -أبت-  
ستكون معه !!

انتفض من شروده على صوت مزمار السيارة خلفه.. فرمق الضوء الأخضر  
الذي ينبهه على التحرك قبل أن يتركها ليستقر أمام المقود منطلقًا مجددًا في  
طريق طويل..

ساعات أخرى.. و كانت تتوقف سيارته أمام تلك البناية الطويلة حيث تقبع  
شفته في الطابق الخامس.. التفت إليها فوجدتها لا تزال على وضعها نائمة في  
سكون..

لاح شبح ابتسامة خفي على شفثيه سرعان ما تلاشى و هو ينزل ليفتح باب  
المقعد الخلفي.. امتدت أنامله لتحركها قليلا مرتبة على كتفها لكنها لم تستجب  
بل ظلت ساكنة و كأنه لم يلمسها..

و قد كان سكونها ذاك يصب في مصلحته في الحقيقة.. فمال عليها بهدوء  
ليحملها بين ذراعيه.. انعقد حاجباه ببطءٍ و هو يلاحظ سكون أنفاسها  
المريب..

إنها حتى لم تتحرك.. لقد كان قد استعد لهجوم مفاجئ منها عندما تستيقظ فجأة  
فتجد نفسها محمولة بين ذراعيه !

توجه نحو البناية بخطواتٍ مسرعة.. و قد اختار أن يصعد السلالم مستعجلاً بدون أن يستقل المصعد.. و لحسن حظه لم يقابل أيّ أحد هناك..

كان يقف أخيراً أمام شقته عندما أخرج المفتاح بصعوبة من جيب بنطاله ليفتح الباب و يغلقه بقدمه.. قبل أن يقترب من الأريكة الوثيرة إلى أن وضعها عليها برفق..

ثم وتش على ركبتيه أمامها ملتقطاً بقلق أناملها الباردة بين يده.. بينما شرعت يده الأخرى في التربيت على خدها ببعض القوة منادياً باسمها لعدة مرات.. لكنها لم تستيقظ !!

زفر بنفاد صبر و هو يقف بسرعة ليخرج هاتفه من جيب بنطاله و في نيته الإتصال بالطبيب.. لكن صوت تأوه رقيق منها جعله يتراجع.. ثم التفت إليها بسرعة فوجدها توشك على الإستقامة بصعوبة..

اقترب منها سريعاً ليجلس بجانبها.. يراها و هي ترفع يدها لتفرك صدغها حيث مصدر الألم.. و لم تكد تستوعب نفسها جيداً حتى فوجئت بذراعه الذي التفت من حولها مرتباً على كتفيها برفق..

أغمضت عينيها لثانية واحدة استعادت فيها البعض من قوتها.. قبل أن ترفع يدها لتمسك بيده بغاية إبعادها عنها فقط.. فتراجع جاد قليلاً أمام حركتها التي بدت مهينة جداً..

لكن عينية وقعت فوراً قبل أن ينجح في التعقيب بأيّ كلمة على يديها اللتين كانتا ترتجفان بشدة.. ارتجافة حاولت باستماتة أن لا تكون ملحوظة له أبداً.. لكنه لمحها و رق قلبه رغماً عنه...

أغمض عينية بما يشبه الإنفعال للحظة واحدة.. ثم فتحها لينظر لها مجدداً.. كانت أنفاسها متلاحقة بشدة تكاد تختنق.. تشعره بأنها على وشك الموت..

و مع ذلك فقد استندت بيديها على طرف الأريكة في محاولة عنيدة.. واهية  
جداً للوقوف.. لكنها وجدت نفسها عاجزة حتى عن ذلك و التعب ينال منها  
أكثر..

حينها لم يشعر بيده التي عادت تمتد على وشك لمسها.. لكنه لم يكذب يفعل حتى  
وجدها تنتفض فجأة و كأن يده أفعى ستلسعها.. نظرت له نظرة مزجت ما بين  
الغضب و شيء يشبه.. التوتر أو الخوف !!

\_ لا... تلمسني !

قالت من بين أسنانها و كأنها تلقي بشتيمة قبيحة في وجهه.. لكن عقله لم  
يلتقط أو يركز في جملتها.. بل أجاج من قلقه صوت أنفاسها المتسارعة و  
عيناها الغائرتين و كأنها على وشك فقدان الوعي مجدداً..

هل تؤثر بها المسافات الطويلة إلى هذا الحد؟!

هذه المرة امتدت يده لتمسك بيدها ببعض القوة و قال في وجهها بانفعال  
خافت ؛

\_ لا تخافي مني سارة.. أنا لن أؤذيك بعد ، أعدك !

رمقت يده بنظرة خاطفة مليئة بالإزدراء و الكره.. قبل أن تنتزع كفها من  
تحتها بقوة.. و ما إن رفعت أبصارها لتقابل عينيه.. همست بنبرة تقطر الماء  
رغم كل القوة البارزة في عينيها المتحجرتين بدموع مكتومة ؛

\_ لقد فعلتها من قبل.. لقد آذيتني ، لماذا لن تفعلها مجدداً !

بهتت عيناها بشكل مفاجئ جعل حاجبها هي من ينعقدان الآن ببطء.. ثم همس  
و كأنه يحاول إقناع نفسه بحقيقة غير موجودة.. قال بصوت شاحب شبه  
مسموع و كأن الحروف تعجز عن التجمع بداخل فمه ؛

\_ لأنني... وعدتك !!

ظلت تنظر له بصمتٍ..صمتٍ يحتوي قسوة شديدة مكتومة.. ثم هزت رأسها  
مبتسمة بسخرية مريرة..قبل أن تحت نفسها على الوقوف بقوة..  
لقد أصبح الألم فظيماً لدرجة لا تطاق..لدرجة تدفعها للشكِّ في قدرتها على  
الصمود بعد !!

لكنها تستطيع التحمل..تستطيع بالطبع إخفاء كل ألمها و إرهاقها الجسدي  
عنه..جاد لا يجب أن يعرف أنها حامل..هي لن تمنحه هذه الفرحة أبداً..  
هذا الطفل هو الدليل القاطع على خسارتها المقيتة أمامه..هذا الطفل لن يكون  
سوى ثمرة لحبها الغبي و انتقامه اللعين !!

لكنها لن تفرط فيه أبداً..هذا الطفل من حقها هي..هي فقط..

لو كان الأمر بيدها لما كانت هنا..لكن والدها الحبيب لا يستحق ذلك..لا  
يستحق أن يخسر كل شقاء و تعب عمره لأجلها..كما أنها تريد أن تذيقه من  
نفس كأس العذاب حينما تتركه -هي- هذه المرة !!

جاد المهووس لم يتغير..لا يزال يعشقها بجنون..لكن رغبته في الإنتقام  
داست على حبه و فازت !! و الآن ينوي كسبها من جديد !! ليس لأنه يريد  
حبيبة له..بل "خاضعة" له..يريدها مستسلمة مكسورة الجبين !!  
يريدها و هو يعلم بأنها لم تعد تريد !!

لقد تركها حينما كانت مستعدة لترك العالم وراءها من أجله..و الآن و قد  
أصبحت تكرهه أصبح هو يريدنا !!! و المطلوب منها أن تنسى كل شيء !  
لكنها لن تنسى..و الله لن تنسى..لن تنسى وعوده الكاذبة التي خلف بها..لن  
تنسى نظراته النادمة التي أجاد تمثيلها..لن تنسى دموعها التي سقطت حباً و  
تأثراً أمامه و تجاهلها..

رجاءها له مرارًا بأن لا يخذلها..ثققتها التي خانها بكل برودة دم.. كرامتها التي طعنها بكل قسوة..شرفها الذي أصبح علكة تلوكُ بها أفواه الناس بسبب تركه لها يوم زفافها..

لن تنسى كلمات رسالته و ما حملته من وعيد و سخرية و قسوة باردة..لن تنسى..لن تنسى...و لن تغفر !!

لم تدري بأنها أثناء شرودها كانت أناملها قد أخذت تعصر بطنها حيث يصدر الألم الفتاك بقوة..إلا حينما جاءها صوته يسأل بتوجسٍ قلق ؛

\_ أنت بخير ؟! هل تشعرين بالألم هناك ؟!!

اتسعت عيناها بقدر ضئيل و هي تنزل يدها و كأنها استوعبت للتو حركتها تلك..ثم هتفت بنبرة عدائية في وجهه ؛

\_ سأكون بخير إذا تركتني و شأني !!!

نظرت حولها سائلة بضيق ؛

\_ أين هي غرفتي ؟!

و لم تتفاجئ أبدًا حينما سمعته يردف مصحّحًا ببطء ؛

\_ تقصدين...أين غرفتنا ؟! و الجواب إنها على يمينك !

رأى الجنون يشتعل بعينيها بشدة و هي تكرر خلفه باستنكار رغم اضطراب عينيها و صوتها ؛

\_ غرفتنا ؟!!!

قال جاد بجدية تامة..بحزم جعلها تقف أمامه مندهشة ؛

\_ نعم..هل أقول شيئًا غريبًا لا سمح الله..أنتِ زوجتي على سنة الله و رسوله  
!

كان يتكلم بثقة شديدة.. لكن تلك الثقة لم تجعل حواسها تهتز عن قوتها  
أبدًا.. ابتسامة مذهولة ساخرة.. مريرة جدًا شقت شفيتها و هي تميل برأسها  
قليلا مكررة ؛

\_ زوجتك؟! زوجتك التي أخذتها بالخداع؟!!! زوجتك التي تركتها في يوم  
الزفاف.. التي هدّتها بأملك أبيها!.. زوجتك التي تكرهك أشد الكره و التي لا  
تريدك.. هل هذه هي الزوجة التي تتحدث عنها؟! إن كان الأمر كذلك بالفعل  
فحسنا.. هيا.....

أشارت بيدها إشارة لم تبدو و كأنها ذات معنى أمره بسخرية ؛

\_ دلي إلى غرفتنا !

تجمد جاد مكانه تمامًا على نظرات باهتة و كأنها لكمته.. و كأنه لم يتوقع أبدًا  
كلامها هذا.. و كأنها معلومات جديدة عنه تزوده هي بها الآن !

ثم و بصمت تام تجاوزها ليتهاج إلى غرفة معينة.. قبل أن يفتحها.. ثم قال  
بدون أن ينظر لها بنبرة تخفي الكثير ؛

\_ هذه هي...

ظلت سارة متسمة مكانها ترفع أحد حاجبيها بغير تساهل.. فنظر لها ليقول  
ضاغطًا على أسنانه بعصبية مكتومة ؛

\_ غرفتك !

حينها فقط.. كانت تقترب مشيخة بعينيها عنه.. و ما إن خطت خطوة واحدة  
بداخل الغرفة.. التفتت مجددًا لتنظر له من مكانها بينما كان لا يزال يمسك  
بطرف الباب و كأن فكرة تركه له لم تعد مرجحة بعد..

ارتجفت أطرافها بشكل خفي و هي تشعر بخوفٍ سخيف يتسلل إليها  
مجددًا.. و خافت.. خافت بشدة أن تفقد قوتها أمامه.. أو أن يغير رأيه في لحظة  
خاطفة و... و يؤذيها !



كان يراقب كل حركة تصدر منها.. ينظر لها بتركيز و كأنه مترصد حريص على اقتفاء كل تعابيرها على حدا.. اهتزاز حدقتيها.. ارتعاشة شفتيها.. تسارع خفقاتها.. تهدج أنفاسها..

رغبتها المائلة في عينيها بالإستلقاء فقط.. باعتكاف بعض النوم الذي قد يجلب لها راحة لا يمكن أن يجلبها وجوده معها أبداً.. لم يعد يجلبها وجوده معها !  
انفتحت أنامله بتردد إلى أن ترك الباب على مضضٍ.. فاتخذ كفه موضع يده.. و لم تفكر مرتين و هي تغلق الباب في وجهه بقوة لتستند عليه ناظرة أمامها بحدقتين متسعيتين بشدة..

رفعت يدها إلى صدرها تحتوي فؤادها الخافق بهستيريا شاعرة بالرعب يدب في جسدها..

لقد كانت هذه اللحظة هي أكثر لحظة تخيلتها و خافت منها.. لا تصدق بأنها استطاعت مواجهته لوحدها.. لكن المهم أنها استطاعت... و ستستطيع دائماً !!

---

دخلت سيلين " كافيهِ " الجامعة لتجلس في مكانها المعتاد.. كما تحب دائماً هي تختار طاولة بعيدة قليلاً عن باقي الطاولات.. فتكتفي بأن تحتسي قهوتها و تفكر في هدوء بينما تنظر لحركة الشارع من خلف النافذة الزجاجية بجانبها..

لكنها اليوم لم تحظى بذلك الهدوء.. فقد دمره أحد الأغبياء الوقحين الذين يدرسون معها.. رفعت رأسها بسرعة لتلتقي بعينيهِ المبتسمتين و هو ينظر لها بعد أن ألقى بجملة غبية بنبرة استئذان بالغة الأدب ؛

لو سمحت.. هل هذا المقعد فارغ ؟!

كانت ملامحها شاحبة للغاية.. عيناها الشبيهتين بعيني سارة ذابلتان لكنهما جامدتان أيضاً رغم الألم الذي تعنصره بداخلها..

زمت شفتيها بغضبٍ رغم الحزن الذي يحيط بملامحها و هي تلتفت للجهة الأخرى مجددًا..دون أن تسمح له بالجلوس أو تطرده !!

هذا الشاب تحديدًا لا ينفكُ يلاحقها منذ بداية الموسم الدراسي..دائمًا ما كانت تلمحه من بعيد..و علمت أنه يلاحقها.. لكنه لم يتجرأ يومًا و يكلمها شخصيًا.. لكنه هذه المرة تجرأ..ربما لأنه لم يعد يراها هنا..فهي لم تأتي إلى الجامعة منذ فترة !

\_ هذه هي الدروس التي فاتتك..!

التفتت بحدة مع جملته هذه لتتظر له باستغراب..بينما كان يمد لها كتابًا كبيرًا يزعم كما قال بأنه دون كل المحاضرات فيه..لأجلها !!  
عقدت حاجبها بعدم فهم..فابتسم بخفة و هو يردف موضحًا بنبرة أقرب إلى البلاهة ؛

\_ تعلمين بأن الإمتحانات اقتربت جدًا لهذا فكرت بأنك ستحتاجين لها.. نظرت له سيلين بتشوش..ثم قالت تضيق عينيها بنبرة لا تبشر بالخير أبدًا ؛  
\_ عفوا !! هل طالبت أنا منك أن تدون لي أيّ محاضرات ؟! هل أعرفك أصلا ؟!

ظل الشاب اللطيف الملامح ينظر لها بنفس ابتسامته العريضة البشوشة..ثم قال بكل رصانة ؛

\_ حتى و لو..نحن زملاء في نفس الصف و هذا واجبي !!

نقلت سيلين عينيها بينه و بين الدفتر بحيرة..بينما عجزت شفاتها عن لفظ أيّ حرف..أيّ مجنون هذا !! هي لا تزال حتى الآن تحت تأثير كل الأحداث التي حدثت معهم في الفترة الماضية..خاصة آخر حدث!

تشعر كمن تمّ انتزاع روحه منه عنوة.. لا تزال ملامح سارة المودعة مرتسمة في مخيلتها.. ثم ظهرها المنصرف بينما تبتعد عنها لتختفي في رمشة عين.. دون أن تستطيع توديعها بشكل لائق حتى !

و ليّتها فعلت !

ليّتها دهست على ذلك الكبرياء اللعين و اندفعت إليها لتعانقها بقوة.. لكن لحظة.. أيّ كبرياء؟! تباً للكبرياء.. إنها أختها!!!

لم يكن كبرياءها من منعها من ضمها إليها بقوة.. بل كان خوفها الشديد عليها.. وكلماتها الجارحة التي رمتها بها في لحظة غضب.. هي... كرهت نفسها لأنها أدتها !

لكن كل ذلك كان بغير قصد.. يشهد الله أنها لم تقل ما قالت إلا و في نيتها ردعها عن ما تنتوي..

لكن كل محاولاتها بيّست و رحلت سارة !!

و كأنما ذهبت و أخذت معها كل شيء.. و لم تترك لهما هي و والدها سوى الأسى و القهر و الفراغ.. ذلك -الفراغ- الذي جعلها تستجمع طاقتها المتبقية لتجهز نفسها و تأتي للجامعة رغبة في الهرب من جو المنزل الكئيب فقط..

و من يعلم.. ربما تستيقظ من هذا الكابوس المرعب فتعود لتجد أختها تجلس في مكانها في غرفتها أمام الحاسوب.. أو ربما تقف في شرفتها المفضلة لتتبادل أطراف الحديث الوهمي بينها و بين عصفورها.. بل عصفوريتها !!

\_تفضلي !!

انتفضت من شرودها على ذلك الصوت الهادئ لذلك الشاب أمامها ينبهها مجدداً.. فزفرت مستسلمة بضيق و هي تأخذ الدفتر منه..

لا.. ليس لأنها محتاجة له...

هي فقط تريد التخلص من هذا الأحمق الجالس أمامها.. لكن غايتها لن تتحقق  
بسهولة على ما يبدو !

اتسعت ابتسامته المتسعة أساسًا بسعادة رغم بعض الخجل الذي تستطيع  
تمييزه بسهولة في ملامحه.. قبل أن تمتد يده إليها أثناء همسه بأدب ؛

\_سليم الهادي..

صافحته سيلين على مضضٍ و هي تهمس بفتور ؛

\_سيلين فؤاد الغالي..

\_أعلم..

قالها ببساطة مهلكة و عيناه عليها بهيام.. فارتفع حاجباها معًا بذهول  
حاد.. لكنه بدا في غاية الثبات و هو يقول شارحًا ؛

\_نحن في نفس الصّف.. هل نسيتِ ؟!

يا إلهي.. هل هي حمقاء ؟!

هزت رأسها بإدراكٍ.. ثم تنهدت و هي تقف أخيرًا لتلتقط حقيبتها من فوق  
الطاولة.. لكنها سمعت صوته يقول بلهفة بينما يقف هو الآخر ؛

\_هل ستذهبين ؟.. أنتِ لم تشربي شيئًا بعد !!

أغمضت سيلين عينيها للحظة.. ثم قابلته بنظرة حملت كل فظاظة العالم و هي  
ترد بابتسامة لا معنى لها ؛

\_لا أريد.. اشرب أنتِ..

ثم استدارت عنه لتستأنف طريقها نحو الباب إلى أن غادرت بدون أن تلقي  
نظرة أخرى عليه.. و لم تكذ تفعل حتى كانت ابتسامته تعود لتخط شفثيه  
بتأني..

عاد يجلس في مكانه بهدوء.. قبل أن تمتد يده إلى حقيبته الجامعية مخرجًا منها دفترًا جديدًا.. لكنه لا يشبه الذي أعطاه لها أبدًا.. فقد كان دفتر أسود بغلاف ورقي صلب أنيق.. يبدو كالمذكرة أو ما شابه..

فتحه برفقٍ مقلّبًا صفحاته بهدوء إلى أن وضعه على صفحة فارغة ليخرج قلمه من جيب قميصه الأبيض و تشرع أنامله في الكتابة بهدوء..

" و كلمتها و كلمتي.. "

كلمات فحواها سطران لكنها ألهمتني..

فكم من أيام و شهور قبل أن ألامس يدها فانتني..

و كم من أيام استغرقتها في مراقبتها أرهقتني..! "

\_ ماذا تشرب سيدي !!?

رفع رأسه بسرعة على صوت النادل الذي جاء متأخرًا جدًّا.. فأغلق الكتاب ليعيده إلى مكانه في محفظته.. ثم قال بابتسامة واسعة لطيفة ؛

\_ قهوة بدون سكر من فضلك !

---

دلفت إلى المنزل بروح متعبة.. تجر أقدامها بصعوبة بالغة.. جالت حدقتها بتمعن فوق كل جدران المنزل الكبير الخالي.. فوالدها منذ الأمس لم ترى وجهه.. و لا تعلم هل غادر مكتبه بعد أن خرجت أم أنه لا يزال يحبس نفسه بداخله منذ لحظة رحيل أختها !

أخرجت هاتفها من جيب معطفها الأسود و هي تنظر له بتردد..

" سارة !!!! "

ابتسمت ابتسامة باهتة حزينة و هي تتذكر آخر نظرة لها قبل أن تنسحب و تخرج بكل هدوء.. ما يخيفها حقًا أنها حتى الآن لا تزال مقتنعة أن هناك خطب ما في الموضوع غير الذي أخبرتهم به..

ماذا إن كانت مضطرة؟! لكن كيف؟!

ما الذي قد يرغم أختها على الإنصياع لذلك الرجل الخائن مجددًا و العودة إليه؟! هي لا يمكن أن تصدق أيّ من أذارها التي قالت.. لم تكن سارة غبية يومًا حتى تكون اليوم!

لم تكن لتعود له بأيّ وسيلة كانت.. هي ستختار الموت حتمًا عن أن تخسر ما تبقى لها من كبرياء!!

رفعت يدها الأخرى لتمسد جبهتها بإرهاقٍ لكنها توقفت في الهواء و هي تلمح ذلك الدفتر..

" حتى و لو.. نحن زملاء في نفس الصف و هذا واجبي! "

زفرت بتعب و هي تلقي به فوق طاولة الأكل بغير اهتمام لتتوجه بخطواتٍ بطيئة خاملة إلى السلم.. لكنها غيرت طريقها في آخر لحظة و اتجهت للمطبخ..

\_ هل تريدين شيئًا أنستي؟! \_

نظرت سيلين إلى المرأة البشوشة الواقفة أمامها " صفاء " قبل أن تسأل عاقدة حاجبيها ؛

\_ ماذا تفعلين هنا؟! \_

لم تجب المرأة فورًا فقالت سيلين متداركة بتشوش ؛

\_ أقصد... أين باقي الخدم؟! لماذا لا أرى أحدًا هنا؟! \_

حينها فقط كانت تتحدث الأخرى فأجابت بأدب ؛

لقد صرفهم السيد فؤاد جميعهم و لم يتبقى سواي..

اومأت سيلين بغير تركيز و هي تهمس بينما تحكُّ طرف جبهتها ببعض التعب..تستطيع أن تتفهم تمامًا هذا القرار من والدها بعد رحيل سارة !

حسناً صفاء..هلاً حضرت لي فنجائاً من القهوة و أحضرته لغرفه.....

توقفت و كأن عقلها قد تذكر شيئاً ما فجأة..قبل أن تستأنف مصححة جملتها بابتسامة باهتة ساهمة بعض الشيء ؛

أحضره لغرفة سارة !!!

---

## "الرمق التاسع؛ حقيقة"

كيف أصبحتِ؟!

كان هذا صوته البارد بينما يقف أمام صنوبر المياه في المطبخ يهم بمسح بعض الأطباق ليرتب فوقها بعض الأكل الذي يبدو أنه اشتراه من الخارج !!

فقد استيقظت سارة هذا الصباح بروح مثقلة جدًا لتجد نفسها وحيدة في المنزل..و حينما حاولت فتح الباب وجدت أنه مغلق من الخارج !!

لكنها في الحقيقة لم تستغرب..فهي بعد أن توقعت منه الأسوء..لم يعد يثير استغرابها أيُّ تصرف يصدر منه !!

لهذا فضلت أن تتجاهل كل شيءٍ و دلفت إلى الحمام المرفق بغرفتها لتغتسل و ترتب ثيابها في الخزانة كما اتفق..و عندما سمعت صوت حركته في المطبخ لم تستطع أن تصمد مكانها فذهبت نحوه بسرعة..

قالت بجمود متجاهلة الإجابة عن سؤاله ؛

لماذا أقلت الباب علي؟!

شبه ابتسامة فارغة ظهرت على جانب شفثيه و هو يجيب بكل برود مستأنفًا في ما يفعله بدون أن ينظر لها و كأنه يخاطب فراغًا ؛

لأنني أردت !! في النهاية هذه شفثتي و أنتِ تجلسين في -أماكلي- !!

شعرت سارة بالجنون ينتابها من كلمته الأخيرة فضربت السطح الرخامي حيث كانت تقف بجانبه بيدها بغضب و هي تهتف من بين أسنانها ؛

هذه شفثتكِ افعل بها ما شئت..لكن ليس و أنا هنا !!

و نفس ردود الفعل المستفزة..قال بكل بساطة و هو يسكب القليل من المربي فوق الصحن الأبيض أمامه ؛



لماذا؟! هل نسيت أنك أيضاً جزء من أملاكي؟!

اتسعت عيناها بغضب أكبر و هي تهم بالرد باستنكار لكنها توقفت و نفس ذلك الدوار الذي تشعر به منذ أمس يعود من جديد ليفقدها تركيزها.. شعرت بتوازنها يختل فجأة فلم تشعر بنفسها و هي ترفع يدها لتلمس بها جبهتها المنخفضة بينما سقط كفها الآخر فوق السطح الرخامي وراءها..

و قد ساد صمت من جهتها جعل من جاد يلتفت قليلاً ليرمقها بنظرة كانت غايته أن تكون سريعة خاطفة ثم يعود ليكمل ما كان يفعل.. لكن شكلها الذي استوعبه عقله بعد أن أنزل رأسه بغير مبالاة جعله يرفعه مرة أخرى ليندفع إليها بسرعة هاتفاً بقلق بينما ذراعه تحاوطها من كل مكان ؛

أنت بخير؟! ما الخطب؟!

أطبقت سارة عينيها بقوة في محاولة الصمود.. ثم همست بصوتٍ ضعيفٍ فاقد للتركيز ؛

ربما.. ربما لأنني لم أتناول شيئاً منذ أمس !

عقد جاد حاجبيه بقوة و هو ينظر إلى رأسها المطرق بتعبٍ بينما شعرها الناعم.. الحبيب..و المنسدل بحرية و إهمال يكاد أن يحجب كل ملامحها عنها.. و لم تنتبه سارة أثناء تدقيقه النظر بها ليديه اللتين كانتا لا تزالان تطوقان كتفيها بقوة..

ثم دفعها برفق إلى أن جعلها تجلس فوق أحد الكراسي المحيطة بطاولة الأكل.. قبل أن يشرع في نقل مجموعة من الأطباق إلى الطاولة أمامها بسرعة..

كانت طيلة تحركاته تستند بمرقفها إلى نفس الطاولة تاركة يدها على جبهتها المنحنية.. و يدها الأخرى فوق بطنها!! تربت عليها برفقٍ من تحت الطاولة و كأنها تعتذر لطفلها المعذب بصمتٍ !!

انتبهت لجاد الذي جلس على الكرسي الآخر بجانبها قبل أن يرفع الملعقة أمام وجهها و في نيته إطعامها...بنفسه !!

نظرة استخفاف لاحت في عينيها رآها بوضوح..ثم لم تتردد و هي تدفع يده بنفور رافضة منحه تلك الثواني القليلة من الاستمتاع بلذة الإنتصار و هو يراها منهكة القوى..ضعيفة بهذا الشكل المخزي !!

امتدت يدها في نفس اللحظة لتشرع في الأكل بنفسها..فزفر جاد بيأس و هو يعيد الملعقة مكانها..و ظل يراقبها في الخفاء بدون أن تجذب شهيته أي من الأطباق العديدة المرتبة فوق الطاولة..و قد كانت تبدو جائعة بالفعل !

جائعة جدًا رغم أنها تقصدت أن تتجاهل كل ما أعده و لم تلتقط سوى طبق " الشوفان " لتتناول منه على مضضٍ أمام أنظاره..و مع ذلك فقد وجد بعض الغضب يجتاحه داخليًا نحو نفسه و هو يرى شحوب وجهها في تضاعفٍ شديد..

إنها لم تأكل شيئًا منذ أكثر من يوم و نصف !

منذ أن صعدت معه إلى سيارته ليقضيا الليل بطوله في الطريق و ما إن وصلا إلى هنا في منتصف النهار حتى اعتكفت غرفته و اعتكف هو الصمت و الظلام الذي يهيمن على حياته منذ الأزل..

رآها و هي تقف فجأة حاملة في يديها صحنها بدون أن تكلف نفسها عناء النظر له..فامتدت يده لتغطي يدها الممسكة بالصحن مانعة إياها..ثم همس ببعض الرفق ؛

\_ أنا سأغسلهم..أذهبي أنتِ و ارتاحي قليلاً..وجهك شاحب بشدة !!

توقفت سارة لوهلة ناظرة له بحاجب مرتفع..قبل أن تظهر شبه ابتسامة ساخرة على شفثتها..و همست ببرود يشبه بروده في خاصية الاستفزاز ؛

\_ عجبًا..هل لاحظت ذلك بالفعل !

عقد جاد حاجبيه بقليل من الحذر و هو ينظر لها.. فاحتدت عيناها فجأة و  
قالت بنفس النبرة الباردة و التي شابها بعض الانفعال بلا مقدمات ؛

\_لم يكن يليق بك دور الطيب يوماً.. فلا تحاول تقمصه من فضلك !!

نهض جاد من مكانه و هو يقول زافراً أنفاسه بانفعال مكتوم ؛

\_أنتِ.....

لكن انفعاله كان سرايباً أمام انفعالها الداخلي الذي كتمته طويلاً.. فلم يتوقع أبداً  
صوتها الذي ارتفع فجأة تزامناً مع يديها اللتين ارتفعتا لتدفعانه من صدره  
بغضبٍ و كأنها لا تحتمل مجرد وقوفه أمامها بهذا القرب ؛

\_ماذا أنا؟! ماذا أنا أخبرني !! هل سماع الحقيقة مزعج لك لهذه الدرجة ؟  
إذا كان كذلك فاسمع إذًا.. أنت أنذل شخصٍ قابلته في حياتي كلها.. أنا لم أرى  
شخصاً منحطاً بقدرك في حياتي.. لقد كنت أشفق عليك في الماضي لكن الآن  
لم يعد في قلبي لك سوى الكره.. الكره فقط هو ما أشعر به كلما نظرت  
لوجهك.. لعينيك المخادعتين هاتين.. لقد صار مرتبطاً باسمك لدرجة أنني  
أصبحت أشمئز من قلبي الذي انصاع يوماً و أحبك بذلك القدر.. أنا أكرهك  
كما لم أكره أي أحد من قبل.. أكرهك بشدة.. هل تسمع ؟ أكرهك !!!!!

صمتت بأنفاسٍ مضطربة متسارعة.. ناظرة لملامحه التي لم تتغير أبداً.. بل  
تلاشت منها كل الإنفعالات دفعة واحدة و كأنها لم تكن تصرخ قبل قليل بتلك  
الكلمة البشعة التي يكره أن يسمعها تقترن به من طرفها.. حتى بعد كل ما  
فعله بها !

ساد صمت طويل بينهما كانت أنفاسها تتسارع أكثر و أكثر خلاله.. إلى أن  
همس جاد بكل هدوء.. بنبرة غريبة.. بطيئة!

\_حبيبتك يا جاد.. حبيبتك و لن أكون لغيرك !! ألم يكن هذا هو كلامك !!!?

اضطربت أنفاسها أكثر و هي تنظر جانبًا غير قادرة على النظر له  
أكثر..فامتدت أصابعه لتلكز موضع قلبها بقوة و هو يقول بابتسامة إقرار  
مستفزة ؛

\_ربما تستطيعين أن تكذبي..لكن خفقاته لن تكذب.....

احتدت النظرة في عينيها أكثر و تشنجت أطرافها و هي تعيد أنظارها إليه  
ناظرة له بعجز عن الصراخ..عن الإنكار..و عن الإعراف حتى!..

و لم يتردد و هو يقترب بوجهه من وجهها ليستأنف أمام عينيها مشددًا على  
حروفه بصوتٍ خافتٍ مشتدٍ شرير ؛

\_إليك الحقيقة المؤلمة التي ترفضين الإعراف بها..أنت تحبينني..بل  
تعشقينني منذ الأزل..تحبينني أنا فقط..لطالما أحببتني و لا زلت تحبينني رغم  
كل شيء !!!

فتحت فمها تنوي مقاطعة هذا الغباء -الحقيقي- الذي ينطق به لكنه قاطعها  
مجددًا و هو يقبض على ذراعيها ليهتف أمام وجهها بينما يهزها بقوة و قد  
بدأ صوته يعلو بشكلٍ مفرغ ؛

\_أنت لا تمتلكين أيّ سلطان على مشاعرك..كل مشاعرك هي لي..كل  
خفقة..كل تنهيدة..كل ارتجافة..كل شيء..كل شيء ملك لي..لي فقط..هل  
تفهمين ؟!!!!

\_اخرس..

هتفت و هي تحرّر ذراعيها من يديه بعنفٍ متراجعة خطوة مترنحة نحو  
الوراء..بينما بدت عيناها كمثل حيّ حقيقي عن القهر و العجز و الكره و  
الضياع..كل تلك المشاعر لمحها في عينيها و لم تساهم في ارتجافة جفنيه  
حتى..

هزت رأسها بإرهاق شديد و هي تهمس بنبرة متخاذلة ضعيفة و أنفاسٍ لاهثة  
؛

\_\_ أنت تهذي.. أنت مجنون.. لا يمكنك أن تكون طبيعيًا.. لا يمكن.. لا يمكن.....  
!!!

ابتسامة باردة جدًا خطت شفثيه ببطءٍ و هو يقول بهدوء ؛

\_\_ بما أنك أنت من تقولين ذلك فمن أنا لأناقتك في اختصاصك يا  
"دكتورة" !!

كانت تنظر له كمن ينظر إلى مجنون بالفعل.. لكنه ليس بمجنون.. هي تعلم  
بأنه ليس مجنونًا بل و تدرك أيضًا أن كل ما فعله فعله عن وعيٍ و تصميم..  
و ها هو ذا يحاول ترميم أخطاء مقصودة ببعض الإهتمام الذي لا معنى له !

شعرت برأسها يميل بها أكثر.. أنفاسها تختنق و تضطرب.. فأحاطت رأسها  
بيديها الإثنتين لتسقط فوق الكرسي هامسة بنفس الضياع هذه المرة لنفسها ؛

\_\_ بل أنا من سأفقد عقلي لو بقيت هنا.. سأفقد عقلي حتمًا.. يا إلهي ساعدني !!!

تلاشت ابتسامته تمامًا و هو ينظر لها من مكانه بعينين نافذتين.. ثم اقترب  
منها خطوة.. و قال بعد لحظات صمت بنبرة ذات مغزى مبهم بينما يقف  
مقبلاً عليها بطوله الفاره ؛

\_\_ كان يجب أن أجعلك تتذوقين من نفس كأس الألم الذي تذوقته في الماضي !

كان صوته جامدًا لكن به من المرارة ما جعلها ترفع رأسها ناظرة له بعجز  
عن الفهم.. فقال يكمل بنفس نبرته ؛

\_\_ هل تتذكرين تلك الرسالة ؟!

" أي رسالة ؟!! "

انعقد حاجباها بشدة في نفس الوقت الذي هتف فيه عقلها بذلك السؤال الذي  
يحتاج إجابة في الحال.. لكن السؤال لم يخرج من فمها.. بل تسمرت تنظر له  
بدون حركة و هو يسترسل ؛

\_\_ تلك التي بعثتها لك ذلك اليوم !!

ابتسمت سارة بعصبية شاعرة بالحيرة تكتسح عقلها أكثر و هي تقول ؛  
\_هل تحاول أن تفقدني عقلي حقًا؟! إذا كان الأمر هكذا فلا أظن بأن هذه  
الطريقة قد تفجح..جد طريقة أفضل من هذه..

ضيق جاد ما بين عينيه بتوجسٍ و هو يقول بحذر ناظرًا لها بتمعن ؛  
\_هل تحاولين إفهامي بأنك لم تري الرسالة أم أنك لم تبالي بها و تجاهلتها  
ببساطة؟!!

شعرت سارة بدرجة الغباء في عقلها ترتفع و ترتفع..فقالت تنظر في عينيه  
مباشرة..تضغط على كل حرفٍ بصوتٍ مشدد نافذ الصبر ؛

\_أخبرتكَ بأنني لا أعرف عن أيِّ رسالة تتحدث !!!

ظل جاد ينظر لها من مكانه بنفس التمعن الغريب..لكن في جوف عينيه..لاح  
بعض الأمل الذي جعل حاجبها ينعقدان أكثر..خاصة و هي تراه يقترب  
ليتخذ نفس الكرسي بجانبها سائلًا بحذر ؛

\_لم تريها حقًا!!!!

زفرت سارة بأعصاب متشنجة بدون أن تجيب فأطرق قليلا و هو يخرج  
هاتفه من جيب بنطاله الأسود..ضغط بضعة أزرار باهتمام قبل أن يديره إلى  
جهتها و يقربه من وجهها..

و هناك رأت صورة لرسالة ما قديمة التاريخ..رمشت بعينيها و هي تنقلها  
بين تلك السطور أمامها بتشوش..

" انا آسف حبيبتي..لقد فقدت أعصابي و لم أستطع تمالك نفسي فقلت ما قلته  
أمام والدك..أنا لم أكن لأتركك أبدًا..و لن أفعل..لهذا أنا جهزت كل  
شيء..سأنتظرك يوم غد على الساعة الثامنة أمام أقرب محطة قطار  
إليك..لن أتحرك من مكاني حتى تأتي..و أنا واثق من أنك لن تخذليني أبدًا..  
أحبك !! "

كانت عيناها تتسعان ببطءٍ شديدٍ مع كل كلمة جديدة تقرأها و يستوعبها عقلها.. إلى أن انتهت و رفعتها إليه لتنظر له بملامح باهتة مصدومة..  
أنزل جاد الهاتف ليضعه فوق الطاولة بغير اهتمام و هو يهمس بصوتٍ هادئٍ رغم الألم النابض في عينيه ؛

لقد انتظرتكِ طويلاً و الهاتف في يدي.. و في يدي الأخرى... "جولييت" !  
جحظت سارة بعينها أكثر بدون أن تجيب فأكمل جاد بابتسامة ساخرة مريرة.. بينما الغصة تستوطن صوته الخشن القاسي لتلونه بضعفٍ دخيل لا يليق به أبداً ؛

نعم.. كالأبله أنا ظلت أنتظركِ حتى فاتني القطار و لم أئس.. تخيلت كثيراً تلك اللحظة التي ألمحك فيها و أنتِ تركضين باتجاهي فألتقطكِ بقوة بين ذراعي و أسافر بكِ متناسياً كل العالم.. كنت سأتخلى عن الإنتقام في سبيل حبكِ.. لو أنكِ جنّت يوماً لما كنا هنا اليوم.. لما أصبحت أنا على ما أصبحت عليه.. كنت جاد الصبياني العنيف لكنني لم أكن شريراً أبداً.. أنا لم أحلم بكِ يوماً بهذه الطريقة.. كنت أريدكِ متواضعة.. ودية.. محبة.. الحقيقة أنني كنت أريدكِ بدون قيود.. لهذا تمنيت كثيراً في ذلك اليوم أن تختاريني أنا بدل والدكِ.. لا أنكر أن الجانب الأناني مني كان سيسعد بترككِ له بعيداً عن قصة حبنا.. كان سيكون انتقاماً بريئاً قاسياً دون أن ألوث يدي في الوحل أو أطعن أحداً آخر في ظهره.. كنت سأغير من نفسي.. كنت سأسلمكِ نفسي و أكون كما تريدني أنتِ.. لكن كل شيء تبخر عندما وصلتني الرسالة الثانية..... كانت منك !!

ارتجفت حدقتها و رموشها و هي تخفض رأسها قليلاً لتنظر للهاتف و كأنها تتوسله أن يجعلها تفهم.. أن يفسر.. أن يخبرها بأن كل ما قاله هو محض تفاهاتٍ اخترعها عقله و لا وجود لها في الواقع!

رأت يده و هي تعود لتمسك بالهاتف لتسحب الصورة لعدة مرات قبل أن يضع الهاتف في يدها بصمتٍ..تاركا ابتسامته تتسع أكثر بنفس السخرية المريرة..

تمسكت به سارة بين أناملها المرتعشة بتردد لترفعه أمام عينيها و شرعت تقرأ الرسالة التالية التي قال عنها بخفقات قلب متدهورة..

" حقًا؟! من تظن نفسك ! هل صور لك تفكيرك الأحق حقًا بأني سأترك والدي و أذهب معك؟!..لا و ألف لا..ليست سارة فؤاد الغالي من تنصاع لمشاعرها بهذه الطريقة المخزية..افهم..أنا لا أستطيع أن أكون معك ما لم يوافق أبي..الآن ارحل بصمتٍ و لا تعد من فضلك!"

\_بماذا كنتِ تشعرين و أنتِ تكتبين هذه الكلمات و ترسلينها لي؟!!

سمعت صوته يأتيها فجأة..يحمل نبرة اتهام قاطعة..فاعتصرت الهاتف بين يدها و هي تغمض عينيها بقهر و ألم..بينما تحركت شفاتها المرتعشتين تهمس من بينهما بصوتٍ خافتٍ جدًا و كأنها تبرر الأمر لنفسها لا له ؛

\_لم أكن أنا..لم أكن أنا!!!!

و فقط..كان هذا هو الحافز الذي جعل جاد ينتفض واقفاً فجأة بسرعة أجفلتها..و قبل أن تستطيع الاستيعاب حتى..كانت يدها تمتدان لتقبضان على ذراعيها بقوة إلى أن جعلها تقف أمامه بينما يهتف أمام وجهها بانفعال غير مسيطر عليه ؛

\_من كان إذن؟! من؟! من؟! من كان إذا لم تكوني أنت؟! الرسالة أنت من

هاتفك وقتها فمن كان غيرك؟!!!!! من.....؟!!

هتفت سارة في وجهه بصوتٍ مرتفع رغم ضعفه ؛

\_كان أبي!!!



لوهلة بدا جاد غير مصدقًا.. قبل أن يخفّف من ضغط يديه على ذراعيها ببطءٍ بدون أن يحرّرها.. و ظل ينظر لها للحظات بعينين جاحظتين تطلبان تفسيرًا سريعًا.. و قد حصل عليه.. جاءه بصوتها الذي خرج متهدجًا بشدة بينما تغمض عينيها بقوة على عباراتٍ متألّمة انسابت من تحتها بغزارة ؛

\_ لقد طلب مني أبي أن أسلمه الهاتف لأيام حتى يتأكد من أن لا تزعجني بعدها لأنه.. لأنه كان يعلم بأنك ستحاول الإتصال بي و ربما تؤذيني !!  
الحقيقة أنها لم تكن لتتنصاع لطلب والدها لولا أن تملكها خوف عميق من عبارته العالقة في ذهنها تلك !

هز جاد رأسه بغير تصديق و هو يهمس مكرّرًا وراءها بصوتٍ باهت ؛  
\_ أو ذيك !! أنا ؟!!!

صمت قليلا قبل أن يعود صوته ليرتفع بحدة أفرعتها ؛

\_ حسنًا و ما الفرق ؟! سواء كان والدك أم أنت ما الفرق ؟! أنت من أعطيته الهاتف ليتلقى إزعاجاتي بدلًا عنك.. هل كان سيتغير أيُّ شيء لو أنك أنت من قرأت رسالتي ؟!!

ظلت صامتة فهزها و هو يكرّر بإصرار ؛

\_ هل كان سيتغير أيُّ شيء ؟!

قالت سارة بقوة رغم دموعها التي لم تتوقف أبدًا ؛

\_ كان سيتغير كل شيء !

لم يدري لما شعر بخوفٍ غريب غير مألوف يتسلل إلى قلبه.. بينما ابتلع ريقه و هو يسألها بحذر بطيء و كأنه يخشى سماع الإجابة المتوقعة ؛

\_ لماذا ؟! لماذا كان سيتغير ؟!!

ابتلعت ريقها هي الأخرى و هي تقول بصوتٍ خافتٍ مضطرب بشدة ؛

\_ لأنني ظننتك تخليت عني !!

نظر لها جاد باستنكار فهتفت بقوة ؛

\_ هل نسيت الكلام الذي قلته قبل أن تغادر ؟! إذا كنت أنت فعلت فأنا لم أنسى.. لا أزال أتذكره جيدًا كلمة كلمة.. لم أستطع محوه من ذاكرتي أبدًا !!

\_ لقد كان كلامًا في لحظة غضب !!!

قالها باندفاع و ترك شفتيه فاغرتين بتركيز مفقود.. فكان دورها الآن لتتهز رأسها مبتسمة بمرارة سرعان ما همست بعدها تعقب على كل كلماتها السابقة بنبرة إقرار ؛

\_ هل تعلم ماذا ! لا يهم !! عموماً ما فعله والذي كان صائباً.. أنت أديتني و أنا بكامل قوتي.. من يعلم لو ذهبت معك حينها ماذا كنت ستفعل بي !!!!  
تجاهل جاد كل كلامها و هو يقول بخشونة دون أن يستطيع منع نفسه ؛

\_ و هل كنت ستذهبين ؟! ستتركين والدك و تذهبين معي !!!

و لم تفكر سارة مرتين و هي ترد بوضوح أمام وجهه ؛

\_ لا.. لم أكن سأفعل !!

ظهر الإنفعال جلياً على ملامحه فأكملت بنبرة ذات مغزى ؛

\_ لكنني كنت سأحارب.. كنت سأقف في صفك و أقنع أبي بنا بأي طريقة كانت.. كنت سأستطيع لو تمسكت بيدي.. لو وثقت بي.. لكنك تركتها دون تردّد.. و رحلت دون أن تلتفت إلي.. حينها علمت كم أنني كنت فتاة حالمة ساذجة.. استوعبت أنها لم تكن سوى حرباً خاسرة.. لم يكن سوى رهاناً عقده مع نفسي و فشلت بقوة !!

شحبت ملامحه بشدة و هو يسمع هذا الاعتراف الصريح.. لكن بعد فوات الأوان !! هل كان متسرّعاً بالفعل ؟! نعم كان كذلك ! ها هي ذي تقف أمامه تصرح بحُبها القوي الذي نسفه بحركة تهور حمقاء !

ها هي ذي تثبت له بدليل أنفاسها المتهدجة و عينيها المُجهدتين بأنها كانت أفضل و أكثر وفاءً منه منذ البداية !

بأنها كانت الشخص البريء الوحيد هنا..و الشخص الوحيد الذي تأذى هنا ! كانت الأفكار تتقاذف إلى عقله كالعاصفة..لكن من بين كل تلك الأفكار التي تخلد فكرة كونه الشخص المذنب الوحيد هنا.. بزغت أنانيته الحمقاء لتذكره بأن الأوان قد فات أيضاً على التراجع عن تلك -الحركة الحمقاء-..و عن الوقوف في نفس النقطة و محاسبة نفسه !

الآن هي ملكه في جميع الأحوال..لا يهم..حقاً لا يهم..إنها بين يديه !!

تلك الفكرة جعلته يقترب قليلاً منها فجأة..و بدون أن يسألها أمسك بيديها الإثنتين بين يديه قائلاً بصوتٍ خافتٍ و قد بدا كشخصٍ يبحث عن كومة أمل بين قشة تراب !

\_\_حسناً..بما أنك هكذا بالفعل فلماذا لا نبدأ الآن من جديد ؟! دعينا ننسى كل شيءٍ و نعطي فرصة أخرى لهذا الزواج !!!

هل هو يهذي ؟!! إنها تشعر بأنه عالق في حالة هذيان غريبة بالفعل..حالة هذيان تجعل عقله يهلوس بأحلام مجهولة لن يتسنى له الشعور بنشوتها في الحقيقة !

لم تستطع أن تجيبه لعدة لحظاتٍ..فظلت تنظر له مضيقة عينيها و كأنها تنتظره أن يضحك مازحاً حتى و لو أن جدية الموقف لا تتوافق مع ردة الفعل هذه..ثم ما إن وجدته صامتاً تماماً..همست غير قادرة على التصديق باستنكار ؛

\_\_بعد ماذا ؟! بعد أن خنتني و أهنتني و كسرتني !! بعد أن فقدت والدي و أختي !! تريدني هكذا..وحيدة ضعيفة بدون سند !!!

نفضت يديها من بين يديه و أكملت بصوتٍ أعلى و كأنها تريد إقحام كلامها بقوة في عقله ؛

\_أنا هنا بالتهديد.. أنا مجبرة أن أظل معك.. افهم هذا !! و عندما أجد البديل  
فلن أتردد في ترك كل هذا و الانتقام منك بعدها.. لقد آذيتني بطريقة حتى  
العدو لا يمكن أن يفكر فيها لعدوه.. الآن تطلب مني أن أتناسى كل شيء و  
أختارك أنت.. مجددًا !!! ماذا أنت ؟!! هل أنت مختل ؟!!!!

و مع آخر كلمة كان جاد قد فقد بقية أعصابه المنفلتة أساسًا على الدوام..  
اندفعت أنامله لتخبط الطاولة بجانبها بقوة ارتج لها توازنها ليسقط ذلك الكأس  
الذي كان يقبع بنهاية الطاولة و يتكسر إلى أجزاء صغيرة بصوتٍ مدوٍ كان  
صوته أعلى منه و هو يصرخ بها ؛

\_تبا لما لا تفهمين أنك لست مخيرة !!! لما لا تتقبلين حياتك و ترتاحين.. أنتِ  
لا يمكنكِ الهرب.. لا يمكنكِ أن تهربي مني.. لن تستطيعي.. إذا لم أمنعكِ أنا  
فسيمنعكِ قلبك اللعين بحبي.. أنتِ لي.. لي أنا.. كم مرة سأعيدها لتفهمي ؟!!!  
اندفع إليها بسرعة فانتفضت بقوة و هي تتراجع للوراء بخوفٍ و قد شعرت  
من ملامحه بأنه على وشك الإنقضاض عليها !!

تراجعت بسرعة لم تسمح لأحدهما بالإنتباه لقطع الزجاج المنتشرة فوق  
الأرض بفوضى..

و قد كان من حظه السعيد أنه يرتدي حذاءً فشعر بتكسرها تحت قدميه فور  
تقدمه.. لكن سارة التي كانت حافية القدمين.. تأوهت فجأة بقوة و هي تشعر  
بجسم حاد مدبب ينغرس في راحة قدمها..

و هنا فقط.. كان يستوعب نفسه فانخفضت عيناه بسرعة.. و هاله منظر الدماء  
التي كانت قد بدأت تنساب بقوة من تحت قدمها اليسرى !!

رفع رأسه مجددًا و هو يهم بالإقتراب منها بجزع لكنها انتفضت رغم الألم و  
هي تهتف مغمضة عينيها بتألم ؛

\_لا.. لا تقترب مني !!

هز رأسه بملامح ملتاوعة قلقة تلاشى كل الغضب منها دفعة واحدة.. ثم همس  
و هو يعود ليقترّب منها بغاية حملها بين ذراعيه ؛

\_ أنتِ مصابة !

لكنها امتنعت و هي ترفع يدها أمامه كحاجز منيع لن يحميها منه و تتراجع  
أكثر ؛

\_ أخبرتك لا تلمسني.. لا تلمسني... لا أطيق لمستك !!!

لكن صوته الذي هتف بها فجأة بتصميم غاضب ؛

\_ أنا أيضًا لا أحب لمسك.. لكنكِ مصابة !!!

لم يسمح لها بالتمسك بالرفض أكثر.. فأغمضت عينيها بقوة قبل أن تشعر  
بجسدها يرفع في الهواء بين ذراعيه.. خرج بسرعة من المطبخ ليقترّب من  
الأريكة الجانبية القابعة في البهو إلى أن وضعها فوقها برفق..

فاستقامت لتستند إلى حاجزها متأوهة بخفوتٍ قبل أن تنتبه له و هو يقف  
بسرعة متجهًا إلى غرفة ما.. ثم سرعان ما كان يعود حاملا بين يديه علبة  
صغيرة استطاعت التكهن بمحتواها تلقائيًا..

أرجعت رأسها إلى الخلف بإرهاق شديد غير قادرة على الكلام أو النقاش  
أكثر حينما شعرت به يتخذ نفس المكان جالسًا بجانبها على طرف  
الأريكة.. فكان الإستسلام هو أمثل الحلول الآن..

أغمضت عينيها تتأوه بلا صوتٍ تقريبًا و هي تشعر بيده تحمل قدمها  
المصابة ليضعها فوق ركبتيه.. و شعرت بأنامله تدغدغ بشرتها الناعمة و هو  
يفتقد ذلك الجرح الغائر بينما في يده الأخرى كانت علبة الاسعافات الأولية  
التي فتحها بسرعة..

لتبدأ المهمة الصعبة في انتشار قطع الزجاج الرقيقة العالقة بقدمها ثم تعقيمها.. و رغماً عنها و عن كل محاولاتها لم تستطع أن تكتم عدة تأوهات هربت من بين شفيتها قسراً و جعلته يجفل داخلياً بدون أن ينظر لها..

شعرت بالألم يخف تدريجياً حينما بدأ بلف ذلك الشريط الأبيض الرقيق حول قدمها لعدة مرات.. ففتحت عينيها لتقع على جانب وجهه مباشرة.. فقد كان يحني رأسه باهتمام و كأنه يخوض مهمة جسيمة جداً لا يجب عليه أن يسمح لنفسه بأن يرمش بعينه حتى إلا بعد أن ينتهي منها..

ظلت تنظر له بصمتٍ.. تتجول بعينيها فوق كل ملامحه ببطءٍ.. لتتوقف قليلاً على فكه الحاد الملتحي قليلاً.. ناظرة له نظرة مزجت بين الحسرة و الألم و الكره و..... و الاشتياق !

نعم.. كان اشتياقاً من نوع آخر !

كيف كانت ستكون حياتهما يا ترى لو أنه لم يفعل ما فعل بها؟! لو أنه لم يخذلها بتلك الطريقة؟!!

لو أنها ابتسمت له في ذلك اليوم تبادلته ابتسامته الأسرة لقلبها.. لو أنه حضر في الموعد ليمسك بيدها مانحاً إياها عينيه المتألفتين بالحُب..

ثم ينحني الى أذنها ليهمس لها بتلك الكلمة السحرية و كأنه يشي لها بسر مميز بينهما.. و تهمس له هي الأخرى بنفس الكلمة أمام العن.. لينتهي كل شيء بفرحة عارمة و بداية حياة جديدة تنضم فيها هي إلى ذلك العالم الوردي الخاص بـ "العاشقين" !

لو أن دموعها لم تنزل.. لو لم ترى نظرات العجز في عيني أختها.. و القهر في ملامح والدها.. و التشفي و الفضول الصامت في أعين العالم ! لو!!!!  
ابتسامه ساخرة مريرة شقت جانب شفيتها و كلماته المهددة تعود لها لتمنحها الجواب القاطع على كل تساؤلاتها.. هي لن تستطيع أن تسامحه.. حتى و لو حاولت.. لن تستطيع... أبداً!!!

" سأجعله يشارك أمي شعورها بالعجز ليستشعر بنفسه كم كان ذنبه في حقنا  
عظيمًا !!!! "

تسللت هذه الجملة إلى عقلها فجأة و هي تسترجع مكالمتها الهاتفية معه ذلك  
اليوم... أمه !!!

إنها لا تعرف عنها شيئاً حتى !!

منذ ذلك اليوم الذي رحلت فيه عنهم ممسكة بيد رجل استوعبت بعد سنوات  
أنه لم يكن سوى والد جاد.. و في اليد الأخرى كانت تقبض يد جاد الصغيرة..

منذ ذلك اليوم لم ترها أو تسمع عنها أيّ شيء.. بل إن والدها نفي كل  
ذكرياتها من المنزل و كأنها لم تكن !!

بعدها اختفى ثلاثتهم لأربع سنوات قبل أن يعود جاد ذات يوم... لوحده !!!!  
ابتلعت ريقها ببطءٍ قبل أن تهمس بحذر غير قادرة على منع ذلك السؤال من  
اجتياح عقلها ؛

\_ أنت لم تخبرنا من قبل ،ماذا... حدث لو الدتك ؟!!

لم تكذب تنطق آخر حرفٍ من اسم والدته حتى وجدته ينتفض فجأة رافعاً رأسه  
بسرعة نحوها.. ليمنحها ملامحاً قاسية جامدة جعلتها تجفل داخلياً..

كان جلياً أنه لا يريد الخوض في هذا الموضوع.. بل هو لا يريد لأيّ أحد أن  
يأتي على ذكر أمه أمامه بأيّ طريقة !

رمشت سارة بعينيها و هي تشيح بأنظارها عنه بصمتٍ.. قبل أن تبعد قدمها  
عنه ثم استقامت منزلة قدميها إلى الأرض ناظرة جانباً بدون تعبير.. و قد  
لعنت نفسها ألف مرة على إقحام نفسها بشؤونه بهذا الشكل !

خاصة و هي تراه يقف فجأة ليرمقها بنظرة لم تكن عابرة أبداً.. نظرة حملت  
انفعالاً شديداً.. قبل أن يندفع متجهاً إلى غرفة أخرى غير الغرفة التي نامت  
فيها ليلة أمس و يغلق الباب بعنفٍ خلفه..

حينها فقط كانت تزم شفيتها شاعرة بالغيط من نفسها.. ثم زفرت نفساً طويلاً  
و هي تحت نفسها بالقوة على الوقوف.. اتجهت إلى غرفتها بخطواتٍ متعثرة  
تكاد أن تستند إلى كل شيء تجده في طريقها..

و من العدم.. داهمها غثيان قوي جعلها تفتح باب الحمام لتدخل بسرعة إلى أن  
وقفت أمام المغسلة لا تزال حافية القدمين.. أسندت يديها إلى طرف المغسلة و  
هي تخفض رأسها مستفرغة بقوة كل ما كان في معدتها..

و ما إن رفعت رأسها لتقابل انعكاسها الشاحب في المرآة.. وجدت عقلها  
يرسل عدة تساؤلاتٍ عقيمة الأجوبة..

هذا التعب!.. هذا الشعور بالخمول و الغثيان.. هل يمكن أن يكون كله بسبب  
الحمل؟!؟

إنها تشعر بأن كل خلية في جسدها تنبض بالألم.. إضافة إلى ذلك الصداع  
الذي يرافقها منذ أيام ليست بالطويلة دون أن يخف أو يزداد!!

لقد كانت قد رجحت الأمر لكل المشاكل التي عانت منها في آخر فترة.. لكنها  
الآن لم تعد تقتنع بهذا العذر تمامًا بعد!

التقطت المنشفة المعلقة في مكانها المخصّص لتجفف وجهها بحركاتٍ ثقيلة  
متكاسلة.. قبل أن تضغط على نفسها بالقوة لتسير على إصابتها بصعوبة إلى  
أن ارتمت فوق السرير الوثير مغمضة عينيها بأنفاسٍ لاهثة..

---

التقطت أنامله ذلك الصندوق المغلق بعناية.. و القابع في الخزانة الخاصة  
بغرفته.. قبل أن يتراجع خطوتين ليجلس على طرف السرير ينظر له بلامح  
فارغة سرعان ما تخللها الكثير من المرارة و الوجع!!!

فتح الصندوق بأنامل ترتجف بشدة فظهرت أمامه صورة.. كانت صورة  
لامرأة متوسطة العمر..



كانت غاية في الجمال..بملاح نقية تفيض أملاً..يقف بجانبها طفل صغير لا يكاد يتجاوز سن الثامنة..و من الجهة الأخرى طفلة أخرى ربما تماثله في العمر أو أصغر بقليل..

كانت تلك الطفلة هي " سارة " و الطفل " جاد " !

مرّر أنامله فوق صورتها المبتسمة ببراعة بلمسة حانية و هو يتأملها لعدة لحظات..قبل أن تنتقل أنظاره كما إبهامه ببطء لتلك المرأة التي لم تكن سوى أمه..

لمعت عيناه بمشاعر حاول أن يكبحها بقوة..و كأنه يحاول أن يخفي ضعفه عن نفسه حتى !!

وضع الصورة جانباً لكنه لم يكتفي..فقد عاد يحمل صورة أخرى يتأملها بإخلاص..كانت لنفس المرأة لكن هذه المرة بدون أطفال..فقد كانت تبدو أصغر بقليل و حول كتفيها تلتف ذراع ذلك الرجل المهيب..

خاله فؤاد قبل أن تلوثه الأيام !!!

انعقد حاجباه بشدة و هو يخرج الصورة الثالثة..آخر صورة التقطت لأمه قبل أن.....

لم تكن ملامحها تفيض أملاً..بل ضعفاً و هشاشة و عجزاً !!

تقف منحنية عليه تضمه بقوة و هو مبتسم ابتسامة صغيرة بريئة..كانت تبدو كمن يحاول التمسك بأمل واهٍ ربما غير موجود..كانت ابتسامتها من المرارة أكثر منها -سعادة- !!

فقط ثلاثة صور..ثلاثة صور هو ما تبقى لديه منها..و رسالة !

رسالة لم تكن سوى خنجراً من ألم اندسّ بصدرة بقوة..ليردى قلبه قتيلاً و يتركه جثة متحركة بلا روح !!!

فتح الرسالة على تلك الكلمات المؤلمة ببطء شديد..

" أنا آسفة.. لقد تعبت.. لو كان الأمر بيدي لما تركتك أقسم لك.. لكنني... لقد تعبت بشدة.. أنا سأتركك يا حبيبي!.. سأرحل إلى الأبد.. صدقتي لم أشأ أن تكون نهايتي بهذه الطريقة لكنني اكتفيت!.. و أعلم بأنك ربما تكرهني و تسامحني فيما بعد على هذه الخطوة لكنني لا أرى أي صوابٍ آخر غير ما سأفعله الآن.. أنت لا يجب أن تنشأ هنا.. لن تعيش هنا للمتبقين من عمرك.. و لن تكون وحيداً أيضاً.. لا بد أنك لا تزال تتذكر خالك "فؤاد".. و لا بد أنه لم ينسانا.. عندما تجد هذه الرسالة ربما لن أكون أنا على قيد الحياة.. لكن روجي ستظل حية تعيش معك.. و تحميك أينما كنت.. هذا عنوان خالك إذا كنت قد نسيته.. سأدونه لك بتدقيق على غلاف هذه الورقة.. اذهب إليه يا بني.. عندما يعلم أنني فارقت الحياة لن يتخلى عنك.. ستكون بأمان هناك.. كما أن سارة هناك!!.. أتمنى أن يأتي ذلك اليوم الذي تكون قادراً فيه على مسامحتي قريباً جداً.. و أن لا تنساني... أمك التي تحبك ! "

عند هذه النقطة لم يستطع أن يتمالك نفسه.. سقطت دمعة.. دمعة واحدة حارقة لتتبعها دموع أخرى تسابقت معها بألم.. ثم تحولت الدموع الصامته إلى نوبة بكاء أجهش فيها بقوة و استسلمت لها كل حواسه..

لم يكن بكاء شاب قوي صلب.. بل مجرد طفل !!

طفل أزهقت الحياة أنفاسه و حرمته من كل ملذاتها بظلم.. طفل ضاعت به الطرق فلم يجد سبيلاً للخلاص إلا باتخاذ الجنون ذريعة و الانتقام ممن تسببوا له في هذا الألم !!

كان شعوره في تلك اللحظة كمن فقد أمه للتو.. كمن خسر كل شيء في لحظة واحدة.. كان خلاصه الوحيد هو إتمام دينه.. و لولا حبه الأسطوري لابنة ذلك الرجل الذي يتحمل كل ذنب والدته لفعل أكثر..

يسألونه ما ذنبها؟! و ما ذنبه هو؟! ماذا كان ذنبه؟! ماذا كان ذنب أمه؟! من سيستوعب شعوره و هو يقف أمام جثة أمه الهامدة بعد أن ابتلعت أقرصاً سامة لتزهق أنفاسها مودعة الحياة بأبشع الطرق !!

ماذا كان ذنبها؟! هل كان عقلها الذي انصاع لقلبها في حبه لإنسان مريض  
لم يكن يستحقها يوماً!! لكن هل هذا ذنب؟! من منا قادر على التحكم  
بمشاعره؟! من منا قادر على هزيمة الحُب؟!!

كما تورط هو في حب سارة.. بنفس الطريقة تورطت أمه.. لكن الفرق بينهما  
كان أنها كانت من الغباء الذي جعلها ضعيفة أمام الحب.. لكن الذنب لم يكن  
ذنبها.. بل كان ذنبهما.. كان والده و خاله من أجرموا في حقها!!

والده الذي انتزعها من عائلتها ليتخلى عنها في اليوم التالي دون أن يتردد أو  
يلتفت إليها مجددًا.. و خاله الذي اتخذ عصيانها ذريعة ليطردها من أملاكه  
بكل عنجهية و تكبر..

لقد كان ذلك الرجل السافل.. والده.. محظوظًا و نجا من انتقامه.. من حظه  
السعيد أن روحه أفضت إلى ما قدمت قبل أن يصل إليه و ينتزعها منه  
عنوة..

لكن خاله لم يكن ليسلم من غضبه!

لقد كان يعلم نقطة ضعفه جيدًا.. و التي لم تكن سوى ابنتيه.. و قد فقد ابنته  
الأولى!

و من يعلم؟! ربما تجد الأخرى وجهة غير وجهته و يفقدها أيضًا.. فمن  
يضمن نفسه في الحُب و الحرب!!!!

## " الرmq العاشر ؛ اهتمام ، و لكن .. ؟ "

لم يدرك مرّ من الوقت على جلوسه هناك.. لكنه ما إن أغلق الصندوق أخيراً ليعيده إلى مكانه و ينقل عينيه حوله عشوائياً.. تفاجأ و هو يرى ذلك الظلام الذي كان قد حلّ محيطاً بالأجواء من خلف نافذة الشرفة الكبيرة..

تنهد بقوة و هو يتجه إلى الباب ليفتحه بهدوء.. لكن هذا الهدوء تبخر حينما لم يلمحها في مكانها في الأريكة.. انعقد حاجباه بشدة و هو ينقل عينيه في الأنحاء بقلق..

المجنونة !!! كيف قامت؟! إنها مصابة!!!

اندفع سريعاً إلى غرفة النوم الأخرى التي تقطن بها بمفردها ليدفع الباب و يدخل بدون إذن.. و لم يكذب يفعل حتى تسمر مكانه و هو يراها مستلقية فوق السرير.. غارقة في النوم لدرجة لم تخول لها حتى سماع صوت اندفاع الباب القوي أثناء دخوله..

تنهد بتعب و رقت ملامحه قليلاً هو يشملها بالكامل بنظرة طويلة.. إلى أن استقرت عيناه و تسمرت على ملامحها الشاحبة بشدة.. كان لا يزال يمسكُ بطرف الباب فتقدم خطوة نحو الداخل مغلقاً إياه بهدوء..

ثم اقترب منها ببطءٍ إلى أن جلس بجانبها على طرف السرير.. يلتهم ملامحها الساكنة بعينيه دون ملل لعدة دقائق.. امتدت يده لتبعد الغطاء الخفيف عن قدمها بغاية طمئنة نفسه عليها لا أكثر.. فهاله رؤية تلك الدماء التي عادت تنساب من تحت الضمادة الملتفة حول قدمها لتلوث لونها الأبيض..

هل عاد الجرح لينزف؟! دون أن تشعر! لحظة.. إنه مبلل!!

نظر لوجهها بضيق.. لم تكن سارة يوماً هكذا.. كيف أصبحت مهملة في حق نفسها إلى هذا الحد!!!!

وقف بسرعة ليقترّب من الخزانة الصغيرة بجانب السرير شارعًا في البحث هناك في أدراجها عن بعض القطن و علبة الإسعافات الأولية.. ثم عاد ليجلس في مكانه و لم يتردّد و هو يمسكُ بقدمها ليبداً في تحريرها من الضمادة المبللة برفق..

تغضنت ملامحه قليلاً و هو يقابل ذلك المنظر البشع.. قبل أن يشرع برفق شديد في مسح بقايا الدماء المتكدسة فوق جرحها.. ثم تغطيته بالقطن إلى أن انتهى به الأمر بلفّ قدمها بـ "الشاش" بنفس الرفق..

أعاد العلبة إلى مكانها قبل أن يمسكَ بالغطاء ليعيد تغطية قدمها..

ظلت يده هناك تربت عليها من فوق الغطاء للحظاتٍ أخرى بدون أن يشعر.. فقد كانت عيناه عليها هي فقط.. على ملامحها الساكنة الجميلة رغم شحوبها..

قبل أن يتنهد مجددًا.. ثم وقف بهدوء يهم بالخروج.. لكن صوتًا ناعمًا.. ضعيفًا جدًا تخلل مسامعه من الفراغ فجأة بهمسة غريبة... أوقفه !!

" لا.. لا.. لا ترحل..... !!!! "

تسمر مكانه لوهلة و هو يولي ظهره إليها و يحدق بالبواب القريب المغلق بحاجبين منعقدين.. ثم التفت إليها ببطءٍ شديد لينظر لها.. لكنها كانت لا تزال نائمة بنفس السكون..

طرف بعينيه ببطءٍ و هو يتطلع بها بحيرة..

هل حقًا همست بذلك؟! ربما يتخيل.. لا بد أنه يفعل !!

همّ بأن يستدير مجددًا ليغادر لكنه عاد يتوقف ناظرًا لها بدهشة الآن.. حينما سمع صوتها بوضوح يهمس بنبرة مختنقة ضعيفة كشخصٍ يهذي أثناء نومه

!

\_ أرجوك.. أرجوك !!! لن أستطيع بدونك !!! أرجوك ... !!!

ارتفع حاجباه بعدم فهم لوهلة و هو يقترب منها ببطء.. ثم انخفض قليلا إلى أن أصبح وجهه قريباً من وجهها و هو يحاول أن يرهف السمع في حال نطقت بأي كلمة جديدة.. لكن صمت تام قابله..

فنظر لها بقلق.. و لم يستطع أن يمنع يده من أن تمتد لتلمس جبهتها برفق.. لكنه ما كاد أن يفعل.. حتى كانت عيناها تتسعان صدمة.. أو جزعاً!  
انتفض داخلياً و هو يمرر يده بقلق فوق كل إنش من وجهها فاتسعت عيناها أكثر..

كانت تقريباً تتصبب عرقاً.. أنفاسها مجهدة تخرج بصعوبة كبيرة حتى أنه يكاد أن يسمعها تتدافع بوهن بداخل صدرها.. و حرارتها مرتفعة.. قليلاً!!  
لكن تلك الـ " قليلاً " أكثر من كافية لتدخل الذعر إلى قلبه!!  
ربت على كتفها ببعض القوة بينما يهمس بصوته الخشن الخافت ببعض الإنفعال؛

\_سارة.. سارة أنتِ بخير؟!.. استيقظي...!

لكنها لم تستجب.. بل كانت تحرك رأسها يميناً و يساراً عشوائياً و كأنها ترى كابوساً.. و ذلك الكابوس هو ما يجعلها تتأوه بخفوتٍ و..... كانت تهذي فعلاً!!!

زفر بقوة و هو يبتعد بسرعة خارج الغرفة ليعود فوراً و في يده إناء حديدي حيث وضع الماء المثلج و بعض الكمادات.. ثم جلس بجانبها لتشرع أنامله في تمرير الكمادات بعد غطسها في الماء البارد فوق وجهها كله و رقبتها..  
و أثناء ذلك.. كانت ملامحه تشتد بقلق.. كيف.. كيف!! لقد كانت بخير عندما تركها إلا من جرح قدمها!!

حسناً.. هو لاحظ منذ يوم أمس خمولها غير الطبيعي لكنها أخبرته السبب.. كونها لم تتناول أي شيء لمدة يوم كامل!!

لم يعرف كم مر من الوقت عليه و هو يعيد نفس الحركة بإخلاصٍ.. لكنه لم يكن يسمح لنفسه بالتوقف.. إلى أن وقف فجأة ليتجه إلى المكيف المُعلق في جانبٍ معين من الغرفة ليضبطه على درجة حرارة مناسبة..

ثم عاد إليها يتحسّس جبهتها باهتمام..

زفر براحة و هو يستشعر درجة حرارتها التي كانت قد انخفضت قليلاً.. لكنها كانت لا تزال ترتجف حرفياً !

تباً.. هل كان يجب أن تتدهور صحتها في هذا الوقتِ بالذات ؟!!! لم يكد يمر يوم واحد على انتقالها معه إلى هنا.. و ها هي ترقد مريضة بهذا الشكل أمامه..

انحنى حاجباه قليلاً بأسى و هو ينظر لملامحها الساكنة الضعيفة.. بينما شعور بداخله يخبره بأن كل ردود الفعل هذه ما هي إلا وسيلة جسدها للهروب من هذه الحياة التي فرضها عليها.. و التي لا تريدها..

كان جلياً أن عقلها لا يزال يعاني ما بين اليقظة و النوم.. ما بين كابوسها الذي يكتسح عقلها بخبث و هذا الواقع الذي لا تحب أن تستيقظ عليه.. و كان جلياً أيضاً بأن ارتجافتها لن تنتهي طوال الليل..

و ربما تعود حالتها لتسوء لو خرج الآن و تركها بمفردها !

ظل جالساً في نفس المكان لعدة دقائقٍ يتأملها بإخلاص منقطع النظير.. ما إن توشكُ يده على الإقتراب من وجهها و إنهاء ارتجافتها ببعض اللمسات الحانية.. حتى تعود لتتغلق بتردد..

ثم أخيراً.. وجد نفسه يزفر بقوة و يرفع الغطاء مقترباً منها إلى أن أصبح مستلقياً بجانبها.. و لم يمنع ذراعيه من أن تحاوطانها إلى أن ضمّ جسدها الواهن إلى صدره بقوة..

و همس فوق جبهتها المتعركة بخفوتٍ شديدٍ و هو يستشعر ارتجافتها واضحة  
عبر يديها اللتين تحركتا على صدره تتمسكُ بتلابيبه بدون أن تعي ذلك غالبًا  
؛

\_شش.....نامي حبيبتى ،أنا هنا !

لم يكن بديهيًا أبدًا ذلك الشعور الذي اكتسحها في الصباح..فقد تفاجأت بشدة  
بمجرد فتحها لعينيها و بدء استيعابها للعالم..بذلك الذراع القوي الذي كان  
ملتفًا من حولها..بل يضمها حرفيًا إلى صدر قوي استشعرت خفقاته المجنونة  
تضرب ظهرها..

ابتلعت ريقها ببطءٍ و عقلها يتوقف لوهلة عن العمل..خاصة مع تلك الحيرة و  
الذهول الذي اكتنفها..رباه..ما الذي يحدث بالضبط !!؟

هل يمكن أن تكون لا تزال نائمة حتى الآن ؟ هل هذا جزء من كابوس ما !!  
لكنها لا تعلم بعد إن كانت تستطيع أن تصنفه ككابوس أو...حلم غريب !!  
قبل أن تلتفت ببطءٍ شديد لتقع عيناها على وجهه..و قد كان غارقًا في النوم  
بالفعل..

لكن هل تعلمون ما كان الغريب في الأمر ؟! أنها لم تنتفض..لم تتسع حدقتها  
بجزع و تندفع مبعدة إياه عنها بالقوة..بل ظلت ساكنة مكانها لثوانٍ تنظر  
لوجهه الساكن و عينيها المغمضتين بتعابير مبهمة..

و فكر عقلها بأنها ربما كانت مخطئة..فدور الطيب يليق به فعلاً..لكنه لا  
يجيده إلا عندما يكون نائمًا !!

تسللت ذكرى الأمس إلى عقلها فجأة..فطرفت بعينيها الشاخصتين في  
الفراغ..لقد نامت لمدة لم تدري كم..

لقد ظلت نائمة طوال النهار تقريبًا !!



لكن جاد...كيف جاء إلى هنا؟! بل كيف لم تشعر بأي شيء أبداً و لم تستيقظ  
!!؟ و كيف خولت له نفسه الإقتراب منها لهذا الحد تباً له !

ذلك السؤال فقط من جعل حواسها تتنشط فجأة..فانتفضت لتجلس متحررة من  
أسر ذراعيه و هي تنظر أمامها بعينين شبه جاحظتين..و جبين بدأ يتفصد  
ببعض القطرات الندية..

لقد...رأت كابوساً !!

نعم..لقد كان كابوساً..كابوساً مخيفاً لدرجة جعلت عينيها تتسعان أكثر تزامناً  
مع أناملها التي تحركت تستقر فوق خاصرتها من فوق قميصها المنزلي  
الحريري و الذي يعلو بنطالا من نفس النوع و اللون الأخضر الباهت..  
تقلصت أناملها الرفيعة فوق بطنها بجزع..

لقد حلمت أنها فقدته !! فقدت طفلها الذي لم يولد بعد !!

كان هناك كرسي هزاز يتأرجح بها ببطء..بينما هي تجلس عليه ساكنة بكل  
هدوء..و الظلام..ظلام سحيق يستوطن المكان الفارغ إلا منها بدون أن يدمر  
هدوءها..

ثم فجأة..تشعر بسائل لزج ساخن يتدفق من تحتها..فتتسع عيناها بذعر و هي  
تقع على منظر تلك الدماء..قطرات العرق تتكاثف فوق جبهتها..و خفقاتها  
تتدافع بقوة لا تحتمل..و قلبها ينتفض كطائر صغير خائف في الظلام..

بينما شفتاها ترتجفان بشدة و هي تهتف بصوتٍ مختنق واهن تتوسله أن لا  
يرحل..هو لا يجب أن يرحل..ليس عليه أن يتركها !!

اشتد ضغط أناملها فوق بطنها و أغمضت عينيها بقوة تحاول أن تخرج من  
ذلك الكابوس المرعب الذي هيمن على عقلها.. هي لم تفقده..لم تفقد شيئاً...و  
لن تفقده !!

شعور وهمي انتابها فجأة جعلها تلتفت قليلا لتنظر لجاد..و لم تتفاجئ و هي تقابل عينيه المفتوحتين متأكدة بأن آخر شيء كان سيفعله هو تنبيهها لاستيقاظه لو لم تقرّر الالتفات بنفسها..

توقعت منه أن يتكلم..لكنه ظل صامتًا تمامًا ينظر لها بملامح مبهمة يتخللها ربما... " القلق " !!!!

\_ لماذا أنت هنا !؟

قالت بملامح فاترة شديدة النفور..لكنه لم يجب..بل أغمض عينيه للحظة أخيرة قبل أن يفتحها مجددًا و يستقيم واقفًا..

علمت بأنه ينوي الخروج ببساطة بدون أن يلقي بالألسؤالها أو يجيبها..فدفعت شعرها للوراء بغضبٍ يتأجج بداخلها منذ فترة و هي تقف في لحظة خاطفة حائلة بينه و بين طريق خروجه بينما تهتف ؛

\_ عندما أسألك أجبني تبًا لك !!

كان صوتها محتدًا جدًّا إلى درجة مبالغ بها..فاعتللت الدهشة ملامح جاد لوهلة..ثم فتح فمه بتهور و كأنه سيقول شيئًا..لكنه عاد و تراجع للحظة ثم قال بنبرة باردة لكنها أظهرت ذبذبات من غضب مكبوت ؛

\_ هذه آخر مرة تتكلمين معي فيها بهذه الطريقة..أنا أحذرك..لن تكون ردة فعلي هادئة في المرة القادمة..

لم يكلف نفسه عناء النظر لها أكثر فتجاوزها هامًّا بالخروج لكن نبرتها التي أتت من وراءه مليئة بكل مشاعر البغض و الكره أوقفته مجددًا ؛

\_ أنا لا أريدك بجانبني..لا أريدك في هذه الغرفة..لما لا تفهم ؟!!!! ألا تمتلك بعض النخوة ؟! أليس لديك أي ذرة كرامة ؟!!!!

تسمر قليلا ينظر للباب المغلق بفراغ تام..ثم استدار ببطء لينظر إليها هي الآن بملامح توشك على فقدان جمودها و التسلح بقناع الغضب الذي

تعرفه.. لكن ما يمنعه من ذلك هو شعور الذنب الذي يملأ قلبه و يبغضه بشدة  
كلما لمح شحوبها..

طال الصمت بدون أن يتفوه أيّ منهما بأيّ كلمة فأشاحت بوجهها عنه لتردف  
هذه المرة بخفوت ؛

\_ أريد أن أعود للعمل..

\_ أيّ عمل !!؟

قالها بسخرية باردة بينما يرفع أحد حاجبيه.. فاشتدت النظرة بعينيها و نظرت  
له لتقول بينما تميل برأسها قليلا بنبرة خافتة أولاً ؛

\_ أيّ عمل؟! هل أنت تقصد سؤالك هذا حقًا !

قابلها صمت تام مستفز منه.. فرمت شفيتها شاعرة بطعم المرارة في  
حنجرتها.. ثم رفعت اصبعًا غاضبًا أمام وجهه و هي تقول من بين أسنانها ؛

\_ أنظر.. لقد تجاوزت كثيرًا بالفعل.. لكن هذه المرة أقسم بالله لو حاولت أن  
تمنعني من العودة إلى العمل ف.....

توقفت فجأة حينما امتدت يده لتقبض على اصبعها بقوة تزامناً مع صوته  
الذي هتف ملتقطاً آخر حرف منها باستهانة ؛

\_ فماذا؟! ماذا ستفعلين؟!!!!

كانت عيناه مثبتتان في عينيها تمامًا.. و رأى بوضوح تلك النار الهادئة التي  
تأججت بداخلهما بدون أن تقوى على الرد.. أو تجد ما ترد به.. فنفض يدها في  
حركة مهينة أخبرتها بأنها لا تمتلك أيّ شيء لتفعله بالفعل..

هو يستطيع أن يمنعها بالطبع.. يستطيع أن يفعل بها ما يشاء !

و أمام عينيها المهترتين.. رآته يقترب من المنضدة الملاصقة للسرير إلى أن  
أمسك بهاتفها.. و عاد إليها مجددًا يقول من بين أسنانه بوضوح بينما يرفعه  
أمام وجهها ؛

\_ عمل لن تذهبي إليه.. و هاتفك سيبقى معي حتى يخطر لي و أعيده لك.. و أنت لن تعترضني و إلا دمرت والدك و قضيت عليه... مفهوم !!؟  
ظلت نظراتها منصبة إلى عينيه بغير أن ترمش حتى.. فعاد ليهتف بها الآن بصوتٍ مرتفع ؛

\_ هل هو مفهوم ؟!!!!!!!

انتفاضة داخلية اهتز لها جسدها بدون أن تطرف بعينيها.. بل كان أن شحبت ملامحها أكثر.. و تجمدت النظرة في عينيها مؤكدة بأنها تفضل الموت ألف مرة على أن تمنحه تلك الإجابة التي ينتظرها..

كان وجهه قريباً جداً من وجهها.. عيناه كما العادة تراقبان كل تعابيرها الشفافة إليه عن قرب..

يشعر بأنفاسها الثقيلة المتهدجة.. يعلم بأنها خلف هذا الجدار الصلب.. تخفي العديد من العبرات.. و خلف جمودها الزائف هذا.. هناك ألم لا تضاهيه كلمات..

ثم النفقت عنه فجأة لتحرّر شهقة ثقيلة بلا صوت.. التفتت بغاية حجب ضعفها اللعين عنه فقط..

هي تعلم بأنها مهما فعلت.. مهما قاومت و ادعت الصمود الزائف.. فهو لا يزال قادراً على إقصاءها إلى خانة الخسارة في كل مرة.. معتكفاً الفوز في كل معركة بجدارة يحسد عليها..

تعلم أنها عاجزة... بأنها لم تعد سارة فؤاد الغالي ذات الكبرياء العالي و المكانة المرموقة التي تخول لها التصرف بحرية كيفما شاءت.. الآن هي سارة فقط.. سارة زوجة جاد !!

سارة العاجزة.. الوحيدة.. الضعيفة !

أغمضت عينيها بقوة و دموعها تنساب من تحت جفنيها واحدة تلو الأخرى  
لتحرق وجنتيها ببطءٍ و تهدم ما بقي من تماسكها..دون أن تستطيع كبها !!  
ربما إذا أخبرته بأنها حامل قد يسمح لها بالخروج..ربما لن يستطيع أن يقسو  
عليها !! ربما.....

لا لا..هي لن تخبره أبدًا..لقد وعدت نفسها و لن تخلف !!

ظلت واقفة مكانها مولية إياه ظهرها بدون أن تسمح له برؤية دموعها..دون  
أن تهتف بحقوقها المفروغ منها منتزعة هاتفها منه..فهي قد اكتفت من  
الصراخ عبثًا !!

لم تدرِ أيُّ ضياع كان يختبره ورائها..لا يعلم حتى لماذا يكتسحه هذا الشعور  
الأحمق..شعور يمزج ما بين الندم و القسوة..ما بين رغبته في ترميمها و  
هدمها !

لا يدري حتى لما يبدو عقله مصرًا على تذكره في تلك اللحظة بالذات  
بكلماتها يوم أمس..حينما سألها عن الرسالة فأخبرته أنها كانت لتحارب من  
أجله لو تمسك بيدها !! لكن لا هو تمسك بيدها و لا هي حاربت من أجله  
حتى نفسها !!

تعلقت كفه في الهواء و كأنه سيربت على كتفها مواسيًا..لكنها عادت و  
انغلقت في الهواء حول نفسها..بينما امتلأت عيناه بعجز يخالطه حزم جعله  
يتراجع قبل أن يمسّها..قبل أن يلتفت باتجاه الباب بسرعة ليخرج و يغلقه  
بعنفٍ خلفه !!!

حينها فقط كانت تطبق جفونها أكثر محرّرة دموعًا أكثر..و رغم إدراكها التام  
لكم أنها تحتاج إلى الشعور بتلك الدموع الآن..فقد رفعت يدها المرتجفة  
تمسحها بقوة و هي تأخذ عدة أنفاسٍ مقنعة نفسها بأنها مجرد لحظةٍ ضعفٍ  
جديدة ستمر..

رغم كل شيء هي لن تنصاع له.. لقد انصاعت مرة رغماً عنها.. و لن  
تنصاع مجدداً بإرادتها !!

لن تصرخ.. لن تبكي... و لن تتوسله أن يسمح لها بفعل ما تريد.. لعل هذا ما  
يريده.. لكنها لن تفعل !!

تقدمت من السرير بخطواتٍ بطيئةٍ إلى أن جلست في طرفه ناظرة إلى  
السراب.. لا تزال نفس الحاجة للغرق في نوبة بكاءٍ جديدة تكتسحها  
بضراوة.. لعلها تنسف بها القليل من هذا العجز الذي يكبلها..

هي تعلم بأن وضعها الجسدي الآن له دور كبير أيضاً فيما آلت إليه حالتها  
النفسية..

حالتها النفسية !!!

ابتسمت بسخرية و هي تذكر نفسها أنها هي "معالجة نفسية".. لكن أين هي-  
من نفسها القديمة؟! !!

شعرت بالدموع تتسابق مجدداً للهروب من محجرها.. فعضت على شفتها  
السفلى بقوة تحاول أن تمنعها.. قالت تخاطب نفسها بصوتٍ مختنق يشبه  
الهديان ؛

توقفي.. توقفي أرجوك.. أنت لستِ ضعيفة.. لم تكوني يوماً ضعيفة لتكوني  
اليوم... إن هي إلا فترة و ستمر.. أنتِ تستطيعين الصمود أكثر بعد.. نعم  
تستطيعين.. لستِ ضعيفة إلى هذا الحد..... !

أغمضت عينيها بقوة في آخر كلمة و هي ترفع يديها إلى خصلات شعرها  
تشدها بقوة و تنخفض قليلاً شاعرة بدموعها تنهار كالمطر الغزير فوق  
خديها.. إنها... تحتاج لهذا!..

نعم هي ليست ضعيفة لكنها تحتاج لهذا بشدة.. ستبكي اليوم فقط.. اليوم فقط  
ستسمح لشهقاتها في الإرتفاع على و عدٍ بأنها لن تفعل مجدداً.. على الأقل  
ليس لأجله و بسببه !

لم تدرِ بأن بكاءها الصامت تحول إلى شهقات متتالية مرتفعة.. هي فقط  
تركت يديها تحتضنان عينيها و انخرطت في قوقعتها الخاصة واثقة بأن لا  
أحد هنا ليشاركها ألمها أو يلّمح ضعفها..

و هذا هو المنشود !

دون أن تدركَ بأن هناكَ أحدَ بالفعل..

كان ذلكَ الرجل الذي توقف مستندًا بظهره و رأسه إلى الجدار الملاصق  
لغرفتها.. للحظاتٍ طويلةٍ ظل واقفًا مكانه مغلقًا عينيه بقوة و صورتها البائسة  
لا تفارق عقله..

اشتدت أنامله حول الهاتف بقوة.. يشعر بألم غير مُسيطر عليه يكتنف  
صدره.. لقد فقد أعصابه مجددًا..

على مدى سنواتٍ طويلةٍ حاول أن يدرّب نفسه فيها على السيطرة لكنه  
فشل.. لقد فشل فشلًا ذريعًا..

زفر بصوت مكتوم و هو يستقيم أخيرًا ليلتفت وراءه ينظر إلى باب الغرفة  
المغلق بشعور من الأسى و...الندم !!

الأسى على نفسه و عليها !!

تلكَ الرسالة التي وصلته ذلكَ اليوم من هاتفها كانت تعزّز من رغبته في  
الانتقام.. لقد اختارها لتدفع الثمن و صنع لنفسه سببًا ليخول لنفسه أذيتها.. ذلكَ  
السبب كان تلكَ الرسالة.. لكن هذا السبب اختفى الآن و اكتشف بأنه لم يكن  
سوى " ظالمًا " كبيرًا في حقها !!

الحقيقة أنه لم يكن ليتراجع في جميع الأحوال عن رغبته في الحصول  
عليها.. لكن كل شيءٍ كان ليختلف لو علم بهذه الحقيقة قبلاً..

ربما كان سيخطفها مباشرة دون أن يضطر للظهور بمظهر الرجل الأنيق  
المؤدب !!

ضيق عينيه بتركيز بينما يقترب قليلاً من الباب ليرهف السمع حينما شعر  
بشيء غريب.. ليصله صوتها.. بل أنفاسها !!

أنفاسها المتهدجة التي سرعان ما ارتفعت فجأة لتتحول إلى شهقاتٍ بكاء  
معذبة..

استند براحة يده إلى سطح الباب و فوقها جبينه بإرهاقٍ شديد.. و استمر على  
هذا الوضع لثوانٍ قليلة ينتظر بصبر أن ينتهي بكاءها..

لثوانٍ أقنع نفسه بأنه جاد مراد.. من تسبب لها بهذا الألم !!

هو يستطيع.. يستطيع الصمود مكانه ببساطة و سماع أناتها بدون أن يتدخل  
!! ألم تكُن تلك غايته الأسمى في النهاية؟!..

أن تصبح حياتها و حياته متصلتين برباطٍ يحدّده هو.. أن يكبل قلبها بأغلال  
عينيه ثم يتركها لتسقط من فوق هوة الخذلان.. هو يستطيع بالطبع ! أو  
ربما... لا يستطيع !

لم يشعر بيده التي تسابقت مع عقله لتدفع الباب بعنفٍ فجأة إلى أن تقدم خطوة  
نحو الداخل.. فانتفضت سارة بقوة.. لكنها كانت انتفاضة سريعة.. ثم سرعان ما  
كانت تشيح بأنظارها بعيداً و هي ترفع يدها إلى وجهها في محاولات واهية  
لمسح دموعها..

توقف مكانه دون حراكٍ و هو ينظر لرأسها الملتف جانباً بينما أناملها تعمل  
على مسح دموعها و صوت أنفاسها الذي خفت قليلاً لا يزال يصل إلى  
مسامعه واضحاً..

اقترب منها بخطواتٍ بطيئة جداً.. إلى أن توقف أمامها تماماً.. لكنها لم تنظر  
له.. فقد كان رأسها شبه مطرقاً بينما يدها لا تزال تحارب دموعها بدون  
جدوى..



قبل أن تتسمر للحظة حينما امتدت يده لتقبض على يدها التي على وجهها دون أن يقول شيئاً.. لم تمنحه أيّ ردة فعل سوى من يدها التي تحركت بداخل يده بعنفٍ غايته التحرّر منها.. لكنها كانت من الضعف فلم تستطع..

و ما كان منها إلّا أن رفعت اليد الأخرى إلى وجهها لنفس الغرض.. لكنه عاد ليلتقطها هي الأخرى بين كفه الآخر بنفس الطريقة..

حينها تجمدت تماماً لبضعة لحظاتٍ من صمتٍ خانقٍ.. صمت لم يحاول أن يقطعه أبداً بل كان ينتظر حركتها التالية.. و قد كانت أن رفعت رأسها فجأة إليه..

أجفل جاد داخلياً و هو يقابل عينيها المغروقتين بالدموع.. و المُحملتين بحقد غير مطوع.. حينما هتفت في نفس اللحظة بانفعال لم تعد تملك سلطة احتواءه بداخلها بعد و قد خارت قواها فتوقفت عن محاولة تحرير معصمها منه ؛

\_ نعم نعم.. أنا أبك.. ها أنا أبك.. أنظر أنظر أنا أبك.. هل هذا ما كنت تتحرق لرؤيته؟!.. إذا انظر إلي.. أنظر و تمعن بي جيداً و استمتع بانكساري.. الآن أنا من أعلنها أمامك... أنا... خسرت!

لقد.. خسرت.. كل.. شيءٍ.. على.. يدك!.. حرיתי.. استقلاليتي..  
كبريائي.. قوتي.. عائلتي... حتى دموعي فقدت السيطرة عليها و أشكُ بأنني عدت أستطيع التحكم بدقات قلبي.. ماذا تريد مني بعد؟! ما الذي تبقى لدي لتأخذه مني؟! ماذا!!!!

حاولت أن تحرّر يديها من بين يديه لكنه ظل متشبثاً بهما بإصرار فهتفت بعنفٍ ؛

\_ أبعد يدك القدرتين عني!!!!

ظل جاد واقفاً مكانه ينظر لها بنفس الطريقة و كأنه لم يسمعها.. ثم فجأة.. ترك يديها.. و لم تكد تستوعب تلك الحركة.. حتى كان يقترب فجأة بلمح البصر إلى أن أصبح يجلس بجانبها ثم.....

شعرت بقوة هائلة تسحبها نحوه إلى أن أصبح يضمها بقوة بين ذراعيه اللتين  
أطبقتا على جسدها الضعيف المنتفض..

و هذه المرة لم تصده.. و لم تبادله أيضاً !!

بل لم تشعر بنفسها و هي ترفع قبضتيها تضرب صدره بانهيار تام.. تاركة  
صوت بكاءها يعلو بين ذراعيه..

و كأنها تشتكي له... منه !!

أغمض عينيهِ بقوة و هو يطوقها أكثر محتوياً ارتجافتها.. متلقياً ضرباتها  
العنيفة على صدره بصبر.. بينما صوت شهقاتها الأليمة ينخر فؤاده بسكين  
حاد..

لحظات طويلة مضت بدون أن يشعر بها.. فقد كان فقط يزيد من ضمها إلى  
صدره محتوياً كل ارتجافة جديدة و لكمة جديدة لم تكن لتشكل أيّ فارق لديه  
لولا حقيقة أنه يجلس الآن بجانبها..

حبيبه.. حلمه القديم.. يستمع إلى صرخات ألمها بينما يضمها بقوة بين  
ذراعيه.. و يتمنى أيضاً لو استطاع أن يضمها إلى الأبد.. لو استطاع فقط أن  
يحميها من نفسه.. و أن يحمي نفسه من تأثيرها !

لكان قد تغير كل شيء حينها !

لكن أنى له أن يحميها من نفسه حين يجد نفسه عاجزاً عن حماية نفسه من  
نفسه !!

كان صوت شهقاتها يتلاشى تدريجياً إلى أن اختفى تماماً.. و جاءه صوتها هي  
الآن.. تهمس بعد وقتٍ طويل بنبرة ميته على من اهتزازها بانهيارها السابق ؛

\_ أنا لن أسامحك.. لن أسامحك أبداً.. سأهرب منك!... أعدك بأنني

سأهرب... في أول فرصة تسمح لي !

التزم جاد الصمت تمامًا رافضًا التعقيب بأيّ شيء على كلماتها التي شعر بها  
تشبه الهديان.. بينما تحركت يده تربت فوق شعرها الناعم بحركاتٍ آلية بطيئة  
و عيناه تتأملان اللا شيء بدون تعابير..

سمعتها تستأنف بهدوءٍ غريب.. و قد بدت و كأنها تحدث نفسها فقط.. و كأنها  
قد تناست أو ربما قرّرت تناسي وجوده معها و حقيقة أنها ساكنه بين ذراعيه  
الآن !

\_ سأتحرّر من قيود عشقك إلى الأبد.. بعدها سأتحرّر من سجنك هذا و لن  
أعود له أبدًا.. سأستعيد هويتي التي أفقدتني إياها و سأعود أقوى.. أقوى كما  
كنت.. أقوى منك !!

برقت عيناه بشدة عند هذه النقطة بالذات و كأن عقله يرفض الإنصات و  
التصديق بكلامها.. قبل أن يبتعد قليلًا إلى أن أحاط وجهها بيديه الاثنتين  
محدقًا في عينيها المحتقنتين بلون أحمر قائم.. و النابضتين بحقد يستوطنهما  
بإخلاص..

ثم همس يشدّد على حروفه بصوتٍ بطيء.. بنبرة يقين لا تقبل ذرة من شك ؛  
\_ ستصبحين أقوى بي و لي.. ستحرّرين من قيود كرهك لي.. انظري لعيناي  
جيدًا.. أنا عشقك الوحيد.. أنا قدركِ.....

اقترب منها ببطءٍ إلى أن لامس جبينها بجبينه و أصبح كل منهما يستند على  
الأخر هامسًا بنبرة عميقة.. شديدة العمق ؛

\_ أنتِ لم تفقدي هويتك.. بل وجدتها.. أنا هويتك !!!

كان دورها هي الآن لتغمض عينيها بقوة.. و قد ارتفعت أناملها إلى أن  
استقرت فوق صدره في محاولة زيفها عقلها لدفعه عنها.. لكنه كان كالجدار  
المنيع لا يتزحزح و لا يتأثر..

بل همس مستأنفًا بتأكيد ؛

\_ أنتِ لي أنا..سارة لجاد و جاد لسارة.. هذه الحقيقة الوحيدة التي يجب أن تعرفيها و تتأكدي منها..أنتِ لي..لي فقط..لن أصدق غير هذا..

هنا فقط..كانت المحاولة الزائفة تتحول إلى محاولة حقيقية إلى أن دفعته عنها بقوة..و قالت بينما تقابل عينيه مجدداً بقوة تناقض ضعفها الداخلي ؛

\_ لست لك..أنا لست ملكاً لأيٍّ أحد و لن أكون !

ابتلعت ريقها بصعوبة و هي تنقل عينيها بين عينيه..تري تلك النظرة الثابتة التي كانت تحتلها الآن مؤكدة على كل كلماته لها قبل قليل..مؤكدة على أنه لم يتزحزح داخلياً بردها..و كأنه يتهمها حصراً بالكذب !

على نفسها قبل أن يكون عليه !!

بينما ضعفت النظرة في عينيها أكثر..و لم تستطع أن تتحكم بصوتها الذي ارتفع مجدداً بكلماتٍ كتبتها طويلاً في صدرها ؛

\_ لقد..وثقت بك !..لقد وثقت بك إلى درجة أن سلمتك كل مقاليد قلبي و حياتي..بنفسي أنا من أعلنت صكّ ملكيتك لي.. لكن أنت ماذا فعلت في المقابل !؟

هزت رأسها بياسٍ شديد و هي تقول بأسى..بتحسّر ؛

\_ خذلتني بكل بساطة !

كان جاد يستمع إليها بدون أن يتغير أيّ شيءٍ في تعابيره الفارغة..أو على الأقل هذا ما بدا لها..فقد كان يشعر حرفياً بقلبه يئن كطائر صغير تم ذبحه ظلماً..

فارتعشت رموشها قليلاً و هي تبتسم بمرارة..ثم لم تلبث أن أشاحت بوجهها بعيداً..و كأنها قد سئمت النظر لهذا الوجه الذي يذكرها بخيبات أملها..

\_ اخرج... !

همست بلا روح.. و شعرت به يقف بهدوء متجهًا إلى الباب.. لكنها ما كادت أن تلتقط أنفاسها الضائعة بفعله.. حتى كان يعود ليلتفت إليها مجددًا.. نظر لها بتردد.. و نظرت له بفراغ..

قبل أن يقترب الخطوتين اللتين ابتعدهما إلى أن عاد يقف في نفس المكان حيث كان يقف قبل قليل.. انتظرت قليلًا أن يقول شيئًا لكنه ظل صامتًا تمامًا.. فرفعت رأسها تنظر إليه بملامح خالية من التعابير..

لكنه كان يدسّ أنامله في جيب بنطاله فلاحقت تلك الحركة و هي تراه يخرج هاتفها.. ثم مده نحوها قائلاً بهدوء ؛

\_ هذا هاتفك.. تستطيعين الاحتفاظ به.. لكنني لن أستطيع أن أحقق لكِ رغبتك في العودة إلى العمل الآن.. ليس قبل أن تستقر أمورنا قليلًا..

نقلت عينيها بينه و بين الهاتف قبل أن ترفع يدها لتأخذه من بين يده بصمتٍ.. و تبعد أنظارها عنه بحزم.. لكنها انتفضت فورًا حينما شعرت بيده التي امتدت فجأة تلمس وجنتها لمسة رقيقة حانية..

علمت بأن الهدف منها مسح تلك الدمعة المناسبة فوق وجنتها بلا مشاعر.. دمعة لم تشعر بها هي حتى !!

قبل أن يهمس بصوتٍ خافتٍ بالكاد استعداد جموده السابق ؛

\_ جهزي نفسك.. سنخرج بعد قليل..

رفعت رأسها بسرعة تود أن تطلب منه تفسيرًا لكنه كان قد ابتعد في لحظة خاطفة ليفتح الباب و يخرج.. تاركًا إياها تنظر في أثره بعدم فهم..

زفرة طويلة مرهقة حرّرتها و هي تضع الهاتف جانبًا هامة بالوقوف.. لكنها و قبل أن تفعل تمامًا شعرت بنغزة ألم خفيفة صادرة من قدمها المصابة.. فأنزلت رأسها تلقائيًا لتتفاجأ بقطعة القماش النظيفة الملتفة بها..

فغرت شفثيها ببطءٍ و هي تعكف حاجبيها بغباءٍ تامٍ.. لماذا يهتم بها ؟!!! لماذا  
الآن ؟!! بعدما أصبحت تكرهه !!!

هل عليه أن يكون متناقضًا في كل شيء !

\_مختل !!!

همست لنفسها بكره قبل أن تجبر نفسها على الوقوف مجددًا.. ثم سارت إلى  
الحمام بتأني إلى أن فتحتة و دلفت مغلقة الباب خلفها بعنفٍ..

---

شخص آخر كان يقف في نفس المكان.. أمام المغسلة التي تخص حمام  
أختها.. كانت سيلين التي لم تغادر غرفتها منذ يوم الأمس تقف..

فبعد أن طلبت من الخادمة إحضار قهوتها إلى غرفة سارة.. عجزت تمامًا  
عن العودة لغرفتها الكئيبة فمالت على وسادة سارة تتلقف عطر أختها الحبيبة  
إلى أن غفت..

أمسكت بالمنشفة المعقدة في مكانها المخصّص لتجفّف وجهها المبلل بحركات  
آلية لكنها تسمرت فجأة و تجمدت عيناها أمام انعكاسها في المرآة.. حينما  
وقعت على ذلك الشيء الأبيض المستطيل الذي كان محفوظًا بإهمال فوق  
المنضدة التي تحتوي مجموعة من الأدوات التجميلية..

تركت المنشفة من يدها ببطء لتمسك به بتردّد و عقلها يخمن تلقائيًا  
ماهيته.. نظرت له عن قرب فالتسعت عيناها بقوة.. و تراجعت قدمها خطوة لا  
مرئية و شفثاها تنفرجان بصدمة على همسة خافتة ؛

\_يا إلهي..... !

كان ذلك جهاز الكشف الخاص بالحمل.. و الذي أكد لها بأن سارة.. حامل !  
لم تدر بعد أيُّ صبر امتلكته جعلها لا تتصل بسارة في الحال.. و لا تنزل إلى  
أبيها مهرولة لتفصح بالخبر المفزع...

إنه خبر مفزع بالفعل !

فأثرت أن تنتظر قليلاً بعد لتخبره بهدوء.. وها هي ذي تجلس في مقابله حول  
طاولة الأكل العريضة.. ترفع عينيها بين الحين و الآخر لتنقلها بين صحنها و  
وجه أبيها الذي كان يتناول طعامه بوجه خالٍ من التعابير..

تلكأت لسانها طويلاً.. قبل أن تضع الملعقة بصوتٍ مسموعٍ فوق صحنها  
لتقول فجأة ؛

\_أبي...\_

رفع فؤاد عينيه إليها بصمتٍ بدأ يعتاده هذا المنزل.. فابتلعت ريقها بصعوبة  
أمام عينيه.. ثم قالت تتلعثم في نطق كل حرفٍ على حدا ؛  
\_الحقيقة أن.. أنني كنت أريد أن...أبي..أبي سارة.....\_

و مع نطق الإسم الحبيب.. وجدت فؤاد يرفع يده باعتراضٍ مقاطعاً إياها قبل  
أن تكمل بصلابة ؛

\_لست أعرف شخصاً بهذا الاسم.. و أنتِ أيضاً لن تعرفيه بعد الآن... مفهوم  
!!!!\_

لوهلة بدت سيلين مجفلة من رده هذا.. و شحبت عيناها قليلاً.. لكنها قالت رغم  
ذلك بما يشبه الذعر ؛

\_لا يا أبي.. ليس بهذه الطريقة.. لا تقل ذلك عن سارة أرجوك..\_

لكن فؤاد بدا متمسكاً بشدة في موقفه فارتفعت يده لتضرب طاولة الطعام  
بينهما بقوة تزامناً مع صوته الذي ارتفع مجدداً بصرامة قاطعة ؛

\_ستكون هذا آخر مرة أنبهك.. و آخر مرة أسمعك تنطقين اسمها بيننا !!!\_

حينها لم تتمالك سيلين نفسها فوقفت هاتفة باعتراضٍ قوي ؛

\_ لن أفعل..!! أنا لن أنسى سارة و لن أتخلى عنها أبدًا..و أنت لم تنساها..و  
لن تنساها يا أبي..أنا أعلم بأنك تحترق من الداخل لأجلها فلا داعي لتصنع  
الجفاء و القوة أمامي !!!!

أغمض فؤاد عينيه للحظتين قبل أن يفتحهما على نظرة قدت من ألم و  
عجز..ثم بدون أن يضيف كلمة واحدة وقف ليستدير مغادرًا غرفة الطعام..  
لكن صوت سيلين الذي خرج مرتجعًا مضطربًا من وراءه أوقفه في منتصف  
الطريق ؛

\_ أنا أظن بأن سارة.....حامل...ربما !

تسمر مكانه بغير استيعاب..قبل أن يلتفت ناظرًا إليها بحاجبين منعقدين حيرةً  
و ذهولًا و تساؤلًا..فقالت سيلين بصوتٍ مهزوز بينما عيناها تلتمعان بدموع  
مكتومة ؛

\_ربما ظلمنا سارة يا أبي..الآن تأكدت..سارة كانت مجبرة..لا بد أنها كانت  
كذلك !!!

بدا فؤاد و كأنه لم يسمعها..و هو لم يسمع بقية كلامها بالفعل..فقد كان عقله  
غارقًا في فكرة واحدة..و سؤال واحد عقيم..

حامل !! كيف !! كيف !! فقط كيف ؟!!!!

\_ كيف ؟!!!!

وجد نفسه يسألها بانفعال أهوج..فأطرقت سيلين برأسها قليلًا لتهمس بصوتٍ  
خافت متخاذل لأقصى حد ؛

\_ ما حدث قد حدث !

إلا أن والدها ربما لم يتقبل هذه الجملة المسلمة بالأمر الواقع منها كرد..فقد  
اندفع إليها في لحظة واحدة و لم تشعر إلا بيديه تقبضان على ذراعيها  
صارحًا بجنون أفرعها ؛



\_ ارفعي وجهك و تكلمي معي !! كيف يمكن أن تكون حاملا و الزواج لم  
يتم.. لقد هرب يوم الزفاف... لم يأتي !!!!

انفضت سيلين بقوة دون أن تجرأ على رفع رأسها أمامه لشدة الخزي الذي  
اكتنفها.. فدفعتها فؤاد عنه بغضب ليتراجع خطوة غير محسوبة إلى  
الوراء.. قبل أن ترتفع أصابعه تتخلل خصلات شعره التي غزاها الشيب..  
همس رافعاً رأسه للأعلى بعذاب ؛

\_ يا الهي... ماذا فعلت ليكون هذا جزائي ؟!!!! ماذا كان ذنبي لأعاقب في  
بناتي بهذه الطريقة ؟!!!!

دمعت عينا سيلين و هي تسمع همسه المُعذب.. ثم لم تلبث أن انسابت دموعها  
حارقة.. و همست بتوسل ؛

\_ عليك أن تسمعي يا أبي...!

رمقها فؤاد بنظرة طويلة مليئة بالخزي و اليأس.. قبل أن يلتفت بصمتٍ يهم  
بمغادرة هذا المكان الخانق للمرة الثانية.. لكنها لم تكن لتسمح له.. اقتربت منه  
بسرعة إلى أن أمسكت بذراعه هاتفة بتألم ؛

\_ لقد كان الخطأ خطئي منذ البداية.. خطئنا سوياً !!

التفت إليها فؤاد بنظرة غاضبة بسرعة.. فاستأنفت بقوة ؛

\_ لا يمكنك أن تعاقب سارة على أخطائنا كلنا !..

نظرة استنكار ظهرت في عيني والدها.. إلا أنها فقط أكملت مؤكدة بنفس  
النبرة ؛

\_ نعم... كلنا وثقنا بجاد و أقنعناها بالوثوق به.. و هي لم تفعل شيئاً خاطئاً  
أبي... إنه زوجها !

ارتفع صوتها بوضوح في آخر كلمة و كأنها تقر له بالحقيقة المريرة التي  
يتغاضاها عقله.. قبل أن تغمض عينيها هامسة بصوتٍ اختنق أماً ؛

\_ سارة بريئة مما اقترفه جاد..

ثم عادت تفتح عينيها مجددًا مستأنفة بنبرة مسّت قلب ذلك الرجل الواقف  
هناك أمامها يستمع إليها بمرارة رغبًا عنه ؛

\_ سارة كانت مجبرة يا أبي.. سارة ابنتك لم ترد أن تلطخ وجهك بالتراب و  
ضحت بنفسها.. الآن أنا متأكدة.. لقد.. كانت.. مجبرة !!

قابلها صمت كئيب مغلف بنفس العجز من طرف والدها.. فقالت تخاطب  
عينيها بنبرة أقرب إلى التوسل و قد عادت دموعها لتسقط بوجع ؛

\_ جاد يكره سارة يا أبي.. جاد يكرهها !! الآن و قد أصبحت بمفردها تخيل ما  
الذي قد يفعله بها و هي في هذا الوضع.. ضعيفة وحيدة بين يديه !!! جاد  
سيؤذيها أبي.. سيؤذيها و أنا لن أستطيع التحمل و لا أنت.. أرجوك  
أنقذها.. أعدها إلينا يا أبي !! لا تنبذها بهذا الشكل.. ستموت...

شهقت بكاءٍ و هي تردف من بين أنفاسها المتهدجة ؛

\_ ستموت يا أبي.. هي لن تحتل.. أنا أعرفها جيدًا.. أرجوك أعدها إلينا.. لا  
تتركها بمفردها !!

ظهر الألم و الخوف جليًا على ملامح فؤاد و هو يسمع كلامها المعذب.. بينما  
سقطت يداها أخيرًا محرّرة ذراعه و هي لا تزال مطرقة برأسها تشهق باكية  
بصوتٍ ناعم متألّم..

إلى أن اقترب منها فجأة ليحاوطها بين ذراعيه مقربًا إياه من صدره.. و ساد  
صمت طويل اكتفى فيه بالتربيت فوق شعرها و ظهرها مهدئًا.. إلى أن قال  
بقلة حيلة ؛

\_ أنا لا أستطيع أن أنتزعها من زوجها قسرًا يا ابنتي.. بالنهاية هي من  
اختارت...

رفعت رأسها بسرعة لتتنظر له بعينين متسعيتين مليئتين بالرفض.. فرسم  
ابتسامة باهتة حزينة و هو يستطرد ؛

\_ لكنني أستطيع أن أطمئن عليها من بعيد.. و سأفعل..

هزت سيلين رأسها باعتراضٍ.. فابتعد قليلاً ليستدير عنها مولياً إياها ظهره و  
عجزه بينما يقول ؛

\_ هذا فقط ما بوسعي فعله.. لا يمكنني أن أمسكها من ذراعها و أجرها  
بالغضب إلى هنا.. يجب أن تفهمي أن أختك اختارت طريقها بنفسها..

زفر بإرهاقٍ و هو يقول بخفوتٍ كشخصٍ يحاول أن يطمئن نفسه قبل أن  
يطمئننها ؛

\_ عموماً أنا أعرف جاد جيداً.. هو لن يؤذيها.. مشكلته كانت معي أنا من  
الأساس.. و هو يعلم بأنني وراءها رغم كل شيء !!

---

## "الرمق الحادي عشر؛ غيرة..أو ما شابه !"

خرجت بعد قليل بشعور أفضل نوعًا ما..بعد أن اغتسلت و أبعدت ذلك الخمول الذي كان يحتل جسدها لساعات.. كانت ترتدي رداء الحمام فقط عندما توجهت إلى الخزانة و فتحتها تنقل عينيها بين ثيابها بضيق.. هي لا تحب أن تخرج معه..و لا تنكر رغبتها الشديدة..بل حاجتها الماسّة للخروج من هذا "السجن" المُسمى "بغرفة النوم" هذه..لكن ليس معه... ليس و هي تمشي معه جنبًا إلى جنب !! ليس و هو يمسكُ بيدها و يسندها ضدّ جرحها الذي كان هو السبب الأول و الرئيسي في إحداثه !! سمعت صوت طرقاتٍ هادئةٍ فوق الباب جعلتها شبه تنتفض.. قبل أن تطرف بعينيها رافعة أحد حاجبيها بـ...بدهشة !! يطرق الباب !! جاد يطرق الباب !! لما كان سيخطر في بالها حتى بأنه هو الطارق لولا حقيقة أنها تعيش معه هنا بمفرده.. طرقات جديدة سمعتها فوق الباب..ثم مباشرة بعدها سمعت صوت تحرك المقبض من الخارج و كأنه على وشك فتح الباب بعد أن يئس من سماع ردها..

فهتفت تمنعه بسرعة ؛

\_لا..لا تدخل الآن..دقيقة أخرى و...سأكون جاهزة...\_

صمت تام استقبلها من طرفه..ثم رأت الباب و هو ينغلق مجددًا بنفس الهدوء !!

طرفت بعينيها قليلًا و هي ترمقه بنظرة تخللها بعض الغباء الممتزج بـ...ضيق لا عذر له في هذه اللحظة !

ثم لم تلبث أن هزت رأسها بلا فائدة و هي تشيح بوجهها العابس إلى الخزانة  
مجددًا شارة في إنتقاء بعض الثياب لها..

حينما فتحت الباب بعد دقائق..تفاجأت من السكون الذي يستوطن  
المنزل..فنظرت حولها بتوجسٍ باحثة عنه بعينيها فقط..و حينما لم تلمح له  
أثرًا..اتجهت إلى المطبخ بخطواتٍ متعثرة عرجاء..لتجده يقف هناك..

كان يحتسي فنجان قهوته بكل هدوء بينما يفقد هاتفه باهتمام..يقف أمام  
السطح الرخامي الأملس للمطبخ..لكنه التفت إليها بهدوء ما إن سمع صوت  
خطواتها الركيكة..

نظر لها باهتمام لوهلة لكن عينيه سرعان ما انسابتا على شكلها متأملًا بغير  
حياء أو تحفظ..كانت ترتدي فستانًا أبيضًا رقيقًا.. يتماذى بطوله حتى مرفقيها  
بينما أكمامه الشفافة قليلًا تنتصِف ذراعها ملامسة مرفقيها بركة..

فستان أبيض ناسبها تمامًا..و ذكره بإصرار بفستان الزفاف الذي اختاره و  
إياها بكل حبِّ سابقًا !!

فاتنة؟! لا يظن بأن الكلمة حتى كافية لوصفها !

ارتفعت أنظاره ببطءٍ إلى شعرها..و لاحظ بأنها تركته منسدلاً  
بحرية..خصلاته البنية الجذابة مستلقية فوق كتفيها من الجهتين بنعومة..ثم  
يأتي دور عينيها..

عيناها ببريقهما الحاد و الرقيق في نفس الوقت..يكاد لونها أن يختلط في  
عقله مع لون سطح قهوته التي أعدها بإتقان..إلى هالتها الجذابة رغم شحوب  
ملامحها المقلق..

أنيقة كعادتها..حتى في أوقاتِ حزنها و بكاءها و غضبها و إرهاقها...أنيقة !!

كان يتأملها ببطءٍ..و قد تناسى عقله لوهلة أنها لم تجهز نفسها بهذا الشكل إلا  
لأنه أخبرها بأنهما سيخرجان..إلى أن جاءه صوتها تقول بصوتٍ خافتٍ فاتر  
أظهر رغم هدوءه قنوطها و تضايقها من تلك النظرات ؛

\_ أنا..كنت أشعر بالعطش لذا.....

صمتت دون أن تكمل..فاندفع بسرعة ليفتح الثلاجة و يخرج قنينة صغيرة  
مدها لها و هو يهمس ببطءٍ لا يزال متأثرًا و غارقًا في سحر تفاصيلها ؛

\_ احتفظي بها..

شعرت سارة ببعض الإرتباك المزعج يخالجها من نظراته.. فطرفت قليلاً و  
هي تمد يدها لتأخذ القنينة و تخرج بسرعة من هنا..إلا أن صوت تنهيدة  
طويلة وصلها من خلفها تزامناً مع خروجها جعلها تغمض عينيها بصبر  
بدون أن تتوقف عن السير..

خرج بعد لحظات ليجدها تجلس فوق الأريكة منحنية قليلاً.. توقف مكانه و  
هو يراها تنزع فردة الحذاء عن قدمها المصابة بملامح منعقدة قليلا  
بتألم..قبل أن تقوم بثني طرفه قليلاً من الورا و تعيد غطس قدمها بداخله..

إلى أن رفعت رأسها أخيراً بشكل تلقائي..و تجمدت ملامحها حينما وقعت  
عيناها عليه..يقف على بعد خطواتٍ منها يراقبها بتدقيق..بطريقة مزعجة  
أثارت شعور الإستفزاز و الغضب بداخلها أكثر..

تحرك جاد بهدوء مقترباً منها إلى أن وقف أمامها..و امتدت يده لها بصمتٍ  
بدعوة لها لـ..لإمسакها !

مهلاً...هل هذه طريقة مهذبة يطلب منها من خلالها أن ترفع راية السلام  
مؤقتاً بينهما؟! إنه يستهزء بها لا محالة !

لكن ملامحه بدت العكس تماماً..فقد كان ينظر لها بجدية حقيقية و كأنه يتوقع  
منها أن تمسك بيده بالفعل!..هل هو يتوهم؟! هل يظن بالفعل بأنها امرأة  
ساذجة لهذا الحد !

أم أنها ستنسى كل المآسي التي عاشتها على يديه بمجرد أن يعاملها بالقليل  
من التعاطف و اللطف !

نظرة استخفافٍ عميقة اعتلت عينيها.. نظرة لم تمثل أبدًا ما خطر في بالها  
الآن.. فتلك الحركة نوعًا ما ذكرتها بحركة مشابهة.. حينما مدّ نفس اليد لها  
بكل أدب..

يطلب منها أن تشاركه رقصة هادئة كانت كالحلم الذي يتناقض مع الواقع  
البائس لحياتها !

نظرتها تلك.. جعلت ثقته بنفسه تهتز أمام عينيها.. خاصة و هو يراها تشيح  
بعينيها عنه لتقف مسندة نفسها -بنفسها- تاركة يده معلقة في الهواء بعد أن  
كانت كل غايته أن يخفّف عنها ألم إصابة قدمها..

تجمدت عيناه لوهلة على مكانها الذي أصبح فارغًا.. لكنه لم يلبث أن زم فمه  
قليلاً و هو يغلق قبضته في الهواء للحظة قبل أن يدسها في جيب بنطاله  
بهدوء.. إلى أن قال ببرود و هو يتخطاها نحو الباب ؛

\_ دعينا نذهب..

كان قد فتح الباب و يهّم بالخروج حينما اصطدم بتلك الملامح الرقيقة الجميلة  
لشابة كانت تهم بطرق الباب على ما يبدو لكن يدها توقفت في الهواء قبل أن  
تفعل حينما سبقها بفتحه..

زمت شفيتها قليلا كاتمة بعض الإحراج الذي انتابها و هي تنزل يدها و  
تراجع خطوة صغيرة إلى الوراء مردفة بابتسامة متوترة ؛

مرحبًا..

بدا جاد متفاجئًا قليلاً و هو يجيبها ؛

\_ مرحبًا لارا.. كيف حالكِ !؟

قالت -لارا- و هي تتأمله مبتسمة بلهفة لا يمكن أن تغفلها عينان خبيرتان ؛

\_ أنا.. أنا بألف خير.. كنت أريد أن أخبرك فقط بأن أبي.....

تلاشت ابتسامتها مع صوتها قبل أن تكمل و هي تلمح سارة التي وقفت بجانبه رامقة إياها بنظرة تقييمية باردة..شحبت عيناها قليلاً و هي تنقلها بينهما للحظة قبل أن تهمس ؛

\_أنا...لم أكن أعلم بأن..بأن.....

\_أقدم لكِ سارة...زوجتي !

كان هذا صوت جاد الذي قاطعها بثبات بينما يرمق سارة بنظرة تعمد أن تكون خاطفة..فاتسعت عيناها بدهشة و هي تنقلها إلى ملامح سارة الباردة بحيرة ثم تعيدها إليه بحيرة أكبر..

و للحظات ظلت تنتظره أن يضحك متأسفاً عن هذه المزحة السخيفة..رغم أنه لم يمزح معها من قبل أبداً..

فما يجمع بينهما كان مجرد علاقة سطحية مكلفة ببعض الود بحكم أنها تكون ابنة مديره في العمل و الذي يقطن في الشقة التي تحته مباشرة..

ألا أن جاد قال يسترسل بابتسامة هادئة ؛

\_لقد تزوجنا منذ فترة قصيرة و نحن هنا منذ يومين..أسف.. لقد مر كل شيء بسرعة و لم أستطع أن أدعو أيّ أحد لكنني.....

بثر كلامه و هو يسمع صوت زفرة طويلة من سارة..زفرة بدت له و كأنها تحذير خفيّ له تمنعه من خلاله عن إفشاء أسرارها لهذه الفتاة التي يبدو أنها أصبحت تكرها منذ النظرة الأولى..

استدار قليلاً ليرمقها بنظرة خاطفة..و لم يندهش و هو يراها تقف عاقدة ذراعيها كما حاجبها بأعصاب مثقلة بدون أن تنظر له..

صمت لوهلة..ثم تنحج سائلاً بجدية..يخاطب الفتاة أمامه بغاية تغيير منحي الموضوع ؛

\_كنتِ تقولين شيئاً عن والدك !!!



ارتبكت ملامح لارا أكثر و التي كان يلونها إحباط واضح الآن.. قبل أن  
تهمس بخفوتٍ ؛

\_ نعم.. أبي كان يستدعيك للمنزل لأمر يخصّ العمل.. لكن يبدو.....

نظرت لسارة و استأنفت بنبرة ذات مغزى ؛

\_ يبدو بأنك لست متفرغاً لنا الآن !

ارتفع حاجبا سارة و جاد معاً لوهلة بعد جملتها تلك.. فهزت رأسها قليلاً  
متدركة بهدوء ؛

\_ أقصد لا تهتم.. سأخبره بأنك لست متفرغاً الآن.. بما أنك تزوجت حديثاً !!

صمتت للحظة.. ثم أضافت بينما تتجنب عيني كلاهما بنبرة يمكنها أن تكون  
كل شيءٍ إلا سعيدة ؛

\_ مبارك لكما !

و لم تكلف نفسها عناء سماع الرد من أيّ منهما فاستدارت لتغادر في  
صمتٍ.. تاركة سارة تنظر في أثرها بحاجبين منعقدين.. بعد أن استطاعت  
بعينيها الخبيرتين أن تقرأ نظراتها واضحة المعاني... !

---

كانت تمشي بشرود في ذلك الممر الطويل الذي يقود إلى الساحة العريضة  
بعد أن انتهت المحاضرة للتو.. توجهت نحو الباب الرئيسي ثم سيارتها  
الفارحة بخطواتٍ واثقة رغم شرودها..

إلى أن توقفت أخيراً.. و همست بنفس شرودها للسائق الذي اندفع يفتح لها  
الباب الخفي للسيارة بسرعة ما إن لمحها ؛

\_ شكراً لك..

تحركت بعدها تههم بالصعود.. لكنها تسمرت قبل أن تفعل حينما تسلل ذلك  
اللحن الجميل إلى مسامعها.. استقامت مجددًا ناظرة حولها عشوائيًا فلمحته من  
البعيد.. يجلس فوق العشب الأخضر الممتد أمامها لتلك الحديقة الجميلة  
المُقابلة للجامعة..

كان يجلس محاطًا بمجموعة من أصدقائه بينما ذراعه يحتضن ذلك "الجيتار"  
يعزف عليه بانسجام ظهر في حركات يديه و ملامحه الهادئة بالفطرة على  
ما يبدو..

إنه هو مجددًا.. ذلك الأبله الذي قابلته يوم أمس !

زفرت و هي تقترب من السيارة تنتوي الجلوس لكنها عادت و رفعت رأسها  
لترمقه للحظاتٍ بتفكير.. و بدون أن تشعر أو تخطّط.. وجدت نفسها تندفع  
بجنون لا سبب له لتفتح محفظتها و تخرج ذلك الدفتر الذي أعطاه لها..  
ألقت بالحقيبة في الداخل ثم قالت موجهة كلامها للسائق قبل أن تندفع باتجاهه  
بخطواتٍ أنيقة واثقة ؛

\_ سأعود حالًا..

وقفت أمامه تنظر له بملامح مقتضبة حادة تحمل الكثير من الغيظ اللّامبرر.. إنه يبدو مستمتعًا تمامًا فيما يفعله لدرجة لم تسمح له بالإنبتباه لها حتى  
!

لكن غايتها ليست لفت انتباهه على أيّة حال...

ألقت بالدفتر أمامه بغير مبالاة إلى أن ارتطم بالعشب الأخضر دون أن  
يصدر صوتًا.. و حينها فقط.. كان يرفع رأسه لينظر لها بذهولٍ شديدٍ شاركه  
به أصدقاءه !!

إلا إنها لم تكثرث لأحدهم و هي تقول باقتضاب ؛

\_ لن اقول لك شكرًا لأنني لم أطلب منك أن تدون لي شيئًا.. لكن عمومًا لقد نقلت كل ما فيه إلى دفترتي و ها قد أعدته لك حتى لا يكون لك عندي شيئًا يجعلني مدينة لك !!!

أنهت كلامها ثم التفتت بنفس الملامح المقتضبة الجامدة لتتجه إلى السيارة و تدلف إليها متخذة مكانها في المقعد الخلفي بأناقة..

بينما تجمد سليم تمامًا و هو يراقب السيارة تتبعد تدريجيًا بشفاه مفتوحة بغباء..

ظل يراقبها للحظات إلى أن اختفى أثرها.. فأزاح "الجيتار" جانبًا ليلتقط ذلك الدفتر بين أنامله ناظرًا له بلا تعبير.. يشعر بالأسى لأنها نسفت طريق التعارف بينهما منذ بدايته !!

\_ تؤ تؤ تؤ.. ماذا كان هذا الذي حدث للتو ؟!!!

قال صديقة الذي كان يجلس في يمينه بعثت.. فالتفت إليه سليم بسرعة ناظرًا له بحدة.. قال بفضاظة و هو يلتقط جيتاره و يقف ؛

\_ ليس من شأنك..

انخفض قليلاً ينفض بيده الأخرى بعض ذرات التراب عن بنطاله الجينز قبل أن ينسحب بهدوء متجهًا إلى سيارته التي لا تقل فخامة عن سيارة سيلين..

وضع الجيتار في المقعد الخلفي ليستقر مكانه أمام المقود بينما الكتاب لا يزال قابعًا بين يده.. شعور من خيبة الأمل تسلل إلى داخله و هو ينظر له لعدة ثوانٍ بصمت..

ثم لم يلبث أن تنهد تنهيدة طويلة و هو يهز رأسه قليلاً مبتسمًا ببساطة بينما يلقي بالدفتر في المقعد المجاور لمقعد السائق قبل أن يشرع في تشغيل السيارة منطلقًا..

هيا.. على الأقل هي من تطوّعت هذه المرة و أتت إليه.. بل و تكلمت معه !!!

و في مكانها كانت سيلين تراقب حركة المرور خلف النافذة المقابلة لها  
بتشوشٍ.. لماذا فعلت ذلك؟! لماذا؟! رغم كل شيءٍ فقد كان غرضه نبيلًا و  
حاول مساعدتها فقط..

هو لم يتصرف معها بوقاحة أو يتجاوز الحدود أبدًا.. بل على العكس تمامًا فقد  
كان مؤدبًا و لطيفًا بشكلٍ أسر..

مهلاً.. بشكلٍ أسر!!! بماذا تفكرين يا مجنونة؟!

يبدو أنني أيضًا أصبحت أهذي بعدك يا سارة!!

ابتسمت بسخرية مريرة و أفكارها تعود لسارة مجددًا..

" تصرفتِ معه بكل رخصٍ فاعتبركِ رخيصة و تخلى عنكِ.. "

كم كنت قاسية في حقكِ يا سارة!!

ليتها فقط.. فقط أخبرتها.. كانت ستقف لها بالمرصاد و تمنعها حتى و لو بالقوة  
من الذهاب معه.. اتسعت ابتسامتها المريرة و هي تفكر بأن سارة لم تخفي  
عنهم الأمر إلا لهذا السبب..

و هي كالحمقاء أخذت تصرخ في وجهها بأبشع الألفاظ.. لقد عايرت أختها  
حرفيًا بحقيقتها التي أفشتها بنفسها لها!!!!

ترسخ الحزن في ملامحها الجميلة و هي تطرق برأسها قليلاً إلى أناملها  
المتشابكة فوق حجرها.. الآن لو رأتها فلن تتوارى عن الاندفاع إليها و ضمها  
بقوة خانقة إلى صدرها.. ثم طلب السماح حتى تناله منها..

فقط لو تراها.. لو تراها!

انتبهت بأن السائق قد توقف أمام المزرعة خاصتهم.. فحملت حقيبتها لتنزل  
من السيارة بهدوءٍ.. و سرعان ما وجدت أفكارها تأخذها إلى ذلك الأبله  
مجددًا..

حينما تذكرت بأنها و للعجب لم تدون شيئاً من دفتره لديها.. فقد كانت حركة  
متهورة منها عندما رآته فجأة أمامها يعزف بكل ذلك الإنسجام بينما هي تغلي  
من الداخل.. حركة لم تكن مقصودة.. لم تحسب لها حساباً و لم تعرف لها سبباً

!!!

---

فتاة أخرى كانت تعيش نفس الموقف.. جالسة في السيارة تراقب السراب  
بعينين لا تنظران.. لكن هذه المرة في المقعد المجاور لمقعده.. و ليس في  
الخلف..

هذا الهدوء الذي يكتنفها اليوم من أخصم قدميها حتى رأسها يجعل عقله  
مشغولاً بها.. كان يرمقها بين كل لحظة و أخرى بنظرة خاطفة و كأنه يخشى  
إن أغفل عينيه عنها أن تختفي فجأة..

وقعت عيناه على يدها التي كانت تغرقها بين خصلات شعرها المتطايرة  
بفعل النسيم.. في حركة كانت كل الغاية منها أن تهذبها قليلاً على ما  
يبدو.. فتسمر و هو ينظر لذلك الخاتم الذي يحيط بنصرها.. خاتمه !  
شعر بقلبه يختلج بقوة.. و طرف قليلاً متغافلاً عن الطريق لوهلة.. إنها لم  
تنزعه من يدها حتى الآن ! و لا يظن حتى بأنها تنوي نزعه !  
ربما نسيته أو تناسته..

أو تحاول أن تتظاهر بأنها تناست أمره حتى لا تقع في موقف لا تحسد عليه  
أمام نفسها فتضطر لنزعه !

التفتت إليه فجأة و كأنها شعرت بمراقبته المستترة لها.. لكنها ما إن نظرت  
له.. وجدته يراقب الطريق بتركيز.. ينظر أمامه بهدوء و كأن أي شيء لم  
يكن.. تشوشت عيناها قليلاً و هي تنظر له بتوجس.. قبل أن تعود لتبعد  
أنظارها عنه متأملة منظر السماء الدافئ..

فارتسم شبح ابتسامة هادئ على شفثيه و هو يرمق الخاتم بين أصابعه بنظرة سريعة..بينما تاه عقلها و هو يردّد جملة حاولت أن تتجاهلها منذ خروجها باستماتة..

" يبدو أنك لست متفرغًا لنا الآن !! "

هزت رأسها قليلاً مبتسمة بسخرية..ربما لو كانت في وضع أفضل من هذا لكانت أطلقت على مشاعرها المتوهجة اسم "غيرة"..لكن وضعها البائس هذا لا يخول لها التمتع بذلك الإحساس الذي يعد رفاهية في الحب أكثر من كونه مجرد شعور ينم عن عشق حقيقي !

انتبهت إلى السيارة التي توقفت أخيرًا أمام بناية شاهقة واسعة..فتراجعت قليلاً و هي تنظر حولها بتوجسٍ، هذا المكان.....مألوف جدًا !! بل إنه نفسه !!

هذه هي المكتبة التي كانت ترد إليها بين فترة و أخرى..و قريبًا من هذه المنطقة يقع منزلها الحبيب حيث كانت تقطن وحدها أثناء فترات عملها هنا.. أفكارها تلك..لم تسمح لها بملاحظة جاد الذي كان قد فتح الباب و دار حول السيارة ليفتح الباب من جهتها أيضًا..فرفعت عينيها إليه لترمقه بنظرة مبهمة و عقلها يتساءل للمرة الألف عن سبب إحضاره لها لهذا المكان الذي من المفترض أنه لا يعرفه !

ثم أنزلت قدميها إلى الأرض لتقف بخيلاء رغم الألم الصّادر من تحت قدمها..و لم تكذب تستوعب حتى وجدته يمد يده ليلمسك بيدها بكل إعتيادية و ثقة..نظرت له بانفعال مكتوم و هي تهم بإبعاد يدها..

لكنه بدا أكثر من مصر و هو يضغط أناملها بين أنامله برفق إلى أن تخللها أمام عينيها..و همس بجدية ؛

\_ ليس الآن..في المنزل تستطيعين إبعادي كما تشائين لكن الآن تمسكي بيدي..فلست أنا من يترك زوجته تمشي بدون سند !

همست سارة أمام وجهه من بين أسنانها ؛

\_ أنا أستطيع أن أسند نفسي بنفسي.. لا أحتاجك !!

لم تغير جملتها في ملامحه شيئاً.. بل قال بكل هدوء و كأنه يخاطب مجنونة ؛

\_ أعلم !

ثم بدون أن يمنحها رفاهية الرفض و التقرير عن نفسها بنفسها تقدم خطوة نحو المكتبة و هو يسحبها معه.. فزفرت بقوة عدة زفراتٍ مجنونة و هي تحاول أن تسير خطواته الشبه سريعة.. لكنها عجزت فتوقفت فجأة متأوهة ؛

\_ على مهلك !

تراجع جاد بسرعة و كأنه تذكر الآن فقط إصابة قدمها.. فقال بقلق و هو يدقق النظر في وجهها ؛

\_ أنتِ بخير !!!

لم تنظر له سارة و هي تومئ باقتضاب.. فتنهد و هو يجاورها المشي بخطواتٍ رفيقة الآن.. إلى أن دلفا إلى المكتبة الواسعة الأنيقة... يداً بيد

!!

لم تستطع أن تصمد أكثر من ذلك فتركت يده بإهمال لتندفع إلى تلك الطاولة الطويلة المُحاطة بعدد من الكراسي و تجلس على واحد منهم.. و ما إن اقترب منها ليشاركها الجلوس في الكرسي الجانبي الملاصق لمقعدها قالت بضيق ؛

\_ لماذا أحضرتني إلى هنا ؟!

ابتسم جاد بهدوء و هو يقول بنبرة ليست عادية أبداً ؛

\_ ظننتكِ تحبين هذا المكان !!

رفعت حاجباً واحداً حذراً و هي تردف بفضافة ؛

\_ و ما أدراك ؟

تلاشت ابتسامته قليلاً بدون تختفي تماماً.. في نفس الوقت الذي اعتلت عينيه نظرة مبهمة حملت مغزى غريباً بالنسبة إليها.. فنقلت عينيهما بين عينيه بعجز عن الإستيعاب.. قبل أن يرتفع حاجباها معاً الآن و عقلها يرفض تصديق تلك الفكرة التي طرأت بداخله..

إلى أن همست ببطءٍ شديدٍ شاعرة بالرهبة ؛

\_ لا.. لا تخبرني بأنك.....

لم تستطع أن تكمل.. عجز عقلها عن تشكيل السؤال حتى.. فتولى جاد هذه المهمة عنها.. و قال بكل هدوء ؛

\_ بلى.. سأخبرك !! سأخبرك بأنك لم تغيبني عن عيناى ليوم واحد.. دائماً كنت معك.. خلفك في كل مكان.. أدمنت هذه المكتبة من كثرة المرات التي جنثُ فيها إليها لاحقاً بك...

ظلت سارة تنظر له بغير تصديق للحظاتٍ طويلة.. بصدمة.. قبل أن تبتلع ريقها ببطء.. و لم تستطع أن تتمالك أمر تلك الهمسة التي خرجت محملة بذهول شديد ؛

\_ أنت مهووس !!!!

\_ ربما !

جاءها الرد فورياً في غاية البساطة.. فابتسمت بعصبية بينما تهمس لا تزال عاجزة عن الإستيعاب ؛

\_ لا عجب أنك كنت وراء كل حدثٍ غريب وقع في حياتي !!!!!

قابلها بنفس الهدوء.. ثم قال بينما يقترب قليلاً مدققاً النظر في عينيهما السّاحرتين ؛

\_ لم أكن لأدعك تغيبين عن أنظاري و لو للحظة واحدة !!

صمت قليلاً ثم أكمل بصوتٍ عميق ؛



\_ لا وجود للصدف في هذه الحياة..حتى الصّدف التي لا تكون من  
تخيطنا..يدبرها القدر..كوني واثقة من ذلك !

شعرت سارة بأنها غير قادرة على النظر له و سماعه أكثر.. فزفرت بيأس و  
هي تشيح بعينيها عنه..وقعت عيناها فجأة على تلك الشابة التي كانت تقترب  
منها بخطواتٍ سريعة و على شفاهها ابتسامة واسعة..

و ما إن وصلت إليها انحنت لتطوقها بشدة هاتفة ؛

\_ سارة !! يا إلهي أين اختفيت كل هذه المدة !!؟

كانت قد إبتعدت لتقابل عيني سارة تزامناً مع نطقها لآخر كلمة.. ففتحت  
سارة فمها تهم بإجابتها لكن "حلا" مسؤولة المكتبة سبقتها و هي تقول بدهشة  
بينما تنقل أنظارها بينهما باهتمام ؛

\_ هل تعرفان بعضكما !!؟

قالتها بدهشة كبيرة بالفعل.. فكلاهما متوافدان عزيزان للمكتبة.. و كلاهما  
تعرفهما جيداً.. و كلاهما مختلفيان منذ فترة طويلة !!!

و الآن تتفاجئ بـكلاهما- يجلسان في نفس الطاولة يتبادلان أطراف الحديث  
في انسجام و كأنهما على معرفة قوية ببعضهما البعض.. مع العلم بأنها لم  
ترهما سوياً من قبل أبداً..

ارتبكت سارة قليلاً بدون أن تتفوه بكلمة فتولى جاد دفة الحديث و هو يرد ؛

\_ بالتأكيد.. سارة تكون ابنة خالي و زوجتي..

قال آخر كلمة بنبرة مميزة.. ثم نظر لسارة مسترسلاً ببساطة تدعو لـ.. لصفحه  
!!

\_ كما أنها هي من دلتني على هذه المكتبة.. لم أحب القراءة إلا لأجلها !!!

زمت سارة فمها على نظرة قاتلة منحتها له.. قبل أن تجبر نفسها على رسم  
ابتسامة صغيرة و هي تنظر لحلا ؛

كيف حالك حلا؟!

أجابت حلا بحماسٍ بينما لا تزال تنظر بينهما بانبهار ؛

أنا..أنا بخير..أنا متفاجئة حقًا..زوجان !! يا إلهي !!

تنحنحت و هي تجلي صوتها ناظرة حولها للهدوء المحيط بكل المكان لتهمس  
هذه المرة بخفوتٍ مرح ؛

لكن حقًا..كلاكما تشكلان ثنائياً مثاليًا جدًا..مبارك لكما !!!

لم تستطع سارة أن تتجاوب مع سعادتها..فابتسمت بفتور و هي تنظر  
جانبًا..بينما قال جاد بابتسامة عريضة ؛

شكرًا لك..

شعرت سارة بأعصابها تنهار ببطءٍ..فوقفت فجأة هاتفه ؛

بما أننا هنا فسأختار كتابًا مناسبًا لأقرأه..

لم تنتظر أكثر..ابتعدت تسير بخطواتها غير الثابتة برفقة حلا إلى أن اختفت  
بين الرفوف العديدة..بدون أن تهتم برمقه بنظرة أخرى أثناء ابتعادها..

فتنهده جاد بقوة و عقله يفسر جملتها بشكل مخالفٍ تمامًا..إنها لا تريد الجلوس  
معه..تكره النظر له و التكلم معه..يستطيع أن يرى و يتفهم ذلك..

ظل جالسًا مكانه لا يفعل أيّ شيءٍ سوى العبث عشوائيًا في هاتفه و رمق  
المكان حيث اختفت بين كل لحظة و أخرى منتظرًا عودتها..

و ما إن شعر بمدة غيابها تطول أكثر من اللازم دس الهاتف في جيب بنطاله  
و هو يقف فجأة ليشرع في السير بهدوء متجولاً بين الرفوف المُصطفة  
بانتظام لعله يجدها في مكان ما هنا..

كان يقرأ عناوين الكتب باهتمام و هو ينظر حوله في نفس الوقت باحثاً عنها.. إلى أن وجدها أخيراً.. كانت تقف في الجانب الآخر من ذلك الممر الذي يقف به.. رأسها مطرق تنظر لكتاب معين في يدها بجدية و اهتمام..

سكن مكانه للحظات بدون أن يقترب أو يصدر صوتاً.. فقط يتأمل ملامحها الساكنة المبهرة للنظر كما يجب دائماً.. بلامح هادئة.. حتى أنه لم يشعر بنفسه و هو يتراجع قليلاً إلى أن أصبح يستند إلى الرف الطويل بكتفه بينما يدسّ يديه في جيب بنطاله مستسيغاً هذه اللحظات الثمينة من الهدوء..

ذلك الهدوء الذي اختفى تدريجياً من ملامحه و انعقد حاجباه ببطءٍ حينما وقعت عيناه على نظراتٍ أخرى كانت تلتهمها إلتهاماً !

كانت لرجل يقف على بعد خطواتٍ منها من الجهة الأخرى.. يدقق النظر بها بكل أريحية.. و ابتسامة عابثة مقرزة تظلل شفثيه..

كان يجب أن يندفع الآن إليه ليجره من قميصه و يشبعه ضرباً حتى تختفي تلك النظرة المقيتة الحقيرة.. لكنه وجد جسمه متصلباً مكانه كما عقله الذي امتنع عن إعطائه أمر التحرك..

فتسمر قليلاً يرى تلك النظرة العابثة و هي تتلاشى فجأة ليحل محلها الكثير من اللطف حينما اقترب من زوجته ليهمس لها بشيءٍ لم يتبينه من مكانه ؛

\_إذن هو في يدك.. و أنا الذي كنت أبحث عنه منذ الصباح !!

كانت هذه هي الجملة التي همسها لها.. فأجفلت سارة في الوهلة الأولى و هي ترفع رأسها ناظرة له باستنكار.. لكنها سرعان ما استوعبت فحوى جملته فنقلت عينيها بينه و بين الكتاب في يدها..

قبل أن يرتفع جانب شفثيها في ابتسامة متحفظة قليلاً قالت على إثرها بعفوية و هي تمده نحوه ؛

\_خذه إذن.. هو لك !

بادلها الرجل الإبتسامة بأخرى عريضة جدًا و هو يرفع أنامله بغاية أخذ الكتاب..و بالطبع لم يكن ليضيع فرصته الهائلة فانحرفت أنامله ملامسة ظاهر كفها في حركة ادّعى بأنها عفوية..

لكنها وحدها جعلت سارة تجفل قليلاً مبعده يدها و تاركة الكتاب يسقط أرضاً..رمقت الكتاب سريعاً قبل أن ترفع عينيها إليه بسرعة لتلمح ابتسامته العريضة التي لم تهتز أبداً..

فاحتدت ملامحها قليلاً و فتحت فمها تريد أن تقول شيئاً..ربما تشتمه !! لكنها ما كادت أن تنطق حرفاً واحداً حتى كانت تشهق فجأة و هي ترى تلك اليد الخشنة التي ظهرت أمامها من العدم لتصطدم بصدر الرجل تدفعه بقوة مجنونة تراجعت لها خطواته إلى الوراء..

كانت لجاد بالطبع !

و هو بالطبع لم يكتفي عند هذا الحد..فقد ارتفعت يدها تلك المرة ليقبض بها بعنفٍ على ياقة قميص ذلك الرجل المُتحرش..و هتف يهزه بغضب مجنون تماماً !

تلك التي لمست يدها الآن تكون زوجتي أيها النذل !!!!

ما الذي يحدث هنا ؟!

قاطع صراخه هذا الصوت الرقيق و الغاضب في نفس الوقت.. ثم لم تلبث أن أكملت حلا بحدة و هي تنقل عينيها بين ملامح الرجل المذهول تماماً..و جاد الذي لم يبدو مهتماً بإجابة سؤالها حتى ؛

هل جننتم ؟! هذه مكتبة ! الناس تأتي إلى هنا لتتال بعض الهدوء لا أن تخربوه بهمجتكم هذه !!!

ثم قالت فوراً و هي تشير بيدها لنهاية الرواق موجهة كلامها لكليهما ؛

اخرجوا..اخرجوا من هنا و تشاجروا بعيداً من فضلكما...

كانت سارة لا تزال تقف مكانها مستندة بظهرها إلى الخزانة ورائها.. تراقب  
الوضع بعينين متسعيتين و أنفاس متسارعة.. و ما كادت أن تتمالك  
نفسها.. حتى كانت تندفع إلى جاد بسرعة إلى أن أمسكت بذراعه هاتفة  
بصوتٍ منخفضٍ ؛

\_ اتركه يا جاد.. اتركه حالاً... !!

التفت جاد بسرعة لينظر لها بملامح لم يتلاشى منها الغضب دون أن تترك  
قبضتيه قميص الرجل الذي نظر بينهما بارتباكٍ بينما ملامح الدهول و الغباء  
لا تزال مرتسمة على وجهه..

و زادت و هو ينظر لذلك المجنون متسع العينين الذي دفعه فجأة بدون أن  
ينظر له.. بقوة كادت أن تسقطه لولا أن تمالك نفسك..

كان جاد في عالم آخر ينظر لسارة بصدمة.. فارتبكت و هي تترك ذراعه  
بسرعة و تشيح بأنظارها عنه غير مستوعبة بعد لما يحدث..

الحقيقة أنه لم يكن ليترك ذلك الرجل بهذه السهولة إلا بعد أن يسحق عظامه  
اللعينة بقبضتيه..

لكن منظر الدماء التي كانت تسيل من أنفها بدون أن تشعر بها و التي وقعت  
عيناه عليه بمجرد أن التفت لها جعل أوصاله تتجمد للحظاتٍ و يديه تتحركان  
بغير تخطيطٍ منه لتحرران ذلك الرجل النذل كما وصفه..

لم يشعر بنفسه إلا و هو يرفع يديه الاثنتين ليحتوي بهما وجهها مدققاً النظر  
بكل إنشٍ منه.. فانتفضت سارة بجزعٍ داخلي أمام حركته المفاجئة تلك و أمام  
تلك النظرة التي احتلت عينيه المتسعيتين.. نظرة جزعٍ خالصة !!

قبل أن يفتح فمه ليسأل بتشوش ؛

\_ ما.. ما هذا ؟!!!

عقدت حاجبها قليلاً بعدم فهم.. لكن أنظاره التي انزلت إلى أنفها تتسمر  
هناك جعلت إدراكها يهتدي لنقطة معينة فرفعت يدها ببطء لتلمسه  
بحيرة.. قبل أن تتسع عينيها هي الآن بصدمة و هي ترفع سبابتها أمام  
وجهها... دم!!!!

ارتجفت رموشها و هي ترفع عينيها إليه ببطء.. نظرت له بعجز عن الفهم.. و  
قد بدت و كأنها تطلب منه هو تفسيراً على ما أصابها " هي " !!!

قالت حلا التي كانت تنظر لذلك الخيط الرقيق النازف من أنفها ببعض القلق  
بينما تمد لها منديلاً ورقياً أخرجته من جيب معطفها ؛

\_ ربما لأنها أجفنت!.. هذا يحدث نادراً مع بعض الناس حينما يفعلون أكثر  
من اللازم..

نظر لها جاد كالمنوم مغناطيسياً و هو يأخذ المنديل منها قبل أن تشرع يده  
في إبعاد كل أثر للدماء.. بينما اليد الأخرى امتدت بغير وعي منه لتقبض على  
ذراعها النحيل ببعض القوة و هو يسمع حلا تكمل بتعقل ؛

\_ الأفضل أن تأخذها إلى المنزل لتنال قسطاً من الراحة..

ثم أشارت لوجهها الشاحب بذقنها و هي تضيف ؛

\_ إنها تبدو شاحبة جداً.. ربما كانت الفترة السابقة مرهقة لها.. و ربما هذا ما  
يجعلها تبدو منطفئة على غير العادة !!

هل كان يجب أن تستعمل تلك الكلمة بالضبط؟! منطفئة!!!!

شعر بقلبه يتمزق إلى شطرين و تلك الكلمة تتخلل عقله بمكر.. بينما ارتكزت  
عيناه على عيني سارة و تبادلنا نظرات ذات مغزى..

كانت نظرتة مرتبكة.. يشوبها قلقه الشديد الذي لا يملك أمر التحكم به.. و  
سارة ساكنة تماماً بين يديه.. تنتظر له بجمود يحمل مغزى قرأه بلا حاجة  
لسماعه..

" أنت كنت سبب هذا الإنطفاء.. فلا تدعي الدهشة و القلق الآن !! "

هي.. قالت ذلك بالفعل.. عيناها قالت ذلك !

ظل ينظر لها تائهاً.. أنفاسه كأنفاسها بطيئة رغم رتابتها.. ثم تتحنح ليستعيد رباطة جأشه.. و راقبته سارة بينما يبعد المنديل عن أنفها و يترك ذراعها مخلفاً فراغاً عميقاً مزعجاً..

شردت عيناه قليلاً بعيداً عنها و هو ينظر لذلك المنديل بين يده.. ثم لم يلبث أن قام بثنيه بكل هدوء على جهته النظيفة ليغرقه في جيب بنطاله أمام عينيها.. و كأنها أمانة عزيزة مُنحت له من طرفها يتوجب عليه أن لا يضيعها !!

## " الرmq الثاني عشر ؛ اشتياق "

\_ دعينا نذهب ..

لم يدِر كيف استطاع أن يتمالك نفسه ليهمس تلك الكلمة أمرًا بخفوتٍ مقتضبٍ.. في نفس الوقت الذي امتدت يده تقبض على يدها و هو يحفزها على السير باتجاه الباب العريض للمكتبة..

كان يجرها حرفيًا بخطواتٍ سريعة نسبيًا حاولت أن تجاريها بصمتٍ.. لكنها.. فخرج تأوه خافت من بين شفثيها و هي تتوقف في منتصف الطريق مجبرة إياه على التوقف هو الآخر..

استدار جاد ناظرًا لها بقلق.. لكنها كانت تنظر للأسفل حيث قدمها الملفوفة بالشاش بحاجبين منعقدين قليلًا.. فزفر بلا صوتٍ و هو يشتم نفسه داخليًا على غباءه الذي يجعله يتغافل في كل مرة عن كونها مصابة..

لكن ملامحه عادت تتنبه مجددًا حينما انخفضت سارة تهم على ما يبدو بتعديل وضع الحذاء الذي يبدو بأنه التصق فوق الضمادة مرسلًا لها تلك الرجفة من الألم.. فارتفع حاجباه لوهلة ثم لم يلبث أن انحنى أسرع منها..

و ما فعله كان... أن جلس القرفصاء أمام قدميها جاعلاً من عينيها تتسعان قليلًا دهشة و ذهولًا.. قبل أن تمتد أنامله لتمسك بقدمها المصابة في حركة شعرت بها مفاجئة إلى درجة أن كادت تفقد توازنها و لم تشعر بيديها اللتين ارتفعتا عفويًا تستند بهما على كتفيه..

حينها.. و للحظة واحدة.. تسمر جاد على ملمس تلك الأنامل الدافئة حتى و لو كان بينها و بين بشرته سترته السوداء الرسمية و التي كان يرتديها فوق قميص أبيض بدون ربطة عنق كما يفضل غالبًا..

و كيف زادت الطين بلة ؟



همست تنقل عينيها حولهما بارتباك.. بصوتها الخافت الناعم بنبرة مُضطربة  
و أناملها تتقلص على كتفيه بدون أن تشعر بذلك غالبًا ؛

\_كفى.. لا داعي لذلك..\_

لكنه تجاهلها بمنتهى البساطة و هو يبعد فردة الحذاء عن قدمها برفق.. قبل أن  
يمسك بقدمها الأخرى فقالت بتوتر ؛

\_ماذا تفعل؟!؟!\_

لم يرد جاد فقد نزع فردة الحذاء الأخرى بهدوء قبل أن يقف بسرعة ليضع  
الفردين في يديها فتمسكت سارة بهما و هي ترفع حاجبها سويًا ناقلة عينيها  
بينه و بين قدميها الحافيتين بذهول..

و لم تكذ تنطق بكلمة استنكار واحدة حتى كانت عيناها تجحطان بصدمة  
حينما انحنى ل... يحملها بين ذراعيه... !!

هنا... في الشارع !!!

نظرت حولها بتوتر لوهلة.. و حمدت الله ألف مرة و هي تجد المكان شبه  
خاليًا من المارة.. قبل أن تعيد أنظارها إليه لتهمس بحدة غاضبة و قبضتها  
تنغلق فوق صدره موضحة رغبة داخلية انتابتها بقوة في... ضربه !!

\_هل أنت معتوه؟!؟! أنزني!!!!\_

لكنه رد بجدية مستفزة و هو يتمسك بها أكثر ضد أي محاولة للمقاومة ؛

\_أنت لا تستطيعين الوقوف باستقامة حتى.. لذا التزمي الصّمت و تمسكي بي  
جيدًا !!

فتحت فمها تريد أن تصرخ به بغضب أكبر لكنها عادت و زمته حينما لمحت  
فتاتين كانتا تمشيان باتجاههما.. فأغمضت عينيها و هي تكاد تموت إحراجًا..  
قبل أن تجبر نفسها على رفع ذراعيها إلى أن حاوطت عنقه على مضض.. و  
همست من بين أسنانها تحته بغیظ ؛

**\_ألن تتحرك !!!**

شبح ابتسامة غير ملحوظ ارتفع له جانب شفثيه هو يلمح إحدى الفتاتين التي كانت تنظر له بهيام قبل أن تتحني لتهمس لصديقتها بشيء ما لم يسمعه.. لكنه استطاع أن يسمع همستها الثانية ما إن مرت بجانبه..

" الناس تعيش عمرًا كاملاً و لا تجد من يدلها قليلاً.. يا لها من محظوظة بالفعل ! "

لم يكن جاد فقط من سمع.. فقد مطّت سارة شفثيتها بضيق و هي تسمع ما قالته.. قبل أن يتحرك عدة خطوات معدودة شعرت بأنها أميال..

إلى أن توقف بجانب سيارته لكنه لم يحرّرها.. بل فتح الباب بصعوبة لينزلها برفق شديد.. مزعج.. فوق الكرسي الجانبي لمقعده..

و حينها فقط كانت سارة تزفر نفساً ثقيلاً جداً حانقاً و هي تستقيم في طريقة جلوسها ملقبة بفردتي حذائها بعنفٍ أرضاً..

خاصة و هي ترى ملامح الإسترخاء و الرضا التي اعتلت وجهه بالكامل بينما يتخذ مقعده و ينطلق بكل هدوء..

---

بعد دقائق طويلة.. توقفت السيارة أمام المنزل.. و هذه المرة كانت سارة من تفتح الباب بنفسها و تنزل.. و ما إن توقف جاد أمامها.. و لمحت رغبته الواضحة في حملها مجدداً.. قالت ترفع اصبعاً محذراً أمام عينيها الماكرتين بصلاية لا تقبل الجدل ؛

**\_إياك !!!!**

لم يستطع جاد أن يلفظ كلمة رفض واحدة و هو يرى نظرات الجدية القاطعة تؤطر عينيها.. فزفر بقوة و هو يتنحي قليلاً و يفرد يده باستسلام باتجاه المنزل..

فتقدمت سارة عدة خطواتٍ بدت شبه ثابتة.. لكنه وحده يعلم بأنها تتصنع الثبات..

سار بجانبها بهدوء حريصًا على أن لا يتخطاها أو يلمسها..  
كان يشعر بضغط هائل يجثم فوق قلبه و هو يتجه برفقتها إلى المصعد.. ليقف على بعد مسافة قصيرة لا تتعدى النصف متر منها..

ينظر لها بينما هي تعقد ذراعيها ناظرة بصمتٍ أمامها..  
تستند إلى الجدار الحديدي خلفها و كأنه غير موجود.. رغم أنه أخبرها قبل دقائق ليست بالطويلة بأنه ليس الشخص الذي يترك زوجته تمشي بدون سند !

دسّ أنامله في جيبه بنطاله و هو يشيح بعينيه عنها مضطرًا.. قبل أن يفتح المصعد أبوابه ليتقدم كلاهما بصمتٍ نحو المنزل.. و ما كاد أن يفتحه حتى وجدها تدخل قبله لتتجه إلى الأريكة الجانبية و تجلس عليها..

جلست هناك قبل أن تتحني مكررة نفس الحركة السابقة.. أخرجت قدمها من الحذاء أمام عينيه قبل أن تتراجع بجذعها إلى الوراء إلى أن أصبحت تستند إلى طرف الأريكة مغمضة عينيها بإرهاقٍ شديد تأمله من مكانه ب... بشعور دخيل من الذنب... !

ربما لم يكن عليه أن يجبرها على الخروج من الأساس !  
ظل واقفًا مكانه للحظاتٍ طويلة.. يدسّ يديه في جيبه بنطاله.. يتأملها بعينين مبهمتين.. و قد بدت و كأنها نسيت أو تناست وجوده..  
إلا أنه أن هز رأسه في النهاية مستعيدًا تركيزه.. قبل أن يتحرك مقتربًا من البهو الأنيق تزامنًا مع يده التي ارتفعت لتمسكُ بطرف سترته إلى أن أبعداها عن كتفه ملقيًا بها بإهمال فوق المقعد المقابل لخاصتها..  
يلبها هاتفه و مفاتيحه و هو يضعهما فوق الطاولة أمامها..

لكنها لم تفتح عينيها رغم ذلك و لم تغير من وضعيتها.. فهمس و هو يرمقها  
بنظرة أخيرة سرعان ما التفت بعدها متجهاً إلى المطبخ ؛

\_\_ بما أنك لا تزالين متعبة فارتاحي قليلاً.. أنا سأحضر شيئاً سريعاً لنأكله..

ظلت سارة ساكنة على نفس الوضع لدقائق.. الصّوت الوحيد الذي يصلها هو  
الصادر من حركة الأواني البعيدة من المطبخ.. لكن كل ذلك لم يلفت  
انتباهها.. بل كان صوت الرنين المكتوم الذي صدر من هاتف جاد فجأة..

تنهدت و هي تفتح عينيها بكسل لترمق الهاتف بنظرة متباعدة غير مبالية و  
تعود إلى نفس وضعها..

لكنه رن مجدداً و مجدداً فزفرت و هي تستقيم ببطءٍ لتلتقطه بين أناملها  
بترددٍ..

" لارا "

إنها نفس الفتاة التي رأتها اليوم !!

لكن من كلامهما سويًا فهمت أنها ليست مقربة من جاد بأيّ طريقة.. على  
الأقل -هو- ليس مقربًا منها بأيّ طريقة ! لماذا تتصل به إذن ؟!!!

ضاقت عيناها قليلاً و هي تدقق النظر بالإسم المزعج.. ثم لم تلبث أن زمت  
شفتيها حزمًا و هي تعيده مكانه.. و ما دخلها هي ؟!! تبًا لكلاهما إنها لا  
تهتم !!

عادت تريح رأسها على طرف الأريكة ناظرة للسقف بشرود.. تشعر بأنها  
غارقة في قوقعة مغلقة مليئة بالتساؤلات المُبهمة و الأمانى المستحيلة..

توقف الرنين أخيرًا فشعرت بنوع من الإرتياح اللّامفسر.. لكنها علمت بعد  
لحظة بأن صاحبه لم يتوقف عن الإتصال إلا لتتسنى له فرصة لكتابة رسالة  
عريضة طويلة و إرسالها لنفس الرقم...

رسالة ؟!!

فتحت عينيها بتردد لتتنظر لشاشة الهاتف التي اشتعلت فجأة حيث ظهر ذلك التنبيه الجديد.. و ظلت تحرق به لثوانٍ طالت بلا تعبير.. كانت أناملها تتلكئ بقوة مفصحة عن رغبتها في إمساك الهاتف اللعين الآن و إلقاءه إلى أبعاد مكان..

أو فقط قراءة الرسالة بتمعن لتعلم ما الذي يجري.. ما الذي يجري؟!!!!  
لكنها في النهاية اكتفت بأن زفرت نفساً طويلاً جداً و هي تعقد ذراعيها بشدة مشيخة بوجهها بعيداً.. تحاول بكل ما تمتلكه من جهد أن تكبح فضولها الغبي و تصرف انتباهها عن الهاتف..

لكنها عجزت بقوة.. فطرفت برموشها الكثيفة و هي تلتفت قليلاً لترمق الهاتف بتردد.. ثم بدون أن تفكر كثيراً هذه المرة حررت أناملها.. و اعتدلت في طريقة جلوسها و هي تمد يدها لتلتقط الهاتف حيث فتحت الرسالة بسرعة..

" مرحباً جاد.. كيف حالك؟!!! أتمنى أن لا أكون قد أزعجتك بالفعل.. أنا اتصلت بك مراتٍ عديدة لأخبرك بأن موعد الفحص الطبي الخاص بي يكون غداً في حال كنت قد نسيت.. مع أنني متأكدة أنك لا يمكن أن تنسى.. لقد حاولت جاهدة لأقنع أبي أن يترك السائق يقلمي.. لكنه لا يثق بغيرك كما تعلم.. الآن و قد عدت من السفر لا يمكن أن يسمح لغيرك بمرافقتي إلى المشفى.. أنا سأنتظرك غداً كما العادة.. و أتمنى أن تأتي و إلا فسأفوت الفحص.. تصبح على خير.. "

لا يثق بغيره !!

ابتلعت ريقها ببطءٍ شاعرة بالإستنكار لا من رسالتها.. بل من تلك النار التي أخذت تتأجج ببطءٍ بأعماق قلبها.. ما الذي يعنيه ذلك؟! ماذا يجب عليها أن تفهم من كل تلك الكلمات الغبية؟!!!!!

أجفلت و هي تسمع صوت خطواته تقترب من غرفة الجلوس بهدوء.. فوضعت الهاتف مكانه بسرعة.. لتلمحه في اللحظة التالية يقترب حاملاً في يده طبقاً وضعه فوق الطاولة أمامها..

و لم تدرِ كيف استطاعت أن ترسم تعابير الفراغ على ملامحها و هي تتجنب النظر له كعادتها معه.. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من مراقبة أنامله التي امتدت تلتقط الهاتف أثناء جلوسه خلسة..

و من انعقاد حاجبيه الذي ينم عن تركيز شديد علمت بأنه يقرأ الرسالة.. قبل أن تطرف قليلاً حينما ارتسم في ملامحه تعبير يشبه... الوجوم !!؟

نعم.. لقد كانت عيناه تمران بوجوم و ضيق فوق تلك الحروف.. ثم سرعان ما ألقى بالهاتف بإهمال فوق الأريكة حيث يجلس و هو يزفر بملل..

ألا يعجبه الوضع؟! هل تضايق من رسالتها؟! إنه كذلك بالفعل!! لكن ماذا سيفعل؟! هل سينصاع لأجل والدها الذي لا تعرف ما صلته به حتى الآن أم أنه سيتجاهلها أم.....

مهلاً مهلاً.. يا إلهي مجدداً تجد تفكيرها يتوقف عند نفس النقطة !!

شعور الغيظ و الإنزعاج من نفسها اكتسحها.. فمدت يديها لترفع الصحن الذي حضره لها ناظرة له للحظاتٍ بتردد.. لا.. ليس تردداً مقترناً بمن أعده..

بل بحقيقة أنها فقدت شهيتها تماماً للأكل.. حتى طبق المعكرونة الذي كانت تحبه في الماضي الآن تشعر بأنها تشمئز منه !

لكنها لا تستطيع أن تعيش بدون أكل.. طفلها الصغير يحتاج للتغذية !

لهذا التقطت الملعقة لتملأها و تقربها من فمها مجبرة نفسها على تناول و لو القليل.. لكن يدها توقفت في الهواء حينما انفتحت عيناها بعينيه الشبيهتين بعيني صقر متربص لكل تحركات فريسته..

كان يدقق النظر بها بشكل أثار غضبها.. فتسمرت لوهلة.. ثم زفرت و هي تنزل يدها هاتفة بفضاظة ؛

\_\_\_\_\_ ماذا ؟!!!!!!

هز جاد رأسه بلا معنى و هو يشيح بعينه بصمتٍ..بشكل جعل الإحراج  
يكتنف وجهها..فقد كان يبدو شاردًا بشكل غريب..بشكل جعلها تفكر بأنه  
ربما لم يكن ينظر لها من الأساس !

لكن لماذا هو شارد إلى هذا الحد؟! و فيما هو شارد؟! هل يفكر بها...؟!  
ذكرت في الرسالة بأنها ستقوم بفحصٍ ما..أهو خائف عليها؟! هل هو كذلك  
!!!!؟

زفرت بغضب مكتوم و هي تقم الملعقة في فمها فجأة بعنفٍ..باندفاع جعلها  
تختنق بشدة..فأخذت تسعل بقوة دون أن تستطيع السيطرة على نفسها..

و لم تكذ تستوعب حتى كان جاد يندفع سريعًا ليسكب لها كأسًا من  
الماء..جلس بجانبها يكاد أن يلتصق بها و شعرت بذراعه يلتف حول كتفها  
تلقائيًا بينما يقرب طرف الكأس من فمها ليجعلها تشرب..

استطاعت أن تلتقط أنفاسها أخيرًا فأعاد جاد الكأس إلى مكانه في نفس الوقت  
الذي تتركُ ذراعه كتفها على مضضٍ..و قد شعر بالفعل و هو يحرّرها من  
أسره و كأنه يتخلى عن حقه الأسمى مضطرًا !!

قال بصوتٍ خافتٍ قلق ؛

\_هل أنت بخير؟!\_

فالتفتت سارة إليه بسرعة لتهتف به بنفاذ صبر ؛

\_توقف عن ادعاء القلق و الاهتمام بي رجاءً..لقد سئمت منك بالفعل و من  
تمثيلك المزيف هذا !!!

هبت واقفة متجهة لغرفتها بسرعة..لكنها توقفت في منتصف الطريق و كأنها  
نسيت شيئًا ما..فعدت بسرعة لتحمل الصحن بين يديها أمام عينيه اللتين  
اكتسحتهما الآن نظرة غباء..

قبل أن تبتعد مجددًا إلى أن اختفت بداخل الغرفة مغلقة الباب بعنفٍ.. بينما  
تسمر جاد تمامًا ناظرًا في أثرها..

تمثيل مزيف !!!

زفر بقوة و هو يغمض عينيه قليلاً بارهاقٍ.. قبل أن يقف هو الآخر.. نظر  
لهاتفه مجددًا بضيقٍ.. هذا ما كان ينقصه.. أن تبدأ ابنة -المدير- بالقاء الأوامر  
عليه..

لقد كان يقلها من قبل لأجل والدها " السيد عاطف " ..و كان يلاحظ محاولاتها  
المبتذلة و -المبتدئة- دائمًا في جذبها إليها و إثارة اهتمامه..

لكنه كان يتجاهل كل ذلك ببرود حتى يعيدها إلى منزلها بعد انتهاء الفحص و  
يودعها بكلماتٍ مقتضبة بالغة الأدب..

إنها مريضة -قلب-..

لهذا لطالما حاول أن يكون سلسًا معها في الكلام و لا يجرحها.. رغم أنه في  
الحقيقة لا يراها سوى شابة ساذجة تثير تعاطفه.. لا أكثر و لا أقل..

لكنها الآن و قد تجرأت لأول مرة لترسل له هذه الرسالة و تطلب منه بنفسها  
أن يقلها يشعر أن الأمر انتقل من والدها لها و سيصبح التعامل معها شخصيًا  
بشكل دائم شيئًا بديهيًا.. و هذا أمر يزعجه !

لم يكن يومًا من المتملقين للفتيات.. لم ينجذب في حياته سوى لامرأة واحدة  
فقط.. هي الوحيدة من استطاعت اختراق حصونه المنيعه و التسلل إلى داخله  
بقوة..

الوحيدة التي أحبها..

و التي دفعت ثمن هذا الحب بكل قسوة !!

نظر إلى باب غرفتها المغلق للحظاتٍ طويلة قبل أن يتجه إلى الغرفة  
الأخرى المجاورة لها و يذلف إلى الداخل بدون أن يغلق الباب..



و في نفس اللحظة.. كانت سارة تقف أمام المرأة.. أمام انعكاس صورتها  
الشاحبة.. أحاطت خصرها النحيف بيديها الإثنتين و هي تنظر لانعكاس  
عينيها بلامح باهتة..

إلى متى؟! إلى متى ستخفي عنه!؟

بل الأصح.. إلى متى ستستطيع الإخفاء عنه!!؟

لا بد أنه سيكتشف بنفسه حينما يبرز بطنها قليلاً.. حينها لن يكون لديها أي  
حل سوى مواجهته بالحقيقة مع أنها لا تريد.. لا تريد إخباره لأنها تعلم أن هذا  
ربما سيكون أحلى خبر يسمعه في حياته..

سيشعر بالسعادة و هي لا تريد أن تكون سبب هذه السعادة بعد أن قهرها و  
حطّمها إلى فُتات بدون أن يرفّ له جفن.. لا يمكن أن تكون ساذجة لتمنحه  
السعادة في مقابل الألم الذي أهداه لها..

هي تتمنى فقط أن لا يأتي اليوم الذي يكتشف فيه بأنها تحمل طفله بداخل  
أحشائها قبل أن تكون قد وجدت حلاً و استطاعت التحرّر منه إلى الأبد!  
رن هاتفها فجأة فنظرت له بتوجس للحظة قبل أن تقترب لتلتقطه من فوق  
المنضدة الملاصقة للسرير حيث وضعت قبل قليل.. و تفاجئت بشدة و هي  
تقرأ الاسم الحبيب..

" سيلين " !!!

لا تعلم لماذا الاسم نفسه جلب لها الدموع !!

غامت عيناها قليلاً و هي تتجمد ناظرة إلى الهاتف و هو يرن دون أن تجرأ  
على فتح الخط.. بل وجدت عقلها يتجه إلى نقطة خطيرة بخبث..

" أنتِ من تخليت عن كل مبادئك و انصعتِ له.. أنتِ من تناسيتِ كل  
الأعراف و التقاليد و تصرفتِ كما يحلو لك.. أنتِ من قللتِ من شأن نفسك و  
أنزلتِ من قدرها أمامه.. أنتِ مهدتِ انتقامه.. أنتِ..... "

" أنتِ تصرفتِ معه بكل رخصٍ فاعتبركِ رخيصةً و تخلى عنكِ.. تصرف معكِ بكل قذارةٍ لأنكِ سمحتِ له... "

تردّدت هذه الكلمات بصوتٍ سيلين في عقلها.. فوجدت نفسها تنظر حولها بضياح تام.. تكاد العبرات أن تقف على أعتاب جفنيها.. هاتفة بها.. محفزة إياها على فتح الخط و سماع صوت تنهيدتها الذي اشتاقته..

لكنها لم تستطع سوى أن تعيد الهاتف إلى مكانه ببطءٍ بدون أن تجيب أو تغلقه..

جلست على طرف السرير ناظرة أمامها بعينين لامعتين لكن بدون دموع.. و سرعان ما كانت تنتفض حينما تناهى إلى مسامعها صوت الرنة القصيرة و التي تدل على وصول رسالة جديدة..

عادت تنظر للهاتف بترددٍ لا يشبه التردد الذي شعرت به سابقًا و هي تتجسّس على هاتف جاد.. تردد أقرب إلى الرهبة.. أقرب إلى الألم... و الإشتياق !

الإشتياق لنصفها الثاني... لسيلين !

ثم لم تلبث أن رفعت يدها بنفس التردد لتمسك به مقربة إياه من وجهها.. و قد كانت هناك رسالة بالفعل.. رسالة من ثلاث كلمات.. هي كل ما كانت تحتاج إلى سماعه في هذا الوقت لتعلم بأن عالمها لا يزال على ما يرام !

" لقد اشتقت إليك !!!! "

هل تتذكرون تلك الدموع التي كانت تقف على أعتاب جفنيها بعجز قبل لحظاتٍ؟! !!

الآن تحرّرت من حجزها بكل سلاسة و تمهل.. و انسابت العبرات بكل هدوء على خديها..

مالت عيناها بألم و هي تمر فوق تلك الحروف مجدداً.. تكاد أن تلمح دموع  
سيلين بين كل حرفٍ و آخر.. تشعر بأنها تراها بالفعل..

سيلين الحبيبة.. أختها الصغيرة المتهورة !

استطاعت أن تكتب لها بأنامل ترتجف بشدة.. رسالة مشابهة مختصرة.. و هي  
كل ما كانت تحتاج سيلين إلى سماعه في هذه اللحظة !

" أنا بخير "

فقط.. هذا فقط ما استطاعت أن تكتبه لها.. ظلت تنظر إلى الرسالة بترقب  
أقرب إلى اللفة لعدة ثوان.. قبل أن تصلها الرسالة الثانية منها..

" أنا آسفة... ! "

ابتسامة شاحبة استوطنت عينيها اللتين استحالتا إلى خريطة من الألم و  
السعادة غير المكتملة معاً و هي ترد ببساطة..

" لا بأس.. لم أكن غاضبة منك في الأساس.. أنا الآسفة ! "

" هل فقدتكِ؟! "

دمعة جديدة انسابت ببطءٍ مرهق فوق وجنتها بعد هذا السؤال.. فرفعت يدها  
لتمسحها بينما تضغط الأزرار مشكلة رسالة جديدة..

" الأرجح أن أسألكِ أنا.. هل فقدتكِ؟! "

" قطعاً لا.. و أبداً لن تفقديني "

هي لن تفقدها.. لن تفقدها أبداً !

إنها تعلم ذلك من قبل حتى أن تسألها أو تقرأ إجابتها.. تلكأت أناملها فوق  
الأزرار المائلة أمامها و التي تحتضن كل الجمل التي تود قولها لها.. و لا  
تحصى.. قبل أن تكتب ما كانت تتمنى قوله لها في وجهها..

" أنا... آسفة لأنني ضربتكِ ذلك اليوم.. أنا لم أكن... لم أكن... آسفة فحسب ! "

أغمضت عينيها على دموع جديدة هادئة و هي تضغط زرّ الإرسال غير  
مهتمة بترتيب الجمل أو تفحصها قبل إرسالها.. و لم تكد تمر ثانية واحدة  
حتى كانت تصلها رسالة جديدة كل فحواها رجاءً يائس..

" أنا لن أستطيع تمالك نفسي أكثر.. أنا أحتاج إلى سماع صوتك.. أرجوك  
افتحي الخط عندما أتصل بك.. أرجوك... "

شعور العجز استوطن قلبها كما عينيها.. إنها ليست مستعدة بعد لمواجهةها.. و  
لو عبر الهاتف.. تخاف أن تهزمها العبرات فتبوح لها بكل شيء.. تخاف أن  
يقتلها الشوق فتفصح لها برغبتها الصريحة في رؤيتها الآن و حالاً..

تخشى أن تنتابها لحظة ضعف مريرة تجعلها تتخلى عن كل شيء بما فيه  
الأمان الذي يكتنف منزل والدها !

لذا و بدون أن تفكر.. وجدت نفسها ترد بسرعة..

" لا أستطيع الآن.. ربما لاحقاً! "

شعرت بالألم يكتسح أعماقها و هي تقابل صمتاً طويلاً من جهة أختها.. هل  
أصبح عليها أن تأخذ الإذن منها قبل أن تتصل بها الآن؟! هل أصبح عليها  
أن تتوسلها أن تسمح لها بسماع صوتها الذي هو أضعف وسيلة تبديد القليل  
من شوقهما !

هل أصبحت علاقتهما مكلفة بكل هذه الشروط حقاً !

تبّاً لك يا جاد.. و تبّاً لانتقامك الظالم !

دقائق طويلة مرت.. طويلة جداً قبل أن تصلها رسالة مختصرة.. جداً ! رسالة  
من أربعة أحرف.. لكنها تنم عن ألم سحيق !

" حسناً.. "

و قد كانت تلك الكلمة بمثابة نهاية لهذا المحادثة العقيمة القصيرة التي دارت  
بينهما.. تلك الكلمة جعلتها تضع بالهاتف جانباً بدون أن ترمقه بنظرة أخرى..

قبل أن تطبق عينيها بقوة منخرطة في نوبة بكاء صامتة.. بينما ارتجفت شفتاها تهمس من بينهما بنبرة اعتذار خالصة تعلم بأنها لن تصل إلى مسامح أختها..

\_ أنا آسفة.. آسفة.. آسفة... !!!!

نفس الإنتظار المترقب المليء باللهفة كانت تعيشه سيلين التي عجزت عن إبعاد عينيها عن الهاتف لعدة لحظات.. تتمنى بأن تحدث معجزة تبدد كل هذا الحزن الكئيب الذي تحياه.. أن ينتهي هذا الكابوس المظلم..

أو أن يتحول الكابوس إلى حلم جميل يبدأ و ينتهي بابتسامة أختها !

أنزلت الهاتف بفشل لتضعه بجانبها فوق ذلك الكرسي الخشبي المُستقر في جانب معين من هذه الساحة الكبيرة المظلمة.. المكان حيث تعودت سارة أن تتمرن على ركوب الخيل دائماً..

غالبًا و بمفردها و أحيانًا برفقتها هي..

ابتسامة باهتة شقت طرفي شفتيها و ذاكرتها تعود بها لتلك الأيام الجميلة.. لطالما كانت سارة تعشق الخيول.. أما هي فقد كانت لا تهتم بهم كثيرًا.. أو بالأحرى تخاف من امتطائهم كثيرًا !

لدرجة أنها حتى الآن لا تستطيع أن تركز بالحصان و هي فوقه..

نقطة ضعف دائماً ما استغلتها سارة ضدها لتسخر منها.. سخرية لا تمت للسخرية المعهودة بين الناس بصلة..

كانت سخرية جميلة.. كل الهدف منها تبيد القليل من مخاوف هذه الجبانة أو استفزازها أحيانًا بغاية المزاح.. و قد كانت تنجح أحيانًا..

حينما تستخدم أسلوب استفزاز جانب التحدي بداخلها.. متحدية إياها أن تتسابق معها رغم أنها تعلم بأن إمكانية فوزها منعدمة من الأساس..

و ما إن تمتطي الحصان.. تتجمد من شدة الذعر فوقه.. و النتيجة دائماً فوز  
محتم لسارة.. بعد أن تتركها متوقفة خلفها بأمتار لا تحصى بالعين  
المجردة.. لتبدأ نوبة الضحك الهستيرى المعهودة من طرفها..

اتسعت ابتسامتها الدامعة و هي ترفع أناملها لتمسح دمعة عالقة بطرف  
عينها.. هل ما تشعر به طبيعي؟!!

إنها تشعر بالغرابة حقاً.. تشعر و كأنما فات الأوان على شيء ما هي لا تعلم  
ماهيته!

قلبي منقبض بشكل غريب و تكاد تسمع صوت دقاتها التي أصبحت تتسارع  
بشعور من الاختناق كلما تذكرت سارة.. هل يكون خوفها أم اشتياقها لها  
السبب؟!!

أم أن.. أم أنها إشارة من القدر تنبهها لحدوث شيء ما لن يكون جيداً حتماً!!!  
انفضت و هي تسمع صوت رنة هاتفها القصيرة بجانبها.. فالتقطته بلهفة ظناً  
منها أنها ربما تكون سارة.. لكن أملها خاب و هي ترى ذلك الرقم الغريب  
الذي لم تره من قبل و لا تعرف صاحبه..

فتحت الرسالة ببطءٍ لتقرأها بصوتٍ خافت مسموع..

**" أهى صدفه حب ؟ أم قدرى الجميل من جعلنى أسيراً لقلبك..**

**لحسنك.. لجمال عينيك ؟! "**

رفعت حاجبيها ناظرة للرسالة بدهشة أقرب إلى البلاهة.. لثوانٍ قليلة  
فحسب.. تتساءل عن ماهية صاحب هذا الرقم الغريب العجيب..

و الذي يجيد غزل الكلمات بطريقة ما !!

ثم لم تلبث أن هزت رأسها قليلاً و هي تغلق الهاتف و تعيده إلى مكانه  
متجاهلة التفكير في الأمر من الأساس.. فما يلم بها من معضلات يجعلها  
غنية عن الإنخراط في معضلة جديدة..

رفعت رأسها ناظرة للسماء الخالية من النجوم هذه الليلة.. إلا من نجمة  
واحدة..

نجمة واحدة فقط كانت تبدو و كأنها تناظرها تمامًا.. و كأنما تحاول بثها القليل  
من نورها الخلاب مانحة إياها أملاً جميلاً و شعوراً بالدفء ربما ليس مثله  
شعور..

إنها تحب النجوم.. تحبها جداً.. لطالما كانت تظنها وسيلة تواصل بين عالم  
الأحياء و الموتى.. كما أخبرها والدها ذات يوم بعيد.. بأن كل شخص منا  
يموت يتحول إلى نجمة في السماء..

و هذه الكلمات من كانت تساعدها لتحمل غياب والدتها الحبيبة ،هي...و  
سارة!

لا تزال تتذكر تلك الليالي السمراء الجميلة و كأنما عاشتها يوم أمس..  
حينما كانت تجلس هنا.. في نفس المكان مع سارة لساعاتٍ طويلة تناظران  
النجوم و تتحدثان إليها مفضيتين بكل مآسيهما ظناً منهما بأن " أمهما "  
بالفعل تحولت لنجمة و ها هي قابضة أمامهما تسمعهما بدون أن تجيب..

فقط من بريقها الخلاب الذي لطالما أشعرهما بالإنتماء !!

عقدت ذراعيها محتضنة نفسها حينما شعرت بالبرد يشتد من  
حولها.. فاستمرت تنظر للنجمة لدقائق إضافية في صمتٍ.. قبل أن تنكمش  
على نفسها أكثر و هي ترفع يديها الإثنتين لتنفخ فيهما لعلها تبثهما بعض  
الدفء ضدّ هذا البرد القارس..

الحقيقة أنها لا تود أن تعود إلى المنزل.. هي تريد أن تجلس هنا فقط إلى ما لا  
نهاية و استعادة ذكرياتها مع أختها.. مع نصفها الثاني.. سارة.. لكنها مضطرة  
في النهاية.. لهذا فقد تنهدت بقوة و هي تحت نفسها على الوقوف أخيراً عائدة  
إلى المنزل بخطواتٍ هادئة.. ظاهرياً فقط...!

## " الرقم الثالث عشر ؛ اعترافات بريئة ! "

" سألتك بالله حبيبتي أنقذيني.. فأنا غارق في بحر حبك حتى النخاع.. سألتك بالله إقبليني.. أحبيني.. بلا شروط.. بلا وداع...! "

انعقد حاجباها بضيق و هي تقرأ هذه الكلمات المُشبعة بمشاعر العشق و  
الوله مرسلة إليها هي... من نفس الرقم مجدداً !!

سنة أيام متتالية لا تنفك تأتيها هذه الرسائل كل يوم.. دون أن تجيب أو تحذف  
الرقم.. هي فقط تريد أن تعرف من هو هذا المعتوه الذي يبعث لها كل هذه  
الرسائل !!!؟

هل يعقل أن يكون أحد زملائها في الصّف؟! أم أنها دعابة سخيفة من أحدهم  
لإثارة جنونها !!!!

ألقت الهاتف بإهمال فوق السرير بغرفة -سارة- التي أصبحت تقريباً غرفتها  
منذ أن رحلت سارة و هي تتأفف بضيق.. قبل أن تلتفت فجأة على صوت  
الخادمة التي نادى بلطفٍ ؛

\_ أنستي..

قبل أن تضيف بأدبٍ ما إن نظرت لها سيلين ؛

\_ السيد فؤاد يريدك على مائدة العشاء..

اومات سيلين ببطءٍ و هي تهمس بغير تركيز ؛

\_ حسناً.. اسبقيني أنتِ و سأنزل حالاً..

استدارت الخادمة لتغادر بصمتٍ بينما عادت سيلين تنظر لها تفها للحظاتٍ  
بحاجب مرتفع.. قبل أن تزفر بقنوطٍ و هي تقبض عليه لتتجه إلى الباب ثم  
مباشرة إلى الأسفل حيث مائدة العشاء بدون رغبة حقيقية في تناول أيّ  
شيء..



لما كانت فكرت بالنزول حتى لولا إصرار والدها الذي يحاول إقناعها بأن كل شيء طبيعي..بينما الحقيقة التي يدركها كلاهما أن لا شيء عاد طبيعياً بعد رحيل سارة !!

---

\_ ما شاء الله.. أنت هنا و أنا أبحث عنك في كل مكان كالساذجة !!  
ابتسم سليم الذي كان يقف مستنداً إلى حاجز شرفة منزلهم الواسعة يناظر السماء بشروء بينما الهاتف في يده..

قبل أن يهمس بمشاكسة حينما توقفت أخته -سلوى- بجانبه مستندة هي الأخرى بمرفقيها إلى الحاجز ؛

\_ لو كنت أذكي قليلاً لخمنت بأنني هنا..

هز رأسه بلا فائدة و هو يكمل بابتسامة مستفزة هادئة ؛

\_ لكن ما العمل؟! لا فائدة ترجى منك!

ضربت سلوى ذراعه بكفها هاتفه بضيق ؛

\_ توقف عن ذلك!

فقال و هو يستدير إليها بالكامل بنفس النبرة راغباً بمشاكستها أكثر ؛

\_ لماذا؟! هل تريدني أن أكذب عليك لأنال الرضا منك مثلاً؟!!!!

الآن زفرت بحنق ليس حقيقياً تماماً و هي تلتفت عنه عابسة ؛

\_ تَبَا لَكَ فقط.. أنا لن أتكلم معك بعد الآن..

لكنها اضطرت لأن تلتفت إليه مجدداً إزاء تلك الضحكة المرتفعة التي حرّرها أخيراً..رمقته عاقدة حاجبها باستياء قبل أن تشيح بوجهها مجدداً هامة بالمغادرة..

لكنه أدركها بسرعة متمسكاً بذراعها إلى أن أعادها مكانها و قال من بين ضحكاته ؛

\_حسناً حسناً.. لقد كانت مزحة سخيفة من أخاك الأكثر سخافة... أعتذر..  
ابتسمت سلوى مرغمة و هي تعود لتستند بظهرها على الحاجز بينما قبض سليم عليه بيده اليمنى و قد شرد رغماً عنه في الهاتف بين يده الأخرى..  
لاحظت سلوى ابتسامته الحاملة الشاردة فهمست فجأة و هي تتأمل بهدوء ؛  
\_ ما اسمها !؟

انتفض رأس سليم ناظراً لها بعينين متسعيتين.. قبل أن يتنح ليقول بارتباك ؛  
\_ لا.. بالتأكيد لا... ما الذي دهاك !؟

قالت سلوى بهدوء تام لم يخلو من ابتسامتها الجميلة و هي تستدير لتستند بمرفقيها مثله على الحاجز ؛

\_ الذي دهاني شرودك المستمر منذ فترة.. دفترك الأسود الساحر الذي لا تسمح لي بقراءة ما بداخله مع أنني أعلم تماماً ما الذي بداخله أيها الشاعر.. و أخيراً ابتسامتك الحاملة هذه.....

قالت آخر كلمة و هي تدقق في ابتسامته فعلاً و التي كانت لا تزال قادرة على لمح أطرافها واضحة حتى خلف ارتبائه الأحمق هذا..  
ذلك الارتباك الذي استغلته و هي تهمس مكررة بحاجب واحد مرتفع باهتمام ؛

\_ الآن أخبرني.. ما اسمها !؟

تنهد سليم ناظراً لها للحظات عابساً بضيق.. لكن ما جعل ابتسامتها تتسع بشيء من المكر هو منظر تلك الحمرة الطفيفة التي لامست أذنيه.. حالة تحدث معه كلما شعر بالحرص أو الارتباك أو... الخجل !

تنهد بقوة و هو يرفع رأسه متطلعًا بتلك النجوم الساطعة في السماء.. ليهمس  
بشروود حالم بعد لحظة واحدة ؛

\_ اسمها... سيلين !

---

كيف يمكن أن يمر الوقت بهذا الشكل البطيء؟! فتبدو الساعة كالיום.. و  
الدقيقة كالساعة.. و الثانية دقائق طويلة تستنزف روحها و صمودها و قدرتها  
على التحمل !

كيف يمكن أن تنقلب حياتها بهذا الشكل؟! أن تؤول حالة " سارة فؤاد الغالي  
" لهذا المآل!!! كيف!!!!

كيف لكل هذا التناقض أن يعتمر قلبها!؟

بحيث تتمنى مرور الوقت بشوق شديد لعلها تستيقظ لتكتشف أن ما تعيشه  
محض كابوس سيء.. و في نفس الوقت تشعر بالحسرة على كل ثانية تمر  
من حياتها عبثًا بداخل هذا المنزل المغلق الكئيب..

ليتها استطاعت أن تعود بالزمن إلى الخلف.. ليتها تعود لذلك اليوم.. إلى تلك  
اللحظة التي قابلته فيها لأول مرة.. لكانت رفضت.. عاندت.. تكبرت و  
قست.....

لكان الأهون عليها أن تنتحب وحيدة في غرفتها على فرصة ثمينة أضاعتها  
في القرب منه.. كانت تفضل أن يأكلها الندم و هي تلوم نفسها على قسوتها  
على أن تتآكل روحها من الأعماق عجزًا و حزنًا بداخل هذا المنزل !

قبيل الغروب جلست بجانب المدفئة.. تحمل كتابًا في يدها انتقته بغير اهتمام  
من المكتبة الصغيرة الموجودة في غرفتها.. لتبدأ عينيها في التجول فوق  
سطوره بغير تركيز فعلي.. كل ما تريده هو نفس الوقت فقط..

كان الصمت مخيمًا على المكان.. لا يصل إلى مسامعها أي شيء ما عدا صوت عقارب الساعة القريب و غير المزعج.. و حفيف النيران التي تلسع قلبها بغير اكتفاء..

و بعد دقائق طويلة من الجلوس في نفس المكان بلا هدف معين.. شعرت بدهاليس النوم تبدأ بسحبها ببطءٍ إليها رغم أنها لم تكن تود النوم فعليًا..

فطرفت قليلاً بعينيها المُرهقتين و هي تحاول أن تقاوم كل إغراءات النوم.. لكن عبثًا.. فقد وجدت نفسها بدون أن تشعر أو تستوعب ذلك.. تسدل ستار جفنيها مرغمة بعد لحظاتٍ معدودة..

مستسلمة للنوم فوق الكرسي الهزاز المريح..

فسقط الكتاب من بين يديها و أنفاسها تنتظم بهدوء..

دقائق أخرى.. و كان الباب يفتح بنفس الهدوء.. تقدم جاد خطوة نحو الداخل ليتفاجئ من الظلام الذي كان يحاوط المكان..

توقف للحظة يقلب المفاتيح بين يديه عشوائيًا بعد أن أغلق الباب.. و تحركت عيناه ينقلهما حول المكان باهتمام و كأنه يبحث عن شيء ما.. يبحث عنها..

رغم أنها لا تخرج من غرفتها إلا في أوقاتٍ نادرة حينما تكون مجبرة.. إلا أن إحساسه الذي لا يخطئ أخبره بأنها اليوم بالذات لم تعتكف غرفتها..

تقدم بضع خطواتٍ أخرى فلمحها.. ممّا جعله يتسمر مجددًا.. و كأن مجرد النظر لها من البعيد يجعل العالم بأكمله يتوقف عن الحركة..

كانت تجلس فوق ذلك الكرسي الهزاز قرب المدفئة.. ظهرها إليه فلم يستطع أن يلمح وجهها من مكانه..

اقترب ببطءٍ حتى وقف أمامها.. ثم تجمد في مكانه ينظر إلى ملامحها الشاحبة الساكنة و عينيها المُغمضتين... نائمة !!!

كانت نائمة في وضعية غير مريحة أبدًا.. رأسها ساقط على طرف الكرسي  
بينما إحدى يديها تتمسكُ بذراعه بإهمال و الأخرى منكمشة مثلها فوق  
صدرها.. و هناك كتاب ملقى فوق الأرض أمامها..

ظل ينظر لها لثوان طويلة بلا تعبير.. أو كان هناك تعبير !!!

أراد بشدة أن يلمسها.. أن يطلق العنان لأنامله تاركًا إياها تتجول فوق  
ملامحها بشوقٍ.. رغم أنها تعيش معه تحت سقف واحد.. و رغم أنه حرفيًا  
يرأها كل يوم..

فقد كان شوقه إليها شوقًا من نوع آخر.. يتمنى لو يقتل الحواجز و لو يكفر  
عن ذنوب اقترفها بحقها عن اقتناع و يستعيدها... هكذا ببساطة !

شعر بتلك الرغبة تتحول إلى إرادة قوية فأطبق كفه بقوة يمنع نفسه من  
التهور.. قبل أن يزفر نفسًا طويلًا و ينحني بهدوء إلى أن حمل الكتاب.. ثم عاد  
يستقيم رافعًا إياه بين يديه..

لكنه و بمجرد أن وقعت عيناه على الغلاف حتى انعقد حاجباه قليلًا بشعور  
غريب..

كان كتابًا باللغة الإنجليزية بعنوان " getting past your breakup "  
!

رفع أنظاره إليها ينظر لها بتشوشٍ للحظة سريعة قبل أن يعود لينظر إلى  
الغلاف بنظرة مبهمة.. ظل ينظر له للحظاتٍ قليلة يتساءل عن السبب الذي  
جعلها تختار هذا الكتاب بالضبط.. لا يروقه العنوان أبدًا !

شعر بها تتململ قليلًا و كأنها على وشك الاستيقاظ.. فالتفت بسرعة ليضع  
الكتاب خلف المخدة المرتكزة فوق الأريكة الصوفية المُقابلة للمقعد حيث  
تجلس.. ثم عاد إليها يتنحج سائلًا بجدية ؛

.. لماذا أنتِ تجلسين هنا؟! أقصد.. الوضع هنا غير مريح للنوم.. اذهبي  
للغرفة..

لم تسمع ما قاله بوضوح.. فقد كانت في طور استيعابها حينما وقعت عيناها عليه فاتسعتا تلقائياً.. ثم لم تشعر بنفسها و هي تهُب واقفة بسرعة فقدت على إثرها توازنها..

أسندها جاد بسرعة محاولاً كتفيها من الأمام بذراعيه قبل أن تقع.. ثم همس بتوجس قلق و هو يدفعها برفق إلى أن عادت تجلس فوق الكرسي ؛

\_ لقد بدأ الوضع يصبح غريباً فعلاً.. أنتِ لا تنفكين تفقدين توازنكِ أو وعيكِ كل مرة.. أظن بأن علينا أن.....

\_ ليس علينا أن نفعَل أيّ شيء !

قاطعته سارة بجدة جعلت حاجبيه يعودان ليلتحمان بدهشة.. قبل أن تضيف بجفاء و هي تشيح بعينيها متجنبنة النظر له ؛

\_ أنا... بخير !

ظل جاد واقفاً مكانه للحظة ينظر لها بغير اقتناع.. ثم تنهد بقوة و هو يرتمي بكل ثقله فوق نفس الأريكة حيث أخفى الكتاب القميء الذي كره عنوانه بشدة..

و ظلت هي جالسة مكانها لا ترغب بالوقوف.. بل لا تقوى على الوقوف متخوفة من فكرة أن يكشفها..

سمعت تنهيدته التي لا تدري كم خلال بضعة ثوانٍ و التي خرجت تدل على إرهاق صاحبها.. فالتفتت قليلاً تنظر له بتردد بحيث كان قد أرجع رأسه إلى الخلف مغمضاً عينيه بشدة و قد برز الإرهاق جلياً بالفعل على وجهه..

لم تستطع أن تلتزم الصمت أكثر فهمت بنبرة بطيئة باردة لا تحمل أيّ ذرة اهتمام ؛

\_ هل أنت متعب !!؟

صمت قصير قابلها منه.. قبل أن تسمعه يهمس بنبرة غريبة بدون أن يفتح  
عينيه ؛

\_و هل يهملك الأمر؟!\_

قالت سارة بغير أن تدعه ينتظر لحظة واحدة تدل على ترددها فيما ستقول ؛

\_لا.. قطعاً لا يهمني..\_

\_لماذا تسألين إذا؟!\_

سألها ببرود.. بصوتٍ خافت.. فساد صمت جديد هذه المرة من جهتها هي..  
صمت طويل ظلت فيه عيناها تتطلعان به بنظراتٍ مبهمة غير واضحة  
المعاني..

إلى أن قالت فجأة مغيرة كل منحي الموضوع ؛

\_هل كنت أنت؟!\_

ارتفع أحد حاجبيه ببطءٍ و هو يفتح عينيه فجأة و يستقيم محدقاً بها بعدم  
فهم.. فاستأنفت أمام عينيه ببطءٍ.. تطرح السؤال الذي خطر في ذهنها عدة  
مراتٍ و لم تتجرأ على طرحه قبل اليوم ؛

\_كنت أنت من أطلق الرصاص على " أبيض " ذلك اليوم.. أليس كذلك!!\_

نظرة استغراب شديد استفحلت وجهه للحظة.. لكنها كانت لحظة واحدة  
فحسب.. قال بعدها بنبرة واضحة بعيدة تماماً عن التردد ؛

\_نعم.. كنت أنا...\_

ذلك الهدوء الذي نطق به جملته جعل عينيها تحنقنان بدموع قاسية لم تتجرأ  
على ملامسة جفنيها.. فابتلعت ريقها ببطءٍ.. و ارتسمت ابتسامة ساخرة بشكل  
مرير فوق وجهها همست على إثرها بنفس الهدوء الزائف تماماً ؛

\_ أكاد أقرأ أسبابك في عينيك.. لكنني سأسألك رغم ذلك لأسمعها منك... لماذا  
!!!؟

صمت جديد يحمل نفس الهدوء الخادع في طياته.. ثم قال بنفس نبرته  
السابقة.. و كأنهما يخوضان حديثاً ودياً عابراً لا يتطلب منهما أيّ انفعالات !  
\_ كان عليّ أن أثبت لك بأنني تغيرت فعلاً.. كان عليّ أن أفعل شيئاً ما  
لأبهرك.. و قد فعلت... و نجحت !

اتسعت ابتسامتها الساخرة بمرارة أكبر.. و ابتلعت غصة مسننة كالعلقم  
بحنجرتها و هي ترجع رأسها إلى الوراء مستندة به إلى طرف الكرسي  
الهزاز.. لتتجمد عينيها بدون تعابير على نيران المدفئة التي بدت كانعكاس  
لهما..

كم كانت ساذجة في الماضي؟! كم كان من السهل عليه خداعها و خيانتها  
بكل هذه البساطة و بدون أن يرف له جفن؟! كم كانت مغرورة؟! كم  
كانت معتزة بنفسها و واثقة أكثر من اللازم !!

الآن فقط تستطيع أن تستشعر ذلك الاحساس.. الاحساس بالعجز و الوهن و  
قلة الحيلة.. الشعور بالخذلان المرير و انعدام الأمل.. و كأن عينيها المنغلقتين  
بغشاء شفاف قد انفتحتا اليوم على الواقع القاسي..

هي لم تكن بالقوة التي تجشمت و ظنت بأنها عليها !

فجاد الذي رحل في الماضي لم يكن حبيبها.. الحقيقة بأنها لم تكن لديها أيّة  
صلة به سوى بعض المشاعر التي كانت تكنها له و تجاهلتها بعد أن  
رحل.. لأنها لم تكن متعودة على حضوره دائماً..

كانت تعلم بأنه مهما اقترب منها أو وعدّها فلن يفي.. جاد الذي اعتاد الرحيل  
سيرحل حتماً يوماً ما !



كانت تعلم بأنها تحبه لكنها لم تعقد أملاً يوماً و لم تفكر في اجتماعهما على أنه متاح و ممكن..هي لم تراه بذلك الشكل الذي رآته عليه بعدما عاد في المرة الثانية !!

لهذا اختلف الأمر كثيراً..و اختلفت مشاعرهما عندما وجدت نفسها تنسحب لتلك الدائرة التي منعت نفسها عنها لسنين طويلة..

كانت دائرة الضعف..و قد أصبحت ضعيفة في حبه..هو جعلها ضعيفة في حبه !!

سمعت صوته بعد دقائق صمتٍ قاحل يهمس بشرود ؛

\_هل تتذكرين ذلك اليوم !؟\_

لم تجب..و لم تتحرك من مكانها و كأنها لم تسمعه في البداية..حتى جاءها صوته يكمل بصوتٍ عميق ؛

\_ذلك اليوم الذي تقابلنا فيه لأول مرة بعد أن رحلنا أنا و أمي من منزلكم ! هنا فقط كانت تلتفت إليه ببطءٍ..و قد استعاد عقلها تلقائياً تفاصيل ذلك اليوم الذي يتحدث عنه..لكنها لم ترد عليه..و لم تمنحه حتى إيماءة صغيرة كجواب..

و لم يبدو هو كمن ينتظر سماع إجابتها..فقد تاهت أنظاره في اللأ شيء و هو يستأنف بهدوء شديد..غارق عقله في ذكريات ذلك اليوم ؛

\_كان قد مر شهر كامل على موتِ أمي استطعت فيه أن أستعيد نفسي نسبياً و أستوعب هذا العالم من جديد..لم أشعر يوماً أنني أحتاجك كما شعرت في ذلك اليوم..توقفت أمام باب مدرستك و أنا أنتظرِك بفارغ الصبر لتظهري..و ظهرت أخيراً !..تاهت أنظاري فيك و أنا أراكِ تفتحين الباب الخلفي لسيارتك الفاخرة و تخرجين منها بفخامة لا تناسب فتاة في الرابعة عشر !..كنت مثالية إلى الحد الذي لم أتصوره..لا أزال أتذكر ذلك الفستان الأصفر المُبهر الذي ابتلع جسدكِ بآناقة لا مثيل لها..شعركِ كان منطلقاً حراً ينسدل خلف

ظهركِ و حول كنتفكِ..طويلاً..طويلاً..ربما كان أطول قليلاً من ما هو عليه  
الآن...لمحتكِ و أنتِ تبتسمين لأحد صديقاتك..بأناقة كذلك !.. للحظة كنت  
سأندفع هاتفاً باسمكِ بلهفة..لكنني توقفت و أنا أنزل أبصاري لأقارن بيني و  
بينكِ..قميص مهترأ..بنطال فقد لونه لشدة قدمه..حذاء مُمزق قديم..و حذائكِ  
ذو الكعب العالي شديد الفخامة ! حينها تراجعت خطوة و تسمرت مكاني..  
أدركت بأن لا شيء سيجمعنا سوى الفوارق الاجتماعية.. أدركت أنكِ لم  
تعودي سارة خاصتي و لا أنا جاد الذي يخصكِ..و كان هذا الإدراك كاذباً  
!..لقد أثبت قلبي كذبه حينما هب إليكِ و أنا أراكِ تتوقفين قليلاً لتتبادلي  
أطراف الحديث مع شاب !! نار..كانت ناراً من اندلعت بداخل قلبي حينها فلم  
أشعر بنفسي إلا و أنا أقرب منكِ مسرعاً لأقبض على ذراعكِ و أديركِ إلى  
جهتي مبعداً إياكِ عنه.....

ابتسم بوهن و هو يكمل و قد امتلأت عيناه بالحنين..و امتلأت عيناهما  
الجزينتان..المنصبتان للعجب..بشيء يشبه الحنين !

و عندما نظرت إلى عينيكِ..في تلك اللحظة..أدركت بأنكِ تخصينني و هذا  
ما لن أستطيع لا أنا و لا أنتِ نكرانه..لقد كنتِ من الجمال بحيث فقدت كل  
قدرتي على الكلام و بقيت هائماً بكِ..أحاول أن أشبع اشتياقاً دام لسنواتٍ  
دون أن أرى ملامحكِ الحبيبة التي ازدادت جمالاً و نضجاً..و شعرت بأنكِ  
تشاركيني ما أحس به حينما جالت عيناكِ فوق كل ملامحي بلهفة و كأنكِ  
تتأكدين من أنه أنا..أنا جاد خاصتكِ.. و عندما زالت كل الشكوكِ كنتِ أنتِ  
من اقتربتِ لتعانقيني بقوة..و كم كان ذلك العناق دافئاً و مشبعاً بالمشاعر  
البريئة الصادقة..الحقيقة أنه كان..أصدق عناق أعيشه في حياتي !..

تاقت عيناه أكثر أمام عينيهما..و تلاشت تلك التعابير الجميلة السابقة تدريجياً  
ليحل محلها نظرة قائمة قليلاً تخللها شيء يشبه الأسى..حينما قال يهز رأسه  
قليلاً بنبرة إقرار حزينة ؛

لكن الشعور بالنقص أمامك لم يتداعى.. خاصة و أنا من رفضت أن أنصاع  
لوالدك و أعيش معكم.. لم أكن لأحني رأسي و أعيش في ظل الرجل الذي  
دمر كل عائلتي و فقدت بسببه أمي !!!

رفع عينيه فجأة إليها ليهمس بنبرة جعلت حواسها تتنبه بدون أن تشعر ؛

هل تعلمين ماذا كانت رسالة أمي الأخيرة لي ؟!!!

نظرة خالية من التعابير منحتها له لم تجعله يتراجع في رغبته بالإتمام ؛

طلبت مني أن أعود إليكم.. أن أذهب لخالي و أعيش تحت ظله !

ابتسم بسخرية قاسية قليلاً و هو يستأنف بنبرة مزجت ما بين حقد جلي و  
حزن عميق ؛

لكنني لم أكن لأفعلها.. كان هذا ذنبي الوحيد الذي ارتكبته في حق أمي و لم  
يكن بيدي.. لقد تعمدت أن لا أخبر والدك عن موت أمي حتى لا يحظى  
بالسلام الداخلي و هو يوَدِّعها و يبثها من كلمات أسفه و ندمه بعد أن فات  
الأوان.. حتى لا ألمح منه أيّ نظرات شفقة نحوي.. أردت أن أكون أقوى.. أن  
أجعله يبكي دمًا أمامي من شدة ندمه بدون أن أشفق عليه.. أردت أن أسترد  
حق أمي بالقوة لا بالتوسل و طلب العون من من لا يستحق.. ولكن لقلبي  
كانت أمنيات أخرى.. بل أمنية وحيدة صرت أدور أنا حول فلها  
لتحقيقها.....

لمعت عيناه بشدة و هو يستأنف بدون أيّ لحظة توقف ؛

لا أستطيع أن أصف شعوري ذلك اليوم.. حينما التقيت بك.. شعرت بأنني  
استرديت حقي الذي كان تائبًا مني منذ سنوات.. شعرت برغبة عارمة في  
الصراخ بشدة.. أنني وجدت سبيلي في الحياة.. و كان أنتِ ! في البداية ظننتها  
مشاعر مراهقة عنيفة و ستزول.. لكن مع مرور الوقت أدركت بأنها لم تكن  
سوى -حب-... حب شديد لدرجة التملك!.. كثيرًا ما تخيلت ذلك اليوم الذي  
سأخطفك فيه بعيدًا عن كل البشر.. إلى عالم أكون محور.. أنا.. و أنتِ

فقط... لكنك أبيت إلا أن تقحمي والدك بيننا.. أدركت بأن الحصول عليك صعب.. أردت أن أفوز على والدك.. أردت أن أمتلكك و في نفس الوقت أسرقك منه.. شعرت أنه القصاص المثالي له.. واحدة بواحدة.. ابنته مقابل أمي.. بين ليلة و ضحاها أنا تحولت لشخص لم أكن أعرفه.. شخص عنيف متسلط.. مجنون.. كنت كلما أشعر بأنني على وشك الإنهيار لا أجد ألامي سوى مكاناً واحداً.. لهذا كنت أتجه إلى قصركم لأفرغ هناك كل مشاعري المكبوتة عبر اختلاق الشجار مع الحراس.. و مع والدك إذا ما لمحته.. صدقيني كان سيكون ضحية لإحدى نوبات غضبي لولا وجود حراسه من كانوا ينقذونه مني في كل مرة !

كانت سارة شاردة تسمعه بصمتٍ.. لا تعلم أيّ مشاعر أرسلها بكلماته الصريحة التي تسمعها منه لأول مرة بهذا الصدق المثالي إلى قلبها..

لكنها تعلم شيئاً واحداً.. بأنه أيّ كانت مشاعرها الآن.. فهي يمكنها أن تطلق عليها أيّ تعريف إلا... تعاطف أو شفقة !

بينما أطرق جاد برأسه قليلاً يلتزم صمتاً قصيراً.. قبل أن يرفعه مجدداً.. ثم همس بنبرة لم تفهمها.. لكنها جعلت عينيها تتسعان بقدر ضئيل غير ملحوظ مع كل كلمة جديدة يتفوه بها و تفتح عقلها ؛

حتى أنتِ كنتِ عنيفاً معكِ!.. أنا كنت عاجزاً بالفعل.. كنت أعيش مستعبداً لمشاعر مجنونة.. كنت أريد أن أقحم حبي في رأسك بأيّ طريقة.. حتى و لو بالقوة!.. كان خوفي الشديد أن أغفل عنك للحظة فأعود و أجديك قد وضعت من بين يداي إلى الأبد.. كنت أخاف أن تكرهيني.. أخاف من فكرة أنك لم تعود تنظري لي كما السابق.. فكرت بأنني سأجعلك ملكي بأيّ طريقة كانت و بعدها... و بعدها سأكسبك مجدداً حينما أكون مطمئناً أنكِ معي... لي !

كان قد ارتفع صوته بعض الشيء باندفاع في آخر كلامه.. و كأنه يدافع عن وجهة نظر معقدة لكنها سديدة في نفس الوقت !

و لم يعلم ما الذي فعلته كلماته بها !! بل ما الذي فعله اندفاعه بها !

للمرة الثانية هذه الليلة شعرت بالدموع تتجمع في جوف عينيها و هي تسمع  
منه هذا الإعراف الصريح..بعد فوات الأوان !!

و هذه المرة كادت أن تفضحها..لكنها بإصرار تحسد عليه منه هو حتى  
منعتها..ثم قالت بدلاً عن ذلك بخفوتٍ..غير قادرة على كبح ذلك السؤال مهما  
حاولت ؛

\_ هل أنت نادم ؟!

نظر لها جاد بغباء تام و كأن عقله يستنكر السؤال أو أنه لا يزال في طور  
استيعابه..فعادت تقول بإصرار بارد ؛

\_ على الذي فعلته معي !! هل أنت نادم ؟!!!

تجمدت ملامحه دون أن يجيب..للحظاتٍ طويلة أم ربما لدقائق هي لا يهمها  
الوقت بقدر ما يهمها سماع الجواب الذي لن يغير من موقفها و حقيقة ما  
تحياه شيئاً..لكن لعله يغير شيئاً ضئيلاً جداً بداخلها !

لعله يرسل بعض الراحة الخائنة إلى قلبها !

هزة من رأسه..و ابتسامة حائرة بمرارة اكتسحت شفثيه و هو يقول ؛

\_ لا أعلم !!!

حسناً..جواب متوقع نوعاً ما !

هزت رأسها بتفهم صامت زائفٍ دون أن تجد القدرة على قول  
المزيد..شعرت بذلك الدوار يتراجع قليلاً فوقفت أخيراً لتلتفت بدون أن  
تضيف كلمة عائدة إلى غرفتها إلى أن اختفت بداخلها مغلقة الباب خلفها  
بهدوء خادع..

بينما ظل جاد يجلس في نفس المكان..يحدق بالباب المغلق بشروء.. إلى أن  
همس بصوتٍ شديد الخفوت ؛

\_ لا أعلم ! لكنني فقط.....أسف !!!

نعم.. لقد كان هدونًا خادعًا.. صمودًا كاذبًا عجزت عن ادعائه أكثر أمام  
نفسها.. فجلست خلف الباب مستندة إليه بظهرها..

جلست فوق الأرض الباردة تضم ركبتيها إلى صدرها بقوة مخفية رأسها  
بينهما..

تبثهما ألمًا حارقًا ما عاد قلبها النازف يقوى على تحمله بعد.. مطلق العنان  
لدمعاتها بدون أن تسمح لأحد بأن يشاركها رؤيتها.. الحقيقة بأن لا أحد  
يستحق رؤيتها !

هو لم يكن عادلاً.. لم يكن عادلاً في حبه أبدًا.. و والدها لم يكن عادلاً.. كلاهما  
أذنبًا في حقها ذنبًا عظيمًا لا يمكن أن تغفره.. كلاهما مذنبان و هي فقط من  
تدفع الثمن !!

الآن شعرت كم أنها أصبحت وحيدة.. بلا عائلة.. بلا حبيب.. بلا سند !!

فقط طفلها من يشاركها ألمها و لا أحد غيره.. لا أحد غيره !!

الآن يخبرها بأنه لا يعلم... !

حتى و لو كان يعلم هي لا يهمها..

لم تعد تهمها الأسباب و الدوافع.. فليس هناك عذر في العالم قد يبرر ذنبه في  
حقها و يخفف وطأة الأذى الذي جعلها تختبره عليها !

مرت دقائق طويلة.. طويلة استنزفت منها كل طاقتها الخائفة.. قبل أن تسمع  
صوت طرقات هادئة فوق الباب.. فتسمرت للحظة.. قبل أن تأخذ نفسًا عميقًا  
لتمسح دموعها و تجبر نفسها على الوقوف..

رسمت أكثر نظرة جامدة فوق ملامحها و هي تفتح الباب بهدوء لتجده يقف  
أمامها يحمل في يده صحنًا مليئًا بالأكل.. فنقلت عينيها بينه و بين وجهه  
بصمت.. و ما إن امتدت يده به إليها هامسًا برفق تكرهه ؛

\_ أنا أعرف بأنك كالعادة لم تهتمي أو ربما نسيت و لم تأكلي شيئاً.. لهذا  
تفضلي !

قالت تتجنب عينيه بصوتٍ جاهدت على أن يخرج باردًا خاليًا من المشاعر ؛  
\_ لا أريد...

لم تدرِ بأن محاولتها الواضحة لإضفاء القوة و البأس إلى وجهها و صوتها  
باءت بالفشل.. فاستقرت عيناه لوهلة على عينيها المؤطرتين بحمرة خفيفة و  
احترق قلبه و هو يسمع صوتها المختنق.. لكنه في النهاية تنهد قائلاً بجدية ؛  
\_ الموضوع الآن ليس بيني و بينك.. أنا لا أقدم لك هدية لترفضنيها.. هذا من  
أجلك.. أنا ألاحظ منذ فترة أن صحتك متدهورة.. و هذا أمر لا يستحب  
الصمت عنه بالطبع..

صمت للحظة ثم قال بإصرار ؛

\_ أنا لن أذهب قبل أن تأخذه مني..

ثم أضاف فوراً بنفس النبرة ؛

\_ أم تحبين أن نتشارك الغرفة ذاتها !!؟

رفعت عينيها تنظر له بطريقة أخبرته بأن تهديده الغريب هذا لا يشكل فارقاً  
لديها.. إلا إن كان يظنها طفلة !

فزم شفثيه قليلاً منتظراً بفارغ الصبر أن تتنازل و تأخذ الصحن منه  
برضاها.. إلى أن امتدت يدها بالفعل على مضمض لتأخذه منه..

استدار بعدها بهدوء و قد كانت وجهته غرفته.. فهمت بإغلاق الباب.. إلا أنه  
توقف على بعد خطوة واحدة.. ثم عاد يلتفت إليها ببطء.. و همس يخاطب تلك  
النظرات الفارغة كذباً بنبرة ذات مغزى ؛

لا أعلم إن كنت نادمًا بالفعل أو لا.. لا أستطيع أن أجيبك على هذا  
الآن.. لكنني أعلم الآن حتمًا.. بأنني لم أكن لأفعلها مجددًا لو عاد الزمان بي  
إلى ذلك اليوم !

هل كان ينتظر منها ردة فعل ؟!!! أم ربما يرى بعض الأمل يبزع في عينيها  
! لقد ببس انتظاره إذا !

فقد منحته سارة أكثر نظرة فارغة تملكها.. ثم و بصمت تام.. تراجع لتغلق  
الباب بنفس الهدوء الذي اكتسح ليلتهما.. فما كان منه إلا أن زفر باستسلام و  
هو يتجه لغرفته هو الآخر..

تلك الليلة لم يقارب النوم جفون أي واحد منهما.. فقد وقفت سارة عاقدة  
ذراعيها أمام النافذة المغلقة.. شاردة في السراب بينما كلماته التي قالها تتدافع  
في عقلها لتتكرر في وتيرة متتالية بدون توقف..

و كان جاد يشاركها نفس شرودها و هو مستلق فوق سريره عاقداً كفيه خلف  
رأسه محدقاً في السقف الأبيض.. و حينما وجد نفسه عاجزاً عن النوم استقام  
ليحمل حاسوبه وينشغل قليلاً به..

فهو على كل حال ينتوي العودة إلى العمل قريباً.. و العمل في هذا الليل أهون  
من عناء التفكير الطويل بدون أي فائدة تذكر..

داهمتها رغبة مفاجئة في الإستفراغ فاقتربت من الحمام بسرعة لتقف منحنية  
أمام المرآة و تستند براحتها إلى طرف المغسلة بينما تستفرغ كل ما كان في  
معدتها التي تستقبل الطعام بمشقة أساساً..

ارتفعت يدها الأخرى تمسّد بطنها برفق و هي تنخفض أكثر مغمضة عينيها  
بتعب.. ثم سحبت عدة أنفاس تستعيد بها قوتها قبل أن تستقيم لتفتح صنبور  
المياه و تشرع في غسل وجهها لعدة مرات..

ثم ما إن رفعت عينيها للمرأة.. تفاجأت و هي ترى تلك العقدة التي ظلت  
طوال الوقت مرتسمة بين حاجبيها الرفيعين.. عقدة حزينة..



بينما تشكلت طبقة دموع جديدة بعينها.. قبل أن تنساب الواحدة تلو الأخرى  
بهدوء شديد.. ضاغط للأعصاب !

و انهمرت كلماته على عقلها مكررة نفسها بقوة و كأنها تتعمد تعذيب نفسها  
بذنبه -هو- أكثر !!!

لكنها أبت أن تستسلم للضعف.. فالتقطت المنشفة بحزم لتجفف وجهها و  
يديها.. ثم رفعت ذقنها ببأس و هي تعود لتقابل انعكاسها في المرآة بقوة..

و كأنما تتحدى نفسها أن تضعف أكثر !

هي لم تكن يومًا ضعيفة و لن تكون.. كلماته الشاعرية الساحرة لن تقمع  
قرارها و لن تضعفها.. بل على العكس.. يجب أن تجعلها أكثر تصميمًا على  
تركة حينما تحين لها الفرصة !

ظلت تتأمل نفسها للحظات.. تقابل تلك الملامح الشاحبة التي بالكاد أصبحت  
تستطيع التعرف على صاحببتها.. ثم لم تشعر أبدًا بتلك الابتسامة الغريبة التي  
استوطنت عينيها فجأة..

ابتسامة مريرة.. متألمة.. قاسية !

و نبرة تحمل كل تلك المشاعر المتناقضة و تفيض لونت صوتها و هي  
تهمس لانعكاسها الباهت ؛

لقد فعل كل ذلك بك و هو يحبك بجنون يا حمقاء.. فماذا لو كان يكرهك !!!

و كانت تلك الابتسامة الساخرة و التي ازدادت قسوة من أعطتها الجواب !

## " الرmq الرابع عشر ؛ حرية مؤقتة "

دقائق أخرى.. ساعات و أيام تمر عليها بنفس البطء المعذب بدون أن تستشير  
أحدًا.. و لا تزال هي لوحدها مسجونة خلف قضبان هذه الغرفة.. بل هذا  
السجن !

لقد عاد جاد يوم أمس إلى عمله و تركها هنا.. هو عاد أمس.. و هي كانت  
ستعود اليوم.. لولا.....

ابتسمت بمرارة و هي تتذكر ذلك اليوم الذي أخبرت فيه سيلين أنها مدّدت  
إجازتها حتى تستقر أمورها مع جاد.. كانت تخطّط أن تمّدها أكثر حينما  
يعود من السفر ليحدّدًا سويًا موعد الزفاف.. و فعلت..

و ها قد مر شهر بالفعل.. شهر و عشرة أيام بعد ذلك اليوم الذي كان من  
المفترض أن يتم زفافهما فيه..

شهر ليس كما تخيلت أن يكون أبدًا !

لقد بنت في عقلها و تخيلت صورًا كثيرة من السعادة عن هذا الشهر الذي  
ظنّته سيكون أفضل شهر في حياتها.. و لم تكن تخيلاتها سوى وهم.. وهم  
كبير لم تستفق منه إلّا بعد أن تلقت أقوى صفة في حياتها...

**صفة الخذلان !!**

سمعت صوت رنين هاتفها فوق السرير و راءها بينما كانت هي تقف أمام  
النافذة تناظر السماء الشاحبة بشروء..

كان المنظر كئيبيًا لدرجة لا تصدق.. فقد حجّبت الغيوم الشمس و راءها لتستقر  
هي بسوادها الطاغي كلوحة من رصاص يحجب الضوء عن الكون..

و كأنما السماء تشاركها ألمها.. هي أيضًا ترفض أيّ أمل و تتمسك بالظلام !

ضمت وشاحها الذي تلقه حول كتفيها أكثر إليها عندما شعرت برجفة من  
البرد تتسلل إلى أطرافها.. ليأتيها صوت هاتفها مجددًا دون أن تكثرت له.. فهو  
يرن منذ الصباح الباكر..

طبعًا.. و لما لا يرن !

فالدكتورة " سارة فؤاد الغالي " التي تعودت الإلتزام بكل المواعيد دون أيّ  
تهاون أو كسل غائبة اليوم عن العمل الذي هو أهم شيءٍ لديها في الحياة  
بإدراك كل من يعرفها عن قرب..

تاھت عيناها أكثر و عقلها يعود ليوم أمس.. حينما دلف إلى غرفتها و قد  
كانت تقف أمام المرأة تتحسّس بطنها بأناملها ناظرة لنفسها في المرأة بقلق..  
حركة أصبحت معتادة لديها كلما انفردت بنفسها خوفًا من أيّ تطور قد يجعله  
يشك..

لكنها انتفضت بقوة و هي تنزلها بسرعة حينما سمعت صوت طرق خافتٍ  
يليه اندفاع الباب و دخوله بهدوء..

التفتت إليه بسرعة تنظر له بتساؤل و قد حاولت بجهد أن تحتفظ بثبات  
ملاحظها..

إلا أن محاولاتها لم تنجح تمامًا على ما يبدو.. فقد توقف جاد لوهلة يدقق  
النظر بها بحاجب مرتفع توجسًا..

قبل أن ينظر لعينيها مباشرة و يهمس بهدوء ؛

\_ أنا لديّ بعض العمل لهذا لن أكون موجودًا طيلة اليوم.. عموماً لقد تهاننت  
كثيرًا و تغيبت لمدة طويلة بعد أن عدنا.. لهذا سأذهب الآن..

صمت لوهلة.. ثم قال بهدوء ؛

\_ الأكل في المطبخ.. و الهاتف لديك إذا احتجت لأيّ شيء آخر اتصلي بي..

لم تجب سارة فقد ظلت تنظر له بجمود يرافق كل نظراتها نحوه.. ففتنح  
بخفة و همّ بالرحيل.. لكنه عاد لينظر لها قليلاً بتردد و أنامله لا تزال فوق  
المقبض الذي فتحه للتو..

ثم قال بنبرة على الرغم من هدوءها إلا أنها خرجت تحمل تحذيرًا مبطنًا ؛

\_ أنا لا أحب أن أعاملك بشكل سيء.. و أنت أكثر من يعلم هذا.. لهذا  
فسأحذرك منذ الآن.. إياك أن تتهورى بأيّ طريقة كانت...

صمت لوهلة قصيرة ثم عاد يستأنف بجدية قاطعة ؛

\_ لن تكون العواقب حميدة صدقيني !

تنهيدة طويلة حرّرتها وهي تلتفت مقتربة من السرير إلى أن جلست في  
طرفه.. لكن عينيها وقعتا فجأة على الفستان الأسود الناعم الذي كان ظاهرًا  
من الخزانة المواربة قليلاً..

و استعاد عقلها تلقائيًا ما حدث قبل يومين..

لقد كانت واحدة من المرات التي تتنازل فيها للجلوس معه حول نفس  
الطاولة.. كان الصمت يخيم بينهما تمامًا.. كل منهما منكب على صحنه يتناول  
بشهية مفقودة..

أو ربما هذا الوصف ينطبق عليها هي فقط !

فقد كانت تشعر كما العادة بنظراته عليها تلسعها و تحاوطها من كل صوب..  
لكنها فقط ظلت تركز أنظارها فوق صحنها متجاهلة وجوده.. لولا أن سمعت  
صوته يقاطع الصمت فجأة بنبرة جادة ؛

\_ جهزي نفسك.. سنتناول العشاء اليوم في بيت صديق لي..

حينها فقط كانت ترفع رأسها ناظرة له بدهشة.. ثم لم تلبث أن أعادت أنظارها  
إلى صحنها هامسة بلا مبالاة ؛

\_ لا أريد الذهاب..

إلا أن صوته جاءها في نفس اللحظة بنبرة قاطعة ؛

\_بل سذهب... !

فرفعت أنظارها إليه بسرعة لترمقه بنظرة مفادها..

" هل هذا طلب تحديداً أو... تهديد جديد؟! "

حينها فقط كان يزفر نفساً هادئاً.. ثم همس بنبرة حاول أن يرفقها بأكبر قدر  
من الهدوء ؛

\_أقصد.. إنه حفل عقيقة مولودته.. و قد دعاني خصيصاً.. و بما أن الجميع  
يعلم بأنني متزوج فلن يكون من اللائق أن أذهب بمفردي... !

أرادت أن تفتح فمها بتهور لتتهف به بسؤال واحد وجيه..

" و ما شأني أنا؟!!! "

إلا أن كلمة واحدة نطقها في منتصف كلامه لفتت انتباهها.. فهمست تكرر  
بترقب ؛

\_حفل؟!!

اكتفى جاد أمامها بإيماءة تأكيد هادئة.. فتسمرت للحظة تنظر له بنظرة  
واجمة.. قبل أن تزم فمها قليلاً كمن يكتم بين شفثيه شتيمة قبيحة.. ثم وقفت  
بهدوء لتلنفت عائدة إلى غرفتها..

لكنها لم تستطع مهما حاولت أن تكتم تلك الشتيمة فهمست من بين أسنانها  
بنبرة تشكّ بأن يكون قد سمعها.. بما أنه لا ينفكّ عن التحديق بها و مراقبتها  
كلما مرت من أمامه ؛

\_أبله !

ثم بعد ما يقارب الثلاث ساعات..خرجت من الغرفة لتقع عيناها مباشرة عليه..حيث كان يقف أمام النافذة الجانبية التي تحتل البهو و تطل على الشارع الرئيسي بالكامل..

كانت ترتدي فستانًا أسودًا يصل حتى كاحليها..بأكمام شفافة تغطي ذراعيها بالكامل..فوق كعب متوسط الارتفاع..

توقفت هناك تنظر له بتعابير مبهمة..و لم تحتج لأن تنطق اسمه الذي ما عادت تحب امتزاجه بصوتها أو حتى أن تصدر صوتًا يدل على انتهاءها..و هي تراه يلتفت نحوها بعد أن أخرج يديه من جيبه بنطاله تلقائيًا..

وقعت عيناه عليها و...انهار شيء ما في عينيه !

نعم..لقد لاحظت ذلك..لقد رأيت ذلك !

تلك النظرة التي لونتها بمجرد أن وقعتا عليها..كمن تم انتزاع كل هدوءه و ثباته العاطفي منه على حين غرة..كمن تم تشتيت عقله الذي دائمًا ما تغنى بوعيه و فطنته..

لقد كانت تحدث به هذا النوع من التأثير..و هي أكثر من يعلم بذلك..

حتى حينما انزلت عيناه عليها يتأملها من أخص قدميها حتى رأسها لم تشعر بالدهشة..بل كل ما شعرت به لحظتها..

كان ذلك النوع من التضايق الذي يخنق مشاعرهما كلما قابلت نظراته تلك..تشعر بأن هناك شيء ما بداخلها ينهار مع نظراته..

شيء يصرخ بها مقرًا و معترفًا بصدق تلك النظرات..

لكن..ما المغزى من كل تلك المشاعر الظاهرة في عينيه إن كانت ستظل حبيسة تلك العينين !!؟

لقد كان يقف أمامها الآن..على بعد خطواتٍ معدودة..

يتأملها كمن يتأمل أعظم معجزة في الوجود.. عيناه تحتضنان عينيها و كأنهما  
تحتضنان كل الوجود..

كمن يكتنم رغبة شديدة الإلحاء بأن تنقلب تلك النظرات إلى ملموسة..

يريد أن يلمسها.. يريد أن يضمها.. يحتاج لأن يضمها !

لكنه فقط.. لا يزال يقمع تلك الأمنية بإصرار ضعيف.. بينما يتساءل عقله الذي  
كانت لتمدح ثباته في وضع آخر..

عن طريقة تخوله أن يخبرها عن كم تبدو جميلة هذا اليوم..

و في كل يوم !!

لاحظت بأن رحلة تأمله تلك قد انتهت.. حينما تسمرت عيناه على شعرها  
الذي كانت تتركه اليوم منسدلاً حراً..

تلك الخصلات التي كان هو أول من استباح عذريتها.. و دنس طهارتها  
المقدسة ذات ليلة مثقلة بالمشاعر.. مشاعرها هي فقط !!

ربما يمنحها القدر فرصة لعتاب جديد في المستقبل.. ربما تنظر في عينيه.. و  
تبوح له عن كم الأثر الذي خلفته تلك الليلة في أعماقها..

و فكرة أنها كانت جزءاً من خطة مدروسة هدفها الوحيد و الأسمى تدنيسها و  
تدميرها..

تلك الفكرة لوحدها.. كانت أكثر من كفيلة بقتلها من الداخل !

و ربما لولا تلك النظرات المجنونة في عينيه الآن.. لولا تلك النظرات في  
عينيه ليلتها.. نظرات قد يخطئ الجميع في تويلها الصحيح.. باستثناءها هي  
ربما..

نظرات كانت لتذيب عظام أيّ امرأة وقفت في مكانها لحظتها..

لولا صدى صوته الهامس باسمها بإلحاح.. كرجل انهارت كل قناعاته تحت  
ركام الحياة.. فقررّ التشبث بتلابيب حلمه الأسمى.. حتى لو عنى ذلك أن يغض  
البصر لليلة واحدة فقط.. عن جميع أحلامه الأخرى..

و الذي لا يزال يرن في أذنها حتى اليوم.. يتكرّر على مسامعها بين كل فترة  
و أخرى ليرديها ضحية مشاعر تكرهها..

لكانت قد ماتت فعلاً بحسرتها !!

حينما شعرت بقدرتها على الصمود أمام تلك النظرات الـ.. مزعجة.. تتداعى  
تماماً.. تنحنحت بخفوتٍ و هي تفتح فمها تهتم بأن تقول شيئاً ما.. أيّ شيءٍ  
تنهي به هذا التوتر..

لولا أن قاطعها.. ذلك الرجل المزعج صاحب النظرات المزعجة..

قاطعها بنبرة.. بالغة الهدوء ؟ تبّاً له !!

\_ دعينا نذهب..

كان قد وصل إليها تزامناً مع تحدّثه.. و مر من جانبها بدون أن يرمقها بأيّ  
نظرة أخرى متجهاً نحو الباب.. لكن سارة ظلت واقفة مكانها للحظات.. فعاد  
لينظر إليها أمراً تزامناً مع فتحه للباب ؛

\_ هيا !!

حينها فقط.. كانت تقترب منه بترددٍ مصدره ذلك التعب الذي لم يعد يفارقها  
إطلاقاً.. و تخشى.. تخشى بشدة أن تداهمها نوبة إغماء أو إرهاق حقيقي  
بجانبه فيسقط الستار عن كل شيء.. تخفيه !

هذه المرة كانت هي من تمر من جانبه متجاوزة عتبة الباب و متجهة إلى  
المصعد.. قبل أن تشعر به يقف بجانبها منتظراً انفتاح بابه بعد أن أغلق باب  
المنزل..

و كذلك اليوم.. توقف كل منهما في جهة..



هو.. يقف باستقامة مغرقاً يديه في جيبي بنطاله و كأنه يمنعها من تحقيق تلك  
الأمنية التي راودته قبل دقائق.. بأن تتحول تلك النظرات إلى ملموسة..

و هي تقف.. على بعد أكبر مسافة منه عاقدة ذراعيها بقنوط.. تنقل عينيها في  
كل مكان عداه..

لكنها حتى في تلك اللحظات التي كانت تنظر فيها بعيداً.. كانت لا تزال قادرة  
على الشعور بنظراته عليها..

ثم انحنى ليفتح لها الباب بمجرد وصولهما إلى سيارته.. لكنها لم تصعد  
فوراً.. فقد رفعت أنظارها مجدداً لتقابل عينيها بنظراتٍ غير مقروءة.. قبل أن  
تشيح بعينيها بصمتٍ و تنخفض بهدوء إلى أن استقلت مكانها..

تسمرت عيناها فوق النافذة الزجاجية بلا هدف حينما شعرت به يحتل مكانه  
بجوارها.. ثم سرعان ما كانت تنطلق السيارة بهدوء نافس الهدوء الذي ساد  
بينهما..

و كانت سارة طيلة الوقت تراقب حركة الشارع بعينيها الجميلتين الناعستين  
بالفطرة.. لكنهما الآن تبدوان و كأنهما تعودان لامرأة لم تتذوق النوم العميق  
منذ وقتٍ طويل..

مرهقة.. مرهقة جسدياً و نفسياً إلى حد لا يمكن تصوره.. لكنها لا تزال تمتلك  
الكثير من الصبر الذي يجعلها تصمد قليلاً بعد في هذه الحياة البائسة التي لا  
تحبها.. قليلاً فقط!

---

للمرة الثانية تتفاجئ به يدور حول السيارة بسرعة البرق ثم.. يمد يده ليمسك  
بيدها!

و للمرة الثانية أيضاً.. تنظر له سارة باستنكار و هي تحاول سحبها.. لكنها لم  
تفلح كما هو متوقع.. و لا هو استسلم و لو بكلمة.. مجرد أن أطبق أنامله أكثر

على يدها.. متعمداً أثناء ذلك أن ينظر في عينيها بعينين كررتا نفس الجملة  
تلك بدون صوتٍ هذه المرة..

و كعادة قديمة.. تجولت عيناه القريبتان تلقائياً حول كل إنشٍ من ملامحها.. إلى  
أن توقفت قليلاً على تلك الحركة بشفتيها الملونتين بأحمر شفاه خفيف..

حيث كانت تزمهما بقوة تمنع رغبة لا بد أنه ميزها في..

شتمه مجدداً ! و تلك المرة و هي تنظر في عينيها المُستفزتين..

ال...جميلتين ! تبا لها !!

ربما أعجبه هذا الإستنتاج.. فقد رأت بعينيها الجامدتين ظاهرياً كيف ظهر  
ذلك الطيف الصغير من الابتسامة في عينيها فقط..

قبل أن يستدير عنها أخيراً متجهاً برفقتها إلى باب المنزل المتوسط  
الحجم.. يدها في يده.. و ظهره يقابل وجهها و هو يسحبها ببساطة و  
كأنها.. ملكية مشروعة يستطيع أن يفعل بها ما يشاء !

رفع يده الحرة ليترك الباب المزخرف الجميل بهدوء.. ثم همس و هو يميل  
عليها قليلاً حينما لاحظ الاستياء الذي كان يملأ ملامحها ؛

\_حاولي أن تبنتسي قليلاً..

و كأنه طلب منها العكس.. فقد زمت سارة فمها بقوة و كأنها ما عادت  
تستطيع احتواء تلك الرغبة بداخلها.. و لم تلتفت إليه لثوانٍ ظل فيها جاد ينظر  
لها بكل هدوء منتظراً شيئاً مجهولاً ربما..

إلى أن نظرت له بالفعل.. فرفع حاجبه الأيمن و كأنه يسألها إن كانت قد  
سمعتة أو لا..

حينها.. كانت تزم فمها للحظة أخيرة بغضب مكبوتٍ.. لكنها لم تلبث أن  
أجبرت شفتيها على رسم ابتسامة بالكاد يمكن منحها اسم ابتسامة حينما  
اخترق أذنيهما معاً صوت انفتاح الباب..

فالتفت كلاهما تلقائياً.. و قد بدا جاد فاقد التركيز لوهلة.. لكنه سرعان ما تمالك نفسه.. فرفع يده فوراً ملقياً بتحية حارة على الشاب الذي ظهر أمامهما و الذي كان يبدو و كأنه في مثل عمره أو يكبرة ببضع سنوات..

فهي لطالما شعرت بأنه من الصعوبة على أيّ إنسان وقف أمام جاد تخمين سنه الحقيقي..

ربما تلك ميزة منحت لهما الإثنان.. أنهما يبدوان أصغر من سنهما الحقيقي حتى و لو ببضع سنواتٍ تعد بالأصابع.. أو ربما هي ميزة مورثة من عائلتهما..

بما أنهما.. للأسف الشديد.. لها لا له.. يندران من نفس العائلة !!

لكن الشيء الذي جعلها تتنفس الصعداء بارتياح.. حينما تركّ يدها ليقترّب منه مهنئاً بعناق أخوي رغم أن علاقته بهذا الرجل هنا لم تكن بالوطيدة جداً..

استنتجت ذلك من الرسمية الطفيفة التي تكتسح كلامهما لبعض..

إلى أن ابتعد مجدداً.. و قبل حتى أن تستوعب شعرت به يمسكُ بيدها مجدداً حينما قال لصديقه مشيراً إليها بعينيه اللتين لم تتزحزحا عنها أثناء قوله ؛

\_ زوجتي سارة..

طرفت سارة برموشها ببطءٍ و هي تلتفت قليلاً حينما امتدت يد الرجل نحوها مرحباً بمودة ؛

\_ تشرفت بلقائك سيدتي.. أنا أسر..

كان صوته فقط ما جعل جاد يخرج من شروده لكن ليس إلا لتسقط أنظاره مجدداً على ذلك التلامس الطفيف الذي حدث بينهما حينما صافحت سارة المدعو بأسر.. صديقه غير المقرب..

قبل أن يتقدما نحو الداخل حينما أفسح لهما المجال محفزًا بابتسامته اللطيفة..و سرعان ما وجدت سارة نفسها محاطة بأجواء المناسبة المُشابهة بالكامل..

و لتكون صادقة..شديدة الصدق..فهي لأول مرة تشعر بالقنوط في منتصف تجمع لطيف كهذا لدرجة أنها ودّت لو تعود إلى المنزل الآن و في الحال.. لكنها سايرته مضطرة و هو يسحبها معه متمسكًا بيدها و كأنه يخشى هروبها في حال أفلتها..لكنه في النهاية اضطر أن يفعل حينما ألقى التحية على زوجة صديقه مهنيًا بتحفظ..

تركها هناك تقف برفقتها على مضض بعد أن تعمدت أن تشعره بقنوطها..و بعد أن منحها هو ابتسامة بالكاد احتلت عينيه..اقترب من تجمع صغير يتألف من ثلاثة من الشبان..

غالبًا..زملائه في العمل..

و لأول مرة أيضًا..تشعر بنفسها عاجزة عن بدء حوار ما..فاكتفت بابتسامة هادئة لطيفة همست على إثرها مخاطبة الشابة اللطيفة أمامها ؛

\_مبارك لك مجددًا..عسى أن تكبر في عزكما..

منحتها الشابة ابتسامة امتنان حارة..و تلك المرة كان دورها لتتحدث..  
فهمست تسألها بنفس الابتسامة ؛

\_اممم..لقد كنت على وشك الذهاب للاطمئنان عليها..هل تأتين معي ؟

نظرت لها سارة ببعض الدهشة..لكنها سرعان ما هزت رأسها مجيبة بحرارة حقيقية الآن ؛

\_بالطبع..دعينا نذهب..

تحركت بعدها تسير برفقتها نحو ممر معين..و قد قررت تناسي جاد بمحض إرادتها و هي تفتح فمها للمرة الثانية سائلة بنبرة أظهرت شعورًا حقيقيًا انتابها نحو هذه الشابة اللطيفة ؛

\_ماذا كان الاسم الذي انتقيتموه لها ؟

فقالت الأخرى بنفس الحرارة تزامنًا مع اقترابهما من الغرفة المنشودة ؛

\_ميرال !

كانتا قد وصلتا إلى الغرفة قبل ان تستطيع سارة التعليق على الاسم الجميل..فتقدمت زوجة زميل جاد أولاً و لحقت بها سارة ببعض التردد..

لكنها ما كادت أن تتقدم بضعة خطواتٍ لتلمح بعدها ذلك الكيان الصغير الغارق في النوم في سرير وردي صغير يقبع في جانب معين من هذه الغرفة الجميلة رغم البساطة التي تحاوطها في انتقاء ألوان الأثاث التي كانت كلها فاتحة تتفاوت ما بين درجات الأبيض و الذهبي..

حتى كانت تفغر فمها بشيء من...الانبهار !

شعرت بقلبها ينقبض بشعور غريب من تأثر لا يضاهى..حتى أن عينيها لمعتا قليلاً و برزت بداخلهما نظرة بالغة الحنان..

و تمنى لو تستطيع فقط أن تحرك يدها الآن ل...تربت على بطنها فقط حيث يغفو طفلها الصغير..

أو طفلتها..من يعلم !

لكنها كبحت نفسها بقوة و هي تغلق أناملها بداخل قبضة متشنجة قليلاً..و مالت برأسها تتأمل الصغيرة التي فتحت عينيها فجأة باكية بين ذراعي والدتها التي حملتها بين أحضانها تهددها و هي تجلس في طرف السرير..

كان هناك طيف ابتسامة لامعة يستوطن عينيها..و كانت لا تزال تقف في نفس المكان حيث توقفت قبل قليل و كأن العالم من حولها كله قد فقد قدرته على الكلام و التحرك تقديسًا للحظة جميلة كهذه..

حيث ترى الحلم حيًا بعيدًا عن كابوسها السابق المريع الذي رأت فيه نفسها تفقد طفلها..تتخيل نفسها مكان هذه الشابة الآن..بينما تحمل بين ذراعيها طفلها حديث الولادة..

و العالم كله يبدو خاليًا إلا منهما..

هي و هو فقط !

\_ اووه ما أغباني..لقد نسيت أن أدعوك للجلوس..تفضلي... !

أجفلت سارة من شرودها و هي تلتفت لترمق الشابة الجميلة و التي علمت عندما عرفها زوجها عليها قبل قليل بأن اسمها لين..

قبل أن تطرف برموشها مجبرة نفسها على رسم ابتسامة صغيرة..قبل أن تقترب الخطوة المتبقية بهدوء إلى أن جلست على طرف السرير.. لكن عينيها ظلت مهما حاولت معلقة فوق ملامح الصغيرة غير قادرة على كبح شعورها الداخلي..

صوت رنين مفاجئ لهاتف لين قطع شرودها فجأة..بينما رمقت الأخرى هاتفها المحفوظ فوق المنضدة القريبة بنظرة سريعة..قبل أن تنظر لها مجددًا و لم تكذ تفعل..

حتى كان حاجبا سارة يرتفعان دهشة حينما اقتربت منها فجأة لتضع الطفلة بين يديها فتلقفتها سارة بين ذراعيها تلقائيًا تضمها إلى صدرها حينما همست الأخرى بنبرة تشبه الرجاء ؛

\_ عليّ أن أجيب على هذا الاتصال..إذا كان بإمكانك أن تبقىها معك لدقيقتين

؟

هل نطقت كلماتها بنبرة تساؤل حقًا؟!

وجدت سارة نفسها تهز رأسها بسرعة غير قادرة على الرد بكلمة حينما انزلت أنظارها على الملامح البريئة الجميلة شاعرة برغبة هائلة في البكاء..

تلك الرغبة التي تشعر بها لأول مرة نابغة من إحساس جميل و ليست عبثًا !

بينما ابتسمت الشابة التي يبدو بأن طفلتها قد ورثت جمالها ابتسامة امتنان.. قبل أن تلتفت لتلتقط هاتفها و تتبعد باتجاه الشرفة أثناء هتافها في الهاتف بمحبة ؛

\_ قبل أن تبدئي بالتوبيخ.. لقد كنت أفكر في الاتصال بكِ بعد قليل.....

كانت تلك آخر كلمة سمعتها منها قبل أن تختفي في الشرفة الخارجية تاركة نافذتها الكبيرة مفتوحة جزئيًا.. بينما تنهدت سارة بلا صوتٍ و هي تعيد أنظارها إلى صاحبة الملامح الجميلة بابتسامة شرعت تتسع أكثر بحنان..

كانت ملامحها هادئة الآن عن السابق.. و قد تداعى صوت بكاءها السابق و بدأت الآن تتلاعب بيديها في الهواء ملامسة أثناء ذلك خصلات شعرها الناعمة المنسابة برقة على كتفيها..

فاتسعت ابتسامتها أكثر و هي تحرك أناملها الرفيعة ملامسة بها الملامح الناعمة برفق شديد..

و ظلت هكذا للحظاتٍ طويلة تتأملها فقط و تهددها بين ذراعيها و كأنها قد انفصلت عن العالم كليًا و ها هي تعيش لحظة ساحرة من المستقبل..

إلى أن انتهى بها المطاف تتنهد بخفوتٍ و هي تنخفض قليلًا إلى أن طبعت قبلة طويلة فوق جبينها.. ثم تمسكت بها أكثر و هي تنظر إلى ملامحها التي استكانت تمامًا.. قبل أن تضعها بحرص فوق السرير و ترفع الغطاء الأبيض فوق جسدها الصغير مدثرة إياها جيدًا..

رفعت رأسها بعدها تنظر إلى تلك التي عادت تحمل الهاتف في يدها بعد أن أغلقت الخط.. إلى أن وضعت فوق المنضدة مردفة أثناء ذلك بعفوية ؛

\_إنها أختي الصغيرة.. إنها تعيش في مدينة (....) للدراسة لهذا لم تستطع المجيء اليوم.. لكنها طلبت مني كما هو متوقع أن ألتقط بعض الصور و أرسلها لها.....

كانت سارة تستمع إليها باهتمام.. و قد تذكرت على سيرة الأخت الصغرى سيلين الحبيبة.. فتاهت عيناها قليلاً في اللأ شيء ممّا جعل الأخرى تصمت فجأة شاعرة ببعض الحرج..

\_لقد بدأت أثرثر كثيراً.. أتمنى أنك لا تشعرين بالملل مني..

قالت بما يشبه المزاح و هي تتخذ مكانها أخيراً حيث كانت تجلس سابقاً.. بينما حركت سارة رأسها بالنفي بسرعة و هي تهمس بلطف ؛

\_على العكس تماماً.. أظن بأنني قضيت وقتاً جميلاً هنا..

صمتت للحظة واحدة كانت فيها عيناها قد انسابتا مجدداً على ملامح ميرال بنفس النظرة الحنونة.. قبل أن تضيف بنبرة مميزة ؛

\_خاصة برفقتها !

لم تلاحظ بعدها النظرات التي انصبت نحوها من طرف السيدة لين.. نظرات معبرة بحق.. إلى أن قالت تلفت انتباهها مجدداً بجملة خرجت صادقة لكنها جعلت ملامحها الساهمة تشحب تماماً ؛

\_أظن بأنك ستكونين أمّاً جميلة جداً !

تسمرت سارة للحظة.. قبل أن تطرف برموشها الكثيفة و ترفع رأسها نحوها ببطء.. نظرت لها بلامح باهتة لم تتجح الأخرى في ملاحظة شحوبها.. فقد استأنفت تسألها بنفس النبرة اللطيفة ؛

\_ألا تفكران أنتِ و جاد في الإنجاب بعد ؟



كان هذا السؤال حرفياً.. آخر سؤال توقعت سماعه أو تمننت سماعه من أيّ أحد..

من المؤسف جداً أنها لا تعيش حياة طبيعية كأبي زوجة أخرى.. و لا هي في الحقيقة تريد أن تعيش تلك الحياة إن كان رفيقها فيها سيكون الرجل الذي تسبب لها بأكبر جرح في حياتها..

لا تريدها مع جاد.. و من الواضح أيضاً أنها لم تعد تريدها مع أيّ أحد !  
لكنها لا تزال مضطربة.. بل راغبة في التعامل مع حقيقة أنها تحمل طفلاً صغيراً في أحشاءها الآن.. عملياً هو طفل جاد.. لكن روحياً فهي تعتبر والدته الوحيدة في هذه الحياة..

و إلا كيف تقبل بأن تشارك حق هذا الانتماء المقدس مع الرجل الذي لم ينظر لها يوماً إلا كوسيلة فعالة لنيل انتقام ظالم من عائلتها !

حاولت أن تجيبها لعدة مرات.. حاولت تحفيز عقلها على اختراع رد كاذب و لسانها على تجميع بعض الحروف للرد على الأقل.. لكنها عجزت تماماً..

و بدلاً عن ذلك كانت تبتلع ريقها ببطء.. ثم قالت أول شيء خطر في بالها مغيرة كل منحى الموضوع ؛

\_\_هل.. تعرفان جاد منذ وقتٍ طويل ؟

لم يظهر أيّ تعبير جديد للدهشة في ملامح لين.. بل بدت و كأنها قد تناست سؤالها السابق كلياً و هي تجيب ببديهية ؛

\_\_ليس منذ وقتٍ طويل.. إنه زميل أسر في العمل.. و قد تعرفت عليه أنا من المرات القليلة التي زار فيها منزلنا بغاية التحدث عن العمل..

فقط؟! أرادت أن تلقي هذا السؤال المختصر بشدة ثم قبل حتى أن تسمع الرد..

إذا كانت علاقته مع هذا الرجل متباعدة لهذا الحد فلماذا أصر عليها بل و  
حرفياً أجبرها على المجيء اليوم ؟ أم أنها كانت حيلة جديدة منه لاستفزازها  
فقط !

لا بد أنها كانت كذلك !

دقائق إضافية أمضتها برفقتها.. دقائق من سلام نفسي تعكسه بعض أفكارها  
المنصبة نحو نفس الشخص..

هل يعقل أن يكون جاد قد قرّر أن يعتقها من حصاره لبعض الوقت ؟ لقد  
كانت تتوقع أن يلحق بها مباشرة باحثاً عنها بمجرد أن يلاحظ اختفاءها !

و ربما يفتعل فضيحة أيضاً لو لم يجدها !!

\_ أنا... غالباً عليّ الذهاب الآن..

قالت فجأة بهدوء.. قبل أن تقف بنفس الهدوء فرافقتها لين إلى الباب ثم إلى  
البهو الكبير.. لكنها حتى في خضام سيرهما لم تتوقف عن الترتبة بمواضيع  
عابرة لطيفة كأن تطلب منها مثلاً إعادة هذه الزيارة قريباً..

و لم تكن سارة لتزعج من حديثها اللطيف المنسجم لو لم يكن عقلها قد  
انشغل بعيداً في هذه اللحظة.. حينما توقفت في منتصف البهو و لم تلمحه في  
أيّ مكان..

طرفت برموشها ببطء و هي تنقل عينيها حول المكان باحثة عن أثره بدون  
أن تشعر.. و شعرت.. بطريقة لم تعهدها في نفسها.. شعرت بذلك الانقباض  
القبيح في قلبها و هي لا تلمحه في أيّ مكان..

لا تعلم ما الأفكار التي يمكن أن تكون قد طرأت في ذهنها تحديداً  
لحظتها.. لكنها متأكدة من شيء واحد.. و هو ذلك الخوف الذي غزا قلبها من  
حيث المجهول..

شعور غريب من انعدام الأمان جعل رموشها تتناقل كشخص على وشك أن يفقد أنفاسه طوعاً.. شعور كرهته تماماً.. شعور بغيض إلى درجة تمننت معها لو تنشق الأرض و تبتلع روحها الجريحة هرباً من لحظة كهذه..

و إلا كيف للإنسان أن يعتكف مثل هذا الإحساس حينما يكون المعني بالأمر...جلاده الأول و الوحيد؟!؟

هي حتماً... تتوهم ! بل ربما ما شعرت به كان...حقيقياً !!

فتلك التنهيدة التي تحررت من أعماق روحها تحمل إرهاقاً غير معقول ما إن سمعت الصوت الخشن الأجنح ينادي من خلفها بخفوت ؛

\_سارة...؟!؟

لا يمكنها أن تكون طبيعية أبداً !!

نفس طويل سحبته إلى داخلها.. قبل أن تلتفت ببطء إلى أن قابلت عينيه.. كان يقف أمامها تماماً.. كل ما يفصل بينهما بضعة إنشات.. ينظر في عينيها ب..بهدوء؟!؟

ما سر تلك اللمعة التي لمحتها في عينيه إذن و تسمرت عيناها عليها؟! كانت و كأنها لمعة...حزن..أو قلق !

لكن لماذا عساه أن يقلق عليها الآن ؟ إلا إن كان يبحث عنها بالفعل طوال هذا الوقت !!

كانت تشعر بنفسها و كأنها مغيبة تماماً عن العالم.. لكنها رغم ذلك استطاعت أن تسمع صوته الأجنح حينما همس لها عن قرب و هو ينقل عينيه بين كل إنش في ملامحها ممّا أكد أنه لمح شحوبها بوضوح ؛

\_دعينا نذهب..

و استطاعت أن تلمح أيضاً يده التي امتدت بهدوء هذه المرة لتتمسك  
بمعصمها..تمسك بها تاركاً أنامله تداعب نبض رسغها الثائر..قبل أن يلتفت  
بهدوء إلى أن لمح صديقه فاولماً له فيما بدا و كأنه تحية وداع صامتة..

قبل أن يرمقها بنظرة أخيرة و هو يقودها بنفس الهدوء نحو الباب  
العريض..ثم مباشرة إلى السيارة حيث وجدت نفسها تغفو بعد أقل من ثلاث  
دقائق من انطلاقها..

إلى أن استيقظت لاحقاً..في اليوم التالي..لتجد نفسها نائمة فوق سريرها  
الأثير في المنزل..مدركة..بل و كارهة لفكرة أنها منحتة فرصة جديدة لأن  
يكون قريباً منها لذلك الحد..

كأن يحملها بين ذراعيه طوال مسافة السلاالم و يضعها في سريرها مدثرًا  
باهتمام و كأنه يعتني بطفلة صغيرة !!

تأوه صغير خرج من بين شفثيها و أخرجها من شرود تلك الذكرى  
الغريبة..غريبة إلى حد تعجز معها عن تحديد شعورها إن كانت تريد نسيانها  
كلياً أو فقط...الاحتفاظ بتفاصيلها في أعماق قلبها !!

وخزة ألم جديدة شعرت بها في رأسها فأغمضت عينيها للحظات و هي  
تنخفض قليلاً مسندة جبينها إلى كفها..

عساه خيرًا يا الله...

إنه نفس الألم الذي يخالجها منذ فترة..نغزات من الألم على جانبي رأسها  
مرفقة بنوبات من الدوار المفاجئ..الكثير من الأرق الذي أصبح يقلق نومها  
و يعرقل نشاط جسمها خلال ساعات النهار..

حتى أنها لأكثر من مرة كانت تستيقظ مع شعور أنها كانت فاقدة للوعي لا  
نائمة..

و الذي أفرعها أكثر هو نزيف أنفها..

فبعد ذلك اليوم الذي نرف أنفها في المكتبة..تفاجأت بعد بضعة أيام بنزيف يشبهه..

لكن جاد لم يره لحسن حظها طبعًا و إلا فقد كانت ستضطر لمواجهة تحقيقاته و قلقه المبالغ به عليها و الذي لا يزيد سوى من نفورها و كرها لها..  
تناهى إلى مسامعها صوت رنة قصيرة بجرس الباب فرفعت رأسها عاقدة حاجبها بتوجس...من سيكون!؟

جاد لديه مفتاح كما أن الباب سيكون مقفلًا من الخارج بالتأكيد..

فهو ليس كريمًا لدرجة تركه مفتوحًا و هي بالداخل !!

وضعت وشاحها جانبًا لتقف و تفتح باب الغرفة..ثم توجهت إلى الباب الخارجي بخطوات بطيئة نسبيًا إلى أن وقفت خلفه بحذر..

كان هناك صمت تام استشعرته من الخارج فهمست تجلي صوتها بهدوء ؛

\_من!?!\_

\_أنا..أنا لارا..هل جاد موجود!؟\_

زفرت سارة بغضب مكتوم و هي ترفع رأسها قليلًا عن الباب و هي تسمع تلك النبذة الرقيقة أكثر من اللازم..ثم قالت بصوت خافت لكنه حاد بطريقة مهينة لم تتعمدها ؛

\_لا..ليس موجود..غادري من فضلك !\_

انتظرتها أن تغادر بالفعل..إلا أن صوتها جاءها مترددًا بعض الشيء ؛

\_حسنًا..هل يمكنك أن تفتحي الباب!؟..لقد أحضرت له شيئًا و أريد اعطائه لك..\_

انعدد حاجبا سارة بارتياب..ما هو هذا الشيء الذي يخص جاد و ستعطيه لها  
!؟ أي كان فالباب مغلق و لن تستطيع فتحه لها..لهذا و بدون أن تكلف نفسها  
عناء التحليل طويلاً قالت بجفاء ؛

\_\_\_\_\_أنا.....

صمتت فجأة و هي تنظر للباب بتوجس..ثم طرقت قليلاً بحذر حينما تسالت  
فكرة ما إلى عقلها..رفعت يدها ببطءٍ إلى أن أمسكت مقبض الباب..  
و ترددت لوهلة واحدة..قبل أن تسحب نفساً قصيراً و تدير المقبض و كأنها  
سنتحه..و قد كانت المفاجأة الأكبر و التي جعلتها تتراجع قليلاً بعينين  
متسعيتين مشدوهتين...

أنه انفتح بالفعل !!!!

---

وقفت سيلين لتجمع أغراضها بعد أن انتهاء المحاضرة الصباحية الوحيدة  
التي لديها اليوم..كانت ساهمة بعض الشيء و هي تتجه إلى الباب بخطواتٍ  
هادئة..لكنها توقفت حينما جاءها صوت زميلتها في الصف تنادي باسمها من  
وراءها..

فالتفتت ناظرة لها بتساؤل..حينما قالت الأخرى ترسم ابتسامة متلكأة قليلاً ؛  
\_\_\_\_\_في الحقيقة..كنت أريد أن أستعير منك كتاب التاريخ..

اومأت لها سيلين راسمة ابتسامة لطيفة لم تبدد شرودها بالكامل..ثم لم تلبث  
أن أخفضت رأسها إلى حقيبتها الأنيقة تخرج الكتاب و تمده لزميلتها معقبة  
أثناء ذلك بلطف ؛

\_\_\_\_\_ها هو ذا..لكن لأخبرك أن هناك بعض الدروس الناقصة أنا لم أكملها بعد  
لأن.....

صمتت فجأة لا تعلم أيّ عذر تنتقيه لتكمل جملتها.. لكن عقلها أكمل بدلاً عنها..

" لأنني كالغبية رميت الكتاب في وجه ذلك الأبله قبل أن أنقل الدروس منه !  
"

لكنها هزت رأسها على أية حال و هي تجاوز الموضوع هامسة بدلاً عن ذلك بنفس نبرتها السابقة ؛

يمكنك إعادته لي بعد الانتهاء من استعماله..

و بعدها بلحظات.. كانت تمشي في منتصف الساحة الكبيرة تنظر حولها باهتمام.. لماذا لم يظهر له أيّ أثر اليوم !؟

لقد تغيب عن المحاضرة كما أنه ليس موجودًا في مكانه الأثير.. بحيث اكتشفت بأنه غالبًا ما يحب اللجوء في أحد القاعات الفارغة أثناء الاستراحة ليجلس هناك و يخرج كتابًا أسودًا يبدأ في الكتابة عليه في انسجام غريب..

كانت قد لمحته بالصدفة ذات مرة حينما كانت تمر من جانب قاعة الموسيقى لتجده يجلس بمفرده في الداخل.. و رآته بعدها لأكثر من مرة يدلف إلى أحد القاعات و يفعل نفس الشيء... دائمًا يكتب !!

لمحته فجأة و هو يقف في جانب معين يتبادل الحوار مع فتاة ما.. فانعقد حاجباها بضيق.. هل هو من هذا النوع !؟

هي لم تره من قبل مع أيّ فتاة باستثناء زميلاتهم في الصف و نادرًا ما تراه يتبادل أطراف الحديث مع إحداهن داخل القسم..

كما أنه التزم الهدوء معها تمامًا و لم يحاول إزعاجها بعد ذلك اليوم..

فتحت حقيبتها لتخرج ذلك الكتاب الذي دونت له فيه محاضرة اليوم !! نعم... كان عليها أن تفعل.. لقد أعادت الكتاب و الآن سترد له دينه كاملاً !

أليس هذا هو الشيء الصائب !؟

و مجددًا.. للمرة الثانية تجد نفسها تندفع باتجاهه بخطواتٍ سريعة إلى أن توقفت أمامه تمامًا تنقل نظرها بينه و بين الفتاة التي رمقتها بنظرة تقييمية سريعة متعمدة قابلتها سيلين بنظرة متكبرة مستهينة..

ثم نظرت لسليم الذي بالكاد انتبه لتواجدها حينما وقفت أمامهما.. و قالت متجاهلة وجود تلك الفتاة المتطفلة بجانبها تمامًا ؛

**\_تفضل.. كتبت لك درس محاضرة اليوم !**

ارتفع أحد حاجبي سليم باستغراب و هو ينقل بصره بينها و بين الكتاب المُمْتد أمامه من طرفها.. قبل أن تعتلي وجهه ابتسامة واسعة صنفها عقلها هي على أنها بلهاء فقط ككل شيء به..

إلى أن رفع يده يأخذ منها الكتاب مردفًا —...سعادة عارمة !!

**\_شكرًا لك..**

ردة فعله أَرْضت أنوثتها.. و عزّزت موقفها أمام تلك الفتاة المزعجة.. فاومات بهدوء و هي تنقل نظرها بينه و بين الفتاة التي كانت تراقبهما بضيق واضح و انزعاج..

ثم تتحنحت لتقول بابتسامة تحتوي بعض التوتر.. مجددًا تخاطبه هو فقط متجاهلة تلك المزعجة الواقفة بجانبه ؛

**\_لا.. لا بأس... كنت أريدك في كلمة !!**

الآن ارتفع حاجبا سليم بدهشة أكبر و بلاهة أكبر.. بينما أضافت سيلين بتشديد ناظرة للفتاة بطرف عينيها ؛

**\_على انفراد !**

انعقدت ملامح الفتاة بغیظ أكبر.. بدون أن ينتبه لها سليم الذي كانت عيناه تفتنسان ملامح سيلين.. إلى أن تتحنح ليرغم نفسه على إشاحة عينيه عنها.. فقال موجهاً كلامه للفتاة بنبرة اعتذار ؛



\_حسناً موافق..سأساعدك في ترجمته..دعينا نتكلم لاحقاً !!

انزعاجها فاق الحدود..لكنها اومأت له بتفهم زائف و هي تلتفت لتغادر  
متمنية أن تنشق الأرض و تبتلعها لشدة إحراجها..

راقبتها سيلين و هي تبتعد بظفر و على شفيتها ابتسامة انتصار لم يلمحها  
سليم الذي كان هائماً في أحلامه الوردية يتأملها و كأنها أسطورة هربت من  
بلاد الجمال...

رفع يده ليحكّ طرف جبهته قليلاً ثم انزلت لتعيد خصلات شعره البني الناعم  
القصير إلى الخلف بينما يسأل بارتباك ؛

\_إِذَا !!!

صوته نبهها فاستدارت نحوه مكرّرة بدون أن تشعر ؛

\_إِذْنِ !!؟

قالت ببلاهة شديدة و هي تدرك الآن فقط بأنها لم تكن تملك أيّ موضوع في  
الأصل لتتكلم به !! لماذا فعلت ذلك إذا ؟!!

زمت فمها قليلاً و هي تشتم نفسها داخلياً بأبشع الألفاظ.. بينما ظاهرياً كانت  
تحاول أن تبقي على واجهة هادئة..هادئة جداً !!

همت بأن تقول شيئاً لكن الأمر بدا مستعصياً جداً و هي تجد عقلها ينغلق  
فجأة عن كل الأفكار..فزمت فمها أكثر تنظر حولها و كأنها فقدت القدرة على  
صياغة الكلمات..

و كان سليم من أنقذها حينما اتسعت ابتسامته الحالمة و هو يطرق رأسه قليلاً  
ليخرج ذلك الكتاب الذي أعادته له ذلك اليوم..يده نحوها قائلاً بلطف ؛

\_بما أنك أتعبت نفسك و كتبت من أجلي..فتفضلي..

اتسعت عيناها و كأنه شتمها و هي تقول مندفعة بتلثم ؛

\_ ليس لأجلك... أنا.....

قاطعها سليم بنفس الإبتسامة الودودة الهادئة ؛

\_ لا بأس.. فقط لا ترفضه هذه المرة..

نظرت سيلين للكتاب في يده بتردد متجاهلة التعليق على كلمته التي لم تعجبها كثيراً بمشقة.. فأضاف بلطفٍ أشد ؛

\_ أعلم بأنك لم تدوني شيئاً منه ذلك اليوم.. تفضلي رجاءً !!

ابتلعت سيلين ريقها و هي تعود لترمقه بنظرة أفصحت عن مدى توترها و إخراجها في هذه اللحظة.. قبل أن تزفر نفساً قصيراً.. ثم همست و هي تمد يدها لتأخذه منه أخيراً باستسلام ؛

\_ حسناً.. سأعيده لك عندما أنتهي.. عن... إذنك !!

التفتت تنوي الذهاب لكنه استوقفها لا لشيء.. فقط ليقول بابتسامته التي لم تخنفي بعد ؛

\_ اسمعي.. أنا تغيبت اليوم لأن الفتاة.. تلك التي كانت تقف معي كانت تحتاجني لأساعدتها في ترجمة أحد النصوص..

تجمدت سيلين مكانها للحظة.. ثم هزت رأسها بعدم فهم و قالت بتبلد ؛

\_ إذاً !! بماذا سيهمني الأمر أنا ؟!

أطرق قليلاً و هو يربت براحته على شعره من الخلف قبل أن يرفعه مجدداً و يقول ببساطة من لم يشعر بذرة انزعاج واحدة من كلامها ؛

\_ لا.. لا يهتمك.. أنا.. شعرت.. بضرورة إخبارك.. فقط !

اومات له سيلين ببطءٍ و هي تنسحب مجدداً من أمامه.. و قد تعمدت أن تكون خطواتها أسرع الآن خوفاً من أن يستوقفها مجدداً..

كانت قد وصلت إلى الباب الرئيسي لكنها لم تغادر فوراً.. فقد توقفت للحظة قبل أن تلتفت بهدوء لترمق المكان حيث كان لا زال يقف مولياً إياها ظهره.. نظرة أخيرة ألقها على الكتاب بين أناملها..

لم تلبث بعدها أن رفعت رأسها مجدداً مستأنفة طريقها.. و قد شق طيف ابتسامة من حيث لا تدري أطراف شفيتها.. و ظهر أثره الباهت لأول مرة في عينيها بعد وقتٍ طويل !

---

كانت تراقب بذهول أقرب إلى الصدمة مقبض الباب و هو يفتح أمامها بكل سلاسة.. إنه ليس مغلقاً من الخارج.. لقد تركه مفتوحاً !!!

ظلت متسمة مكانها تنظر ليدها فوق المقبض بصدمة.. قبل أن يأتيها صوت لارا التي همست بأدب بينما أناملها تمتد نحوها بشيء لم تكن قد رآته بعد ؛

\_مرحباً..

أنزلت سارة عينيها الفافتين للتركيز ببطء ناظرة لذلك الشيء في يدها.. و الذي لم يكن سوى وشاح جاد الذي خرج به يوم أمس يلقه حول عنقه و عاد بدونه..

حينما قالت لارا تنبهها مجدداً فرفعت أبصارها لتقابل تلك الابتسامة العريضة التي كانت مرتسمة فوق ملامحها.. و التي شعرت بها.. بدون سبب وجيه.. مستفزة جداً!

\_هذا وشاح جاد.. لقد نسيه يوم أمس لدينا لهذا أحضرته له..

نسيه... لديهم ؟!!!

نظرة باردة متبلدة اعتلت وجهها للحظة.. ثم لم تلبث أن رفعت يدها لتأخذ منها الوشاح هامسة بغير تركيز ؛

\_حسناً... سأعطيه له عندما يعود..

اومات لارا محتفظة بابتسامتها المُستفزة كما وصفها عقلها سابقًا.. ثم التفتت  
تهم بالذهاب.. لكن سارة التي تاهت عيناها على الوشاح في يدها لثوانٍ أوقفتها  
؛

مهلاً !

نظرت لها لارا باهتمام.. فتردّدت سارة قليلاً قبل أن تقول بتوتر ؛  
هل.. جاد.. مقرب منكم جدًا ؟... أقصد... ما العلاقة التي تجمعكم بجاد ؟!  
اتسعت ابتسامة لارا حتى شملت كل وجهها أمام.. ثم أجابت بحرارة شعرت  
معهها سارة بأنها تتعمد إثارة غيظها أكثر ؛  
نعم.. جاد مقرب منا جدًا.. إنه يشغل مع أبي منذ فترة ليست بالقصيرة.. لقد  
كان جديرًا بهذا و استطاع كسب حب و ثقة أبي.. لهذا هو يعتبره المُفضل  
لديه.. و كثيرًا ما يعتمد عليه في أمورنا الخاصة أيضًا..  
اومات سارة ببطءٍ لا تزال نفس النظرة المُتبلدة بغباء تعلي وجهها.. قبل أن  
تعود خطوة إلى الوراء ثم و بدون أن تضيف كلمة جديدة كانت تغلق الباب  
بهدوء..

فهزت لارا كتفها بلا معنى و هي تلتفت مجددًا لتستقل المصعد عائدة إلى  
منزلها القابع في الطابق الثالث..

---

استندت بظهرها إلى الباب وراءها ناظرة بوجوم لذلك الوشاح الرمادي  
المشبع برائحته التي كانت تعشقها ذات يوم.. و التي تخللت أنفها حتى بدون  
أن ترفع الوشاح إليه لتزيد من تدافع خفقات قلبها..

بينما تساءل عقلها بغير ارتياح..

هل يكون هذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة ؟!

جاد مقرب منهم بشدة !!!!

هي لا يمكن أن تصدق أن انتقامه انتهى بهذه السهولة..

ثم لماذا يعاملها بشكل جيد جدًا و يقلق عليها؟! هل هو معتوه أم ماذا؟!!

كيف يمكن أن يكون الإنسان مزدوجًا بهذه الطريقة؟!!

يخاف عليها و يؤذيها.. يدعي حُبها و ينتقم منها.. يهتم بها و لا يسمح لها بالخروج إلا و يدها في يده..

ما هذا الجنون؟!!

الذي يقهرها حقًا أنها متأكدة.. بل إنها تكاد أن تقسم بأن ذلك القلق الذي تراه في عينيه حقيقي.. لماذا يقلق عليها إلى هذه الدرجة؟!!

لماذا لا يكمل انتقامه منها و يعذبها و يهينها كما وعدّها ذات يوم و هو يكلمها على الهاتف.. إلا إذا كان ينتوي كسبها مرة أخرى ! حتى يحقق رغبته الأسمى بأن يضاعف ألمها حينما يرتبط.. بأخرى!!!

و لما لا...؟!!

انتقام مثالي جدًا.. يتزوج بأخرى ليستمتع بحياته كما ينبغي و يتركها هي لوحدها مسجونة هنا تصارع الألم و العجز!!!

هزت رأسها و هي تطرد كل هذه الأفكار الغبية من عقلها.. لكن عينيها وقعت على الوشاح في يدها.. فانغلقت أناملها حوله تعصره بين يدها للحظة.. ثم لم تلبث أن زفرت بضيق و هي تلقي به فوق الأريكة بإهمال..

التفتت تنظر إلى الباب مجددًا بشعور من... سعادة غريبة مصدرها اكتشافها الأخير.. بأنه تركه مفتوحًا اليوم!!

هذا الإدراك أرسل ابتسامة جديدة حملت نفس الذهول السابق إلى شفتيها.. ثم لم تشعر بنفسها إلا و هي تندفع إلى الغرفة بسرعة..

فتحت الخزانة لتلتقط أول قطعة ثياب وصلت إياها.. و التي كانت عبارة عن فستان أبيض حريري ارتدته بدل فستانها المنزلي..

كان فستانًا طويلًا يتخطى ركبتيها بمسافة إنشآت ملحوظة.. و قد ابتلع جسدها الرشيقة و الذي فقد الكثير من قوته في آخر فترة و ازداد نحافة بشكل قد يلاحظه شخص يعرفها عن قرب..

قبل أن تقترب من الحامل هناك لتسحب معطفًا أسودًا أنيقًا ارتدته فوقه و هي تشد طرفيه بدون أن تغلقه.. و آخر خطوة كانت أن رفعت يديها الاثنتين بسرعة تجمع شعرها البني الناعم على شكل ذيل حصان كما اتفق..

رن هاتفها مجددًا بإلحاح فأمسكت به لتفتح الخط هذه المرة بسرعة و ترد بهدوء حاسم ؛

قادمة حاليًا..

ثم اندفعت تخرج من الغرفة متجهة إلى الباب بدون تردد.. لكنها عادت تتوقف في منتصف الطريق حينما تذكرت بأنها لا تملك مفتاحًا..

شعرت بالتردد و هي تقترب من غرفة جاد.. إلى أن دفعت الباب و دلفت لتتجه فورًا بسرعة إلى الخزانة الجانبية الملاصقة للسريير التي أصرت على أن لا تنظر له كما لم تنظر لأي شيء في الغرفة باستثناء هدفها..

فتحت الأدراج الواحد تلو الآخر إلى أن وجدت غايتها فأمسكت بها ناظرة لها لوهلة.. لا بد بأنها نسخة ثانية من المفاتيح تركها هنا مثلما ترك الباب مفتوحًا.. أم أنه نسيه !!

نسيه أم تركه لا يهمها.. المهم أنها ستستغل الوضع و تخرج الآن.. لوحدها ! و بعدها لا يهم ما قد تكون ردة فعله حينما يعلم.. هي ستتحمل كل شيء في سبيل هذه -السعادة المؤقتة- التي ستعيشها بعيدًا عن جاد و سجن جاد..

لساعات قليلة فقط.. ستتناسى كل شيء و تتنعم بحريتها المطلقة بدونه.. بعد أن ظلت مسجونة هنا لأكثر من شهر.. حسنًا باستثناء المرات القليلة التي كانت تخرج معه و طبعًا يدها في يده !!!

أي أنها في كلتا الحالتين كانت مسجونة !!

توقفت أخيراً أمام مقر عملها بعد أن استقلت سيارة أجرة من بعض المال الخاص الذي كانت تحتفظ به.. ثم دلفت بخطواتٍ ثابتة كما اعتادت.. رغم شحوب ملامحها.. و رغم الحزن الذي أصبح لا يفارق عينيها..

هذا كله لم يمنع من ظهور ابتسامتها الجميلة الخلابه و هي تسير ببطءٍ.. تتجول في هذا المشفى الفاره لتلقي السلام بمودة على كل من تقابلهم في طريقها..

و كأنها ليست " سارة فؤاد الغالي " التي لطالما تعودت الحرية و الإنطلاق دون قيود.. تشعر بالغرابة السعيدة و كأنها كانت مسجونة طيلة حياتها و الآن فقط تحرّرت !!

كانت هناك ابتسامة عريضة مرتسمة فوق شفثيها.. ابتسامة أقنعت نفسها بها بأنها سعيدة.. هي سعيدة بهذه -الحرية المؤقتة- التي لم تقدر قيمتها إلا بعد فقدانها..

إلا بعد دخول جاد إلى حياتها !

توقفت أمام مكتبها أخيراً.. فامتدت يدها تفتحه بترددٍ.. ثم تقدمت نحو الداخل بخطواتٍ بطيئة إلى أن توقفت في المنتصف شاعرة بالرهبة الشديدة..

جالت عيناها فوق كل جزء من هذا المكان الذي لطالما جمعتها علاقة وطيدة مميزة معه و مع مرضاها.. الجدران البيضاء.. المقعد الجلدي الأسود حيث اعتادت الجلوس بأناقة خلف مكتبها الأشد أناقة..

أغراضها المتبقية هنا منذ آخر يوم لها قبل أن تقرر أخذ إجازة طويلة إلى جانب عائلتها.. تلك الإجازة التي كانت بمثابة المرحلة الانتقالية التي غيرت فيها كل حياتها..

ثم الأريكة البيضاء المقابلة و التي كانت تخصّ مرضاها..

أشخاص غرباء لكنها دائماً ما اعتبرتهم عائلة ثانية لها..

و اللوحات الفنية التي كانت معلقة هنا و هناك..كلها من اختيارها !

تشبعت ابتسامتها بالحنين و هي تقترب أكثر لتمد أناملها تتلمّس القماش  
الجلدي الناعم لمقعدها الحبيب..

لطالما أحببت الجلوس على هذا الكرسي..قد يبدو هذا غريباً لشخص ليس في  
مكانها لكنها تعتبره مكانها المفضل !

دفعته للوراء ببطءٍ و هي تقترب أكثر إلى أن جلست عليه..و ما كادت أن  
تفعل حتى كانت تغمض عينيها و هي تتراجع إلى الوراء مريحة رأسها على  
طرفه..تاركة ابتسامتها تتألق أكثر بينما تقابل السقف الأبيض..

يا الله كم اشتاقت لهذا المكان..كم تشتاق لعملها و منزلها و حياتها القديمة !!  
لم تدرِ كم ظلت جالسة هناك لا تفعل أيّ شيء سوى تأمل حياتها القديمة  
الجميلة..

إلا حينما رن هاتفها مجدداً فأخرجته من جيب معطفها و هي تستقيم في  
طريقة جلوسها قليلاً على مضمض..و قد كان جاد هذه المرة..

رفعت معصمها إلى عينيها تتفقد الساعة فوجدتها تقارب على تخطي الخامسة  
و النصف..أي أن جاد لم يعد بعد..هو يعود غالباً في السابعة و النصف..و  
هي ستكون في المنزل حتماً قبل أن يعود !

وضعت الهاتف على الوضع الصامت و هي تدخله في جيب معطفها بحزم  
بدون أن ترد..ثم وقفت بهدوء لتلقي نظرة أخيرة على مكانها الحبيب و  
تخرج..



توقفت بعد عدة لحظاتٍ أمام مكتب الإستقبالات تتبادل أطراف الحديث مع موظفة الإستقبال برسمية.. و قد كان كل فحوى كلامها أن طلبت منها بأن تعتذر لإدارة المشفى نيابة عنها..

و بأنها لن تعود للعمل قبل فترة جيدة حينها ستعلمهم.. و تتمنى حقًا أن يبقى مكانها محفوظًا دون أن يسمحوا لأحد بالجلوس على مقعدها الحبيب !

قبل أن تقرّر المغادرة أخيرًا.. لكنها ما إن وقفت أمام المشفى.. حتى وجدت نفسها فاقدة كليًا للرغبة في العودة إلى المنزل..

لهذا فقد رفعت يدها تشير إلى سيارة الأجرة بالوقوف.. لكن ليس لتعود لمنزل جاد بالطبع.. بل لتذهب إلى منزلها الصغير الذي اشتاقت إليه بشدة..

كان الحنين يعصف بعينيها أثناء الطريق.. تتمنى لو تمتلك عصا سحرية تغير بها كل عالمها الكئيب..

لم يستغرق أمر وصولها سوى بضع دقائق و كانت السيارة تتوقف بعد أن قادتها إلى المكان المنشود.. ففتحت الباب بلهفة بعد أن دفعت له ملقبة بعض عبارات الشكر..

ثم توجهت إلى الداخل بسرعة تسيرها نفس اللهفة إلى أن توقفت أخيرًا أمام شقتها في الطابق الثاني..

تفقدت الصندوق الصغير المعلق أمام الباب و الذي اعتادت سابقًا أن تترك بداخله المفتاح الاحتياطي.. أخرجته ناظرة له بين سبابتها و إبهامها بتألق.. و لم تنتظر طويلًا قبل أن تفتح بسرعة و تدلف إلى الداخل..

اتسعت ابتسامتها أكثر و أكثر بسعادة تشبه سعادة طفلة صغيرة و هي تنقل أبصارها من مكان لمكان تتفقد منزلها الحبيب و كأنها تطمئن على حياتها القديمة..

كم كانت حياتها بسيطة و هادئة عكس الآن !!

حينما كان لا يشغل عقلها سوى حالة مرضاها و متى ستحصل على إجازتها  
لترى والدها و أختها و عصفورها.. الآن فقط أدركت قيمة حياتها السابقة  
التي كانت تشعرها بالملل أحياناً..

الآن تفاقم ذلك الشعور بالعجز في قلبها.. الآن باتت تتمنى لو تستطيع البقاء  
هنا فقط.. لو تختار كتاباً من قائمة كتبها المفضلة و المرتبة بكل دقة داخل  
خزانها الصغيرة في غرفتها..

ثم تنام بكل هدوء و راحة بال إلى أن تستيقظ غداً بشعور من الانتعاش  
شارعة أول شيء في الاستعداد للذهاب إلى عملها.. حياة روتينية  
جميلة.. جميلة جداً !!

انفضت على صوت اهتزاز هاتفها فأخرجته بسرعة من جيب المعطف  
الأسود الأنيق و هي تظن بأنه جاد مجدداً.. لكنها تفاجأت بأنها لم تكن سوى  
سيلين !!

مالت حدقتها بحنان جارف ككل مرة تتذكرها فيها أو ترى اسمها ينير شاشة  
هاتفها.. ثم ابتلعت ريقها ببطء.. و شجعت نفسها أن تفتح الخط هذه المرة..  
رفعت الهاتف إلى أذنها بتردد فقابلها صمت بدا طويلاً بعض الشيء من  
الجهة الأخرى.. إلى أن جاءها صوت سيلين تهمس بغير تصديق.. بصوتٍ  
يحتضن كل شوق العالم و حزنه ؛

\_سارة!!!!

يا الله كم اشتاقت إليها.. و كم كانت تحتاج إلى سماع صوتها و التحدث معها  
اليوم بالذات !

ابتسامة دامعة لامست عينيها و هي تسأل بخفوت ؛

\_كيف حالكِ !؟

سمعت صوت سيلين ترد سريعاً بلهفة ؛

\_ أنا.. أنا بخير.. لا.. لست بخير... كيف حالك أنتِ؟!!

نظرت سارة حولها للمنزل المرتب و هي تقول بهدوء و كأنها لم تفترق عن  
سيلين ليوم واحد ؛

\_ أنا بألف خير !

ثم أضافت فورًا بنبرة تأثر حانية ؛

\_ أنا.. أنا في منزلي في العاصمة.. هل تتذكرينه سيلين؟!.. كنت قد أتيت إلى  
هنا معي لمرّة أو مرتين !

ابتسمت سيلين التي كانت تقف مستندة بمرفقها إلى ذلك السور الرخامي  
بشرفة غرفة سارة.. ثم أردفت بحزن ؛

\_ نعم.. بالتأكيد.. و كيف أستطيع أن أنساه؟!!

صمتت قليلاً ثم قالت بحذر حينما تنبه عقلها لنقطة معينة ؛

\_ لكنني لا أفهم.. إذا كنتِ أنتِ في منزلِكِ فأين ج... أقصد.....

صمتت فجأة حينما تنهى إلى مسامعها صوت ما.. كان كصوت جرس الباب  
!

بينما انتفضت سارة في مكانها و هي تلتفت قليلاً لترمق الباب بتوجس قلق..

من سيأتي؟! هي لا تعرف أحدًا في هذه المدينة عن قرب.. باستثناء بعض  
من جيرانها و كلهم يعرفون بأنها ليست موجودة في المنزل..

هل يمكن أن يكون قد رآها أحدهم و هي تصعد إلى هنا؟!!

اقتربت من الباب ببطءٍ و الهاتف لا يزال في أذنها تاركة سيلين تعاني نفس  
الترقب بصمتٍ.. إلى أن فتحت الباب.. و اتسعت عيناها بصدمة..

تجمدت أوصالها تمامًا.. و شعرت بقلبها يسقط عند قدميها و هي تنظر لذلك  
الكائن المخيف أمامها..

كان...جاد...لكنه لا يشبه جاد أبدًا !! لا...ربما يشبه جاد القديم !!

جالت عيناها المتسعان على تفاصيله المخيفة ببطء..

عيناها كانتا محمرتان بشدة..هالات من إرهاق يبدو أنه طال لساعات  
ترطرهما..ملامحه متشنجة بغضبٍ أعمى..صدره يرتفع و ينزل و كأنما فقد  
قدرته على التنفس بشكل سوي..

أنزلت أنظارها قليلاً فوقعت عيناها على قميصه الأبيض الذي كان مجعدًا هو  
الآخر بطريقة مخيفة..أزراره العلوية مفتوحة أو ربما ممزقة !!

هوت يدها التي كانت تمسكُ بالهاتف بجانبها و هي تهمس بخفوتٍ شديد  
متفاجئ ؛

\_جاد !!

و كانت تلك الهمسة التي خرجت بصوتها المختنق هي الدافع الذي جعله  
يستعيد وعيه..فامتدت يده في لمح البصر تدفعها إلى الداخل و هو يتقدم  
خطوة سريعة أغلق بعدها الباب خلفه بعنفٍ..

و فقط..لم يعد " الخوف " كلمة كافية لوصف ما شعرت به حينذاك !!

خاصة و قد ارتفع صوته يتحدث للمرة الأولى بنبرة لا تشبه أي نبرة خاطبها  
بها سابقًا ؛

\_لماذا خرجتِ؟!\_

لم تستطع أن تجيبه..و لم يبدو و كأنه يتوقع إجابتها أساسًا..فقد شعرت بقلبها  
ينبض في أذنيها و هي تراه يقترب منها كأسد متربصٍ يتحين الفرصة  
المناسبة للانقضاض على فريسته..

كانت تشعر بأنفاسها تتدهور تمامًا..شعور قوي من الغثيان اجتاحتها أمام  
نظراته و خطواته و رموشها تتناقل كلما تقدم خطوة تراجعته هي مثلها إلى  
الوراء..

كانت تأمل بشدة أن يتوقف عن ضغطه العصبى..تحاول جاهدة تطويع  
الحروف لـ..فقط لتتوسله أن يتوقف قليلاً و ليمنحها فرصة الشرح..  
لكنه لم يتوقف..و لا هي توقفت إلا حينما شعرت بظهرها يصطدم بالجدار  
الصلب وراءها..و انتهى المطاف بها تقف محاصرة به تمامًا..  
تنظر في عينيه بجزع فاق الحدود..ذلك النوع من الجزع الذي تختبره لأول  
مرة في حياتها..و الذي تختبره لأول مرة بهذا الشكل ناحيته..  
لكن كل ذلك الجزع تفاقم إلى أضعاف مضاعفة حينما ارتفعت يده فجأة لتسدّد  
للجدار خلفها لكمة عنيفة تزامناً مع صوته الذي انطلق هاتفاً بجنون جعل كل  
خلية بجسدها تنتفض و ترتجف ؛  
\_ ألم أحذركِ ؟!!!!!!

---

## "الرمق الخامس عشر؛ لحظات ضعف"

\_ ألم أحذركِ ؟!!!!!!

انتفضت سارة بقوة و هي تشعر بقدميها لم تعودا تسعفانها لتقف أكثر.. بينما في الجهة الأخرى..تسمرت سيلين مكانها مذعورة متسعة العينين بجزع عندما وصلتها صرخة جاد..

جاد الذي و كأنما علم أن سارة على وشك السقوط فامتدت يداه لتقبضان على ذراعيها يهزها بقوة كادت أن تحطم عظامها الرقيقة صارخاً و هو يهزها بصوتٍ مجنون جعل أوصالها ترتجف ؛

\_ ألم أحذركِ يوم أمس ؟!!! ألم أقل لك أن تتصرفي بتعقل و لا تتهوري ؟! ألم أنبهك أن العواقب ستكون وخيمة إذا ما حاولت التمادي ؟! ألم أخبرك ؟!!!!!!

ارتفع صوته أكثر في آخر كلمة حتى كاد أن يشق غشاء أذنيها فلم تشعر بنفسها و هي تنتفض بقوة مطرقة برأسها.. و أفلتت منها شهقة بكاء خافتة سرعان ما أخذت ترتفع أكثر بغير إرادة منها..

أخذت تبكي أكثر و أكثر بأنفاسٍ متقطعة عاجزة تمامًا عن التحكم بنفسها أمامه لأول مرة..بينما ارتفعت يداها الإثنتين في محاولة لدفعه عنها بضعفٍ دون أن تستطيع..

حركتها تلك و كأنما أيقظته من غيبوبة غضبه الأهوج فاندردت أنظاره قليلاً لترمق يديها على صدره بنظرة غريبة احتلت ملامحه التي أخذت ترتخي تدريجياً..

ارتفعت أنظاره مجددًا إلى أن نظر لكتفيها اللذين كان يعتصرهما بقوة بين قبضتيه..فابتلع ريقه بصعوبة و هو يحزرها ببطءٍ إلى أن ابتعد عنها تمامًا..

و حينها فقط.. انزلت سارة ببطءٍ فوق الجدار لتسقط على ركبتيها لا تزال تبكي بعنف.. كانت قد فقدت آخر ذرة من تحملها و ادعاءها الصمود لتجد نفسها تنهار ضد هذا العنف الذي عاشته لثوانٍ قليلة..

عنف استهدف روحها المُستنزفة مباشرة.. فشعرت بكل أقنعتها تسقط متخفية عنها تمامًا.. و لم تجد بدا من تفرغ شحناتِ ألمها في البكاء !

لم يستطع جاد أن يتعاطف معها.. خاصة في هذه اللحظة بعد أن جن جنونه لمدة ساعاتٍ و هو يبحث عنها كالمجنون دون أن يجد لها أثرًا..

لقد ترك الباب مفتوحًا عمدًا حتى يؤكد لها أنه لم يعد يخاف هروبها.. و قد كان متأكدًا أنها لا يمكن أن تفكر حتى في الخروج بدون إذنه.. لكنها خرجت... و خذلته !

لا تدرك كمّ المشاعر المجنونة التي اقتحمت قلبه و هو يدلف إلى المنزل مساءً و لا يجدها.. ليجد نفسه يخرج هاتفه عازمًا على الإتصال بها.. و النتيجة أن تحول جنون غضبه إلى ذعر و خوف و هي لا تجيب..

لم يكن يظن أنه يجبها لهذه الدرجة !!

لطالما كانت مراقبة تحت عيونه و أنظاره.. لأول مرة هو يفقد وجهتها و يفقد معها صوابه.. و قد كان سيفقد عقله حتمًا لو لم يجدها !!

أثناء بحثه فكر في كل الاحتمالات إلا أن تكون قد توجهت إلى العمل أو منزلها القديم.. فمن سيخطر في باله أن يزور عمله و منزله في هذا الوضع !!؟

خاف أن تكون قد تعرضت لحادثٍ ما.. أو أنها فعلت شيئًا ما بنفسها و سيكون ذلك بسببه !!

حينها كان سيعيش ما تبقى من عمره كجسد بلا روح و هو يعلم أنه فقدتها في غفلة منه..

ثم عندما فقد آخر ذرة أمل لديه خطر في باله هذا المنزل فوجد نفسه ينطلق  
بسرعة خيالية متجهًا إليه.. وها قد وجدها فيه..

صوت سعالها المختنق قاطع نوبة شروده.. فنظر لها من بين أنفاسه  
المضطربة ليجدها لا تزال على نفس الوضع.. بدت على وشك الإختناق  
بالفعل و هي تسعل بشدة غير قادرة على التحكم في بكاءها أو أنفاسها..

فانتفض قلبه بشدة و لانت نظرتة بعض الشيء.. و وجد نفسه بدون أن يشعر  
ينخفض إلى أن جلس القرفصاء بجانبها.. قبل أن تمتد إليها تربت على ظهرها  
صعودًا و نزولًا برفقٍ أثناء همسه بصوتٍ حادٍ قلقٍ رغم خوفته ؛

\_ اهدئي.. اهدئي.. خذي نفسًا عميقًا و اهدئي.. هيا..

توقفت عن السعال بالفعل.. لكنها ظلت تختنق بأنفاسها المتهدجة المتسارعة..  
فوقف بسرعة ليندفع نحو المطبخ الذي كان واضحًا أمامه فقد كان المنزل  
صغيرًا من غرفتين و مطبخ و حمام..

خرج بعد لحظة يحمل في يده كأسًا من الماء.. لكنه تسمر فجأة حينما لم يجد  
لها أثرًا في المكان.. ابتلع ريقه ناظرًا حوله بحيرة إلى أن وقعت أبصاره على  
الباب المفتوح على مصراعيه..

فسقط الكأس من بين يده ليتكسر إلى أجزاء صغيرة في الأرض تزامنًا مع  
صوته الذي صدح مرتفعًا بجنون في المكان ؛

\_ سارة!!!!

لم يشعر بنفسه و هو يتخطى بقايا الزجاج المتناثرة ليدوس فوقها بحذائه  
الأسود اللامع و يدهسها متجهًا بخطواتٍ شبه راکضة إلى الباب.. لكن شيئًا ما  
بل صوتًا ما جعله ينتبه و يتوقف مكانه فجأة..

أخفض رأسه فجأة فوقعت عيناه مباشرة على هاتف سارة القابع في  
الأرض.. فتسمر للحظة أخرى قبل أن ينحني ببطءٍ ليمسك به و يرفعه إلى



أذنه هامسًا باسم سيلين بذهول.. و لم يكذب يفعل حتى كان يأتيه صوت هتافها  
مذعورًا متوسلاً ؛

\_جاد.. جاد.. أرجوك.. أرجوك لا تؤذها.. أرجوك.. إذا لم يكن لأجلها فلأجل  
الطفل.. هل تحب أن يحدث شيء ما لطفلك !!! أرجوك..... أرجوك !!

و كأنها سكبت دلوًا من الماء البارد فوق رأسه.. بل و كأنها ألقت به من فوق  
جبل شاهق الارتفاع.. اتسعت عيناه لوهلة بعجز عن الفهم.. و همس مكرّرًا  
بصوتٍ مرتعش متلعثم غير قادر على الإستيعاب ؛

\_لأجل الطفل !!!!!

جاءه الجواب بصوتها المتوسل في سرعة البرق ؛

\_نعم نعم... إنها حامل... لا تؤذها أرجوك !!

تشنجت أنامله بقوة فوق الهاتف و هو ينظر أمامه إلى الباب المفتوح بعينين  
لا تبصران.. ثم بدون أن يجيبها.. تحرك بسرعة البرق ليتجاوز الباب صافقًا  
إياه خلفه بعنف..

إلى أن توقف في منتصف الشارع ينظر حوله بحيرة باحثًا عنها

كالمجنون.. فاتسعت عيناه أكثر و هو يلمحها... أخيرًا... المجنونة !!!

كانت تقف على قدمين مترنحتين في منتصف الشارع المكتظ بالسيارات.. و  
قد بدت على وشك فقدان وعيها بينما السيارات تتدافع من حولها يمينًا و  
يسارًا..

شعر بقدرته على التحرك أو الصراخ تتلاشى تمامًا فخرجت أنفاسه كخريف  
الرياح بثقل شديد..

لكن منظر تلك السيارة التي كانت تقترب منها تكاد أن تصطدم بها في غمرة  
غيباء تلك المتهورة جعل الدماء تنسحب من وجهه تمامًا.. ففتح فمه ليصرخ  
بفزع لكن السيارة توقفت قبل حتى أن يكمل صرخته باسمها..

و تناهى إلى مسامعه صوت تلك الشتيمة القبيحة التي أطلقها صاحبها و التي  
وجهها لسارة حصرًا..

و لم يكن ليكون جاد مراد لو لم يقترب منه تقوده مشاعره الهوجاء المجنونة  
بعد أن وضع -الهاتف في جيب بنطاله- في حركة لم يشعر بها..  
فتح الباب الأمامي لسيارة ذلك السائق الفاشل كما لقبه عقله رغم أن الذنب  
الحقيقي لم يكن ذنبه..

و لم يكد يستوعب ذلك الأخير حركته تلك حتى كانت تمتد يداه لتقبضان  
على قميصه إلى أن أخرجه عنوة صارخًا في وجهه بغضبٍ أعمى ؛

كيف تجرأ.....؟!!!!!!!

كانت لحظة واحدة.. لحظة واحدة انشغل بها عقله بضرورة تلقين هذا الرجل  
بعض دروس الأدب.. لحظة واحدة تغافل فيها عنها.. عن تلك التي كانت لا  
تزال واقفة في منتصف الطريق تنظر له بعينين غائرتين فاقدتين للتركيز  
على وشك الوقوع لنوبة إغماء..

لحظة واحدة.. قبل أن يتجمد مكانه تمامًا حينها اخترق أذنيه صوت صرخة  
صمتها تزامنًا مع صوت ارتطام قوي جعله عاجزًا عن الحركة لثانية.. بل  
عن التنفس..

و كأنما عقله استوعب كل ما يحدث تلقائيًا قبل حتى أن يلتفت فحرر ذلك  
الرجل من قبضته الخشنة.. و ظل متمسكًا أمامه للحظة أخرى..  
قبل أن يحث نفسه بصعوبة بالغة إلى أن تمكن من أن يستدير ببطءٍ ناظرًا  
إلى حيث كانت واقفة قبل قليل..

لكنها لم تكن واقفة في مكانها الآن.. لم يراها.. بل رآها.. مُمددة أمامه بلا  
حراكٍ بعد أن صدمتها تلك السيارة و توقفت على بعد خطوة واحدة منها !!!

كانت لحظة مرعبة.. غريبة.. جعلت عقله يتوقف عن العمل تمامًا.. و منظرها  
أصاب أطرافه بالشلل لوقتٍ مؤقتٍ.. قبل أن يتقدم خطوة مرتعشة فجأة تلتها  
واحدة أخرى أسرع منها..

ثم وجد نفسه ينسف المسافة المتبقية بينهما راضًا إلى أن وصل إليها و جثى  
بجانبيها يحاوطها من كل صوب رافعًا رأسها الذي سقط إلى الورااء بلا حياة  
بين ذراعيه..

وجد نفسه يهتف بذعر غير قادر على استيعاب كل ما يحدث ؛

\_سارة..سارة..افتحي عينيكِ حبيبتى..افتحي عينيكِ أرجوكِ..  
أرجوكِ..سارة.....

كان ينظر لها هائفًا بجزع طفل صغير..و كأنما سيناريو أمه يعاد أمام عينيه  
بالتفصيل !! بل إن صورة أمه تراءت له في صورتها للحظة..و شعر بأنه  
على وشك فقدانها للمرة الثانية بنفس العجز !

لكن صورة سارة عادت لتطفو بقوة مكتسحة هواجسه و عقله بقوة..و لم يكذب  
يفتح فمه ليهتف بالمزيد من الكلمات المتوسلة..

حتى كانت عيناه تتجمدان للمرة العاشرة ربما في نفس اليوم حينما وقعتنا على  
منظر تلك الدماء التي كانت قد بدأت تنساب من بين قدميها ببطءٍ لتلطيخ  
فستانها الأبيض و الأرض..

جحظت عيناه بقوة و هو يدركُ بحدسه الرجولي المتواضع بأنه قد خسره..لقد  
خسر طفله يوم علم بوجوده..خسر طفله يوم علم بوجوده!!!!

لكنه لن يخسرها..و الله لن يخسرها !!

جرت دموعه فوق وجنتيه بألم اعتصر كل حواسه دفعة واحدة..و من جوف  
روحه بزغت أمنية جديدة غير قابلة للتحقق..

تمنى لو عاد به الوقت لذلك اليوم فلا يتركها وحيدة تواجه ضعفها بين  
الناس..تمنى لو أعاد الزمن لتلك اللحظة ليأتي إليها محملاً بحبه و يعلنها  
ملكه بين كل الناس..

لتكون له قلباً و قالباً برضاها و رضاه !!

لكنها أمنية ناشدت المستحيل..و سرعان ما استوعب نفسه فوقف بسرعة  
يحمل جسدها الضعيف بين ذراعيه.. ثم اندفع بذات السرعة إلى السيارة إلى  
أن مددها في المقعد الخلفي و استقل مقعده يقود بسرعة جنونية متجهًا  
لأقرب مشفى..

و لسان حاله يدعو الله أن تنجو..فقط ليعيدها إليه هذه المرة و لن يؤذيها بعد  
الآن..سيمنحها حريتها..و الله سيمنحها لها و لن تكون له إلا برضاها..

فقط لتعود..لتعود يا الله !!!

في الجهة المقابلة من الهاتف..كان هناك شخص شاركه نفس الجزع و  
الصدمة و المشاعر..كانت سيلين التي أسقطت الهاتف بصدمة بعد أن سمعت  
كل ما كان يدور في الجهة الأخرى من الهاتف..

نظرت حولها بضياح تام..قبل أن تندفع راكضة بسرعة عبر السلاالم الطويلة  
إلى أن اقتحمت مكتب والدها صارخة بغير وعي ؛

\_أبي..أبي سارة...سارة ليست بخير...سارة...سارة يا أبي.....

قبض فؤاد على ذراعيها بقلق و هو يهتف حتى يعيدها إلى رشدها ؛

\_ماذا بها سارة؟! اهدئي و أخبريني..أنا لا أفهم أيّ شيء !!!

شعر بارتعاشة جسدها واضحة تمامًا بين يديه..قبل أن تفتح فمها لتهمس  
بعينين ضائعتين مصدومتين ؛

\_سارة ربما...ربما تعرضت لحادث !!

دائمًا ما يجد نفسه غارقًا في محاولة لإيجاد الإجابة لنفس السؤال العقيم.. هل يعيش القلب بدون دقات القلب؟! لا... و ألف لا !!!

إنه يشعر بقلبه يكاد أن يهب ليخرج من بين أضلعه و يضمها إليه بقوة حتى يكسر عظامها الرقيقة هذه لعله يبث فيها بعض الحياة من جديد !! و ليكون الفوز لهما سويًا في معركة القلوب هذه !!

اندفعت إليه بعض الممرضات عندما لمحنه يدلّف إلى المشفى جريًا.. فوضعها فوق النقالة دون أن يتركّ يدها حتى دلفت إلى غرفة المُستعجلات..

و حينها فقط وجد نفسه مضطرًا لترك يدها على صوت الممرضة و هي تصرخ به أن يبقى خارجًا.. بينما هو في عالمه الخاص و حدقاته لا تفارقان ملامحها الحبيبة البيضاء كالأموات.. و الساكنة بلا حياة..

ترك يدها أخيرًا على مضضٍ و هو يندفع ليرتمي بظهره إلى الجدار خلفه ناظرًا إلى الأرض بأنفاسٍ متسارعة مرتعشة.. لمح الدكتور و هو يمر من أمامه ليدلف للغرفة مسرعًا و يغلق الباب في وجهه..

فعاد يطرق برأسه المرهق لتقع عيناه على تلك البقعة الحمراء التي لطخت قميصه الأبيض...دمائها !!!

كان يبدو كشخصٍ يقف على حافة نهاية الطريق.. منهكًا.. مرهقًا ضائعًا و مستسلمًا..

شعر بخفقات قلبه تتدافع بعنفٍ مرتظمة بقفصه الصدري و كأنها تحيك خطة غريبة لاختراقه.. فرفع راحته ليمسّد موضعها شاعرًا بألم يفوق الوصف.. و من المجهول وجد كلماتها تقتحم عقله بهيمنة سادية..

" لكن لن أكون سارة فؤاد الغالي إذا لم أجعلك تندم على كل ما اقترفته في حقي ! "

و قد فعلت... صدقت ابنة فؤاد الغالي و لم تخلف بوعدا !!

دمعة ثقيلة انسابت من بين جفنيه المغلقين بشدة.. إلى أن استقرت فوق  
الأرض الباردة بدون أن تلمس وجنته حتى من شدة ثقلها..

لقد... خسر... ابنه !!

كما خسر نفسه !!!!

لم يكن فائزًا.. لا.. بل هو خاسر و بجدارة !!

تساقطت دموعه أكثر و هو يشعر بفقدان السيطرة على نفسه بعد وقتٍ طويل  
اعتكف فيه الصّمود و القسوة..

هل كان يجب أن تكون حياته هكذا؟! لماذا لم يمُت في ذلكَ اليوم مع أمه؟!  
هل كان مكتوبًا في قدره أن يعيش منبوذًا بئسًا كل حياته؟!!

من أمه التي أنهت حياتها أمام عينيه تاركة إياه يواجه ظلم الحياة  
بعدها.. منبوذًا من أبيه.. من خاله.. من سارة و سيلين.. و من طفله!!!!!!

سقط فوق الكرسي ورائه و لا زال ينظر للأرضِ بفشل تام.. بدموع رجل  
وصل إلى نهاية المطاف مع حُبه المستضعف.. و لم يدر كم مرّ من الوقت  
على جلوسه هناك بنفسِ الوضع.. لكنه كان طويلًا طويلًا..

قبل أن ينتفض على صوت الطبيب و هو يفتح الباب فرفع رأسه بسرعة إليه  
و قد وجد نفسه عاجزًا عن الوقوف من شدة ما يعانيه من قلق.. نظر له  
بحدقتين حمراوتين تحملان من الלהفة و الخوف كله.. دون أن يقف..

فقال الطبيب بتعاطف ؛

لحسن الحظ أن الصدمة كانت خفيفة نسبيًا و لم تسبب لها أضرارًا كثيرة إلا  
من بعض الكدمات التي تمكنا من معالجتها..

صمت لوهلة ثم استرسل بنبرة أشد تعاطفًا ؛

لكننا لم نستطع إنقاذ الجنين للأسف..

لم يبدو جاد متفاجئاً أبداً.. بما أنه كان يعرف هذه المعلومة مسبقاً.. لكن ملامحه ازدادت شحوباً و غامت نظرة عينيه أكثر و هو يومئ له بتفهم زائف.. ثم و بمشقة شديدة حث نفسه على الوقوف أمامه و قال بصوتٍ لم يستطع أن يقاوم اختناقه ؛

\_\_ هل يمكنني أن أراها !!؟

اوماً له الطبيب بهدوء و هو يردف ؛

\_\_ بالطبع.. لكن بعد أن يتم نقلها من هذه الغرفة..

---

دلف بعد دقائق إلى الغرفة حيث ترقد -حبيبته- ليغلق الباب خلفه ببطء.. ثم التفت ينظر لها بينما يقترب منها بخطواتٍ بطيئةٍ بدت شبه مترددة..

جالت عيناه عليها بالكامل.. قبل أن تتوقف للحظة على طرف المصل الوريدي المثبت فوق ظاهر كفها النحيف.. ثم للحظة أطول على الجهاز الذي كان يغطي أنفها..

كانت تبدو هزيلة جداً.. ضعيفة و شاحبة أكثر من أيّ رآها في وضع مزر من قبل.. مع الاعتراف بأن جميع تلك المرات كان هو السبب الأول و الوجيه فيها !!

شعر بقلبه المُمزق أساساً يتفتت إلى أجزاء صغيرة و هو يتخيل موقفها و ردة فعلها لو علمت بما حدث اليوم.. لو أخبرها و سيخبرها حتماً بأنهما فقدا طفلهما !!

لكنه لم يجب الغوص في هذا الشعور أكثر الآن.. فزفر نفساً مختنقاً و هو يحث الخطى نحوها أكثر.. إلى أن وقف بجانب سريرها يتأملها بعينين تفيضان وجعاً..

قبل أن ينخفض بهدوء خادع تمامًا إلى أن جلس على طرف السرير بجانبها.. لكن عينيه لم تفارقانها رغم ذلك.. بل رفع يده بهدوء إلى أن احتوى بها يدها الملقاة بجانبها..

أمسك بها بين يديه للحظات يربت عليها و كأنه يواسيها أو يواسي نفسه ضد هذه المأساة التي يعيشها.. ثم انخفض أكثر و هو يرفع يدها بين يديه يطبع قبلات متتالية على ظاهرها حينما شعر بالدموع تغشي عينيه..

ظل ينظر لها لدقائق طويلة تاركًا كفها بين يده.. بينما امتدت الأخرى تغطي جبينها مربطة برفقٍ..

لا يعلم إن كانت حركات يحاول أن يمهد بها استيقاظها.. أم أن تلك المشاعر التي داهمته كانت حقيقية..

لقد كان يشعر بالخوف بالفعل من فكرة استيقاظها و في نفس الوقت يتمناه بشدة.. لأنه يعلم بأنه أكثر شخص لن ترغب في رؤيته الآن !

ازدادت تلك الطبقة كثافة في عينيه بدون أن تنزل دمعة واحدة منها.. حينما مال عليها ببطءٍ إلى أن.. طبع قبلة طويلة فوق جبينها.. و همس فوق بشرتها و هو يغمض عينيه بشدة..

مستعد للاعتراف بجميع ذنوبه و التوبة عنها لو كان الثمن هو أن يملك وسيلة ما تخوله العودة بالزمن يومًا واحدًا..

يوم واحد فقط هو كل ما يحتاجه !!

\_ أنا.... آسف! أعلم بأنها لن تكفي.. لكنني فقط... آسف !!!

آسف لأنه كان سببًا وجيهًا حتى و لو بدون قصد في خسارة طفلها.. حتى و إن كان قد علم بأمره اليوم فقط..

هو لا يمكنه أن يحمل أي شخص غيره ذنب فقدانه..

لا يمكنه !!



ترجع بعدها بهدوء إلى أن ارتمتي جالساً فوق الكرسي بجانب السرير متأملاً ملامحها الساكنة بشرود لوقتٍ لم يعلم كم.. لكنه امتد لدقائق طويلة جداً..

شعر بدهاليس النوم تبدأ في سحبه إليها تدريجياً.. فhez رأسه قليلاً يحاول أن يقاوم ثقائل جفونه.. لكنه كان ضعيفاً أمام سلطانه السادي.. خاصة و أنه لم يتذوق طعم النوم لليلة كاملة..

فلم يشعر بجبينه الذي سقط على يديه الإثنتين في محاولة أخيرة لمقاومة شعوره بالنعاس و قد كانت تلك أفضل محاولة مقاومة على الاطلاق..

لم يدرك كم استغرق في النوم بعدها.. كل ما شعر به هو ذلك الصوت الذي اخترق أذنيه و اقتحم غفوته ليجد نفسه يفتح عينيه فجأة شبه مجفلاً..

استغرقه الأمر عدة ثوانٍ و هو يرمش بعينيه للإستيعاب.. نقل عينيه حول المكان بتشوش إلى أن استقرت أخيراً على سارة التي كانت لا تزال راقدة كما تركها قبل ساعات..

كان صوت رنين هاتفها القابع في جيب بنطاله يرتفع و يتكرّر بالحاح مزعج فأخرجه لتقع عيناه مباشرة على اسم سيلين المكتوب في شاشته بخط عريض..

تردد قليلاً قبل أن يفتح الخط ليصله الصوت من الجهة الأخرى تتخلله لهفة غير مطوعة ؛

\_\_ جاد.. جاد أين أنت؟! أنا سمعت كل شيء في الهاتف.. و أنا هنا في المدينة لقد جنّت مع أبي.. أخبرني أين أنتم؟!!!!

انعقد حاجباه بشدة و هو يحاول أن يستوعب كل كلمة تقولها على حدا.. لكن عينيه أظلمتا فجأة حينما سمع كلمة واحدة..

" أبي "

.. و علم بأنه أتى معها.. إنه في نفس المدينة حيث يقطن !

كان سيهتف بها رافضاً منحها راحة الإطمئنان على أختها بفضاظة.. لكن  
صوتها جاءه متوسلاً قبل أن يتكلم ؛

\_أرجوك.. أرجوك أخبرني أين أنتما؟! أنا ذهبت إلى منزل سارة بالفعل و لم  
أجدها.. و علمت من الناس أن هناك حادثة وقعت يوم أمس في الطريق.. هل  
هذه الحادثة كانت.. كانت لسارة؟!!!!!!!

نطقت سؤالها الأخير بصوتٍ متلعثم عاجزة عن تشكيل الحروف.. و جواباً  
على كل ما قالت قال جاد بصوتٍ قاتم بدون أن تهتز عضلة في وجهه ؛  
\_نعم...\_

سمع صوت أنفاسها التي ارتفعت مع كلمته تلك.. فأغمض عينيه محاولاً  
استقطاب كل الهدوء المتواجد في العالم.. قبل أن يعود ليفتحها مردفاً بنبرة  
تحتوي بعض الرفق الحزين ؛

\_إنها بخير الآن.. أقصد ستكون بخير.. لقد.....\_

صمت للحظة ثم همس يزفر نفساً طويلاً بصوتٍ أجش شبه مختنق ؛  
\_لقد فقدنا الطفل...\_

سمع صوتها تهمس متسائلة مجدداً بنفس نبرتها ؛

\_أين أنتما؟!!!!\_

فرفع يده ليفرك بين عينيه شاعرًا بالإرهاق الشديد يغزو كل حواسه.. لكنه  
قال على أية حال باستسلام ؛

\_في مشفى " ....."\_

ثم أغلق الخط و ألقى بالهاتف فوق المنضدة معيداً أنظاره لسارة.. و تفاجأ و  
هو يرى حركة جفونها الدالة على قرب استيقاظها..

لكن حركة رموشها رافقها صوت أنين خافتٍ هرب من بين شفيتها  
المزمومتين كشخصٍ يرى كابوسًا.. أو يشترع ألمًا سحيقًا يحجب عنه  
الشعور بالراحة..

إلى أن فتحت عينيها ببطء.. و رمشت لعدة مراتٍ قبل أن تستقر في السقف  
الأبيض للحظاتٍ طويلةٍ كاد أن ينسفها بصوته القلق..

لكنه أثر الصمت و هو ينتظرها بقلب شرع يخفق بهستيريا أن تقوم بأي ردة  
فعل.. أن تنظر له على الأقل بعد أن تستوعب نفسها و مكانها.. و قد استوعبت  
بالفعل..

فانتفض رأسها بسرعة ناظرة حولها بفزع لدرجة جعلتها تتأوه و هي ترفع  
يدها إلى بطنها حيث تشنجت أناملها الضعيفة هناك بشدة..

لكنها تسمرت فجأة حينما لمحتة.. يجلس على الكرسي بجانبها بملامح حزينة  
استفزتها بشكل أكبر و هي تتذكر آخر ما حدث..

فقد كانت في منزلها حينما اقتحمه هذا الهمجي ليسبب في انهيارها المفاجئ  
ذاك.. لكن ماذا حدث بعدها ???

بعد أن سقطت أرضًا و ذهب هو إلى المطبخ..

كانت في حالة يرثى لها من الغثيان و فقدان الوعي.. لكن حتى تلك الحالة لم  
تمنعها من أن تقف بصعوبة لتسير ناحية الباب مغادرة ذلك المكان الذي  
حوله إلى خانق بحضوره..

لكنه استطاع أن يدركها و هي في منتصف الشارع.. و آخر ما تتذكره ذلك  
الجسم الثقيل الذي اصطدم بها ليتلاشى كل شيء بعدها مخلفًا سوادًا حالكًا  
أغشى عينيها و روحها !!!!

\_\_ أنا آسف.. لقد... خسرننا... الطفل..... بسببي !

صوته الذي وصلها من حيث لا تدري خافتاً.. مضطرباً.. حزيناً.. بانساً.. جعل  
عينها الزائغتين تتسعان بدرجة مخيفة.. بينما تجولت يدها فوق بطنها قبل أن  
تتقلص في مكان واحد و كأنها تبحث عن أمل واهٍ معدوم..

انتظرها أن تنطق بكلمة.. لكنها لم تفعل.. بل ظلت تنتظر له بعينها المتسعيتين  
بصمتٍ.. بموتٍ.. للحظاتٍ طالت أكثر من اللازم..

ثم فجأة.. أطبقت عينها و هي تستدير عنه جانباً.. تنظر بعيداً عن ذلك الوجه  
الذي يذكرها بكل خيبتها.. و سرعان ما بدأت دموعها تنساب هاربة من تحت  
جفنيها بقوة مؤلمة حارقة..

لا تشعر سوى بالإستسلام.. بالضعف و الظلم و الفشل..

شعرت بيد حنونة تستقر فوق يدها المتقلصة فوق بطنها و كأنها حركة  
تحاول من خلالها تلك الأنامل الخشنة حماية أمل توفي مع وفاة طفلها الذي  
لم يشأ له القدر أن يلمح نور الحياة..

فتوقف جريان دموعها لوهلة.. و قست عيناها بشكل غريب و هي تهمس  
بصوتٍ ميت لا تعبير فيه ؛

\_ اخرج !

شعرت بيده تنسحب من فوق يدها ببطءٍ منصاعة لأمرها في نفس  
اللحظة.. بينما ساد صمت تام من جهته جعلها تفكر بأنه رحل بالفعل !!  
و لما الدهشة؟! إنها شيمته منذ زمن بعيد.. أن يتفنن في تكميم سعادتها و  
جرحها بشتى الطرق.. ثم يرحل..... بكل بساطة !

لم تستطع أن تتحكم بصوتٍ شهقاتها في تلك اللحظة.. فارتفعت بصوتٍ ناعم  
لتتحول بعد أقل من ثانية إلى نحيب مؤلم خافت بينما ترفع يدها إلى عينها و  
تتكوم حول نفسها أكثر..

تضم نفسها بنفسها كطفلة صغيرة مجروحة !

لا تعلم بأنه كان لا يزال جالسًا مكانه.. ينظر لها و يستمع لشهقاتها بقلب  
ينزف.. و قد حاول.. يشهد الله عليه أنه حاول بكل جهد أن يلتزم الصمت و  
الصبر..

مانحًا إياها مساحتها الخاصة مع نفسها حتى و لو اكتفى بمراقبتها من مكانه  
بصمت.. لكنه عجز تمامًا..

فلم يشعر بنفسه إلا و هو يقف فجأة ليستدير حول السرير إلى أن رفع الغطاء  
الأبيض ككل شيء في هذا المكان و استلقى بجانبها غير سامح لها بلحظة  
استيعاب واحدة.. بل رفع ذراعيه ليحاوطها بالكامل ملصقًا رأسها إلى صدره  
بقوة..

لكنها للعجب لم تمتنع هذه المرة.. هي لم تحاول إبعاده حتى أو رفع أنظارها  
إليه.. بل كانت من الضعف بحيث استقبلت كل ما يمنحه بضعفٍ..

و دفنت رأسها في صدره متشبثةً بقماش قميصه بكلتا يديها بكل قوة خائفة لا  
تمتلكها.. غير عابئة بهوية من يحتضنها.. كل ما تعلمه بأنها في أمس الحاجة  
لهذا الحضن !

ارتفع صوت شهقاتها أكثر و كأن الشعور بذراعيه حولها يحفز دموعها أكثر  
لا يهددها.. فتمزق قلبه وجعًا و هو يخفض رأسه قليلًا ليهمس في أذنها  
مرددًا بخفوتٍ شديدٍ.. يشاركها ألمها و لوعتها بينما أنامله تعمل على إزاحة  
خصلات شعرها الناعمة إلى الوراء و كأنها خطوة فعالة للوصول إلى  
تركيزها أكثر ؛

\_ لا بأس.. لا بأس أنا معك.. أنا معك حبيبتي.. أنا آسف حبيبتي.. كله  
بسببي.. كل بسببي أنا.. آسف.. آسف.....

ظل يهددها برفق بصوته الحنون و هو يشعر بانتفاضتها الضعيفة بين  
ذراعيه فيزيد من ضمها كل مرة.. عاجز تمامًا عن تقديم ما هو أكثر لها في  
تلك اللحظة..

إلى أن رفع رأسه فجأة حينما اندفع الباب بقوة ليظهر من خلفه وجه سيلين و  
بعدها مباشرة... فؤاد !!

كلاهما كانا يحملان نفس النظرة على وجهيهما.. ملامح منقبضة مشتدة قلقة  
شاحبة حد الموت..

تسمرت سيلين مكانها تنقل عينيها الذاهلتين المتورمتين بين جاد و سارة  
المختبئة في حضنه و قد سكنت شهقاتها أخيراً بشكل مفاجئ.. عاجزة عن  
استيعاب مدى حقيقة هذا المشهد أمامها..

قبل أن تفتح فمها لتهمس من بين أنفاسٍ لاهثة ؛

\_سارة !!!

لم ترد سارة و كأنها لم تسمعها.. بل لم تتحرك حتى.. لكن جاد مد يديه ليقبض  
على معصمها و يبعدها برفق محرراً قميصه من تشبثها بدون أن يزيح عينيه  
الفارغتين بجمود عنهما.. و عن فؤاد بالضبط إلى أن وقف..

كان فؤاد يقف وراء سيلين.. يبادلها النظرات بنفس التعابير.. لكنه لم يبدو في  
مزاج ملائم لخوض شجار كان لا بد من أن يحدث بينهما منذ زمن..

فتجاوز سيلين مقترباً بسرعة من سارة التي لم تتحرك من مكانها و لم تغير  
وضعيتها أبداً.. باستثناء يديها اللتين تحركت إحداهما تستقر فوق بطنها حيث  
كانت بألم قوي يلتهم أحشائها.. بينما تحركت الأخرى بدون لتقبض على  
الوسادة معتصرة إياها بشدة..

و استقرت عيناها بفراغ محدقة في ضوء الصباح الشاحب الذي كان قد بدأ  
يتسلل بخجل من خلف النافذة المقابلة لها..

توقف فؤاد بجانبها للحظات ينظر لها بصمتٍ يحتوي الكثير من الشوق و  
الحسرة المكتومة.. قبل أن ينحني قليلاً ليقبل جبينها بعمق فأطبقت سارة  
عينيها بصمتٍ و هي تشعر به يجلس بجانبها على طرف السرير بمجرد أن  
فصل تلك القبلة..

سمحت له بتلك اللحظات المعدودة من الاطمئنان عليها.. قبل أن تهمس  
بصوتها المتحشرج البارد بنبرة ميته ؛

\_ اخرجوا جميعاً.. لا أريد أحداً..... هنا !

سمعت صوت والدها يهمس معترضاً ؛

\_ سا.....

فقاطعته متحاملة على أنفاسها المضطربة قبل حتى أن يتمكن من نطق  
حروف اسمها كاملة ؛

\_ قلت.. لا... أريد.. أحداً... هنا !

ظل فؤاد جالساً مكانه للحظة أخرى ينظر لها بما يفوق القلق أو اللوعة.. قبل  
أن يزفر نفساً طويلاً و يقف مندفعاً إلى الباب بيأس.. لكن بعد أن رمقها بنظرة  
طويلة بدا و كأنه يمنحها من خلالها وعداً صريحاً صارماً بأنه عائد إليها..

الآن و قد ذهب الطفل الذي كان يجبرها على العيش مع هذا المعتوه فلن  
يكون لديها أيّ سبب للتشبث به بعد.. هو سيستعيد ابنته.. سيعيدها معه.. هذه  
المرّة بإرادتها أو رغماً عنها !

اقترب جاد هو التالي من الباب ينتوي الخروج مطرق الرأس بلامح  
ذابلة.. لكنه توقف فجأة حينما تناهى إلى مسامعه صوت سيلين التي تحدثت  
أخيراً مخاطبة سارة للمرة الأولى بنبرة مختنقة باكية ؛

\_ حتى أنا؟! حتى أنا لا تريدني هنا... !!!

لم يستطع أن يمنع نفسه من التسمر مكانه حتى يسمع الإجابة التي توقعها  
عقله من سارة.. و بالفعل.. همست بعد صمتٍ طويل بدون أن تلتفت إلى  
سيلين.. بصوتٍ مضطرب لا ينم عن أيّ مشاعر مفسرة ؛

\_ حسناً.. أنتِ يمكنكِ... البقاء... معي!

شبه ابتسامة ظهرت على جانبي شفثيه.. ابتسامة غريبة مليئة بالحزن و الرضا.. ثم سرعان ما كانت تمتد يده لفتح الباب إلى أن خرج أخيراً و أغلقه خلفه بهدوء..

حركته تلك.. بدت كمنبه لعقلها.. فتشجبت يدها قليلاً فوق بطنها و هي تتحرك أخيراً لتلتفت.. ثم بدون أن ترمق سيلين بأيّ نظرة استندت إلى السرير بيدها الأخرى بغاية رفع جسدها قليلاً متكأة على الوسائد الناعمة ورائها..

اقتربت سيلين منها بلهفة لتحاوط كتفيها بغاية مساعدتها لكن سارة دفعتها قليلاً في حركة عفوية ضربت قلبها في مقتل.. قبل أن ترجع رأسها للخلف مغمضة عينيها بإرهاق شديد بعد أن نجحت في الجلوس..

إلا أن سيلين لم تتراجع.. بل جلست بجانبها ببطء.. قبل أن ترفع يديها تحتوي بينهما كفّ سارة.. و ارتجف قلبها شوقاً و سعادة و هي تشعر بأنامل سارة تتشبث بيديها في المقابل..

حينما فتحت عينيها و نظرت لها.. كانت هناك نظرة فارغة تستوطنهما.. لكن النظرة الفارغة سرعان ما اكتسبت القليل من العاطفة.. ثم الكثير منها بصمت..

و ارتفعت زاوية شفثيها مشكلة ابتسامة هادئة خلاصة رغم الألم.. ابتسامة تخصّ سيلين فقط.. تلك الابتسامة التي بادلتها سيلين إياها بواحدة أخرى أجمل رغم الحزن الذي يظل حدقتيها بإتقان..

لكن صوت صدى كلماتها الذي تردّد في عقلها جعلها تبهت قليلاً فوق شفثيها.. و همست بصوت خافتٍ متردّد يحمل بعض الخوف الذي لمحتته سارة ؛

\_هل... أستطيع.....



لم تستطع أن تكمل سؤالها المتلثم فزمت شفثيها قليلاً لكن عينيها تكفلت  
بالبوح بكل ما تمننت قوله..بينما انعقد حاجبا سارة بتساؤل بدون أن تختفي  
ابتسامتها..

و حينما قابلها صمت شاحب من ناحية سيلين..حركت ذراعها الحر تفرده  
نحوها في دعوة صريحة لعناق قوي.. حركة جعلت من عيني سيلين تتسعان  
بقدر ضئيل..و من عبراتها التي بالكاد توقف سيلانها تعود لتنساب بحرارة..

و لم تبخل في الإنصياع و هي تنقض عليها بسرعة مطوقة عنقها بذراعيها  
بشدة تأوهت لها سارة بصوتٍ مكتوم..لكنها لم تبالي..فقد رفعت يديها هي  
الأخرى لتبادلها العناق بقوتها الضعيفة..

أطبقت جفنيها بقوة كما فعلت سيلين و هي تلتقط عدة أنفاس تنم عن ارتياح  
نسبي رغم دموعها الحنونة التي لم تلبث أن تساقطت بقوة..

تلك المرة بشوق أكثر منه ألم !

تدركُ هي كم من المُمكن أن تستنزفنا مشاعر الفقد بكل مرارتها..و هي حتى  
يوم أمس كانت تشعر بأنها فقدتها!..

استمر عناقهما لثوانٍ طويلة بصمتٍ..إلى أن ابتعدت سيلين فجأة لتهمس  
بصوتٍ أجش متمسكة بيد سارة بقوة مطرقة برأسها ؛

\_سامحيني !

ربتت سارة على شعرها بيدها الحرة ناظرة لها بتلك الطريقة المُميزة التي لا  
تنظر لأيٍّ أحدٍ آخر بها..كأم تحاول أن تروي اشتياقها لإبنتها التي عادت  
إليها أخيراً بعد طول فراق !

ثم بهدوء..تركت يدها لتحاوطها مجدداً بين ذراعيها مقربة إياها من  
صدرها..و قالت باستكانة و هي تستند بذقنها إلى قمة رأسها متخللة خصلات  
شعرها برقعة ؛

اشتقت إليك !

خرج صوتها مشبعًا بكل حنان العالم.. فهمست سيلين ترد بحرارة و هي  
تبادها العناق برفق أن لا تؤذيها ؛

و أنا... و أنا اشتقت إليك بشدة.. بشدة !!!!

عادت تلك الكلمات لتداهم عقلها بإصرار موجه.. فأطبقت عينيها قليلاً شاعرة  
بالألم في صدرها يتفاقم.. عاجزة تمامًا عن نسيانها أو مسامحة نفسها على  
لحظة التهور الغبية تلك..

لم تدرِ بأن عقل سارة كان قد علق في نفس اللحظة.. و نتيجة لذلك فقد  
حرّرت إحدى يديها لترفعها مربّطة على وجنة سيلين قبل أن تبعدها قليلاً إلى  
أن قابلت ملامحها المُرْتبِكة و عينيها المتهربتين جانباً..

فابتسمت بإرهاق هامسة بخفوتٍ حزين ؛

في ذلك اليوم عندما ضربتك.. تمنيت لو تنكسر يدي عقابًا لي !!

نظرت لها سيلين بسرعة شبه مجفلة.. فأكملت سارة بأسى و هي ترفع يدها  
الأخرى لتحاوط وجه أختها الصغيرة الوحيدة بالكامل و تقترب قليلاً مغمضة  
عينيها إلى أن أصبحت تستند بجبينها إلى جبين سيلين ؛

أنا آسفة يا سيلين.. أنا آسفة... !!

أمسكت سيلين بيديها الإثنتين للحظة.. قبل أن تنزلهما برفق عن وجهها لكن لا  
لنتركهما.. بل تشبّثت بأناملها أكثر بين يديها و هي تقول بخفوتٍ كاره لنفسها  
؛

بل أنا كنت أستحق.. أنا تناسيت نفسي للحظة و تناسيت أنك أنت.. أنتِ سارة  
و لستِ أحدًا آخر و قلت كلامًا جارحًا للغاية.. الحقيقة أنني أستحق صفة  
أخرى فوق التي نلتها.. سلمت يداك..

قالت آخر كلمة بغیظ شديد.. فضحكت سارة من بين دموعها رغماً عنها.. و  
شاركتها سيلين الضحكة بتهنئة.. قبل أن تقول بصیغة الأمر ؛

\_ أنا لن أسمح لك بالابتعاد مرة أخرى.. لا فراق بعد اليوم.. مفهوم !!

اومات لها سارة بكل طاعة.. لكن فجأة.. انعقد حاجباها قليلاً.. و تأوهت بصوتٍ  
مكتوم شاعرة بألم سحيق ينبعث من خالصرتها ممّا جعل حاجبي سيلين  
ينعقدان بقلق و هي تراها تتراجع قليلاً إلى أن عادت تستلقي مغمضة عينيها  
بارهاق..

و قبل أن تتمكن سيلين من فتح فمها للإستفسار بقلق كانت هي تسبقها بأن  
همست بدون أن تفتح عينيها بصوتٍ خفيضٍ ثقيلٍ أوضح استسلام جسدها  
الضعيف للنوم ؛

\_ لا تذهبي من هنا يا سيلين.. ابقِي معي حتى بعد أن أنام.. و لا... لا تسمحِي  
له بالإقتراب مني و أنا نائمة.. لا أريده أن.. يلمسني.. إياك أن.. تسمحِي له يا  
سيلين.....

خفت صوتها في آخر كلمة حتى اختفى تماماً فعلمت سيلين أنها قد خضعت  
لسلطان النوم و الإرهاق فعلاً..

فتنهدت بقوة متطلعة بها بأسى.. ثم لم تلبث أن وقفت بهدوء لتتنحي عليها قليلاً  
إلى أن طبعت قبلة طويلة فوق جبينها.. و همست تربت على وجنتها الشاحبة  
بحزم هادئ ؛

\_ لن أسمح له.. و لن أسمح لأيِّ مخلوق بأن يمسك بسوء بعد الآن.. كوني  
واثقة !

## "الرقم السادس عشر؛ مواجهة"

لن أسمح له.. و لن أسمح لأيّ أحد بأن يمسك بسوءٍ بعد الآن..كوني واثقة!  
عادت لتجلس فوق الكرسي بجانب السرير.. نفس الكرسي الذي كان يجلس  
عليه جاد قبل ساعات..

ظلت صامتة تنظر لسارة بشرود لدقائق طويلة..مربته على ظاهر كفها برفق  
و أحيانًا على جبهتها..قبل أن تقف فجأة متنهدة بقوة لتتوجه بخطواتٍ بطيئة  
نحو النافذة..

عقدت ذراعيها و هي تقف أمامها و شردت عيناها مجددًا بفراغ و هي  
تراقب حركة الشارع الهادئة في هذا الصباح الباكر..

إلا أنها بعد أقل من دقيقة..انتفضت على صوت رنة هاتفها المفاجئة فأخرجته  
بسرعة من جيب بنطالها الجينز لتتفقد..و كانت رسالة كما العادة..

**" و أدركت أن لقائك أمل و حياة..و أن غيابك موت على قيد الحياة ! "**

هذه المرة لم تتجاهل سيلين الرسالة..بل زمت شفيتها قليلاً شاعرة بالضيق  
المتزج بشعور غريب ملأ قلبها فضولاً..ثم بدون تفكير طلبت الرقم و  
وضعت الهاتف فوق أذنها منتظرة الرد بملامح مترقبة شريرة..

لكن الرنين طال..و طال..و لم يأتها أيُّ رد فعادت لتكرّر المحاولة بنفس  
الإلحاح..لكن نفس النتيجة تلقتها من الجهة الأخرى..

فزفرت بقوة و هي تنزل الهاتف مدققة النظر بذلك الرقم بتحفز و تردّد..

شعرت برغبة قوية في أن تقوم بحظر هذا الرقم الآن و حالاً..و همّت أناملها  
بالفعل في تحقيق رغبتها..إلا أن فضولها الأثير الأحمق جعلها تتراجع في  
آخر لحظة..

فضول أم تعلق لا تدري !

لكنها بأعماقها شعرت برهبة غريبة..من أن تكون قد تعودت بالفعل على هذه الرسائل التي لم يعد يمر يوم واحد دون أن تصلها واحدة جديدة !

هزت رأسها متنهدة للمرة الثانية بيأس و هي تعيد الهاتف إلى مكانه..قبل أن تلتفت بسرعة حينما سمعت صوت انفتاح الباب فجأة..

و قد كان هناك شاب يبدو في منتصف الثلاثينات يرتدي المنزر الطبي الأبيض و يحمل بين يديه ملفّ أورق ما لبث يدقق فيه النظر باهتمام..

رفع رأسه نحوها فجأة فانعقد حاجباه بعض الشيء..ثم قال بهدوء و هو يرمق سارة بنظرة خاطفة ذات مغزى ؛

\_\_إِذَا...الدكتورة سارة فؤاد الغالي..أليس كذلك؟!!

قالت سيلين عاقدة حاجبيها بشدة شاعرة بالدهشة ؛

\_\_عَفْوًا..هل تعرف أختي من قبل؟!!

نقل الطبيب الأنيق عينيه من خلف نظارته الطبية بين سارة النائمة بسكون و سيلين..قبل أن يقول بنفس النبرة العملية الهادئة ؛

\_\_لا أظن أن أيّ دكتور في المدينة لم يسمع عنها..

الآن ازداد انعقاد حاجبيها و ظهر بعض التحفز في عينيها فقال الدكتور يسترسل مبتسمًا ؛

\_\_كفاءتها في العمل تتكلم عنها !

ظلت سيلين صامتة تنظر له بغباء لوهلة سريعة..ثم هزت رأسها بتفهم بدون أن يتحرّر حاجباها من انعقادهما..إلى أن أرفد الطبيب مكملًا باهتمام ؛

\_\_حسنًا آنستي..بما أنكِ أختها فوجب أن أخبركِ أننا وجدنا شيئًا ما ربما يبدو غير طبيعيّ في دمها...

نظرت له سيلين بصعوبة في الفهم أو الإستيعاب للحظة.. ثم قالت بتوتر أقرب  
منه إلى القلق ؛

\_ لا.. لا أفهم !

فهز الطبيب رأسه و هو يقول بجدية ؛

\_ أتمنى حقًا أن لا يكون الذي في بالي صحيحًا.. لكن سأسألك.. هل كانت  
تشعر بأيّ أعراض جانبية غريبة في الفترة السابقة.. كالغثيان و الدوار و  
ارتفاع الحرارة بشكل مفاجئ.. و ما إلى ذلك ؟!

نظرت سيلين بقلق إلى سارة.. قبل أن تهمس بغير تركيز ؛

\_ ل.. لا.. لا أظن.. لكن لماذا ؟! هل هي بخير ؟!!!

قال الطبيب محتفظًا بهدوءه و جديته ؛

\_ ربما عليها أن تقوم بفحص دم بعد أن تصبح أفضل إن شاء الله..

لكن نبرته رغم هدوءها.. فاقتت من قلق سيلين التي اتسعت عيناها قليلاً و  
هي تسأل فورًا ؛

\_ لماذا ؟! لماذا عليها أن تقوم بفحص دم ؟!

تنهد الطبيب قائلاً بحزم رقيق ؛

\_ أنا لا أستطيع أن أخبرك لماذا الآن.. و ليس هدفي أن أخيفك عليها.. لكن هذا  
الفحص ضروري و يجب أن تقوم به.. بعدها بإذن الله سيتوضح كل  
شيء.. الحمد لله على سلامتها...

و خرج دون ان يزيد كلمة !

بينما تسمرت سيلين مكانها تنظر لسارة بتوجسٍ خائف.. قبل أن تقترب منها  
ببطءٍ إلى أن أمسكت بيدها.. و تساءل عقلها بغير ارتياح.. هل ما قالتها للطبيب  
صحيح ؟!.. أم أن سارة حقًا كانت تعاني من تلك الأعراض التي ذكرها !!

هزت رأسها بسرعة عازمة على طرد كل تلك الأفكار الدخيلة المزعجة من عقلها.. ثم لم تلبث أن تمسكت بيدها بقوة أكبر.. و همست بنبرة متشنجة خافتة ؛

\_ هراء.. كله هراء.. أنت بخير.. كوني بخير فقط !!!

و أمام الباب..

كان جاد يقف في مقابل فؤاد.. ينظر جانبًا بملامح مظلمة قاتمة.. بينما فؤاد في مقابله يراقبه بعينين قاسيتين منذ لحظات طالت..

و مع كل لحظة تمر يشعر بغضبه الداخلي منه يتأجج كالنار.. لكنه كان يرغم نفسه بصبر يحسد عليه على التسلح بالهدوء..

إلا أنه عجز أخيرًا.. فاقترب منه فجأة ليقبض على ياقة قميصه الأبيض الملطخ بدماء ابنته.. و قال بوعيد من بين أسنانه ؛

\_ سأنتظر فقط إلى أن تصبح سارة بخير.. و بعدها إذا أخبرتني بأنك رفعت يديك عليها أو أذيتها و لو بأيّ طريقة كانت فصدقني لن أرحمك أبدًا..

لم يتزحزح جاد من مكانه و لم تتغير ملامحه الباردة المظلمة و هو يحرق في عينيه بثبات.. فقد رفع يديه بهدوء إلى أن قبض بهما على معصمي خاله يحرر نفسه منه بنفس الهدوء الذي كان ليكون مثاليًا فقط لو لم يكن زائفًا..

و قال ببرود ينذر بالشر رغم هدوء نبرته المستفز ؛

\_ حتى هذه اللحظة أنا لا أزال هادئًا.. فلا تجعلني أفقد أعصابي.. لأنني إن فقدتها حتمًا.. فسيكون الشخص الوحيد الذي سيدفع الثمن هنا هو أنت.. يا..... خالي !

قال آخر كلمة بسخرية مقيبة قاسية.. فتسمر فؤاد للحظة يزم فمه ناظرًا له نظرة حملت غضبًا داخليًا غير مطوعًا.. لكنه لم يلبث أن هز رأسه باستهانة و هو يعود ليستند إلى الجدار خلفه ؛

\_ غبي !

و كانت هذه الكلمة من جعلت جاد يستقيم فجأة هائفاً بنبرة تأهبت على نحو مفاجئ ؛

\_ الغبي من يترك ابنته تذهب مع عدوه..

انتفض رأس فؤاد بسرعة ناظرًا له بغضب تحرّر من محجره للتو.. قبل أن يقول ببطءٍ حذر ؛

\_ أيها النذل !! هل تجرأت و آذيت ابنتي في غيابي ؟!!!

اتسعت ابتسامة جاد المُستفزة أمام عينيه و هو يعود ليسند ظهره إلى الجدار وراءه واضعًا يديه في جيبي بنطاله بكل هدوء مفتعل..

و أردف بنفس الإبتسامة المُستفزة الباردة ؛

\_ كانت.. كانت ابنتك يا خالي.. الآن هي زوجتي.. ما أفعله بها و لا أفعله من شأنني أنا فقط !

صمت قليلاً قبل أن يضيف بنفس النبرة ؛

\_ لكن عموماً كن مطمئناً.. فأنا أجد الاهتمام بكل ما يخصني جيداً.. أما بقية انتقامي الذي لم يكتمل بعد فسيكون من نصيبك أنت فقط..

نظر له فؤاد مضيقاً عينيه و كأنه يحرق في مجنون.. ثم هتف باستنكار دون أن يستطيع منع نفسه ؛

\_ أيُّ انتقام أيها المعنوه !! و لأيِّ سبب ؟!!!

تجمدت ملامح جاد و أظلمت عيناه بدون رد فعل.. فاستأنف فؤاد في نفس اللحظة و بنفس الغضب ؛

\_ الحقيقة أنني أنا من يجب أن أنتقم منك على كل ما ارتكبته حتى الآن.. و لولا أنك من دمي لكنت قد قتلتك منذ زمن بعيد بدون أن يرف لي



جفن.. لكنني لا أزال أذكر نفسي بأنك تنتمي لي رغم كل شيء و هذا ما يجعلني أقف صامدًا أمامك كل مرة دون أن أؤذيك.. لكن.....

\_لست أنتمي لك أيها النذل..

قاطعته جاد بغضب و حقد يستعر.. قبل أن يهتف مجددًا بصوتٍ أقل ارتفاعًا لكنه أشد حقدًا ؛

\_أنا أنتمي لشخص واحد فقط.. و هو أمي.. هل نسيت أمي؟!.. أمي التي نبذتها من كل ثروتك و تبرأت منها بكل برودة دم.. لماذا ؟ لأجل مجرد خطأ واحد.. خطأ واحد ارتكبته و تعاقبت عليه بأسوء طريقة..

ضاقت عينا فؤاد أكثر ناظرًا له باستنكار أكبر.. قبل أن يقول بحدة لكن بصوتٍ خافت عندما مرت إحدى الممرضات من جانبهما ناظرة بينهما بتوجس ؛

\_أنا لم أنبذها و لم أتبرأ منها.. هي اختارت طريقها بنفسها.. ماذا كنت تنتظر مني أن أفعل؟! أن أكبلها و أقفل عليها في غرفتها كفتاة مراهقة لا تملك من أمر نفسها شيئًا !!

تحفزت ملامح جاد و هو يهم بالهتاف به بالمزيد من الإتهامات.. لكن فؤاد قاطعه مجددًا و هو يقترب تلك المسافة بينهما بلمح البصر و يقبض على ياقة قميصه يهزه بقوة ؛

\_والدتك كانت تحب ذلك السافل المُسمى بوالدك.. كانت تحبه بغباء.. نعم.. لقد أخطأت.. أخطأت حينما اختارته زوجًا لها رغم معارضي.. و أنا تقبلتهما سويًا في المرة الأولى.. لكن ذلك المعتوه و كما توقعت خانها بعد أشهر قليلة من زواجهما.. هذا غير المعاملة السيئة و الإهانة التي كانت تتحملها أمك بصبر و تمنعني مرارًا من التدخل.. إلى أن اكتشفت بنفسها بأنه يخونها.. حينها فقط هرعت إلي.. و هل تعلم ماذا فعلت أنا؟!!

كان جاد يستمع له بعجز عن الإستيعاب..و لم يشعر بتلك الدموع التي كانت قد بدأت تتجمع بداخل حدقتيه بقسوة بدون أن تنزل..قبل أن يدفعه فؤاد ليكمل بنبرة ساخرة لكنها تحمل من القهر كله ؛

\_استقبلتها مجددًا بكل رحابة صدر..بل استقبلتكما سويًا.. فقد كانت حامل بك حينها..كنت أنا أول من حملك بين ذراعي عندما ولدت..أنا من اهتممت بك..أنا من احتويتك في لحظات مرضك و ضعفك..كنت لك السند و الأب..و كنت لها نعم الأخ و الملاذ..حتى بعد أن أتت سارة و توقعت أمك أن أنشغل عنكما أنا لم أفعل..كانت لك نفس حقوق و مكانة سارة بالتفصيل..و أنت سليلين بعدها..كنا عائلة سعيدة بالفعل حتى جاء ذلك اليوم الذي عاد فيه المعتوه والدك..عاد ليستعيدك كما قال !!...لقد كنت مخطئًا حينما عقدت آمالًا على أمك و راهنت نفسي أنها تغيرت..أصبحت أكثر نضجًا و تعقلًا و لن تقبل بذل العيش معه مجددًا..لهذا رفضته ببساطة..لكن أمك ماذا فعلت؟! و قفت في وجهي و عارضت كلامي للمرة الثانية لأجل نفس الشخص..وقفت معه ضدي..و قرّرت في لحظة أنها لا تريد أن تعيش بعد الآن بدون سند حقيقي..و كانت تقصد والدك بالسند الحقيقي طبعًا..حينها حاولت جاهدًا و بكل قوتي أن أمنعها بأيّ طريقة..تمامًا مثلما حاولت أن أمنع سارة من الذهاب معك..لكن كلاهما لم تستمعا! و أنا لم أملك من أمرهما شيئًا..سارة كانت ابنتي و أنا تركتها على مضضٍ لأنها أصرت و أنا وجدت نفسي عاجزًا رغم أنها ابنتي..أما أمك فكانت أختي و كان خطأها كبيرًا..لهذا وجدت نفسي أتسلح بأخر ما أملكُ لعلي أننيها عن قرارها.. فخيرتها بيني و بينه..و هل تعلم من اختارت؟!!

كانت قد دمعت عيناه بالفعل و هو يتكلم..مما جعل الصدمة المريعة في عيني جاد تمتزج بشيءٍ من الدهشة و الذهول..قبل أن يكمل فؤاد بابتسامة ساخرة مريرة إلى أقصى حد ؛

\_اختارته هو..و رحلت معه أمام عيناى بكل بساطة.. خرجت من منزلي مرفوعة الذقن بعد أن رمقتني بنظرة عاتبة مترفعة و كأنها لم تعرفني

يومًا..و كأنني الحاجز الوحيد و الشرير الذي يقف حائلًا بينهما في هذه  
القصة !

علا صوته فجأة و هو يهتف بعد أن فقد أعصابه..و لحسن حظه فقد كان  
الممر فارغًا تمامًا إلا منهما فلم ينتبه له أحد..

\_ أخبرني الآن..ماذا كان عليّ أن أفعل أكثر؟! لو كنت مكاني ماذا كنت  
ستفعل؟! الآن من يدين للآخر باعتذار؟! أنا أم أنت الذي كسرت قلب  
ابنتي و دمّرتها بكل تطرف و قسوة؟!!

أغمض جاد عينيه النازفتين دموعًا بقوة و هو يسقط ليجلس فوق الكرسي  
وراءه بقوة خائرة تمامًا..قبل أن يفتحها ناظرًا للأرض بلامح باهتة فارغة  
غير مفسّرة من شدة الألم الذي حفر فيها..

هل هكذا يبدو الأمر في نهاية المطاف؟! الآن أصبح هو و أمه المذنبان  
الوحيدان في هذه العائلة?!?!!

سمع صوت خاله يأتيه خافتًا متألّمًا..مهزومًا بعد عدة لحظات..و كأنه لم  
يكتفي من طعنه بكل تلك الحقائق المؤذية فقرّر أن يزيد ؛

\_ و رغم كل شيء فأنّا حتى هذا اليوم لا أزال أحب أمك..و أكثر ما يقهرني  
أنها تعذبت بذنبها و فضلت أن تعيش هذا العذاب على أن تلجأ لي مجددًا..لو  
أنها لجأت لي صدقني لما كنت تركتها..كنت سأحتويها بنفس القوة كما فعلت  
في المرة الأولى..لكنها لم تلجأ لي..و أنا فقدت كل أخبارها بعد أن رحلت..و  
أنت لم تحاول أن تستفسر مني يومًا أو تسألني..مع أنني حاولت أكثر من مرة  
أن أضمك إلى عائلتي لكنك كنت ترى كل ذلك على أنه إهانة و صدقة أريد  
بها أن أذك..و قد رأيت بنفسك عندما عدت آخر مرة كيف استقبلتك!..أنا  
كنت أنتظر بالفعل ذلك اليوم الذي ستتعل فيه و تعتذر..لأنك من دمي و  
لأنني...لم أكن أريدك حينها زوجًا لابنتي..أردتك أن تستحقها بجدارة..لا أن  
يتكرّر نفس سيناريو الماضي مع ابنتي و تعاني معك ما عانت أمك على يد

أبيك.. لكنه تكرر مع الأسف و بأسوء طريقة.. أنا أصبت بالفعل في أختي و  
ابنتي.. و كان السبب في كل مرة أنت و والدك..... !!

أحاط جاد رأسه بيديه الإثنتين شاعرًا بالإستنزاف بعد كل ما سمعه.. و لم  
يشعر بنفسه و هو يهتف فجأة بصوتٍ بدا لأول مرة ضعيفًا بهذا  
الشكل.. ضعيفًا جدًا !

\_ كفى.. كفى.. توقف.. توقف أرجوك.. توقف.. توقف.....

نظر فؤاد للممرضة التي توقفت بجانبه للتو لتسأله ما الخطب.. فقال بصوت  
حاول أن يكون هادئًا ؛

\_ لا بأس.. نحن نتكلم فحسب..

نقلت الممرضة نظرها بينهما بقلق.. قبل أن تتجاوزته لتغادر بصمت.. و لم يكد  
فؤاد يستدير برأسه إلى جاد حتى كان قد وجده هذا الأخير و قد وقف فعلاً..  
ثم التفت بدون أن ينظر له ليمشي بخطواتٍ ثقيلة مستنزفة كروحه في ذلك  
الممر الطويل.. إلى أن غادر المشفى بكامله و هو يشعر بنفسه يكاد أن يختنق  
حرفيًا..

غادر باستسلام و كأنه يغادر المكان الذي فقد فيه أمه للمرة الثانية.. و الذي  
ترقد فيه زوجته.. هزيلة.. مصابة جسدًا و روحًا بسببه..

---

كانت قد بدأت تتلملم قليلاً في نومها.. فاستدارت سيلين التي كانت تقف أمام  
النافذة بسرعة على صوتٍ تأوه خافت مكتوم.. لتقترب منها..

و انتظرتها لبضعة لحظاتٍ أخرى إلى أن فتحت سارة عينيها لتقابل وجهها  
الشبه الشاحب.. تقف أمامها ناظرة لها بقلق و توجس جعل سارة تعقد حاجبيها  
قبل أن تستقيم قليلاً..

همست بخفوت قلق لسيلين الصامته تمامًا ؛

\_\_ ما الخطب؟! هل أنت بخير؟!!

اقتربت سيلين منها في نفس اللحظة لتجلس بجانبها على طرف السرير سائلة  
بحذر لم يخلو من قلقها الغريب ؛

\_\_ هل كنتِ تشعرين بأيِّ أعراض جانبية غريبة في الفترة الماضية؟!!

ارتفع حاجبا سارة باستغراب و هي تقول ؛

\_\_ ماذا؟! لماذا هذا السؤال الآن بالذات؟!!

همست سيلين بإصرار ؛

\_\_ إنه فقط سؤال.. أجيبني !!

تردّدت سارة قليلاً.. ثم قالت مفكرة بحيرة ؛

\_\_ حسناً.. كانت تحدث معي أحياناً بعض الأشياء الغريبة.. لكنها بسبب الحمل  
بالتأكيد.. هذا واضح !

صمتت فجأة فهمت سيلين بسؤالها مجدداً لكن حاجبها الذي ارتفع قليلاً بشكِّ  
قاطعها.. ثم قالت تسألها ببطء ؛

\_\_ لكن لحظة.. أنتِ كيف عرفتِ بأمر الحمل؟!.. و من أخبركِ عن الحادث  
لتأتي إلى هنا بهذه السرعة؟!!

ظلت سيلين صامته قليلاً بتردد.. قبل أن تهمس بخفوت ؛

\_\_ حسناً.. أنا عرفت عن الحادث بنفسي لأنني سمعت كل شيءٍ دار بينكما عبر  
الهاتف.. و... و الحمل.. أنا.. وجدت جهاز الكشف في غرفتكِ بعد يومين أتوقع  
من ذهابكِ.. و عرفت...

ارتفع حاجب سارة أكثر و هي تقول بنبرة التحقيق ؛

\_\_ جهاز الكشف.. غرفتي.. بعد يومين !! ماذا كنتِ تفعلين في غرفتي بعد

يومين من رحيلي؟! ها !!

عبست سيلين فجأة و هي ترفع يدها لتضرب ذراع سارة هاتفة بتذمر غير مقصود ؛

\_ ماذا سأفعل سوى النوم فوق سريرك و طلب السماح من غرفتك بدلاً عنك !!

عبست سارة هي الأخرى و هي تربت على ذراعها متأوهة بخفوت ؛

\_ على أساس أنكِ تكثرتين لأمرى مثلاً !

ربتت سيلين على ذراعها كمحاولة استرضاء لطيفة و هي تهمس ؛

\_ أعتذر...

ثم نظرت لعينيها و قالت بحزن جاد ؛

\_ لكنني لا أمزح.. أنا بالفعل أصبحت أنام في غرفتك منذ أول يوم رحلت فيه.. كنت أضم و سادتك كل يوم و أستعمل حاسوبك.. حتى أن روميوا تعود عليّ أكثر منك من كثرة الأحاديث التي خضناها سوياً..

بهتت ملامح سارة فجأة عند سماع الإسم و كأنه أصبح يرتبط بذكرى أثيرة حزينة إليها.. ثم همست ببطء و عيناها تشردان قليلاً في اللا شيء ؛

\_ روميوا و..... و جولييت !

او ماتت سيلين بحذر.. قبل أن تقول فجأة بنبرة قلقة مترددة ؛

\_ لم تخبريني بعد.. كيف كان جاد يعاملك؟! هل... تسبب لك في الأذى يوماً و أنتِ تعيشين معه؟! !!

شردت سارة قليلاً في ذلك السؤال.. و وجدت عقلها يسترد تلقائياً كل تلك الذكريات القصيرة و الهادئة التي عاشتها مع جاد في ذلك المنزل.. ثم همست بنفس الشroud الغريب ؛

\_ الغريب أنه كان هادئًا و لطيفًا معي على عكس ما توقعت.. و ما توعد لي به قبل أن أذهب معه.. هو لم يؤذني أبدًا.. كان يهتم بي و يقلق علي و.....

صمتت و هي تطرق برأسها فجأة رافعة كفها إلى أن استقر فوق بطنها في حركة حزينة فهمت سيلين مغزاها تلقائيًا.. كانت نظرتها تائهة بشكل مؤلم.. قبل أن تهمس بصوتٍ ضعيف فجأة ؛

\_ لم أكن أريد أن أخسره يا سيلين.. كنت أريده أن يأتي.. كنت أريده أن يأتي بشدة !

كان صوتها شبه مختنقًا.. و لاحظت سيلين أن الدموع بدأت تتدافع في عينيها فعلاً حينما أطرقت برأسها مطبقة جفنيها بشدة.. فاقتربت بلهفة لتحاطب كتفيها متأوهة و هي تضمها إلى صدرها بقوة..

ثم همست بحرارة بينما أناملها تمشط خصلات شعرها برفق ؛

\_ لا بأس.. لا بأس حبيبي.. قدر الله و ما شاء فعل.. ربما كان في رحيله خير له..

نظرت إلى الباب الذي اندفع فجأة برفق ليطل منه وجه فؤاد.. فابتعدت سارة عنها قليلاً بدون أن ترفع رأسها.. شعور من الخزي يجتاحها كلما تذكرت ذلك الموقف بينهما ذلك اليوم..

و أرادت أن تبرّر له حقيقة حملها.. إلا أن شعورًا آخر من الضيق و الغضب منه نسف رغبته.. شعور ارتبط بتلك الحقيقة.. تلك الرسالة التي لم تعرف عنها إلا من جاد قبل فترة ليست بالطويلة..

و ما إن شعرت بالخطوات الهادئة تقترب منها أكثر.. أشاحت بوجهها بعيدًا.. إلى أن وصل إليها فؤاد و جلس بجانبها.. و سمعت الصوت الحنون يقول مداعبًا رغم الحزن الذي يلفه ؛

\_ يبدو بأن أحدهم غاضب مني بشدة !

لم تستطع سارة أن تصمد طويلاً أمام نبرته الحانية الدافئة و صوته الحبيب الذي اشتاقته بشدة..فظلت صامتة لعدة ثوان مشيخة بوجهها مطرقة برأسها بصمتٍ..بينما سيلين تراقب الوضع بشبه ابتسامة حانية..

ثم في النهاية..وجدت نفسها تميل برأسها قليلاً إلى أن أراحت وجنتها فوق صدره الدافئ و لفت ذراعيها حول جذعه..

حركتها تلك جعلت ابتسامة فؤاد التي توّطرها خيوط الحزن تتخلص من حزنها نسبياً..و لم يتردد للحظة واحدة من أن يرفع ذراعيه ليحتويها بين أحضانه بقوة ملامساً جبين ابنته المرهق بشفتيه..

حينها تنهدت سيلين التي كانت لا تزال تجلس في الجانب الآخر من السرير..ثم همت بالوقوف إلا أنها تراجعبت بتأثير من سارة التي تمسكت بكفها فجأة..

نظرت لها سيلين بقلق..فهمست سارة بنبرة مسّت قلبيهما سوياً ؛

\_ لا تتركاني بعد الآن !

---

ساعة..ربما ساعتان..بل أكثر من ثلاث ساعات و نصف ظل يدور بالسيارة في الطرقات..يقود هائماً بغير وجهة.. بغير هدى..كانت عيناه تدرفان الدموع الصامتة بقسوة.. بينما أنامله مشتدة بعنفٍ حول المقود..و الأفكار و الذكريات تعصف بداخل رأسه بلا رحمة..

و حينما شعر بأنه عاجز بالفعل عن التحمل أكثر..أو القيادة أكثر دون أن يتعرض لحادث ينسف كل آلامه..توقف بالسيارة مندفعاً في منطقة خالية تماماً..

ثم فتح الباب بعنفٍ لينزل و يغلقه بنفس العنف..و حاول.. حاول بكل ما يملكه من طاقة الصمود..لكن كلمات خاله التي سمعها منه قبل ساعات كانت كالنار لا تزال مندلعة بداخله..



تنهش و تنهش كل صمود يمتلكه بهيمنة و شر.. لا تنفك تتردد إلى أن وجد  
نفسه ينحني إلى الأمام مستندًا بكفيه إلى ركبتيه.. أنفاسه تخرج على شكل  
زفرات متتالية بصوتٍ مرتفع شديد الخشونة..

فارتفعت يده تتلمس عنقه شاعرًا بالاختناق.. قبل أن يلقي بجسده الخائر  
أرضًا.. مستندًا بظهره إلى سيارته مغمضًا عينيه على أنفاسه المتسارعة  
اللاهثة بشدة و ممددًا ساقيه أمامه بفشل..

" ماذا كان عليّ أن أفعل؟! ماذا كنت ستفعل لو كنت في مكاني؟! الآن من  
يدين للآخر باعتذار؟! أنا أم أنت الذي كسرت قلب ابنتي و دمرتها بكل  
تطرف و قسوة؟! "

أطبق عينيه بقوة أكبر و كأن تلك الحركة وحدها كفيلة بطرد الأفكار و  
الكلمات المؤلمة من عقله.. لكن عبثًا!

كان التعب قد نال منه فعلاً.. فوجد نفسه يتنهد تنهيدة مختنقة محملة بكل ألمه  
و عذابه و هو يرفع رأسه لينظر للسماء الغائمة بشكلٍ كئيب في هذا الوقت  
من المساء.. حيث كانت قد غربت الشمس منذ بضع دقائق..

مظلمة كروحه.. و قلبه.. و حياته..

و كأن كل غيمة هناك هي انعكاس لعينيه الفارغتين المنذرتين بسقوط مطر  
غزير!

لم يدر كم ظل جالسًا هكذا يراقب السماء بشروء.. لكنه تنحنح أخيرًا بصوتٍ  
مختنق و هو يرمق الظلام القاتم الذي كان قد إنتشر حوله في المكان الفارغ  
أكثر.. قبل أن يعيد أنظاره إلى السماء حيث بزغت ذكرى جديدة في ذهنه..

" أظن بأنك ستكونين أمًا جميلة جدًا! "

" ألا تفكران أنت و جاد في الإنجاب بعد؟ "

لقد... رأها ليلتها!

لا يزال يتذكر تلك الليلة بتفاصيلها.. حينما توقف أمامها في منتصف منزلها.. يراها بفستانها الأسود.. ذلك الفستان الذي عاش في أحلامه و استكان لليال بعدها يؤرق نومه..

لم يكن مجرد فستان.. لقد كان قطعة فنية صممت خصيصًا لأجلها..

لقد كان مجرد فستان.. لكنها حولته لقطعة فنية بحسنها !

هل يمكن للإنسان أن يقع في الحب مرتين ؟ ثلاث مرات ؟ ألف مرة كل يوم !!

لقد شعر لحظتها فعلاً و هو يتسمر أمامها على بعد بضع خطوات.. ينظر في عينيها اللامعتين بالفطرة.. بأنه وقع في حبها للمرة الألف !!

بدت ساحرة الجمال.. و هو شعر بينما يتأمل تفاصيلها الدقيقة عن قرب..

رموشها الطويلة و هي تسدلها عنه بضيق.. شعرها المنسدل بنعومة فائقة.. خصلات منه محتجرة خلف أذنها و كأنها حركة عفوية قامت بها بينما تشتمه بداخل غرفتها على هذا القرار المفاجئ..

و عيناها... حسناً لا داعي للتعليق أكثر !

بأن العالم من حولها قد توقف عن الحركة تمامًا يشاركه افتتانه بها !

كانت زوجته.. التي لا يملك من أمرها إلا تأملها !

و بعد أن وصلا إلى منزل زميله حيث كانت تقام تلك الحفلة التي ما كان ليذهب إليها لولا رغبة خالصة تملكته داخلياً في إخراجها من تلك القوقعة قليلاً لَمَا رأى ذبولها المتزايد بمرور الوقت..

كان أسوء موقف مر به.. هو ذلك الذي اضطر به أن يفارقها.. فابتعد برفقة زملائه يتبادل معهم الأحاديث حول العمل الذي لم يذهب إليه منذ فترة جيدة..

أو بالأحرى هم فقط من كانوا يتحدثون.. فقد ظلت أنظاره طوال الوقت مركزة عليها..

لم يستطع للحظة واحدة أن ينشغل عنها بأي شيء آخر..

كان يراها بينما تقف مع تلك السيدة هناك.. تتبادل معها بعض الأحاديث هي الأخرى..

لكن ليس هذا ما كان يجعل قلبه يختلج في كل نظرة يمنحها لها.. بل تلك الابتسامة التي يراها لأول مرة ليلتها بعد وقتٍ طويل.. ابتسامة حقيقية رغم خوفاتها وهدوءها التام..

ابتسامة سرقت عينيه و صوابه و كاد أن يهب إليها راضياً فقط ليتوسلها أن تحتفظ بها لأجله للحظاتٍ أخرى..

كان ليفعل حتماً لولا بقية من تعقله !

لكنه الآن فقط.. اكتفى بالوقوف مكانه و مراقبتها بنهم.. حينما رفعت يدها بهدوء لتبعد خصلة ناعمة إلى خلف أذنها.. حينما لمست بأناملها الرفيعة الفنانة طرف جبهتها و كأنها تمسح عرقاً وهمياً هناك..

لقد كانت تلك إحدى حركاتها الأثيرة بحكم العادة.. أن تلمس جبهتها في منتصف إصغاءها لحديث ما.. و التي يحفظها عن ظهر قلب كما يحفظ كل تفاصيلها الدقيقة..

قبل أن تفتح فمها لتهمس بشيء ما كرد على شيء قالته لها الفتاة اللطيفة أمامها ثم... التفتت تسير برفقتها باتجاه أحد الأروقة..

حينها.. لم يشعر بنفسه و هو يتحرك من مكانه و كأنه سيلحق بها بدون وعي منه.. لكن نداء من صديقه جعله يتراجع..

نظر له بتركيز مفقود بشكل تام.. قبل أن يرمق المكان حيث اختفت بنظرة أخرى سريعة هذه المرة.. ثم تنهد و هو يستمع لزميله حينما سأله باهتمام ؛

متى تنوي العودة إلى العمل إذن ؟!

تنهيدة أخرى حرّرها و هو يلتزم الصمت بغير تخطيط منه للحظات.. قبل أن يرسم شبح ابتسامة متحفظة قليلاً و هو يفتح فمه مجدداً ليرد بثبات..  
و حاول بشدة أن ينسجم معهم في الحديث مجدداً لكنه عجز تماماً.. فقال  
فجأة ؛

\_ في أيّ جهة يقبع الحمام ؟

فقط.. هكذا بدون مقدمات.. فتسمر صديقه ينظر له للحظة بغباء.. ثم لم يلبث أن أطل برأسه قليلاً يدلّه على الطريق كما طلب جاد و لحسن حظه فقد كان الرواق المؤدي للحمام هو نفسه الذي اختفت فيه زوجته..

سار بعدها بخطواتٍ ثابتة يحاول أن يترصد أيّ صوت يدلّه عليها في ذلك الرواق الطويل.. إلى أن توقف فجأة أمام غرفة معينة كان بابها موارباً قليلاً.. و هناك لمحها !

كانت تجلس في طرف السرير.. تحمل بين ذراعيها طفلة صغيرة.. غالباً.. الطفلة التي أقيمت على شرفها هذه المناسبة.. لكنه لم يهتم بالطفلة و لا بهويتها بقدر ما اهتم بتلك التعابير التي كانت تزين ملامحها..

كانت هناك ابتسامة بالفعل مرتسمة فوق ملامحها.. ابتسامة أجمل من السابقة.. ابتسامة اختلج لها قلبه و هو يتأملها من مكانه بأنفاس فاقدة لرتابتها..

كانت ابتسامة حنونة جداً.. ابتسامة لم ير لها مثيلاً من قبل.. و قد اكتسحه شعور متطفل من... غير غير معقولة !

كيف تكون تلك الابتسامة الجميلة من نصيب تلك الطفلة الـ... مزعجة؟!!

ظل يراقبها للحظاتٍ بغير ملل.. لا يشبع أبداً من مراقبتها و قد كانت هذه هوايته الأسمى منذ وقتٍ طويل.. إلى أن سمع ذلك الصوت الذي انضمت إليها صاحبتة تخاطبها بلطف شديد..

فانعقد حاجباه قليلاً بضيق و هو يتمنى لو امتلك عصا سحرية تخوله استعادة تلك اللحظة و إسكات كل أصوات العالم عن التدخل بينهما..

بين عينيه.. و عينيها !

قبل أن يقرّر العودة إلى الحفلة باستسلام.. لكنه ما كاد أن يبتعد خطوة واحدة.. حتى كان يعود ليتسمر مكانه حينما تخلت مسامعه تلك الجملة بصوت زوجة مضيف هذه الحفلة..

" أظن بأنك ستكونين أمًا جميلة جدًا ! "

شحبت ملامحه تمامًا و هو يبتلع ريقه ببطءٍ معيّدًا أنظاره إليها.. إلى زوجته.. تلك التي شعر الآن و هو ينظر لها بخفقات قلب تتنافر بشعور غريب.. بأنه ينظر إلى انعكاس أشد غرابه من شعوره له !

فقد شحبت ملامحها فجأة.. و من مكانه استطاع أن يقسم بتلك الغصة التي وقفت في حلقها و منعته من الرد.. قبل أن تزيد تلك المرأة الوضع سوءًا بسؤال جديد وجيه..

" ألا تفكران أنت و جاد في الإنجاب بعد ؟ "

تبًا.. ما دخلها تلك الإنسانية الفضولية بهذا ؟!

استطاع حينها أن يرى انعكاس كل حياتهما على ملامحها.. كيف بهتت النظرة في عينيها أكثر.. كيف تراجعت قليلاً برأسها و كأنها لم تتوقع سماع هذا السؤال إطلاقًا..

و كيف ظلت صامته للحظاتٍ قبل أن تفتح فمها لـ.. تغيير الموضوع !

تهرب من سيرته و من ذلك السؤال الأليم..

لقد تجمد ليلتها مكانه يراقبها بقلق و هو يتساءل عن مدى تأثرها بتلك الأسئلة.. بهذا المكان الذي أحضرها إليه.. و قد شعر بإحساس من الذنب يختلجه من المجهول مع فكرة أنه.. بطريقة أو بأخرى..

دمر أحلامها بحياة طبيعية ككل فتاة أخرى !  
بدون أن تخطر في ذهنه إطلاقاً.. فكرة أن تكون تلك المرأة الجميلة هناك..  
تحمل في أحشاءها.. قطعة منه و منها !  
و ليتها خطرت في ذهنه.. ليتها أدركَ هذا قبل فوات الأوان !!  
شهو نفساً مختنقاً و هو يعود من تلك الذكرى التي كان يظنها.. جميلة.. لكنها  
الآن باتت تبدو كنيبة مؤلمة حين استعادة أجزاء منها فقط !  
قبل أن يقرّر الوقوف بإعياء إلى أن فتح سيارته و استقل مقعده منطلقاً  
مجدداً.. لكن هذه المرة بسرعة أقل من مناسبة.. ذلك لأن وجهته هذه المرة لم  
تكن مجهولة !

---

لكن من.. من هو ؟!

قالت سارة بحاجبين منعدين بشدة و هي تنظر لهاتف سيلين بين  
يديها.. فزفرت سيلين التي كانت تقف في مقابلها مستندة إلى الجدار وراءها  
عاقدة ذراعيها و هي ترد بملل ؛  
و من أين سأعرف مثلاً؟! أنا أخبرك منذ ساعة أن رقمًا غريبًا يزعجني !  
فتحت سارة فمها لترد عليها أيضًا بحيرة لكنها توقفت حينما اندفع الباب فجأة  
للمرة الثالثة هذا اليوم و هذه المرة كن جاد من يدخل..  
تلقائياً كانت أناملها تشتد حول الهاتف و كأنها تكابد انفعالاً عصبياً  
بداخلها.. بينما ارتفع أحد حاجبيها بتوجس و هي تنظر لملامحه التي كانت  
تبدو في هذه اللحظة شاحبة ربما أكثر من شحوبها هي !!  
ثم عيناها اللتان كانتا فاغرتان فارغتان محمرتان ربما أكثر من ما كانت عليه  
و هو غاضب ! و حاجباه منحنيان للأسفل كشخص تذوق كل مرار الحياة  
فقرّر الإستسلام !

و لشدة الإنهاك الذي تلقف عينيه و هو يضعهما في عينيها مباشرة..لم يكن قد انتبه لسيلين إلا بعد أن اندفعت لتقف أمامه قائلة باقتضاب حاد ؛

\_سارة لا تريد رؤيتك..أخرج من هنا..هيا..

زفر جاد و هو ينظر جانباً في محاولة لإستدعاء كل قدراته على التجاوز و الصبر..قبل أن يقول بنبرة جامدة لا تقبل نقاش ؛

\_أنا أريد أن أتكلم مع " زوجتي " ..و لن يمنعي أيُّ أحد عنها..حتى أنت..و عموماً أفضل أن لا تتدخلني يا سيلين.. فأنا لا أزال حتى الآن أحترمك و أحبك بنفسِ القدر..و لا أريد لهذا الحب و الإحترام بيننا أن يتلاشى في لحظة...

تحفرت ملامح سيلين و هي تهتم بالرد عليه بغضب تمقت كل احترامه و حُبه الذي ينشده..لكن صوت سارة جاءها من خلفها يقاطعها بهدوء حازم..بدون أن تزيح عينيها عن عيني جاد المضطربتين ؛

\_اتركينا بمفردنا قليلاً يا سيلين..

نظرت لها سيلين برفض تام هاتفة ؛

\_لكن.....

لكن سارة أعادت أمرها بهدوء أقرب إلى الرجاء الآن ؛

\_من فضلك !

اومات سيلين على مضضٍ و هي تزم شفيتها بانفعال..ثم توجهت إلى الباب بخطواتٍ غاضبة..لكنها توقفت قبل أن تخرج معقبة بحدة ؛

\_لكنني لن أتحرزح من أمام الباب إلا بعد أن يخرج هذا...

ثم خرجت و أغلقت الباب خلفها ببعضِ العنف..حينها التفت جاد مجدداً لتلتقي أنظاره بأنظار سارة في حوار صامت..

كانت نظرتها خالية من التعابير..بينما عيناه تحتضنان كل مشاعر الحزن و  
الإرهاق في العالم..

ظل متمسراً مكانه للحظاتٍ طويلةٍ و كأن قدميه قد قررتا الخيانة في تلك  
اللحظة بالذات..قبل أن يقترب بخطواتٍ بطيئةٍ إلى أن جلس على طرف  
السريـر بجانبها..

و رغم أنه كان شبه بعيداً عنها..إلا أن سارة تراجعت في مكانها قليلاً بغير  
ارتياح..ثم همست و هي تنظر له بنبرة خالية من أيّ تعابير إلا الجمود الذي  
تلقف صوتها المتعب ؛

\_هل هو إنتقام آخر أم ربما سلاح جديد أمسكته ضدي و جئت لتهدّدي به  
؟!..أم..أنك جئت.....لتثبت ملكيتك الحصرية لي أمام والدي و أخ.....

صمتت فجأة متسعة العينين حينما إندفع إليها في لحظة واحدة خاطفة  
..ليحاوطها بين ذراعيه بقوة شعرت بها ضعيفة رغم تمسكه العنيف بها..  
فانعقد حاجباها أكثر و ابتلعت ريقها باختناق عاجزة عن تمييز ما يحدث..

هرب نفس ثقيل من بين شفثيها و هي تنقل عينيها حولها عاجزة عن  
الفهم..عاجزة حتى عن دفعه كما يجب أن تفعل..كانت الصدمة فقط متمثلة  
فوق ملامحها..و عيناها متسعتان بينما هي تحاول قدر الإمكان جذب بعض  
التركيز..

و ما إن تمكنت من استجماع نفسها بعض الشيء..فتحت فمها لتهمس بنبرة  
خافتة جداً..ربما لم يسمعها جاد أصلاً !

\_ابتعد !

رفعت يديها الإثنتين في نفس اللحظة لتدفع صدره بضعفٍ لكنه لم يتزحزح  
كالجبل..و الحقيقة أنها لم تكن تدفعه..بل كانت تربت عليه فحسب..فقد كانت  
تبدو غريبة عن هذا العالم..و كأنما فقدت سلطانها على حواسها في لحظة

واحدة !!



ضمها جاد أكثر إليه و بقوة أكبر جعلتها تفقد الأمل من إمكانية ابتعاده.. لكن  
حركته تلك كانت لها الفضل في جعلها تسترجع القليل من استيعابها و  
إدراكها للعالم..

و ما إن همّت بدفعه بقوة حقيقية هذه المرة.. وجدت نفسها تعود لتتجمد متسعة  
العينين بذهول و صدمة و هي تسمع صوت أنفاسه التي كانت تبدو و  
كأنما...-بيكي-!!!

هل ما تسمعه صحيح؟! هل ما تشعر به صحيح؟!!! هل... هل بيكي بالفعل  
!!!

ابتلعت ريقها بصعوبة و اختناق و يداها تسقطان بتخاذل بطيء من فوق  
صدره بدون أن تشعر.. و قد كان بيكي فعلاً.. شعرت بدموعه عندما دفن  
أنفاسه المضطربة في تجويف عنقها..

قبل أن تأتيها همسته التي كانت ربما أضعف من همستها لكنها سمعتها  
بوضوح.. و جعلت من قلبها و كل أطرافها المتشنجة تنتفض كالطائر الذي  
ينتظر التنفيذ بالذبح!

\_سامحيني!!!!

---

## "الرمق الثامن عشر؛ وداع !"

\_سامحيني !!!

تلك الكلمة ترددت في مسامعها طويلاً.. تكرر لعدة مرات رغم أنه لم ينطقها إلا مرة واحدة !! إلا إنها كانت ذات تأثير غريب جعل من ملامحها تفقد كل التعابير ليبقى تعبير واحد... الصدمة !

ما الذي يحدث؟! هي لم تعد قادرة على استيعاب أي شيء ! هل... هل يمكن أن تكون هذه مزحة؟! أم وسيلة جديدة للانتقام !! أم أنه يريد استمالتها بأسلوب الرفق الركيك لتثق به مجددًا كالبلهاء... فيكسر ها !!!

هل هو نادم بالفعل؟! كيف.. و لماذا؟! لماذا الآن و اليوم بالضبط !! أم أن تأثير خبر حملها بطفله و موته في نفس اليوم كان له كل هذا الوقع عليه !! لا تدري تحديداً !!

ما تدركه فقط بأن كلمة وحيدة من سبعة أحرف ينطقها بكل هذا الألم ليست كافية أبدًا لدفعها إلى الصفح.. إلى التنازل حتى بقلبها الذي انتهكه بكل قسوة فيما قبل !

شعرت بأنفاسها تخرج ثقيلة و بصعوبة حينما اشتد ضغط ذراعيه حولها كاتمًا أنفاسها.. رفعت يديها لتمسك بذراعيه المحاوطتين لها و همست بضعف ؛

\_جاد.. جاد أنت تؤلمني..

لثوان ظل مكانه فشعرت أنه لن يستجيب.. أو ربما لم يسمعها أساسًا.. لكنه استجاب أخيرًا.. و شعرت به يخفف من قوة ذراعيه حولها ببطءٍ إلى أن ابتعد عنها تمامًا..

و يبدو أنه استطاع تمالك نفسه بمهارة.. فهي لم ترى على وجهه أي دموع.. إلا من ذلك الألم الذي كان ينبض من ملامحه..

لم ينظر لها.. اكتفى بأن أطرق برأسه بعيدًا عنها و هو يشعر بنفسه غير قادر على مواجهة عينيها بعد.. إلى أن سمعت همسته الخافتة التي خرجت بصوتٍ مختنق ؛

\_ أنا سأمزق تلك الأوراق.....

ظلت سارة جامدة تنظر لرأسه المطرق بصمتٍ تام.. لا تزال عيناها المتسعتان بشيءٍ من الدهول تناقضان ملامحها الهادئة التي لا تتم عن أيّ تعابير.. قبل أن تأتيها همسته التالية.. والتي ذبحت قلبها و هي تسمع الوجد الكامن فيها..

\_ لم تكن وفاة أمي طبيعية.. لقد... انتحرت !!!

صمت قليلاً ثم أكمل بدون أن يرفع رأسه.. و قد عجز عن منع دموعه من السقوط أمامها لأول مرة بعد أن كان يحاول بمشقة قبل لحظات و ظنت بأنه نجح ؛

\_ لقد قتلت نفسها.. ماتت أمامي.. ماتت أمام أنظاري و لم... أستطع فعل أيّ... شيء...

طرفت سارة بعينيها و هي تشعر ببريق دموع يلسع عينيها.. لكنها كبحتة و ظلت تنظر إلى رأسه المطرق محاولة الصمود.. لكن عبثاً !

فقد شعرت بقلبها يتفتت إلى أجزاء صغيرة ألماً عليه.. قلبها الخائن الذي لا يزال يعاندها حتى الآن متمسكاً بهذا الرجل باستماتة.. بحُب هذا الرجل باستماتة !!!

و قد رفض جاد أن يريحه و هو يكمل بذات النبذة المنكسرة.. مفضياً إليها لأول مرة بمكنونات قلبه المُعذب منذ وقتٍ طويل ؛

\_ لقد عانيت كثيرًا بعد أن تركتك.. عشت لسنواتٍ بدون أب.. ما بين قسوة الفقر و ظلم الحياة و غياب السند.. و صوت بكاء أمي الذي لا يزال حتى الآن يتردد على مسامعي و أقشعر كلما تذكرته.. كانت تبكي كل ليلة.. كل ليلة بعد

أن تطمئن أنني غفوت لكنني لم أكن أغفوا.. و هي لم تكن تعلم أنني أيضاً كنت اشاركها بكاءها دون حتى أن أعرف السبب وقتها!..كنت أود لو أنهض لأريها أنني معها.. أنا أشعر بها.. لكنني كنت أعلم أنها ما إن تراني مستيقظاً حتى تسرع لتمسح دموعها و تتدبر ابتسامة بمعجزة لكي تخفي ألمها عني.. و أنا لم أكن أريدها أن تخفيه بعد.. لهذا كنت أشاركها هذا الألم بصمت.. كثيراً ما دعوت الله أن يعود أبي الذي لم أعش معه في حياتي إلا أياماً قليلة جداً.....

كان يسترسل بغير تحفظ.. و لأول مرة تراه بهذا الضعف و اليأس.. ترى عينيه اللتين جسدتا كل معاني الألم و الندم.. صمت جديد أجبر عليه.. ثم وجدته يبتسم بسخرية مريرة مستأنفاً بصوت متحشرج ؛

\_ يبدو بأن أبي كان يسعى إلى المال.. و لم يكن ليجني شيئاً من بقاءه مع أمي التي صفت بلا مال... لهذا ببساطة رحل !

رفع رأسه أخيراً.. و هالها منظر عينيه السوداوين المؤطرتين بلون الدم.. و دموعه التي كانت تسقط بدون رادع لتلامس ذقنه الملتحي قليلاً فقط بغير حياة..

ففغرت فمها على نفس لاهث.. غير مدركة بأن دموعها التي حاولت كبح نزولها قبل لحظات.. كانت قد انسابت بالفعل ببطءٍ بدون أن تستشيرها أو تشعر بها..

قبل أن تمتد يده بتردد.. بارتعاش.. إلى أن لامس بها وجنتها.. لمسة حانية جداً.. تشبه أجنحة الفراشات في رقتها التي تناقض خشونة يده.. فأغمضت عينيها بشدة و هي تجد نفسها عاجزة عن إبعاده حتى..

ليصلها صوته الهامس مقتحماً قفصها الصدري الذي يخفي فؤاداً يحترق لوعة ؛

لكن والدي رغم كل ما ارتكبه من أخطاء كان أحسن مني.. هو لم يمنح  
وعودًا و كسرهما.. هو لم يعاقب أحدًا على ذنب غيره.. هو لم يخن حُبه ! أنا  
من فعلت !

يا الله.. ما الذي تفعله بها أنامله.. و صوته !!!

إنها تكره هذا الشعور الذي تجد نفسها تنجرف إلى تياره ببطءٍ خبيثٍ.. تكره  
أن تغدو مستعبدة إلى مشاعرها.. ضعيفة أمام دموعه و انفعالاته و ندمه الذي  
جاء بعد فوات الأوان..

تكره تلك الرغبة الداخلية التي تتملكها بقسوة.. بأن تحتضنه بكل آلامه و  
أوجاعه إلى صدرها... حتى بعد ما فعله بها !!!

لم تشعر بنفسها و هي تفتح عينيها ببطءٍ لتقابل عينيها المعذبتين مجددًا.. و تلك  
المرّة كانت نظرتها تحمل شيئًا من القسوة.. فرفعت يدها لتغطي يده التي على  
وجهها.. لا لشيء سوى لتسقطها بعيدًا عنها..

هي لن ترحمه.. لا يمكنها أن تمنحه راحة الصّفح الآن.. بهذه السرعة.. لن  
تدعه يتلذذ بضعفها و لن تنجرف أبدًا لدوامته الكاسحة.. يريد الغفران و  
الصفح اللذان لم يمنحهما لها..

لم يمنحهما لها و لم تكن مذنبه حتى.. فلماذا تمنحهما له الآن.. بينما هو غارق  
في آثامه التي اقترفها بحقها !!!

هي أيضًا واجهت مثل هذا الضعف و لم يكن معها.. بل كان هو سبب هذا  
الضعف !!!

لا.. لا مجال للتراجع هنا يا سارة.. هو لا يحق له أن يتلاعب بها كيفما  
يشاء.. لا يحق له المجيء الآن و ذرف دموع الندم و طلب السماح منها ليناله  
بمنتهى البساطة..

لا يعلم بأنها حتى هذه اللحظة لا تزال عاجزة عن مسامحة نفسها على ثقتها به.. فأنى لها أن تسامحه هو؟! من أين لها بتلك القوة!!!! إنها ليست غبية لهذا الحد!!!

كانت عيناها غائمتان في أفكارها البعيدة عنه.. و لم تدرِ بأنه كان يراقبها بلوعة طيلة الصّمت القاتم الذي طال.. كان يقرأ أفكارها بكل سهولة و كأنها كتاب مفتوح أمام عينيه..

فقبض على كفه المتشنج و كأنه يحتفظ بتلك اللمسة التي حظي بها قبل قليل.. و همس ببطء.. بنبرة لم تحمل سوى الصدق فقط ؛

\_ أنا أردت قول ذلك فحسب.. لكنني لن أطلب منك أيّ شيء بعد الآن.. كل ما ستفعلينه ستفعلينه برضاك.. و أنا سأكون راضيًا عن ما ستقررينه مهما كان.. أنا فقط أردت أن أخبرك أنك لم تكوني يوماً غبية.. أنت لست غبية أبداً يا سارة.. أنت فقط.. تمتلكين قلباً من ذهب!.. لقد كان ذنبك الوحيد في حقي أنك أحببتني بكل إخلاص لم أستحقه.. و الحب ليس غباءً.. الحقيقة أن الغباء وراثي في عائلتي أنا.. هل تتذكرين ما قلته ذلك اليوم؟!!

نقلت سارة عينيها إليه أخيراً بتشوش.. فصمت للحظة يحاول أن يتمالك نفسه مستعيداً رتابة أنفاسه.. قبل أن يسترسل بخفوت ؛

\_ أننا من نفس العائلة ! الآن أنا أقول لك لا.. ربما نحن من دم واحد.. لكن الغباء تميزنا به نحن فقط.. كنت أنا و أمي و أبي.. الثلاثة أغبياء الوحيدين في هذه العائلة !!

رأت يده و هي تعود لتمتد إليها متجاهلاً حركتها قبل أقل من دقيقة.. و تلك المرة.. قبض على ذقنها برفق ليجعلها تنظر إلى عينيه تماماً.. و قال بينما يتأمل كل كل إنشٍ من ملامحها الحبيبة الصامتة ؛  
\_ كم هو صعب عليّ قول ذلك.. لكنني سأقوله رغماً عني..

زفر أنفاسه المُحملة بألمه بصعوبة و همس بهدوء جاهد للتسلح به رغم بحة  
صوته الواضحة ؛

\_أنا أعلم بأنني لا أستحق.. لكنني حقًا أتمنى فرصة أخرى.. أتمنى و لست  
أطلب!.. أنا سأطلب منك شيئًا واحدًا فقط.. إذا ما حدث و عجزتِ عن  
مسامحتي هذه المرة.. فأنا لن أمانع و سأمنحك..... حريتك... لكن  
فقط..... فقط لا تكوني لغيري !

و كأنه قتل كل صمودها الزائف.. فوجدت نفسها تعض على طرف شفثيها  
بقوة محاولة بجهد أن تمنع شهقة تتوسلها الخروج.. و هي تعلم بأنها لو  
خرجت الآن.. فستفقد آخر ذرة قوة تمتلكها أمامه..

كيف يطلب منها أن لا تسلم نفسها لغيره؟! ألا يعلم بأنها ستموت قبله لو  
فعلت !!!

حتى و لو لم تكن لديها نية الصفح الآن فتلك الفكرة هي أقصى ما قد تختبره  
في حياتها !!!

\_أنا... سأكون حولك دائمًا.. بدون أن أقترب منك.. و سأنتظر بصبر قراركِ  
الأخير.. و سأقبل به مهما كان مؤلمًا أو مفرحًا... سأقبل به !!

قال آخر كلمة بحزم شديد أمام عينيها.. حزم يناقض صوته المختنق و أنفاسه  
المتهدجة التي كانت تستطيع الشعور بها من مكانها..

قبل أن يقترب منها ببطءٍ بدون أن تترك أنامله ذقنها.. فأطبقت عينيها بشدة  
كارهة لضعفها و هي تشعر بشفتيه على وجنتها برقة.. تشكلان قبلة طالت  
حتى كادت أن تفقدها أنفاسها..

قبل أن تسمع همسته الخافتة جدًا في أذنها.. و التي علمت بأنها أبدًا لن تنساها  
؛

سأكون ممتنًا لو كان فراقنا هذه المرة لائقًا أكثر.. لو منحنتي عناقًا واحدًا  
أخيرًا أشعر فيه بأنك أنت من تضميني لأول مرة لا أنا.. عناقًا يمنحني القوة  
للحياة بدونك.. رغم أنني أعلم أن لا حياة لي بعدك !

تسارعت أنفاسها بقوة بدت مؤلمة جدًا.. واضطربت خفقات قلبها كعقارب  
ساعة توشك على التوقف عن تأدية عملها.. وشعرت بتلك الشهقة التي كانت  
تكبح خروجها قبل قليل.. تخرج الآن رغمًا عنها..

بينما الدموع الغزيرة تعود لتملأ وجهها..

بينما أغمض جاد عينيه منتظرًا.. منتظرًا.. إلى أن تنهد بقوة و هو يهيم بالإبتعاد  
بفشل تام.. لكنه لم يستطع أن يفعل.. فقد خفق قلبه بشدة و هو يشعر بذراعيها  
فجأة.. ترتفعان بغير إرادة منها لتطوقان عنقه بقوة تفوق القوة رغم ضعفها  
الجسدي و إجهادها في تلك اللحظة..

و أخفت وجهها في كتفه تمنحه الوداع الذي أراد.. لتترك العنان لصوت بكائها  
في الإرتفاع أمامه..

و ما كان منه.. إلا أن أغمض عينيه باستسلام و هو يحرك ذراعيه ليبادلها  
العناق بقوة حريصًا على أن لا يؤذيها.. يستمع إلى صوت بكائها بقلب ينزف  
بشدة رغبة في تعويض كل ما فات و تبديل ألمها إلى سعادة..

كان عناقًا طويلًا.. طويلًا جدًا.. و رغم ذلك.. فقد تمت سارة لو لا ينتهي  
أبدًا.. و تمنى جاد لو يتراجع عن كل ما قاله قبل قليل ليختطفها قسرًا فلا تبعد  
عن عينيه أبدًا...

لكن الأمنيات لا تتحقق دائمًا.. و قدر أمنياتهما في هذه اللحظة أن  
تظل.....أمنيات !!!

---

" بعد أسبوع واحد "



جلست في مقعدها في الطائرة بجانب والدها.. كانت تنظر بشرود إلى ذلك الخاتم الذي أعطاه لها جاد ذات يوم و لم تنزعه أبدًا من يدها.. حتى في أشد لحظاتها كرهاً له هي لم تفكر يوماً أن تنزعه من يدها..

و كأنه شيئاً مفروغاً منه لا يمكن نزعهِ إلا بانتزاع روحها معه !  
نسيته أم -تناسته- في يدها.. المُهم أنه لا يزال معها و لا تظن بأنها ستستطيع يوماً أن تنزعه حتى بعد فراقهما..

قبضت على ذلك الوشاح الأسود الثقيل الذي كان يلفّ عنقها تريد أن تخلعه بضيق شاعرة بالذكريات الحُلوة تخنقها.. لكن فؤاد منعها و هو يقبض على يدها قبل أن تفعل.. و همس بحزم ؛

\_ لا تخلعيه الآن.. ستصابين بنزلة برد..

اومات له سارة بطاعة و هي تنزل يدها ببطء.. و سرعان ما عادت عيناها لتغرقان في الشرود و هي تنظر أمامها بصمت.. نفسه الشرود الذي غزا عيني أختها التي كانت تحتل مقعدًا خلفهما..

تستند بجبينها إلى النافذة الزجاجية الصغيرة المرافقة لمقعدها.. و التي تطل على مناظر شاسعة لم تهتم بتأملها.. الحقيقة أن شرودها كان مختلفاً هذا اليوم.. عقلها ينتقل بين عدة أفكار متضاربة مرسلًا لها صداً مزعجاً حفز رغبتها في النوم..

إلا أن ذكرى عابرة من يوم أمس جعلت من تنهيدة صغيرة تخرج من بين شفثيها محملة ببعض الإرهاق..

كانت قد ذهبت إلى منزل جاد و سارة يوم أمس لتحضر لسارة بعض الأغراض المهمة من هناك.. فتحت الباب بالمفاتيح التي منحتها سارة إياها.. لكنها ما كادت تتقدم خطوة نحو الداخل حتى عادت تتسمر مكانها و هي ترى جاد يخرج من أحد الغرف..

كانت ملامحه مجفلة بداية.. إلا أنها سرعان ما تلونت بالهدوء و هو يقابلها.. شعرت ببعض الإحراج يتملكها.. فقد تأملت بأن لا تقابله اليوم أبدأ.. فهمست بتوتر و اقتضاب ؛

\_ أنا أتيت.. لأحضر لسارة بعض الأغراض من هنا...

لم يقل جاد شيئاً.. فقط اكتفى بأن أشار لها بيده إلى الغرفة التي خرج منها للتو و التي فهمت أنها غرفة سارة !!!!

تقدمت ببطءٍ و هي تنقل عينيها بين الغرفة و بين وجهه شاعرة بالتشوش.. قبل أن تصل إلى الباب ففتحته لتخفي بداخلها لدقائق طويلة.. إلى أن خرجت تحمل في يدها حقيبة صغيرة.. لتجده يجلس في البهو.. يستند إلى ركبتيه بمرفقيه محدقاً بصمتٍ في الأرض.. لم ترمقه سيلين بأيّ نظرة إضافية.. و لم تلفظ حرفاً واحداً و هي تتجه إلى الباب..

إلا أنها توقفت فجأة و هي تسمع صوته يأتيها خافتاً هادئاً ؛

\_ سيلين !

زفرت بثقل و هي تستدير ببطءٍ لتتظر له.. و قد كان يقف الآن على بعد خطوة من الأريكة حيث كان يجلس قبل قليل..

اقترب منها بهدوء إلى أن وقف أمامها أخيراً.. و همس بصوتٍ محايد ؛

\_ ربما أنتِ أيضاً مدينة لي باعتذار !

نظرت له سيلين ببعض الدهشة.. و فتحت فمها لتهمس بغير تركيز.. كل غايتها أن تنهي هذا الحوار قبل أن يبدأ.. فهي لا تريد أن تخوض أيّ محادثة مع هذا الرجل الذي عرض أختها لكل أنواع الألم..

\_ أ.. أنا.....

إلا أنه قاطعها في نفس اللحظة هامساً بنبرة مسالمة تحمل اعتذاراً حقيقياً ؛

\_ أنا آسف !!

ثم تنهد و هو يستأنف فورًا بنبرة ثابتة ؛

\_ أعلم بأنك لا تحبيني أبدًا.. هذا إذا لم تكوني تكرهيني.. لكنني حقًا أحبك.. ربما لا تتذكرين شيئًا من الماضي.. لكنني لا أزال أتذكر.. كل تلك اللحظات التي اعتبرتكِ فيها أختًا صغيرة لي لا مجرد ابنة خالي.. لا أزال أتذكر حتى الآن نظرتكِ الصغيرة البريئة لي و أنا أرحل عنكم.. كل مرة لجأت فيها إليّ لأدافع عنك.. كل مرة جلست بجانبني و أنتِ تطلبين مني أن أساعدك في حل مسألة ما كانت تبدو لي في غاية السهولة وقتها.. لكنني كنت أتصنع الخبرة و أقنعك بأنها صعبة جدًا و لن تتمكن سارة من حلها بنفسِ خبرتي !

قال آخر كلماته بنبرة مازحة قليلًا.. بينما احتلت ابتسامة غير مكتملة شفثيه.. و لم تستطع سيلين إلا أن تقابلها بشبح ابتسامة لم تحمل سوى الأسى و الحسرة.. و كأنها تهمس بدون صوت ؛

" ليتك وضعت كل تلك الذكريات بعين الاعتبار قبل أن تؤذي أكثر إنسانة منحتك الحب في العالم... ليتك! "

لم تكن تتذكر أيّ من تلك اللحظات التي قال لها عنها.. فقد كانت صغيرة جدًا آنذاك.. إلا أن الإبتسامة غير المكتملة ظلت مرتسمة فوق شفثيها في تعبير صامت..

لكنه فعل شيئًا لم تتوقعه أبدًا.. فقد اقترب منها فجأة بتأني شديد إلى أم حاوطها بين ذراعيه دون كلمة.. طرفت بعينيها بتوتر و هي تقلب عينيها في الأرجاء غير قادرة على مبادلتة هذا العناق الذي لم يطل سوى عدة ثوان..

قبل أن يبتعد أخيرًا ليهمس مبتسمًا بهدوء ؛

\_ وداعًا يا سيلين.. اهتمي بنفسك جيدًا و بسارة.. أتمنى حقًا أن لا تكرهيني !

عادت من تلك الذكرى و هي تنتهد مجدداً بصمت.. قبل أن تمر في عقلها  
فكرة جديدة جعلتها تخفض عينيها فقط لتتنظر لها تفها المعلق بملامح لا تحمل  
أية تعابير متسائلة.....

هل سيكون ذلك - لعاشق الغريب- قد بعث لها برسالة أخرى بحلول الآن !  
لم يجد سؤالها تجاوباً من عقلها.. فهزت رأسها بلا فائدة و هي تدسّ الهاتف  
في جيب معطفها الصوفي القصير.. ثم رفعت أنظارها لسارة التي و كأنما  
شعرت بها فالتفتت إليها فجأة..

ابتسمت سيلين ناظرة لملامحها الحبيبة بهدوء.. و قد بادلتها أختها الابتسامة  
بشبهتها..

قبل أن تنحني قليلاً على والدها مسندة رأسها المرهق على كتفه.. و سرعان  
ما شعرت بذراعه تحاوط كتفيها برفق و شفاته تطبعان قبلة دافئة فوق  
شعرها..

فأغمضت عينيها بسلام تاركة أناملها تتلاعب بنفس الخاتم... الحبيب؟! بل  
المشؤوم !!

---

شخص آخر في مكان آخر كان يشاركها بعض مشاعر البؤس.. كان حاد الذي  
توقف أمام منضدة الزينة الخاصة بها.. منذ أن غادرت و هو لا يفارق غرفتها  
أبداً.. شاعراً بأنها المكان الوحيد الذي يحمل بعض الدفء.. عكس المنزل  
البارد الفاقد لألوان الحياة بدونها..

لا يصدق بأنه كان يعيش فيه قبلها بمفرده.. و لا يصدق بأنه تعود وجودها  
لهذا الحد خلال هذه الفترة التي لا تعد طويلة جداً و التي أمضتها هنا !!!  
وجودها معه.. بجواره.. إدراكه بأنها بداخل هذه الغرفة.. تعيش و تنام هنا  
على مقربة خطواتٍ قصيرة من غرفته.. كان يملأ قلبه بالرضا.. و..... و  
الإطمئنان !!!! ألم يعترف من قبل بأنها تذكره بأمه !!!

كانت عيناه تطالعان انعكاسه في المرآة بصمتٍ..يحاول تخيل كل تلك اللحظات التي توقفت فيها هنا..لعله يلمح طيف ملامحها الأسرة في ركن ما هنا..

تجولت عيناه بتأمل بطيء فوق منضدة الزينة..يبحث عن أثرها بين أغراضها القليلة التي بقيت هنا بعد أن أخذت سيلين كل ما يخصّها..

لكنه لم يجد غرضًا واحدًا يخصّها حصرًا..سوى من قنينة عطر صغيرة تكاد أن تنفذ..إنه يعرف ذلك العطر..لمحه في ذلك اليوم الذي دخل فيه إلى غرفتها كزوجها لأول مرة.. الفرق الوحيد أن نصفه كان ممتلئًا حينها..

شعر بالدفء يختلج أطرافه و هو يستعيد ذلك اليوم بتفاصيله..لم يتسنى له إخبارها كم كانت جميلة ذلك اليوم..متألقة بين يديه كنجمة تلمع في سماء شاهقة الإرتفاع..

لم يتسنى له التفسير..ليخبرها بأن تلك الليلة..كانت أجمل ليلة في حياته الكئيبة البائسة..الليلة التي امتلك فيها نجمته الساطعة..و التي خفت ضوئها على يديه..بعد أن اقتلعتها من عالمها الأبيض ليغرقها في ظلام حياته الدامس  
!!!

مرت يده بشرود فوق ذلك العطر..و لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يحمله ببطءٍ ليرش القليل منه في باطن يده..و يرفعها إلى أنفه مستنشقا نفسًا عميقًا منه..

و كم أثلج قلبه ذلك الشعور..على الأقل لا يزال عطرها النفاذ يقتحم قلبه حتى الآن..عطرها الطبيعي الذي لن ينساه مطلقًا ما حيا..

وقعت عيناه على فرشاة شعرها التي كانت محفوظة فوق المنضدة بإهمال..فأعاد العطر مكانه ليلتقطها بهدوء..كانت لا تزال هناك بعض الخصلات البنية عالقة بداخلها.. فأدخل أنامله ليخرجها شاعرًا بلمسها الناعم بين أنامله..

ابتسم متنهّدًا و هو يجد نفسه أصبح مثل هؤلاء العاشقين المهووسين الذين يتلقفون أيّ شيء متعلق بحبيبتهم البعيدة..حتى إذا كان بعض الخصلات العالقة بالمشط !

ثم لم تلبث أن اتسعت ابتسامته الشاردة و عقله يعيده إلى ذلك اليوم قبل أسبوع..إلى تلك اللحظة تحديدًا..ذلك العناق..لقد أخبرها قبل فترة بأن عناقهما الأول بعد أن عاد في المرة الأولى كان أصدق عناق في حياته..

هو لم يعد بعد الآن !!

لن ينسى أبدًا الطريقة التي ضمته بها قبل أسبوع..كانت و كأنما تتوسله بدون صوت أن لا يرحل..أن يبقى معها رغم كل شيء..أن يساعدها لتنسى..لتسامح...و لتعود !!

لكن كبريائها و كرامتها المهدورة تظل حائلًا بينهما..و إلا لو كان القلب متسيّدًا على قرارات حياتنا..لما تسبب في أذيتها منذ البداية..

ما كان ليتركها تقف وحيدة فوق منصة الزفاف في يوم الزفاف !! كان قلبه العاشق حد الهوس سيمنعه !!!! لو كان !!!

رفع رأسه فجأة عندما سمع صوت رنين جرس الباب..فتنهّد و هو يعيد المشط مكانه بتردد..لكنه لم يستطع أن يتخلى عن الخصلات الناعمة بين يديه و التي كانت الشيء الوحيد التي بقي منها.. فاقترب من السرير ليحتفظ بها تحت المخدة..

ثم اتجه مسرعًا ليفتح الباب..و كما توقع وجدها لارا..تلك التي توقفت أمامه مبتسمة بتألق..زفر جاد بضيق لم يستطع إخفاءه اليوم و هو يقول بفتور ؛

\_ أهلاً لارا..كيف حالك !؟

لم ترد لارا..فقد أمسكت بيده فجأة بشكل فاجئه..و قبل حتى أن يستوعب كانت تسحبه وراءها بينما تقول بحماس لم يعرف له سببًا ؛

\_ تعال معي حالاً..أبي يريدك..

نقل جاد عينيه حوله بانفعال مكتوم و هو يستقل المصعد معها على مضض..يشعر برغبة هائلة في الصراخ بها لعله يفرغ بعضاً من مشاعره الهوجاء اليوم تحديداً..لكنه اكتفى بأن نفض يده عنها ليغرقها في جيب بنطاله الجينز الأزرق ناظراً جانباً بصمت..

إلى أن توقف المصعد أمام الطابق المطلوب..فامتدت يدها مجدداً تنتوي التمسك بمعصمه..لكنه تراجع في حركه شبه مرئية و تقدمها قائلاً بنفس نبرته ؛

\_ لا بأس..أستطيع الذهاب بمفردي..

لم تتأثر لارا بأسلوبه الفظ أبدأ..فقد كانت سعادتها اليوم تمنعها عن التدقيق في أي شيء سوى مشاعرها..و بعد قليل كان جاد يجلس أمام رجل كبير في السن..لكنه كان مرتباً و أنيقاً..ملامحه حانية هادئة لا تحمل سوى الوقار..

فتح فمه ليقول بهدوء ؛

\_ كيف حالك يا جاد ؟!

نظر له جاد بتركيز ضائع..ثم لم يلبث أن تنح ليهمس بجدية..لكن بنبرة وقورة تحمل الكثير من الإحترام ؛

\_ أنا بخير..شكراً لك يا سيد عاطف..

نقل أنظاره بينه و بين ابنته التي تجلس على الأريكة الأخرى و قال ؛

\_ أخبرتني لارا بأنك كنت تريدني في أمر مهم !

رمق السيد عاكف ابنته لارا المُبتسمة بتوتر بنظرة خاطفة.. ثم قال و بعض التوتر يخالج صوته ؛

\_ نعم..أولاً أنا متأسف جداً على انفصالك..كنت أود لو يستمر هذا الزواج أكثر..رغم أنك لم تسمح لنا و لو لمرة بمقابلة زوجتك..

كان حاجبا جاد يرتفعان مع كل كلمة يقولها.. قبل أن يعقدهما ببطء سائلاً  
بدهشة ؛

\_ من الذي أخبرك بأنني انفصلت ؟!

قال عاطف ببساطة و هو يشير لابنته ؛

\_ لارا..

الآن عاد ليرفع جاد حاجبيه و هو يحدق بلارا التي شحبت ابتسامتها قليلاً  
بعدم فهم.. فهمت تتلعثم في حروفها بارتباك ؛

\_ أنا... أنا لاحظت بأنك بمفردك منذ أسبوع.. و لا أثر لزوجتك.. كما أنني  
شعرت لأكثر من مرة بتوتر علاقتكما.. و رأيت فتاة يوم أمس تخرج من  
منزلك و في يدها حقيبة ما.. فتاة تشبه زوجتك جداً لهذا فكرت... أنها أختها و  
ربما.. ربما لأنكما انفصلتما هي أنت لتأخذ ما تبقى من أغراضها !

كان جاد ينظر لها و الإستنكار يعلو وجهه إلى أن أنهت حديثها.. لسمع  
صوت السيد عاطف يسأله بنفس نبرته الهادئة ؛

\_ أخبرنا يا جاد.. هل هذا الخبر صحيح ؟!!

رمقها جاد بنظرة جليدية جعلتها تنكمش قليلاً شاعرة بالإحراج.. ثم أجاب  
موجهًا حديثه إلى أبيها بجمود ؛

\_ لا.. لم انفصل يا سيد عاطف.. و لا أنوي الانفصال...

بهتت ملامح لارا تمامًا و هي تسمع منه الرسالة المشفرة من كلامه.. لطلما  
تعمدت أن تظهر اهتمامها به.. حتى قبل زواجه.. و كانت تتمنى لو يلمحها  
بالفعل و يشاركها نفس الإهتمام..

حتى أنها استعانت بوالدها من قبل و أطلعتة بوضوح على مشاعرهما نحو  
جاد و بأن يحاول أن يجمعهما بطريقة ما.. إلا أنه كان يرفض قاطعًا.. مؤمنًا  
بأن جاد لو أرادها حقًا.. فسيتقدم لطلب خطبتها بنفسه بالفعل..



و لا يحتاج إلى توجيه !

وقف جاد أخيرًا ليردّف بنفس الجمود رغم هدوء نبرته أمام السيد عاطف  
الذي يكن له احترامًا بالغًا ؛

\_حسناً.. إذا كان هذا هو الموضوع الذي استدعيتني من أجله يا سيد عاطف  
فأنا سأرحل الآن.. نلتقي في العمل بإذن الله..

ثم خرج دون أن يضيف كلمة أخرى.. بينما ازداد شحوب لارا و هي تنظر  
أمامها متسمة.. فهتف بها عاطف بغضب ؛

\_كم مرة قلت لك أن تخرجي جاد من رأسك.. لقد تسببت لنا بإحراج بالغ  
بدون سبب !!!

نظرت له لارا و قالت بعينين دامعتين بشدة ؛

\_أنا ظننت أنه انفصل حقًا.. و إلا ما كنت سأفكر فيه مجددًا..

لم تلن نظرات عاطف أمامها.. إنما هتف بها بصيغة الأمر محتدًا ؛

\_هل سمعتِ الجواب بأذنيك الآن !! اذهبي لغرفتك هيا..

زفرت لارا و هي تقوم من مكانها متجهة إلى غرفتها فعلاً بينما تلعن غباءها  
الذي أوصلها لهذا الحد من الهوس.. بحيث عقدت أملاً واهياً من مجرد ظن !

---

نظرت بعينين براقنتين مشتاقتين لواجهة منزلها الحبيب الذي اشتاقت إليه  
بشدة.. قبل أن تفتح باب السيارة لتنزل قدميها بتأني إلى الأرض.. و لم تكذب  
تقف حتى شعرت بكف سيلين الذي قبض على ذراعها فجأة.. بينما أحاطت  
بذراعها الأخرى كتفيها..

قالت سارة مبتسمة برقة ؛

\_لا داعي سيلين.. أنا بخير...

إلا أن هذه الأخيرة بدت أكثر من مصرة..فقالت تخاطبها بصرامة زائفة و  
هي تتشبت بها أكثر ؛

\_ لا مجال لأن أتركك اليوم..لهذا استسلمي و تشبثي بيدي جيداً..

وضعت سارة يدها فوق يد سيلين القابضة على ذراعها مربتة بلطف و قالت  
مبتسمة بطاعة ؛

\_ و أنا لا أحب إلى قلبي من قربك..سمعاً و طاعة يا أنستي..

توقفت السيارة الأخرى التي بداخلها فؤاد فنزل هو الآخر.. ليتقدم عدة  
خطوات خلف ابنتيه اللتين كانتا قد دلفتا إلى الداخل..

كانتا في طريقهما إلى الطابق العلوي حينما توقفت سارة فجأة..فتوقفت سيلين  
ايضاً ناظرة لها بقلق..همست سارة بنبرة غريبة ؛

\_ خذيني إلى غرفتك يا سيلين..لا أريد أن أذهب لغرفتي..

ظلت سيلين صامته تنظر لها للحظات و كأن عقلها قد تكهن بسبب طلبها هذا  
تلقائياً..لكنها في النهاية اومأت بتفهم..قبل أن ترافقها إلى غرفتها بهدوء..

إلى أن جعلتها تستلقي فوق سريرها..و رغم ذلك لم تتركها.. بل جلست على  
طرف السرير متمسكة بيدها بحنو..إلى أن قالت سارة بياس ؛

\_ أنا بخير يا سيلين حقاً..أنتِ تعاملنني كشخص لا يستطيع الوقوق على  
قدميه حتى !!

استندت بيديها إلى السرير الناعم لتجلس باستقامة..ثم عادت تهمس لسيلين  
باهتمام ؛

\_ ألا دراسة لديك !؟

عبست سيلين قليلاً و هي تقول بملل ؛

\_ بلى لدي..لكن من سيفكر في الدراسة في هذا الوضع !

صمتت سارة قليلاً.. ثم قالت رافعة إحدى حاجبيها ؛

\_ و محاضراتكِ !؟

قالت سيلين تجيبها تلقائياً بمنتهى البلاهة ؛

\_ محاضراتي ! لا تقلقي.. هناك من سيدو.....

صمتت فجأة بتوتر.. فالتقطت سارة آخر كلمة و هي تعيدها بتوجس ؛

\_ هناك من سـ..... ماذا !؟

شعرت سيلين بالتوتر يجتاحها بشكل أكبر أمام أختها التي تستطيع أن تكشفها

بكل سهولة.. فتظاهرت بالعبوس و هي تقول فجأة ؛

\_ ألا تلاحظين بأنك أصبحتِ تسألين كثيراً و حول كل شيء !

صمتت للحظة.. ثم هزت رأسها قليلاً شارحة بنفس النبرة ؛

\_ لكن عموماً.. كنت سأقول بأن هناك من سيدونها لي..

\_ من !؟

زفرت سيلين و هي تغمض عينيها للحظة.. ثم قالت بشيء من الفضاظة بدون

أن تشعر ؛

\_ يا ربي.. منذ متى أصبحتِ تسألين كثيراً عن كل تفصييلة !!!!

\_ منذ أن ابتعدتِ عني..

قالت سارة ترد فوراً بنبرة لمحت فيها سيلين الحزن رغم بساطتها.. رغم أن

كل غايتها كانت أن تهرب من منحها الجواب الذي يتمثل في اسم واحد.. و لم

تتوقع أبداً أن تكون ردة فعل سارة بهذا الشكل..

ارتخت ملامحها و هي تنظر لأختها التي ابتسمت بشحوب و هي تمسكُ

بيدها هامسة ؛

\_ منذ أن شعرت بمرارة فقدانك و عدم اللجوء إليك في كل معضلة تمر في حياتي.. منذ أن أصبحت تفرين من أسئلتني و تملين من رفقتي.. و تخفين عني بعض التفاصيل.. منذ أن.....

صمتت فجأة.. و قد ظهر بعض الحزن المفاجئ على وجهها.. فأشاحت بوجهها جانبًا شاعرة بألم قوي يغزو قلبها و لا تعرف له سببًا..

لكنها تدرك بأنه مقترن بشخص واحد.. فهذا الألم.. هذا الألم لم تشعر به إلا بعد أن افترقت عن... جاد !

كانت على وشك أن تبتسم لسيلين التي امتنع وجهها بشدة ناظرة لها بشفتين فاغرتين و ملامح باهتة.. إلا أن سيلين سبقتها و هي تقترب منها بسرعة لتضمها بقوة.. و همست بندم و هي تشدد من تمسكها بها ؛

\_ أسفة.. أسفة.. لا تقولي ذلك من فضلك.. لا تقولي ذلك مجددًا...

ابتسامة حنونة لامست ثغر سارة و هي تبادلها العناق بصمت.. لكنها سرعان ما اكتسبت بعض المكر و هي تقابل وجه سيلين مجددًا..

\_ إدا... أخبريني من هذا الشخص اللطيف الذي يدون لك المحاضرات ؟!

توتزت سيلين أكثر و هي تهمس بخفوت ؛

\_ كيف تعرفين بأنه "شخص" ! ربما تكون فتاة !!!!

هزت سارة رأسها بالنفي بكل ثبات.. و قالت بهدوء ؛

\_ تكلمي..

يا الله.. هل عليها أن تطلعها على أمر بهذه البساطة !! إنه مجرد زميل في الجامعة يدون لها المحاضرات كمبادرة لطيفة لا تعلم هدفه منها !!!

همست تتنهد باستسلام.. بتلعثم شديد ؛

\_ إنه... شاب.. زميلي في الصف.. اسمه سليم و هو... هو.....

\_ هو ماذا؟!\_

قالت سارة تحثها باهتمام.. فاستأنفت سيلين مجيبة ؛

\_ هو يبدو مهتمًا بي كثيرًا رغم أنه يخجل و لا يقول شيئًا.. لكن حتى الآن ليس بيننا أيُّ شيء.. إلّا من بعض المحادثات التي نخوضها أحيانًا عن الدراسة.. و أحيانًا عندما أتغيب يدون عني المحاضرات.. و أنا.. أنا أفعل نفس الشيء معه.. هذا.... فقط !!

زمت سارة شفيتها قليلاً مدعية التفكير ؛

\_ اممم.. زميلك في الصف إذا.....

ثم أضافت فورًا و كأنها قد تذكرت شيئًا مهمًا ؛

\_ و ذلك الذي يبعث لك الرسائل؟!\_

توترت سيلين أكثر أمام عينيها.. و هزت كتفيها دليلاً على يأسها من معرفته.. فأكملت سارة بتوجس جاد ؛

\_ ألم تشكي و لو للحظة أن يكون الذي يبعث لك الرسائل.. نفسه زميلك في الصف؟!\_

نظرت لها سيلين بشكٍ.. الفكرة تبدو منطقية نوعًا ما !! همست بعينين متسعيتين ؛

\_ هل يعقل أن يكون هو ؟!!!!\_

هزت سارة كتفيها مردفة ببساطة ؛

\_ هذا أمر راجح !

فشردت حدقتا سيلين قليلاً.. هل يمكن أن يكون هو نفسه حقًا؟! إنها تلاحظه اهتمامه بها منذ فترة.. ألم يكن يمتلك كتابًا أسودًا يدون فيه خواطره ربما.. أو ربما... أشعار !!!

و الله لو تأكدت بأنه نفس الشخص فستجعله يندم أشد الندم على استغفاله كل  
هذه المدة !!!

\_بالمناسبة.. أين ستأمين هذه الليلة؟!\_

انتفضت من شرودها على صوت سارة الذي خرج هادئًا متسليًا.. فنظرت لها  
لتجدها قد تدثرت بالغطاء فعلاً بعد أن استلقت فوق السرير معطية إياها  
ظهرها..

و ما كان منها بعد سؤالها ذاك إلا أن ابتسمت بخبث و هي تنحني عليها  
لتضمها بقوة هاتفة بسعادة بالغة ؛

\_أخبرتكَ لا مجال لأن أتركك اليوم.. لهذا سأنام بجانبك بالطبع !\_

---

## "الرمق التاسع عشر؛ أما بعد؟"

دفعته من صدره بغضب و هي تتجاوزه لتمشي عبر ذلك الممر الطويل و تمر بساحة الجامعة الكبيرة متوجهة إلى الباب بذقن مرفوع و عيون تتطاير منها الشرارات..

لقد صدق ظن سارة.. لا تستطيع التصديق بأنه كان يستغلها طيلة هذه الفترة !! يقابلها كل يوم في الجامعة ليراسلها برقم مجهول ما إن تعود للمنزل !!!

أيُّ وقاحة تلك !!!!!

لقد تعمدت أن تخرج هاتفها أمامه خلال وقوفها معه باعتيادية.. لتطلب الرقم المجهول المزعج أمامه.. و كما توقعت.. كانت دهشتها مثالية و هي تسمع صوت رنين هاتفه.. و التوتر الشديد على وجهه..

قبل أن تنزل هاتفها ببطءٍ وتغلق الخط هامسة بغير تصديق ؛

\_ إنه أنتِ إذا !!

و ما إن حاول الشرح حتى كانت تدفعه متجاوزة إياه بغضب تأرجح بكل درجاته بداخلها..

\_ لحظة.. لحظة من فضلك.. دعيني أشرح لك..

سمعت صوته يأتيها مترجياً بلهفة من ورائها.. فتطاير شعرها و هي تلتفت إليه كالصاعقة هاتفة به بغضب شديد ؛

\_ أخبرتك لا تلحقني.. ألا تفهم؟! أنا.. لا.. أريد.. أن.. أتكلم.. معك !!

حاولت أن تتجاوزه مجددًا لكن سليم قطع طريقها مجددًا و هتف برجاء ؛

\_ امحيني دقيقة واحدة.. دقيقة فقط من فضلك.. و بعدها أنتِ قرّري أن

تسامحيني أو لا !!

زفرت سيلين بنفاد صبر.. ثم زمت شفيتها بقوة و كأنها تكتم انفعالاً كبيراً.. و هذا ما كانت تحاول فعله بالضبط.. لكنها فشلت تماماً.. فرفعت أصبعها السبابة أمام وجهه هاتفة به بجنون ؛

\_هل تعلم؟! وراء وجهك البريء هذا يكمن شخص قليل الأدب و مخادع.. و... و... و متحرش.. نعم.. أنت كذلك.. و الآن ابتعد من أمامي.. لن أمنحك ثانية حتى..

شعر سليم بالظلم فهتف بقوة مدافعاً ؛

\_لكن.....

لكن سيلين قاطعته مجدداً بنفس الغضب الذي امتزج بشعور بالقهر منه ؛

\_اخرس.. لا أريد سماع أي تبرير منك.. هل تعلم بأنني بسببك ظللت لأيام طويلة أتساءل كالساذجة عن هذا الشخص الذي يبعث لي كل تلك الرسائل.. بينما أنت كنت أمامي تتكلم معي و تحوم حولي بلا خجل أو حياء.. كالمجنونة أصبحت لا أستطيع أن أفارق هاتفني إلا بعد أن تصلني الرسالة اليومية و.....

صمتت فجأة و هي تعقد حاجبها بذهول من نفسها.. مستوعبة ماهية ما كانت تقوله.. قبل أن تهتف بنفسها باستنكار ؛

\_بماذا أهذي أنا!!!!

نظرت له مجدداً نظرة جعلته يجول بعينيه في كل مكان عدا وجهها شاعراً بالعرق يلامس أطراف جبهته.. إنه يتفهمها تماماً.. يتفهم رغبتها التي تبدو واضحة من نظرتها في خنقه الآن !

عادت سيلين لتزم شفيتها بقوة و هي تقول بأعصاب مشدودة ؛

\_ابتعد..



و بالفعل ابتعد.. أفسح لها الطريق باستسلام و هو يلعن نفسه ألف مرة دون أن يملك الجرأة ليتبعها مجددًا و هو يراها تبتعد و تبتعد بخطواتها السريعة الغاضبة.. حتى اختفت تمامًا عن مجال رؤيته و بقي هو واقفًا مكانه ينظر في أثرها بأسى و حزن..

لكن من بين ثنايا الحزن و اليأس الذي تملكاه.. شقت ابتسامة جميلة جدًا شفّته و هو يتذكر عبارتها التي هتفت بها في وجهه بغير استيعاب..

" كالمجنونة أصبحت لا أستطيع أن أفارق هاتفني إلا بعد أن تصلني الرسالة اليومية و..... "

رفع راحته يربت بها على مؤخرة عنقه و كأنها طريقته في تهدئة خفقات قلبه.. بينما اتسعت ابتسامته حتى شملت وجهه كله.. لا بد أنها تكن له بعض المشاعر.. هذا واضح جدًا..

و حتى لو لم تكن فالمهم أنها أصبحت تعلم بمشاعره تجاهها.. أي أن لا شيء سيخفيه بعد الآن.. هو فقط سيحاول جعلها تسامحه.. و يكسب ودها فيما بعد..

و حُبها أيضًا.. لما لا !!!

---

كانت تقف بجانب حسانها تربت على وجهه برفق.. تمرر يدها من شعره الناعم إلى عنقه الطويل برفق.. بينما عيناها ساهمتان بعيدًا.. بعيدًا.. همست له مبتسمة بخفوت ؛

هل تعلم؟! اليوم من بين كل الأيام أشتهي أن نأخذ جولة حول كل بقعة في الأرض.. أن أجعلك تركض بي إلى أبعد مكان أستطيعه.. و لبت الإنهاك يفترسني حتى أعود مرهقة خاضعة لسلطان النوم الذي يأبى أن يزورني منذ فترة.. لكنني اليوم تحديدًا.. لن أتمكن.. ربما علينا أن ننتظر قليلًا بعد.. ما رأيك... أبيض !

كانت يدها الأخرى ترتاح فوق خاصرتها ممسدة برفق رغم التشنج الذي أصاب أطرافها من ألم الذكرى..حسرة كبيرة تستوطن فؤادها لفقده..طفلها الذي لم تخطّط و لم تتمنى أن تحمل به..

لكنها ما إن اصطدمت بالخبر المفاجئ..حتى أحبته تلقائياً.. فلم تعد تتخيل نفسها إلا أمّاً له..تحمله بين ذراعيها آملة أن يبدد عنها كل الفراغ القاتم الذي أنشأه "والده" في حياتها !!!

لكن رغم كل تلك الحسرة التي كانت تتلقفها..كانت هناك ابتسامة استسلام للقدر مرتسمة فوق شفثيها الورديتين.. ابتسامة حزينة لكنها تبقى...ابتسامة !! إنها طبيعتها القديمة المألوفة..أن تبكي طويلاً بعد كل فقد.. لتنتهي مآسيها المتكررة بمجرد...ابتسامة !!!

صوت انفتاح الباب الرئيسي الضخم جعلها تنتبه لسيلين التي دلفت فجأة بملامح حمراء متحفزة..فزفرت تنهيدة يائسة و هي تقرأ خبايا أختها الصغيرة في وجهها..

ثم بدون أن تتردد..استقامت في وقفها لتهتف منادية باسمها..بدت سيلين غير مستعدة إلى أي نقاش الآن و هي تلتفت بداية مجفلة..

إلا أنها ما إن رأتها حتى كانت تقترب بسرعة لتدور حول السياج الذي يحيط الساحة الواسعة و تتجه إليها..

\_ لا تقولي بأنك امتطيته !!!?

قالت عاقدة حاجبها بقلق و هي تنقل أبصارها بين ملامح سارة الشاحبة و الفرس الذي تحيط عنقه بذراعها..فهزت سارة رأسها فوراً بالنفي و هي تقول ببساطة ؛

\_ اهدئي يا أمي.. لا تنسي بأنني طبيبة في النهاية و أعلم ما يصلح و لا يصلح

!

عبست سيلين قليلاً و هي تهمس عاقدة ذراعيها كأم صارمة بالفعل ؛

\_ و ما هو هذا الذي لا يصلح !!؟

هزت سارة كتفيها بنفس البساطة و هي تقول معترفة ؛

\_ هل تظنين بأنك كنتِ ستجديني واقفة على قدمي أمامك لو كنت قد فعلتها!.. رغم أن كل رغبتني حالياً الهرب بعيداً برفقته..

لم ترد سيلين فوراً.. بل تنهدت بإعياء و هي تنظر جانباً بلامح لا يزال يستوطنها بعض الغضب الذي ظنت بأنه تلاشى.. فضاقت عينا سارة أمام تعبيرها و هي تهمس بتوجس ؛

\_ دعيني أأخمن.. لقد واجهتِ زميلكِ بموضوع الرسائل !

اومأت سيلين بدون أن تنظر لها.. ثم قالت تطحن أسنانها بضيق و توعده ؛  
\_ إنه هو بالفعل.. ذلك الغبي نفسه من كان يبعث لي الرسائل..

\_ إذا !!

سمعت تلك الهمسة التي خرجت على شكل سؤال فضولي من سارة التي رفعت أحد حاجبيها باهتمام.. فأرخت العقدة بين ذراعيها مكررة بتجهم ؛

\_ إذا !!!!

إلا أن سارة ظلت على نفس ملامحها.. بل و أمالت رأسها قليلاً في حركة تحثها بها على الكلام.. فزفرت سيلين بقوة و هي تهتف بغضب ؛

\_ فرغت به كل غضبي و غيظي و لم أكتفي.. أرغب في خنقه بشدة.. أو أن أقحم الهاتف في فمه و.....

\_ فرغتِ به كل غضبكِ ! هل أنتِ جادة !؟

قاطعتها سارة بهذا السؤال الذي حمل كل الإستنكار.. فهتفت سيلين مؤكدة بغضب أكبر ؛

\_بالطبع..ماذا كنت تتوقعين مني؟!..أن أبتسم بخجل كأني بلهاء تتعرف إلى شاب لأول مرة و يكتب لها الشعر ! لقد كان يستغفني..يتكلم معي باحترام و حياء بينما يبعث لي رسائل العشق و الغرام كل ليلة !! و أنا التي كنت قد بدأت أنجذب لأسلوبه المؤدب.....

صمتت حينما جذبتها سارة فجأة لتحاطبها بين ذراعيها بقوة..فاتسعت عيناها قليلاً بغباء بدون أن تبادلها و هي تهمس ؛

\_سارة!!!!

إلا أن سارة بدت في كامل هدونها و اتزانها و هي تشدد من تمسكها بها..حينما همست بنبرة غلفها شيء يشبه الحنين ؛

\_هل تتذكرين حركتك هذه معي؟! كنت كلما أفقد أعصابي تضميني بهذه الطريقة و لا تتركيني إلا و أكون قد هدأت تمامًا و استمعت لك !

ارتخت ملامح سيلين تدريجياً و ابتسمت بألفة للذكرى الحبيبة..ثم همست و هي ترفع ذراعيها لتبادلها العناق بقوة رقيقة ؛

\_نعم..و هل يعقل أن أنسى !!

شاركتها سارة نفس الإبتسامة المُستكينة لوهلة..قبل أن تبتعد أخيراً لتتظر لوجهها بحزم..ثم قالت بنبرة حنونة و هي تحتوي وجنتها برقة ؛

\_اسمعيني إذاً..

هل أخبرتها سيلين قبلاً بأنها تمتلك مهارة فائقة في ترويض غضب أيّ كان الشخص الذي يقف أمامها !!

و كأنها تتعمد تطبيق أساليب الطببية النفسية عليهم..و عليها هي خاصة !!!

ظهر بعض التوتر جلياً على ملامحها..لكنها اكتفت بالصمت و هي تنظر لسارة بهدوء نسبي..فهمست سارة بجدية ؛

\_ لا ضرر من أن تفرغي به غضبك.. فهو يستحق لسبب واحد فقط.. أنه استغفلك!.. غير هذا فأنا أشعر بأن هذا الشاب يكن لك مشاعرًا صادقة حقًا.. رسائله تحكي كل شيء بوضوح.. كما تصرفاته التي قلت عنها.. و ما أدراك بأسبابه ! ربما لأنه وجدك منيعة تجاهه لجأ إلى موضوع الرسائل ليستطيع أن يعبر لك كيفما يشاء دون أن يواجهك مباشرة.. ألم تقولي أنه شاب خجول !؟

اومات سيلين بصمت و هي تزرم شفيتها على انفعال داخلي.. فابتسمت سارة و هي تسألها بترقب ؛

\_ هل تشعرين بأي شيء تجاهه !؟

نظرت لها سيلين مجفلة للحظة.. و لم تفكر أبدًا و هي تهز رأسها نفيًا بسرعة هاتفة بحنق ؛

\_ كنت ساكن له المشاعر.. لكن فعلته الوقحة معي جعلتني أراجع..

مطت شفيتها و هي تهمس بتذمر طفولي.. رأته سارة على أنه محاولة فاشلة لإخفاء ارتباكها من السؤال ؛

\_ الغبي الأبله..

هذه المرة لم تمنح لسارة فرصة للمُماطلة في الحديث عن هذا الموضوع.. أمسكت بيدها فجأة لتقول مبتسمة بحماس ؛

\_ دعينا منه.. أنا مشتاقة بالفعل لتمضية بعض الوقت معك قبل أن تعودى مجددًا إلى العمل.. تعالي !

حاولت أن تسحبها.. إلا أن سارة امتنعت عن اللحاق بها و هي تتسمر مكانها..

فنظرت لها سيلين بعدم فهم.. إلى أن قالت سارة ناظرة إلى " أبيض " بخبثٍ خفي و براءة ظاهرية ؛

و أنا..أنا مشتاقة جدًا لتمضية الوقت معك كما في الماضي..ما رأيك أن  
تمتطي أنت أبيض بدلًا عني و أنا سأحرصك إذا ما فقدت توازنك  
فجأة...كالأيام الخوالي !

اتسعت عينا سيلين بقوة و هي تتذكر تلك الأيام التي تتحدث عنها..حينما  
كانت تجبرها سارة بحماقة لتمتطي معها الحصان..

و كانت هي تتصاع على مضمض في بعض الأحيان حتى لا تحزنها فقط..و  
ما إن تصعد فوقه و يبدأ في التحرك حتى تجد نفسها تصرخ فجأة من شدة  
الذعر و الخوف !!

أبعدت يدها بسرعة عن سارة و قالت بصوتٍ خائف قاطع بينما تهز رأسها  
بالنفي ؛

لا..لا أريد الآن..

اتسعت ابتسامة سارة و هي تمسك بيدها مجددًا ناظرة لها برجاء بينما عيناها  
تفضحان رغبتها الحقيقية في الضحك عليها حتى الجنون..

إلا أن سيلين التي تدرك رغبتها تلك..تصرفت بذكاء..فلم تنتظر و هي تبعد  
يدها مجددًا و تتراجع بضع خطواتٍ باتجاه الباب الخشبي القصير و قالت  
أثناء ابتعادها ؛

حسنًا..أنت تبدين لطيفة اليوم أكثر من اللازم..لكن لطافتك لن تشفع لنواياك  
في الضحك عليّ بكل طريقة ممكنة !

مطت سارة شفتيها هاتفة باستهانة و هي تهز رأسها بيأسٍ منها ؛

جبانة كالعادة !

لم تتأثر سيلين بهذا الوصف..بل اتسعت ابتسامتها أكثر و تألقت و هي تقول  
متمسكة بطرف الباب الخشبي الذي توقفت في حاجزه..و هتفت من مكانها  
بابتسامة خبيثة ذات مغزى ؛

\_طريقة قديمة جدًا يا سارة..لن تخدعيني اليوم و تكسبي بعض التسلية على حسابي..

ثم قالت بسرعة قبل أن تستدير مغادرة ؛

\_لا تتأخري في الدخول إلى المنزل فالبرد قارس هنا بالفعل..

راقبتها سارة و هي تبتعد بسرعة و كأنها تخشى أن تجبرها على فعل ما تكرهه بالفعل..فهزت رأسها مجددًا محرّرة ضحكتها الهادئة..ضحكة لم تستشعرها منذ وقتٍ طويل..

بينما عادت أناملها إلى مهمتها الأولى..تملس ظهر الحصان و وجهه بنعومة مفضية إليه بكل مكنونات صدرها و كأنه إنسان بقلب و عقل سيفهمها !!

---

خمس و أربعون يومًا...

مرت دون أن يلتقيا وجهًا لوجه إلا من مكالماته التي لم تنفك تتلقاها كل يوم طيلة هذه الفترة... !

نعم..فبعد أن سافرت إلى منزلها..تفاجأت به يتصل بها في اليوم التالي في منتصف الليل !

في ذلك اليوم تجمدت قليلًا و هي تنظر للرقم بتردد كبير.. قبل أن تقرّر أخيرًا أن تفتح الخط مقربة الهاتف من أذنها ببطء..هامسة بنبرة خافتة لا تنم عن شعور معين سوى الجمود ؛

\_نعم !

صوت أنفاسه المُجهدة كان الجواب في اللحظة الأولى و لعدة لحظاتٍ أخرى بعدها..قبل أن يهمس بهدوء ؛

\_كيف حالكِ !؟

لم تفهم سبب سؤاله أبدًا.. لكنها اختارت أن توهم عقلها بأنه مجرد سؤال عادي يطمئن به عن صحتها.. فهمست باختصار محتفظة بجمود صوتها ؛

\_بخير !

فقط.. و لم تستطع قول غيرها.. ليغزو الصمت بينهما لثوان طويلة اكتفت فيها سارة بأن أغمضت عينيها.. و أطبقت شفثيها بقوة و كأنها تمنع نفسها من التخاذل أمام نبرته المُتعبة.. و التي شعرت بتعبها من مكانها هذا !

و في الجانب الآخر.. أخذ جاد نفسًا عميقًا محملاً بصوت أنفاسها المضطربة.. و حينما طال الصمت قال بارتباكٍ يثير الشفقة ؛

\_أنا.. اتصلت بك لأطمئن على صحتك كونك.. خرجت من المشفى قبل الموعد المحدد...

و ها قد أكد نظريتها !! هل ظنت بأنه يطمئن ربما على... قلبها !!!

قابله صمت تام من جهتها.. ظلت فيه سارة تحاول أن تكتم أنفاسها و صوتها الذي يريد... شتمه ربما !!!

إلى أن سمعت تنهيدة جديدة حزينة منه.. همس بعدها بنفس نبرته الخافتة التي حملت بعض الإحباط ؛

\_تصبحين على خير !

همسته تلك.. جعلت رغبته السابقة تندمل بداخلها.. فهمست بنبرة مختصرة خالية من التعبير منهيّة هذه المكالمة الغريبة ؛

\_و أنت أيضًا..

و انتهت المكالمة.. مكالمة قصيرة جدًا بكلماتٍ مقتضبة لا تمت للعاطفة بصلة.. لكنها جعلتها تتسمر للحظاتٍ ناظرة للهاتف بلامح غير مقروءة قبل أن تتراجع ببطءٍ مستلقية فوق سريرها.. و امتدت يدها تضم وسادتها و هي تواجه الجدار أمامها بعينين متسعيتين لا حياة بهما..



بعد تلك الليلة.. لم تتوقع أبدًا أن يتصل بها مجددًا.. ألم يودعها في ذلك اليوم !!  
لكنه فعل.. بعد أربعة أيام تحديدًا !

و كأن الحنين الخبيث هزمه ليرغمه على نفس الشوق المضني بسماع  
صوتها على الأقل.. بما أنه لن يستطيع رؤيتها قبل فترة لا يعلمها إلا الله..  
كانت المكالمة مختصرة جدًا كالأولى.. لم يستطع خلالها أن يقول شيء أكثر  
من السؤال المعهود.. و لم تستطع هي أن تفعل أي أكثر من أن ترد عليه  
بنفس الرد المعهود !!

لنتوالى اتصالاته بعدها تباغًا.. أحيانًا يغيب لثلاث أيام أو أربع.. و أحيانًا تجده  
فجأة يتصل بها بعد يوم واحد من اتصاله السابق.. و في كل اتصال كانت  
تصارع رغبة في إغلاق الخط في وجهه..

لكن نبرة صوته الخافتة التي تحمل ندمًا و شوقًا مؤلمًا كانت تشفع له  
عندها.. و ذلك العناق الذي ألفت عليه اسم "عناق الوداع" كان يفعل بقلبها  
الأعاجيب !!

لذا و في غالب الأحيان كانت تجد نفسها بعد صراع عنيف من الرفض تجيب  
على مضضٍ.. و ما إن تسمع صوته.. حتى يتلاشى كل الرفض و يبقى الغيظ  
فقط من نفسها..

نعم.. الغيظ لأنها كانت تشعر بنفس الشوق المُتوهج لسماع صوته..

لقد تعدد أن يكرّر اتصالاته في أوقات خطّط لها حتى يجبرها على الإعتياد  
عليه فلا تعود ترتاح إلا بسماعها لرنين الهاتف يعلن عن اتصال جديد منه !!

لكنها في أحيان قليلة.. كانت تنجح بمشقة بتجاهله.. فتترك الرنين  
مفتوحًا.. صوته يثلج ذلك الجانب المُهمش بداخلها بينما هي تدعي الإنشغال  
بأشياء أخرى بعيدًا عنه.. إلى أن ينتهي الرنين و ينتهي انشغالها معه..

مدركة هي بأن لا غنى لقلبها عن حُبها فعل.. و مهما قست !

لكنها تدركُ أيضًا بأنَّ أيَّ فرصةٍ جديدةٍ بينهما بائتةٌ منعدمةٌ.. و تشكُّ بالفعل  
بأن تستطيع أن تثق به مجددًا بعد كل شيء !!!

كان صوتها باردًا في كل اتصال.. لم يلن طيلة الشهور و لو قليلًا.. متعمدة أن  
لا تظهر له أيَّ تعاطف أو ضعف في مشاعرهما رغم الضعف الذي يجتاح  
كل كيانه بضراوة..

كل سؤال منه.. يتعمد فيه أن يسألها عن صحتها.. أختها.. و أحيانًا قليلة يشمل  
أختها و أبيها فيسألها بعد السؤال المعهود عن حالها.. " و عائلتك " .. فقط !!  
كانت تدركُ بأنه يعجز عن تخصيص والدها بسؤال واحد.. إنه يعجز فقط  
مهما حاول !!!

لتجيبه هي بنفس الطريقة.. باختصار شديد و نبرة لا تحمل عاطفة معينة لعله  
يشعر بالملل و يتوقف عن السؤال عنها متقمصًا شخصية العاشق المعذب  
المشتاق !! إلا أنه للعجب لم يتوقف !!

بل كان يتصل مرارًا و تكرارًا و أصبحت اتصالاته في أوقات عشوائية و  
فترات متقاربة بمرور الأيام.. و كانت هي فقط.. تشعر بالدهشة تبتلع  
ملامحها بعد كل اتصال جديد !!!

لكن الدهشة الحقيقية.. هي ما شعرت به ذات مرة حينما وجدته يغرق في  
الصمت بعد سؤاله البديهي عن حالها.. ليهمس فجأة بنبرة جعلت القلق يتسلل  
إليها ؛

\_سارة !

كانت نبرته غريبة.. مختلفة بشكل جعل حاجبيها ينعدان ببطءٍ و حذر.. ثم  
همست بخفوت ؛

\_نعم ؟!!

ذلك الصمت الجديد الذي ساد بينهما.. جعل عقلها يتنبأ تلقائياً بماهية ما يريد قوله.. و بالفعل.. همس لها بصوت متباعد.. متباعد جداً ؛

\_ هل.. هل هناك أمل في عودتنا سوياً؟!!

شعرت بأنه صفعها بهذا السؤال المفاجئ.. فتراجعت قليلاً ناظرة للسماء الحالكة السوداء في ليلة ممطرة.. و تمسكت يدها بحاجز شرفة غرفتها حيث تقف.. ثم همست بصوتٍ غامض كغموض الليل الساحر من حولها ؛

\_ لا أعلم !

ظنت بأنه سيتوقف عند هذا الحد.. إلا أنه عاد ليسألها بتردد شديد.. بنبرة طفل صغير يطمئن بأن هناك احتمالية لاسترداد حضن أمه المفقودة بعد أن عاش طفلة حياته في دار أيتام !

\_ و هل.. هل هناك احتمالية لتسامحيني؟! بل هل تشعرين أنك قادرة على... مسامحتي.. يوماً ما؟!!

في تلك اللحظة.. أرادت أن تلقي عليه سؤالاً ملحاً..

" ألم يكن ذلك العناق الذي منحتك فيه روعي ذلك اليوم عناق وداع؟! ألم تقل بأنك ستتوقف عن استمالتني و تتركني أتخذ كل قراراتي بشأننا بنفسني!! ماذا أصابك إذا!! ما بالك تعجز عن الوفاء بوعدك معي في كل مرة!!!! "

إلا أنها في النهاية.. اكتفت بأن زفرت نفساً طويلاً.. ثم قالت فجأة ؛

\_ أنا.. أنا أشعر بالنعاس.. تصبح على خير..

و أغلقت الخط فوراً.. غير مفسحة له المجال للسؤال أكثر حول الموضوع الذي يجعلها تشعر بأن قلبها يتفتت منهاراً تحت قدميها..

و كم كانت لردة فعلها تلك وقع جاد عليه.. بحيث اختفى بعد ذلك الاتصال بالذات لعدة أيام تعدت الفترة المعتادة التي يغيب فيها.. إلى أن تلقت اتصالاً جديداً منه.. سألها فيه نفس السؤال البائس..

" كيف حالك اليوم؟! "

و تعمد أن لا يتطرق للموضوع الموجه مطلقاً.. إلا أن نبرته كانت باهتة  
بطريقة أمتها.....بشدة!

عادت من شروذ ذكرياتهما الليلية و هي تركز سيارتها الفارهة أمام البناية  
حيث يقبع منزلها الدافئ لتتنزل بعد يوم عمل طويل..

لقد عادت قبل أسبوعين بالضبط إلى منزلها هنا.. لكنها لم تبدأ العمل إلا قبل  
أسبوع واحد.. فقد وجدت نفسها بعد أن عادت غير مستعدة لا نفسياً و لا  
جسدياً لتداوم في العمل..

لهذا فقد كان الأسبوع الأول بمثابة فترة استراحة لها أمضته ما بين كتبها و  
التلفاز أحياناً..

و في أحيان أخرى عندما كان يغلبها الشعور بالضجر.. كانت تستقل سيارتها  
لتدور و تدور بها في كل أنحاء المدينة من الأماكن التي تخطر على بالها..  
و كأنها فقط تستمتع بتلك الوحدة التي كانت تحتاجها لتصفي ذهنها المشوش  
و "بحريتها" التي عادت لها أخيراً!.. و ما بين مكالماته التي لم يتوقف عنها  
!!!

لا تستطيع حتى الآن أن تنسى لهفته التي كست نبرته و هي تخبره بأنها هنا  
في نفس المدينة حيث يعيش هو.. و حيث جعلها تعيش لمدة فترة في منزله  
الذي تنفّر منه.. أي أن ما بينهما لم يعد سوى مسافة قصيرة جداً يقطعها  
بسيارته ليجد نفسه أمام منزلها..

الحقيقة أنها لم تكن تريد إخباره.. إلا أنه ما إن سألها عن حال سيلين كعادته  
في كل مكالمة و كأنها تعيش مع سيلين فقط في ذاك البيت الكبير.. حتى  
وجدت نفسها تنفّر من فكرة الكذب.. فاعترفت بأنها لم ترها منذ أيام قليلة..

لكن لهفته تلك.. لم تؤثر على نبرتها الثابتة و هي تؤكد بأنها هنا فقط لأجل العمل لا لسبب آخر لعله يفهم رسالتها المشفرة في عدم محاولة رؤيتها خلال هذه الفترة بالذات..

وقد وصلته رسالتها بالفعل.. فهو حتى الآن لا يزال يتصل بها و يتكلم بطبيعية دون أن يحاول أن يأخذ الإذن منها ليلتقيها !!

فتحت الباب لتدلف إلى منزلها و تغلقه خلفها بهدوء.. فلم يستقبلها سوى السكون الذي تعودته في آخر فترة.. ضغطت الزر في طريقها مشعلة الضوء في المكان.. ثم ارتمت فوق الأريكة و هي تتفقد الهاتف في يدها باهتمام..

تعلم بأنه اتصل قبل يومين فقط.. لكن ربما... يغلبه الشوق فيتصل مجددًا !!  
عمومًا ذلك خياره.. هي فقط.. لديها من الذوق ما يمنعها عن تجاهل مكالماته المتكررة بكل فظاظة لم تتميز بها يومًا.. لهذا هزت كتفيها بلا مبالاة و هي تلقي بالهاتف بجانبها على الأريكة الأثيرة بإهمال..

ثم وقفت بخفة لتتجه إلى غرفتها الصغيرة الدافئة رغم صقيع الأجواء خلال هذا الفصل البارد.. أما الغرفة الأخرى فكانت فارغة أغلب الأوقات.. تحتلها سيلين كلما زارتها..

أزاحت ذلك الشريط الأسود المحيط بشعرها المرفوع على شكل ذيل حصان أنيق كما اعتادت أن تجمعها في آخر فترة.. فلا مزاج لها فعلاً للإهتمام به و ترتيبه..

لهذا كانت تكتفي بأن ترفعه بهذا الشكل أو تتركه منسدلاً بعفوية غير مهمة بتصنيفه.. مكتفية بأن تثبت نظاراتها الشمسية في مقدمته لتهدب خصلاته الناعمة إلى الوراء..

ثم خلعت حذاءها بآلية قبل أن تتجه إلى الخزانة لتختار لأجلها بعض الثياب.. دلفت بعدها للحمام لتختفي خلفه لدقائق..

إلى أن خرجت منه مرتدية فستانًا بيئيًا رقيقًا.. كان فستانًا أبيضًا يتجاوز  
ركبتها قليلاً.. بحمالتين رفيعتين فوق كتفها..

اتجهت إلى المرأة من فورها و هي تحمل في يدها منشفة أخذت تجفّف بها  
خصلات شعرها البنية بهدوء..

لكنها تسمرت تمامًا و انقشع الهدوء من ملامحها حينما وقعت عيناها على  
صورتها..

أنزلت يدها ببطءٍ تاركة المنشفة تقع منها بإهمال و هي تقترب أكثر ناظرة  
إلى انعكاسها بقلق.. و قد كان هناك خيط رفيع من الدماء أخذ ينساب من  
تحت فتحة أنفها ببطءٍ.. كما حدث لها في المرات السابقة تمامًا !!!

لم تطل صدمتها كثيرًا.. فقد ابتلعت ريقها شاعرة بالقلق الشديد و هي تلتقط  
مندبلاً قماشياً من العلبة الموضوعة فوق المنضدة لتشرع في مسح أثر الدماء  
برفق بينما تهمس لنفسها بحزم ؛

\_\_حسناً يا سارة.. أظن بأن الأمر لم يعد طبيعياً بعد.. عليك أن تتصرفي  
بسرعة !

رن جرس الباب فجأة.. فالتفتت مجفلة.. لا بد أنه عامل توصيل البيتزا.. فقد  
طلبتها قبل دقائق عبر الانترنت.. همت بأن تتجه إلى الباب لكنها عادت و  
أمسكت بسترتها الصوفية الزرقاء لترتديها فوق القميص..

و لم تنسى أن تحمل بعض الورقات النقدية في يدها و هي تتجه إلى الباب  
إلى أن فتحته بهدوء..

كان هناك شاب في مقتبل العمر يقف هناك مرتدياً قميصه الخاص بعامل  
التوصيل.. فابتسمت سارة ببعض التحفظ و هي تأخذ منه طلبيتها و تقدم له  
الورقات النقدية هامسة بخفوت ؛

\_\_شكراً لك..

او ما لها الشاب بأدب و هو يلتفت ليرحل.. فتراجعت خطوة تهم بإغلاق الباب.. إلا أنها توقفت قبل أن تفعل و هي تسمع بغير تصديق ذلك الصوت الذي تعرفه حق المعرفة و لا يمكن أن تخطأ به أبدًا..

بحيث قال موجهًا حديثه إليها بنبرة مميزة ؛

\_ أنا أقترح بأن نتشاركها سويًا.. ما رأيك !؟

تجمدت سارة مكانها تمامًا.. و اشتد ضغط أناملها على طرف الباب الذي تتمسك به تلقائيًا.. ثم التفتت ببطءٍ لتقابله.. و قد كان يقف هناك بالفعل.. إنه هو بأم عينه.. كيف عساه أن لا يكون هو !!!

بينما أضاف جاد متمسكًا بنبرته التي بدت متساهلة بشوشة بشكل غريب اليوم ؛

\_ أقصد... الأكل على انفراد يجعل من الإنسان شخصًا انطوائيًا !

لم تتفاعل سارة مع نبرته التي بدت مازحة ظاهرية.. لكن في باطنها كان هناك اشتياق عاصف و خفقات ترتعش بأعماق قلبه الذي غلفه الحنين..

لكن ما جعل عينيها هي ترتعشان كما جوارحها.. تلك الابتسامة التي كانت مرتسمة على شفثيه بهدوء و كأنه خلق بها.. ابتسامة لم ترى مثلها منذ فترة طويلة..

تشبه ابتسامته التي كانت تأسر دقات قلبها في الماضي و تجعل أطرافها تترنح كالريشة في مهب الريح..

حتى شكله كان مختلفًا.. بدا بعيدًا كل البعد عن أناقته المعهودة.. كان يرتدي بدلة رياضية منزلية رمادية.. بينما يغرق يديه في جيبي بنطاله..

ذقنه التي لا تزال مهذبة نمت بقدر قليل زادت و سامة في عينيها.. و خصلات شعره الحالكة القصيرة كانت تبدو فوضوية المظهر..

و كأنه استيقظ فجأة من نوم عميق ليستقل سيارته و يأتي إليها بدون سبب.. بدون عذر..

كان بسيط الشكل و التعبير بشكل ساحر.. و عجزت هي عن الكلام لوقتٍ طويل أمام عينيه..

ما تعرفه و تدركه جيداً.. بأنها اشتاقت له !! كيف يمكنها أن تشتاق إليه إلى هذا الحد بعد الأسى الذي جعلها تحياه بسببه !!!

أما هو.. فقد كانت كلمة "اشتياق" ضئيلة المعنى جداً أمام ما يشعر به.. لم تدر و هي تتأمله كالحمقاء غير مستوعبة بأنه أيضاً كان يتأملها.. يغتنم فرصة صدمتها الثمينة برؤيته في تأملها كما يشاء..

هل فقدت القليل من وزنها؟! نعم.. يستطيع أن يلاحظ ذلك !!!

تنهد تنهيدة طويلة.. طويلة جداً و هو ينظر لملامحها الشاحبة الجميلة.. كشخص كان ميتاً بالفعل و قد دبت الحياة مجدداً في قلبه بمرآها..

مرآى صاحبة العينين الناعستين اللتين تجعلان توازن قلبه يضطرب بجمودهما أحياناً.. و رقتهما في أحيان أخرى.. عيون القهوة !!!!

استطاعت سارة أن تتمالك نفسها أولاً.. فهمست بكلماتٍ خرجت غير ثابتة تماماً رغماً عنها.. بينما "عيون القهوة" كما وصفهما برزت في جوفهما نظرة جادة و بريق خفي من قسوة شكّ بأنه سينقشع في يوم ما ؛

\_\_ ما.. ماذا تفعل هنا؟! !!!



## "الرمق العشرون؛ لفحة مشاعر"

\_ ما..ماذا تفعل هنا؟!\_

شعرت بارتباكها واضحا من عينيه..و عجز عن استيعاب سؤالها في الوهلة الأولى و هو يترك لنفسه الحرية في تأمل كل إنش من وجهها البهي.. إلى أن تنحني أخيرا..فقال و هو يخرج إحدى يديه من جيب بنطاله ليحاك بها طرف جبهته ؛

\_ الحقيقة أنني...كنت مختنقا قليلا ففكرت بأن أخرج ليلفحني نسيم الهواء قليلا..بقيت أدور و أدور بسيارتي لأجدني فجأة...أقف أمام بيتك! !

صمت للحظة ثم استأنف متنهداً باستسلام و صدق ؛

\_ لم أستطع أن أتمالك نفسي من أن لا أصعد و أراك !

لم تبدو سارة مقتنعة أبداً بكلامه غير المنمق..فاتسعت ابتسامته بقدر ضئيل و هو يقابل الصمت منها..قبل أن يرفع أحد حاجبيه بترقب هامساً ؛

\_ حسناً..يبدو لي أن وجودي غير مرحب به..هل أغادر؟!!!

نظرتها التي رمقته بها بعد هذا السؤال..جعلت من ابتسامته تتسع و تتسع أكثر حتى كادت أن تتحول إلى ضحكة..و هو يرى تلك العقدة المعبرة بين حاجبيه..

و قد احتلت عينيها نظرة "المحقق كونان" حينما يكون في طور البحث عن كل سبيل يقوده إلى الحقيقة و الباطل !!

فلم يستطع إلا أن يهز رأسه متفهماً و هو يفتح فمه ليعتذر عن هذه الزيارة المفاجئة و يغادر..

إلا أن كل ما خرج منه.. عطستان متتاليتان.. فنظرت له سارة بقلق و هي تنتبه الآن فقط إلى أنفه الذي كان محمراً بدرجة ملحوظة و ملامحه بارهاقها الواضح و غير المؤلف إليها.. قالت بنبرة استطاع أن يقرأ القلق فيها رغم هدوءها ؛

\_ هل أنت مريض !!؟

أخرج منديلاً من جيب بنطاله و هو يرفعه إلى أنفه بينما يهمس بجذل ؛  
\_ إذا كان هذا سيجعلني أحظى بالقليل من اهتمامك مع هذا القلق الذي يؤطر حدقتيك.. فنعم... أنا مريض !

شعرت سارة و كأنه أهانها بهذا التعليق.. فقالت معترضة باندفاع في نفس اللحظة ؛

\_ لست قلقة أو ما شابه.. أنا فقط.....

توقفت مجفلة حينما خرجت منه عطسة جديدة جعلت ملامحه تزداد إجهاداً.. فزفرت بيأس و هي تتراجع خطوة لتفسح له مجال الدخول هامسة باستسلام ؛

\_ أدخل !

ارتفع حاجباه بدهشة قليلاً.. لكنها لم تكن سوى ثانية واحدة و لم تجعله يتردد في الدخول.. فقد تجاوزها بمنتهى البساطة ليمر من جانبها و يدخل بصمت.. توقف في منتصف الصالة ناظرًا حوله بهدوء إلى هذا المنزل الذي دخل إليه لمرة واحدة من قبل.. تلك المرة التي شهدت فقدان لطفه و... حبيبته !!

تاقت عيناه على نفس المكان و كأن نفس المشهد يتكرّر أمامه بشكل وهمي.. بينما هي تتراجع مذعورة لأول مرة منه إلى أن يرتطم ظهرها بالجدار الذي نال من قبضته عدة ضربات..

لتسقط حبيبته أمام عينيه مختنقة الأنفاس و تغادر مستغلة غيابه في  
المطبخ..ثم ذلك...الحادث !!!

صوت خطواتها التي اقتربت بثباتٍ بعد أن أغلقت الباب جعلته يتنبه و يخرج  
من تلك الذكرى الكئيبة..قبل أن يسمع صوتها الذي خرج فارغًا لا يزال  
بعض الجمود القديم يتخلله ؛

\_ اجلس !

بدت و كأنها تأمره أمرًا..فنظر لها للحظة و هي تقف بجانبه..قبل أن يمثل  
لطلبها و يتقدم بهدوء إلى أن جلس على أقرب أريكة منه..و لم يستطع أن  
يمنع عينيه من أن تراقبها بينما تقترب بنفس الهدوء لتضع العلبه فوق  
الطاولة..

قالت و هي تدقق النظر بلامحه المتعبه بنبرة لا تحفره على الجدل معها في  
أيّ كان ما تود قوله !

\_ هل تحب أن تشرب شيئًا؟!

استغرق جاد بضع لحظات في النظر لها بغير تحفظ.. يتأملها بحرية و كأن  
هذا حقه الطبيعي..و ما إن فتح فمه.. وجدته يهمس مبتسمًا ببعض الشرود ؛

\_ ستكون أول مرة أذوق فيها شيئًا من صنع يديك!

أتبع كلامه بعطسة أخرى..فتهدت سارة بقوة و هي تقول ببعض الرفق ؛

\_ تستطيع أن تستلقي قليلًا ريثما أحضر لك كأسًا من الليمون..

همّت بأن تذهب إلى المطبخ..لكنه فاجأها بأن همس ببساطة ؛

\_ربما بعض الحساء الساخن من صنع يديك قد يفني بالغر.....

داهمته عطسة أخرى منعه عن إكمال جملته..و تلك المرة..عجزت سارة  
عن منع ابتسامه يائسة من الطفو فوق شفثيها..لكنها نجحت في كتمها بسرعة  
ما إن رفع رأسه إليها..ثم قالت بجديّة تامة ؛

حَسَنًا..أنت فقط التزم بالصمت حتى لا تسوء حالتك أكثر !

استدارت فورًا لتتجه إلى المطبخ محرّرة ابتسامتها و هي تعلم بأنه لن يتمكن من رؤيتها الآن..و قد خسرت في المقابل فرصة رؤية ابتسامته التي اتسعت بعد جملتها الأخيرة !

دقائق قليلة استغرقتها سارة في المطبخ..كان التعب و الصداع يتضاعف برأسه في كل لحظة منها..ترجع بارهاق ليستند بظهره إلى طرف الأريكة بينما قدماه تعزفان فوق الأرض لحناً رتيباً و هو يحاول أن يتمسك بوعيه.. فهو يعلم بأنه ما إن يستلقي حتى يأخذه النوم على غفلة مع هذا التعب الذي يشعر به..و هو لا يريد أن ينام..هو فقط يكفيه أن يشبع عينيه بالنظر إلى وجهها البهي لعل هذه اللحظات الثمينة تنسِف شوق الشهور الأليمة الماضية !

الحقيقة أنه لم يكذب..فكما قال..هو وجد نفسه يتوقف فجأة أمام بنايتها كما كان يفعل طيلة هذان الأسبوعين الماضيين..منذ أن علم بأنها هنا بالضبط..و هو يشعر بأن هناك شيء ناقص..

كيف يمكنها أن تكون هنا..في مدينته..بجانبه و لا يراها حتى و لو من البعيد !!

لكن حظه السيء لم يسمح له برؤيتها صدفة و لو لمرة واحدة..فكان يبقى جالساً لساعاتٍ طويلة يراقب بنايتها..

أحياناً يرى ظلها من خلف النافذة الصغيرة لغرفتها..بينما تتحركُ هنا و هناك..

و أحياناً تتوقف خلفها متأملة السكون المهيمن ليلاً بهدوء.. فيضطر لأن يتوقف في ركن بعيد يسمح له برؤيتها بدون أن تراه..بدون أن يتجرأ على الصعود إليها أبداً !!!

إلا اليوم.. اليوم فقط تجاهل كل ذرة من تعقل كانت تأمره بأن يحترم رغبتها في عدم رؤيته.. ليجد نفسه يندفع بدون تردّد ليصعد إلى شقتها بدون أن يستقل المصعد.. يصعد الدرجات الطويلة بتمهل..

ربما كان سيتراجع لو وجد الباب مغلقاً.. لكن و كأنما كل الظروف تواطئت معه فوجد الباب مفتوحاً و هي تقف في إطاره متمسكة به تبتسم ابتسامتها الهادئة الرصينة لعامل توصيل "البيتزا" ..

فكيف يعود أدراجه ببساطة دون أن يراها و يتكلم معها !

انتبه لها و هي تقترب أخيراً.. تحمل في يديها صينية صغيرة وضعتها فوق الطاولة.. كان فوقها صحن الحساء الذي طلبه و فنجان قهوة آخر يبدو بأنه لها..

و بالفعل فقد جلست على الأريكة المقابلة له و هي تحمل الفنجان لتقربه من فمها مرتشفة بأناقة..

تنهد بخفوت و هو يمد يديه ليمسك بالصحن الخاص به.. ثم رفعه إلى فمه و تذوق منه ببطء.. كانت عيناه على عينيها بصمت..

عيناه مصرتان على اقتحام أعماقها بخبث.. و عيناه هادئتان لا تفصحان عن أيّ مشاعر معينة.. إلى أن ظهرت ابتسامة ثقيلة على شفثيه همس بعدها بلطف ؛

\_رائع.. سلمت يداك..

اومات له سارة بصمتٍ كجواب على تعليقه ذاك.. لكن نظراته أبت أن تتركها فشعرت ببعض الإرتباك الداخلي ينتابها من فكرة أنه يتعمد ذلك..

قبل أن تنزل القدرح من يدها لتضعه فوق الطاولة.. و ساد الصمت و هي تنتظره بصبر إلى أن انتهى من احتساء ما طلب منها إعداده.. حينها فقط كانت تفتح فمها لتقول بنبرة عادية ؛

كيف تشعر الآن؟!

لم تتلاشى ابتسامته الأنيقة على نحو خاص هذا اليوم و هو يهمس بلطف بعد  
أن أعاد الصحن إلى مكانه ؛

أفضل..

هزت سارة رأسها قليلاً بتفكير عميق.. ثم قالت بجدية ؛

حسنًا.. أنا لست مقتنعة بالسبب الذي قلته قبل قليل.. لماذا أنت هنا؟!

تنهيدة ثقيلة خرجت من بين شفتي جاد.. و صمت قليلاً قبل أن يرد محدقًا في  
عينيها بكل صدق ؛

لأنني... اشتقت إليك !

لم تظهر على ملامح سارة أيُّ علامة لتأثرها رغم بعض الإضطراب الذي  
نال خفقات قلبها.. فأكمل جاد بما يشبه الاعتذار ؛

أعتذر إن كنت قد تخطيت حدودي قليلاً و خالفت كلامي الذي قلته ذلك  
اليوم !

ذلك اليوم فقط !!

" هل هناك كلام أو وعد التزمت به حتى الآن !!! "

ذلك هو السؤال الذي مر في عقلها بشكل خاطف و هي تسمعه.. لكنها لم تدعه  
يتخطى حدود أفكارها.. و قالت مبتسمة بسخرية دون أن تستطيع منع نفسها ؛

حدود ! منذ متى كان جاد مراد يخضع لأيُّ قواعد أو حدود !!!

لم تتوقع أبدًا إجابته تلك.. حينما قال بجدية تامة قاطعة.. تاركًا عينيها على  
عينيها و كأنهما مستقره الوحيد الذي لا بديل عنه في العالم بأكمله ؛

منذ أن تصالح مع دقات قلبه و بدأ ينصاع لأوامرها.. منذ أن علم قيمة ما  
لديه و تعلم كيف يحافظ عليه جيدًا.. كيف يحميه من نفسه حتى إذا تطلب

الأمر..منذ أن بدأ يفرق ما بين الصواب و الخطأ..و مشاعر الحُب و  
الكره..منذ أن فتح عينيه على حقيقة نفسه و.....

توقف فجأة و هو يرفع المنديل إلى أنفه فجأة ليعطس بقوة..عطسة غبية بددت  
سِحْر الموقف..تبًا إنه يقسم بأنه رأى بعض التأثير يلامس عينيها !!  
بينما أمامه..هزت سارة رأسها مستسلمة و هي تسمح لابتسامتها التي كانت  
أقرب إلى ضحكة يائسة بالظهور أمامه أخيرًا..و بادلها هو الابتسامة و هو  
يشعر بالتعب ينال من جسده أكثر..

و ساد صمت قصير جديد..همس بعده و هو يقف فجأة ؛

\_عمومًا..سأذهب الآن..شكرًا على الحساء..و على السماح لي.....بالدخول  
!!

قال آخر كلمة بنبرة مميزة..فراقبته سارة بينما يلتفت على وشك الرحيل..و  
قد كانت ستسمح له..لكن قلبها -المريض- بحُبه منذ زمن بعيد لم يطاوعها في  
أن تسمح له بقيادة السيارة و هو بهذا التعب..

فقالت فجأة قبل أن تستطيع تمالك نفسها ؛

\_لا أظن بأن حالتك تسمح لك بالقيادة في هذا الوقت من الليل..إذا لا بأس من  
أن تمضي الليلة.....هنا !

تسمر جاد مكانه غير مصدقًا..ثم التفت لينظر لها يحاول أن يستشف حقيقة ما  
سمعه..إلا أن ملامحها كانت لا تزال هادئة كما رآها حينما أتى..و مع ذلك  
فقد أشارت له بحركة من ذقنها ليجلس..

حينها لم يجد بدءًا من أن يلبي رغبتها بكل رحابة..فطرف بعينه للحظة  
بغباء..ثم و بكل ثقله..ارتدى فوق الأريكة مجددًا..يشعر بنفسه غير قادر  
بالفعل على تحمل طريق القيادة في هذا الليل رغم قصره من منزلها إلى  
منزله..

كانت عيناها زائغتان قليلاً.. و قد زاد شحوب وجهه.. و بدون أن يشعر.. وجد نفسه يتراجع أكثر في الأريكة حيث يجلس إلى أن أصبح شبه مستلقياً على طرفها بينما عيناها تنسدلان ببطء..

إلى أن أغمضهما بسلام و عمّ الهدوء في كل أرجاء البيت..

ظلت سارة جالسة مكانها تراقبه بصمت لدقائق طالت.. تنظر إلى عينيه المنسدلتين بضعفٍ حقيقي و قد برز الوهن على ملامحه الوسيمة بشكل أكثر وضوحاً و هو نائم بهذا الشكل.. و في هذه الوضعية غير المريحة..

كم كان يبدو مختلفاً ما بين يقظته و نومه.. يتراءى لها كطفل صغير يحتاج إلى حنان يبدد عنه كل غربة السنين التي عاشها بعيداً.. الآن فقط تتمنى لو تغير قدرها..

ماذا لو لم يحدث أيُّ خلاف بين والدته و أبيها ؟ ماذا لو لم يعد والده !! ماذا لو كان قد تخلى عن كرامته و لو قليلاً و لجأ إليهم في أحلك لحظات حياته !!

ليته.. ليت القدر كان رؤوفاً قليلاً مع قلبيهما.. لكان عاش كل بؤسه بين أحضانها.. و هي كفيلة بنسف كل الضياع و الألم و الحقد من قلبه..

ألا يقولون بأن الحُب لا يخضع للكبرياء !!! و هو اعترف من قبل بأنه يحبها.. لقد أحبها دائماً.. لماذا لم يلجأ لها إذًا ؟!! لماذا لم يفعل ؟!! ليته فعل !!!

تنهدت بقوة و هي تقف من مكانها لتدور حول الطاولة إلى أن توقفت أمام ملامحه الساكنة.. و لم تستطع أن تمنع يدها من أن تمتد إليه برفق لتعدل من وضعية استلقاءه بصعوبة قليلاً..

قبل أن تقع عيناها على قدميه المُستقرتين فوق الأرض.. و ترددت طويلاً و هي تنقلهما بينهما و بين وجهه..

لكن بعض الذكريات التي غزت عقلها من الفترة التي عاشها سويًا في منزل واحد.. عندما كان لا يوفر جهدًا ليهتم بها رغم برود العلاقة بينهما.. خاصة في لحظات ضعفها و مرضها..



جعلتها تتحني قليلاً لترفع قدميه فوق الأريكة..

قبل أن تتوجه إلى غرفتها و تعود بعد لحظة تحمل في يدها غطاءً سميكاً.. و  
نالها نفس التردد للحظات.. قبل أن تتخفّض ببطءٍ ليس إلا لتدثره جيداً..

كان وجهها قريباً من وجهه و هي تتمسكُ بطرف الغطاء بكلتا يديها فوق  
صدره العريض الذي احتواها ذات ليلة بعيدة تتمنى لو تمحو ذكراها من  
عقلها..

عندما تفكر قليلاً.. تجد بأن سيلين كانت محقة في تعليق واحد قالته بعد فقدانها  
لابنها..

" لعله خير ! "

و إلا كيف كان سينمو طفلها الحبيب بطبيعية في وسط حياة كهذه !! كيف  
كانت ستخبره بأنه لم يكن ثمرة حب تغنى به قلب أمه المُرهِف طويلاً.. بل  
ثمرة حقد قديم و انتقام خبيث أراد أبيه أن يقتنصه من روحها !!!

شعرت بأنفاسها تضطرب بقوة من هذا القرب.. فابتلعت ريقها و هي تحت  
نفسها على الوقوف أخيراً..

إلا إنها ما كادت تفعل.. حتى تفاجئت بيديه تمتدان من الفراغ لتمسكان  
بمعصميهما فجأة بشكل جعل من عينيها تتسعان و أطرافها تنفض..

لكنها عادت تزفر بارتياح و هي تنظر لوجهه لتراه مغمض العينين لا يزال  
غارقاً في النوم..

مهلاً... هل هو نائم بالفعل !!؟

شعرت بالقلق يجتاحها مجدداً و هي تحرّر يدها بحذر من ضغط يده لتلمس  
بها جبهته.. و حينها انعقد حاجباها بعض الشيء و هي تشعر بالحرارة التي  
تتلقّف كل وجهه تنتقل إلى قلبها..

تحركت بسرعة تنتوي الذهاب إلى غرفتها لتحضر مسكناً ما يخفض درجة حرارته التي لم تكن مرتفعة كثيراً.. إلا أن ضغط يده اشتد و اشتد و رفضت أن تتركها..

فتمسكت بأنامله تنوي إبعادها.. إلا أن همسة غريبة من صوته الذي ارتفع فجأة أوقفتها ؛

هل تعلمين ماذا اكتشفت ؟!

نظرت لملامحه الساكنة و عينيه المغمضتين بنفس الطريقة.. ثم ابتلعت ريقها للمرة التي لا تدري كم و هي تحت نفسها على تجاهل همسته تلك.. فهو يبدو و كأنه يهذي.. و هي لا تريد أن تستغل ظرفه هذا فتجعله يبوح بما لن يبوح به و هو واع !!

إلا أنها عجزت.. لقد عجزت فقط.. فوجدت نفسها بدون أن تشعر تهمس بصوتٍ مضطرب لم يرتفع عن الهمس ؛

ما.. ماذا ؟!

صمت قصير ساد من طرفه تأكدت خلاله بأنه يهذي حقاً.. و بأنه ربما لم يسمعها أساساً.. إلا أنه فاجئها و هو يستأنف بذات نبرته الخافتة.. الخافتة جداً ؛

يأبني كما كان الجميع ينعتني في الماضي.. كنت "مجنوناً" .. وأحتاج إلى علاج !

أغمضت سارة عينيها بإرهاق.. ها هو ذا يمارس طقوسه الفعالة في إضعافها مجدداً.. حتى و هو نائم مريض يهذي.. يجيد فنون العزف على أوتار روحها المكلومة بكلماته !!

سمعت صوته يأتيها مجدداً في نفس درجة الخفوت ؛

و هل تعلمين كيف تعالجت ؟!

عادت تفتح عينيها ببطءٍ لتقابل عينيهِ المنسدلتين.. ثم همست بصوتٍ ضعيف  
و هي تستسلم ليده تاركة ركبتيها تلامسان الأرض ؛

كيف ؟!!!

شعرت برغبة قوية في الهرب منه في تلك اللحظة.. تريد أن تبتعد عنه.. عن  
تأثيره.. عن عينيهِ و كلماته.. عن صوته الذي يخترق كيانه كما يخترق  
الظلام شمس المغيب فيقتلها مؤقتاً..

و بالفعل سمعته يستأنف بأكثر نبرة صادقة سمعتها في حياتها ؛

كنت كلما أحكي لك عن جزء من ماضي أشعر بحمل ثقيل ينزاح عني و  
راحة غريبة تسكنني بعدها فوراً.. كان يبرد قلبي و أنا أشارك  
معاناتي.. أشارك شخصاً ما معاناتي لأول مرة!.. الشخص الوحيد الذي  
استحق أن يرى دموعي و ضعفي!.. كان الكره يندحر أكثر في زاوية بعيدة  
ليطفو فوقه الحُب و الرغبة في انتزاع كل مشاعر الحقد و الإنتقام من  
داخلي! شيئاً فشيئاً بدأ وجه أمي يتوارى خلف وجهك.. يتداعى و  
يتداعى.. تمتزج ملامحكما سوياً فلا أعود أفهم نفسي أو عقلي.. لقد كنت  
تشبهينها.. ورثت عنها كل رقتها و نعومتها و تأثيرها !! لاحقاً تيقنت بأنني لم  
أعد أريد سواك من هذا العالم.. شعرت بالفراغ و أنا أتذكر كيف آذيتك.. هذا  
الفراغ الذي أصبح ألماً يعتصر قلبي كلما تذكرت ذلك اليوم و تلك الرسالة..  
ليتحول من مجرد ألم إلى ندم شديد.. إلى كره شديد تجاه نفسي.. رأيت نهايتي  
في عينيك كلما راودني هاجس أنك ستتركيني يوماً ما.. و اختفى هذا الهاجس  
و أنا احتضن جسدك الفاقد للحياة بعد أن دهستك تلك السيارة دهساً أمام  
أبصاري..! كانت لحظة واحدة.. اللحظة الفاصلة في حياتي و أنا أدرك بأنني  
أمضيت كل حياتي أركض خلف رغبة تافهة في الإنتقام الذي اكتشفت بأنه لم  
يكن انتقاماً حتى.. بل مجرد -ذنب عظيم- اقترفته في حق نفسي قبل أن يكون  
في حقك.. ذلك اليوم بعد أن طلبت السماح منك شعرت بسكينة لم أشعر بها  
يوماً.. إنها سكينة الإعتراف بالذنب و طلب الغفران! حتى لو لم أناله فأنا  
راض تماماً بهذا الشعور الذي أجر به لأول مرة.. شعور أنني شخص طبيعي

تمامًا.. قادر على طلب الغفران كما على ارتكاب الذنوب.. أنا شاب عادي فقد  
أمه على غفلة لكنه لم يفقد نفسه بعد... و لن يفقدها !

مع نهاية كلماته.. كان هناك سيل من الدموع ينساب ببطءٍ حارق فوق  
وجنتيها.. و بدلًا من أن تنجو بنفسها تلك المرة و تبتعد.. وجدت يدها التي  
على صدره تنغلق حول قميصه معتصرة بقوة.. تريد أن تضربه لكنها تشفق  
على حالته المسكينة هذه..

و كأنه قاتل ماجور يتلذذ بتعذيب ضحاياه قبل وضع النهاية المناسبة لكل  
منهم.. كان يتعمد تعذيب قلبها ببطءٍ.. لكن الفرق هنا.. أن النهاية كتبت مسبقًا  
بيديه هو !!!

ظنت بأنه انتهى من... تعذيبها !!

إلا أنها وجدته يهمس متممًا بنبرة أكثر خفوتًا... إرهاقًا.. و عمقًا ؛

و بهذه الطريقة أنا تعالجت من أوهامي المريضة على يد "دكتورتي  
النفسية".. لهذا فقط... أنا أريدك أن تعلمي... بأنني... أحبك بشدة... أيتها  
-الدكتورة- الماهرة..... !

كان صوته ينخفض أكثر تدريجيًا مع نهاية كلامه إلى أن صمت تمامًا.. و  
سكن المكان من حولها مجددًا.. تاركًا قلبها المسكين يضج و يضج بالألم  
السحيق..

لم تشعر بيدها التي عادت ترتفع ببطءٍ.. تقربها من وجهه.. و كادت  
تلمسه.. إلا أنها في اللحظة الأخيرة.. توقفت على بعد إنشات من ذقنه.. و  
أغمضت عينيها على نفس ثقيل متهدج و كأنها لمستته بالفعل.. و كأنها تلمسه  
الآن..

إنها.. إنها تشعر بالعجز الشديد.. عاجزة عن تحديد ماهية مشاعرها.. كل ما  
تدركه هو تلك الرغبة القوية التي تملكها في أن تسمع المزيد و المزيد من  
اعترافاته..

تقابلها رغبة أخرى على النقيض تمامًا !

تتمنى إرجاع الوقت لساعة واحدة فقط.. ساعة واحدة فقط لتغلق الباب في وجهه و لا تسمح له بالدخول لكي لا تسمع منه كل هذا الكلام بهذا الصدق الذي يزيد في عذاباتها... يزيد في آلامها !!

ألم تعترف أمام نفسها حتى قبل لحظة بأنها فقدت القدرة على تحديد ماهية مشاعرها !!

حاولت أن تستجمع نفسها أخيرًا.. و نجحت بصعوبة و هي تحرّر يدها من يده بسهولة الآن بعد أن سكن جسمه تمامًا و كأنها مجرد "فورة مشاعر" استهدفتها سويًا و انتهت !!

وقفت مكانها تتامله طويلًا.. قبل أن ترفع يدها لتبعد كل أثر بائس للدموع عن عينيها.. مستوعبة الآن فقط بأنها.. كانت تبكي بالفعل !

وقعت عيناها على علبة " البييتزا " فوق الطاولة فابتسمت ببساطة و هي تشعر بأنها شبعت بالفعل.. فكلماته أوفت و زادت !

فتوجهت إلى غرفتها بصمت و دلفت مغلقة الباب خلفها.. و قد تناست أن تتفقد درجة حرارته مجددًا بعد كلماته تلك التي فعلت بقلبها المستحيلات.. حينها فقط.. كان يفتح عينيه ببطء لينظر إلى السقف بابتسامة حزينة.. لكنها تمتلئ بالرضا.. كل أنواع الرضا الداخلي من نفسه..

لا.. لم يكن يهذي ! بل كان في وعيه التام و هو يقول كل كلمة عجز عن قولها مباشرة أمام عينيها !!

لذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة ليصف كل مشاعره بدون أن يضطر لمواجهة عينيها اللتين قد تضعفانه و تجعلانه يتراجع قبل أن يقول كل ما يود قوله..

أو أن تقاطعه في منتصف كلامه..حينها لن يصبح للكلام معنى و لن يصلها  
بالطريقة التي يريد..و يتمنى..كما وصلها الآن !!

---

تلكأت أناملها فوق نفس الدفتر حيث دوّن عنها المحاضرات ذات مرة..بينما  
كانت عيناها حائرتان تنظر حولها في كل مكان تقريباً و هي تحاول أن تتأكد  
من أنه غير موجود فعلاً..

لقد تغيب لمدة يومين كاملين بعد أن اعتادت رؤيته كل يوم دون أن تتكلم معه  
أو تمنحه الفرصة حتى ليتكلم معها..

حسناً..تعلم أن ردة فعلها كانت قاسية..قاسية جداً..و عقابها له بالإنقطاع تماماً  
عن التواصل معه لمدة طالت جداً كان أقسى..

لكنها هي هكذا..لطالما أحببت الصدق و الوضوح و هو اعتمد معها أسلوب  
المراوغة و الخداع !

فكيف تثق به بعد أن استغفلها بهذه الطريقة الغبية !؟

حسناً..ربما الموضوع ليس موضوع -ثقة- تماماً..لكنه يجب أن يتعلم  
الدرس..حتى إذا ما فكر مجرد التفكير باستغفالها مجدداً يتذكر هذه الأيام..

إنها متأكدة من أنه يجبها..و تعلم أنه ليس من النوع المراوغ العابث..هو فقط  
لا يعرف كيف يعبر عن حبه..لهذا اعتمد الطريقة الخطأ و لم يدفع الثمن أحد  
غيره !

أحياناً تشعر بالشفقة عليه..فهو رغم انجذابها له إلا أنها لا يمكن أن تطلق  
على مشاعرهما ما يسمى -حُب-..أما هو فيبدو و كأن حبها قد خلق معه !!

تكاد تلمح نظراته الحزينة المستعطفة كلما رمقته بنظرة خاطفة أثناء  
الحصص..و تكاد ترى في عينيه رغبته و لهفته للكلام معها..لكنه يجد نفسه  
متردداً في كل مرة أمام نظراتها الصارمة التي ترمقه بها..

الحقيقة أن الوضع رغم غرابة تفكيرها راق لها كثيرًا !

و تود لو تصرخ في وجهه أكثر و أكثر كلما اصطدمت به بالصدفة لكي تستمتع بالنظر لملامحه الهادئة بالفطرة و هي تتلون بكل ألوان قوس قزح.. من شحوب وجهه و احمرار أذنيه و هو يحاول بكل جهده أن يستميلها إليه ليفصح لها عن كل مشاعره و أسبابه التي جعلته يبعث لها الرسائل بدل أن يعترف لها مباشرة..

كانت هناك ابتسامة ساذجة بدأت ترسم فوق ملامحها.. و تاهت عيناها حتى بدت كبلهاء في منتصف الفصل.. تستند بمرقها إلى الطاولة و تسند ذقنها بمؤخرة القلم الذي تقبض عليه بين أمامها.. غافلة تمامًا عن ما يقوله الأستاذ.. حتى انتفضت فجأة على صوت هتاف الأستاذ الحاد ؛

\_ أنسة سيلين !!!!

رفعت رأسها و هي تنزل يدها كالمسوعة تمامًا.. بينما التفتت كل الوجوه إليها على صيحة الأستاذ الذي يبدو أنه تعب من مناداتها ليصرخ بهذه الطريقة.. فانعقد حاجباها و هي تحاول التزام الهدوء و الثقة و قالت مخاطبة الأستاذ ؛

\_ أستسمح... أنا متعبة اليوم قليلاً.. هلاً سمحت لي بالخروج !؟

نظر لها الأستاذ مندهشًا من تحويلها للأمر بهذه الطريقة.. فقد كان ينوي أن يسمعها من فضاظة لسانه على شرودها بهذا الشكل أثناء القاءه للدرس.. لكنها هزمته بثقتها على ما يبدو.. فاضطر لأن يوميء ببطء و هو يقول على مضض ؛

\_ تفضلي !

وقفت سيلين و هي تشعر بالإختناق..ثم سرعان ما بدأت تجمع أغراضها من فوق الطاولة و كتبها لتعلق الحقيبة الدراسية الأنيقة فوق كتفها و تتجه إلى الباب مغادرة بهدوء..

كانت تشعر بالضجر و هي تقف أمام باب الجامعة و لا رغبة لديها في العودة للمنزل..فتنهدت و هي تعبر الشارع لتجلس فوق أحد الكراسي في الحديقة المقابلة للجامعة..

كان المكان شبه فارغًا إلا من بعض الهمسات التي كانت تأتي من الكرسي المجاور لكرسيها من بعض الفتيات..و صوت عزف جميل جدًا أطرب مسامعها..

لكنها لم تستطع تبين مكانه بالضبط..ربما يجلس صاحبه خلف أحد الأشجار هنا..

رن هاتفها فجأة فأخرجته من جيب سترتها لتبتسم تلقائيًا و هي ترد بمرح ؛  
\_انظروا من اتصل بي..هل خطرت على ذهنك بالصدفة يا ترى !

قابلها صمت تام من الجهة الأخرى بعد همستها..إلا من صوت أنفاس كانت متحشجة متسارعة..متهدجة بشكل جعلها تعقد حاجبها شاعرة بعدم الإرتياح..همست بقلق ؛

\_سارة !! هل أنت بخير !؟

أصبح صوت الأنفاس المتكسرة أكثر وضوحًا..بدون أن يأتيها أيّ جواب من سارة..فاشتدت عظام وجهها بتشنج تكاد أن تفقد صبرها..إلى أن أتاها صوت..يشبه صوت سارة...يشبهه فقط !

\_أنا..أنا أحتاجك !

سمعت هذا النداء بصوت أختها المختنق..فاضطرب قلبها جزعًا و هتفت فجأة بخوف ؛



\_ ما..ماذا حدث؟! هل أنتِ تبكين؟! هل فعل لكِ جاد شيئاً؟! سارة أجيبني  
!!!!

يا الله !! هل هي مزحة غريبة !!!!

أم أن أختها تتعمد قتلها بسادية بهذا الصمت.. لكن هذه المرة لم يكن الصمت تاماً.. بل سمعت صوت نشيج مكتوم و باتت الشهقات الخافتة واضحة تخترق أذنيها بقوة..

فوقفت بانفعال لتتهتف مجدداً بخوف أكبر بينما تغرس أناملها بين خصلات شعرها تكاد أن تقتلعها من جذورها لشدة التوتر الذي نالها في أقل من دقيقة؛

\_ قولي أيّ شيء أرجوكِ سارة !!! لماذا تبكين؟! هل أنتِ بخير؟!!

و أخيراً هناك جواب.. سمعت صوتها يهمس بضعف.. بضعفٍ شديد!

\_ أنا بخير.. بألف خير.. أنا فقط.. أريدكِ بجانبني.. أريدكِ بجانبني يا

سيلين.. أرجوكِ !!!

رمشت سيلين بعينيها و هي تبتلع ريقها بصعوبة.. تشعر بقلبها يكاد أن يهفو ليتسلل عبر خطوط الهاتف و يطمئن على أختها.. إلا أنها في وضعها كان أقصى ما استطاعت فعله هو أن همست بحزم؛

\_ غداً تجدينني بجانبك!

أغلقت الهاتف بتردد.. قبل أن ترتمي مجدداً فوق نفس المقعد الذي شاركها كآبتها.. ظلت تنظر أمامها لعدة لحظات بصمتٍ بينما الهاتف في يدها تعتصره شاعرة بالقلق ينهش قلبها..

لمحت فجأة ذلك الظل من خلف أحد الأشجار الصغيرة.. إنه نفس المكان من حيث تنبعث الموسيقى !!

شعرت بالفضول يكتنفها لرؤية وجه هذا العازف المبدع.. فوقفت ببطءٍ  
لتقترب من ذلك الظل الظاهر من خلف أحد الأشجار القصيرة هنا.. كان  
صوت الموسيقى يزداد ارتفاعاً في أذنيها كلما اقتربت..

إلى أن توقفت بجانب الظل.. و لمحت صاحبه !!!

كان يجلس مستنداً بظهره و رأسه إلى جذع الشجرة ورائه بينما يعزف  
الغيتار بتناغم مغمضاً عينيه و كأنه شخص خارج عن هذا العالم.. منفرد  
بنفسه و إلهامه الوحيد صورة لأنتى ساحرة الجمال تخصمه منذ فترة  
طالت...

أكثر مما يستطيع التحمل !

ازدردت سيلين ريقها ببطءٍ و هي تنظر له بذهول.. تتساءل بداخلها عن ماهية  
هذا الشاب ! ما الذي يجعله يترك حصص دروسه و هو المعروف باجتهاده  
بين الطلاب.. ليجلس هنا منعزلاً وحيداً يعزف !

حسناً.. و ما شأنها هي به !!؟

فليترك حصصه أو يرسب حتى ما همها !!!!

هزت رأسها بحزم و كأنها تؤكد الفكرة مع نفسها قبل أن تلتفت تهم بالذهاب  
بالفعل.. إلا أن صوته الهادئ الرصين أوقفها فجأة ؛

\_ لا بد أنك تتساءلين أيُّ معنوه هذا الذي يترك دراسته لينفرد بنفسه هنا ! و  
الجواب هو كالتالي.....

رفع رأسه لينظر لعينيها الذاهلتين مباشرة.. و قال مبتسماً بهدوء ؛

\_ نعم يا سيدتي.. أنا مريض بالحُب !

ارتخت ملامح سيلين قليلاً بدون أن يتلاشى الذهول منها.. و برزت فوق  
زاوية شفيتها ابتسامة ساخرة متفاجئة و هي تقول ؛

\_ عجباً ! أين راح خجلك !!؟

أجفلت قليلاً حينما وقف فجأة بخفة حاملاً غيتارته معه.. ليهمس لها بخفوتٍ  
مجيباً سؤالها الذي نسيته فور أن نطقته ؛

\_ نصحني أحدهم أن أتحلى ببعضِ الدم و أتوقف عن كوني مخادعاً بعد  
الآن..وها أنا أستمع لنصيحتته و أقول لك بكل صدق بأنني.....

اقترب بوجهه من وجهها قليلاً فتراجعت سيلين تلقائياً بوجهها أيضاً و هي  
تسمعه يهمس بصوتٍ عميقٍ رغم احمرار أذنيه الذي كشف خجله و توتره ؛

\_ أنني أحبك يا " وجه البدر " !

لم يكذب يتم جملته..حتى كانت عيناها تتسعان استنكاراً..و تلك المرة..اكتسح  
الإحمرار وجنتها هي..ثم قالت بذهول ؛

\_ هل تتحرش بي ؟!!!!!!

هز سليم رأسه بالنفي بكل بساطة و هو يقول بينما يتراجع المسافة التي  
اقتربها بوجهه ؛

\_ لا..أنا أكون واضحاً كما نصحتني فحسب !

\_ نصحتك بماذا ؟!!!!

هتفت باستنكار فهي لا تتذكر أنها نصحته بشيءٍ مشابهٍ إلا من تلك الكلمات  
التي رمتها في وجهه و كانت توبخه لا -تنصحه- !

هزت رأسها و هي تنظر له عابسة بشدة رغم الشعور الغريب الذي اندلع في  
قلبها بسبب كلمته التي نطقها بكل بساطة... " أحبك " !

ثم استدارت عنه تنتوي الذهاب للمرة الثانية..لكنه مجدداً عاد يوقفها بصوته  
هائفاً من وراءها قبل أن تبعد ؛

\_ أنا واقع في مأزق !!

تسمرت سيلين مكانها.. و على الفور شعرت بخطواته تقترب منها.. فالتفتت  
ناظرة له بعدم فهم.. قبل أن تهمس بجمود و فظاظة ؛

\_إِذَا؟!!!\_

قال سليم بنبرة اكتست بعض الحزن ؛

\_أبي اختار لي فتاة و يريد أن يخطبها لي !

ارتفع حاجباها فوراً.. و توترت ملامحها قليلاً أمام نبرة الحزن بصوته.. لكنها  
جاهدت لتظهر بمظهر الفتاة غير المبالية فعقدت ذراعيها أمام صدرها و  
قالت رافعة ذقنها بترفع ؛

\_و ما شأني أنا؟!!!\_

نظر لها سليم بدهشة جعلتها تشعر بالتوجس من نفسها.. ثم قال يرفع حاجبيه  
بنبرة المسلم به ؛

\_شأنك أنني رفضت فوراً و أخبرت والدي بأنني أحب فتاة أخرى !

حرّرت سيلين ذراعيها من عقدتهما و هي تنظر لوجهه بعدم فهم بدأ يتحول  
تدرجياً لإدراك.. إلا أنها قالت من بين أسنانها ؛

\_للمرة الثانية.. ما شأني أنا؟!!!\_

ابتسم سليم ابتسامة ساجرة في هدوءها و رصانتها.. بينما عيناه بنظراتهما  
اللطيفة تحتوي عينيها العابستين بهيام و قال بنبرة خاصة ؛

\_أنتِ الفتاة التي أخبرته عنها بأنني... أحبها !

---

وضع فنجان القهوة الساخن الذي أعده لنفسه فوق الطاولة الزجاجية.. ثم  
استدار حولها ليجلس فوق الأريكة الوثيرة بينما حاسوبه الخاص أمامه..

و ما إن فتحه ليبدأ العمل عليه بينما يرفع كوب القهوة ليرتشف منه الرشفة الأولى حتى احتلت شفثيه ابتسامه دافئة و هو ينظر لصورتها التي تنير شاشة حاسوبه..بل الأصح التي تنير كل حياته !

تنهد و هو يتذكر تلك الليلة قبل -أربعة أيام-..الليلة التي أمضاها في منزلها..نفس الليلة التي كانت الحد الفاصل بالنسبة له بين " جاد الماضي " و " جاد الحاضر " !

لقد كانت ليلة جميلة جدًا لن ينساها أبدًا رغم أن لا شيء كان يميزها..فقد أمضى الليلة فوق الأريكة و استيقظ صباحًا ليغادر قبل أن تستيقظ حتى.. و رغم لهفته عليها و رغبته الشديدة في رؤيتها..لعله يستشف موقفها بعد كلماته الصادقة من ملامحها الحبيبة...إلا أنه فضل ألا يزعجها أكثر.. ربما وجوده يشعرها بالضغط و هذا ما شعر به تلك الليلة لهذا أثر الرحيل و رحل بالفعل قبل أن تستيقظ..

و ها هو يجلس وحيدًا مجددًا بعد أن لم يجد القدرة بعد على الإتصال بها مجددًا لسمع صوتها الذي قد يضاعف من عذاب قلبه و رغبته في لقاءها كل مرة يتذكر فيها أنها هنا..معه..بنفس المدينة..

كانت صورة قديمة نسبيًا لها..ربما في أيام دراستها..التقطها لها ذات مرة و هو يراقبها..و قد بدت خلاصة بثوبها الأسود الرقيق ذو الياقة الأنيقة..

تسند مرفقها إلى حاجز نافذة سيارتها الصغيرة آنذاك بينما عيناها تحدقان في البعيد و هي تخرج رأسها من النافذة..لم يعد يتذكر سبب توقفها هناك ذلك اليوم..ما يتذكره فقط هو شعوره..

مزيج من اللفة و الحب و التآلق اجتمع بقلبه..و لم يشعر بنفسه إلا و هو يخرج هاتفه ليلتقط لابتسامتها الهادئة أجمل صورة !!

سمع صوت جرس الباب يرن فجأة فرفع رأسه بسرعة.. ثم تأقّف و هو يقسم  
بأنها لو كانت لارا فسيطردها دون أن يهتم لا لمكانة والدها في حياته و لا  
لشفقته التي تجعله لا يزال يتحاور معها أحيانًا على مضض..

تقدم من الباب بخطواتٍ ساخطةٍ إلى أن فتحه باندفاع يعد نفسه للصراخ بها  
لو نجح توقعه.. إلا أنه ما إن استوعب هوية الزائر حتى.....تسمر..تسمر  
تمامًا !!!!

فأمام الباب كانت تقف زوجته..-سارة-.. لكنها لم تكن تشبه سارة...أبدًا !  
فقد كانت حدقتها البنيتان متورمتان بشدة..يؤطرهما احمرار الإجهاد ليخبره  
بوضوح بأنها بكت...طويلاً..طويلاً.. لكن لما ؟!!!!

تقف أمامه..بالكاد تقف متهدلة الكتفين..تمسك بحقيبتها البيضاء الأنيقة التي  
تلامس الأرض بإهمال..و في يدها الأخرى هاتفها..توقفت عيناه بقلق  
متضاعف على تلك الحركة..بحيث كانت تعتصر الهاتف بين يدها بأنامل  
برزت مفاصلها..تبدو كمن يكابد انفعالاً قوياً جداً..

قبل أن ترتفعان إلى وجهها مجدداً..و راقب بتركيز مفقود سيل دموعها التي  
كانت لا تزال تسقط هادئة كجريان المياه في نهر أجوف..

أما أنفاسها..فبدت متناقلة مرهقة أكثر منها..و رغم ذلك فقد بدت من نظرتها  
و عينيها الغائرتين و كأنها...و كأنها على وشك الموتِ اختناقًا !!!

وجد نفسه يندفع إليها هاتفًا بفرع شديد بينما يقبض بيديه على كتفيها بقوة ؛

\_ماذا حدث ؟! لماذا تبكين ؟!!!!\_

لم تهتم سارة بإجابة سؤاله..بل همست بنبرة بدت غريبة على مسامعه بينما  
الدموع متجمدة بلا انفعال فوق وجهها ؛

\_هل ستبقيني أمام الباب ؟!\_

أجفلت ملامحه للحظة.. ثم لم يتردد و هو يترك كتفيها ليمسك بمعصم يدها التي تقبض على الهاتف و يسحبها نحو الداخل.. أغلق الباب خلفه بسرعة قبل أن يلتفت إليها مجددًا بقلق شديد أهوج..

كان ينتظرها بصبر أن تتكلم.. مرغمًا نفسه على السماح لها بلحظة تستعيد فيها أنفاسها قبل أن تجيب.. إلا أنه بدل ذلك.. وجدها ترفع ظاهر يدها الحرة إلى عينيها لتشهق باكية بقوة.. أمامه !!

الجنون هو ما شعر به و هو يحرق بها بعينين متسعيتين بشدة.. بينما انغلقت قبضة يده الحرة حول نفسها بقوة عنيفة.. عنيفة جدًا.. و كأنها حركة يمنع نفسه من خلالها من احتوائها في أعماق قلبه.. حتى قبل أن يفهم ما يحدث !!

إلا أن العجز الخبيث نال منه.. و شعر بقلبه ينزف ألمًا.. فاشتد ضغط أنامله على معصمها الذي كان لا يزال متمسكًا به بدون أن يشعر.. قبل أن يسحبها إليه بقوة إلى أن ارتطم رأسها ب صدره و رفع ذراعيه يحاوطها بينهما بشدة.. و كذلك اليوم تمامًا في المشفى.. لم يتلقى منها أي امتناع اليوم.. بل ظلت تبكي و تبكي على صدره و كأنه رمال قلبها الدافئة التي لا غنى لها عنها.. فأطبق جفنيه بقوة و هو يستند بذقنه إلى قمة رأسها..

يستشعر ذراعيها أثناء تشبثها بقماش قميصه المنزلي في حركة تشبه الهوس.. و دموعها التي بللت صدره لتتحم قلبه ممزقة كل ذرة قوة يمتلكها في الصبر بعد..

لذا و ما إن شعر بصوت بكاءها يخفت تدريجيًا و حدة شهقاتها تخف حتى كان يقبض على كتفيها برفق إلى أن نظر إلى وجهها..

قبل أن يتمسك بيدها مجددًا ليسحبها معه بغاية دفعها للجلوس فقط..

همس لها بخفوتٍ و هو يلمس جانب وجهها المبلل بينما يجثو أمام الأريكة حيث جعلها تجلس ؛

\_ سأعود في الحال..

ثم وقف ليتجه إلى المطبخ سريعاً و يعود حاملاً في يده كأساً من الماء..هم  
بأن يمدّه إليها..إلا أنها كانت ترتجف بشدة.. كل شيء فيها  
يرتجف..يذاها..عيناها..شفتاها..كل شيء..

قبض على ذقنها برفق و هو يقرب الكأس من فمها ليجعلها ترتشف منه  
بتأني..ثم وضعه فوق الطاولة بسرعة قبل أن يرتفع قليلاً إلى أن أصبح  
يشاركها الجلوس فوق الأريكة..

و التفت إليها مجدداً سائلاً بحزم شديد ؛

\_الآن أخبريني..ما الخطب !!؟\_

رفعت سارة أناملها المرتجفة لتمسح بقايا دموعها بصمت.. فهتف جاد بنبرة  
منخفضة لكنها تحمل شيئاً من الحدة الممتزجة بقلق هستيري ؛

\_سارة !!!\_

لم يجفلها نداءه..فقد رفعت رأسها ببطءٍ لتتنظر له بعينيها المحققتين  
بشدة..فانحنى حاجباه حزناً و ألمًا عليها..و لم يجد بداً من أن يمد يديه للمرة  
الثانية اليوم ليقرّبها من صدره محتويًا ضعفها الغريب اليوم بحنان..

بينما ارتفعت أنامله تتخلل خصلات شعرها الناعمة مُمشطة بذات الرفق..و  
سألها بصوتٍ حاول أن يودعه أكبر قدر من الهدوء ؛

\_قولي شيئاً أرجوك ! هل ضايقتك أيُّ أحد ؟!\_

لم تجب سارة للحظات..قبل أن تحرك رأسها بالنفي فوق صدره الذي هو  
أكثر مكان كانت في حاجة إليه اليوم..فزفر جاد و هو يقول بحيرة ؛

\_ماذا حدث إذاً ؟!!!\_

كانت عيناها غامضتان الآن و هي تنظر إلى صورتها في شاشة الحاسوب  
أمامها بلا تعبير تقريباً..و طال صمتها حتى كاد أن يختنق بانفعاله..قبل أن  
تهمس فجأة بصوتٍ فارغ ؛



\_ أَلَمْ تَطْلُبْ مِنِّي أَنْ أُؤَمِّنَكَ فَرَصَةً أُخْرَى... ذَلِكَ الْيَوْمَ!؟!

اتسعت عينا جاد تلقائياً فور سماعه لهذا السؤال غير المتوقع.. لكنه لم يتكلم.. بل عقد حاجبيه بشدة ينتظرها أن تستأنف بتركيز و لهفة شديدة..  
و استأنفت بالفعل.. همست بحسم يناقض نبرة صوتها المبحوحة بينما ترفع رأسها نحوه لتقابل عينيه بهدوء غريب ؛

\_ أَنَا سَأُؤَمِّنُكَ !

---

## "الرمق الواحد والعشرون؛ هدوء"

\_ أنا لا أفهم حقًا ما سبب سفركِ المفاجئ هذا !!!

هتف فؤاد بغضب و هو يقف أمام سيلين التي كانت قد وضبت حقيبتها و  
نزلت لتقف أمامه و تخبره بكل رصانة بأنها ستسافر اليوم إلى سارة.. بقرار  
غريب منها بالطبع و بدون أن تستشيرها..

أخذت نفسًا عميقًا و هي تقول مقنعة بثبات ؛

\_ ليس هناك سبب مهم يا أبي.. أنا فقط اشتقت لسارة كثيرًا.. كما أن ضغط  
الدراسة و هذا الروتين اليومي أصبح يشعرني بالإختناق.. ألا يحق لي أن  
أحظى أنا أيضًا بإجازة قصيرة أسترد فيها طاقتي !؟

زفر فؤاد بغير رضا و هو ينظر حوله بضيق للحظة.. لكنه لم يلبث أن اقترب  
منها مستسلمًا ليضمها إلى صدره هامسًا بتنهيده ؛

\_ بلى.. يحق لك.. يحق لكما كتناكما بالسفر إلى مدينة أخرى.. واحدة لأجل  
العمل و الأخرى لأجل أختها نفسها.. و كأن هذا جزائي أن أبقى وحيدًا في  
هذا البيت بعد هذا العمر الطويل !

رفعت سيلين رأسها بسرعة و هي تهمس ممزحة بشقاوة ؛

\_ تؤ تؤ.. من قال هذا ؟!! أساسًا أنا سأذهب لأجرها من أذنها و أعيدها إلى  
هنا في أقرب وقت.. هون عليك يا عسل..

نظر لها فؤاد عاقدًا حاجبيه بدهشة.. قبل أن يكرّر باستغراب ؛

\_ عسل ؟!! و تجرين أختك الكبيرة من أذنها !!!

رفعت سيلين أحد حاجبيها بجذل و هي تردف ؛

\_ و لما لا أفعل ؟!!

لكن شجاعتها الزائفة زالت ما إن رأت والدها يخرج هاتفه فجأة معقبًا بجذل  
مثلها ؛

\_حسناً إذا.. دعيني أخبرها قبلاً بما ينتظرها لعلها تخجل من نفسها و تعود  
ل.....

أمسكت سيلين بالهاتف بسرعة لتنزله عن أذنه و تغلق الخط قبل أن يرن  
حتى بينما تقول بسرعة ؛

\_على مهلك يا أبي.. من قال بأنني سأفعل !!

نظر لها فؤاد مضيئاً عينيه بشكٍّ دون تختفي ابتسامته.. فقالت بمسكنة و هي  
تشير إلى وجهه بيدها ؛

\_أنظر.. حتى في هذه النظرات تتشابهان.. و أنا الوعاء المسكين الذي تفرغان  
فيه غضبكما.. ابنتك تشبهك تمامًا.. هل تظن بأنني أستطيع ان أرفع صوتي  
أمامها حتى !!

هزت رأسها بقنوط مع نهاية كلامها.. بينما ضحك فؤاد و هو يهز رأسه بقلة  
حيلة و يعيد الهاتف إلى جيب بنطاله.. فزفرت سيلين بارتياح و هي تقترب  
منه هذه المرة هي لتحضنه بقوة مودعة إياه بكلماتٍ حاولت أن تكون  
مختصرة حتى لا تقع فريسة لأسئلته مجددًا.. و خرجت أخيراً...

ما إن تجاوزت الباب الرئيسي للمزرعة حتى تسمرت مكانها قليلاً و هي  
تنظر لذلك الكيان الذي كان يقف مستنداً إلى سيارة فارهة ورائه بينما يعقد  
ذراعيه امام صدره ناظرًا حوله بملل..

هذا الملل الذي اختفى تمامًا و هو يلمحها فجأة.. فاستقام بسرعة ناظرًا لها  
بلهفة استطاعت من مكانها تمييزها في عينيه.. انعقد حاجباها ببعض الدهشة  
و هي تقترب منه بهدوء إلى أن توقفت أمامه هاتفه باندھاش ؛

\_ماذا تفعل هنا !!!؟

رفع سليم يده ليحكّ مؤخرة عنقه كما اعتادت أن تراه يفعل دائماً حينما يتوتر..و الحقيقة أنه دائم التوتر..على الأقل معها !

ثم همس يصنع ابتسامة إقرار ؛

\_\_الحقيقة لم أستطع أن لا أراكِ قبل أن تسافري..فكرت أنه لربما..ربما تحبين أن.....

\_\_أحب ماذا؟! و من أعطاكِ عنوان منزلي؟!!

قاطعته سيلين بنفس نبرتها التي جعلت التوتر يكتسحه أكثر..فنظر إلى المنزل بنظرة تقييمية طويلة..قبل أن يزمر شفثيه قليلاً هامساً بضحكة بلهاء ؛  
\_\_في الحقيقة لا أظن بأنه من العدل أن تطلقى عليه اسم "منزل" فقط..إذا كان هذا هو شكله من الخارج..لا بد أنه كالجنة من الداخل !

عقدت سيلين ذراعيها أمام صدرها و هي تتركّ الحقيقة من يدها لتقول رافعة حاجبيها بنفاذ صبر ؛

\_\_شكراً لك..و الآن أريد جواباً من فضلك !!

هذه المرة لم يماطل في الرد..بل هز رأسه بخفة ليجلي تفكيره ثم قال بسرعة و هو ينظر لعينيها ؛

\_\_هل تسمحين لي بأن أرافقكِ..أقصد..أقلكِ..أقلكِ إلى حيث تريدين الذهاب؟!!

نظرت له سيلين للحظات بصمت..قبل أن تهمس بعدم فهم ؛

\_\_أنا لست ذاهبة للتسوق لنقلني..أنا سأسافر..هل تفهم؟! سأسافر !

اوماً سليم بتأكيد و هو يقول بسرعة ؛

\_\_أعلم..لكن على حد علمي فإن المدينة ليست بعيدة كثيراً عن هنا..

\_\_من قال ذلك؟!!

سألت رافعة حاجب التحقيق الخاص بها و بسارة في أوضاع مشابهة.. فأفلتت  
منه ضحكة صغيرة و هو يقول محرّجًا ؛

\_ خمنت فحسب !

ضيقت سيلين عينيها ناظرة له بتدقيق و كأنها تحاول فهمه.. لكنها لم تستفد  
شيبًا فقالت فجأة ؛

\_ و لماذا ستبذل كل هذا الجهد و ترافقني إلى مدينة أخرى؟! هل ستترك  
دراستك أيضًا من أجلي !

\_ أنتِ أيضًا تتركين دراستك !

قال باندفاع.. فتنهدت سيلين و هي تردف بصدق ؛

\_ لا أتركها.. ألم تكن ستدون المحاضرات عني!! ثم إن الإمتحانات النهائية  
لن تبدأ قبل أسبوعين..

لم يجب سليم فقالت مجددًا بجدية ؛

\_ كيف عرفت عنوان منزلي؟!!

هز سليم كتفيه ببساطة و هو يقول بهدوء بينما يشير إلى المنزل تلقائيًا ؛

\_ سؤال يجيب نفسه.. هذا ليس أيّ منزل.. إنها مزرعة السيد "فؤاد الغالي"  
المشهوره... كيف لن أعرفها !

حسنًا.. جواب مقنع جدًا !

لانت النظرة بعيني سيلين قليلًا و هي تهز رأسها بتفهم.. لكنها ظلت محتفظة  
بجديتها و هي تردف ؛

\_ إذًا.. ألم نتفق أنني لن أطلعك على رأيي إلا بعد أن أعود !

\_ نعم..

قال سليم بصدق.. فعادت تسأله بنفس نبرتها ؛

\_ لماذا كسرت الإتفاق إذا؟!\_

تنهيدة طويلة هربت من بين شفثيه جعلت توازن أنفاسها يضطرب قليلاً.. ثم همس و هو ينظر جانباً و كأنه يعجز عن قول ما سيقوله لعينيها مباشرة ؛  
\_ أخبرتك لم أستطع أن لا أراك قبل أن تسافري ! هذا أمر خارج عن إرادة عقلي !

اضطربت ملامح سيلين قليلاً و هي تطرف بعينيها ناظرة له بغباء.. ثم قالت تحاول أن يكون صوتها جاداً ؛

\_ و هل أنت متعود على رؤيتي كل يوم مثلاً !!

\_ ليس الأمر كذلك.....

أجابها و هو يلتفت إليها باندفاع.. ثم تنهد بقوة ليهمس بهدوء ؛

\_ أنا لم أكسر الإتفاق.. و لن أحاول أن أتكلم بموضوعنا أبداً.. أنا فقط أريد أن أقلك إذا وافقت طبعاً !

زفرت سيلين و هي تنقل أنظارها بينه و بين حقيبتها بيأس قبل أن تهمس بحيرة ؛

\_ أنا لا أفهمك حقاً !

قال سليم بنفس هدوءه و قد تلاشى توتره تماماً ؛

\_ ما الذي لا تفهمينه؟!\_

قالت سيلين بجدية ؛

\_ ستقلني.. اتفقنا إذاً.. لكن أين ستقطن أنت؟! هل ستقلني و تعود مسافة

الطريق مجدداً إلى هنا؟! لا أفهمك حقاً !!

ابتسم سليم و هو يجيبها باتزان ؛

\_ لن أفعل.. الحقيقة أنني أيضاً إنسان.. أحياناً أحب أن أكسر الروتين و أفعل شيئاً جديداً.. كما أنني أملك عدة أصدقاء في مدن مختلفة.. و حتى لو لم يكن فأستطيع أن أستأجر غرفة بفندق و أجلس القدر الذي شئت.. دون أن أزعجك طبعاً... ماذا قلت ؟!

ظلت سيلين تنتظر له بصمتٍ للحظاتٍ طويلة.. و بادلها النظرات بصمت أيضاً.. رغم البريق الخاطف الذي كان يظهر في عينيه و هو ينتظر جوابها بصبر.. يتمنى ان يكون كما يتمناه..

إلى أن هزت رأسها فجأة لتهمس فاتحة كفيها باستسلام ؛

\_ ماذا أقول !!؟

انخفضت قليلاً بغاية الإمساك بحقيبة السفر الصغيرة الخاصة بها.. لكن يدها تجمدت فوق مقبضها عندما امتدت يده تلقائياً ليحملها عنها.. لكنه بدلاً عن ذلك لمس يدها !

شعرت بأنفاسها تتسارع فجأة.. و رفعت رأسها قليلاً لتتأمل لعينيه القريبتين من عينيها جداً لدرجة جعلتها ترتبك مبتلعة ريقها بصعوبة.. قبل أن تبعد يدها بسرعة كالمسوحة..

\_ آسف !

كانت عيناها على حركة يده التي أغرقها في جيب بنطاله و هي تسمع همسته تلك.. قبل أن ترفع عينيها نحوه مجدداً حينما سألها بنبرة استئذان ؛

\_ هل تسمحين لي ؟!

اومات سيلين ببطءٍ كشخص منوم مغناطيسياً.. فمنحها سليم ابتسامة لطيفة و هو يخرج يده من جيب بنطاله ليحمل حقيبتها إلى أن وضعها في صندوق السيارة.. سيارته هو !

و ما إن استقام محدقًا بها بنفسِ ابتسامته.. وجدت نفسها غير قادرة على منع  
نفسها من الهمس بتوتر ؛

\_هل...أستطيع أن أثق بك؟!\_

نظر لها سليم بدهشة قليلًا.. قبل أن يهمس مبتسمًا بصدق تام ؛

\_قريبًا لن تستطيعي ان تثقي بغيري !

ابتلعت سيلين ريقها ببطءٍ و هي تهمس مجددًا ؛

\_أنا...عرفتك منذ شهور قليلة فقط !

أجاب سليم بكل هدوء دون أن تختفي ابتسامته ؛

\_و أنا أعرفك منذ الأزل..أنا لم أولد إلا بعد أن قابلتك !

الآن امتزجت نظرتها ببعض الرجاء الذي حجب تأثير جملته عليها..  
و قالت ؛

\_أنا شخص يشك كثيرًا.. هذه طبيعتي..لكنني حقًا أود لو أثق بك !

\_ماذا يعني هذا؟!\_

قال سليم بحذر و بعض الخوف ينتابه من أن تكون قد غيرت رأيها..إلا أن  
خوفه لم يدم طويلًا..فقد زفرت سيلين بحزم أخيرًا و هي تدور حول السيارة  
لتصعد في المقعد المُجاور لمقعد السائق..

حينها اتسعت ابتسامته حتى شملت وجهه الوسيم كله.. اقترب بخفة ليفتح  
الباب و يستقر أمام المقود ليبدأ في تشغيل السيارة.. بينما تنهدت سيلين للمرة  
التي لا تدري كم و هي تتساءل بداخلها..

" كيف اصبحت وديعة معه إلى هذا الحد !! "



هل يمكن أن يكون سعيدًا أكثر ممّا هو الآن؟!

إنه يشعر و كأنه ولد من جديد ! بل و كأنه لم يكن حيًا قبلاً و الآن ولد لأول مرة..ولد من رجم "الحُب" !

كان يقف بسيارته أمام مقر عملها.. لا يعرف ما الذي أتى به إلى هنا.. لكنه أتى فحسب و لن يرحل قبل أن يراها !

خرج من سيارته بعد دقائق من انتظاره ليقف مستندًا على نفس الباب الذي أغلقه للتو.. ينظر إلى واجهة هذه العيادة المشهورة حيث تعمل سارة..

يداه في جيبي بنطاله و ابتسامته التي لم تفارق وجهه منذ أمس تكاد أن تقفز من عينيه لتتنقل لكل من يرمقه بالصدفة و يراها..

أطرق برأسه قليلاً و ذكرى يوم أمس تتردد في عقله لتزيد من بروز ابتسامته و اتساعها..

" \_ أنا سأمنحها لك ! "

لم يدر ما شعر به في تلك اللحظة.. أهي لهفة الرجوع ! أم بريق الفوز بالحب ! أم سعادة النيل بفرصة جديدة مع حبيبة قلبه.. من تمتلّكه منذ الأزل !!

كل ما شعر به هو يداه اللتان ارتفعتا بغير إرادة منه لتحاوِطان وجهها ناظرًا لعينيها بعينين متسعيتين مليئتين باللهفة.. يدعو الله من أعماق قلبه بأن يكون ما سمعه صحيح..

لقد قالت ذلك.. هو لا يتوهم.. أليس كذلك !!!

جزء من سعادته تبدد حينما ارتفعت يداها لتلامسان يديه لأجل غاية واحدة.. أن تنزلهما عن وجهها.. و قالت بصوتٍ بدأ يستعيد قوته و حزمه ؛

\_ سأمنحها لك.. لكن بشروطي الخاصة !

لم يشعر بنفسه أو يفكر حتى و هو يهتف متلهفًا ؛

أقبل..أقبل بكل شروطك مهما كانت..

هزت سارة رأسها بالنفي بهدوء..ثم همست بحزم ؛

بل ستسمعها أولاً..و لك الخيار في أن تقبلها أو ترفضها..

او ما جاد ببطءٍ و هو يهمس بصوتٍ مختنق بشعوره في تلك اللحظة ؛

حسناً..كما تشائين..لكنني سأقبلها على أية حال لأجلك..

ظلت سارة صامتة للحظاتٍ تحديق في عينيه بطريقة أخافته من أن يكون  
يكون ما سمعه مجرد أو هام من عقله بالفعل.. إلا أنها أكدت له حقيقة ما  
يعيشه بقولها ؛

أريد زفافاً كالزفاف الذي مضى..في نفس المدينة..و نفس المكان..و نفس  
الضيوف و الزينة أيضاً..أريد لتلك اللحظة أن تعود مجدداً..لكن هذه المرة  
لن تكون هناك خيبة أمل و لا ألم و لا خذلان..لا رسالة مشوهة..و لا  
كرامة مهدورة و انتقام بائس..فقط سعادة كاملة و كبرياء منتصر.....ماذا  
قلت ؟!!

كان الألم يعتصر قلبه مع كل كلمة جديدة ينطقها لسانها لتعيده إلى تلك  
الذكرى المشؤومة..و ما إن انتهت..همس بدون أن يتردد و لو للحظة ؛

أقبل..!

هزت سارة رأسها بهدوء..و لمح بعض التوتر يغزو ملامحها أخبره بأن  
شرطها التالي ربما لا يكون في متناول يده كالأول.. إلى أن همست بهدوء ؛

ستعذر لأبي !

شحبت ملامحه فجأة و هو يتراجع في مكانه قليلاً مع عبارتها..فأردفت سارة  
بحزم و هي تكاد أن تعقد رهاناً مع ذاتها على رفضه ؛

لن أقبل بأقل من ذلك !

ثم صمتت قليلاً أمام نظراته المبهوتة و أكملت بصوتٍ بدا متهدجاً رغم قوته ؛

\_تستطيع أن ترفض إذا شئت.. و تخسرنى إلى الأبد بعدها !

أطبق جاد عينيه بقوة و هو يقبض على كفيه بشيءٍ من العنف.. و استمر صمته للحظاتٍ طويلة كانت سارة فيها تنظر له بصمتٍ و هي تتوقع سماع كلمة " لا " بكل بساطة في أي لحظة..

لكنه أحبط توقعاتها و هو يفتح عينيه فجأة ليقول بسرعة و حسم ؛

\_سأفعل..

سيفعل !!!

لم يفته ذلك الدهول الذي برز خفيًا في عينيها.. أقرب إلى الصدمة و كأنها لا تصدق أن يتنازل لهذا الحد لأجلها.. ثم قبل أن تتمكن من قول شيء.. رأت شبح الإبتسامة الذي لامس طرف شفثيه.. تزامناً مع صوته الذي وصل إلى مسامعها محملاً بصدقه..

صدق حقيقي هذه المرة..تستطيع أن تعلم ذلك !!!

\_أقبل به بالطبع..أقبل بكل شيء تريدينه..أضحى بكل شيءٍ مقابل أن ألمح نظرة الرضا عني في عينيكِ مجدداً ! "

رغم الحزن الذي غزا مقلتيه و هو يفكر بالطريقة التي سيعتذر بها إلى خاله.. إلا أن ابتسامته لم تندمل.. بل ظهرت لمعة انفعال داخلي في عينيه و هو يهمس لنفسه بخفوتٍ بينما يسترجع في عقله كل لحظات الألم التي عاشتها سارة بسببه ؛

\_هانت.. هانت.. هانت لأجل من تفديها بروحك !

\_جاد !!

سمع هذا النداء الخافت المستغرب.. فرفع رأسه بسرعة شبه مجفلاً ليجدها  
تقف أمامه بكامل قوتها.. و كأنها ليست نفس الفتاة التي ارتمت في حضنه  
باكية بألم كالطفلة يوم أمس !

كانت تنظر له بحيرة.. هيئتها عفوية قليلاً لكنها تبدو جميلة جداً.. بينما ترتدي  
بنطالاً أبيضاً رسمياً واسعاً بعد الركبتين قليلاً.. و قميص يماثله اللون.. و كأنها  
خاصمت اللون الأسود منذ يوم الأمس و تلحفت بالأبيض..

لكن لحظة.. سترتها سوداء و حذائها ذو الكعب الرفيع أسود أيضاً..

و شعرها..... آه من شعرها !!

شعرها البني الساحر منسدل بعفوية شديدة فوق كتفيها و ظهرها.. و كعادتها  
تهذهبه بنظارتها الشمسية ! أنيقة.. أنيقة و جميلة بكل تفاصيلها اللذيذة !

لمحت سارة تلك اللعة في عينيه.. و قد بدت لها كلمعة دموع !! فانعقد  
حاجباها بشدة.. و همست بخفوت ؛

\_ هل.. أنت بخير ؟ !!

نظر لها جاد بعدم فهم.. إلا أنه سرعان ما استوعب سبب هذا السؤال.. لا بدّ  
أنه يبدو لها في حال يرثى له في هذه اللحظة..

هز رأسه لعدة مرات و كأنه ينفي فكرة ما طرأت بعقله فقط.. ثم قال يجيبها  
بهدوء ؛

\_ بألف خير.. أردت أن نتكلم قليلاً فحسب !

لم تبدو سارة مقتنعة في البداية بإجابته.. فظلت عيناها على عينيه للحظة  
أخرى.. قبل أن تنظر إلى ساعتها الأنيقة مثلها مردفة بما يشبه الاعتذار ؛

\_ إذا كان عن أمور الزفاف فدعنا نؤجله لوقتٍ آخر.. سيلين على وشك  
الوصول و يجب ان أكون موجودة لأستقبلها..

لكن جاد قال بالحاح و رجاء ؛

\_ هل سأكون أنانيًا إذا احتكرت منكم بعض الوقت؟!\_

ثم أضاف فورًا قبل أن تستطيع الرد ؛

\_ نصف ساعة.. نصف ساعة فقط و أعدك أن أقلك أنا إلى منزلك بعدها..\_

نظرت له سارة بتردد قليلًا.. قبل أن تومئ بقلة حيلة.. فابتسم جاد و هو يستدير هامًا بفتح سيارته.. لكنها أوقفته هامسة بهدوء ؛

\_ أظن... إذا كنا سنتكلم فحسب فدعنا نتمشى قليلًا !\_

نظر لها جاد مجددًا باهتمام.. فهمست رافعة أحد حاجبيها بنفس النبرة ؛

\_ ربما بجانب البحر !\_

و بعد قليل.. كانا يسيران بجانب البحر.. كانت تقبض على حزام حقيبتها الصغيرة بينما تنظر أمامها بهدوء.. و جاد يشاركها الهدوء لكنه لا ينظر أمامه... بل إليها هي !!

إلى أن كسرت سارة الصمت مردفة بنفس هدوئها الجميل اليوم بدون أن تنظر له ؛

\_ إذا ! كنت تريد أن تقول شيئًا !\_

ابتسم جاد و هو يهمس بدون أن يبعد عينيه عنها ؛

\_ نعم.. الأبيض يليق بكِ جدًا !\_

نظرت له سارة رافعة حاجبيها بدهشة.. فهز رأسه و هو يهمس متداركًا بجدية ؛

\_ أردت أن أسألك عن الموعد... أقصد... متى تحبين أن نبدأ بترتيبات الزفاف؟!\_

عكفت سارة حاجبيها بتفكير و هي تسأل ؛

\_ ألم تكُن أنت من اهتممت بكل الترتيبات تقريبًا في المرة السابقة !

المرة السابقة !!

تلك المرة التي لا يريد تذكرها.. و التي تجعل الألم يفترس جوارحه بشكل  
يفوق قدرته على التحمل.. لذا أطرق برأسه متجنبًا عينيها لوهلة.. و همس  
بشروء ؛

\_ نعم.. كنت أنا !

فقالَت سارة و هي تعيد أنظارها إلى الطريق بهدوء ؛

\_ إذا ستفعل نفس الشيء هذه المرة..

كان ردّها مقنعًا.. فلم يجد جاد بدأ من الهمس بخفوت ؛

\_ حسنًا !

راقب يدها التي ارتفعت لتبعد خصلة متمرّدة إلى خلف أذنها بينما تسير  
بهدوء.. بملامح مستكينة.. قبل أن تتنهد بخفوتٍ لتهمس فجأة و هي تنظر له ؛

\_ إذا.. هل نذهب الآن ؟!

او ما لها جاد ببطءٍ رغم رغبته الشديدة في صنع موضوع جديد يخول له  
البقاء معها و تأملها لوقتٍ أطول.. و تردّد طويلًا.. قبل أن يمد يده منصاعًا  
لرغبة كاسحة تسللت إلى قلبه عنوة في هذه اللحظة..

إلا أنه رغم ذلك لم يستطع أن يلمس يدها.. بل تسمرت أنامله على بعد إنش  
من يدها.. و وجد عبارة قالها ذات مرة تمر في عقله..

" ليس الآن.. في المنزل تستطيعين إبعادي كما شئت.. لكن الآن.. تمسكي بيدي  
فلست أنا الرجل الذي يترك زوجته تمشي بلا سند ! "

مرت نفس العبارة في عقلها في نفس اللحظة.. فأخفضت أنظارها مثله تنظر  
ليده بصمتٍ.. إلى أن قبض على يدها برفق.. و نظر إلى عينيها بحذر..

هي لن تبعد.. يعلم بأنها لن تفعل !!

و بالفعل لم تفعل.. فقد ظهر شبح ابتسامة غريبة لمحها بصعوبة في عينيها فقط.. قبل أن تجاوره المشي بهدوء شديد..

بعد نصف ساعة تقريبًا.. توقفت السيارة أمام البناية الشاهقة حيث يقبع منزل سارة.. و لم تكد سارة تفتح الباب لتنزل.. حتى كانت سيارة أخرى تتوقف في مقابلهما أمام نفس البناية !

ضيقت سارة عينيها بتركيز و هي تلمح ذلك الكيان الذي يجلس في المقعد الملاصق لمقعد السائق الذي احتله شاب لم تره من قبل.. ثم لم تلبث أن اتسعتا بشدة و هي تتعرف عليها بمنتهى السهولة..... سيلين !!

و في مقابلها.. لم تلمح سيلين أيّ من ردود فعل أختها.. بل لم تهتم حتى بالنظر لها و عيناها تقعان على جاد فورًا !!

ما الذي يفعله برفقة أختها ذلك الأحمق !!!

انتبهت فجأة حينما فتحت سارة الباب بسرعة.. ففتحت هي الأخرى الباب من جهتها لتنزل بسرعة..

كانت سارة قد وصلت إليها بالفعل.. لكن سيلين كانت أول من تكلمت فقالت بحاجب مرتفع على مسمع من سليم الذي كان يراقب الوضع بحذر و صمت و مرأى من جاد الذي كان من داخل سيارته يراقبهما بنفس الحذر ؛

\_\_ ما شاء الله ! لم أعرفكِ سريعة لهذه الدرجة !!

لم تبالي سارة بتعليقها هذا.. بل تجاوزتها لتفتح الباب من جهة سليم.. ذلك المسكين الذي نظر لها بوجل للحظة.. قبل أن يبتسم ابتسامته البلهاء كما تنعتها سيلين و هو ينزل..

نقل أنظاره بين وجه سارة التي عقدت ذراعيها و حاجبها بحدة و هي تنظر  
لهما معًا تنتظر تفسيرًا لما يحدث.. و ملامح سيلين التي كانت عابسة قليلاً و  
متوترة في نفس الوقت.. ثم قال أول شيءٍ خطر في باله ؛

\_ أنتما تشبهان بعضكما كثيرًا !!

كان يشعر بالتعجب بالفعل و هو يرى درجة الشبه الكبيرة بينهما.. فهمست  
سيلين بخفوت و هي تلفّ ذراعها بذراع سارة ؛

\_ أختي سارة..

ثم أشارت له و هي تقول مخاطبة سارة الآن بعد أن قابلت عينيها بارتباكٍ ؛

\_ سليم.. زميلي في الصف !

ارتخت ملامح سارة قليلاً و هي تفكُّ ذراعيها من عقدتهما ناظرة لسيلين  
بإدراك.. ثم همّت بقول شيءٍ ما لكنها تراجعته و هي ترى جاد يقترب  
بخطواتٍ واسعةٍ إلى أن توقف بجانبها..

ثم قال فورًا محدقًا في سليم بتوجس ؛

\_ و أنا زوج أختها.. من أنت ؟!

رمقته سيلين بنظرة خاطفة احتوت الكثير من ضيقها.. ثم أجابت بفتور و هي  
تنظر لسليم بغير رضا ؛

\_ زميلي في الصف..

و لم يكذ جاد يستوعب جوابها.. حتى كانت يد سليم تسبقه بأن امتدت إليه في  
دعوة للمصافحة بينما يقول بحرارة ؛

\_ أنا سليم.. تشرفت بمقابلتك..

نظر له جاد بذات توجسه للحظة سريعة.. ثم لم يلبث أن صافحه بثبات قائلاً ؛

\_ و أنا أيضًا !



قبل أن تمتد يده إلى سارة التي همست بينما تصافحه بنبرة تمزج ما بين اللطف و بعض الضيق ؛

\_ أهلاً بك !

نقلت بعدها مباشرة أنظارها لسيلين أمرة بحزم ؛

\_ تعالي معي..

يا الله ! إنها تلك اللحظات التي تشعر فيها بالخوف من سارة !!

لم تنتظر سارة أن تسمع الجواب منها.. تمسكت بيدها لتسحبها وراءها باتجاه المبنى.. و ما إن اختفيتا بداخله.. حتى كان جاد يلتفت إلى لسليم الذي كانت عيناه ساهمتان في تتبع أثر سيلين حتى بعد اختفاءها..

و قال بنبرة ذات مغزى ؛

\_ سيلين ليست أخت زوجتي فحسب.. إنها ابنة خالي أيضاً و في مقام أختي الصغيرة..

نظر له سليم مجفلاً للحظة.. قبل أن يقول برصانة و قد وصله المعنى المخفي لكلمات جاد بوضوح ؛

\_ أنا لست مجرد زميل في الصّف.. بل أكثر من ذلك !

لكن جاد لم يتراجع عن موقفه.. بل هز رأسه بخفة و هو يقول بجدية ؛

\_ هذا واضح.. لهذا أنا أحذرك من أن تحاول حتى إلحاق الأذى بها !

اوماً له سليم بتفهم و هو يقدر خوفه على سيلين.. ثم بدون أن يضيف كلمة أخرى في الموضوع.. دار حول السيارة ليفتح الباب و يصعد.. و قال قبل أن ينطلق بسيارته بعيداً و هو يلوح لجاد في تحية سريعة ؛

\_ تصبح على خير..

لم يجب جاد و هو يراقبه حتى ابتعد بسيارته.. قبل أن ترتفع أنظاره إلى  
البناية الطويلة محدقًا للحظات.. إلى أن تنهد و هو يغرق يديه في جيبي  
بنطاله..

مجبّرًا نفسه على الإقتراب من سيارته.. حيث سيعود إلى منزله الفارغ الكئيب  
حيث لا ينتظره أحد..

---

أغلقت سارة الباب بهدوء قبل أن تلتفت إلى سيلين عاقدة ذراعيها أمام  
صدرها.. تنظر لها بحاجب مرتفع منتظرة تفسيرًا منطقيًا لما رآته..

إلا أن سيلين لم تهتم بنظرتها تلك.. فقد كانت عيناها تنتقلان بين ملامحها  
بقلق.. بينما عقلها يستعيد صوتها الباكي يوم أمس.. و حينما لم تجد أي شيء  
فيها يدعو للقلق أكثر.. همست ببراءة و صدق ؛

اشتقت لك !

تلاشت كل الحدة من ملامح سارة دفعة واحدة.. و ارتخت العقدة بين  
ذراعيها.. بينما برز ذلك التأثير المنشود لسيلين في جوف عينيها.. قبل أن  
تقترب منها في لحظة خاطفة لتضمها بقوة..

فابتسمت سيلين بشوق و هي تبادلها عناقها بنفس القوة.. ثم همست بخفوت ؛

لماذا كنتِ تبكين يوم أمس؟! لقد أفزعتني !

لم تبتعد سارة.. بل شددت من ضغط ذراعيها حولها أكثر و أطبقت جفونها  
بقوة و هي تهمس متجاهلة سؤالها ؛

شكرا لأنك أتيت !

ابتعدت أخيرًا لتقابل وجهها مبتسمة بسعادة خالصة.. قبل أن تمسك بيدها  
لتسحبها وراءها.. إلى أن جعلتها تجلس فوق الأريكة و جلست بجانبها تقبض  
على كفها بين يديها الاثنتين..

\_ هل أنت بخير؟! \_

همست سيلين مجددًا غير قادرة على قمع مشاعر القلق بداخلها.. حتى بعد أن أجابتها سارة بهدوء ؛

\_ أنا بألف خير ! \_

لم تسمح لها بعدها بالسؤال أكثر.. ووقفت فجأة و هي تقول بحماس ؛

\_ لا بد أنك جائعة.. سأحضر لك شيئًا سريعًا.. \_

توجهت إلى المطبخ أمام أنظار سيلين التي راقبتها بغباء.. قبل أن تقف لتلحق بها هاتفية بإصرار ؛

\_ ليس قبل أن أعرف لماذا كنت تبكين يوم أمس ! \_

كانت سارة قد فتحت الثلاجة بالفعل و شرعت عيناها في التجول بين كل محتوياتها.. قالت و هي تخرج بعض الأغراض التي تحتاجها لتنقلها إلى السطح الرخامي الأنيق ؛

\_ سأخبرك بالطبع.. لكن أولاً.. ستتناولين شيئًا.. \_

اقتربت سيلين منها و هي تقول بجدية ؛

\_ دعيني أساعدك إداً.. \_

اومات سارة مبتسمة و هي تضع المقلاة فوق النار لتصب فوقها الزيت و قطع الدجاج الطرية.. ثم و ما إن نضج قليلاً أضافت إليه الأرز و معجون الطماطم الذي مدته لها سيلين لتتركه على النار..

قبل أن تلتفت إليها متمسكة بيديها بطرف المغسلة وراءها.. و قالت تخاطب أختها بنبرة جادة ؛

\_ لم تخبريني بعد ! \_

نظرت لها سيلين بعدم فهم.. فأضافت سارة بوضوح ؛

لماذا سافر ذلك الشاب معك؟!

شعرت سيلين بالصداع يجتاح رأسها فتنهدت بقوة و هي تتجنب عينيها  
ناظرة في كل مكان..عاجزة تمامًا عن إجابتها أو عن التخلص من ارتباكها  
المزعج..

ردة فعلها تلك..جعلت من ابتسامة صغيرة ترسم على شفتي سارة..ثم  
همست بحنان ؛

هل تعلمين ماذا يعني ارتباكك هذا كلما سألتك عنه؟!

بدت سيلين و كأنها خائفة فعلاً من سماع الجواب..و ظلت تنظر جانباً للحظة  
أخرى قبل أن ترفع عينيها إلى سارة.. حينما قالت هذه الأخيرة بكل صدق و  
جدية ؛

يعني أنك تحبينه !

لم تكذ تتم جملتها..حتى كانت سيلين تهتف باحتجاج و كأنها طفلة يتم اتهامها  
ظلمًا ؛

لا..لا أفعل !

اتسعت ابتسامة سارة أمام عينيها بطريقة جعلتها تشعر بالخجل من فكرة  
ادعاء غير ما تشعر به حتى..فقالت مثلثاء بصوتٍ أخذ يخفت تدريجيًا ؛

أقصد...ليس بعد !!

هزت سارة رأسها بقلّة حيلة و هي تستدير عنها لتطفئ النار سائلة أثناء ذلك  
بحزم ؛

أخبريني إذا لماذا سافر إلى هنا؟! بل أنت كيف سمحت له بأن يقلك إلى  
هنا؟!

زفرت سيلين و هي تقول بشيءٍ من الإنفعال ؛

\_حسناً.. لقد أخذ الإذن مني و طلب مني بكل لطف أن يقلني فسمحت له.. ما العيب في هذا!؟

صمتت قليلاً ثم قالت و قد تقمصت دور سارة في لحظة واحدة و هي تعقد ذراعيها سائلة كمن يجري تحقيقاً مع مجرم فار من العدالة ؛

\_الآن دورك أيتها الدكتورة المحترمة.. ماذا كان يفعل جاد معك في السيارة!؟

لم تتوقع ردة فعل سارة أبداً.. تلك التي هزت سارة كتفيها ببساطة شديدة و هي تحمل صحن الأكل بين يديها بعد أن ملأته بالطعام لتتجه للباب بينما ترد بغير مبالاة ؛

\_و هل هذا سؤال حتى!؟ جاد زوجي يا ابنتي !

اتسعت عينا سيلين بذهول و هي تلحق بها مهرولة لتجلس بجانبها هاتفة باستنكار ؛

\_زوجك!!!

قالت سارة مؤكدة بجدية و هي ترتاح في مقعدها الوثير ؛

\_نعم.. زوجي شرعاً و قانوناً !

شعرت سيلين بضغط هائل يمنع عنها التركيز بوضوح.. فهتفت بنفاذ صبر ؛

\_سارة!؟!!!

إلا أنها و كالمررة السابقة لم تنل منها أية ردة فعل مرضية.. فقد هزت سارة كتفيها بلا مبالاة بدون أن تجيب.. قبل أن تمسك بالملعقة لتبدأ في الأكل بالفعل..

أمام أنظار سيلين التي شعرت بدرجات الغيظ ترتفع و ترتفع.. و قد كانت ستهتف بها غاضبة لولا أن أحكمت القليل من تعقلها.. فأخذت نفساً عميقاً.. لتهمس بخفوت و هدوء قدر المستطاع ؛

\_سارة !!

نظرت لها سارة بهدوء.. فهمست سيلين باستعطاف ؛

\_أخبريني.. هل سامحته !؟

\_تقريبًا..

قالتها سارة بنفس نبرتها السابقة الهادئة الخالية من المبالاة.. ثم عادت تستأنف أكلها ببساطة.. لكن تلك البساطة تلاشت ما إن همّت تلك المزعجة بجانبها بالوقوف منفعة..

لولا أن امتدت يدها لتمنعها.. تمسكت بيدها و هي تقول برجاء بعد ان ابتلعت ما في فمها من طعام ؛

\_دعينا نتكلم غدًا في هذا الموضوع.. لا أريد لأيّ شيء أن يعكر صفو هذه الليلة.. رجاء !!

كان صوتها مرهقًا.. و ملامحها أكثر.. فترددت سيلين لوهلة.. قبل أن تومئ متنازلة على مضض و هي تعود لتستريح في مكانها.. لا تزال تشعر بالغضب الشديد من... جاد !!

\_ألن تأكلي !؟

تلك الهمسة التي صدرت من سارة نبهتها.. فالتقطت الملعقة لتباشر بالأكل بالفعل بصمت..

بينما بجانبها.. تنهدت سارة و هي تتراجع ببطء في مقعدها إلى أن استندت برأسها إلى طرف الأريكة وراءها..

و قد تاهت عيناها في التحديق في الفراغ المائل في سقف منزلها.. بملامح هادئة بشكل غريب.. غريب جدًا !

## " الرmq الثاني و العشرون ؛ساره "

حتى الإبتسامة أحياناً قد تكون مؤلمة أكثر ممّا تجعلنا الدموع نتالم.. لكننا نظل نبتسم.. نراقب الأشياء بحلاوة روح و ابتسامة جميلة نقنع أنفسنا بها أننا بخير..

نعم.. نحن بألف بخير و الدليل على كوننا كذلك هو أننا لا زلنا قادرين حتى الآن على أن نبتسم !

اليوم اختارت الحديقة القريبة من مقر عملها بدل المطعم لتتناول طعام الغداء.. كانت تنتظر أمامها بشرود بينما في يدها تمسك شطيرة "البرغر" التي اشترتها قبل قليل و هي لا تشعر برغبة أبداً في الأكل..

قضمت منها قطعة صغيرة و هي تنظر إلى طفلة صغيرة كانت تقف في جانب منعزل بعيداً عن باقي الأطفال الذين كانوا يلعبون بانسجام و مرح في الجانب الآخر..

ثم تحركت عيناها قليلاً فلمحت امرأة تبدو صغيرة في السن تراقبها بابتسامة حانية حزينة.. التقت عيناها بعيني الفتاة الصغيرة الشقراء ذات الملامح المحببة إلى القلب بشدة فابتسمت لها سارة بلطف..

حينها فقط تحركت الفتاة تقترب باتجاهها إلى أن جلست بجانبها و استقرت عيناها تنظر للشطيرة الملفوفة في يدها هامسة ببراءة ؛

\_ أنا أيضا أردت واحداً اليوم لكن عمتي امتنعت !

قالت سارة مبتسمة بعطف ؛

\_ و لماذا امتنعت !؟

بدأت الطفلة مترددة قبل أن تهمس و هي تنظر لثياب سارة الغالية الثمن و نظارتها الشمسية التي لم تسنح لها الفرصة من قبل بلمس واحدة مثلها حتى ؛

\_ ليس لدينا الكثير من المال مثلكِ !

مالت حدقتها سارة ببعض الحزن و ذكرى من الماضي تتخلل عقلها لتجعلها ترفع يدها ببطءٍ لتضعها فوق بطنها المُسطحة..

و استمرت على شرودها و حركتها تلك لعدة لحظات.. قبل أن تنتهد و ترفع رأسها نحو نفس الفتاة التي كانت لا تزال تنظر لها ببراعة و فضول.. قالت بلطف ؛

\_ هل تحبين أن تأخذه؟! أو أشتري لكِ واحدًا آخر؟! بعد أن تأخذي الإذن من أمكِ طبعًا !

\_ ليست أمي !

قالت الفتاة و هي تطرق رأسها بنبرة تخللها شيءٌ من الحزن.. فهمست سارة عاقدة حاجبيها قليلاً بتوجس ؛

\_ من هي إذن؟!!

همست الفتاة الصغيرة بخفوتٍ بدون أن ترفع رأسها ؛

\_ إنها عمتي و تعنتني بي بعد وفاة أمي..

أجفلت سارة للحظة و هي تتراجع برأسها قليلاً.. لكنها سرعان ما استطاعت تمالك نفسها فابتلعت ريقها سائلةً مجددًا بتردد ؛

\_ و... والدك؟!!

رفعت الفتاة رأسها إليها.. و قالت بنبرتها التي ملأها الحزن بشكل أكبر ؛

\_ أبي يظل منشغلاً طيلة اليوم ليؤمن لنا لقمة العيش..



كانت نبرتها حزينة بشدة.. و ملامحها الجميلة البريئة جعلت قلب سارة يتوجع عليها.. فرمشت بعينيها الجميلتين و هي تنظر جانبًا للحظة.. تتمنى لو تستطيع أن تدخل يدها في حقيبتها و تساعدها بقيمة مالية..

لكنها تعرف نفسية هذه الطبقة من الناس و ربما اعتبرتها عمتها إهانة لها !! لهذا اكتفت بأن ابتسمت لها ابتسامة جميلة جدًا رغم عينيها الدامعتين و هي تمد يدها لتلمس بها جانب وجهها الناعم مرتبة برقة..

قبل أن تفتح حقيبتها لتخرج قطعة مغلفة بعناية من "الشوكولا" الغالية الثمن و تمدها للطفلة بذات الإبتسامة..

و شعرت بالسعادة و هي ترى بريق اللهفة الطفولية في عينيها المتسعيتين.. لكنها لم تستطع أن تأخذها منها فورًا.. فقد نظرت بطرف عينيها إلى عمتها التي كانت تراقبهما بملامح هادئة و كأنها تستأذنها.. فأومأت لها عمتها من مكانها و هي تبتسم قليلًا..

حينها فقط كانت يدها تمتد لتختطفها من بين أنامل سارة بسرعة.. و اتسعت ابتسامتها و هي تفتح غلافها.. تتأملها بداخل يدها الصغيرة كمن ينظر إلى كنز صغير..

إلى أن جاءها صوت سارة تقول بنفس اللطف ؛

\_\_ ما اسمكِ يا صغيرة ؟!

رفعت الطفلة رأسها إليها مجفلة و كأنها كانت قد نسيتها.. ثم همست بوداعة ؛

\_\_ سارة !

ارتفع حاجبا سارة لوهلة.. ثم لم تلبث أن تحولت ابتسامتها إلى ضحكة صغيرة خافتة همست بعدها بشقاوة ؛

\_ مثل اسمي.. لكنني أظنه يليق بك أكثر.. ملامحك مسرة و مبهجة للقلب ما شاء الله..

ابتسمت الفتاة لأول مرة بعد أن جلست بجانبها.. بينما جالت عيناها بترقب على ملامح سارة و هي تقول فجأة ؛

\_ لون شعرك جميل جدًا.. هل تصبغينه بهذا اللون دائمًا مثلما تحب أن تفعل عمتي؟!

قالت سارة بدون أن تتخلى عن ضحكتها الهادئة و الرقيقة ؛

\_ لا.. لقد خلقتني الله به.. هل يعجبك؟!

أومأت الفتاة مؤكدة بسرعة.. قبل أن تلتفت حينما ناداها صوت ذكوري صغير بخشونة ؛

\_ سارة !!

تلقائيًا كانت سارة تلتفت لتنظر للطفل الصغير رث الملابس و الذي ذكرها بطفل آخر.. لكن هذا الطفل بدا أكبر قليلًا ربما و ملامحه أكثر حدة من ملامح الطفل الذي ذكرها به.. ذلك الطفل الذي يخصها..

اقترب أكثر إلى أن توقف ناظرًا إلى سارة عابسًا بشدة.. فارتفع حاجباها قليلًا و هي تبادلته النظر بحذر.. لكنه لم يوجه الكلام لها فقد قبض على كفّ الطفلة الصغيرة و هو يقول بصرامة ؛

\_ تعالي.. تقول أمي أن علينا الذهاب !

الآن انعقد حاجبا سارة دهشة و هي تنقل أنظارها بينهما.. و لم تستطع أن تتمالك نفسها من السؤال باهتمام موجهة سؤالها إلى ذلك الطفل العابس ؛

\_ هل... أنت قريبها؟!

قال الطفل بفضاظة ناسبت تعابير وجهه المتجهمة.. و التي لا تناسب طفلًا لم يتعدى الثانية عشر من عمره بعد !

\_نعم..ابن عمته..و في مقام وليّ أمرها بعد إذتك !

لكن سارة..لم تنتبه لنبرته..فقد شردت عيناها تمامًا و هي تراهما يبتعدان  
سويًا باتجاه المرأة التي ناداها أمي قبل قليل و عمّة الفتاة الصغيرة..

راقبتها و هي تتحني لترتب لها ثيابها بسرعة قبل أن تقبض على يدها  
الصغيرة تحثها على السير..بينما دار ابن عمته العابس ليبتعد عن جانب أمه  
و يقف بجانب الصغيرة مُمسكا بيدها أيضًا..

و كأنه ولي أمرها بالفعل كما قال !!

عجزت عن منع نفسها من الضحك بذهول و هي ترى نسخة صغيرة عن  
جاد الفظ تقف أمامها مباشرة..بينما الفتاة الصغيرة تمتلك نفس اسمها..و ابنة  
عمته أيضًا..و يبدو أن عمته تعيش معهم !!

كل هذه التفاصيل الصغيرة جعلت من ضحكتها المذهولة تزداد اتساعًا و هي  
ترى صورة من ماضيها تتجسّد أمامها بشكل مختلف..

قبل أن تنتبه للفتاة التي رفعت يدها تلوح لها مودعة بينما تبتعد..فلوحت لها  
سارة أيضًا بلطفٍ..قبل أن تفتح فمها لتتهتف من مكانها دون أن تستطيع منع  
نفسها ؛

\_هل إسم ابن عمتك جاد ؟!

هزت الفتاة رأسها بالنفي ببراءة..بينما التفت لها المعني بالأمر ليقول بدون  
أن تلين ملامحه ؛

\_سمير..اسمي سمير !

ثم أكمل طريقه بنفس فظاظته و هو ينحني على الطفلة ليهمس لها بشيءٍ ما  
أثناء ابتعادهما..و ما إن اختفى أثرهما حتى تنهدت سارة تنهيدة عميقة و هي  
تهز رأسها بغير تصديق..

لكن ضحكتها لم تختفي..و ربما كانت هذه الحكمة من ظهور هذه الطفلة الآن  
بالضبط..فقط لتجعلها تضحك بهذا الجمال متناسية كل مآسيها غارقة في  
ماضيها البعيد و العزيز على قلبها رغم كل شيء !

رن هاتفها فجأة فأخرجته من حقيبتها لتتظر إلى الرقم الحبيب بقنوط..قبل أن  
تفتح الخط مجيبة بهدوء ؛

\_ نعم يا سيلين !

جاءها صوت سيلين مماًزحاً مبتسماً ؛

\_ هل تعلمين ما اليوم !؟

زفرت سارة بملل و هي تقول ببرود مدعية أنها لا تعلم ؛

\_ لا..لا أعلم..ما هذا اليوم المهم !؟

و كما توقعت..فقد أجابت سيلين باستنكار ؛

\_ عيد ميلادك يا ذكية..لا تقولي بأنك نسيت عيد ميلادك !!

ظلت سارة صامتة قليلاً تحديق في الفراغ..لا...لم تنساه..بل ربما أكثر مرة  
تذكرته فيها اليوم..مع أنها تمننت لو تنساه بالفعل فهو يجعلها تشعر  
بأن.....

\_ سارة !!!

نداء سيلين أخرجها من شرودها..فزفرت بإرهاق..ثم قالت بسرعة كل غايتها  
أن تنهي هي الإتصال ؛

\_ هل تعلمين..دعينا نتكلم عندما أعود..لديّ عمل الآن..

أغلقت الخط فوراً بعدها غير سامحة لسيلين بفرصة إضافة كلمة أخرى..

سيلين التي زمت شفيتها في الجهة الأخرى ناظرة للهاتف بذهول..قبل أن  
تلقى به فوق الطاولة بينها و بين سليم.. فقال سليم بحاجب مرتفع ؛

\_ ما الخطب؟!\_

نظرت له سيلين عابسة لوهلة.. ثم قالت رافعة ذقنها بتفكير ؛

\_ هل حقًا تريد أن تتعرف على أختي عن قرب؟!\_

قال سليم بمرح ؛

\_ نعم.. لعلّي أكسبها ضحكٍ فتدفعك للموافقة بسرعة !

لم تستجب سيلين لمزاحه.. قالت بجدية و هي تقف فجأة ؛

\_ تعال معي إذا !

كانت قد فتحت حقيبتها تهم بإخراج بعض الاوراق النقدية لتضعها فوق الطاولة.. لكن سليم أوقفها و هو يقول بسرعة ؛

\_ أنا سأدفع..

نظرت له سيلين بعدم فهم ؛

\_ و لماذا أنت؟!\_

إلا أنه لم يتوتر هذه المرة و هو يقول مبتسمًا بهدوء ؛

\_ أقصد.. أأست أنا من اتصلت بكِ و دعوتكِ لشرب فنجان قهوة معي !

\_ إذا؟!\_

هز سليم رأسه بياسٍ و هو يتساءل حقًا.. لماذا تعشق هذه الفتاة الإطالة في

الكلام بلا داعي !!

أسئلة كثيرة و نظرات حازمة تجعله يتوتر أمامها بلا سبب.. لكنه لم يتوتر الآن.. فقد أخرج المال من جيب بنطاله الجينز الأسود ليضعه فوق الطاولة و يهز كتفيه كإجابة لا معنى لها على سؤالها..

فتنهدت سيلين باستسلام قبل أن تبدأ السير برفقته..

كان يسبقها قليلاً و هو يضع يديه في جيبي بنطاله ممّا سمح لها بتأمله كيفما  
تشاء..

و لأول مرة تلاحظ أنه...وسيم حقاً !

تعابيره بسيطة و تبدو غاية في اللطافة و السذاجة أحياناً..و ملبسه دائماً  
مهذبة و مرتبة بشكل يبدو مبالغاً به أحياناً..

فمثلاً الآن..كان يرتدي قميصاً صوفياً أخضراً غامقاً يغطي رقبته حتى ذقنه  
الحليق تقريباً..فوق بنطاله الأسود و حذائه الذي يماثله اللون..بينما شعره  
الأسود الكثيف مرتب إلى جهة واحدة بشكل جميل جداً و.....

تفضلي !

انتفضت على صوته و هي تدرك الآن فقط سذاجة أفكارها.. فابتلعت ريقها  
تحاول التأكد بأنه لم يلحظ نظراتها الحمقاء..لكن ملامحه كانت عادية جداً..  
فهزت رأسها قليلاً لتجلي تفكيرها..ثم دارت حول السيارة إلى أن جلست في  
المقعد المجاور لمقعده..

و لا تزال أفكارها منصبة حوله !!

---

أغلقت باب سيارتها و هي تقترب بخطواتٍ أنيقة متجهة إلى داخل البناية  
حيث تقبع شقتها كما العادة..استقلت المصعد مستندة إلى الجدار  
الحديدي..تراقب الباب الذي أخذ ينغلق ببطءٍ بعينين فارغتين..

لكنه لم ينغلق..فقد امتدت يد مزعجة من الفراغ لتمنعه.. استقامت سارة عاقدة  
حاجبيها بدهشة و هي ترى جاد يذلف إلى المصعد..ثم أمام عينيها..امتدت  
يده لتضغط على رقم الطابق حيث توجد شقتها بدون أن ينظر إليها.. فقد كان  
ينظر أمامه مبتسماً بهدوء..

فغرت سارة فمها قليلاً بغباء..قبل أن تقول عاقدة حاجبيها بعدم فهم ؛

\_ ماذا تفعل هنا ؟!!!

نظر لها جاد محتفظًا بابتسامته الهادئة.. ثم قال بكل براءة ؛

\_ لقد اتصل بي أحدهم و طلب مني أن آتي إلى هنا على وجه السرعة !

\_ اتصل بك أحدهم !!

كرّرت سارة وراءه باستنكار شديد.. قبل أن ترتخي ملامحها تدريجيًا

بإدراك.. فزفرت بقوة و هي تقول شاتمة من بين أسنانها ؛

\_ سيلين الغبية !!!

عادت تنظر أمامها بملامح عابسة بشدة.. إلى أن سمعت صوت جاد الذي قال

بحذر ؛

\_ أظن بأنك أخبرتها عنا !

نظرت له سارة بعدم فهم مستعدة لقتله هو و سيلين في هذه اللحظة.. إلا أنه

قال بنبرة خافتة مترددة جعلت أعصابها تلين قليلًا ؛

\_ أقصد عن كونك سامحتني... تقريبًا !

تنهدت سارة بياس و هي تهز رأسها.. بينما استعاد عقلها ردة فعل سيلين

العنيفة ما إن أطلعتها على قرارها الجديد.. فقد هتفت بجنون و هي تهب واقفة

فجأة من مكانها.. بينما شياطين الغضب تحلق حول رأسها..

" حفل زفاف !!! هل هذا يعني بأنك سامحته فعلاً !!! لقد سامحته بالفعل ذلك

الرجل المعتوه الأحمق بعد كل ما فعله.. يا إلهي !!! "

كانت تذرع البهو يمينًا و يسارًا و هي تغرق أناملها في خصلات شعرها التي

تشابه خصلات شعر سارة لولا أنها كانت أغمق بقليل من خاصة سارة.. تلك

التي قالت بتعقل تحاول قدر الإمكان أن تهدئها..

" ألا يمكنك أن تتقي بي هذه المرة !! أن تتفهمي و تحترمي قراري الذي اتخذته بعد تفكير جاد بيني وبين نفسي !! أم ستدعين هذا النقاش "الأخوي" ينقلب إلى شجار معقد بدون سبب !! "

و كأنما صفعتها بكلامها هذا.. فلانت نظرات سيلين تدريجياً.. و حرّرت خصلات شعرها ببطء.. ثم نظرت لها بتخاذل تكاد أن تبكي لشدة الغضب الذي يكتسحها و ترغب في إفراغه..

إلى أن اقتربت منها سارة و همست برفق.. برجاءٍ شديد بينما تحتوي وجنتها بيدها برقة..

" أنا أحتاجك يا سيلين.. أحتاجك معي بشدة.. فلا تتركيني مهما تعارضت قراراتي مع إرادتك.. لا تغضبي مني.. و لا تتخلي عني هذه المرة.. هذه المرة.. لن أحتمل !! مرارة الخصام ستقتلني و أنت أكثر من يعرف هذا !!! "

هل كانت تستطيع الرفض بعد كلامها هذا ؟!! لقد أجادت سارة إقناعها عبر استقطاب عواطفها الجياشة !

فما كادت أن تنهي كلماتها.. حتى وجدت عيني سيلين تحتقان بلمعة تأثر.. و أغمضت جفونها للحظة بياسٍ شديد.. قبل أن تقترب منها لتضمها بقوة.. و همست في أذنها بحرارة ؛

" هل تعلمين ماذا تكونين أنت بالنسبة لي ؟! لا تعرفين صحيح أيتها المجنونة !! لو كنت تعرفين لما طلبت مني ما طلبته !! أنا لن أتخلي عنك ما دام هناك نفس يتردد في صدري.. الآن حان دوري لأطلب.. أتوسل إليك يا سارة.. لا تتخلي عن نفسك.. أنا سأحترم قرارك هذه المرة لو وعدتني بأنك... لن تتخلي عن نفسك و ستختارين الأفضل لها.. أرجوك... ! "

و كان الجواب تنهيدة طويلة.. طويلة جداً من سارة.. همست بعدها بصوتٍ أجش يحمل نبرة الوعد ؛

" لن أفعل.. لن أفعل.. أنت فقط... لا تقلقي ! "



عادت من شرودها و هي تنظر إلى جاد بطرف عينيها..تَبَّأ لها  
سيلين..صحيح..لقد وعدتها بأن تحترم قرارها..لكنها لن تتردد في فعل كل ما  
تستطيعه لتجعلها تندم أشد الندم.. فقط لأجل مجاكرتها !!!

و لهذا السبب تعمدت أن تدعو جاد..أليس فردًا من العائلة و زوجها العزيز  
الذي اتخذت قرارها بمنحه فرصة أخرى !!

يعلم الله فقط من دعت أيضًا و ماذا ستكون قد فعلت بالمنزل في غيابها  
احتفالًا بيوم ميلادها الذي لا رغبة لديها في الإحتفال به أو تذكره حتى هذه  
السنة..

توقف المصعد أخيرًا و انفتحت أبوابه فتسمرت سارة و جاد قليلاً و هما  
ينظران إلى سليم الذي كان يقف مستندًا إلى الجدار بجانب الباب ناظرًا إلى  
الأرض بملل..

كان هادئ الملامح..شاردًا..

قبل أن يرفع أنظاره فجأة لتلتقي بهما..فاستقام في طريقة وقوفه و هو يقول  
مبتسمًا بإحراج ؛

\_لم أكن أستطيع أن أدخل و سيلين بالداخل لوحدها..لهذا ارتأيت أن أنتظركِ  
أنتِ و زوجك..

لم تعر سارة اهتمامًا لما قاله..فقد اكتفت بإيماءة مختصرة قبل أن تتجاوزه  
لتفتح الباب و هي تشعر بالإنهاك..بينما صافحه جاد و هو يقول بأدب ؛

\_ أهلاً بك !

ثم دلف كلاهما وراء سارة التي توقفت في منتصف المنزل ناظرة لطاولة  
الطعام و التي ملأتها سيلين بكل أنواع الأكل بيأس..قبل أن تلمح سيلين التي  
اقتربت منها راسمة أكبر ابتسامة رأتها على الإطلاق تحتل وجهها..

إلى أن قالت بنبرة تخفي خلفها بعض المكر و هي تحتضنها برفق ؛

كل عام و أنتِ معي !

ربتت سارة على ظهرها و هي تبتسم بلا أيّ حماس..ثم إبتعدت لتخاطبها بصوتٍ هامس هي تنقل أنظارها بين جاد و سليم ؛

هل كان يجب أن تفعلي كل هذا بدون علمي؟!!

كانت سيلين ستهتف بها " نعم..مثلما سامحتِ أنتِ هذا اللفظ بدون علمي..بل بدون أن تفكري بأخذ رأيي حتى !! "

لكنها ابتلعت كلماتها و هي تمسكُ بيدها لتدفعها نحو الطاولة إلى أن جعلتها تجلس في أحد الكراسي الأربعة المحيطة بها بينما تقول بمحبة ؛

لم أفعل أيّ شيء..سليم كان يريد التعرف عليكِ أكثر و جاد يكون زوجك شرعاً و قانوناً..لهذا كان من الضروري أن يكون موجوداً في عيد ميلادك..أليس كذلك؟!!

قالت سؤالها الأخير بنبرة مميزة..فاومأت لها سارة بفتور.. بينما أشار جاد إلى سليم لينتقم..قبل أن يتجاوزها ليتجه إلى الطاولة و يتخذ مقعداً بجوار سارة..

غير عابئ بتلك التي كانت تموت من غيظها و هي تراقبهما حتى بعد أن سلمت و انصاعت لإرادة سارة..ثم رفعت عينيها لسليم الذي لم يتحرك من مكانه..و همست بنبرة خافتة و هي ترسم ابتسامة هادئة عكس شعورها قبل لحظة نحو جاد ؛

تفضل..

اقترب سليم بهدوء إلى أن دفع أحد الكراسي الأربعة و جلس عليه..و اتخذت سيلين المقعد المجاور لمقعده..و الذي يقبع بينه و بين سارة..

كان الوضع غير مريحًا تمامًا.. و لم تحب سارة الجلوس بهذا الشكل و هي تشعر بأنها مراقبة من طرف جاد الذي كان يجلس بجانبها و في مقابل سيلين تمامًا..

فقال فجأة بقنوط و هي تقوم من مكانها ؛

\_ اجلسي مكاني !

نظرت لها سيلين ببعض الدهشة.. إلا إنها انصاعت بسرعة و هي تقف بطاعة لتتخذ مكانها..

الآن أصبح الوضع طبيعيًا.. سيلين في مقابل سليم.. و جاد في مقابل سارة.. قطعت سيلين الصمت بصوتها الذي خرج هادئًا بينما تردف موجهة كلامها لجميعهم بابتسامة ؛

\_ حسنًا.. أعلم بأنني فاجئتكم بهذا.. لكنني لم أستطع أن لا أفعل أي شيء لأجل عيد ميلاد سارة..

ثم نظرت إلى جاد و قالت متنازلة بعبوسٍ و كأنها تتمنن عليه ؛

\_ و سأحاول بدوري أن أتقبلك مجددًا لأجل سارة !

او ما جاد مبتسمًا ابتسامة بدت مستنزة لها.. ثم لم يلبث أن أعاد أنظارها إلى موطنها..

ملامح زوجته التي كانت تبدو متعبة قليلًا.. تنتظر لهم بصمتٍ و هي تستند بذقنها إلى راحة يدها بملل.. و كأنها ليست المعنية بالأمر.. بل مجرد ضيفة فحسب..

همس لها بنبرة هادئة مميزة ؛

\_ كل عام و أنت بخير.. كل عام و أنت..... " زوجتي " !

تكلفت سارة ابتسامة صغيرة و هي تومئ له بصمتٍ.. ليس و كأنه قد قام للتو  
بتهنئتها على عيد ميلادها بجملة شاعرية.. قبل أن تنظر لسليم الذي قال  
محاولاً تلافياً شعوره بالإحراج ؛

\_كنت أريد لو أشتري هدية ما لكن سيلين كانت مستعجلة و لم أجد وقتاً.. أنا  
أسف لتطلي بهذا الشكل لكن فقط أردت لو... أتعرف عليكِ أكثر و أخبركِ  
بنواياي الحقيقية تجاه سيلين..

نظرت له سارة باهتمام.. فاستأنف و هو ينظر إلى سيلين ؛

\_سيلين تعتبركِ قدوتها في الحياة و ربما كل شيءٍ بالنسبة لها و قد أخبرتني  
بهذا.. هي لن تمنحني رأيها حول رغبتني الجدية للتقدم رسمياً لخطبتها إلا بعد  
أن تسمع رأيكِ !

ابتسمت سارة بهدوء و هي تمد يدها لتمسك بيد سيلين الجالسة بجانبها.. و  
همست بخفوت ؛

\_هل قالت ذلك حقاً؟!!

اوماً سليم بصمتٍ.. فتنحنت سارة و هي تستقيم في مقعدها سائلة بجدية  
الآن ؛

\_هل تحبها حقاً؟!!

بدا السؤال مبتذلاً جداً أمام ردة فعله السريعة.. بحيث اوماً بسرعة و هو يقول  
بلهفة شديدة ؛

\_أكثر من نفسي !

صمتت سارة قليلاً أمام ردة الفعل المُقنعة هذه.. من شاب تستطيع التكهن  
بصدقه لو استخدمت القليل فقط من مهارة "الدكتوراة النفسية" في تحليل  
ملامحه..

التقت أنظارها بجاد الذي كان ينظر لها مبتسمًا هو الآخر.. فتاهت عيناها عليه للحظات.. ثم همست بنبرة غير عادية بدون أن تبعد عينيها عن عينيه ؛  
\_ إذا كنت تحبها حقًا فمن أنا لأقف بينكما.. الرأي لسيلين طبعًا.. بشرط أن تحافظ عليها و لا تخذلها أبدًا.. هنا فقط ستجدي أنا أمامك.. عدا ذلك فليس لدي أي اعتراض.. تستطيع أن تتقدم لطلبها من أبي رسميًا حينما نعود بإذن الله..

بدا سليم غير مصدقًا لما يسمعه في اللحظة الأولى.. قبل أن تتسع ابتسامته بسعادة بالغة و هو ينقل عينيه لسيلين التي بادلته الإبتسامة بمثل هذا الجمال لأول مرة.. ابتسامتها جعلته يقرأ جواب موافقتها بدون أن يضطر لسماعها بصوتها حتى..

و بعدها بدقائق..

كان جاد و سارة يجلسان في صالة المنزل بعد انتهاء الطعام.. بينما سليم يساعد سيلين في نقل الأطباق مبتسمًا لها بسحر.. و سيلين تبادله الإبتسامة لكن كما العادة ببعض التحفظ !

كانت سارة تنظر لهما مبتسمة بشيء من الإرتياح.. حينما انتفضت فجأة و هي تشعر بشيء صلب يلامس يدها.. و قد عرفت ماهيته..

كانت اسوارة فضية انتقلت لأناملها عبر أنامل جاد.. ذلك الذي كان مطرق الرأس ينظر إلى ما يفعله بجدية.. ففغرت فمها و هي تراه يغلق سحب الإسوارة برفق على معصمها بعد أن ألبسها إياها بدون أن يسألها !!

إلى أن انتهى تمامًا فنظر لها.. و حينها همست سارة بغير تصديق و هي تنظر للخيط الصغير المتدلي منها و ذلك الصندوق الصغير جدًا الملتصق في نهايته بشكل غريب ؛

\_ ما هذه !؟

قال جاد و هو ينظر لعينيها مباشرة بصوت عميق ؛

\_ لقد اشتريتها قبل يومين حينما تذكرت تاريخ عيد ميلادك الذي هو اليوم..

أمسك بالصندوق الصغير ليستأنف فوراً هامساً بشرود ؛

\_ و أنا من قمت بإضافة هذه إليها !

نظرت سارة للإسواره و الصندوق الصغير بتساؤل.. ففتحه جاد برفق ليديه لها.. و قد كان بداخله صورتان.. واحدة لسيلين و الأخرى لوالدها !!!

لم تفهم سارة سبب تلك الحركة في البداية.. فابتلعت ريقها بتوتر.. و طرفت بعينيها و هي تعيد أنظارها له هامسة ؛

\_ لماذا لم.. تضع صورتك أيضاً ؟!

نظرة غريبة لم تفهمها لامست عينيه.. امتزجت مع بريق يشبه الـ... الإنكسار !!؟

ثم همس لها بنبرة أعمق بكثير من سابقتها ؛

\_ لست أعلى منهما !

شعرت سارة بأنه ضربها في مقتل بمجرد عبارة صغيرة.. لكنها حملت من الصدق ما جعلها تعجز عن النفي.. و مع ذلك فقد وجدت لسان حالها يهتف ملتاعاً بما تمنى أن تصرخ به في وجهه..

" لكنك غالي.. و الله غالي ! رغم ألم الخذلان و قسوة انتقامك... غالي ! رغم سنين الحرمان و جفاء حبك... غالي ! بقدر الدموع التي جعلتني أذرفها أنهاراً... غالي ! لبيتك تعلم فحسب !!؟ "

بدا و كأنه قد قرأ كل كلمة ظهرت في عينيها.. و كأنه سمع هتاف قلبها من خلف نظراتها الهادئة.. و قد كان ما سمعه كافياً ليجعله يتراجع قليلاً في مقعده ناظرًا لها بشيءٍ من... من الدهشة !!

و قد تحول بريق الإنكسار الخفي إلى بريق ابتسامة خفية أيضاً.. همس بعدها بنبرة احتوت كل الثبات... و الصدق !

سأقابل والدك بعد أسبوع إن شاء الله.. لأعتذر له كما طلبتِ !

---

## " الرmq الثالث و العشرون ؛ خذلان...؟ "

\_تبا..تبا..لماذا تفعلين هذا بنفسك؟! ماذا ينقصك؟! لماذا!!!!!!

كان هذا صوت هتاف فؤاد الغاضب بسارة.. تلك التي توقفت أمامه في غرفة مكتبه تستمع إلى ردة الفعل المتوقعة بصبر شديد.. قالت ناظرة له بتوسل ما إن انتهى ؛

\_لا تضعني أمام هذا الخيار مجددًا يا أبي أرجوك.. أرجوك تقبله من أجلي !

لم تتأثر ملامح فؤاد بكلامها في اللحظة الأولى.. قبل أن يرتفع حاجباه ببطء.. و قال بحذر شديد لكن نبرته لم تتخلى عن جمودها و العنف الكامن بها رغم خفوتها الآن ؛

\_خيار؟! أي خيار؟! هل ستقفين أمامي مجددًا لتقولي بثقة أنك امرأة راشدة و ما إلى ذلك؟! هل ستتجاهلين قراراتي و تعارضيني لأجله مجددًا؟! هل ستختارينه إذا خيرتك هذه المرة أيضًا؟! هل ستفعلين!!!!!!

علا صوته أكثر في آخر كلمة.. فأطرقت برأسها قليلاً شاعرة بالدموع تلسع عينيها.. قبل أن تهمس بدون أن ترفع رأسها بصوتٍ أجش متحشرج ؛

\_لن أفعل ! دائماً كنت أنت أهم من الجميع و لا تزال.. لكنني فقط أريدك أن.. تمنحه فرصة أخرى لأجلي فقط.. أرجوك.. أرجوك يا أبي !

رفعت رأسها لتقابل عينيه اللتين كانتا تطالعانها بعذاب و قالت ؛

\_ألا أستحق أن تضحى قليلاً من أجلي؟! ألا أستحق أن أسعد بعد ما عانيته ! أنت أخبرني و إذا قلت لا تستحقين فسأغلق الموضوع فورًا و لن نتكلم فيه مجددًا !



أطبق فؤاد عينيه بانفعال شديد مكتوم.. ثم عاد ليفتحها ناظرًا لها بيأس.. همس  
و هو يرفع يده ليلمس وجنتها بحنان يتناقض مع نبرة صوته المُشدّدة  
المتشنجة ؛

\_ أنا لا أثق به.. لم أعد أستطيع أن أثق به بعد !! كيف سأمنحك له مجددًا ؟!!!

اكتست نظرات سارة ببعض الغموض و هي تهمس بثبات و رجاء ؛

\_ هذه المرة الوضع مختلف يا أبي.. مختلف جدًا.. هذه المرة أنا من أُملي  
الشروط و أضع القوانين و هو ينفذ.. سينفذ لي كل ما أريد بغير نقاش فقط  
لأسامحه.. ألا يكفي كل هذا لتسامحه أنت أيضًا !؟

زفر فؤاد بتعب شديد و هو ينظر جانبًا غير قادر على التنازل.. ثم لم يلبث أن  
جذبها إلى صدره بقوة ليهمس بتنهيدة طويلة بينما يدها تمسح بخصلات  
شعرها بقلق ؛

\_ سأحاول.. سأحاول من أجلك.. من أجلك فقط !

و فقط.. هذا كان الجواب الذي تنتظره سارة منذ البداية.. فكلمة " سأحاول "  
في قاموس والدها حينما تقال لها أو لسيلين تعني موافقة حتمية..

لكن هل تعلمون ما كان الشيء الغريب هنا !؟

أنها لم تبتسم أبدًا بعد سماع إجابته المنتظرة.. بل كانت نظراتها هادئة فارغة  
جدًا.. قبل أن يرتفع جانبًا شفيتها ببطء.. مجرد ارتفاع ضئيل شكلت به شيئًا  
يشبه الابتسامة..

لكنها ابتسامة خالية بدون حياة.. ابتسامة لم تحمل في باطنها سوى الكثير من  
السخرية المريرة !!!

---

لقد كان توقعها صحيحًا حول موقف والدها.. فوجدته يقف مكانه متنازلًا على  
مضض و هو يسمع الاعتذار المنشود من جاد.. جاد الذي همس بوجه كلامه

إليه بدون أن ينظر له.. فقد كانت عيناه عليها و كأنه يخاطبها هي لا  
هو... يخاطب قلبها.. !

\_ كما تعلم... لقد جننت لأعتذر.. أنا... أعتذر لكّ على كل شيء.. لا أعرف إذا  
كان هذا سيكفي بعد كل الأذى الذي تسببته لكم و لسارة.. لكنني  
فقط..... آسف! و أتمنى أن تمنحني فرصة أخرى لأبدل كل أحزانكم إلى  
فرح بإذن الله !

كانت هذه كلماته التي جعلت من والدها أحرصاً للحظاتٍ طالت شعرت فيها  
سارة ببعض القلق.. إلى أن تنهدت حينما رفع يده أخيراً ليصافح يد جاد  
المُمتدة إليه على مضض..

و يقول أمام وجهه بنبرة حادة كالسيف.. نبرة بدت و كأنها نبرة... تهديد !!  
\_ عليك فعل ذلكَ حتماً.. أنت ستضعها في قلبك قبل عينيك.. و ستحميها من كل  
شيء و أولهم نفسك المريضة.. أقسم بأنني سأجعلك تعيش من المعاناة ما لم  
تجربه في حياتك إذا لمحت و لو بالصدفة دمة واحدة تسقط من عيني ابنتي  
مجدداً بسببك.. فهمت !!

لم يتردد جاد كثيراً و هو يهز رأسه موافقاً رغم بعض الجمود الذي احتل  
عينيه.. و كأنه يقر باستحقاقه العقاب لو تجرأ و تسبب لها في الأذى ثانية !!  
كان صوت زفرة فؤاد العنيفة هي آخر ما سُمع بداخل غرفة المكتب قبل أن  
يتجه إلى الباب و يخرج بهدوء يناقض غضبه و قلقه الداخلي..

و ما إن غادر.. حتى كان جاد يقترب من سارة التي ظلت تراقب الوضع  
طيلة الوقت بملامح خالية من التعابير..

رفعت أنظارها إليه بصمتٍ ما إن توقف أمامها.. فهمس جاد بخفوتٍ أمام  
عينها ؛

\_ هل أستطيع أن أضمك الآن قليلاً؟! !

لم تتغير ملامح سارة و لم تلتن أبدًا حتى ظن بأنها سترفض قطعًا.. إلا أنها بدلاً عن الرفض.. فعلت ما لم يتوقعه منها أبدًا.. حينما اقتربت منه بنفسها ببطء.. و ارتفعت على أطراف أصابعها تحاوط عنقه بين ذراعيها مغمضة عينيها باستسلام..

بدا جاد مندهشًا في البداية و هو يقبل عينيهِ فوق الجدار أمامه بغير تصديق.. لكنه سرعان ما استطاع تمالك نفسه.. فشقت ابتسامة حانية مندهشة شفثيه و هو يرفع ذراعيه ليطوق خصرها بشدة.. يضمها بقوة أضعاف قوتها..

ثم همس في أذنها و هو يغمض عينيهِ متأوِّهاً.. مغرِّقًا أنفاسه الدافئة في خصلات شعرها ؛

أحبك.. و الله أحبكِ !!

فتحت سارة عينيها ببطءٍ لتقابل الباب المغلق بلامح لا تزال كما هي.. هادئة فحسب حتى بعد أن سمعت همسته.. بل ازدادت هدوءً بعدها..

قبل أن تشعر بسائل لزوج تعودت نزوله كثيرًا ينساب من فتحة أنفها ببطءٍ.. فتحرَّكت يدها لتلمسه و رفعت أصبعها أمام عينيها ببطءٍ تنظر لتلك الدماء بنفس التعابير الميتة..

إلا من تلك الدمعة التي أخذت تنساب ببطءٍ حارق فوق وجنتها.. تليها واحدة أخرى.. ثم أخرى.. جميعها سقطت بصمت بينما هي زمت شفثيها لتمنع صوت أنفاسها عن الإرتفاع فاضحة ضعفها الداخلي أمامه..

عانفته أكثر مشددة من ضغط ذراعيها حول عنقه بدرجة لا تسمح له بمحاولة الإبتعاد حتى.. و لم تبعد هي الأخرى إلا بعد أن أنزلت يدها لتلتقط منديلًا أبيضًا من المناديل المحفوظة في العلبة فوق المكتب..

رفعتها إلى أنفها لتمسح خيط الدماء في هدوء بدون أن تجعله يشعر بها !!

كانت صالة القصر ممتلئة بصوت الضحكات و الهمسات الخافتة.. فقد كان والد سليم و والدته و أخته يجلسون بجانب بعضهم البعض ناظرين إلى فؤاد بابتسامة عريضة بعد أن تمّ كل شيء بخير..

أما سليم فقد كان يجلس على أريكة منفردة.. عيناه كما العادة على سيلين الجالسة في مقابله.. بينما عيناها.. تتبرعان عليه بنظرة خاطفة كل لحظة و أخرى لتعود و تنشغل بشيء آخر..

و بجانبها تمامًا.. كانت سارة تجلس واضعة ركلة فوق الأخرى.. بينما على شفيتها.. كانت هناك ابتسامة رصينة لا تشبه أبدًا ابتسامة سيلين التي نالها بعض التوتر اليوم..

شعر سليم بقدرته على الجلوس في هذا الوضع تندمل.. فقال فجأة بهدوء و هو ينظر إلى فؤاد ؛

\_ هل تسمح لي بأخذ سيلين قليلًا.. أقصد لنتكلم قليلًا على انفراد !

لم يتردد فؤاد أبدًا و هو يقول بود ؛

\_ بالطبع.. لقد أصبحت خطيبتك الآن.. اجلسا في الحديقة قليلًا و تكلما على راحتكما..

لم يكده يكلمه.. حتى كان يقف سليم مندفعًا بلهفة.. بينما ظلت سيلين متمسرة مكانها قليلًا تنظر إلى سارة بتوتر قليلًا.. إلا أن سارة أومأت لها بابتسامة مشجعة هادئة.. قبل أن تنحني عليها لتهمس في أذنها بخبث ؛

\_ أنا أقترح أن تعترفي له اليوم بمشاعرك.. فهو لا يبدو متساهلاً في هذا الأمر إطلاقًا !

عبست سيلين قليلًا في وجهها.. ثم قالت بغضب تحاول أن تكتم ابتسامتها التي تحاربها للظهور ؛

\_ و أنا أقترح أن تتركيني و شأني و تهتمي بأمور جاد خاصتك !

اومات لها سارة بحاجب مرتفع بتوعد..فوقفت سيلين بتوتر و هي تنظر إلى  
سليم الذي كانت ابتسامته تكاد تصل إلى أذنيه لشدة وسعها..

أشار لها في حركة نبيلة أن تتقدمه..بينما ظلت سارة مكانها تراقب ابتعادهما  
بصمت..إلى أن قالت فجأة مخاطبة جميع من يجلس بلطف ؛

\_المعذرة منكم..أنا متعبة قليلاً لهذا سأصعد لغرفتي..أهلاً و سهلاً بكم  
مجدداً..

استدارت فوراً قبل أن تسمع أي رد منهم لتصعد الدرجات الطويلة بخفة  
متجهة إلى غرفتها..إلى أن دلفت و أغلقت الباب بهدوء..

توقفت خلفه للحظات..قبل أن تقترب من القفص الصغير حيث يعيش  
عصفورها "روميوا" و عصفورة جاد "جولييت"..

توقفت أمام القفص بشرود..و تلقائياً استعاد عقلها بعض الذكريات العالقة من  
الماضي..ترفض أن تستقر بين أرفف النسيان..

" روميوا بدون جولييت هو نكرة..كجاد تماماً عندما لا تكون معه سارة !! "

" لكن حينها سنضطر لتغيير اسم العصفور أيضاً إلى جاد.. لكي تكتمل  
الصورة كما تخيلتها دائماً..سارة حبيبة جاد.. سارة لجاد فقط و لن تكون  
لغيره..أبداً !! "

هزت رأسها بلا معنى و هي تجلي تفكيرها قليلاً..ثم اقتربت أكثر لتدخل  
أناملها الرقيقة بين خيوط القفص الحديدية.. تلاعب العصفورين للحظات..

\_لنرى... !

همست لنفسها بخفتٍ و هي تقترب من أحد الأدراج بالخزانة الصغيرة  
الملاصقة لسريرها و تفتحها مخرجة المفتاح منها..ذلك المفتاح الذي سرقه  
منها ذات يوم..و الذي أعاده إليها بمحض إرادته يوم أمس..

حينما كان على وشك الذهاب..

شعرت و هي ترافقه إلى الباب و كأن مشهدًا من الماضي يتكرّر..مشهد عقد  
قرانها !!

و كأن موافقة والدها على الزفاف الجديدة هي بمثابة عقد قران جديد  
بينهما..بوعود جديدة صادقة...من جهته على الأقل !!

لنتفاجأ به ما إن استدار بغاية الرحيل..يتوقف فجأة.. ليلتفت إليها و في  
يده...المفتاح !!

بدت و كأنها نسيت شكله و هي تعقد حاجبيها ناظرة إلى يده بصمت..إلا أنه  
لم ينتظرها أن تأخذه..فقد رفع يده الأخرى ليمسك بيدها..و همس بحزم حان  
و هو يضع المفتاح في راحة يدها ؛

" هل تعلمين ما كانت غاية أخذي إياه في المرة السابقة !! بعد أن اقترحت أن  
ألقي على العصفورين اسم " جاد و سارة " ! أن أجعلكِ تدركين في اللحظة  
التي تستوعبين اختفائه منكِ بأن مصيركِ...معي ! إن كان السجن بالنسبة لـ  
"روميوا" و "جولييت" هو قفص يخول لهما النظر إلى السماء مع الإدراك  
بعجزهما عن لمسها..فالسجن بالنسبة لنا هو قلوبنا المتصلة ببعضها البعض  
منذ الأزل..هو مشاعرنا التي تكونت قبل زمن بعيد فلم تعد قابلة للوآد !  
أردت أن أقحم في عقلكِ فكرة بأنكِ لي..لقد كنتِ لي و لا تزالين و ستبقين ما  
حييت..مهما بلغ السوء الذي سأنشأه بكِ عقابًا على رفضكِ لهذه الحقيقة  
قبلاً!..نعم..لقد كانت مجرد حركة سخيطة من رجل أحمق أراد أن يثبت وجهة  
نظره الأكثر سخفًا..إلى أن أدركت الحقيقة..بأنكِ لم تكوني لي يومًا..حتى في  
تلك اللحظات التي شعرت فيها بامتلاككِ حرفيًا كان هناك شيء ناقص..قلبكِ  
لم يكن ملكي بالكامل..و قلبي كان ينتفض كالطائر الجريح راغبًا في قتل كل  
نوايا الإنتقام منكِ بداخلي..كيف يمكنني أن أوذيكِ و أنا أعتبركِ انعكاسًا  
لنفسي؟!..كيف يمكن للإنسان أن يتسبب لنفسه بالأذى!..لروحه المتمثلة في  
شخص آخر..للإنسانة الوحيدة التي لم تمنحه إلا الحب في هذه الحياة الكئيبة  
الفارغة ! اكتشفت لاحقًا بأن ذلك الحب المريض بقلبي يستلزم بعض  
التعديلات ليصبح كما يجب..كما أتمنى ! و إلا كيف أوذي حبيبتي !! و

تعلمت بالفعل.. تعلمت أن أطلب الحب برفق كما أخبرتني ذات مرة.. أن أتوقف عن التمسك بكل ذريعة فارغة تخولني أذية من أحب.. أن أسمح لذلك الطفل الصغير الذي قتلته بداخلي بكل قسوة بأن يحيى مجددًا.. و أن أمنح لقلبي.. لمشاعري الحقيقية الفرصة للتحكم بكل أفعالي.. بعد أن أفرغ مكنونات صدري أمام من تستحق.. أمامك أنت !! "

كانت لكلماته تلك تأثير عاصف.. اقتحمت قلبها كما تقتحم الرصاصة روح الضحية.. لكن التأثير توقف عند حدود قلبها.. فظلت عيناها صامدتان.. حتى بعد أن قرأت ما تحاول كلماته أن توصله لها..

لقد كان واعيًا بكل كلمة و اعتراف ألقاه على مسامعها تلك الليلة !

لكن... منذ متى أصبح جاد شخصًا تتحكم به عاطفته.. لا غضبه !!

كان الصمت هو الجواب الوحيد الذي منحته إياه بعد كل ما قاله.. فأطبقت يدها على المفتاح.. و أغمضت عينيها مستقبلة قلبته ذات المعنى العميق فوق جبهتها..

قبل أن يغادر بصمت.. و تبقى هي واقفة مكانها.. على ملامحها.. يرسم تعبير... اللا شيء !

عادت من شرودها و هي تقترب من الخزانة الكبيرة التي تضم ملابسها لتستطيل على أصابع قدميها.. إلى أن تمكنت من إنزال صندوق كبير من الكارتون.. وضعت أرضًا قبل أن تفتحه لتخرج منه قفصًا حديديًا صغيرًا كان لديها منذ زمن..

وضعت القفص جانبًا فوق الأرض و استقامت مجددًا لتفتح القفص الحالي و تحمل أحد العصفورين برفق..

إلى أن وضعته بداخل القفص الآخر و أغلقت الباب عليه... بمفرده !!!!

تراجعت بعدها بهدوء إلى أن توقفت مستندة إلى الجدار ورائها.. عاقدة  
ذراعيها أمام صدرها تراقب كلا العصفورين بنظراتٍ غامضةٍ يطفو  
فوقها... حزن عميق !

\_\_ هل ستظل مبتسمًا بهذا الشكل !؟

قالت سيلين بفضاظةٍ و هي تتوقف فجأةً مخاطبةً سليم.. فاتسعت ابتسامة هذا  
الأخير برصانة.. قبل أن يدخل يده في جيب بنطاله ليخرج خاتمًا ذهبيًا و يمد  
يده الحرة لها في دعوة صريحة منه لتمسك بيده..

نقلت سيلين أبصارها بين يده و وجهه بدهشة كبيرة.. ثم قالت ببعض الخبث و  
هي تنظر له بجذل ؛

\_\_ أنت سريع جدًا !

قال سليم بصدق و هو ينظر لعينيها بنظراتهما الصافية التي تذهب صوابه ؛  
\_\_ بل أنت أسرع مني.. عندما طلبت مني أن أمنحك مهلة لتفكري قليلاً ظننت  
بأنني سأنتظر كثيرًا بعد.. لكن القدر كان لطيفًا معي جدًا.. و ها أنا ذا أصبح  
خطيبك بين ليلة و ضحاها.. ألا يدعو هذا للشعور بالسعادة البالغة !؟

ظلت سيلين صامتة قليلاً تنظر له بابتسامة هادئة.. قبل أن تهمس و كأنها تكلم  
نفسها ؛

\_\_ أساسًا لا أعلم ما الذي جعلني أوافق بهذه السرعة !

التقط سليم جملتها هذه فهتف فورًا بتعجب مفتعل ؛

\_\_ حقًا ! أنا أظن بأنك تعرفين حتمًا !

عقدت سيلين حاجبيها بعدم فهم و هي تنظر له ببعض التحفظ.. فأكمل سليم  
بنبرة خاصة واثقة ؛



\_ هناك نوعان اثنان من الزواج..الأول هو الزواج التقليدي..و الثاني "  
الزواج عن حب ".و زواجنا ليس تقليدياً بالطبع !

\_ ماذا تقصد ؟!

قالت سيلين بنبرة بطيئة عاقدة ذراعيها بجمودها الذي يوتره..فضحك قليلاً  
دون أن يظهر أي أثر للتوتر على وجهه..و قال و هو يفتح يده مجدداً أمامها  
؛

\_ أقصد أن تدعيني ألبسكِ الخاتم..رجاءً !

تردّدت سيلين قليلاً و هي ترمق يده باقية على نفس التعبير في وجهها و  
الذي جعلها تبدو أشبه بطفلة صغيرة مدللة..و لطيفة..لطيفة جداً..

إلا أنها في النهاية..رفعت يدها باستسلام لتتركها ترتاح فوق يده..فقبض  
عليها سليم بين يده برفق ليدخل الخاتم في أصبعها بنفس الرفق..و ما إن  
انتهى حتى قال و هو ينظر لخاتمه في يدها بطريقة جعلت من رموشها  
ترتجف قليلاً ؛

\_ يا إلهي..يكاد قلبي أن يتوقف من السعادة..لا أكاد أصدق بأن هذا خاتمي  
الذي تلبسينه !

كانت عيناه مبتسمتان بسعادة بالغة تؤكدان على كلامه..و ما إن رفعهما إلى  
سيلين..منحته ابتسامة جميلة جداً..قبل أن تراقبه و هو يعود ليدخل يده في  
نفس الجيب..ليخرج هذه المرة خاتماً فضياً..

تلقائياً توقعت بأنه سيطلب منها أن تلبسه إياه..إلا أنها تفاجأت تماماً و هي  
تراه يرفع يده هاماً بأن يلبسه لنفسه بنفسه !! قالت فجأة ؛

\_ أعطني إياه !

نظر لها سليم متساءلاً.. فمدت يدها و هي تشير له بعينيها أن يضعه فيها.. و  
قد تضاعف استغرابها و هي ترى الحيرة الطفيفة التي تلتقت عينيه  
المبتسمتين بينما يضعه في يدها كما طلبت..

فأطرقت قليلاً تنظر له في يدها ببعض الرهبة.. ثم تنهدت و هي تمسك بيده  
لتدخله في أصبعه تاركة إياه ينظر لها بشفتين فاغرتين و قد عادت له بلاهته  
التي أدركت مؤخرًا بأنها صفة متعلقة بها هي فقط..

فهو قد كان يتصرف مع سائر الناس غيرها ببديهية تامة !!

\_ أغلق فمك !!

قالت أمرة بانزعاج قليلاً.. ففرد سليم ظهره مستقيماً رغم أنه كان واقفاً  
أساساً.. و أطبق فمه بشدة أمام عينيها الصارمتين.. إلا أنه لم يستطع بعد لحظة  
واحدة أن لا يهمس بتردد ؛

\_ حسناً.. بما أننا نقف هنا بمفردنا و في هذا اليوم الجميل جداً.. ألا تحبين أن  
تقولي لي أيّ شيء ؟!

او مأت سيلين مردفة بسرعة ؛

\_ نعم.. ألم تكن تقول بأن والدك اختار لك فتاة.. كيف أقنعته بي إذا ؟!

هز سليم كتفيه ببساطة و هو يقول ؛

\_ أبي كان يريد فتاة ميسورة الحال قليلاً.. و أنا جلبت له ابنة أشهر رجل  
أعمال في المدينة.. هل تظنينه سيمانع ؟!!

هزت سيلين رأسها بتفكير.. ثم قالت مجدداً بحذر و بنبرة مفاجئة جعلته يجفل  
؛

\_ حسناً.. ماذا لو كنت فقيرة الحال ؟! هل كنت.. ستجيني أيضاً ؟!

الآن تلاشت ابتسامته تماماً و ظهرت الجدية على ملامحه.. ثم اقترب منها  
قليلاً ليهمس بصوت عميق شعرت بصدقه يختلج روحها ؛

\_ عندما أحببتك لم أفكر قط لا في هويتك و لا لقبك و لا حسابك المصرفي حتى.. أنا فكرت فقط أنني رأيت فتاة جميلة ذات سحر خاص تمكن من قلبي بكل سهولة فأرداني ضحية هذا الحب من طرف واحد !!

\_ من طرف واحد !!؟

قالت سيلين مكررة ورائه بدهشة أقرب إلى الاستنكار.. فأوماً سليم بلا أيّ تردّد و هو يردف ؛

\_ نعم.. هل تستطيعين أن تثبتي العكس !؟

بدت مجفلة قليلة و هي تتراجع خطوة مطرقة برأسها.. إلا أن سليم قال يسألها بخفوتٍ جاد و هو يقترب الخطوة التي ابتعدتها ؛

\_ قولي... هل تحبينني !؟

ازدردت سيلين ريقها ببطءٍ شاعرة بالتوتر الممتزج بالخجل الذي ينتابها لأول مرة بهذا الشكل.. و أمام من !! أمام سليم اللطيف !!

رفعت رأسها ببطءٍ لتتظر في عينيه القريبتين من عينيها بصمت للحظاتٍ طويلة.. قبل أن تهمس بنفس نبرته ؛

\_ و هل كنت سأسمح لك بالتقدم إلى طلب يدي رسمياً لو لم أكن لك و لو القليل من المشاعر !

و مع سؤالها وجدت ملامحه تتخلص تماماً من هذه الجدية التي وترتها.. و تعود لطبيعتها المبتسمة ببساطة.. ثم قال و كأنه لا يصدق ما سمعه ؛

\_ حقاً !؟ هل تكنين لي و لو القليل من المشاعر !؟

اومات له سيلين ببطءٍ.. ثم في اللحظة التالية.. لمحت سارة التي كانت تقف مستندة إلى حاجز الشرفة بغرفتها.. تتأمل السماء الساكنة بشروء.. فقالت فجأة بسرعة و هي تتراجع عدة خطوات مهدت طريقها للعودة للمنزل ؛

\_ هل تعلم !؟ لقد تأخر الوقت بالفعل و عليّ أن أدخل.. نتكلم لاحقاً !

رفع سليم يده ليوذعها بدون أن تزول ابتسامته.. و ما إن اختفى أثرها تمامًا  
عن مجال عينيه.. حتى رفع يده ليلا مس مؤخرة عنقه بينما يهتف غير شاعر  
بنفسه بضحكة كبيرة مذهولة قليلاً ؛

\_ تكن لك المشاعر.. لقد قالت ذلك.. إنها تكن لك المشاعر يا  
أحمق... نعم.. نعم.. تفعل.. تكن لك.....

توقف فجأة و هو يلمح سارة التي كانت تنظر إليه مباشرة في تلك  
اللحظة.. فشحبت ملامحه قليلاً و تصلب ظهره.. بينما ظل ينظر لها يدعو الله  
من كل قلبه أن لا تكون قد سمعت هتافه الغبي مع نفسه لتظنه مجنوناً !  
لكن ابتسامتها اللطيفة جداً و التي كانت تزداد لطفًا بعد كل ثانية أكدت  
العكس.. فتنهد باستسلام شاتمًا نفسه داخليًا و هو يرفع يده ليلوح لها في حركة  
بلهاء..

لكن سارة لم تبدو بأنها قد لاحظت كل أفكاره تلك.. فقد قالت توافقه الرأي  
بلطفٍ شديد بما استطاع أن يسمعه في خضام هذا الصمت و الهدوء الذي  
يلفّ المكان ؛ \_ نعم.. تفعل !

قبل أن تلتفت عائدة إلى غرفتها.. مغلقة باب الشرفة الزجاجي بعد دخولها.. و  
تاركة هناك شاب صغير يكاد أن يفقد صوابه إحراجًا !

---

هل جربتم من قبل ذلك الشعور ؟!

أن يتكرّر أمامكم سيناريو قديم عشتموه في الماضي ؟! أو بالأصح.. جعلتم  
أحدًا ما يعيشه !!!

لنتفاجأ يومًا ما بانقلاب الأدوار.. حيث تجد نفسك بطريقة ما أنت من تقف في  
مكان هذا الشخص.. نفس مكانه تحديدًا.. نفس اللفظة.. نفس المشاعر.. نفس  
الترقب و التوتر... و الشعور بالخذلان !

كان جاد يتخبط بين كل هذه المشاعر وهو يقف في نفس المكان حيث وقفت سارة قبل شهور عديدة..و كأن اللحظة تعيد نفسها لكن بطريقة أخرى..فها هو نفس الخوف و القلق و التوتر يتلقفه..

زفر بقوة و هو يشعر بالتوتر يتأجج في داخله جاعلاً من أعصابه تتشنج بقوة..بينما العرق الغزير ملاً جبينه..

نقل عينيه الضائعتين بمشاعر غريبة حول الضيوف..لقد مرت نصف ساعة تقريباً على الموعد المحدد الذي من المفترض أن يحضر فيه العروسين.. كما اتفقا كان هو من اهتم بكل شيء على أن لا تشرف سارة على أي شيء من التحضيرات كما طلبت..و هذا ما جعلها لا تزور هذه القاعة أبداً حتى اليوم..

تذكر عندما اتصلت به قبل ساعتين تقريباً لتخبره بأنها ستجهز نفسها في المنزل..و ستتأخر قليلاً في الحضور و أجابها هو بأن تأخذ وقتها الكافي و هو سينتظرها...و ها هو لا يزال منتظراً !

رغم أنه لم يكن يشعر بالإرتياح أبداً لموضوع إعادة زفافٍ آخر..يشعر و كأنه يحلم حقاً..و كأن كل شيء يحدث حوله الآن مجرد وهم و ليس حقيقة..لكنه كان سعيداً رغم ذلك..

كان !

و الآن بدأت تتلاشى سعادته تدريجياً و هو ينتظرها بشعور انتابه من اليأس و الخوف من احتمالية أن.....لا تأتي !!

هز رأسه و هو يطرد هذه الفكرة الغبية من عقله نهائياً..ثم رفع رأسه مجدداً لتلتقي عيناه بعيني سيلين التي كانت تقف بجانب سليم و من نظراتها استطاع أن يقرأ شعورها بالقلق مثله..

ليست هي فحسب..بل فواد أيضاً..

اقترب هذا الأخير منها ليقول بتوتر و حدة ؛

\_ ما كان عليك أن تتركها بمفردها.. لو أتيت معها يدًا بيد ألم يكن أفضل؟!!

تنهدت سيلين و هي تقول بيأس ؛

\_ حاولت يا أبي.. حاولت بشدة أن أبقى معها حتى نأتي سويًا لكنها رفضت بشكل قاطع و طلبت أن أسبقها...ماذا كنت سأفعل؟!!

\_ اتصلي بها..

قال فؤاد بصيغة الأمر القاطع.. فأخرجت سيلين هاتفها لتتصل فعلاً.. و لم تكد تمر ثلاثة ثوان حتى كان حاجباها ينعقدان قليلاً.. ثم أنزلت الهاتف قائلة بدهشة شديدة تمتزج مع قلقها ؛

\_ الهاتف مغلق!!!!

كان جاد يراقبهما من مكانه.. يلمح تعابير القلق و الدهشة التي تملو ملامحهما.. و ما إن رأى سيلين ترفع الهاتف إلى أذنها حتى تجمد محققاً بها بترقب.. لكنها أنزلت الهاتف فوراً فزفر بإعياء و عقله يميل إلى أكثر الأفكار السوداوية رعباً..

لم يشعر بنفسه و هو يسند كفه إلى جانبه بينما يرفع الآخر إلى جبهته يفرأ طرفها بعنف.. بينما حدائه الأسود اللامع يعزف لحنًا رتيبًا فوق الأرض الملساء فاضحًا توتره أكثر..

دقائق أخرى.. مرت ببطء.. كل ثانية تمر يشعر بأن صبره يتلاشى و أعصابه تتشنج أكثر و أكثر.. بينما أطرافه بدأت ترتجف و هو يرفع يده فجأة ليرخي ربطة عنقه إلى أن كاد أن ينتزعها..

ثم أخرج هاتفه ليطلب رقمها للمرة التي لا يتذكر كم..

زم شفتيه بقوة و هو يرفع الهاتف إلى أذنه منتظرًا.. غير عابئ بنظرات  
الناس الذين كانوا يراقبون الوضع بترقب.. يinquصهم فقط كيس من "الفوشار"  
و تكتمل نشوة مشاهدة هذه الدراما التي تكاد أن تعيد نفسها..

جميعهم بدون استثناء.. كانت ملامحهم تفصح عن توقعاتهم لنهاية هذا اليوم  
البائس !!

أنزل جاد الهاتف بنفاذ صبر ليدسه في جيب بنطاله.. و قد تحولت عيناه خلال  
دقائق معدودة إلى مستعمر من التناقضات..

لمح فجأة طفلًا صغيرًا يقترب بخطواتٍ راکضة بين جموع الناس  
باتجاهه.. ففغر فمه بصدمة.. و اتسعت عيناه و هو يراقبه بينما يقترب.. و  
يقترب..

إلى أن توقف أمامه.. و مدّ له ظرفًا أبيضًا يشبه الظرف الذي بعثه لها ذات  
يوم.. ذات يوم بعيد حزين افترض به أن يكون أجمل يوم في حياتهما.. كالיום  
تمامًا !!!

ابتلع جاد ريقه بصعوبة و هو يتراجع خطوة مترنحة للوراء.. و قد خانته  
الشجاعة فلم يستطع أن يرفع يده لأخذ الظرف..

لا يقوى على لمسه حتى لأنه يعلم محتواه جيدًا !!!

لكنه اضطر لأن يأخذه أخيرًا.. حينما قال الطفل الصغير يحثه ببساطة ؛

تفضل أمانتك يا سيد.. أنا لم أقبض الثمن إلا لأسلمك إياها في يدك !

أغلق جاد قبضته بقوة للحظة.. قبل أن يرفع يده شاعرًا بأنفاسه على وشك  
التوقف.. إلى أن لمس الظرف.. و قبض عليه بأنامل ترتجف بقوة.. و ما إن  
فعل حتى استدار الطفل راکضًا بسرعة إلى أن غادر..

أمام أنظار سيلين التي رمقت والداها بنظرة ذات مغزى إلى كليهما.. فهما  
مثله.. توقعًا محتوي الظرف !!!

أنتِ ترتجفين حرفياً.. اهدئي !

سمعت صوت سليم الذي همس لها من جانبها بقلق.. لكنها لم تتحرك من مكانها.. فقد ظلت تراقب جاد بعينين واسعتين فاقدتين للتركيز..

فتح جاد الظرف ببطءٍ شديدٍ.. برهبةٍ شديدةٍ.. ليخرج تلكَ الورقة المطوية بعناية بداخله.. و وجد نفس العجز يمنعه عن فتحها للحظاتٍ.. إلى أن سحب نفساً مرتعشاً.. و فتحها أخيراً.. و ليته ما فعل !!

" تصفية حسابات ! "

فقط.. جملة صغيرة من كلمتين مكتوبتين بخط عريض !!!! لكن هاتين الكلمتين كانتا كافيتين لتجعل النيران الحارقة تتدلع بداخله !

لم تتسع عيناه صدمة.. و لم يتجسّد الغضب الأعمى في ملامحه.. بل لم تظهر أيُّ ردة فعل في وجهه في البداية.. مجرد طرفة عين.. أطبق بعدها عينيه بقوة لتتناسب من تحتها دمعة حرقت ما تبقى له من صمود..

بل ما تبقى له من رغبة في كل الحياة !!

ليجد نفسه يسقط فوق الدرجة الوحيدة الفاصلة بين منصة العروسين و الصالة حيث يقف الضيوف..

كان قد فقد إدراكه للعالم.. فجأة اختفى كل الناس من حوله و لم يعد يرى أمامه سوى ملامحها.. و ابتسامتها الساخرة بمرارة.. و وعودها التي يبدو أنها لم تنساها أبداً.. بل و أوفت بها أيضاً !

" أنا هنا بالتهديد.. أنا مجبرة أن أظل معك.. افهم هذا !! و عندما أجد البديل فلن أتردد في ترك كل هذا و الانتقام منك بعدها.. لقد آذيتني بطريقة حتى العدو لا يمكن أن يفكر فيها لعدوه.. الآن تطلب مني أن أتناسى كل شيء و أختارك أنت.. مجدداً !!! ماذا أنت ؟!! هل أنت مختل ؟!!!!!! "



" لكن ضع في عقلك..لن أكون سارة فؤاد الغالي إذا لم أجعلك تبكي دمًا بدل الدموع و تندم على كل ما اقترفته في حقي !! "

أطرق برأسه أكثر سامحًا لدموعه بالإنسياب بألم حارق دون رادع..قبل أن يشعر بسيلين التي اقتربت منه لتخطف الورقة من يده بسرعة لكنه لم يهتم..و لم يرفع رأسه حتى..

فقد ارتفع صوت بكاءه و هو يختبر لأول مرة شعور "الخدلان" من شخص يحبه حقًا !

كانت دموعه بسبب ضعفه لا كرهه لها..هو لم يكرهها و لن يفعل..هو فقط أصبح يكره نفسه التي صنعت منها شخصًا آخر يحمل كل هذا الكَم من الحقد و الكره له هو فقط !!

كان وحيدًا..يبكي وحيدًا رغم أنه محاط بجموع الناس.. وحيدًا جدًا كذلك اليوم الذي فقد فيه أمه..كُلُّ مرة كان ينكمش فيها على جنب ليضم ركبتيه إلى صدره و يبكي حرمانه من كل شيء في هذه الحياة..

كذلك اليوم الذي وجد نفسه ينفجر فيه بالبكاء بعد أن أرسل لها تلك القنبلة القاتلة التي تدعى -رسالة- !!!!

كان يموت ببطءٍ..يتعمد تعذيب نفسه أكثر واسترجاع ذكرى ذلك اليوم ليختبر شعورها جيدًا غير سامح لقلبه بأيِّ فرصة ليكرهها !

و بينما كان هو في هذه الحال..كان سليم الذي يجهل كل ما يحصل يدفع الناس برفق حتى والديه و أخته ليغادروا حتى لا يشهدوا هاته الفضيحة العلنية أكثر..

أما سيلين فقد تراجعت خطوة بفشل إلى أن ارتمت على الجدار بظهرها ناظرة أمامها بتركيز ضائع و أنفاس مفقودة.. بينما الرسالة الكئيبة..لا تزال في يدها..

شخص آخر كان يعيش نفس الصدمة و هو ينظر لجاد الذي يراه لأول مرة  
منهارًا إلى هذا الحد في البكاء.. غير مهتم بنظرات الناس..

و قد تولى عنه جانبه القوي الصامد لتبقى هذه النسخة الضعيفة فقط.. النسخة  
التي جعلتها ابنته تظهر اليوم !!!

شعر بقلبه يتمزق و هو يرى أمامه جاد الصغير الخالي من الذنوب.. لا جاد  
الفظ الحاقد الذي عاد لينتقم و يسبب الأذى لابنته..

لا يرى سوى جاد "ابن أخته" الذي تربى تحت رعايته و على يده.. جاد الذي  
تعلم الدرس جيدًا و ها هو يشارك ابنته نفس شعورها ذلك اليوم !

رغم أنه ليس راضيًا أبدًا على فعلتها لكنه وجد لها عذرًا و دافعًا أكبر.. فهذا  
الذي يجلس أمامه الآن معتنقًا كل الضعف.. يدمر كل أحلامها في لحظة واحدة  
بدون أن يرف له جفن !!

في لحظة واحدة انطفأت سعادتها و ماتت مشاعرها لتغدو جسدًا بلا روح.. و  
ها هو يراه منطفئًا أمامه كما رأى ابنته من قبل.. فلماذا لا يشعر بالرضا ؟!

أخرج هاتفه ليتصل بسارة مجددًا و هو ينوي أن يوبخها بشدة على فعلتها  
التي خطّطت لها لوحدها بدون أن تطلع أحدًا.. لكنه زفر بغضب و هو ينزل  
الهاتف بيأس حينما وجد الخط مغلقًا..

نظر لسيلين التي كانت تبدو على وشك فقدان وعيها حقًا فاقترب بسرعة  
منها.. لكن سليم سبقه إليها و هو يهتف بسرعة ؛

\_\_ هل أنت بخير ؟!

كانت نظراتها تائهة.. تبدو و كأنها لم تعد تفهم أو تستوعب أي شيء.. لكنها  
رغم ذلك استطاعت أن تقول بغير تركيز ؛

\_\_ أريد أن أخرج من هنا.. خذني من هنا.. خذني من هنا الآن !

نظر سليم بتوتر لفؤاد الذي كان ينظر لهما بقلق.. فأوماً له بالإيجاب موافقاً  
إياه على ضرورة أخذها.. و لم ينتظر سليم و هو يمسكُ بيدها ليسحبها معه  
برفق حتى غادرا القاعة بأكملها و لم يتبقى فيها سوى فؤاد..

و جاد الذي كان قد سَكَن أخيراً..

و كأنها مجرد مسرحية هزلية كان هو المؤدّي فيها و انتهى دوره المؤثر  
بتصفيق الجمهور.. لكنهم أغفلوا عن نقطة مهمة.. بأن ما قدمه المؤدي من  
عرض لم يكن تمثيلية.. بل حقيقة واقعة طعنت صدره.. و جعلت عينيه تنزفان  
الدموع بغير حساب..

رفع رأسه فجأة لتلتقي عينيه المؤطرتين باحمرار البكاء بعيني فؤاد تمامًا..  
قبل أن يدفع نفسه بصعوبة للوقوف.. وقف مترنحاً يتمسكُ بأخر حبال قوته  
التي خارت..

وقعت عيناه على الورقة التي كانت مستقرة فوق الأرض بعد أن سقطت من  
سيلين في غمرة صدمتها.. فانخفض ببطءٍ ليلتقطها ناظرًا لها للحظة أخرى..  
قبل أن يتقدم عدة خطواتٍ باتجاه الباب العريض.. إلى أن غادر المكان كله  
في صمت تام..

بينما ظل فؤاد يقف في منتصف القاعة يحاول مرارًا و تكرارًا الإتصال بها  
لعلها تستجيب.. لكنه كُئِل مرة كان يجد الهاتف مغلقًا.. فيتندب بيأس و هو يعيد  
الكرة..

أما صاحبة الهاتف.. فقد كانت تسير مرفوعة الذقن.. تجر حقيبة سفرها  
ورائها.. بينما تعلق حقيبتها الصغيرة الأنيقة حيث يقبع الهاتف المغلق فوق  
كتفها..

لحظات قصيرة توقفتها أمام موظفة الإستقبال في محطة المطار بغاية إتمام  
كل الإجراءات المتبقية فقط.. قبل أن تتجه إلى طائرتها المُتجهة إلى بلاد  
أخرى..

لنتخذ مقعدها هناك.. ذاهبة... إلى مكان لن يبحث عنها فيه أحد !  
استندت برأسها إلى طرف المقعد ورائها ناظرة إلى الهواء الطلق من خلف  
النافذة الصغيرة المرافقة لمقعدها.. وكأنها لا تودع بلدها فحسب.. بل قطعة  
من روحها ستتركها هنا مضطرة و ترحل !!

---

## " الرmq الرابع و العشرون ؛ليلة طويلة "

\_ انتظريني هنا.. سأعود حالاً..

قال سليم لسيلين التي لم تنبس بكلمة منذ مغادرتها بقاعة الزفاف و هو يجعلها تجلس بجانب المسبح في منزله.. فأومأت بغير تركيز و هي تتخذ مقعداً من أحد المقعدين المحيطين بطاولة دائرية صغيرة تسمح لك برؤية المسبح و التأمل في سكون هذا الليل الخادع..

ابتعد سليم بسرعة بينما ظلت متسمة مكانها للحظاتٍ تنظر إلى الفراغ أمامها.. قبل أن تقف فجأة لتتجه ببطءٍ إلى المسبح إلى إن وصلت إليه و انحنت تجلس على طرفه مغرقة قدميها بداخل المياه الباردة..

كانت عيناها عميقتان و هما تنظران بشرود إلى انعكاس صورتها المشوشة في الماء.. بينما عقلها عاجز تماماً عن التفكير.. فقد ظل عالقاً بمنظر جاد البأس اليوم.. و بغير إرادتها.. وجدت نفسها تغرق في مقارنة معقدة بين جاد اليوم.. و جاد القديم..

جاد القوي.. العنيف.. المترفع ربما رغم وضعه المادي الذي كان مزيئاً في الماضي و أصبح جيداً نوعاً ما الآن..

حقاً... هل يجعلنا الحُب ضعفاء إلى هذا الحد؟!!!

إنها توشكُ بالفعل على لوم سارة رغم أنها تتفهمها.. فهي أيضاً مرت بنفس التجربة.. لقد عاشت أختها كل أنواع الألم منه.. و التي تجعلها تكن له الكثير من أحقادها بدون أن يلومها أحد..

لكنها اليوم.. لسبب مجهول.. شعرت بالتعاطف لأول مرة مع جاد !! و ببعض التضايق من... سارة !!!

هزت رأسها بقوة رافضة لهذه الفكرة الغبية و هي تهمس بتأنيب لنفسها ؛

\_ اُخرسي.. اُخرسي سيلين.. سارة معها حق تمامًا.. كيف تتعاطفين معه بالله عليك... أنتِ في صف سارة.. للأبد في صفها.. و جاد ليس.....

\_ هل أنتِ بخير !؟

رفعت رأسها بسرعة لتتنظر إلى سليم الذي كان قد توقف ورائها يحمل في يده كأسًا من الماء مده لها بلطف.. فأخذته منه بتردد و هي تنظر أمامها مجددًا و قد عاد الضياع ليلتهم ملامحها..

شعرت به يجلس بجانبها ليغطس قدميه في الماء مثلها بعد أن رفع بنطاله الرسمي قليلًا إلى ركبتيه.. لكنها لم تعلق و تركت للصمت فرصة التسيد بينهما للحظاتٍ طويلةٍ ظل فيها كل منهما يحدق أمامه..

إلى أن قطعه سليم هامسًا بخفوتٍ بدون أن يلتفت إليها ؛

\_ أنتِ متعاطفة مع زوج أختك.. أليس كذلك !؟

نظرت له سيلين شبه مجفلة.. ثم لم تلبث أن عقدت حاجبها قليلًا برفض و هي تهم بالنفي عبثًا.. فقد تلكأت شفتاها في إخراج الحروف لوهلة..

فابتسم سليم أمام صمتها المتوتر و هو يلتفت إليها بالكامل الآن هامسًا بهدوء ؛

\_ أعلم.. ستقولين بأنني لا أعلم أيّ شيءٍ بشأن هذا الموضوع !

شعر بتوترها ينتقل إليه و هو يلحظ نظراتها الغريبة التي اكتسحت عينيها نحوه.. فقد كانت تدقق النظر بوجهه بطريقة غير مألوفة.. بدت و كأنها.. و كأنها تلاحظه لأول مرة.. تنظر لكل تفصيلة في وجهه..

إلى أن همست بخفوتٍ ؛

\_ لا.. لم أكن سأقول ذلك !

ابتلع ريقه ببطءٍ و هو يهمس بتلعثم ؛

\_إِذَا.. هَلْ مَا أَظْنَهُ...صحيح؟!\_

لم تجب سيلين فوراً..فقد ظلت تنقل أبصارها بين وجهه بنفس الطريقة..إلى أن استقرت عيناها في عينيه..و تلكأت قليلاً قبل أن تهمس فجأة كالمنومة مغناطيسيًا ؛

\_أنا..أنا أظن.....\_

صمتت فجأة..فقال سليم يحثها ببطءٍ ؛

\_أنتِ...!! تظنين ماذا؟!\_

ابتلعت ريقها ببطءٍ بدون أن تبعد عينيها عن عينيه..و ساد بعض الصمت..قبل أن تهمس بصوتٍ بدا شبه مختنقاً.. ذاهب الأنفاس رغم هدوءه ؛

\_أظن..أظن بأنني.....أحببتك !\_

تراجع سليم قليلاً برأسه ناظرًا لها متفاجئًا بشدة..لكن من بين الدهشة التي اكتنفته..التمعت عيناها ببريق خاطف بدا لها كشهاب يعبر سريعًا في سماء سوداء خالية من النجوم.. همس بعد لحظات طويلة بـ..ببلاهة !

\_ما..ماذا قلت؟!\_

او مات سيلين ببطءٍ و هي ترفع كتفيها ببساطة مكررة بصدق ؛

\_أظن بأنني أحببتك !\_

كان يبدو مندهشًا بالفعل..ينظر لها و كأنه ينظر إلى صورة وهمية ستختفي ما إن يمد يده ليلمسها..كانت تبدو كالحلم الذي تحقق و هي تدقق النظر بلامحه..متعمدة التقاط كل انفعالات وجهه بعد أن ألقت بكلمتها السحرية أمامه..و بهذه البساطة أيضًا !!

بينما لم يستطع سليم أن يستوعب للحظاتٍ طالت.. قبل أن تشق شفثيه ابتسامه  
مدهشة أخذت تتسع تدريجياً حتى شملت وجهه كله.. لتتحول إلى ضحكة  
سعيدة حقاً قال بعدها بتعجب ؛

\_ هل قلت ذلك حقاً؟!\_

اومات سيلين بمشاعر أخرى طفت فوق قلبها لتجعلها تشاركه الابتسامه  
متفاجئة من نفسها هي الأخرى.. فهمس سليم بدون أن تتلاشى ابتسامته  
الواسعة السعيدة.. و التي نالها البعض من توتره المعهود ؛

\_ أنا لا أعرف ماذا أقول حقاً !

همست سيلين بصوتٍ ثابت خافت ؛

\_ لا تقل أيّ شيء.. اصمت فحسب !

أشاحت بوجهها جانباً شاعرة بالغباء الشديد.. فعضت على شفثيها مبتسمة  
بذهول بدون أن تستطيع منع نفسها.. و شاركها سليم نفس الإبتسامه و هو  
ينظر في كل مكان عدا وجهها الحبيب..

رفع يده ليلمس موضع قلبه فشعر بدقاته تتسارع بدرجة أكبر.. إلا أنه لم  
يستطع أن يقول كلمة إضافية.. إلى أن سمع صوت سيلين يهمس بجانبه  
بهدوء ؛

\_ هل نذهب؟!\_

فرفع رأسه بسرعة إليها.. قبل أن يطرف برموشه.. ثم تحرك بسرعة يهم  
بالوقوف.. لكنه عاد لينخفض قليلاً ليعدل من ثيابه.. ثم ابتعد إلى داخل المنزل  
قبل أن يعود بعد لحظات يحمل في يده منشفة صغيرة..

وقف أمامها ملقياً بالمنشفة فوق الأرض هامساً بلطف ؛

\_ قفي فوقها لتجفّ قدمك قليلاً..



نظرت سيلين للمنشفة متفاجئة قليلاً بينما كان بعض التوتر الخجول لا يزال  
بادياً على وجهها المبتسم بسحر.. ثم لم تلبث أن انحنت لتلتقط المنشفة شارعة  
في تجفيف قدميها فعلاً.. لكنها همست رغم ذلك بإحراج ؛

\_ هل هذه المنشفة لك ؟!

قال سليم و هو يراقبها مبتسماً بهدوء ؛

\_ لا..

رفعت سيلين رأسها بسرعة إليه.. فقال فوراً ؛

\_ أقصد أنها جديدة.. لقد اشتريتها قبل يومين تقريباً و لم أحصل على فرصة  
لأستعملها..

انحنى حاجباها قليلاً متأوهة بخفوت.. و نقلت أبصارها بين وجهه و المنشفة  
بإحراج أكبر و هي تقول ؛

\_ و لماذا جلبتها لي إذا ؟! أنا.. أنا آسفة حقاً !

هز سليم رأسه بالنفي و هو ينظر لها بينما تقف ممسكة بالمنشفة بين يدها.. ثم  
قال برصانة ؛

\_ لا داعي حقاً لتعتذري.. أنا كنت أريد بالفعل أن أهديك شيئاً ما.. تستطيعين  
أن تحتفظي بها.. أقصد.. سأكون سعيداً لو بقي لديك شيء مني حتى لو كان  
مجرد... منشفة !

كانت سيلين تنظر له بحاجبين مرتفعين قليلاً مندهشة برأته في الكلام.. قبل  
أن تهز رأسها ضاحكة بقلة حيلة.. ثم قالت و هي تهز كتفيها ببساطة ؛

\_ حسناً إذا.. لتكن لي.. شكراً لك..

او ما سليم مبتسماً بسعادة مطلقة.. فتنهدت سيلين و هي تهمس عابسة قليلاً ؛

\_ حسناً.. لا داعي لكي تبدي كل هذه السعادة أمامي.. تعلم بأن اليوم.....

صمتت فجأة و ظهر بعض التضايق على ملامحها..فقال سليم بتفهم ؛  
\_أعلم..و أنا متأسف لهذا الأمر حقًا..لكنني لا أستطيع أن أخفي سعادتي في  
هذا اليوم تحديدًا..تعلمين.....

و صمت هو الآخر..فأومأت سيلين و هي تتلقى تلميحه.. قبل أن تخرج  
هاتفها فجأة لتطلب رقم سارة مجددًا..لكنها مجددًا كحال أبيها وجدته مغلقًا..

زفرت بيأس و هي تسقط يدها بجانبها ؛

\_لا بأس..امنحها القليل من الوقت..أنا متأكد بأنها ستتصل بكِ بنفسها ما إن  
تستطيع..

كان هذا صوت سليم الذي همس لها بجدية و رفق..فهزت سيلين رأسها لعدة  
مرات و هي تلتقط حقيبتها من فوق الكرسي الذي تركتها فوقه لتعلقها فوق  
كنفها بخلاف..و تعلق فوقها المنشفة التي أهداها لها سليم..

كل هذا تحت أنظار سليم المأسورة بكل تحركاتها التي من المفترض بها أن  
تكون مجرد تحركات طبيعية جدًا !!

قالت بحزم و هي ترفع أنظارها إليه أخيرًا ؛

\_دعنا نذهب..

سار سليم معها جنبًا إلى جنب في اتجاه الباب بصمتٍ لم يقطعه سوى صوت  
سيلين التي همست فجأة بعد ثوان ؛

\_سليم !

نظر لها بتساؤل..فتوقفت لوهلة لتقول ناظرة لعينيه بنبرة امتنان حقيقية ؛

\_شكرًا لك !

ظل سليم صامتًا ينظر لها مبتسمًا قليلًا..ثم سرعان ما كان يقترب منها خطوة  
صغيرة..و همس بصوت عميق ؛

بل أنا من يجب أن أقول ذلك..شكرًا لك !

لماذا !!؟

سألت عاقدة حاجبها قليلاً بعدم فهم..فهز سليم رأسه متمسكاً في ابتسامته..و كانت الإجابة الوحيدة التي منحها لها..تنهيدة طويلة خرجت محملة بلامحها الحبيبة إليه..

كانا قد وصلا إلى سيارته ففتح لها الباب يستحثها بعينيه على الصعود..قبل أن يدور حول السيارة إلى أن اتخذ مكانه أمام المقود..

رمق تلك الجالسة بجانبه بنظرة أخيرة فوجدتها تنظر جانباً بهدوء تام..نفس ذلك الذي ملأ ملامحه و هو يشرع في تشغيل السيارة منطلقاً بها بصوتٍ اخترق سكون هذا الليل الموحش..

---

كان يقود سيارته بذهن غائب..يراقب الطريق من خلف غلالة دموعه التي لم تجف بعد و لا يبدو بأنها ستجف اليوم..لا تزال أنامله تعتصر تلك الورقة بقوة..

عاجز عن تمزيقها أو رميها حتى و كأنها انعكاس بكلمتيها الإثنتين لتأثير ماضيه المشوه على من خطت الكلمتين بأصابع ثابتة أحكمت على رقبتة حتى كاد أن يختنق..

توقف أخيراً بعد ساعات طويلة من القيادة..بجانب ساحل البحر..فنظر حوله للحظاتٍ لا يعلم ما الذي يفعله هنا حتى..

هو لم يكن يريد أن يأتي إلى هنا..لقد كان يقود فحسب في الطريق المظلم بدون وجهة..

كما جعلها تعتكف الظلام في سيارتها ذلك اليوم..مستقلة طريقاً طويلاً بدون وجهة أيضاً !!!

كان المكان فارغًا تمامًا في هذا الوقت من الليل.. فارغ و مظلم كقلبه تمامًا !

فتح الباب باستسلام لينزل و يقف مستندًا إلى سيارته بظهره يسمع هدير  
الأمواج الصاخب من بين الظلام السائد حوله..

طال وقوفه المؤلم هناك لدقائق..

قبل أن يطرق برأسه و يرفع تلك الورقة يفتحها مجددًا أمام عينيه.. و ظل  
ينظر لها بملامح خالية من التعابير.. يقرأ نفس الكلمتين مرارًا و تكررًا..  
رغم أنه لم يكن يراها حرفيًا فقد كان الظلام يغشي عينيه.. لكن الظلام لم  
يقف حائلًا أمام انسياب دموعه الحارقة.. واحدة تلو الأخرى ببطءٍ  
شديد.. متعمدًا الشعور بها.. يريد الشعور بها..

إلى أن انقطع هذا الصمت فجأة بذلك الصوت الخشن الغريب الذي تحدث  
صاحبه من أمامه مقاطعًا لحظات موته ؛

\_ هيا أيها الفارس الحزين.. أعطنا كل ما لديك بهدوء لنتركك تذهب بسلام !

رفع جاد رأسه ببطءٍ شديد مع سماعه لهذا التهديد الصريح.. فرأى رجلين  
طويلين عريضين يقفان أمامه بملامح لا تنبئ بالخير أبدًا..

هل تظنونه خاف؟! أو فقد أعصابه مثلًا.. أم أنه سيحاول الدفاع عن نفسه  
اليوم تحديدًا !!!

بالطبع لا.. لم تكن حالته تسمح له بالشعور بأيّ من ذلك.. فقد اتسعت ابتسامته  
بسخرية شديدة من نفسه و هو يلفّ الورقة بعناية فائقة ليضعها في جيب  
بنطاله..

ثم استقام قليلاً.. و قال بكل هدوء و هو ينقل عينيه بين الرجلين ؛

\_ أروني ما لديكم !

كانت نبرته متهكمة ساخرة يملأها التحدي المجنون.. فانعقد حاجبا الرجلين  
معاً بدهشة و هما ينظران لبعضهما للحظة نظرات مفادها..أيّ معنوه  
اعترضنا طريقه!؟

لكن جاد أبى إلا أن يكرّر كلامه مردفاً بسخرية أشد ؛

\_\_هيا..لا تظهر ا هذا التعاطف البائس..ستأخذان ما تريدانه فقط بعد أن تبذلا  
القليل من المجهود في سبيله !

ظل الرجلان واقفان مكانهما للحظة..قبل أن يهز واحد منهما رأسه ببطء..ثم  
في اللحظة التالية..كانت يده ترتفع عاليًا لتسقط فوق وجه جاد بلكمة قوية لم  
تؤثر فيه بأيّ طريقة..

فقد أخفض رأسه لوهلة قبل أن يعود ليرفعه ناظرًا إليهما بينما ابتسامته  
المُستفزة تحثهما أكثر..و قد زاد الوضع صعوبة بصوته الذي نطق  
باستخفاف ؛

\_\_هيا هيا أظهر ا القليل من مهارتكما..لا تقفوا مثل الجبناء منتظرين المنة  
مني..أنا لن أعطيكم أيّ شيء ما لم تأخذوا ما تريدونه بالقوة... !!!

هل تظنون بأنهما كانا ليترددا بعد جملته هذه !!

انقضا عليه في لحظة واحدة ليجد نفسه مداهمًا بينهما كل منهما ينال حصته  
في لكمة كما تمنى و طاب..و كأن بينه و بينهم حسابًا قديمًا لن يكتمل إلا  
اليوم..و قد كان هناك حساب بالفعل..بينه و بين نفسه !

لم يحاول جاد المقاومة..هو لم يرفع يده حتى و لم يلفظ كلمة فقد اكتفى  
بالضحك الهستيري بينما يتلقى منهم اللكمات الواحدة تلو الأخرى..و كلما  
تلقى لكمة جديدة أصبح صوت ضحكه أكثر ارتفاعًا..

إلى أن سقط أخيرًا على ركبتيه غير قادر على الوقوف أكثر.. كان مستسلمًا  
إلى درجة جعلت الرجلين ينظران إلى بعضهما مذهولين فعلاً من هذا الكيان

الغريب أمامهما.. قبل أن يرفع أحدهما ركبته ليوجه له لكمة أخيرة أوقعته أرضاً..

فعلى صوت ضحكته أكثر و أكثر ليخترق المكان من بين شفثيه النازفتين بقوة.. و سمع صوت أحد الرجلين يهتف بفضاظة و غضب ؛

\_ هل ستخرج ما لديك الآن !!؟

حينها حركَ يده ليغرقها في جيب سترته مخرجاً محفظته.. ليدها لهما بكل المال الذي تحتويه قائلاً بنبرة امتنان شخص يشكر أحداً قام بمعروف كبير له ؛

\_ الآن فقط تستحقانها !

التقطها منه الرجلين بدون تردُّد و التمتع عيناها بلهفة و هما يفتحانها و يخرجان المال منها.. فهز أحدهما رأسه ذاهلاً من المبلغ الكبير.. و قال موجه كلامه لجاد بينما يلقي بالمحفظة بجانبه أرضاً بعد أن أفرغ كل محتواها ؛

\_ كنت افعلها منذ البداية بدل كل هذه المعاناة !

كانا قد ابتعدا بالفعل بعد آخر كلمة.. بينما بقي جاد مستلقياً مكانه على ظهره.. يطالع السماء السوداء للحظات طالت جداً.. جداً.. و قد ماتت ضحكته الخادعة و اندثر صوته خلف شعور قويّ من مرارة خنق حنجرته..

قبل أن يتحرك بصعوبة قليلاً يحث نفسه إلى جلس مستنداً إلى سيارته بظهره.. و دسّ يده في جيب بنطاله يخرج هاتفه شارعاً في ضغط عدة أزرار بأنامل ثقيلة إلى أن وجد غايته.. صورتها !

كانت واحدة من الصور القديمة التي التقطها لها ذات مرة كما التقط لها العديد من الصور في كل مرة كانت تبهره بإطلالتها و ابتسامتها..

لا يزال يتذكر ذلك اليوم حتى الآن.. عندما نظر لها من البعيد بينما هي تقف في شرفة غرفتها.. تكلم سيلين في ودٍ و ابتسامتها تكاد تخطف عقل كل من يراها..

الحقيقة كلتيهما كانتا مبتسمتين لكنه أخذ الصورة لها هي فقط و قطع صورة سيلين لبقى وجهها فقط مبتسمًا بسحر بينما خصلاتها تشاركُ ابتسامتها نفس السحر و هي تتطاير قليلاً فوق عينيها..

و قد أكملت أناملها اللوحة فارتفعت لتلمسها في محاولة لتهدئها قليلاً..

غافلة عن تلك الزوج من العيون التي كانت تراقبها بوله لتنتهز الفرصة و تخذ تلك الحركة قبل أن تتمكن من تهديب خصلاتها !

الآن.. كانت هناك ابتسامة شاردة ترسم في عينيه.. وحدها الأثر الذي خلفته ضحكاته المجنونة التي أزعج بها مسامع الرجلين قبل قليل و استفزتهما أكثر..

تأوه صغير صدر من بين شفثيه و هو يشعر بألم قوي يغزو كل ذرة من جسده.. قبل أن يهمس بشرود و كأنه يحدثها فعلاً.. يخاطب عينيها المبتسمتين بصفاء في الصورة ؛

\_ لا تقلقي.. إنه ألم زائل.. صدقيني لا يعد شيئاً مقارنة مع ذرة ألم واحدة من آلاف عديده جعلتك تعيشينها.. لكنه كافٍ حتى هذه اللحظة ليخمد القليل من هذه النار التي تحرق قلبي.. لعلي أتعاطف مع نفسي... قليلاً !

حرك يده الأخرى يخرج بها تلك الورقة من جيب بنطاله حيث تركها قبل قليل.. رمقها بنظرة خاطفة و هو يتركها تسقط في الأرض.. قبل أن يعيد أنظاره إلى الملامح الحبيبة و همس مؤكداً ببطء ؛

\_ نعم.. ليست إلا حسابات كان يجب تصفيتها و قمت بذلك عني.. الآن فقط أستطيع أن أقول بأننا تعادلنا.. الآن أصبح ألمنا واحداً..

تراجع برأسه إلى الوراء مغمضًا عينيه بقوة يتأوه بألم جبار.. قبل أن يتمالك نفسه ليفتحها مجددًا على صورتها و يكمل بصوتٍ شديد العمق رغم ألمه ؛  
\_أعدك.. وعد جاد مراد الذي لن يخلفه أبدًا.. بأنني سأستعيدك.. سأقع في حُبك مجددًا و أجعلكِ تقعين في حبي ألف مرة بعد كما فعلت من قبل.. و سأستعيدك.. لأنك فقط لي.. و لأنني نلت كل ما استحقته من عقاب.. سأستعيدك.. برضاكِ.....حبيبتى !!

---

وقفت بهدوء ما إن سمعت نداء الطائرة بعد أن وصلت إلى وجهتها المحددة.. لكنها لم تكد تستقيم حتى داهم صداد قوي رأسها و شعور من الغثيان جعلها تلمس جبينها مغمضة عينها للحظة سريعة..  
قبل أن تأخذ نفسًا عميقًا و تخرج حقيبتها من صندوقها المرافق لمقعدها في الطائرة و تقف باعتدال في محاولة للتمسك بحبال و عيها..  
سارت بعدها بخطواتٍ حاولت الحفاظ على ثباتها رغم ترنحها الداخلي.. لكنها عجزت تمامًا بعد لحظاتٍ أخرى.. فسقطت فوق أول كرسي وصلت إليه في المطار..  
ثم انحنت قليلاً إلى الأمام تحاول أن تلتقط أنفاسها المضطربة بتأني محاوطة بيديها جبينها..

\_الدكتورة سارة فؤاد الغالي؟!\_

رفعت رأسها بسرعة فور سماعها لهذا الصوت الرخيم يسألها بأدب.. فنظرت عاقدة حاجبها بحيرة لشاب طويل بمظهر متحضر راقى يقف أمامها مبتسمًا بلطف..

ضيقت سارة عينها قليلاً محاولة أن تستمد كل التركيز الممكن.. ثم همست بإرهاق ؛



\_ عفوًا.. هل أعرفك؟! !!

اتسعت ابتسامة الشاب اللطيفة.. و فرد يده نحوها في دعوة ودودة للمُصافحة  
بينما يقول ؛

\_ براء عدنان.. أنا من طرف أشرف..

\_ أشرف؟! !

كرّرت سارة من وراءه بحيرة بدون أن تصافحه.. لكن الشاب ظل فاردًا كفه  
نحوها منتظرًا بينما يردف ؛

\_ نعم.. أنا صديقه..

لم تبدو سارة مقتنعة في البداية.. ظلت تنظر له قليلاً بشكٍ.. ثم لم تلبث أن  
ارتخت ملامحها قليلاً و هي تمد يدها أخيرًا لتصافحه بينما تهمس ؛

\_ لكنه لم يخبرني عنك... أيّ شيء !

او ما براء قائلاً بجدية ؛

\_ ظننته أخبرك بالفعل.. لا بأس.. تستطيعين أن تتصلي به و سيؤكد لك  
كلامي..

صمت قليلاً ناظرًا لملامحها الجذابة و الشاحبة بشدة و أكمل ؛

\_ أنتِ تبدين مرهقة بالفعل.. هل سمح لكِ بالسفر؟! !

او مات سارة ببطءٍ و هي تجيب ؛

\_ بل هو من أخبرني أن أسافر..

كانت تستند بيديها على طرفي الكرسي تحاول أن تحت نفسها على  
الوقوف.. لكن التعب كان متحكّمًا بها كليًا.. فأطبقت جفنيها بأعصاب متشنجة  
و هي تسمع صوته يسألها لها مجددًا بتردد ؛

\_حسناً..كيف تشعرين؟! أقصد.....كيف حالكِ الآن؟!\_

هزت سارة رأسها مبتسمة بسخرية..قبل أن ترفع رأسها لتقابل وجهه  
مجدداً..و قالت بفتور متجاهلة السؤال الغبي ذاك ؛

\_هل أنت دكتور؟!\_

او ما لها براء ببطءٍ و هو يرد شاعراً بالحيرة ؛

\_نعم...\_

لكنه لم يتوقع أن يكون جوابها بمثل الفظاظه التي أجابت بها..فقد قالت بنفس  
السخرية التي بدت مهينة نوعاً ما له ؛

\_إذاً وجب أن تكون على علم بالطريقة الأنسب لتسأل شخصاً مصاباً  
بسرطان في درجته الثالثة عن حاله !

تحاملت على نفسها لتقف أخيراً أمام براء الذي امتعت ملامحه بشدة..قبل أن  
يزم شفثيه بقوة شاتمًا نفسه بعنف على غباءه..نظر لها ليهمس بنبرة اعتذار  
محاولاً تلافي شعوره بالإحراج ؛

\_أستسمح منك..أنا..توترت بالفعل و لم أعرف ماذا أقول !

\_لا بأس..\_

قالت سارة تلقائياً و هي تشعر ببعض الندم يجتاحها على أسلوبها معه قبل  
قليل..قبل أن تغرق يدها في جيب حقيبتها الصغيرة لتخرج هاتفها و تشغله  
أخيراً..

كانت ملامحها خالية من أيّ تعبير و هي تتجول بعينيها فوق المكالمات  
الكثيرة المتتالية..من والدها و أختها..و للعجب فقد وجدت نفسها تبحث بين  
كل الأسماء على اسمه فقط..

و ما إن وجدته حتى انعقد حاجباها بشعور من الخيبة و هي ترى مكالمتين متتاليتين منه..قبل ساعاتٍ طويلةٍ من آخر مكالمة من والدها..أي أنه اتصل بها قبل أن يقرأ الرسالة بالفعل..و لا بد أنه الآن.....

\_أنسة سارة !

التفتت بسرعة على صوتِ براء بعد أن كانت قد نسيتَه فعلاً..فقالت باختصار و هي تعيد الهاتف مكانه و تجر حقيبتها ؛

\_لست أنسة !

كانت قد تجاوزته فعلاً فهز براء كتفيه متنهداً بقلة حيلة من هذه المخلوقة الغريبة..قبل أن يمشي بحذر وراءها حتى توقفت أخيراً أمام المطار و توقف هو الآخر بجانبها..

قال بسرعة و هو يشير بيده إلى سيارته المركونة بين مجموعة من السيارات الأخرى ؛

\_رجاءً..دعيني أقلك إلى المكان الذي تودين الذهاب إليه !

نظرت له سارة مجفلة بحدة و قد بدا مزاجها سيئاً جداً هذا اليوم..فابتسم براء و هو يكمل بصوتٍ خافتٍ مترجع ؛

\_يبدو أنك لم تحبي الفكرة !

الحقيقة أنها لم تحبها..لكنها كانت الحل الأمثل بالنسبة لها في هذه اللحظة التي تشعر بنفسها على وشك السقوط من شدة تعبها..

و سيارة الأجرة قد تتأخر قليلاً..

لهذا اومأت بتردد و هي تنظر لسيارته الفارحة..فاقترب براء بسرعة من السيارة ليفتح لها الباب و يشير لها لتصعد..إلا أنها ظلت واقفة تتمسك بحقيبتها..فهمس براء بهدوء ؛

\_اسمحي لي !

كان يشير إلى حقيبتها و هو يستأذن منها في أن تدعه يتولى أمر وضعها في مكانها المخصّص عنها..و الحقيقة أنها لم تكن تمتلك أيّ جهد للقيام بأيّ حركة جديدة مهما كانت بساطتها..فرحبت بعرضه..

و تركت الحقيبة لتتقرب و تجلس في المقعد الأمامي..بينما دار براء حول السيارة حاملاً حقيبتها إلى أن وضعها في الصندوق الخلفي..و ما إن استقر مكانه أمام المقود..حتى قال بجدية و هو يهم بتشغيل السيارة ؛

\_لقد حجزت لكِ غرفة في الفندق بالفعل بناء على طلب من أشرف..لكن إذا كنتِ.....

\_شكرا لك..

قاطعته سارة بتلك الهمسة فنظر لها رافعاً أحد حاجبيه باندهاش ؛

\_عفوًا؟!!!!

أعادت سارة كلمتها بهدوء..ثم تنهدت و هي تهمس مجددًا بما يشبه الاعتذار ؛

\_لا تؤاخذي على أسلوبِي في التحدث قبل قليل..أنا فقط.....

\_لا بأس..!

قاطعها هذه المرة براء بلطفٍ فابتسمت بامتنان..ثم قالت بخفوتٍ ؛

\_هل أنت نفس الدكتور الذي أخبرني أشرف عنه؟!!

أوما براء بهدوء..ثم أضاف مبتسمًا بجذل و هو يرى نظراتها التي اكتست بالذهول و الدهشة ؛

\_ألا يناسبني لقب الدكتور أبدًا؟!!

هزت سارة رأسها بالنفي و هي تفكُّ حاجبيها من انعقادهما مردفة بإجراج ؛

\_لا..فقط...أنا ظننتك ستكون أجنبي !

اوماً براء بإدراك و هو يجيئها بنبرة عادية بينما يراقب الطريق ؛

\_أنا أعتبر كذلك بالفعل.. لقد ولدت هنا و نشأت هنا..

نظر لها ليكمل مماًزحاً بنبرة مميزة ؛

\_لا تغركِ عربيتي المُطلقة فأنا أعجز عن لفظ الكثير من الكلمات بشكل صحيح..

الحقيقة أنه لم يكن يحتاج لإثباتٍ.. فقد ظهر ذلك بوضوح بالفعل حينما نطق كلمة -أعجز- و -عربيتي- بدون حرف العين !

لم تعلق سارة على كلامه سوى بكلمة واحدة أنهت بها الحوار.. قبل أن تستدير مبتسمة لتراقب حركة الشارع من خلف نافذتها بهدوء ؛

\_واضح !

---

و أخيراً بمفردها !!!

ارتمت فوق السرير الوثير بكل ثقلها.. لتقابل السقف المزخرف ناظرة له للحظاتٍ طالت بملامح غير مقروءة.. إلى أن سمعت صوت رنين هاتفها المفاجئ فأمسكت به بثقل من فوق السرير لترفعه إلى عينيها..

" د ، أشرف "

غامت ملامحها مع رؤية الاسم.. و أظلمت عيناها بلون الحزن و هي تنظر للرقم بشرود.. بينما عقلها.. استعاد ذكرى عاشتها قبل أيام عديدة تدريجياً.. ذكرى تلك الليلة التي وقفت فيها أمام منزل جاد لتطرق بابه بدون تردد أو تفكير و ترتمي بين أحضانه لتبثه ألمها بصمتٍ.. حرفياً كانت أصعب ليلة تمر بها في حياتها..

كانت تلك الليلة التي تلقت فيها نتائج الفحص الذي كانت قد قامت به قبل أربعة أيام من ذلك اليوم.. في نفس اليوم الذي يلي زيارة جاد لها في منزلها.. لتسمع منه أجمل اعترافاتٍ قد تسمعها امرأة من شخصٍ تكن له الحُب !

و كانت النتائج حرفياً مأساوية فقد فتحت عينيها على صدمة عمرها و هي تقرأ ورقة موتها.. كان رد فعلها غريباً نوعاً ما بالنسبة لامرأة تلقت خبر إصابتها بمرض خطير في الدم !!

فقد اكتفت بأن نقلت عينيها التائهتين المتسعيتين بين الورقة بصدمة وبين وجه الدكتور - أشرف - صديقها منذ أيام الجامعة.. و ظلت صامتة.. صامتة للحظاتٍ طالت..

أنفاسها تتسارع بعنف.. و خفقات قلبها تنخفض وتيرتها الطبيعية.. و لسانها منعقد عن الكلام نهائياً..

لتجد نفسها أخيراً.. تترك الورقة لتسقط فوق الأرض بإهمال.. و قد تجمدت عيناها تحديقان أمامها بعجز عن الإستيعاب.. إلى أن همست كشخصٍ يهذي ؛

\_ لا.. لا أفهم !

نظرت لملامح أشرف الذي كان يراقبها بتعاطف طوال الوقت و همست مجدداً بتلعثم شديد و ضياع ؛

\_ هل... هل سأموت ؟!

فقط.. هذا فقط ما استطاعت قوله.. سؤال هو الوحيد الذي قفز إلى عقلها و الإجابة كأمينة واضحة في تلك الورقة الملقاة بجانب قدميها..

و رغم أنها هي من طرحت السؤال.. لم تنتظر أن تسمع الجواب من الطبيب.. بل وقفت فجأة يترنح رأسها شاعرة بالإغماء.. لتلتقط تلك الورقة مجدداً و تلتفت تهم بالرحيل بصمتٍ..

لكنها تسمرت مكانها قبل أن تصل إلى الباب حينما جاءها صوت أشرف  
يقول من وراءها بثباتٍ ؛

\_ الموت و الحياة بيد الله فقط.. نحن علينا أن نقوم بكل مجهوداتنا لننقذك.. رغم  
أنك.....

صمت فجأة.. فالتفتت سارة ناظرة له بصمتٍ ليهمس مؤنبًا بحزن ؛

\_ لقد تأخرت كثيرًا بالفعل.. لا أستطيع أن أزيف الحقائق و أمنحك أملًا  
كاذبًا.. المرض في مرحلته الثالثة بالفعل.. أي ما قبل الأخيرة.. و هذا ما يجعل  
نسبة نجاتك منه ضعيفة لا مستحيلة... خاصة هنا !

كانت سارة و كأنها تجمدت تماما تنظر له بلا أيّ تعبير.. غير قادرة لا على  
البكاء أو الصراخ به ليمنحها حلًا حتى.. قالت تبتلع ريقها بغير تركيز ؛

\_ خاصة.. هنا ! ك.. كيف ؟!!!

تنهد أشرف و هو يقف بهدوء ليدور حول المكتب إلى أن وقف أمامها و قال  
بعملية ؛

\_ الحل الصائب أن تسافري إلى الخارج.. نحن لن نفقد الأمل سريعًا لكننا  
أيضًا لن نكذب على أنفسنا و نتمسك بحبال واهية.. فرصة علاجك في الخارج  
أفضل بكثير من هنا.. حتى و لو لم.....

زفر بقوة.. قبل أن يمد يديه ليمس كتفيها برفق و يهمس ناظرًا في أعماق  
عينيها الزائغتين بجدية ؛

\_ المهم أن لا نقف مكتوفي الأيدي بيأس.. أنا أعلم بأنك قوية بما فيه الكفاية و  
قادرة على مجابهة هذا المرض بإذن الله.. عليك فقط.....

\_ لست قوية أو ما شابه.. لست قوية !

قالت تقاطعه فجأة بصوتٍ متهدج مرتعش و هي تنظر لمامحه بألم ظلل  
حدقتها بإتقان.. قبل أن تتراجع خطوة محررة كتفيها من يديه..

ثم استدارت بصمتٍ لتمسكٍ بالمقبض.. لكنها و قبل أن تفتح الباب قالت  
موجهة كلامها إليه مقاومة غصّة البكاء التي تخنقها حتى لا تبكي هنا... أمامه

!!

\_ سأفكر في الأمر وأتصل بك لاحقًا !

و خرجت.. خرجت بسرعة لتختفي بغاية واحدة.. أن تنفرد بألمها.. بينما زفر  
أشرف للمرة الثانية و هو ينظر إلى الباب المغلق خلفها بحزن شديد و  
تعاطف..

كانت تمشي كالتائهة.. تنزل الدرجات بخطواتٍ سريعة لا تشعر بها.. إنها  
تتعجب حتى قدرتها على الإعتماد على قدميها اللتين تحولتا إلى  
هلاميتين.. لدرجة أنها كادت أن تقع لعدة مراتٍ فتوقفت متمسكةً بطرف  
السياج الخاص بالسلم قبل أن تكمل ركضها..

إلى أن توقفت أمام سيارتها و فتحتها بقوة لترتمي بداخلها حيث أغلقت الباب  
خلفها بعنفٍ.. و هناك.. تسمرت محدقة بعينين لا تميزان العالم أمامها من نافذة  
سيارتها الأمامية..

كانت أناملها ترتجف بقوة و هي تقبض على المقود تعتصره بين يديها في  
محاولة لاستحضار القليل من تركيزها و التفكير مليًا في الأمر..

هي مريضة.. لديها سرطان في درجته الثالثة.. لكن... لا بأس.. لا بأس.. فجميع  
الناس معرضون للإصابة بأي مرض.. اهدئي.. اهدئي سارة.. لست الأولى و  
لا الأخيرة.. أنت قوية بالفعل.. قوية و قادرة على.....

و قبل أن تستطيع الإتمام في خداع نفسها بهذه الكلمات الكاذبة وجدت نفسها  
تسقط مستندة إلى المقود بجبينها.. سامحة لشهقة بكاء مؤلمة بالخروج  
أخيرًا.. شهقة.. تلتها شهقات أخرى عجزت عن التحكم بها..

و بكت.. بكت بألم شديد كما لم تبكي من قبل..



كانت أفكارها كلها منصبة حول اتجاه واحد.. هي ستموت.. ستموت لا  
محالة.. ستموت قبل أن تستطيع الإزدهار في عملها أكثر.. ستموت قبل أن  
ترى سيلين امرأة ناجحة متزوجة.. ستموت و تترك والدها.. ستموت و تترك  
خلفها عائلة صغيرة ستحترق بعدها المآ و قهراً عليها..

ستموت قبل أن تستطيع مسامحة جاد... جاد !!

وجدت نفسها ترفع رأسها.. و شهقت نفساً مضطرباً بشدة و هي تشرع في  
تشغيل السيارة بسرعة.. تقود إلى وجهة لم تحددها بنفسها.. بل وجدت نفسها  
تساق إليها بذهن مشوش..

وما إن توقفت أمام البناية الطويلة ناظرة لها من بين دموعها التي لم تتوقف  
بعد.. حتى شعرت بنفسها مترددة و هي تتساءل ما الذي أتى بها إلى هنا؟!!

حقاً.. ما الذي أتى بها إلى هنا؟!!

كانت كالتائهة فعلاً و هي تبكي بألم بينما تستند برأسها إلى المقعد وراءها  
مغمضة عينيها تارة ثم تعود لترفع نفس العينين ترمق بهما البناية الشاهقة  
تارة أخرى..

قبل أن تخرج هاتفها لتتصل بملجأها الوحيد.. ملجأها الآمن الذي لا تخجل من  
أن تعري كل نقاط ضعفها أمامه و هي واثقة أنه لن يخذلها... سيلين !

دونت رقمها لتضعه فوق أذنها و تراجع قليلاً تنتظر سماع صوتها بأنفاس  
لاهثة.. و ما إن أغلقت الخط كانت قد اكتسبت قدرة أخرى جعلتها تفتح  
السيارة لتتجه إلى المبنى بخطواتٍ ضعيفة رغم كل ما حاولت صنعه من  
ثبات..

صعدت الدرجات الطويلة بعدها واحدة تلو الأخرى دون تردّد.. إلى أن وقفت  
أمام الباب.. ضغطت الجرس.. و توقفت تنتظر ظهوره..

و قد كانت ملامحه كالذواء أو الملجأ لها.. جعلتها تجهش في البكاء أكثر ما  
إن نظرت له.. مدركة بأن هناك من يحتويها.. و كان صدره الذي ارتمت عليه  
في غمرة ضعفها تبثه ألمًا حارقًا لا تستطيع البوح به..

لتدلف بعدها و تقول ما قالت..

يشهد الله أن كلامها كان صادقًا تلك الليلة.. فهي كانت شبه فاقدة لقدرتها على  
استيعاب أيّ شيء فوجدت نفسها تقول كل ما خطر في عقلها بناء على  
وضعها النفسي في تلك اللحظة..

عقلها نفسه الذي قدم لها الحل على طبق من ذهب بعد أن استجمعت نفسها و  
اتصلت بأشرف لتخبره بأنها جاهزة للسفر في أقرب وقت..

و قد ساعدتها حقيقة كونه لا يعرف أيُّ فرد من عائلتها على إخفاء  
الأمر.. لتخطّط لكل شيء بنفسها بدون أن تضطر لإخبار أيّ أحد منهم  
بمرضها الذي ربما سيفقدون صوابهم إذا علموا به !

## "الرمق الخامس و العشرون ؛لقاء "

تموت أرواحنا فقط حينما تتوقف قلوبنا عن الحُب ، نحن نجب ما دمنا أحياء  
، و لا نموت إلا بفقدان هذا المعنى !

كان يجلس في أحد المقاهي المُطلّة على البحر..و في مقابله شاب في مقتبل  
عمره..يجلس بهدوء مدققًا النظر بتركيز في شاشه حاسوبه القابع فوق  
الطاوله بينهما..

بينما أنامله تضغط الأزرار بخفة أثناء بحثه عن شيءٍ ما بطلب من جاد الذي  
انتابه الملل و هو يراقب حركة الشارع بقنوط..

هتف فجأة بقوة و هو يكبس فوق أحد الأزرار بقوة معلنًا عن نهاية بحثه ؛

\_وجدتها !

نظر له جاد بسرعة..ثم لم يلبث أن اقترب قليلاً مستندًا بمرفقيه إلى الطولة  
بينما يقول بلهفة شديدة ؛

\_ماذا وجدت ؟!!!!

ابتسم -أنور- بشيءٍ من الإحراج و هو ينظر حوله للوجوه التي التفتت إليهما  
بعد صوته المرتفع..قبل أن يعود كل منهم بسرعة البرق إلى شغله الشاغل..

فتنهده و هو يقول مخاطبًا جاد بجدية بينما أنامله تعود لتشتغل فوق أزرار  
حاسوبه ؛

\_من بين الأشخاص الذين سافروا تلك الليلة من مدينتنا إلى خارج البلاد  
هناك مئتا فتاة..ثمانية و أربعون منهن سافرن بعد الساعة الثامنة..و خمسة و  
عشرون ذهبن إلى (.....)

انعقد حاجبا جاد قليلاً و هو يهمس باستيعاب بطيء ؛

\_أي أنها ستكون بين الخمسة و عشرون فتاة اللواتي سافرن بعد الثامنة إلى  
(.....)

اوماً أنور بهدوء.. ثم هز كتفيه ببساطة و هو يردف ؛

\_ هذا إن كان توقعك صحيحًا و سافرت بالفعل إلى هناك !

لم يتردد جاد للحظة و هو يقول مؤكدًا بقوة ؛

\_ أنا متأكد من أنها ذهبت إلى هناك.. لأنها سبق و سافرت بالفعل أكثر من  
مرة.. كما أنها ليست موجودة لا بمنزلها بالعاصمة و لا بعملها.. هذا يؤكد لي  
أنها سافرت إلى الخارج بالفعل !

اوماً أنور مجددًا بدون أن ينظر له.. بينما تراجع جاد في مقعده أكثر ناظرًا  
للبحر الممتد من خلف النافذة أمامه بأمل.. متمنيًا من كل قلبه أن يصدق حدسه  
و يجدها في أسرع وقت..

شردت عيناه تمامًا و هو ينقر بأصبعه السبابة سطح الطاولة بخفة مصدرًا  
لحنًا رتيبًا.. إلا أنه انتفض للمرة الثانية بقوة ما إن سمع صوت أنور يهتف  
مجددًا بحماس ؛

\_وجدتها !!!

نظر له جاد عاقدًا حاجبيه بشدة بدون أن يقول شيئًا.. فقال أنور مؤكدًا  
بابتسامة واسعة و كأنه حقق إنجازًا كبيرًا جدًا جدًا ؛

\_ لقد صدق حدسك.. سافرت إلى (.....)

نفس ثقيل تحرر من بين شفتي جاد قال بعده بصوتٍ خافت يتلقفه الأمل  
الواهن ؛

\_حقًا !؟

و ما إن هز صديقه رأسه مؤكدًا للمرة الثانية.. اتسعت ابتسامته حتى ملأت  
كل وجهه.. ثم همس بذهول حقيقي ؛

يا لك من نابغة !

ضحك أنور بخفة و هو يهمس رافعاً أحد حاجبيه بغرور مزيف ؛

منذ الفطرة !!

---

كعادتها هي تجلس في مكانها المعهود بداخل مقهى الجامعة..وحيدة تسند  
ذقنها إلى راحة يدها مراقبة الفراغ بهدوء..و كعادته -يعشق- أن يفسد خلوتها  
فجأة !!

لم يستطع أن يبقى واقفاً مكانه ما إن دلف إلى المقهى الخاص بالجامعة  
ليراها تجلس في مكانها المعتاد..نفس المكان الذي كانت تجلس فيه ذلك اليوم  
حينما تحدث مهما لأول مرة..

فاقترب منها بخطواتٍ هادئة ليتخذ المقعد المقابل لها بدون أن يسألها اليوم..و  
لم يكد يستقر في مكانه حتى كانت سيلين تنتفض بقوة ملتفتة بسرعة نحوه..  
إلا أنها تراجعته و هي تقابل ابتسامته العريضة الدافئة و تدرك هويته..

يا الله..ابتسامته جميلة جداً..تشعرها في كل مرة تراها بأن كل شيء على ما  
يرام..رغم أن لا شيء في حياتها حالياً على ما يرام !!!

تفكرين بأختك !؟

كان هو أول من تكلم كعادته دائماً..سألها ياهتمام..فتلاشى شبح الإبتسامة  
الذي كان وشك الظهر فوق ملامح سيلين..و اومأت برأسها مجيبة بقلق ؛  
\_نعم..لقد مرّ أسبوع كامل لم يظهر فيه لها أي أثر..لقد أجابتنى يوم أمس  
بصعوبة بالغة بعد اتصالاتٍ عديدة جداً مني..و هل تعرف ماذا قالت..... !؟

تلاشت ابتسامته سليم الهائمة بها بدون أن تزول تماماً ناظراً لها باهتمام  
أكبر..فاستأنفت سيلين بامتعاض ؛

\_ قالت بأنها تريد أن ترتاح بعيدًا عن "ضحيج" الناس.. هل أصبحت أنا  
ضحيج ؟!!!

\_ و أجمل ضحيج !

كان لا يزال تائهاً بها حينما همس همسته بصوتٍ خافتٍ ساحرٍ.. فانسعت عينا  
سيلين بدهشة.. و انعقد حاجباها بشدة و كأنها تحاول أن تتأكد من ما سمعته..

قبل أن تهتف فجأة ؛

\_ ماذا قلت ؟!!

أجفل سليم للحظة من نبرتها الغاضبة.. لكنه لم يلبث أن تنحج بخفة ليصنع  
في وجهه ملامح الجدية.. ثم استقام في مقعده أكثر قبل أن تمتد يده ببعض  
التردد إلى أن أمسك بيدها التي فوق الطاولة برفق..

و ما إن لاحظ نظرات سيلين التي انخفضت ليديهما ببطء.. حتى همس رافعًا  
أحد حاجبيه ؛

\_ أظن بأن هذا مسموح !

ظلت سيلين صامته تنظر ليده و هي تقبض على يدها برفق.. ثم قالت كطفلة  
صغيرة تتذمر من عناد أختها في اللعب معها و هي تنظر للخاتم الذي يحيط  
أصبعها و آخر مثله يحيط أصبعه ؛

\_ أنا غاضبة منها جدًا.. جدًا !!!

\_ إنها.....

رفعت رأسها فجأة لتقاطعها و هي تراه يهيم بقول شيءٍ ما بالتأكيد لن يعجبها ؛

\_ لا.. لا تقل أي شيء.. أعلم بأنك تحب أن تواسيني و تكون في صفي لكنني  
سأنقلب إلى متوحشة لو قلت لفظًا واحدًا لم يعجبني عن أختي !!

اتسعت عينا سليم بذهول شديد و هو يتراجع في مقعده بدون أن يترك يدها  
بينما يقول بحيرة ؛

\_ ما الذي جعلك تفكرين بهذه الطريقة؟!\_

هزت سيلين رأسها قليلاً لتجلي تفكيرها.. ثم همست بما يشبه الاعتذار ؛

\_ لا أعلم.. لا أعلم حقاً ! أنا مشوشة بالفعل...\_

صمتت للحظة.. قبل أن تبتلع ريقها ببطء.. و استأنفت ناظرة إلى عينيه  
بصوتٍ شبه مرتعش ؛

\_ أنا قلقة يا سليم.. قلقة جداً و لا أعلم لماذا ! يكاد القلق أن ينهش صدري من  
شيء مجهول لا أعلمه.. هذا القلق لم يظهر الآن فقط.. فقد كنت أشعر به منذ  
فترة طويلة لكنه اختفى تماماً ليعود الآن بشكل أقوى.. لكن هل تعلم ؟ لا  
تورقني هذه الفكرة.. بل ما يخيفني أن يكون هذا القلق مرتبطاً بأختي.. لقد  
كانت تبدو غريبة تماماً في آخر فترة.. تجاهلت فظاظتها أحياناً في الكلام و  
ابتسامتها التي أصبحت توزعها على كل من تراه بسخاء شديد.. تجاهلت  
ذبول عينيها و تورمهما في كثير من الأحيان.. قالت بأنها ستسامح جاد  
فاحترمت قرارها.. خططت و دبرت لزفاف آخر أيضاً بقيت صامتة.. لكن أن  
تفعل ما فعلت و تترك الزفاف بأكمله.. هذه ليست أفعال سارة.. سارة ليست  
هكذا.. لم تكن يوماً هكذا.. هل تفهمني!!?

كان سليم يستمع لها باهتمام.. كل كلمة تقولها تخترق عقله و يستوعبها كما  
تمنت.. إلى أن صمتت ناظرة له بحزن.. و حينها قال و هو يتخلل أناملها  
الرقيقة بأنامله ؛

\_ نعم.. و أكثر من يفهمك !\_

صمت قليلاً.. ثم أكمل بابتسامة شاردة قليلاً بدون أن يزيح عينيه عن عينيها ؛

\_ هل تعلمين بأنني معجب حقاً بعلاقتك مع أختك!.. حقاً.. أنا لم أرى مثلها من  
قبل.. ذلك التوافق.. و الصدق.. و الحب الذي تكنانه إلى بعضكما البعض لم

أصادف مثله من قبل في حياتي.. أنا أيضاً لديّ أخت و أحبها أكثر من نفسي..  
لكن... ليس كما تحبين أختك.. أنتِ تعشقينها بالفعل !

شردت حدقتا سيلين في اللا شيء و هي تجيبه مؤكدة بخفوتٍ ؛

\_ نعم... أفعل !

ثم صمتت طويلاً.. قبل أن تعيد اهتمامها له هامسة بصدق ؛

\_ لكنني أيضاً... أكن لكِ المشاعر !

أجابها سليم مبتسماً بمنتهى البساطة ؛

\_ نعم.. تفعلين !

ثم عاد الصمت ليتسيد الأجواء بينهما للحظات.. قبل أن تعود سيلين  
لنقطعه.. حينما همست بصوتٍ غريب مكرّرة عبارة قالها قبل قليل ؛

\_ إذا.. هل تحب أختك أكثر من نفسك !

او ما سليم بتأكيد جاد.. فاومات هي الأخرى لتهمس مجدداً بنبرة أشد غرابة ؛

\_ هل... تستطيع أن تضعها في نفس الكفة معي أم أنك مثلي.. تفضلها عن

العالمين !!!

الآن اكتسبت ابتسامة سليم الكثير من الدهشة.. لكنه رغم ذلك أجاب بنبرة  
عميقة بالغة الجدية ؛

\_ لا.. أنا لست مثلك.. لا أستطيع أن أضعك و لا أضعها في نفس الكفة

معك.. لكل منكما مكانتها الخاصة في قلبي.. كلاكما أحبكما بدرجة لا

تصدق.. و لا أستطيع التفريط بأيّ منكما !

يا الله.. هل يمكن أن يتواجد شخص آخر في هذا العالم أكثر أنانية منها !!!



لقد شعرت بالرضا تمامًا و هي تستمع إلى كل كلمة قالها.. رغم أنها بداخلها  
قررت بأنه لو منحها الإجابة التي لم تتوقعها بصدق.. أن يخبرها مؤكدًا مثلها  
بأن أخته أعز إليه بكثير منها و لا مجال للمقارنة.. فستفهمه تمامًا !!

لكنها الآن علمت من شعورها غير المألوف بالسعادة بعد جوابه بأنها كانت  
ستحزن كثيرًا لو كانت إجابته مختلفة عن التي قاله..

هربت تنهيدة صغيرة من بين شفيتها و هي تلتفت أخيرًا لتراقب الحركة في  
الخارج من خلف النافذة بابتسامة دافئة شاركها فيها سليم الذي كان ينظر لها  
بسحر خاص غير قادر على إزاحة أنظاره عن وجهها الجميل..

كانت قد تناست أمر سارة قليلًا و سرحت في خيالها الذي بدأ يرسم لها عالمًا  
من الورود و الفراشات.. عالمًا لا يحتوي سواها و سليم.. و لا أحد آخر  
غيرهما !

لولا أن رنين هاتفها المزعج أخرجها من هذا العالم سريعًا.. فانقضت فجأة  
و هي تخرجه بسرعة من جيب معطفها لتتنظر له للحظات عاقدة حاجبها  
بشدة.. قبل أن تفتح الخط سائلة باستغراب ؛

\_جاء؟!!!!!\_

أتاها صوت جاد حازمًا من الجهة الأخرى ؛

\_مرحبًا سيلين.. هل يمكنك أن تأتي إلى منزلكم الآن لأنني أريد أن أقول شيئًا  
مهمًا؟!.. لا بد أن تكوني أنتِ أيضًا !

ظلت سيلين صامتة قليلًا تتساءل عن ماهية هذا الشيء الهام.. ثم قالت و هي  
تنظر إلى سليم الذي كان يبادلها النظر باهتمام ؛

\_لكن.. أنا في الجامعة.. لديّ اختبار بعد ساعتين.. لا أستطيع الآن..

إلا أن جاد بدا أكثر من ملح و هو يقول بهدوء ؛

\_لا تقلقي.. لن أؤخرك كثيرًا.. تستطيعين أن تأتي و تعودي بسرعة..

\_لكن.....

\_الموضوع يخصّ سارة !

هنا فقط.. وجدت نفسها تزفر أنفاسها بإرهاق.. ثم قالت باستسلام و القلق  
يكتنفها مجددًا بنفس القوة ؛

\_حسنًا.. آتية..

أغلقت الخط بسرعة و هي تقف فجأة.. فوق سليم بدوره بسرعة ؛

\_هل أقلك !؟

اومأت سيلين بدون أن تنظر له.. ثم انخفضت لتحمل كتبها من فوق  
الطاولة.. و ما إن اعتدلت واقفة.. تفاجأت بأنامل سليم تمتد إليها لتقبض على  
يدها مجددًا..

رمقت يده بنظرة خاطفة ذات معنى.. ثم رفعت رأسها لتقابل عينيه بصمتٍ  
للحظاتٍ تمنى فيها من قلبه أن لا تترك يده أبدًا.. و لم تخيب ظنه  
أبدًا.. فسرعان ما شعر بأناملها الرقيقة تتحرك بداخل يده متمسكة بها..

حينها فقط ارتفع جانبًا شفتيه بابتسامة صغيرة كانت من الصدق لتجعلها  
تبتسم هي الأخرى.. لكن ابتسامتها كانت أضعف من أن تصمد و هي تتذكر  
أمر سارة.. فسارت معه بصمتٍ في طريقهما إلى السيارة..

توقفت سيارته بعد وقتٍ أمام المزرعة.. فنزلت سيلين بسرعة.. و نزل ورائها  
ليقف مستندًا إلى الباب الأمامي.. تجاوزته سيلين ظنًا منها بأنه سيلحق  
بها.. لكنه ظل متمسّرًا مكانه بشكل جعلها تتوقف و تلتفت إليه ناظرة له  
بتساءل.. قال سليم بهدوء ؛

\_ اذهبي أنتِ و أنا سأنتظركِ هنا..

هزت سيلين رأسها بالنفي قطعًا و هي تتراجع خطوة نحوه مردفة بحزم ؛

\_ لا.. أنت ستدخل معي.. تعال !

ابتسم سليم و هو يهمس بلطف ؛

\_لا.. لا داعي حقًا.. لربما كان يريد أن يقول شيئًا بخصوص أختك و لا يجب أن أتدخل في شؤونكم الشخصية..

نظرت له سيلين غير مصدقة للحظات.. قبل أن تقول فجأة بحدة فاجأته ؛

\_أمورنا الشخصية !!!! هل أنت تعي ما تقوله؟! لقد أصبحت واحدًا من العائلة بالفعل.. أنت خطيبي !!!

رغم السعادة التي اكتنفت قلبه بسماع نبرتها الدفاعية الحادة.. إلا أن رأيه لم يتغير.. قال بتعقل و رصانة ؛

\_و مع ذلك.. أفضل أن تذهبي بمفردك..

\_لكن.....

حاولت سيلين أن تقاطعه باعتراض مجددًا.. إلا أنه كان هو من قاطعها بإصرار ؛

\_بدون لكن.. هيا ادخلي.. سأنتظرك هنا لنعود إلى الجامعة..

طيلة حديثه كان مبتسمًا.. و كأنه خلق بابتسامته تلك فأصبحت إمكانية التخلص منها مستحيلة.. و أمام إصراره.. لم تستطع سيلين إلا أن تتنهد بيأس منه..

أومأ لها سليم بنفس رصانته.. فما كان منها إلا أن أطرقت برأسها باستسلام و هي تستدير عنه أخيرًا تنوي الإبتعاد..

لكنها توقفت بعد خطواتٍ فاستقام سليم قليلاً ناظرًا لها باستغراب.. كانت لحظة واحدة رفعت رأسها فيها لتتأمل أمامها بملامح لا تفسر أبدًا..

قبل أن تجد نفسها تلتفت لتعود إليه بخطواتٍ سريعة إلى أن... تعلقت بعنقه محاوطة إياه بذراعيها بقوة..

اتسعت عينا سليم و هو ينظر أمامه بصدمة شديدة.. لا يكاد يستوعب حركتها  
هذه.. إنها تعانقه !!

خطيبته.. حلمه الذي راقبه طويلاً كالطفل المشتاق من البعيد.. بين ذراعيه  
الآن !!!

وجد نفسه ينقل أبصاره في كل مكان كالأبله لا يعلم ماذا عليه أن يفعل  
بالفعل.. لكن يديه اختارتا طريقيهما فارتفعتا بغير إرادة منه لتبادلاها هذا  
العناق برفق..

كانت أنفاسها ثقيلة و شعور القلق يتضاعف بداخلها.. فأغمضت عينيها بشدة  
تحاول أن تنهل من هذا الدفء قدر ما تستطيع..

قبل أن تفتحها مجدداً بعد ثوان و... تبتعد بصمت !

اكتست ملامح سليم بالقلق و هو ينظر لوجهها و كأنه يطلب تفسيراً بالفعل  
لما قامت به.. إلا أنها لم تمنحه تفسيراً.. فقد ازدردت ريقها ببطء.. و همست  
بصوتٍ مضطرب و هي تبتعد إلى الوراء خطوة واحدة ؛

\_ لن أتأخر !

ثم التفتت عنه لتتجه إلى المنزل بخطواتٍ سريعة.. بينما بقي هو متسماً  
مكانه.. ينظر في أثرها مشدوهاً.. سعيداً !!

---

\_ ماذا لديك ؟!

قالت عاقدة ذراعيها أمام صدرها باقتضاب و هي تقف في غرفة المكتب  
الخاصة بوالدها.. فقال جاد بهدوء بينما ينقل أبصاره بين سيلين و فؤاد ؛

\_ تفضلي أولاً !

كانت سيلين تقف وراءه على بعد خطواتٍ منه فلم تجد الفرصة لتري وجهه..إلى أن اقتربت قليلاً..و حينها فقط.. هالها رؤية حالته بكل تلك الكدمات المنتشرة بشكل خفيف فوق ملامحه..

لكنها لم تجد الوقت لا لتسأله و لا لتتصدم حتى..فقد قال جاد مكرراً بجدية ؛  
\_اجلسي قليلاً..

جلست سيلين في أحد المقعدين المقابلين لمقعد والدها الذي كان يجلس خلف مكتبه لا تزال تنظر له بذهول..بينما ظل جاد واقفاً مكانه بثقة رغم النظرات القاتمة المتبادلة بين الجميع هنا..

وضع يديه في جيبه بنطاله ليقول موجهاً كلامه لكليهما بدون مقدمات ؛  
\_حسناً..لا أعلم إذا كان هذا الموضوع بالأهمية التي قلتها.. لكنه دين عليّ جنثٌ لأزيحه عن كاهلي قبل أن أسافر..

فغرت سيلين فمها بدهشة أكبر و هي تسمع آخر كلمة قالها..فهمست بذهول ؛  
\_تسافر!!!!

بدا جاد أكثر من هادئ و هو يجيبها بنفسٍ جديته ؛

\_نعم..أسافر لأعيد سارة.....إلينا !

برقت حدقتا سيلين مع ذكر الإسم الحبيب..و استقامت قليلاً جالسة على طرف الكرسي بينما تقول بلهفة ؛

\_هل وجدتها؟! أين هي!!!؟

هز جاد رأسه قليلاً ليجلي تفكيره..لكنه لم يجد الفرصة ليجيبها.. فقد قاطعه صوت والدها الرخيم الذي قال بجمود ؛

\_ماذا كنت تريد أن تقول؟!!

سؤاله و كأنه جلب بعض الحزن إلى قلب جاد.. فأطرق برأسه قليلاً.. ثم همس و قد انتقل الحزن من قلبه ليتلقف ملامحه بينما يقول ؛

\_ قبل بضعة أشهر..وقفت سارة أمامك ربما في نفس هذا المكان لتتهتف في وجهك برغبتها في العودة إلي.....

صمت لوهلة ثم رفع عينيه ليقابل عيني فؤاد القاتمتين و قال ؛

\_ ماذا قالت لك !؟

\_ ليس من شأنك !

قال فؤاد بحدة.. فأغمض جاد عينيه للحظة.. ثم رفع رأسه مجدداً ليستأنف ؛

\_ مهما قالت.. أعلم بأنها لم تخبرك الحقيقة.. و إلا لما كنت بقيت صامتاً مكانك دون أن تفعل أيّ شيء.. كانت تعلم كما أنا متأكد بأنك لا يمكن أن تضحى بها و لو ضاعت كل حياتك منك.. لن تعطيها لي مقابل أيّ شيء مهما بلغت قيمته

!!

صمت فجأة.. بينما التقت أنظار سيلين بفؤاد بعدم فهم.. و انعقد حاجباهما سويًا و كأن عقلمها تنبه لفحوى كل كلمة قالها جاد.. و ما يود قوله تالياً..

إلى أن همس هذا الأخير مسترسلاً و هو يبتلع غصة شديدة المرارة في حلقه ؛

\_ كان الإتفاق بيننا أن تذهب سارة معي مقابل أن لا أؤذيك.. أبداً.....

ارتفع حاجبا فؤاد بذهول.. ثم سرعان ما كانت تكتسح وجهه ابتسامة مزدرية ساخرة.. بدون أن يعلق فقد ترك لجاد الفرصة للبوح بكل ما يريده..

\_ هل تتذكر ذات مرة ! كنت قد وقفت أمامك في العمل لأطلب منك أن توقع لي بعض الأوراق المهمة لأجل إحدى الصفقات بيننا.. حينها وقعتها.. بدون أن تقرأها !

الآن ارتفع حاجبا فؤاد أكثر و تلك الذكرى تطوف في ذهنه.. فقال جاد  
بصوتٍ مختنق ؛

\_لم تكن أوراقًا تخصُّ العمل.. بل كانت الأوراق التي جهزتها أنا!..كنت قد  
جعلتك وقتها توقع على أوراق ملكية حصرية لي.. جعلتك تنقل كل أملاكك  
لي.. بما فيها القصر و كل شيءٍ تملكه.. أصبح لي !

نظر لسيلين التي نقلت أبصارها بينه و بين والدها بصدمة.. بينما أخذت  
الصورة تتوضح أمام عينيها تدريجيًا.. إلى أن قالت تخاطبه بصوتٍ مرتجف  
متوسل ؛

\_هل.....هددتها بها؟! هل...فعلت؟!!!!

أطرق جاد برأسه في حركة كانت بمثابة أبلغ جواب قد تسمعه.. فطرفت  
بعينيها الدامعتين بشدة و هي تهمس بقلبٍ يتمزق ألمًا.. تخاطب قلبه المُمزق  
كقلبها.. و عينيها الدامعتين ندماً كعينيها..

\_أنت لم تفعل ! أخبرني أنك لم تفعل.. لا.. لا يمكن أن تكون نذلاً لهذه  
الدرجة.. لا يمكن.....

\_بلى..فعلت !

قاطعها جاد بنفسِ النبرة المختنقة الغارقة في الحزن بدون أن يرفع رأسه  
للحظة.. فهزت سيلين رأسها بغير تصديق.. لا تريد أن تصدق.. تعجز عن  
الإستيعاب..

كيف..كيف أمكنه أن يكون قاسياً لهذا الحد !!!

لقد كانت مخطأة.. لقد كانت حمقاء حينما شعرت ببعض التعاطف معه بعد  
تخلي سارة عنه.. إنه.. إنه لا يستحق ذرة واحدة من تعاطف !!!!!!

و لم يكن والدها بحال أفضل منها.. فقد أطرق برأسه بيأس تام و هو يرفع  
يديه ليسند جبهته إليهما مطبقاً عينيها بشدة..

مرت ذكرى ذلك اليوم بشكل غير عابر في عقله.. يتذكر صوتها المختنق  
الغاضب.. و عينيها المُحتقتن بالآلم السحيق.. يتذكر العجز الذي ناله بينما  
يراقب ابنته... تخرج من عتبة منزله باكية !!

متظاهرة بالغباء بينما كل غايتها... إنقاذ عائلتها... إنقاذه هو من الإفلاس !!!!  
غير مدركة بأن أكبر خسارة قد يتلقاها على الإطلاق هي... خسارتها !!  
خسارة إحدى ابنتيه.. عائلته الوحيدة !!!

كل دمعة ذرفت قهراً كانت بمثابة خسارة جديدة يتلقاها قلب الأب بداخله !!!  
سمع صوت جاد يستطرد بخفوتٍ.. بصوت نسفت الدموع الجافة في مقاتيه  
كل قوته ؛

\_خيرتها بين نفسها و عائلتها.. فاختارتكم بلا أيّ تردّد !! لقد تعمدت أن  
استنزفها تماماً قبل أن أعرض عليها ما عرضت حتى أكون متأكداً بأن  
احتمالية رفضها أصبحت معدومة.. و ما إن ألقيت بأوراق الرابحة أمامها  
مهدداً إياها بكل جدية بأنني لن أتردد في تدمير هذه الحياة التي تعيشونها  
برفاهية و ترف.. استسلمت !! لقد نظرت لعينيها و خيرتها بين كبريائها  
الغالي و والدها.. كان أصعب موقف تعيشه و قد لمحت ذلك في عينيها.. لكنني  
كنت من الحقد و الشر فاكثفت بابتسامة ساخرة صغيرة و التزمت الصمت  
أمام ألمها.. كانت دموعها تحرقني لكنني كنت كالمنوم مغناطيسياً و ظل  
هوسي بالانتقام يجرفني و يجرفني إلى دوامة من أفكار هوجاء لم أستفق  
منها إلا بعد أن..... فات الأوان !

زم شفتيه بقوة و هو يطبق يديه بعنفٍ ليغرقهما في جيبي بنطاله لعله يمنع  
ارتجاقتهما بهذا الشكل.. لكنه عجز عن ذلك..

و بدلاً من أن يقف معتدلاً واثقاً كما إعتاد أمامهم.. وجد دموعه تنساب ببطءٍ  
لتزيد من عذابات قلبه الذي ارتكب أكبر الآثام بحق حبيبته الوحيدة !!



نفس الإرتجافة التي كان يصارعها.. كانت تشعر بها سيلين.. لكنها على عكسه لم تحاول محاربتها و لا محاربة دموعها التي سقطت بسخاء و هي تهتف به بكره رغم صوتها المجهد الخافت ؛

\_ أنت دمرتنا.. دمرتنا تمامًا.. لقد دمرت علاقتي بأختي.. جعلتني أقف أمامها لأقول ما لم أتخيل أن أقوله لها حتى في أشد كوابيسي سوءًا.. صرخت في وجهها و لمتها كثيرًا.. كرهتها للحظة خاطفة بينما كانت هي تموت من الداخل.. لقد تركتها للغرق في قاع قذارتك.. كانت في أمس الحاجة لي.. و أنا.. أنا كالساذجة لم أفهمها.. لم أعانقها و اسألها برفق كما تفعل كل أختٍ تعرف أختها حق المعرفة.. ظلمتها بأسوء طريقة.. و سامحتني قبل أن أعتذر لها حتى !!

تساقطت دموعها أكثر كالمطر الغزير و هي تهتف به بعجز ؛

\_ لا تزال تلك الكلمات تتسلل إلى ذهني بين فترة و أخرى لتذكرني بكم كنت قاسية فاقدة للإحساس مع أقرب إنسانة لي.. لا أزال أحترق حتى الآن بذنبي بسببك... كله بسببك !!!

كلماتها التي قالتها في لحظة ضعف زادت من تشعب الألم بداخل روحه المكلومة.. و كأن كل معاناته لم تكفي !!

لكنه يستحق.. لقد أقر بداخله بأنه يستحق كل كلمة سيسمعها اليوم و تخترق قلبه كالسم..

لذا و لينهي فقرة مأساته لهذا اليوم.. همس بخفوتٍ و بصوتٍ عادت له بعض من قوته المفقودة ؛

\_ آسف.. لم أرد أن أجعلكم تشعرون بكل هذا.. لكنه كما قلت دين كان عليّ أن أرده.. جميعكم كنتم قرابين في هذه القصة.. أنا فقط من كنت المذنب الوحيد.. لهذا لا تلوموا أنفسكم أكثر.. آسف مجددًا !

ثم استدار ليغادر مغلقًا الباب خلفه بهدوء تام.. ليطفو الصمت كل المكان و كأنه لم يكن هنا بالفعل.. و كأنه لم يرمي بأسهمه القاتلة أمام أعينهما ليضاعف من شعورهما بالأسى... والندم على ما لم يكن لهما ذنب فيه !

---

عمل ! هل أنتِ جادة !؟

قال براء بذهول عبر الهاتف يكلم سارة التي كانت تنتظر بعيون تبرق رغم الشحوب الذي أصبح لا يفارق ملامحها البيضاء لواجهة المشفى الفخم الذي ستبدأ مناوبتها فيه اليوم..

فقالت مبتسمة بتأكيد ؛

جادة تمامًا.. لو كنت تعرفني جيدًا لعلمت بأن سارة فؤاد الغالي لا غنى لها عن عملها..

لكنك.....

حاول أن يعترض بجدية.. لكن سارة قاطعته فورًا بجدية أكبر ؛

لكنني لا أهتم بأيّ شيء.. جميعنا سنموت في النهاية.. لو توقفنا على هذه الفكرة لما استطاع أيُّ أحد أن يقوم بأيّ شيء يحبه في حياته... هيا.. نتكلم لاحقًا !

أغلقت الخط بسرعة بعد أن قالت آخر كلمة غير سامحة له بإضافة كلمة أخرى.. قبل أن تتقدم بخطواتٍ رصينة إلى الداخل.. مبتسمة بكل سعادة و كأن لا هموم تثقل كاهلها في هذا العالم..

توقفت أمام مكتب الإستقبال لتتبادل بعض أطراف الحديث مع موظفة الإستقبال بلغة أجنبية متقنة.. ثم أومأت أخيرًا بابتسامة و هي تمشي عبر ممر طويل..

إلى أن توقفت مجددًا.. هذه المرة أمام مكتب عريض لم تتردد في فتح بابه و  
الدخول..

نقلت عينيها في كل مكان برهبة و هي تتقدم أولى خطواتها.. تبدو كطفلة  
تدخل إلى مدينة الملاهي لأول مرة.. و قد كان كان هذا هو الشعور الذي  
يجلبه لها عملها بالفعل..

لمعة حماس كبير جدًا و كأنها تستنبط أملاً جديدًا من كل مريض تجالسه و  
تستمع إليه..

كانت ابتسامتها رائعة الجمال.. لولا أن نالها بعض الحزن الذي لم يقتل  
جمالها و هي تقترب أكثر لتجلس في ذلك المقعد الوثير القابع خلف المكتب  
الأنيق.. مقعدها من الآن و صاعدًا !

أغمضت عينيها باسترخاء و هي ترتاح فوق المقعد أكثر.. تستمتع بهذا  
الشعور المميز الذي قاربت على مفارقتها ربما.. فما إن تفارق الحياة ستفارق  
كل ملذاتها و أحلامها التي سعت لها كثيرًا على مدى سنواتٍ طويلة !  
سمعت صوت طرقاتٍ خافتة فوق الباب ففتحت عينيها بهدوء.. ثم رفعت  
صوتها مانحة الإذن للطارق بالدخول و هي تستقيم فوق مقعدها بدون أن  
تقف..

نظرت إلى الشابة البشوشة ذات الخصلات الناعمة الشقراء و العينين  
الخضراوتين و هي تقترب منها بعد أن أغلقت الباب بهدوء.. اقتربت أكثر  
إلى أن توقفت أمامها ببدلتها الأنثوية الرسمية التي زادت من بهاء طلتها..

لتهمس بلغتها الأجنبية بلطف ؛

\_ أهلاً بكِ معنا دكتورة سارة..

صافحتها سارة و هي تقف أخيرًا بينما تجيبها بمودة ؛

\_ شكرًا لكِ..

اومات لها الفتاة بذات ابتسامتها.. ثم قالت بنبرة مزاح أشد لطفًا ؛

\_\_حسنًا.. أستطيع أن ألمح حماسك من عينيك لكنك حتمًا لن تبدئي العمل  
اليوم.. هلاً تأتين معي لنقوم بجولة تتعرفين فيها إلى المشفى بشكل أفضل !  
اتسعت ابتسامة سارة و هي تدور من خلف المكتب مردفة بحماس كبير ؛  
\_\_بالطبع.. دعينا نذهب من فضلك !

---

أغمض عينيه متنهّدًا بارتياح شديد حينما لفحه نسيم الهواء البارد على طول  
السنة في هذا البلد الغريب.. قبل أن يفتحها مجددًا حينما سمع صوت شاب ما  
كان يقف خلفه في منتصف المرآب المليء بالسيارات..

نظر له جاد باهتمام فقال الشاب مبتسمًا بينما يمد له المفتاح ؛

\_\_تفضل سيدي..

أوماً له جاد ببعض الإمتنان و هو يأخذه منه.. قبل أن يقترب من السيارة التي  
استأجرها قبل قليل إلى أن فتحها و استقر في مكانه أمام المقود..

قال و هو يبدأ في تشغيلها بالفعل مستعدًا للإطلاق ؛

\_\_شكرًا لك..

كانت عيناه شاردتان و هو يدور في شوارع هذا البلد الذي يزوره لأول  
مرة.. بعد أن استطاع بالقليل من خبرته في الحواسيب أن يعرف مكانها..

بعد عناء دام لساعاتٍ في البحث عن الفنادق الفاخرة بهذه المدينة استطاع أن  
يعرف بأيّ فندقٍ تمكث الآن -حبيته الهاربة- !

توقف بسيارته بعد ساعاتٍ طويلة أمام بناية شاهقة الإرتفاع.. و التي لم تكن  
سوى واجهة لفندقٍ فاخر جدًا.. ثم نزل بخفة ليقف أمام واجهته المُميزة..

يدس يديه في جيبي معطفه الأخضر الداكن..بينما ينظر إلى تلك الواجهة  
بعينين تلمعان بشدة..

و بعد لحظات معدودة..كان يتوقف أمام موظفة الإستقبال الشابة حيث قال  
يسألها بثبات ؛

\_\_ عفوا.. هل أستطيع أن أعرف رقم غرفة السيدة " سارة فؤاد الغالي " ؟!  
قالت الفتاة و هي تنظر له برسمية ؛

\_\_ أستسمح سيدي.. لا يمكنني تسريب أي معلومة عن أي نزيل مقيم لدينا !  
فتح جاد فمه ليقول شيئاً يقنعها به.. أو لعله يستخدم صلاحياته كزوج يبحث  
عن زوجته الهاربة منه.. لكنه تسمر تمامًا.. بل تجمدت كل أوصاله  
حينما..لمحها !!!

نعم.. لقد كانت هي.. هي حبيبته.. تقف أمام أنظاره.. على بعد أمتار قليلة منه..  
كانت قد نزلت لتوها من سيارة أجرة.. قبل أن تنخفض فورًا لتضع بعض  
الورقات النقدية فوق المقعد الخلفي.. ثم أغلقت الباب و التفتت لترفع نظاراتها  
التي كانت تحجب بها عينيها لتهدب بها الآن خصلات شعرها البنية  
الساحرة...كما العادة !!

ترتدي بنطالاً بنيًا يشبه قليلاً لون عينيها و شعرها.. و قميص قطني أبيض  
تحت سترة بنية من نفس نوع البنطال ! بدلة رسمية تمنحها فخامة فوق  
فخامة هيئتها الفطرية أساسًا !!!

لكن... كان هناك شيءٌ مختلف.. فمن مكانه.. استطاع أن يلمح شحوبًا غير  
طبيعيًا في ملامحها الجميلة و..... مهلاً.. هل فقدت الكثير من وزنها أم  
أنه يتوهم فقط من شدة اشتياقه لها !!

رأها و هي تقترب أكثر توشكُ على الدخول.. فابتعد بسرعة ليقف بين جموع الناس غير سامح لها برويته.. راقبها بعينيه المتسعيتين قليلاً و هي تتجه إلى المصعد.. إلى أن دخلت و ضغطت أحد الأرقام فانغلقت أبوابه تلقائياً..

و حينها فقط.. كان يتحرك مطلقاً الريح لساقيه.. متجهاً بسرعة إلى السلالم التي صعدتها واحدة تلو الأخرى راكضاً بخفة..

كان يتوقف في كل طابق مليء بالغرف ليتأكد بأنه ليس طابقها.. إلى أن توقف يلهث أخيراً و هو يرى المصعد الذي تستقله يتوقف.. لتنتفح أبوابه في ظرف ثانية واحدة و تخرج منه سارة..

لكنه رغم ذلك لم يقترب.. ظل واقفاً في ركن بعيد عنها.. يلهث بقوة جبارة.. فلم تنتبه له سارة و هي تخرج بطاقتها الخاصة لتفتح باب الغرفة و تدلف مغلقة إياه وراءها بهدوء..

تقدمت بضع خطواتٍ بداخل الغرفة الواسعة منهكة القوى.. قبل أن ترتفع يدها لتخلع نظاراتها ملقياً بها فوق طاولة الزينة..

ثم تنزل حقيبتها لتلحقها بسترتها فوق الأريكة السوداء القابعة في جانب معين من هذه الغرفة ذات الأثاث الفخم..

لتبقى بقميصها القطني الخفيف بأكمام تصل إلى مرفقيها..

سمعت صوت طرقاتٍ خافتة فوق الباب فانعقد حاجباها بتوجسٍ و هي تتسمر مكانها للحظة.. هذا ليس موعد الأكل و لا يمكن أن يكون المسؤول عن تنظيف الغرف فهو يأتي صباحاً في الغالب لذا.....

زفرت بقوة و هي تقترب من الباب الباب لتفتحه بهدوء.. هدوء استحال إلى ضجيج هائل استوطن قلبها و عقلها و هي تقابل وجه آخر شخص توقعت أن تراه هنا !!!!

كانت صدمتها كارثية و هي ترى جاد بأم عينه يقف أمامها بهالته القوية.. و التي بدت مخيفة لها في هذه اللحظة.. ينظر لها بعينين صقريتين عجزت أن تقرأ أيّ مشاعر بداخلهما.. نظرته تلك.. أخافتها أكثر..

خاصة و عقلها يسترجع ذكرى ذلك اليوم الذي تركته فيه على منصة الزفاف بعد أن أرسلت له رسالتها التي لم تكن قاسية بقدر كلماته التي طعن بها قلبها ذات يوم..

ببطءٍ شديدٍ.. أخذت عيناها تتسعان.. بينما تضاعفت وتيرة أنفاسها حتى باتت عاجزة عن التحكم بها نهائيًا.. و فجأة.. تحركت يدها بأمر من عقلها الباطن تهم بدفع الباب في وجهه..

لكن يده التي ارتفعت بلمح البصر ووقفت لها بالمرصاد حينما أطبق بها فوق الباب ناظرًا لها بملامح عجزت عن قراءتها بشكل واضح..

لم تستطع أن تجابه قوته.. فتركت الباب يندفع بفعل يده.. و تراجعت خطوة متعثرة مترنحة إلى الوراء.. تنتظر له و هو يتقدم خطوة نحو الداخل.. يغلق الباب بهدوء ثم.. يلتفت إليها بنفس الملامح..

كانت تشعر بأنها تحلم بالفعل... أسوء حلم... بل كابوس !

هل جاء لينتقم منها؟! هل بحث عنها كل هذه المسافات و لحق بها ليعاقبها فقط؟! هل أصبح يكرهها!!!!?

و هل هذا سؤال؟! لا بدّ بأنه أصبح يكرهها.. يكرهها للدرجة التي جعلته يلحق بها إلى هنا ليمنحها هذه النظرة الجامدة و التي لا تنبئ بالخير أبدًا !!

رباه ما الذي سيفعله بها !! إنها خائفة القوي !!

تعلم بأنه لو نطق الآن ملقيًا على مسامعها السؤال المتوقع.. فلن تستطيع التبرير..

هي.. هي لن تستطيع فعل أيّ شيء..

لقد منحتها الحياة في آخر فترة ضربة شديدة القسوة قصمت ظهرها و قتلت كل روح المثابرة و التحدي بداخلها..

تراجعت أكثر في خطواتها و هي تراه يقترب منها بهدوء.. إلى أن ارتطم ظهرها بطاولة الزينة ورائها.. و حينها فقط.. قبضت عليها بيديها الإثنتين بقوة.. صوت أنفاسها الهادرة المرتفعة يخترق أذنيها ليجعل من رموشها ترتجف.. و عيناها المتعلقتان بعينيها تهتران ب... بخوف !!!

و ما كاد أن يقترب منها أكثر ليقطع آخر خطوة تفصل بينهما.. حتى وجدت نفسها تهتف بصوت هامس لاهثة الأنفاس و عقلها يستعيد موقفاً مشابهاً.. حينما فتحت باب منزلها ذات يوم لتجده يقف أمامها في حالة غير طبيعية أبداً..

همست بعينين زائغتين و هي تشعر بنفسها غير قادرة على تحمل أيّ من تحقيقاته أو نوبات غضبه العنيفة التي شهدتها لمرات عديدة في الماضي البعيد ؛

\_جاد.. جاد أرجوك.. أنا آسفة... أنا... أنا أستطيع الشرح.. أرجوك لا.....

لم تستطع أن تكمل.. فقد شهقت بذعر و هي تراه يقترب الخطوة الفاصلة بينهما في لمح البصر.. ليفعل ما لم تتوقعه منه في هذه اللحظة تحديداً..

لقد عانقها !!!

لم تشعر بنفسها إلا و هي تندفع إلى صدره بفعل يديه اللتين أطبقنا على ذراعيها فجأة..

و في لحظة واحدة خاطفة.. وجدت نفسها بين ذراعيه هو اللتين أحاطتا جسدها المُنهار بقوة جبارة...

في عناق اختزن أنهاراً من شوق جارف !!!



## "الرمق السادس والعشرون؛ عيون القهوة"

لم تصدق !!! هل...هل هو يضمها الآن؟!؟

بل هل يمكنها أن تطلق على كل ما تعيشه كلمة "عناق" !!! لقد توقعت كل شيء إلا أن تكون هذه هي أول ردة فعل له بعد أن يراها!!!!

و لا تعلم حتى الآن سبب شهقتها المذعورة و هي ترى يديه ترتفعان إليها..ماذا توقعت؟!؟ أنه قد...يصفعا مثلاً!!!

الحقيقة أنه لو كان تجرأ اليوم و فعل..لكانت ستكون ردة فعلها مخيبة لأمل جانبها الساكن في آخر فترة..جانب سارة القوية ذات الكبرياء المنتفض..تلك الثابتة..القادرة على مواجهة كل مشاكلها و التصدي لها مهما تألمت !!

لأنها ببساطة تشكُّ بأنها كانت ستصدر ردة فعل من الأساس !!

إنها تمر بحالة نفسية صعبة جدًا..تجعلها تهفو لأي نظرة..لأي تربيطة ربما أو...عناق!!!

و قد كانت حركته اليوم..في هذه اللحظة..كفيلة لتزيد من تهيج منطقة ضعفها أكثر..فوجدت نفسها تغمض عينيها على أنفاس متسارعة هوجاء..و تطبق يديها معها و كأنها تمنع نفسها بما تبقى لها من وعي بالعالم من أن...تضمه !!

و ربما تفرغ فوق صدره كل مكنونات قلبها الحزينة..لتبكي حتى تستشعر بعض الراحة في نفسها..و لا يهتما لو نالها الضعف أمامه..هي لم تعد تهتم أساسًا!!!!

عجيب أمر البشر..نعيش بهمة و نشاط مع حقيقة بأننا سنموت يومًا ما..لكننا و ما إن نستشعر اقتراب الموت منا..نتفاجئ..نغدو أضعف و كأننا لم نتوقع أن يعقد الموت معنا موعدًا قريبًا في يوم ما..

نحن ببساطة لا نحب التمهيد لأيّ شيء.. لذلك نترك التفكير في احتمالية الموت بعيدًا.. بعيدًا جدًا.. و نكتفي بالإعتراف بيننا و بين ذواتنا الآثمة..

بأننا يومًا ما...سنموت !!

يومًا ما..بمعنى ربما غدًا.. أو بعد غد.. أو بعد شهر أو سنة..

لا يهم..المهم بأننا لا نعلم الوقت تحديدًا..لأننا ما إن نعلم.. ستخور قوانا..و نتوقف عن صنع الإفتراضات و الآمال حول مستقبلنا !!!!

كانت أنفاسها تخرج بصعوبة..لاهثة و كأنها على وشك الموت..بل و كأنها جسد يحتضر..لكنها رغم ذلك..لا تزال تمتلك بعض القوة التي تخول لها الوقوف على قدميها..

لولا أن الشعور بذراعيه جعل ذلك الجسد الضعيف.. يستعيد قبصًا من.....الأمل !!!

مرت لحظات طويلة جدًا..ظلت فيها يديها ساقطتين بجانبها..بينما ذراعاها تطبقان عليها..تحتويان ضعفها بحنان غريب..و أنفاسها مغرقة في كتفه.. إلى أن استطاعت الهمس بصعوبة..تريد أن تتأكد بأن ما تعيشه ليس ب...حلم !!

\_.....لماذا جئت ؟!

لم يصلها أيُّ رد منه في البداية..بل على العكس تمامًا بدلًا من أن يتحلى ببعض الكرامة بعد السؤال المُهين شعرت بذراعيه تطوقانها بقوة أكبر.. بينما معالم وجهه..أصبحت شبه مخفية و هو يغرق أنفه بين خصلات شعرها..

رباه كم اشتاق إليها !!!

ثم أخيرًا..سمعته يهمس بصوتٍ خافتٍ شبه مسموع.. يختنق بالعاطفة ؛

\_شششش.. لا تقولي شيئاً !!

هذا لو سمح لها بقول أيّ شيء !!

لقد كان ملتصقًا بها حرفيًا.. حتى أنها و تحت ضغط ذراعيه شعرت بعظام  
ظهرها على وشك التكسر.. و رغم ذلك.. فقد وجدت نفسها تلتزم الصمت  
تمامًا و كأن كل حواسها انصاعت بالفعل لأمره..

كانت يداها ترتجفان.. و عيناها تناظران السراب بعذاب.. هي تريد أن  
تضمه..

تبًا لها.. تبًا لكبريائها و لعقلها الذي يأمرها بالصمود.. تبًا لكل شيءٍ فقد قيمته  
في حياتها إنها... تموت !!!

و أكثر ما تحتاج إليه الآن هو حضنه.. حضنه هو بالذات !!! لذا فقط...  
فلتستسلم و تحقق رغبة ضئيلة قد تندم لاحقًا على تجاهلها !!

بعد كل تلك المحاضرة التي ألقته على نفسها داخليًا.. زال التردد.. و ماتت كل  
ذرة تعقل تأمرها بالتصرف بصلاية و حكمة مع الموقف.. و ارتفعت ذراعاها  
بأمر من قلبها الوحيد.. لتبادله العناق... بقوة !!!

و قد كانت تلك الحركة فقط.. من جعلت من عقله هو يتنشط.. فتح عينيه و  
كأنه استيقظ من حلم رائع الجمال.. لكنه لا يزال مصرًا على التمسك به و  
الحياة على... أمل تحقيقه !

عقد حاجبيه قليلاً بشيءٍ من القلق و هو يستشعر ذراعيها من حوله بعد أن  
استيقظ من غيبوبة مشاعر لحظية.. كل ما يعرفه.. بأن تلك الحركة.. ذلك  
العناق.. ليس بديهياً.. لقد كان عناق شوق.. و يأس.. و احتياج !!!

لكن ما جعل القلق الحقيقي يعلو ملامحه.. هو ارتجافة جسدها.. لقد كانت  
ترتجف حرفيًا.. ترتجف بطريقة غير طبيعية..

تحركت أنامل يديه ببطءٍ على طول ظهرها إلى أن وصل إلى كتفها فتمسكَ  
بهما ليدفعها قليلاً برفق إلى أن قابل ملامحها مجدداً..

لحظة.. هناك شيء مختلف.. لقد كانت ملامحها غريبة جداً.. بدت و كأنها... و  
كأنها فقدت كل توردها الفطري دفعة واحدة.. و ماذا تبقى؟! شحوب مخيف  
يرسم خطوطه فوق وجهها !!

لم يشعر بنفسه و هو يرفع يديه مجدداً هذه المرة ليحاوط وجهها باهتمام.. ثم  
قال يوجه السؤال القلق لعينيها الغائرتين بإرهاق شديد ؛

\_سارة.. هل... هل أنتِ بخير ؟!!!

كان ينقل عينيه بين ملامحها يكاد أن يلتهمها بدافع القلق الشديد.. و رغم أنها  
لمحتة واضحاً.. ذلك القلق.. إلا أنها ظلت صامتة للحظاتٍ طالت.. تنظر له  
بعينيها الزائغتين اللتين تجعلانه يشعر بأنها على وشك السقوط فاقدة لوعيتها  
في أي لحظة.. و ملامحها الساكنة..

إلى أن همست بصوتٍ خافت و تركيزٍ مفقود ؛

\_أنا.. أنا مرهقة فحسب.. كنت سأنام الآن لو لم.....

صمتت فجأة.. فقال جاد بنفس نبرته بينما يشدّد من ضغط يديه حول وجهها ؛

\_ هذا فقط ؟ هل أنتِ بخير حقاً ؟!!!

ظهرت بعض الدهشة على كلامها.. نظرة اندهاش و تعجب ضربت قلبه في  
الصميم و جعلت ملامحه تضطرب بشكل غير ملحوظ..

هزت رأسها قليلاً و كأنها تحاول الخروج من مشاعرها تلك.. ثم همست  
بضعفٍ و هي تنظر إلى عينيه.. بنبرة بدت غريبة جداً على مسامعه ؛

\_هل.. إذا أخبرتك بأنني بخير ستبقى ملامح وجهك هادئة بهذا الشكل أم  
أنك... ستتخذها محفزاً لتهتف بي بكل التساؤلات التي جنّت إلى هنا باحثاً عن

أجوبتها؟! .. عن لماذا ذهبت؟! و لماذا خدعتك بهذا الشكل السيء جدًا و  
تركتك في يوم زفافنا؟! و عن.....

لم تستطع أن تكمل تساؤلاتها الغريبة.. فقد قاطعها جاد بحرارة و هو يطبع  
شفتيه فوق جبهتها بعذاب ؛

لن أفعل.. لن أفعل... أقسم بالله لن أفعل !

أغمضت سارة عينيها للحظة أمام انفعاله الحار الذي لم تتوقعه.. بينما همس  
جاد يستأنف ببطء.. بنبرة بدت شبه متهدجة و هو يعود ليقابل عينيها  
المُرهقتين بينما أنامله تبعد بعض خصلاتها المتمردة إلى خلف أذنيها ؛

أنا أسأل... لأنني خائف عليك.. اشتقت إليك... هذا فقط !

بدت سارة غير مستوعبة نهائيًا لما تعيشه.. و لما يقوله.. و قد ظهر هذا  
واضحًا في نظراتها المليئة بالتوجس و الصدمة..

بشكل جعله يتنهد بتعب.. ثم اقترب أكثر إلى أن كاد أن يلامس كل ملامحها  
بملامحه.. و همس لها بصوتٍ أكثر خفوتًا ؛

أعلم بأن ما أقوله غريب عليك.. و ربما لا يبدو منطقيًا أيضًا.. أنتِ  
فقط... اتركي الماضي للماضي.. و انسي تلك النسخة البائسة مني.. أنا جاد  
الحاضر.. جاد القديم مات.. مات مع طفلنا الذي فقدناه على غفلة..

ظلت سارة تحرق به بنفس الطريقة.. تعجز عن الفهم.. إلى أن همست هي هذه  
المرّة بصوتٍ مرتعش تائه ؛

لكنني... تركتك يوم الزفاف.. ظننت بأنك سيء.. ستكرهني مجددًا !

مالت عيناه قليلًا بحزن و أسي.. ثم اقترب أكثر منها إلى أن أصبح مستندًا  
بجبينه إلى جبينها.. ليهمس لعينيها بصدق شديد ؛

هل ستصدقيني لو أخبرتك بأنني... لم أكرهك يومًا !!

شبح ابتسامة ضعيفة لامست شفثيه بدون أن تلمحها سارة و هو يكمل همسه  
بيأس..

يخاطب أنفاسها القريبة جدًا منه ؛

\_ نعم.. لقد حاولت في الماضي البعيد بكل غياب لكنني... عجزت !!!

كان و كأنما يتحدث إلى نفسه.. فهي تبدو مغيبة عن هذا العالم تمامًا.. و بالفعل  
فقد أكمل هو مجددًا بصدق أشد غير منتظرًا سماع أيّ جواب منها ؛

\_ أنا... أحبك ! أحبك أنت.. هل تفهمين ما أقول !؟

أغمضت سارة عينيها بقوة تكاد أن تبكي لشدة التشوش الذي يعصف  
بعقلها.. ثم همست بنبرتها المجهدة الضعيفة بعذاب ؛

\_ لا.. لا أفهم... أريد أن أفهم أرجوك.. أريد أن أفهم !

كانت نبرتها مجهدة جدًا.. شبه متوسلة رغم التشنج الذي يستشعره  
بملامحها.. و أمام نبرتها تلك.. لم يستطع إلا أن... يبتسم !!

ابتسم بحزن سامحًا لعينييه بالتقاط كل حركة صادرة عنها.. قبل أن يميل  
عليها قليلاً.. و قد كانت غايته أن يهمس في أذنها بكل حرارة بالقليل من خبايا  
قلبه..

إلا أنه وجد شفثيه تتخذان طريقًا مختلفًا عما أراد.. فقبل وجنتها بقوة.. قبله  
استمرت للحظات طالت.. قبل أن يهمس في أذنها ببطء.. بنفس الصدق ؛

\_ أحبك.. أحبك حدّ الموت.. هل كنتِ تظنين بأن ندمي و حبي كان محض  
مزحة ؟.. أو ربما كانت مشاعري عن سهو لدرجة تجعل مجرد حركة  
أستحقها منك تغير من إحساسي نحوكِ !! قطعًا لا.. قطعًا لا حبيبتي.. أنا ما  
أتيت إلى هنا اليوم إلا لأؤكد لكِ بالدلائل القاطعة بأنني كنت صادقًا في كل  
كلمة قلتها لكِ..

صمت لوهلة قصيرة.. ثم عاد يستأنف بنبرة تتأرجح في عشقها المستعر في  
قلبه المجروح.. الأثم.. النادم !!

\_بعد الآن.. افعلي بي ما تشائين.. عاقبيني القدر الذي تريدين.. لكنني لن أتخلى  
عناك.. لقد جنّت لأستعيدك.. و لن أتركك بعد الآن.. لن أتخلى عنك  
أبدًا.. سأموت قبل أن أفعل... سأموت !

سأموت !!!

" هل كان عليك أن تستخدم تلك الكلمة بالذات في هذه اللحظة !!! لا يا  
جاد.. لن تموت.. أنا من سأموت قبل أن تفعل !!!! "

كانت قد ظهرت ابتسامة ساخرة مية على شفيتها مع سماعها لآخر كلمة  
تتردد لأكثر من مرة بصوته..

ابتسامة لم يلمحها.. فقد كان ذقنه الملتحي قليلاً يلامس وجنتها و أنفاسه تلمح  
بشرة وجهها و كأنه يهم بقول شيء ما جديد..

لا ينوي أن يخاطب به عينيها.. بل قلبها مباشرة.. لولا أن سمعها.. تهمس  
بصوتٍ لا يشبه صوتها ؛

\_أريد أن أنام !

حينها فقط.. كان يفتح عينيه.. و يرفع رأسه إليها.. لم يستغرب طلبها هذا  
أبدًا.. فقد كانت ملامحها تصرخ تعبًا..

ظل ينظر لها لثوان.. قبل أن يهز رأسه بسرعة و بدون أدنى تردد..

ثم لم يلبث أن تركها بغاية وحيدة.. أن يبعد الغطاء قليلاً.. ثم عاد ليمسك  
بذراعيها و يدفعها برفق إلى أن جعلها تستلقي..

كانت عيناها شبه جاحظتين و هي تنظر له بينما يمسك بحافة الغطاء ليدثرها  
جيدًا..

إلى إن انتهى.. و امتدت يده برفق لتلامس جانب وجهها مرتبة بنعومة جعلت  
عينها ترمشان استعدادًا للنوم بالفعل كطفلة صغيرة تغفو بعد أول محاولة من  
أبيها لدفعها للنوم..

تركها بعدها ببطءٍ و هو يرى عينها تنسدلان بضعف.. إلا أنه ما كاد أن  
يبتعد.. حتى عاد يتسمر متفاجئًا و هو يشعر بتلك اليد الرقيقة التي ارتفعت  
تتمسك بمعصمه بضعفٍ..

نظر لها عاقدًا حاجبيه بدهشة.. لكنها لم تمنحه فرصة للفهم.. فقد جاءه صوتها  
يهمس بنبرة خافتة جدًا.. بدت و كأنها مجرد تنهيدة بدون أن تفتح عينها ؛

بين ذراعيك !

نظر جاد لأناملها الرفيعة الملتفة حول معصمه بغباء.. ثم لملامح وجهها  
الحبيبية بحاجبيه المنعقدين حيرة.. قبل أن ينخفض إليها قليلًا.. ثم همس  
باضطراب بينما يبتلع ريقه ببطءٍ ؛

ماذا.....قلتِ؟!!

لم يتوقع أبدًا أن يسمع ردًا منها.. فقد بدت له و كأنها غفت بالفعل.. إلا أنه  
تراجع شبه مجفلًا و هو يسمع همستها التالية التي خرجت محملة بنفس  
الضعف ؛

سمعتني !

رمش بعينه قليلًا و هو يحدق بها فاغراءً فمه على أنفاسٍ بطيئة.. و ظل واقفًا  
مكانه لبضع لحظاتٍ يشعر بالغباء يتضاعف أكثر مسيطرًا على عقله..

إلا أنه في النهاية.. وجد نفسه يدور حول السرير بهدوء.. ثم عاد ليقف محدقًا  
بها لثانية أخرى.. قبل أن يرفع الغطاء و يتمدد بجانبها متمسكًا بيدها التي  
كانت تتشبث بيده حتى قبل لحظة واحدة..



استند بوجنته إلى راحة يده الحرة المستقرة فوق الوسادة.. بينما الأخرى..  
تركت أناملها بخفة.. لتستبدل نعومة يدها.. بنعومة وجنتها.. فلامسها برفق و  
هو يراقب حركة رموشها التي أعلمته بأنها على وشك فتح عينيها في أي  
لحظة من جديد..

و بالفعل.. تمكنت من فتح عينيها بصعوبة.. إلى أن قابلت عينيه.. و ما إن  
فعلت حتى... ابتسمت !

ابتسمت ابتسامة ناعسة جميلة جدًا و كأنها لم تراه إلا الآن.. و بادلها إياها  
تلقائيًا مع لمعة من انبهار و اندهاش لما يعيشه..

لكنها سرعان ما تلاشت و هو يستقبل حركتها التالية.. حينما اقتربت منه  
قليلاً.. لتستقر برأسها فوق صدره.. و تحاوط جذعه بذراعيها مغمضة عينيها  
باستسلام و كأن حضنه كان كل ما تحتاج إليه اليوم بالذات !!

كان جاد مندهشًا بالفعل من كل تصرفاتها.. لا يزال القلق يعصف بقلبه.. حتى  
أنه ظل بعد حركتها تلك متمسراً لعدة لحظات يطالعها بغم فاجر و عينين  
متسعيتين..

لقد غفت بالفعل.. غفت فوق صدره !!!

لم يحاول أن يرهق نفسه في التفكير و التساؤل أكثر.. فقد اكتفى بأن رفع  
ذراعيه ليضمها أكثر إليه برفق.. يبادلها هذا العناق الغريب سامحاً لها  
باستمداد كل الأمان الذي تحتاجه منه..

بينما أنامله.. لم تلبث أن سافرت بين خصلات شعرها تتخللها بحركاتٍ حانية  
بطيئة.. لا تتعب أبداً من نعومة شعرها لوقتٍ طويل.. طويل جداً..

لساعاتٍ طويلة ظل فيها يتأملها فقط.. النوم يعجز عن عن مقاربة جفونه.. لكنه  
في النهاية استطاع النوم.. بل سمح للنوم بأخذ وعيه على مضض..

لكنها كانت غفوة مرهقة.. فقد استيقظ بعد أقل من ساعتين.. و عادت عيناه  
لتتأملانها بإخلاص مجدداً لوقتٍ أطول..

إلى أن رفع أبصاره على ضوء الصباح الشاحب الذي أخذ يتسلل من خلف  
النافذة العريضة بخجل..بينما سارة لا تزال نائمة بسكون بين ذراعيه..  
ربما تلك المرة الأولى التي تنعم فيها برفاهية النوم المريح بعد وقتٍ طويل !!  
انخفضت راحة يده ببطءٍ لتمر فوق كتفها..ثم ذراعها النحيل برفق من فوق  
القميص في حركة لم يشعر بها فعليًا..فقد كان شاردًا تمامًا..  
لكن هذا الشرود لم يلبث أن اختفى..لتحل محله عقدة صغيرة تشكلت بين  
حاجبيه و هو يشعر بلمس غريب فوق بشرتها..  
أخفض أنظاره بسرعة لينظر له..و سرعان ما كانت عيناه تتسعان و هو  
يرى كدمة دائرية بلون أحمر خفيف تتوسط مرفقها..  
كدمة تكاد أن لا تكون ملحوظة..لكنها رغم ذلك..جعلت قلبه ينقبض بشدة  
بشعور سيء..رفع رأسه قليلًا لينظر إلى ملامحها الساكنة بقلق..  
ثم انحنى ببطءٍ غير قادر على كبح نفسه ليطلع شفثيه فوق موضع تلك الكدمة  
مغمضًا عينيه برفق..و ظل على وضعه للحظات لم تكن لتنتهي لولا أن شعر  
بها تتلمل قليلًا..  
حينها فقط..كان يرفع رأسه ليراقبها بينما تفتح عينها ببطءٍ..  
إلى أن فتحتها بالفعل..لتلتقي عيناها بعينه فورًا في تواصل بدا عجيبيًا..عجيبيًا  
جدًا !!  
كانت نظرتها في البداية جامدة..خالية من التعابير و كأنها لا تراه..ثم بحذر..  
رأى حاجبيها و هما ينعدان ببطءٍ شديد كمن يحاول أن يستوعب..أو يفهم..  
لكن لحظات استيعابها طالت كصمتها..قبل أن تنتفض فجأة مستوعبة  
أخيرًا.....بأنه موجود..هنا !

استقامت جالسة و هي ترفع أناملها المرتعشة لتبعد خصلاتها إلى خلف أذنيها  
في حركة خرقاء.. ثم رفعت أنظارها إليه بتوتر حينما تسللت ذكرى يوم  
أمس إلى عقلها..

فهتفت بغباء ؛

\_ أنت ما... ماذا تفعل هنا ؟!

ارتفع حاجبا جاد بدهشة مبالغ بها و هو يستقيم جالسا مثلها.. ثم سرعان ما  
كان يجيبها ببساطة ؛

\_ حسنا.. أظن بأن الأوان قد فات بالفعل على سؤالكِ هذا..

مع انتهاء كلامه.. كانت هناك ابتسامة متسلية تلامس شفثيه و هو يستأنف  
بنفس البساطة و الهدوء أمام عيني سارة الجاحظتين على نفس النظرات  
المتفاجئة و التي يكتسحها بعض التردد أو الإحراج..

\_ لكنني مع ذلك سأخبركِ.. جئت إلى هنا لأجلكِ.. لأعيدكِ معي.. إلى وطنكِ  
الطبيعي... حضني !

الآن اختفى كل الإندهاش.. و حل محله تقطبية ظهرت بين حاجبيها.. ثم قالت  
بحدة دون أن يخفي التوتر من نبرتها و هي تنظر لابتسامته التي بدت  
سامجة بشكل مزعج ؛

\_ و من أخبركِ بأنني سأعود معكِ ؟! أنا لن أعود أبداً إلا حينما يأمر مزاجي  
بذلك..

استقامت واقفة ملقية الغطاء بإهمال و هي تستأنف بنبرة أكثر حدة بينما تشير  
إلى الباب بيدها ؛

\_ الآن من فضلكَ أخرج من غرفتي و عد من حيث أتيت !

لم تؤثر نبرتها بملامح جاد أبداً.. فقد هز رأسه بخفة متظاهراً بالتفكير.. ثم قال  
أخيراً و هو يرفع حاجبيه معاً و يمس شفثيه بنبرة تقدير مُصطنعة ؛

\_حسناً.. أعجبتني ثقتك في إلقاء الأوامر يميناً و شمالاً منتظرة مني أن أنفذها بكل طاعة.. لكن لا.. ليس هذه المرة.. أنا هنا معك إلى أن يلين رأسك الصلب و تعودي معي !!!

قال آخر كلمة بجدية و هو يلقي الغطاء جانباً بإهمال مثلها و يقف.. بينما فغرت سارة شفيتها غير قادرة على لفظ حرف واحد لثوانٍ قليلة و هي تراه يتجاوزها متجهاً إلى الحمام بكل إعتيادية و كأنه يتجول في بيت أبيه !! لكنه ما كاد يلمس المقبض الخاص به.. حتى كانت تهتف باستنكار ؛

\_إلى أين ؟!!!

نظر لها جاد رافعاً حاجبيه بحيرة.. ثم قال يهز كتفيه بكل براءة ؛

\_إلى الحمام ! هل يجب أن أطلب الإذن منك أيضاً ؟!

شعرت سارة بالجنون يتلقفها.. كيف يستطيع أن يتصرف بكل هذه الوقاحة و الإعتيادية ؟!! بعد كل ما كان !!!

زمت شفيتها على نظرة كانت لتقتله و هي تقول بجدية بينما تتجه إلى الحمام ؛

\_أظن بأن عليك فعل ذلك !

كانت قد تجاوزته بالفعل لتقف أمامه ظهرها إلى الحمام.. عاقدة ذراعيها رافعة حاجبها بصرامة و تحدي.. لكنه على عكس توقعها.. ظل صامتاً بأدب.. فطرفت برموشها ببطء.. قبل أن تفكّ العقدة بين ذراعيها و تلتفت عنه قليلاً لتمسك بالمقبض الذي كان يمسك به قبل لحظات..

و همت بأن تدخل بالفعل متجاهلة إياه تماماً.. لكن شيئاً ما.. غباء في داخلها جعلها ترمقه بجانب عينيها بتردد.. ثم همست بنبرة لم تخلو من حدثها في التحدث معه اليوم رغم خفوتها ؛

\_عموماً... أنا لن أتأخر كثيراً..

تظاهر جاد بعدم الرضا و هو يهز رأسه بلا فائدة.. لكنه رغم ذلك تراجع قليلاً مبتعداً عنها إلى أن جلس على على طرف السرير كطفل حانق..

بينما ظلت سارة واقفة قليلاً قبل أن تترك باب الحمام لوهلة.. اتجهت إلى خزانها لتفتحها أمام عينيهِ المراقبتين و تخرج بعض الثياب التي لم يتسنى له تمييز لا ألوانها و لا شكلها..

فقد كانت عيناه عليها هي فقط.. يلاحظ شحوبها الغريب.. حتى تصرفاتها بدت إليه أغرب من أن يستطيع فهمها..

ظل يراقبها بصمت.. إلى أن انتفض حين سماعه لصوتِ باب الحمام الذي أغلقته بعنفٍ بعد دخولها إليه و كأنها تعمدت ذلك لتقمع تلك النظرات..

و كما قالت.. لم تتأخر طويلاً.. فما هي إلا بضعة دقائق مرت كساعات بالنسبة إليه و هو يجلس مكانه منتظراً بمثل.. حتى كان الباب يعود لينفتح بهدوء هذه المرة..

نظر لها باهتمام و هي تخرج.. كان شعرها المبلل الناعم منسدلاً بسحر فوق كتفها.. لونه اللامع يبدو كانعكاس للون عينيها..

مرت عيناه ببطءٍ على كل ملامحها مستغلاً تعمدها في النظر بعيداً عنه و كأنه غير موجود.. ثم انخفضت أكثر ليطالع ثيابها التي كانت عبارة عن بنطال جينز أسود و كنزة صوفية سوداء أيضاً ارتدت تحتها قميصاً بياقة أنيقة كانت تغطي عنق الكنزة.. بدلة رسمية بامتياز !

لم يستطع أن يتحرك من مكانه.. ظل يراقبها فاغراً فمه بانبهار لوقت طويل.. متناسياً أمر الحمام.. و قد شعر بأنه غير مرئي لها و هو يراها تتجه بهدوء إلى طاولة الزينة..

إلى أن وقفت أمام المرأة لتحمل المجفف الكهربائي و تبدأ بتجفيف شعرها ناظرة إلى انعكاس عينيها بشرود شعر بأنه حقيقي.. و قد كان حقيقياً بالفعل !

إلى أن انتهت منه لتتركه منسدلاً بجمال فوق كتفها و ظهرها..خصلاته  
الناعمة تلتف حول قلبه و هو يتذكر ساعات الليل التي أمضاها في تخلله  
بأصابعه و تمشيطة بكل حرية..

التفتت بعدها لتحمل معطفها الأسود أيضاً..و الذي أضفى هالة من الغموض  
و الملوكية إلى ثيابها التي كانت تقريباً كلها سوداء..إلا من ياقة القميص التي  
كانت تخفي عنق الكنزة...كان لونها أبيض !

كانت قد رفعت يديها هامة بتحريير بعض من خصلات شعرها التي اختفت  
تحت المعطف حينما التقت عيناها بعينيه اخيراً..

في تلك اللحظة فقط..كانت ملامحه تتنبه قليلاً..بينما تسمرت سارة للحظة  
سريعة..قبل أن تعود لتشيح بعينيهما عنه بصمتٍ..

أما هو..فقد ظل يراقبها و هي تتحني قليلاً إلى أن فتحت أحد الأدراج السفلية  
لخزانها الكبيرة و أخرجت منه حذاءها الذي كان..أسوداً أيضاً !! ما خطبها  
اليوم مع الأسود !!!

في تلك اللحظة فقط و هو يراها ترتدي حذاءها..كان يتنهد مجبراً نفسه على  
الوقوف ليتجه إلى الحمام..

و ما إن اختفى بداخله..حتى رفعت سارة عينيهما اللتين كانتا تركزان في  
الأرض قبل لحظة..رمقت الباب زافرة بياسٍ و تعب..قبل أن تعود لتكمل ما  
كانت تفعله..

و بالطبع لم تستطع الخروج من الغرفة و تركه هنا..فظلت جالسة مكانها  
بممل تنتظر خروجه الذي لم يطل سوى لعدة دقائق..إلى أن فتح الباب و  
خرج بالفعل بهيئة أفضل من التي دخل بها..

رغم رغبة حمقاء كانت تحثها على إطالة النظر له..إلا أنها رفضت أن تظهر  
بمظهر المتأثرة فظلت عيناها تحديقان جانباً بصمتٍ..

إلا حينما اقترب.. حينها فقط.. كانت ترفع عينيها بحذر إليه.. لكنه لم يفعل شيئاً  
سوى أن مرّ من جانبها بهدوء ليلتقط معطفه الملقى بإهمال فوق الأريكة  
الجانبية.. و مفاتيحه من فوق المنضدة..

ارتدى المعطف سريعاً.. قبل أن يجلس على الطرف الآخر من السرير معطياً  
إياها ظهره ليشرع في ارتداء حذائه..

وقف بخفة ما إن انتهى لينظر لسارة التي كانت لا تزال تجلس في مكانها  
مشاعر القنوط تحتل وجهها.. لكنها سرعان ما كانت تقف هي الأخرى ناظرة  
له بحاجب مرتفع.. فعلم بأنها تنتظر خروجه بالفعل.. أو تطرده بالفعل !

حمقاء !! هل تظن بأنه كان يمزح !!

لا بأس.. ربما عليه أن يبذل جهداً أكبر حتى يثبت لها بأنه هذه المرة لا ينتوي  
الرحيل أبداً.. لقد ماتت كل الحواجز بينهما بأمر من قلبه العاشق و لن يتردد  
في التعبير عما يخالج صدره بكل طريقة مُمكنة !!

لهذا.. ابتسم بهدوء و هو يقطع الخطوات التي بينهما بنفس الهدوء.. إلى أن  
وقف أمامها تماماً ينظر إلى شكلها الخلاب للحظات بحرية..

متجاهلاً ملامحها القانطة و صوت الطرقات الخافتة التي يصدرها حذائها  
فوق الأرض دليلاً على نفاذ صبرها منه.. تسمرت عيناه للحظة على شعرها  
للحظة.. قبل أن يهمس بغموض ؛

\_ لا يزال شيءٌ واحد ناقص !

رفعت سارة حاجبها الآخر بعدم فهم.. إلا أنه لم يكلف نفسه عناء التفسير.. فقد  
ابتعد عنها عدة خطواتٍ ليلتقط نظاراتها الشمسية السوداء من فوق المنضدة  
و يعود إليها..

و حينها فعل ما لم تتوقعه منه.. مجدداً !!

فقد امتدت أنامله لتثبتها برفق فوق مقدمة شعرها..و تلك المرة..لم تعارض سارة..بل لم تفعل سوى أن رفعت يديها لتعدلها فوق شعرها أكثر..  
قبل أن تسمع صوته يهمس لها بنبرة خافتة أرسلت رعشة لذيدة إلى قلبها لشدة عمقها ؛

\_الأسود لا يليق إلا بك يا "عيون القهوة" !

عيون القهوة !! هل ناداها بهذا اللقب حقًا؟!!

رمشت سارة بعينيها بغير تصديق أمام تشبيهه السخيف.....جداً !

ثم لم تلبث أن هزت رأسها بقلّة حيلة تاركة طيف ابتسامة يلامس شفتيها في الخفاء..ذلك الطيف الذي يبدو بأن هذا الرجل المتطفل الذي يقف أمامها ميره..و برقت عيناه له خلصة و هما تتسمران للحظة على شفتيها..

قبل أن تهمس بجدية بعد ثانية واحدة ؛

\_إذا..ألن تخرج؟! أنا لذيّ دوام و عليّ أن أذهب !

فاجئها ردّه جداً..حينما قال بكل جدية رغم الإبتسامة المزعجة التي تتلاعب على شفتيه ؛

\_و أنا لذيّ زوجة تحتاج لمن يقلها إلى دوام عملها -الجديد- الذي لا علم لي به !

عبست سارة قليلاً مردفة بصبر محدود ؛

\_ليس هناك أيّ عمل جديد..إضافة إلى ذلك أنا لا أحتاج لأن تقلني..سأذهب بمفردي..

هز جاد رأسه بالنفي بهدوء..فانعقد حاجباها و هي تهم بالهتاف به بحدة لكنه قاطعها مجدداً هامساً بجدية أكبر هذه المرة و هو ينظر إلى عينيها القريبتين منه..



\_ هل تتذكرين مرة... حينما أخبرتكِ بأنني لست الرجل الذي يتركُ زوجته  
تمشي بلا سند !

رغم التوتر الذي اكتسحها داخليًا من هذا القرب و تلك النظرات و صوته  
الخافت الذي تخلص من أثر الإبتسامة..

إلا أنها تلقائيًا وجدت ضحكة ساخرة تكتسح شفثيها و هي تقول ؛

\_ على أساس أنك لم تتركني ليوم واحد من قبل أمشي بلا سند !

شعرت بالتوتر يكتسحها أكثر.. و مجددًا ذلك الضعف القديم يلامس قلبها و  
هي تراه يقترب أكثر منها بوجهه.. إلى أن همس بنبرة ساحرة جدًا بينما أنامله  
الخشنة تقبض على كتفيها برفق ؛

\_ لا.. لم أفعل.. كنت دائمًا خلفك.. كظلك الذي يلاحقك إلى كل مكان دون أن  
تلمحينه !

لم يسمح لها بلحظة استيعاب.. فقد اقترب أكثر و كأنه يعجز عن تأمل عينيها  
بالطريقة التي يريد من مكانه.. و همس لها بصوت أكثر خوفًا و... سحرًا !

\_ ثم ألم تتذكري ما قلته يوم أمس؟!!

شعرت سارة باضطراب خفيف في خفقات قلبها.. و لامس ملامحها بعض  
التوتر و هي تهمس بدون أن تشعر بنبرة لا تتم عن شعور محدد ؛

\_ ماذا قلت؟!!

همس جاد مكرراً عبارة قالها يوم أمس.. تاركًا عينيها على تواصلهما بعينيها  
الشبيهتين بلون القهوة بالفعل كما وصفهما عقله دائمًا..

\_ اتركي الماضي للماضي.. جاد القديم مات.. و من يقف أمامك الآن جاد  
آخر.. لا يشبهه أبدًا !

يا الله.. ألا يمكنها أن تتحلى ببعض الشجاعة الغبية لتدفعه مثلًا !! لا.. لا  
يمكنها... !!

فها هي ذي كالحمقاء تراقبه بعينيها الجميلتين بينما يمسكُ بيديها الإثنتين  
ليرفعهما مقبلاً ظاهرهما ببطءٍ أمام عينيها و كأنه يحاول أن يثبت لها وجهة  
نظر غريبة المعنى بتلك الحركة !!

قالت بجمود بدون أن تزيح عينيها عن عينية أو تحرّر يديها من أسر يديه ؛

\_ هل تستغل صمتي ؟!

لم يترك جاد يديها.. و لم يتنازل ليجيب سؤالها.. فقد ابتسم بخمول قليلاً و هو  
يتأمل ذلك الخاتم الذي يحيط أصبعها.. خاتمه الذي ألبسها إياه هو ذات ليلة  
أمام غرفته في الفندق..

نفسُ الليلة التي جاءت إليه فيها على وجه السرعة لتبثه حبها و تخبره بأنها  
توافق عليه أخيراً..

وجد نفسه يهمس بنبرة مميزة ساهمة و هو يمرر أصبعه فوقه بشرود ؛

\_ لم تنزعيه منذ ذلك اليوم !

نظرت له سارة بضياح يفترس روحها و هو ينحني قليلاً ليقبله ببطءٍ.. و ما  
إن رفع عينية إلى عينيها.. أبعدت يديها فجأة بسرعة.. ثم قالت بارتباك حاولت  
أن تنسفه بلامحها الحادة ؛

\_ أنا.. أنا تأخرت عن العمل..

لم تكمل جملتها حتى كانت تلتفت بسرعة تنوي الإتجاه إلى الباب.. لكنها  
عادت لتتوقف في منتصف الطريق.. و نظرت له بتفكير لتقول بهدوء هذه  
المرّة ؛

\_ أنصحك بالفعل بأن تعود لأنك لن تستفيد شيئاً من بقاءك هنا سوى تضييع  
وقتي و وقتك... أنا لن أعود معك !

لم تتوقع أبداً أن تكون إجابته بتلك الوقاحة إلا حينما قال يجيبها بمنتهى اللا  
مبالاة ؛

\_ هذا شاني !

حينها انعقد حاجباها بتضايق حقيقي و هي تقول بعصبية ؛

\_ لكنك لن تبقى بغرفتي.. جد لك واحدة أخرى !

ارتفع حاجباه باندهاش مزيف و هو يقول محتفظاً بهدوء ملامحه و نبرته  
المستفزة ؛

\_ و لماذا لا سمح الله.. أليست الزوجة زوجتي و الغرفة لها.. يعني أنها أيضا  
غرفتي !

هز رأسه بحزم في نفس اللحظة و هو يكمل ؛

\_ لا.. غير معقول.. أنا سابقى هنا أقبع بين أنفاسك لأمنعك من التقاطها بدوني  
!

زمت سارة شفيتها بامتعاض شديد.. لكنها و بإصرار نجحت في طرده من  
نبرتها التي خرجت جادة بينما تعقد ذراعيها أمام صدرها ؛

\_ و من سيسمح لك !؟

قال جاد يهز كتفيه بثقة ؛

\_ لا يحتاج.. أنا أسمح لنفسي !

يا الله.. إنها تفقد أعصابها بالفعل !!!

زمت شفيتها بقوة و هي تكتم انفعالا قويا بينما تنظر له بملامح لا تفسر  
أبداً.. برغبة قوية في رفع يديها الإثنتين و الضغط على رقبتة بكل عنف حتى  
تفقد عيناه المتسلتان هذه السماجة التي لم تعتدها منه !!

لكنها في النهاية اكتفت بأن سحبت نفساً عميقاً و هي تستغفر الله بداخلها لعدة  
مرات.. ثم اقتربت من الباب تهم بفتحه بدون أن تضيف كلمة أخرى.. لكنها و  
قبل أن تفعل.. شعرت بيده تقبض على ذراعها برفق لتمنعها..

زفرت بياس و هي تعود لتستدير إليه بنفاذ صبر.. إلا أن ملامحه بدت لها و كأنها قد تخلت عن كل التسلية السابقة..

حينما قال بهدوء.. بنبرة تخللها بعض الرجاء الحقيقي ؛

**\_ دعيني أقلقك.. أنا أصر !**

أغمضت سارة عينيها زافرة أنفاسها بتعب شديد و كأنها تعجز عن التحكم بانفعالاتها معه.. قبل أن تفتحها مجددًا..

ثم بصمت.. فتحت الباب و تقدمت خطوة نحو الخارج منتظرة خروجه هو الآخر بصبر..

إلى أن خرج بالفعل فأغلقت الباب و رفعت عينيها ناظرة إلى شكله الذي كان أقل ما يقال في وصفه...-خلاب- !!

كان يرتدي بدلة رسمية كاملة لاقت له كثيرًا.. هي نفسها التي كان يرتديها ليلة أمس.. تحت معطف أخضر داكن و بدون ربطة العنق كالعادة لكنها تناسبه تمامًا..

خاصة بلونها الأسود الذي يماثل لون ثيابها و.....

**\_ بماذا أهذي أنا !!!**

هتفت لنفسها بصوت مكتوم بغیظ شديد.. و لم تدري بأن كل تعابيرها كانت مفضوحة لدى جاد الذي اتسعت ابتسامته الساحرة برضا..

قبل أن يمد يده بصمتٍ ليمسك بيدها متخللاً أناملها بطريقته التي تصهرها.. و راقبها منتظرًا كذلك اليوم.. يراهن نفسه بأنها لن تبعد يده !!

الحقيقة أنها كانت ستعترض بالفعل.. حتى أنها همّت بتحرير أناملها التي تشنجت في البداية من ضغط أنامله.. إلا أن ذلك الدفء الذي تسلل إلى قلبها الخائن مهيمًا بخبث.. و الذي افتقدته طويلًا..

**جعلها تأخذ نفساً عميقاً و..... تصمت !**

تَبًّا لكبريائها إنها تموت.. لماذا عليها أن تهتم؟!..!!

سارت معه بهدوء نحو المصعد.. و الذي نزل هو الآخر بهدوء.. إلى أن توقفا بجانب سيارته الجديدة التي لم ترها من قبل..

شعرت ببعض التردد يخالجها و هي تراه يفتح الباب لها.. لكنها لم تلبث أن تنهدت باستسلام و هي تجبر نفسها على الصعود بهدوء متخذة المقعد المجاور لمقعده..

كان الصمت هو المسيطر طيلة الطريق.. هي تراقب حركة الشارع بهدوء.. و هو يراقبها ب... بشغف !

لولا أن قطعت سارة هذا الصمت مع توقفهما أمام المشفى الذي اكتفت ما إن سألها عن مكانه بأن استعانت بتطبيق تحديد المواقع في هاتفها لتريه المكان بالتحديد حتى يقلها إليه..

قالت تنظر له بملامح لا تعابير فيها و بكلماتٍ مقتضبة ؛

\_ أين ستمضي اليوم بأكمله؟!..

تمطى جاد قليلاً في مقعده و هو يجيب مبتسماً ؛

\_ هل هذا استجواب عاطفي؟!..

أغمضت سارة عينيها بنفاذ صبر و هي تتأفف بضيق.. فأردف متداركاً نفسه بخبث ؛

\_ ألا تعلمين ما يمكن أن يشغل بال أيّ شاب وجد نفسه بين جيش من العيون الملونة الفاتنة و الشعر الأشقر الخلاب !

نظرة الشراسة التي ظهرت في عينيها بعد كلامه جعلته يشعر بالرضا من نفسه حتى الإنتشاء.. إلا أنها رغم ذلك لم تمنحه رد الفعل الذي كان يتمناه.. فقد التفتت فجأة بسرعة لتفتح الباب هامة بالنزول..

لكن يده التي امتدت بسرعة لتتمسك بذراعها أوقفتها.. فتسمرت ناظرة أمامها  
بشفتين مزمومتين و أنفاس هائجة.. اقترب جاد منها قليلاً ليهمس على مقربة  
من أذنها بنبرة مميزة بينما هي لا تزال تنظر أمامها بعيداً عنه ؛

و أخيراً لمحتها !

التفتت إليه سارة بغضب.. ثم قالت تشدد على الحروف من بين أسنانها ؛

ماذا لمحت ؟!

اتسعت ابتسامته و كأنه ينظر إلى مغناطيسه الخاص الجاذب لابتسامته و  
التمثل في عينيها.. ثم همس بكل بساطة.. بنبرة أكثر تميزاً من سابقتها ؛

غيرتك !

ظلت سارة تنظر له لوهلة بغضب لا يقبل الخمود.. قبل أن تزفر بيأس  
مستدعية كل طاقتها على الصبر و التجاهل.. إلى أن همست باقتضاب و هي  
تحرّر يدها من ذراعه و تلتفت عنه بغاية الذهاب ؛

لا شأن لي بك.. افعل ما تشاء..

كانت قد نزلت بالفعل و أغلقت الباب خلفها بإهمال مع نهاية كلامها.. فترجع  
جاد في مقعده ناظرًا في أثرها بشرود.. دون أن تخفي ابتسامته !!!

---

لم تستطع أن تطرده من تفكيرها طيلة اليوم.. حتى أثناء عملها و أثناء تحدثها  
و سماعها إلى بعض من معضلات مرضاها كان لا يزال هناك.. يقطن في  
أعماق عقلها الباطني لتقتحم صورته عقلها بين اللحظة و الأخرى..

كانت تجلس خلف مكتبها.. تناظر تلك الفتاة الشقراء الجميلة.. و التي كانت  
مستلقية فوق ذلك المقعد الرمادي الجلدي نصف جالسة..

ملامحها البشوشة يكتنفها الحزن الشديد.. و شفتاها تنفرجان بين اللحظة و  
الأخرى بينما تكشف عن كل خبايا روحها لها.. لها فقط !!

إلى أن صمتت.. و حينها فقط همست سارة بخفوتٍ مترجعة في مقعدها و  
أناملها تتلاعب بقلم فوق سطح المكتب الأنيق ؛

\_ و ماذا تريدان أنتِ؟!!

لم تستغرب أبدًا و هي ترى تلك الابتسامة التي شقت شفتي الفتاة بمرارة.. ثم  
همست بلكنتها الأجنبية بنبرة إقرار بينما تميل برأسها قليلاً ؛

\_ أنا!... أنا أحبه.. أريده..... بشدة!!

في تلك اللحظة.. و في عيني تلك الفتاة الدامعتين رأت انعكاسًا غريبًا  
لها.. لسارة القديمة!!!

تلك التي تصنعت الذكاء و الحذر طويلًا ظنًا منها بأنه قد يتلبسها لوحده  
لاحقًا.. و تناست بأن سلطان الحب.. لا يخضع لذكاء أو حذر.. الأمر و الناهي  
ها هنا هو القلب.. القلب فقط!!!

لذا و ببطءٍ وجدت ابتسامة شاردة حزينة بعض الشيء طريقها إلى شفتيها  
شفتيها.. بينما أكملت الفتاة ناضرة إلى السقف بعمق ؛

\_ الخذلان شعور سيء جدًا.. جدًا.. لكن صدقيني عذاب الشعور بالندم أسوء  
بكثير.. و أنا متأكدة من أنه نادم بالفعل.. إنه نادم بشدة.. نظرات عينيه لي  
تخبرني.. و أنا أثق برسائل عينيه ربما... أكثر منه!!

صمتت للحظاتٍ ظلت فيها سارة تنظر لها بنفس الطريقة.. بحزن و شرود  
يظلل نظراتها.. و لم تحاول أن تقاطعها أبدًا رغبة منها في السماح لها بقول  
المزيد.. أو ربما هي من كانت تحتاج لسماع المزيد!!

إلى أن أكملت الفتاة بالفعل.. همست بنبرة مستكينة في ظاهرها.. لكنها تختزن  
كل أنواع العذاب في باطنها ؛

\_ لكن الخوف من الخذلان لا يزال يؤرقني.. كلما اقتربت.. إبتعدت.. و كلما  
إبتعدت.. تمنيت الإقتراب.. و بين كل التناقضات التي تسيطر علي أصبحت

أفكر... بأن الإستسلام للحب هو سبيلي الوحيد لعلاج قلبي المُهان من كل  
جروحه !!

صمتت لوهلة أخرى.. ثم نظرت لسارة و أضافت بابتسامة شاحبة لامست  
عينها ؛

\_أظن بأن قلبي سيلومني كثيرًا لو قابلت رغبة الوصال من جديد في عينيه  
بالرفض.. في النهاية لا ضرر من ترميم بعض الجروح و التنازل بمنحه  
فرصة ثانية.. تلك المرة لو أضاعها.. فلن يلوم غير نفسه !!

شعرت سارة بأنفاسها تختنق في صدرها و كأن خنجرًا مسمومًا مثبتًا في  
خاصرتها يمنعها من التنفس بالشكل الصحيح..

فرصة ثانية !! ألا يمكن للقدر أن يكون أقسى عليها من ما هو عليه الآن !!  
أن يمنحها كل خيارات السعادة بعد عذاب طويل.. و يقتنص منها فرصتها  
في... الحياة نفسها !!

صوت الشابة أيقظها من شرودها القصير.. فنظرت لها و هي تسمعها تهمس  
محتفظة بابتسامتها التي تخلصت من بعض الشحوب ؛

\_و أنتِ؟! ما قولكِ يا دكتورة؟!!

ما قولها؟! ليتها فقط تستطيع أن ترسو على قرار واحد و رأي واحد.. لكأنت  
ساعدتها.. لكنها لا تمتلك إلا أن تمنحها الإجابة المنشودة بصفقتها  
مجرد... طبية نفسية !!

فتحت فمها تهم بإجابتها.. لكن رنة مفاجئة من هاتفها منعته.. فأمسكت به من  
فوق المكتب لترفعه إلى عينها..

اضطربت عيناها قليلاً و هي تنقلها بين الفتاة و الهاتف.. و كادت أن تغلق  
الخط..



إلا أنها بدلاً عن ذلك.. وجدت نفسها تهمس للفتاة بلطف بينما تقف فجأة و تتجه إلى النافذة العريضة لتقف هناك ناظرة إلى ضوء الشمس الذي كان قد بدأ يختفي تدريجياً قبيل الغروب ؛

لحظة واحدة !

فتحت الخط فور ابتعادها.. لتسمع صوت جاد يقول بهدوء ؛

متى ينتهي دوامك !؟

قالت سارة بخفوت و هي تنظر إلى بناية طويلة مقابلة لبناية المشفى ؛

لماذا !؟

جاءها صوته يقول مصرًا بجدية ؛

قولي فحسب !

فتنهدت و هي ترفع يديها لتفرك المنطقة ما بين عينيها هامسة ؛

بعد نصف ساعة من الآن !

صمت قصير.. ثم سمعت صوته يقول باختصار ؛

حسنًا إذا.. دعيني لا أعطلك كثيرًا على عمالك..

هزت سارة رأسها بلا فائدة و هي تهم بإنزال الهاتف.. لكنها توقفت و هي

تسمع صوته يهتف فجأة ؛

سارة.....

أعادت الهاتف إلى أذنها بدون أن تقول كلمة.. فساد صمت من طرفه لثوان جعلها تعقد حاجبيها بحيرة رغم الإرهاق الظاهر في عينيها.. إلى أن همس أخيرًا ببطء ؛

أنا... أحبك... تذكرني ذلك !

ها هو نفس الإضطراب المعهود يسيطر على خفقات قلبها مهددًا نظامها بالتدهور..

رمقت الفتاة الشابة بطرف عينيها.. ثم همست تحاول أن يكون صوتها هادئًا.. ثابتًا لأقصى درجة ؛

نتكلم لاحقًا..

زفرت نفسًا عميقًا و هي تنزل الهاتف مغلقة الخط أخيرًا.. لكنها لم تستطع أن تعود إلى عملها فورًا.. فظلت متوقفة مكانها بنفس الوضع لعدة ثوانٍ أخرى.. قبل أن تقترب من مقعدها إلى أن جلست بأناقة عليه مردفة بلطفٍ للفتاة بينما الهاتف لا يزال في يدها المرتاحة فوق المكتب.. تتلاعب به هو بدلًا من القلم..

إدًا.. أين توقفنا؟!

---

بعد يوم طويل.. كانت تتكلم عبر الهاتف بينما تقترب من المصعد.. دافقت إليه بهدوء لتمتد أناملها و تضغط على أحد الأرقام بينما تسمع صوت براء يقول بتأنيب ؛

أنتِ تهملين نفسك و تضيعين الوقت فحسب.. و إلا هل يجوز هذا.. لا.. لا.. لا يمكننا إيقاف العلاج ليوم واحد.. تعالي إلى المشفى حالًا !

رفعت سارة يدها تحكُّ طرف جبهتها بسبابتها مجيبة أثناء ذلك بصبر ؛  
و هل أوقفت العلاج من قبل أبدًا؟! لكنني مضطرة اليوم.. سأتي غدًا.. أعدك !

ساد بعض الصمت من جهته.. ثم سمعت صوت زفرة يائسة منه بينما يقول بصبر ؛

حسنًا.. ماذا أقول؟! لكن.....

لم تسمح له سارة بالتعقيب أكثر.. قالت تقاطعه بحزم ؛

\_ سأكون هناك.. أعدك !

و قبل أن تسمع رده.. أغلقت الخط بسرعة و أنزلت الهاتف لتدسه في حقيبتها  
ناظرة إلى الأرقام أمامها بهدوء..

بعد لحظات.. كانت تقف على الرصيف في انتظار سيارة أجرة.. حينما داهمها  
دوار قوي جعلها ترمش بعينيها لعدة مرات قبل أن تطبقهما للحظة مطرقة  
برأسها..

سحبت أنفاسها بحزم و هي تفكر بإصرار بأنها لا يمكن أن تفقد وعيها  
الآن.. ليس الآن.. ليس الآن.. لن تفقد وعيها..

لكنها في النهاية.. فشلت في التماسك.. فترنحت للحظة.. و كادت تسقط لولا أن  
أحاطت بخصرها ذراع قوية أسندتها إلى صدر أقوى استطاعت بسهولة  
التعرف على صاحبه..

شعرت بذراعيه تلتفان من حولها بهيمنة.. فطرفت مجددًا بعينيها  
الزائغتين.. قبل أن ترفعهما إليه.. و حينها قال بقلق و هو يحرر إحدى يديه  
ليطوق وجنتها ؛

\_ ما الخطب؟! أنت بخير!!!؟

لم تستطع و هي تنظر له من هذا القرب بعينيها الضائعتين أن تمنع ابتسامة  
مرهقة من أن تشق شفثيها.. ثم همست و هي تتشبث بقميصه بغير إدراكٍ  
منها ؛

\_ جئت في وقتك تمامًا !

نظر لها جاد عاقدًا حاجبيه بدون أن يبتعد.. فأغمضت عينيها للحظة.. ثم أخذت  
نفسًا طويلًا.. قبل أن تبتعد ببطءٍ لنقول محاولة سحب أكبر قدر من التركيز ؛

\_ أنا بخير.. هل... جئت لتقلني مجددًا؟!!

اوماً جاد بسرعة و هو يتمسكُ بكتفيها بيديه الإثنتين بينما ملامحه لا يزال  
يفترسها القلق و التوجس.. قبل أن يتركها برفق لا لشيء سوى ليقبض على  
ذراعها و كأنه يحاول أن يدعمها ضد إرهاقها..

سحبها برفق نحو السيارة إلى أن فتح الباب من جهتها.. و هذه المرة لم  
يلامس قلبها أيّ تردد و هي تقترب لتجلس في المقعد الأمامي بينما عيناها لا  
تزالان أسيرتا عينيهِ القلقتين..

من جهته.. بدا و كأنه قد نسي نفسه و هو يقف مكانه متمسكاً بطرق الباب  
دون ان يغلقه حتى بعد أن صعدت.. لولا أن أشاحت هي بوجهها عنه..  
حينها فقط كان يستعيد القليل من تنبهه.. فأغلق الباب بهدوء.. ثم دار حول  
السيارة إلى أن اتخذ مكانه.. سمع صوت سارة تسأله بهدوء ؛

\_\_أهذا السبب سألتني عن موعد نهاية دوامي؟!!

فهز كتفيه ليقول متشديفاً بينما يشغل السيارة ؛

\_\_لأيّ سبب آخر سأسألكِ مثلاً !

ظلت سارة صامته تنظر له قليلاً مضيقة عينيها بتوجس و هي تراه ينطلق  
بالسيارة بهدوء تام.. قبل أن تردف فجأة بنبرة ارتياب و استنكار غير قادرة  
على منع نفسها ؛

\_\_حقاً !! هل قطعت كل هذه المسافة و بحثت عني فقط لتعيدني إليك؟! ألا

توجد نوايا أخرى خفية خلف ذلك؟!!

صمتت لوهلة ثم أضافت بنبرة مميزة ؛

\_\_نوايا... قد تكون غير مريحة نوعاً ما !

رمقها جاد بطرف عينيهِ بهدوء.. ثم قال و هو يراقب الطريق أمامه بينما  
السيارة تسير بسرعة نسبية ؛

\_\_ماذا تقصدين؟!!

ضيقت سارة عينيها أكثر بعدم فهم.. و استقامت في مقعدها أكثر بينما تقول  
فجأة بتشكيك ؛

من أنت؟! من أنت حقًا؟! أنا لم أعد أعرفك؟! ألم تكرهني؟! بل كيف لم  
تكرهني؟! كيف تستطيع أن تكون هادئًا لهذا الحد؟! أنت لم تكن هكذا يومًا  
!!

كان جاد يستمع إليها بصمتٍ و هدوء و هو مستمر في النظر أمامه بينما يقود  
بهدوء.. إلى أن انتهت.. فتتهدهد بخفة و هو يرفع حاجبيه معًا مردفًا بتعقل ؛  
يبدو أنك لم تفهمي أيّ من كل ما قلته يوم أمس.. لا بأس.. سأجعلك تفهمين..  
أوقف السيارة أمام مطعم فاخر مطل على البحر.. و قد كانت تلك وجهته  
بالفعل.. ثم النفث إليها ليقول ببطء ناظرًا لها بتمعن و كأنه يشرح درسًا مهمًا  
لطفلة صغيرة ؛

ما فعلته أنت.. كان ردًا على ما فعلته أنا من قبل.....اتفقنا؟!!

ظلت سارة صامته دون أن تمنحه أية ردة فعل إلا من نظرات عينيها التي  
تفصح عن عدم اقتناعها أو تصديقها لما تسمعه.. فأكمل بجدية تامة و هو  
يشير بيديه بينهما ؛

خلاصة القول.. نحن.. كلانا أصبحنا متعادلين..

صمت قليلاً ناظرًا لملامحها الساكنة تمامًا.. ثم استأنف بنفس النبرة.. بهدوء  
تام ؛

أنا... لم... أكرهك!.. بالعكس.. حركتك تلك كانت بمثابة الصفحة لي.. جعلتني  
أجلس مع نفسي و أفكر كثيرًا.. ماذا لو أتيت إلى الزفاف بالفعل؟!.. ربما كنا  
سنزوج مجددًا لنبدأ حياة أخرى هادئة.. لكنها ليست سعيدة تمامًا.. بداخلي  
كنت أشعر بأن هناك شيئًا لا يزال ناقصًا بيننا.. رغم مسامحتك لي.. و رغم  
شروطك التي نفذتها بلا أيّ تردد أنا لم أستطع أن أشعر أبدًا بالرضا الذي  
تمنيته أبدًا..

بدت سارة ضائعة أكثر و هي تنظر إلى عمق عينيه.. عقلها يستوعب كل كلمة نطقت بها شفاهه.. لكن ملامحها تتم عن حيرة عميقة..

قبل أن يهمس مستأنفًا بصدق تام ؛

\_الآن أصبحت أشعر به ! و لهذا.....

عاد ليصمت قليلًا.. قبل أن تمتد يده إليها لتلامس وجنتها برقًا.. ثم همس بخفوت و ابتسامة حانية جدًا تتألق لها ملامحه ؛

\_و لهذا أنا أشكركِ... من كل قلبي !

حسنًا.. ماذا عساها أن تقول الآن !! كيف يمكنها أن تشعر !!

كانت... مذهولة !!

الصدمة ماثلة في عينيها و هي تنقلهما بين ملامحه و كأنها تحاول أن تتعرف على هذا الـ "جاد" الجديد حقًا..

هذه النسخة التي تتعرف عليها حديثًا.. لكنها لا تزال تعجز تمامًا !!

لم تستطع أن تقول كلمة تجيب بها كل كلماته السابقة.. فرمشت بعينيها لترفعها إلى واجهة ذلك المطعم الفاخر.. ثم همست محاولة بغاية تغيير الموضوع ليس إلا ؛

\_لماذا توقفت هنا ؟!

استدار جاد قليلًا لينظر إلى واجهة المطعم مثلها بينما يجيبها بهدوء ؛

\_لأنني أردت أن أدعوك لأول مرة لعشاء خاص بيننا !

رفعت سارة أحد حاجبيها بشيء من الدهشة.. فابتسم بيأس و هو يضيف معترفًا ؛

\_حسنًا.. أعلم بما قد يخطر في بالك الآن.. بأن الرومانسية لا تليق بي أبدًا !!  
لكنني أحاول فحسب.. تعالي...

لم يستغرق وقتًا أكثر في الإنتظار..فتح الباب فورًا لينزل من السيارة و يدور حولها بسرعة ليفتح الباب من جهتها للمرة الثالثة في يوم واحد..

و بالطبع لم ينسى أن يفرد يده نحوها في حركته النبيلة التي جعلت من سارة تتنهد باستسلام و هي تحرق بها لثوان.. قبل أن ترفع يدها لتضعها فوقها باستسلام...و تنزل ببساطة !!

تسلل سؤال ملح إلى عقلها أثناء طريقهما القصير نحو المطعم..فنظرت له فجأة سائلة بنبرة غريبة ؛

\_ماذا لو لم تستطع إقناعي للعودة معك!؟

و قد كانت إجابته مقنعة جدًا..حينما قال ناظرًا إلى عينيها تمامًا..بنبرة عميقة..جدًا ؛

\_حينها سألني معكِ هنا إلى أن أحصل على موافقتكِ.. الإستسلام كلمة مهمة في قاموسي !!

---

## " الرmq السابع و العشرون ؛ احتواء "

\_إدًا.. هل سامحتني الآن؟!!

سمعت صوته يهمس بهذا السؤال بعد عدة لحظات من جلوسهما فوق هذه الطاولة الدافئة جدًا.. بحيث اختارها بتعمد في مكان خاص بعيد نسبيًا عن الطاولات الأخرى..

ظلت سارة صامته تنظر له بتعبير غريب مبهم.. كلاهما لم يتذوق لقمة واحدة من صحون الأكل الشهي المرتبة فوق الطاولة.. قالت فجأة و هي تهز كتفيها بصدق ؛

\_لست أعلم !

ثم صممت لعدة ثوان تنظر إلى ملامحه الحزينة.. و همست بتردد ؛

\_ربما سأفعل.. بعد أن تطلعني على شعورك ذلك اليوم !

عقد جاد حاجبيه قليلاً فقط باستيعاب مشوش.. فأكملت سارة ببطء.. بدون أن تحيد بعينيها عن عينيه ؛

\_انطباعك الأول.. إحساسك و أنت تتلقى تلك الرسالة مني بعد أن ظننت بأنني أصبحت تحت يديك... ماذا كان شعورك؟!!

بدا جاد مستغرباً قليلاً و متردداً أكثر منها.. لكنه رغم ذلك همس بصوت خافتٍ و أنفاسه تفقد البعض من رتابتها فور استعادته لذلك اليوم البائس ؛

\_لماذا الآن؟! لماذا تريد أن تعرفي شعوري؟!!

تلك النظرة التي ملأت عينيها الجميلتين.. المرهقتين.. جعلت من حاجبيه ينعقدان أكثر.. خاصة و هو يرى تلك الابتسامة الضعيفة التي لا تحمل أي معنى واضح و التي لامست طرف شفيتها بينما ترد بكل وضوح ؛

\_لأنني أريد أن أقارنه مع شعوري أنا !



شعورها هي !!؟ و هل يستطيع أحدهما المقارنة حتى !!

لقد طعنها في الصميم..قتلها بدماء باردة و قلب متحجر..و بعد كل ذلك..ها هي لا تزال تجلس أمامه..نظراتها خالية من الحقد الذي توقع أن يلحمه بداخلهما جليًا و هو يلحق بها إلى هنا..

أليست هي من خطّطت و دبّرت مثله لترد له الضربة القاسية بلكمة قاضية أقوى منها !!!

لم يكن يمانع أبدًا أن يفضح ضعفه الذي استسلم له أمامها..هو لم يلحق بها إلى هنا إلا ليستعيدها..يستعيد سارة صديقة طفولته..حبيبته..زوجته التي كانت تحمل طفله بين أحشائها..

لكن شاء القدر أن يفقد حياته بسبب غيابه..غباء أبيه !!!

هز رأسه لعدة مراتٍ و كأنه يتفهمها تمامًا..و غرقت عيناه في شرود عميق و هو يهمس بصوتٍ صادق تمامًا ؛

\_كما لو أنني سقطت من ارتفاع شاهق جدًا..كنت أغرق..أغرق بداخل دوامة كبيرة من الإدراكات و الحقائق..كما لو أنني..فقدت جزءًا من نفسي لا مجرد امرأة أعشقها حدّ الجنون..شعرت بأني خاسر..ببساطة أنا خاسر..

نظر لها بصمتٍ للحظة..ثم قال بجدية رغم صوته المهتز ؛

\_ربما لم أكن متواجدًا يوم زفافنا الأول و لم أشهد ردة فعلك..لكنني علمت كيف كانت بعد أن تداولتها السنة الناس ممّن كانوا ضيوقًا عندكم..

ارتفعت إحدى زوايا شفثيه في ابتسامة تشبه ابتسامتها في ضعفها و الحزن الكامن بها و هو يضيف ؛

\_و الحقيقة أنني لم أتوقع ردة فعل أخرى !!

مالت ابتسامته لتصبح حزينة أكثر مسترسلًا بصوتٍ أجش ؛

\_كنتِ قد رفعت رأسك بكبرياء و مزقتِ تلكَ الورقة التي لم يعلم ما تحتويه  
أحد غيري..و غيرك!..و غادرتِ القاعة بذقن مرفوع و كرامة محفوظة رغم  
الأسى و الظلم الذي عرضتكِ له..أليس كذلك!؟

الآن كان دور سارة لتغرق في الشرود مثله..فظلت صامتة لوقتٍ بدون أن  
تجيبه..إلى أن فتحت فمها..و حينها همست بنبرة لا تعابير فيها ؛

\_و أنت!؟ هل فعلت مثلي!؟

لم تدر..أم ربما تكهن قلبها بسبب تلك الضحكة الساخرة الخافتة التي صدرت  
منه بعد سؤالها هذا..ثم هز رأسه بيأس و هو يهمس بصوتٍ شبه متحشرج و  
عينين تحتقنان داخليًا بلمعة عجز أن يخفيها عنها ؛

\_هل تعلمين ما أكثر شيءٍ أتمناه في هذه اللحظة!!! أتمنى لو كنتِ هناك..لا  
لشيء..فقط لتريني..لتشهدي ردة فعلي.. لربما حينها كان سيشفى  
غليلك..لربما..كانت ستختفي كل أحقادك تجاهي..و تهبي إليّ سريعًا لتعانقي  
ذلك الطفل الصغير الكئيب الذي جعلته يتحرّر من أقنعة جاد القوي الفظ  
المنتقم..ليظهر للمرة الأولى..على طبيعته الضعيفة أمام العالم  
بأسره...بفضلك!!!

نعم..بفضلها!!

لقد سمحت للطفل الكامن المختنق بداخله بأن يتحرّر.. حرّرت روح جاد  
الحقيقي من القيود الزائفة..جاد الحقيقي.. الذي يجلس أمامها الآن..يطالعها  
بعينين تتلألآن على وشك ذرف الدموع!!

\_هل رأيتِ دموعي من قبل!؟

خرج هذا السؤال فجأة منه..فتراجعت سارة في مقعدها قليلًا ناظرة له  
بتشوش و كأن سؤاله هذا قد صدمها..و تلقائيًا..استعاد عقلها لحظة من  
الماضي..

تلك اللحظة.. ذلك العناق الصادق الذي منحه لها بعد فقدانهما لطفلها.. ليهمس لها بدموع حقيقية في أذنها بأنه... نادم!! ثم يؤكد ندمه بمنحها حرية كانت قد فقدت الأمل في استعادتها!!!

همست بصوتٍ حاولت أن يكون ثابتاً.. لكنه خرج مهتزاً بعض الشيء.. شبه مختنق ؛

\_ رأيتها... يوم المشفى !

او ما لها جاد ببطء.. ثم همس بنبرة تشبه نبرتها ؛

\_ كل تلك الدموع.. كانت لا شيء مقارنة مع دموعي التي سقطت في ذلك اليوم.. و أنا أتلقى رسالتك... أمام الناس !

نفس ثقيل غادر شفيتها و هي تنظر له بصمتٍ من مكانها.. ملامحها تبدو هادئة لمن يراها عن بعد.. لكنه في الحقيقة ذلك الصمت الذي ينم عن ألم عميق.. ألم يستوطن فؤادها ليحول نبضاته إلى متهدجة.. فاقدة لثباتها و انتظامها..

بينما استأنف جاد بهدوء خادع ؛

\_ نعم.. كنت قد جعلتك تبكين بمرارة لوحديك.. أمام أختك أو أباك أو أنا.. منحتك الإنتقام الذي رأيتُه عادلاً بعقلي الغبي آنذاك.. لكن انتقامك أنتِ كان الأقوى... فقد جعلتِ العالم كله يشهد على دموعي و ضعفي... و وحدتي !

لم تستطع أن تخفي بعض التأثير الذي نال عينيها و هي تسمع منه هذا الكلام بكل هذا الألم.. إنه الشخص الوحيد في العالم الذي تستطيع عيناها استمالة كل ضعفها بمنتهى البساطة..

لهذا و بقوة لا تمتلكها.. طرقت بعينيها و هي تشيحهما عنه.. لكن عبثاً.. فقد سمعت صوته الذي اختنق بغصة واضحة يهمس بتوسل خفي..

قمة الوجع فيه جعل من عينيها تنحرفان قسرًا عن إرادتها إلى أن نظرت إليه  
مجددًا..تسمعه مجددًا!!!

\_ذلك العناق الذي أخبرتك عنه!..أريده...أريده بشدة..أريد أن أشعر بذراعيك  
تحتويان ضعفي لمرة واحدة على الأقل.. أن أبكي بقوة و ألم و ضعفٍ بين  
أحضانك أنتِ فقط..أن أسرد لك تاريخ حياتي البائسة التي عشتها قبلك..أريد  
أن أثبتك ألمي..و ندمي !! ثم بعد كل ذلك أنظر في عينيك..و أعترف لك بكل  
صدق بأنني لا شيء..لست أي شيءٍ بدونك...أنتِ تجعليني على قيد الحياة !

مع نهاية كلامه..كانت هناك دمعة ماسية وحيدة تنساب ببطءٍ على  
وجنته..دمعة لم تبدو كشيء كبير أمام دموعها التي تحررت ضد إرادتها..  
رباه..أي سحر يمتلكه ضدها..و الذي يجعلها ضعيفة أمامه..مهما تسلحت  
بقوة العالم !!!

عضت على طرف شفيتها بأسنانها و هي تنظر له للحظاتٍ طالت..طالت  
جداً..قبل أن تمد يدها نحوه..و قد ظن ربما بأنها ستلامس ذقنه..

لكن ما فعلته..أن مسحت تلك الدمعة ببطءٍ..و تركت أناملها على فكه  
المنقبض لعدة لحظاتٍ..أناملها المرتجفة.. قبل أن تبعدها فجأة..و تقف  
بسرعة مردفة بحزم و نظرة غريبة تستوطن عينيها ؛

\_دعنا نذهب !

نظر لها جاد بدهشة بدون أن يقف و هو يهمس بصوتٍ لا يزال مختنقًا بعض  
الشيء متأثرًا بمبادرتها الأخيرة ؛

\_إلى أين ؟!!

و قد كان جوابها التالي..صادمًا..مقنعًا إلى درجة جعلت عينيها تتسعان بغير  
تصديق..حينما همست تهز كتفيها ببساطة حزينة ؛

\_إلى مكان لن يرانا أي أحد فيه و نحن نتعانق !!

---

لم يكن يستطيع استيعاب أيّ شيء.. هو فقط أخرج محفظته ليضع الحساب فوق الطاولة و يلحق بها سريعاً..

إلى أن صعد بسيارته برفقتها.. ليتوجه نحو الفندق..

كان يراقب الطريق المظلم بعينين لا تزالان متسعيتين و فم فاغر.. هل كانت تقصد حقاً ما قالته؟!!

هل سمع الجملة الصحيحة أم ربما... يكون عقله المشوش فقط من فهم الجملة بشكل خاطئ.. لكنه سمعها بالفعل.. لقد سمعها بوضوح.. حرفياً قالت..

" إلى مكان لن يرانا أيّ أحد فيه و نحن نتعانق !! "

ماذا تقصد؟! هل... هل سامحته؟! بهذه البساطة!! كيف!!!

طوال الطريق.. لم يستطع أن يستشف منها أيّ تعبير.. كانت تدير وجهها عنه.. تنظر من النافذة بصمتٍ تام لم يتجرأ على قطعه..

إلى أن توقف أمام الفندق.. و حينها فقط التفتت إليه لترمقه بنظرة.. عادية جداً.. أكثر من عادية!!!

لكنها رغم ذلك لم تقطع الصّمت.. نزلت بهدوءها و أناقتها المعهودة لتسير بخطواتٍ ثابتة نحو المصعد و هو بجانبها..

هي تنظر أمامها بهدوء.. و هو ينظر إليها بعجز عن... فهمها!!!

إلى أن وصلا إلى الغرفة المنشودة.. و انتظرها بقلب يرتجف إلى أن فتحت الباب و دخلت قبله.. ليتقدم هو الآخر خطوة مثلها..

أغلق الباب بقدمه و هو يستند إليه للحظة بظهره.. ينظر إليها في الضوء الخافت المنتشر من مصباح جانبي بينما هي تقف على بعد خطوتين منه مولية إياه ظهرها.. تنظر إلى الفراغ بلامح لم يستطيع أن يستشف انطباعها..

## \_سارة!!!

همس اسمها بخفوتٍ شديدٍ..و لم يعرف حتى كيف وصل ندائه إليها..فوجدتها تلتفت إليه فجأة..تنظر إلى عينيه.. طريقته في النظر له غريبة..غير مألوفة إليه..تشعره بأن كل نظرة هي...وداع!!

ابتلع ريقه و هو يفتح فمه بغاية الإستفسار فقط..لكن كل ما خرج منه..كانت كلمات متقاطعة ؛

\_هل...هل كنتِ تقصدين...أقصد..ما قلته قبل قليل..هل كان.....

لم يستطع أن يتكلم أكثر..لم تكن هناك فرصة للتساؤل أكثر..فقد قاطعته سارة بأكثر طريقة غريبة توقعها منها.. حينما وجدها..في لمح البصر..تقطع الخطوتين مقتربة منه.. و في لحظة واحدة كانت ذراعاها تطوقان عنقه..و شفتاها...على شفثيه!!!

اتسعت عيناه في البداية بصدمة تفوق الصدمة..إلا أنه سرعان ما وجد ذراعيه ترتفعان ضد إرادته..أو بكامل إرادته.. لتطوقان خصرها بقوة.. و بدون سؤال..بدون تردد..بدون تفكير..أطبق عينيه يشاركها جنون العاطفة المُشتعل..يحظى بالعناق الذي توصله منها قبل قليل... بدون أن يراها أحد!!!

---

كانت الغرفة مظلمة تمامًا بشكل غريب..الظلام الدامس يطبق على حواسها.. يخنق قلبها..أنفاسها تخرج ثقيلة متسارعة و كأنها في سباق سينتهي بتلاشي قدرتها على الشعور بها..

بينما هي..هناك..تقف وحيدة تمامًا..

امتدت يدها بجزع داخلي تبحث عن مفتاح الضوء لتشعله.. لكنه لم يكن يشتغل.. ظلت تضغط مرارًا لعلها تجد نتيجة لكن الظلام سرعان ما انتشر أكثر.. و صار خانقًا أكثر من أن تستطيع التحمل..

فاتجهت إلى الباب تهم بفتحه.. لكن عبثًا.. فقد كان موصدًا.. محكم الإغلاق بشكل يدعو للخوف..

هل... هل هي ميتة؟! ربما.. فهذا المكان يبدو لها كالقبر تمامًا!! لكن كيف... متى؟!؟

شعرت بالخطر يحيط بها من كل اتجاه.. فشهقت و هي تتراجع بقوة لاهثة الأنفاس.. تنظر حولها بعينيها الجاحظتين بشدة..

و في غمرة يأسها.. و رغبتها في السقوط.. اصطدم ظهرها بصدر عريض جعلها تشهق بقوة..

لكن الصوت الحنون المألوف همس في أذنها مهدئًا و هو يحاوط كتفيها بذراعيه برفق ؛

\_ششش.. هذا أنا.. اهدئي سارة....

و كأنه أمر يستوجب التنفيذ.. خمد انفعالها تدريجيًا.. و استدارت إليه لتقابل وجهه.. و قد لمحته للعجب.. لقد كان يبدو لها.. كمصدر النور الوحيد في كل الغرفة المظلمة!!!

كيف يمكن ذلك!! أن تكون عيناه الداء و الدواء في نفس الوقت!! محدث كل آلامها و منقذها منها!!

رفعت يديها الإثنتين لتحاوط وجهه برفق و كأنها تريد التأكد من وجوده.. و قد كان هناك بالفعل.. فهمست تسأل عينيه بنبرة غريبة ؛

" هل تظن بأنني سأنجوا؟!؟ هل سأنجوا?!!! "

كانت تلفظ السؤال الغريب بخوف..حتى هي بنفسها لا تفهم مغزاه..و ممّا  
ستنجو؟!!!

لكن جاد بدا و كأنه قد فهمها تمامًا..و بصمتٍ..جذبها إلى حضنه ليطوقها  
بشدة ملصقًا رأسها ب صدره..ثم همس في أذنها بنبرة حملت كل وعود  
الصدق ؛

" ستفعلين..أعدكِ ! "

فتحت سارة عينيها فجأة مستيقظة من نومها بفزع.. فقابلت عيناها فورًا  
السقف الأبيض..هل كانت تحلم؟!!! ب...بجاد!!!

عقدت حاجبها بتشوش كبير و هي تحاول أن تخرج من ذلك الحلم الذي لا  
يزال عالقًا بصوره في أعماق عقلها..

لكنها عجزت..فطرفت قليلًا و هي تستدير قليلًا بوجهها..

و مباشرة..وقعت عيناها عليه..

لقد كان يرقد بجانبها..مغمضًا عينيها نائمًا بسلام!!

نعم..الآن تستطيع التذكر..ليلة أمس..ليلة أمس.....بكل تفاصيلها!!!

رمشت بعينيها قليلًا و هي تتأمله بملامح ساكنة لا تتم عن تعبير محدد..بينما  
ضوء النهار المتسلط من النافذة ينعكس على ملامحه المثالية الوسامة بشكل  
جعله يتململ قليلًا في نومه..

لكنه لم يستيقظ رغم ذلك..و لم تحاول هي إيقاظه أبدًا.. فقد تحركت يدها  
بهدوء إلى أن استقرت فوق فكه الملتحي قليلًا..تصنع دوائرًا وهمية فوق  
وجنته..

ظلت تراقبه لعدة لحظاتٍ بصمتٍ..إلى أن ارتسم شبح ابتسامة ضعيفة على  
شفتيها و هي ترى ارتعاش جفنيه دليلاً على استيقاظه الوشيك..

قبل أن يفتح عينيها فجأة..ليقابل عينيها مباشرة..



## عيناها المبتسمتان !!

مثلها.. استغرق بضع لحظاتٍ في تأملها و كأنه يحاول أن يستوعب ما يحدث.. بل ما حدث.. ثم سرعان ما لمحت تلك الابتسامة التي بدأت تشق شفثيه ببطءٍ.. سبقت تنهيدة ارتياح طويلة خرجت من بين شفثيه محملة بسعادة كاملة..

تلك السعادة المُستحدثة التي لم تظهر في عينيها.. بل كانت عيناها.. هادئتان.. لكنهما رغم ذلك تحملان بريق تآثر ترافقه ابتسامتها غير المكتملة..

كانت يدها لا تزال على وجنته.. إبهامها يتحرك ببطءٍ و نعومة على ملامحه.. فارتفعت يده بهدوء لتتمسك بها.. قبل أن ينزلها قليلاً إلى شفثيه حيث طبع قبلة طويلة في باطنها.. و همس فوق بشرتها الناعمة بنبرة مشرقة ؛

## \_ صباح القهوة !

اتسعت ابتسامة سارة قليلاً أمام عينيها.. لكنها رغم ذلك لم تقل شيئاً.. فترك جاد يدها ليلا مس وجنتها هامساً بصوتٍ خافتٍ يحمل دهشة و سعادة تفوق الوصف ؛

\_ أكاد لا أصدق بأنك هنا.. معي أنا.. أشعر بأنني أحلم بالفعل ! سأقتلك لو كان هذا حلم !!

قال جملته الأخيرة بشيءٍ من الغيظ الزائف.. و هنا فقط.. كانت تظهر ردة فعل حقيقية على ملامح سارة.. فتأوهت بأسى مزيف و هي تهمس بحاجبين مائلين للأسفل ؛

## \_ و أهون عليك !؟

همس جاد متأوهاً بنبرة خافتة صادقة تماماً و هو يقترب منها قليلاً إلى أن أصبح يستند إلى جبينها بجبينه ؛

\_ كل الدنيا تهون إلا أنت !

كان قريبًا جدًا منها.. أنفاسه تلمح بشرة وجهها الشاحبة.. و أنامله عادت لتستقر فوق جانب وجهها.. ملامسة في طريقها بعض من خصلات شعرها اللامعة بأجمل درجة رآها في حياته من اللون البني..

لمحت القليل من القلق غير المفسّر في عينيه.. قبل أن يهمس لها عن قرب ؛

هل أنتِ نادمة ؟!

كان سؤاله يحمل نكهة الخوف.. الخوف من إجابتها.. و الخوف أيضًا من خسارتها مجددًا بعد الأمل الساطع الذي بزغ في قلبه ليلة أمس..

إلا أنها.. و بمنتهى الصدق و الجدية.. هزت رأسها بالنفي هامسة بصوتٍ يحمل تحشرج أنفاسها ؛

قطعًا لا !!

صمت جاد للحظة.. ثم عاد يطرح سؤاله الثاني بنفس النبرة.. متمنيًا أن يسمع الإجابة الأكيدة على الفور ؛

هل أنتِ... سعيدة ؟!!

هذه المرة.. لم ترد فورًا.. فقد ساد صمت تام من طرفها للحظاتٍ طالت.. إلى أن همست في النهاية مبتسمة ببساطة ؛

سعيدة... جدًا !

لم تبدو إجابتها مقنعة له أبدًا.. فهمس بابتسامة تداعى البريق منها ؛

لقد استغرقتِ أربع ثوانٍ قبل أن تجيبي !!

لم تتمالك سارة نفسها من الضحك في هذه اللحظة بالذات.. ضحكة بلا صوتٍ همست بعدها بنفس بساطتها ؛

أليس المهم أنني أجبت في النهاية !!!

انتقلت عيناه بين عينيها لأربع ثوانٍ أخرى.. هذه المرة استغرقها هو قبل أن يعود ليسأل بتردد ؛

\_حَقًّا.. هل أنتِ سعيدة؟!\_

همست سارة هذه المرة بدون انتظار.. و بصوتٍ ثابت ؛

\_حَقًّا!\_

ثم عاد الصمت ليتسيد الأجواء بينهما.. صمت لم يخلو من نظراته الحنونة الدافئة إليها.. و نظراتها التي تحمل قبصًا من حزن... و كأن كل نظرة هي وداع!!!

يا الله!!

لماذا على هذه الجملة أن تحتل عقله الآن بالذات!!

تحركت يده ببطءٍ على ملامحها.. يلامس عينيها و حاجبيها..

قبل أن يهمس لها مجددًا.. شيء ما خطر في باله فجأة.. و لم يتردد في قوله رغبة في قطع الصمت المهيمن عليهما ؛

\_لديّ سؤال جديد.. لو لم تمنعي!\_

هزت سارة رأسها مبتسمة و كأنها تمنحه الإذن في التكلم بكل راحة.. فتسمرت أنامله للحظة بعد أن عادت لتستقر فوق جانب عنقها.. ثم همس لها بهدوء ؛

\_كيف لم تستطعي أن تكشفني نواياي في المرة السابقة من عيناى؟! من حركاتي و انطباعاتي؟! ألسنتِ دكتورة نفسية؟! لقد كان هذا هو أكثر جزء أخافني بعد عودتي.. أن تكشفيني بكل مهارة فلا تسقطين في فخّي الأحمق!! تلاشت ابتسامة سارة تمامًا بعد سؤاله هذا.. إلا أنها رغم ذلك أجابت بهدوء شديد و هي تنظر في عينيها تمامًا ؛

\_ أنا لا أحكم على من أحب بعقلي... بل بقلبي فقط !!

صمتت للحظة.. ثم استأنفت بثبات تحسد عليه و هي تنظر لملامحه التي نالها  
بعض الشحوب ؛

\_ و قلبي أخبرني آنذاك بأنك كنت صادقًا في كل كلمة حب خرجت من بين  
شفتيك.. حتى و لو كان انتقامك قاسيًا.. مؤذيًا و مؤلمًا.. فكلماتك كانت نابعة  
عن صدق.. مشاعرك كانت حقيقية تمامًا..

تبًا له !! هل كان عليه أن يفتح هذا الموضوع مجددًا !!!

رغم أن عينيها كانتا هادئتين كصوتها.. و كأنها مجرد ذكرى من الماضي لم  
تعد تؤثر بها بأي شكل.. إلا أنه كان يستنكر داخليًا فتحه لهذا الموضوع..  
و لولا رغبته الحثيثة في استخلاص الأجوبة منها.. لما عاد يهمس مجددًا  
بالحاح طفل صغير ؛

\_ حتى و لو.. ألا يمكنك في هذه اللحظة بالذات و أنت تنظرين إلى عيني من  
هذا القرب.. أن تقرئي كل مشاعري المتلهفة إليك !!؟

عادت الابتسامة لترتسم ببطءٍ فوق شفثيها.. و هزت رأسها بالنفي بصدق و  
هي تهمس ؛

\_ لا.. لا يمكنني قراءة عينيك !

عقد جاد حاجبيه قليلًا على نظرة شبه عابسة.. فاستأنفت سارة بابتسامة  
باهتة ؛

\_ أنا.. الدكتورة سارة فؤاد الغالي.. بعد كل سنوات الدراسة و التعب.. أعترف  
بأنني أعجز عن قراءة عينيك أنت بالذات !!

صمتت لوهلة.. ثم همست بصوتٍ عميق و هي تحديق في جوف عينيه  
السوداوين ؛

\_ عيناك تشبهان بئرًا شاهق العمق.. كل من حاول الغوص فيه.. فقد حياته !!!

ثم عادت الابتسامة لتتألق بعض الشيء فوق شفيتها و هي تهمس مستسلمة ؛

\_الحقيقة بأنني أيضاً فقدت شيئاً ما !!!\_

نظر لها جاد باهتمام كبير.. بلهفة مشوبة بقلق.. رفعت يدها لتمسك بيده التي على وجنتها.. قبل أن تنزلها ببطءٍ إلى أن فردت أصابعه فوق موضع قلبها.. من فوق قماش فستانها الأبيض الناعم ذو الحملتين الرفيعتين على كتفيها..

ثم همست بنفس الابتسامة و النبرة ؛

\_قلبي !!!\_

ابتلع جاد ريقه ببطءٍ و هو يرى تلك النظرة التي استكانت في عمق عينيها.. وحدها تفصح عن مشاعر لا يستطيع العقل احتوائها.. لكن قلبه استطاع.. و همس بحرارة و هو يطبع شفتيه على جبينها بقوة ؛

\_أحبك.. أقسم بالله.. أحبك !!!\_

عاد ينظر إلى عينيها بعينيه اللامعتين.. سوادهما المُلفت يختلط مع لمعة تأثر لا يمكن للقلب تجاهلها.. و لم يكن قلبها ليتجاهلها..

فاستقامت ببطءٍ إلى أن أصبحت شبه جالسة.. قبل أن تنحني عليه بخفة لتمنحه قبلة طويلة فوق فكه.. ثم ابتعدت قليلاً تريح يدها على نفس المكان.. تقابل عينيها المبتسمتين النافذتين إلى أعماقها..

حينما شعرت بذراعه الذي التف حولها يعيدها إليه إلى أن وقعت فوق صدره الواسع فظنت تلقائياً بأنه سيقبلها.. إلا لم يفعل أكثر من أن ضمها بشدة و هو يلامس صدغها النابض بشفتيه..

فأغمضت عينيها بسلام تستكين للحظاتٍ بين أحضانه.. لكنها لم تلبث أن تحركت بعدها تهم بالوقوف بحزم فحرّرها جاد على مضض إلى أن

وقفت.. و امتدت يدها إلى منزرها الحريري ترتديه بخفة فوق فستانها القصير  
الساحر الذي يشكّ منذ الآن بأنه أصبح مفضله..

كان يراقبها طوال الوقت.. حتى حينما التفتت إليه مجددًا بلامحها الهادئة..  
فرمق يديها الرقيقتين اللتين كانت تنهي بهما آخر عقدة من الحزام المُلتف  
حول خصر المنزر يشاركه نعمته و هما الاثنان يشاركان صاحبتهما  
نعمتها..

فقال بنبرة شخص تم إيقاظه للتو عنوة من أجمل حلم ؛

هل ستذهبين للعمل حقًا!؟

و كان الجواب عبارة عن نظرة متأسفة منحتها له زوجته المُستبدة.. ثم اتجهت  
بهدوء لخزانتها تنتقي بعض الثياب التي علقتها فوق ذراعها..

و أمام عينيه.. اقتربت من الحمام بكل هدوء إلى أن اختفت بداخله و أغلقت  
الباب بنفس الهدوء..

ظل جاد مكانه ينظر في أثرها لثوان عديدة.. لا يرغب أبدًا في الخروج من  
حلمه الجميل.. لا يريد أن يعود للواقع الذي بات اليوم أجمل بكثير من  
الأمس.. لكنه مضطر لمفارقتها لساعاتٍ طويلة.. أطول من حدود صبره !!

تنهد بقوة هو يبعد الغطاء بخفة و يستقيم منزلًا قدميه فوق الأرض.. إلا أنه و  
قبل أن يقف.. لفت انتباهه شيء.. فتسمر للحظة.. قبل أن يمد يده ليلتقط  
اسوارتها الفضية الغريبة الشكل.. تلك التي أهداها لها هو ذات يوم..

رفعها قليلاً بين يديه ناظرًا لها بشرود.. و لم يستطع أن يمنع نفسه من أن  
يفتحها ملقيًا نظرات تحمل نفس الشرود على الصورتين اللتين تحتلانها..

الصورة الأولى لأبيها.. و الأخرى لأختها.. و بالطبع هما أعلى شخصين على  
قلبها.. و ربما هو الأعلى...بعدهما !!!

سمع صوت انفتاح باب الحمام.. فأغلقها بسرعة قبل أن يرفع رأسه لينظر  
لسارة بطلتها البهية... كما العادة !

بني و أبيض ! يكاد يعشق أسلوبها في انتقاء الملابس و ألوانها... حبيبته  
الأنيقة !

رمقته سارة بنظرة عابرة مبتسمة و هي تتجه إلى المرأة لتبدأ في تصفيف  
شعرها.. فابتسم و هو يقف ليقترب منها بهدوء حافي القدمين..

توقف ورائها تمامًا.. و هناك قابل انعكاسها في المرأة.. وجهها نحيف و عيناها  
غائرتان رغم نظراتها التي تحمل قوة بالفطرة..

امتدت ذراعاها بهدوء لتحاطبان خصرها برفق.. لكن ذلك الرفق لوحده كان  
كافيًا لأن يجعل أنفاسها تختلج قليلاً.. فضغطت على زر إيقاف المُجفف..

و استمرت تنتظر لانعكاس عينيها في المرأة و هي تحمل المُجفف في يدها  
صامتًا.. بينما ذراعها الآخر معنقل لذراعيه.. لم تعترض أبدًا حينما امتدت يده  
لتأخذ منها المُجفف إلى أن وضعه مكانه بهدوء..

أغرق يده في جيب بنطاله الأسود ليخرج تلك الاسوارة التي أهداها لها ذات  
يوم.. و التي يبدو بأنها وقعت منها و هي نائمة.. رفعها أمام عينيها.. قبل أن  
تشرع يده بصمت في إعادتها إلى مكانها حول معصمها..

ارتفعت يداها بعد أن انتهى ببطءٍ إلى أن قبض على كتفيها برفق.. ثم همس و  
هو يغرق أنفه بين خصلات شعرها.. يستنشق عطرها الطبيعي بلهفة ؛

\_سارة !

\_نعم ؟!

همست فورًا بخفوتٍ.. فتحركت يده هبوطًا على ذراعها.. إلى أن أمسك  
بطرف قميصها البني و رفعه قليلاً فقط تاركًا يده تلامس مرفقها بينما  
يهمس ؛

هناك كدمة محمرة قليلاً في مرفقك !

ارتفع حاجبا سارة بدون دهشة.. ثم همست تتظاهر بالإستغراب و هي تضع يدها فوق يده و كأنها طريقتها في النظر إلى الكدمة التي تغطيها يده ؛

حقاً ؟!

او ما لها جاد ببطء.. فأخفضت عينيها و تمسكت بيده لتبعدها عن موضع الكدمة التي تعلم سببها إلى أن نظرت لها بالفعل..

شحبت ملامحها بشدة أكثر من ما كانت عليه و هي تسترجع كلمات سمعتها من براء قبل أيام قليلة..

" أثناء العلاج.. أقصد في هذه الفترة بالضبط ربما تظهر في جسدك بعض العلامات.. ستكون على شكل كدمات دائرية بلون أحمر خفيف.. حاولي أن لا ترتعبي.. و إذا أمكن أخبريني بالأمر ما إن تظهر !

كان صوته حازماً و رقيقاً في نفس الوقت.. فهزت سارة التي كانت تجلس أمامه فوق أحد الكراسي رأسها بالإيجاب..

ثم همست تبتلع ريقها بتردد السؤال الذي راودها كثيراً ؛

هل.. هل سأفقد شعري ؟!!!

تلقائياً كانت يدها ترتفع لتلامس خصلة من شعرها مرجعة إياها إلى خلف أذنها و هي تسأله السؤال المخيف..

لكن براء بدا أكثر من هادئ.. بل و حتى ارتسم شبح ابتسامة تعاطف على شفثيه و هو يرد ؛

ليس بالضرورة.. الحقيقة أن هذا يعتمد على نوع الأدوية التي تتجرعها..

صمت للحظة.. ثم قال بجدية و صدق و هو ينظر إلى عينيها ؛



\_ في حالتك أنتِ.. لن تكوني مضطرة إلى قصته.. ربما قد يفقد نظارته  
المثالية.. و ربما يبدأ في التساقط من تلقاء نفسه.. لكن ليس بالقدر الذي يجعلك  
مضطرة لقصته.. أظن بأن كل من يراك في فترة العلاج سيظن بأنه تساقط  
طبيعي.. و بعد الشفاء بإذن الله تستطيعين أن تعودي لتهتمي به كما  
السابق... لا تقلقي ! "

\_ سارة !!!

هذا النداء الخافت المُحمل ببعضِ القلق.. جعلها تخرج من شرودها  
اللحظي.. فابتلعت ريقها و هي تنظر له بغير تركيز للحظات.. قبل أن تجبر  
نفسها على رسم ابتسامة شاحبة همست على إثرها بخفوتٍ ؛  
\_ هذه.. نعم.. هذه.. لقد وقعت قبل ثلاثة أيام.. أيّ قبل أن تأتي.. أنا..... بخير.. لا  
تقلق !

\_ متأكدة ؟!

قال جاد بنبرة لم يختفي منها القلق بعد.. فاومات بهدوء.. ثم سرعان ما عادت  
تحمل المُجفّف الكهربائي شارعة في تجفيف شعرها بينما تضيف ببعضِ  
التوتر ؛

\_ لقد.. تأخر الوقت بالفعل...

فهم جاد جملتها فوراً.. لكنه رغم ذلك ظل واقفاً قليلاً ينظر لها.. قبل أن يهز  
رأسه مجلياً تفكيره.. ثم قال فجأة ؛

\_ حقيبي لا تزال في السيارة..

اتجه فوراً إلى قميصه الذي كان ملقى فوق الأريكة ليرتديه بسرعة.. قبل أن  
يهمس لسارة التي عادت تغرق في شرود جديد ؛

\_ سأحضرها بسرعة و أعود في الحال..

همّ بأن يتجه إلى الباب.. إلا أنه مجددًا عاد ليتوقف محددًا بها بغرابة.. فقالت  
بهدوء و هي تطفئ المجفّف و تضعه في مكانه ؛

\_ لا داعي لتنزل بنفسك.. أنا سأصل بأحد الموظفين ليصعد إلينا.. أعطه  
المفاتيح و هو سيتكفل..

هز جاد رأسه قليلًا في حركة لم تبدو ذات معنى واضح و هو يهمس ببطء ؛  
\_ لا داعي لذلك.. أنا سأنزل بسرعة و أعود إليك..

لم تجد سارة بدءًا من الرفض أكثر فهزت رأسها بهدوء.. حينها فقط التفت جاد  
على مضض ليفتح الباب و يخرج مغلقًا إياه خلفه..

راقبته سارة إلى أن اختفى عن مجال نظرها.. و حينها فقط.. كانت تزفر نفسًا  
طويلاً جدًّا و هي تتراجع قليلًا لتستند بيديها إلى طرفي كرسي الزينة  
خلفها.. مطرقة برأسها محدقة في الأرض..

عاد بعد أقل من دقيقة ليجدها و قد جهزت نفسها بالفعل.. ترتدي معطفها و  
حذاءها.. تجلس في طرف السرير في انتظاره.. و قد رفعت رأسها سريعًا ما  
إن دلف بالمفتاح الذي أخذه معه..

\_ أنا سأنتظرك.. لا تتأخر طويلًا..

همست له فور دخوله و إلقاءه الحقيبة فوق السرير.. ففتحها جاد بسرعة  
ليخرج لنفسه قميصًا أسود و بنطال يحمل نفس اللون.. ثم اتجه إلى الحمام  
بسرعة ليختفي بداخله لأقل من ثلاث دقائق..

خرج بعدها بهدوء بعد أن ارتدى ثيابه و اغتسل سريعًا.. و ما إن فعل حتى  
كانت سارة تقف على عجلة لتحمل حقيبتها و تعلقها فوق كتفها هامسة ؛

\_ لقد تأخرت كثيرًا.. دعنا نذهب..

إلا أن جاد لم يبدو على عجلة من أمره مثلها.. فقد اقترب منها بهدوء إلى أن وقف أمامها.. و رفع يديه ليمسك بوجهها إلى أن جعلها تنظر له.. و حينها همس بخفوتٍ و هو ينقل عينيه بين ملامحها المضطربة ؛

\_ سنصل في الوقت المناسب.. لا تقلقي..

طرفت سارة بعينيها كالمنومة مغناطيسيًا و هي تتأمل عينيه بغير كوابح.. حينما اقترب منها جاد بهدوء ليعانق أنفاسها المضطربة بأنفاسه.. فأغمضت عينيهما بغير اعتراض مستقبلة دفاء قلبته الحنونة.. إلا أنه بعد لحظة واحدة.. رفع رأسه نحوها.. و قال بصوته الهامس القلق ؛

\_ أنتِ ترتجفين حريفًا حبيبتي.. هل أنتِ على ما يرام !!؟

لم تجب سارة.. كانت عيناها هادئتان و هما تنظران له بتعابير غير مقروءة.. ثم فجأة.. اقتربت منه و ارتفعت قليلاً لتحاوط عنقه محتضنة إياه برقة..

حركتها هذه فاقت من قلقه الداخلي.. فرفع يديه ليتخلل شعرها مرتبًا برفق بينما يهمس ؛

\_ سارة !!

أغمضت سارة عينيهما بقوة و هي تشدد من ضغط ذراعيها من حول عنقه بدون أن تجيب.. تحاول أن تستشعره بكل حواسها..

أن تثبت لنفسها بدلائل جازمة بأنها لم تندم على لحظات الأمس.. على هذه اللحظة و اللحظات القادمة التي ستعيشها معه.. و هي لم تندم بالفعل !!

تحركت أنامل جاد على ظهرها صعودًا و نزولاً.. و ساد صمت هادئ لعدة لحظاتٍ لم تنتهي إلا بسماعهما لصوت طرق فوق الباب.. حينها فقط.. كانت تفتح عينيهما و تبتعد هامسة بنبرة بالكاد استعادت قوتها ؛

\_ لا بد أنه طعام الإفطار قد وصل..

اوماً جاد و هو يقترب من الباب ليفتحه..و بالفعل..كان النادل يقف هناك..و ما إن لمح جاد حتى اوماً له و هو يهم بدفع تلك الطاولة الصغيرة حيث تراصت أنواع مختلفة من الأطباق نحو الداخل..لكن جاد أوقفه مردفاً باقتضاب ؛

ـ شكَراً لك..لكننا سنتناول إفطارنا في الخارج..

اوماً له الشاب برسمية..ثم انصرف بهدوء..فترك جاد الباب مفتوحاً و هو يلتفت إلى سارة التي كانت لا تزال تقف مكانها..فرد يده باتجاهها بهدوء..فاقتربت بغير تردّد لتتمسك بها و تهمس مبتسمة ؛

ـ هل نذهب !؟

بادلها جاد ابتسامتها بابتسامة مترددة قليلاً و هو يتخلل أناملها بأنامله برفق..لكنه لم يلبث أن تنهد محاولاً الخروج من دوامة قلقه..قبل أن يتقدم خطوة نحو الخارج برفقتها.. و يغلق الباب بهدوء من خلفهما..

---

بعد أسبوعين...

توقف على بعد خطواتٍ منها..كانت تجلس مولية ظهرها له..فوق أحد الكراسي العامة في الحديقة الجميلة المقابلة للجامعة..تنظر أمامها بصمتٍ و شيء من الشرود..

اقترب منها سليم متنهداً بخفة إلى أن جلس بجانبها..إلا أنها لم تفعل أكثر من أن رمقته بنظرة سريعة..ثم عادت تشيح بعينيها تنظر إلى حدود أصابعها المتشابكة ؛

ـ إذا !؟

خرج هذا السؤال منه بنبرة هادئة..فرفعت سيلين عينيها إليه بتردد..قبل أن تعود لتطرق برأسها هامسة بصوتٍ متخاذل ؛

\_ لا أتجرأ !

زم سليم شفتيه بحزن دون أن يجد ما يقوله و يواسيها به.. فهي مختلفة منذ أيام..تبدو...حزينة بشكل غريب !

رفعت سيلين رأسها فجأة لتقول بما يشبه الاعتذار ؛

\_ لا تؤاخذني يا سليم لأنني لم أخبرك بأي شيء.. هذا لا يعني أنك لست من العائلة.. أنا فقط لا أحب أن أتداول خصوصيات أختي.. لا أستطيع !

هز سليم رأسه بتفهم مردفاً بجدية ؛

\_ و أنا لا أطلب منك أن تخبريني بأي شيء.. أنا فقط أريد أن أبقى بجانبك و أواسيك حتى لو لم أعرف سبب حزنك هذا... هذا يكفيني !

امتدت يده بهدوء تغطي يدها المرتاحة فوق المصطبة بينهما.. فانزلقت عينا سيلين على تلك الحركة للحظة.. ثم لم تلبث أن نظرت له مجدداً و همست مبتسمة بامتنان ؛

\_ شكراً لك !

فما كان منه إلا أن هز رأسه مجدداً بقلة حيلة من هذه الفتاة التي لا تنفك عن شكره.. ثم تنهد بخفة.. قبل أن يقول ناظراً في عينيها.. بصوت عميق في صدقه ؛

\_ لا تترددي في التواصل مع أختك يا سيلين.. مهما تفاقت المشاكل بينكما أو لمت نفسك.. لا تخجلي من الإتصال بها مراراً و تكراراً.. لا تسمح لي لأبي حدود بأن تنشأ بينكما لتفرق كل منكما عن الأخرى..

ظلت سيلين صامتة تماماً تتأمل كلامه بشرودها الحزين.. قبل أن تتنهد بخفوت.. ثم همست تجبر شفتيها على رسم ابتسامة جديدة غير مكتملة ؛

\_ سأتصل بها ما إن أعود إلى المنزل.. أعدك..

\_ جيد..

قال سليم ناظرًا إلى ملامحها الجميلة بتشجيع و حزم.. ثم همس لها ببطءٍ و هو يرفع يده ليلمس وجنتها ؛

\_أحبك !

لم يتوقع أبدًا أن يسمع منها الإجابة المنشودة لقلبه.. إلا حينما قالت هي الأخرى ناظرة في عينيه بصدق و بساطة ؛

\_و أنا أيضًا !

برقت عيناه بما يشبه الإنبهار المختلط بسعادة مثالية.. فاتبعت ابتسامة سيلين قليلاً.. ثم هزت رأسها بخفة و هي تشيح بعينيها عنه بصمت..

لكنه رفض أن يترك للصمت سلطة التحكم.. فوقف فجأة قائلاً بصرامة زائفة كل غايته إخراجها من هذا المزاج ؛

\_هيا يا أنسة سيلين.. كفاك كسلًا.. دعينا نحضر سويًا آخر حصة لدينا في هذا العام..

لم تقف سيلين.. فقد اكتفت بأن هزت رأسها دليلًا على الرفض.. ثم همست بإرهاق بدون أن تنتظر له ؛

\_لا أريد حقًا.. دعنا نجلس هنا من فضلك !

لكن سليم بدا أكثر إصرارًا منها.. فقال بحزم و هو يمسك بيدها يحثها على الوقوف بصوته المزعج ؛

\_أنا مصر.. هيا قومي !

زفرت سيلين بياس و هي تنتظر له بامتعاظ لوهلة بينما يدها محتجزة بين يده يهزها بالحاح.. قبل أن تزفر بياس منه و تقف هامسة بفضاظة ؛

\_يا لك من داهية حقًا !

قابل سليم جملتها الحانقة بضحكة لطيفة.. قال بعدها متملقاً بنبرة مميزة و هو يسير برفقتها باتجاه واجهة الجامعة الكبيرة ؛

\_ألا تريدان أن تلقي نظرة أخيرة على المكان الذي جمعنا قبل انتهاء هذا العام الرائع الجمال!؟

\_لا.. لا أريد !

قالت عاقدة ذراعيها و حاجبيها بغير رضا.. و بنفس الفظاظة.. لكنها تسمرت للحظة و هي ترى انحناءة حاجبيه و تغضن ملامحه بحزن زائف..

فزفرت مجددًا و هي تحاول فعليًا أن تتمسك بلامحها الغاضبة.. لكنها وجدت نفسها عاجزة أمام نظرتة تلك.. فامتدت يدها لتلكم معدته بخفة و هتفت بغيظ من بين ضحكتها التي تسللت رغماً عنها ؛

\_أحمق متملق !

---

نبضاتنا المرهقة هي وسيلة قلوبنا لإخبارنا بأننا لسنا بخير.. نحن فقط نمثل أننا أقوىاء.. بدليل هذه النبضات.. و ذلك الألم الذي يغزو كل مشاعرنا و يتضاعف كلما أتينا على ذكر كلمة.....-الفراق- !

كلمة الفراق !!

تلك الكلمة أصبحت عدوتها اللذوذة.. تترصدها بخبث بعد كل ابتسامة حقيقية صادقة.. و ضحكة تنم عن سعادة غير مكتملة..

كلما تجاهلتها أكثر.. أحكمت طوقها فوق قلبها لتمنحها شعورًا بانسًا من الإختناق يهيمن عليها في نهاية كل يوم سعيد تحياه برفقته..

لينتهي بها مستلقية فوق صدره.. ذراعاها تتشبثان به و كأنه مصدر أمانها الوحيد في العالم.. و أنامله كعادتها القديمة تتخلل شعرها بحنان يجعل

مفاصلها تنصهر مستقبلة النوم برحابة و هي من كانت قد فقدت قدرتها على النوم منذ أن علمت بمرضها..

نعم.. لقد كان يجعلها سعيدة.. بعد كل شيء.. هي وجدت السعادة المنشودة برفقة أكثر شخص تسبب لها في الأذى في حياتها !!

أكثر شخص أحبته في هذا العالم.. و أكثر شخص جعلها تذرف الدموع في هذا العالم.. دموع الألم سابقاً.. و دموع السعادة و الأمل الواهن...حاضرًا !!!  
لقد كانت منطلقة على نحو غريب.. بدون حواجز هذه المرة.. بدون ارتياب أو شكّ أو تردّد..

كلما أرادته أن... تضحك !!!

أن تبتسم ملاً قلبها.. و هو كان يحقق لها كل ذلك.. فلماذا قد ترفض هدية القدر التي قد تكون الأخيرة لها ربما !!!

أسبوعان.. اختبرت فيهما الشعور بالحُب الحقيقي الذي افتقدته سابقًا.. لقد كانت كعروس مبهجة في شهر عسلها المؤجل..

و هو بدا كالمارد الذي تم توكيل إليه مهمة زرع الإبتسامة الضائعة فوق شفثيها.. و تحقيق كل أمانيتها.. حبيبته التي كادت أن تضيع من بين يديه إلى الأبد !!

هو أيضًا كان سعيدًا مثلها.. سعادته تكاد أن تكون شبه مكتملة لولا القلق الذي يهيمن على قلبه كلما دقق النظر بلامحها.. ليصطدم بشحوبها المرعب..  
لقد تعرضت لوعكة صحية مرتين خلال هذين الأسبوعين.. و في المرتين كانت تجده يقف أمام المشفى فور خروجها..

ليجذبها إلى حضنه مستفسرًا بقلق و هو يرى إعياءها الواضح..

لا يعلم بأنها أعراض طبيعية تصيبها بعد كل جلسة علاج !!



لقد طلب منها بالفعل و ألح في رغبته للذهاب بها إلى المشفى..إلا أنها كانت ترفض تمامًا في كل مرة..ترفض بابتسامة لتجعله يتناسى الأمر بمكر جديد عليها..و عفوية قاتلة تجعله مشدوهاً أمام ضحكاتهما..

أسبوعين منذ أن أتى و أسبوعين قبل أن يأتي..تلك كانت الفترة التي التزمت فيها بنصائح و أوامر براء فيما يخص كل التدابير التي عليها الإلتزام بها أثناءها..و بمواعيد العلاج كما أخبرها تمامًا..

لكن العلاج كان مرهقاً..و السعادة الجديدة التي غمرت قلبها الخائن كانت تجعله يهفو إلى احتضانها أكثر..

على التمسك بتلابيب الأمل الساكن في عينيه و اغتنام كل لحظة معه..و لا يههما بعد كل ذلك لو.....ماتت !!

كانت تجلس في الكرسي المقابل لمكتب براء..ذلك الذي كانت ملامحه بالغة الجدية و هو يسمع سؤالها ؛

\_أخبرني بصراحة يا براء..هل كان سفري إلى هنا مفيداً؟! هل هناك أمل  
!؟

زفر براء بهدوء و هو يستقيم قليلاً في مقعده مستنداً بمرفقيه إلى المكتب..حينما قال بثبات ؛

\_الأمل دائماً موجود..نحن فقط علينا أن.....

لم يستطع أن يكمل..فقد قاطعته سارة حينما رفعت يدها فجأة لتوقفه..و قالت بصبر نافذ و إرهاق واضح على ملامحها ؛

\_لا..لا أريد هذا يا براء..أنا أريد الحقيقة فحسب لا مجرد كلمات عاطفية لن تؤثر بي بأيّ طريقة..أخبرني...هل نسبة نجاتي بعد كل هذا تفوق نسبة.....موتي؟! أم العكس !!!

لم يرد براء فوراً.. ظل ينظر لها و على ملامحه تعبير قاتم.. فاستأنفت قائلة  
بجدية ؛

\_ لأنه إذا كان موتي محتملاً في جميع الأحوال.. فأنا أفضل أن أموت بين  
عائلي.. لقد جئت إلى هنا بأمل ضعيف و لا أريد أن أعود محملة في  
صندوق لتستقبل عائلي جثتي الهامدة بعد أن تصعقهم حقيقة مرضي الذي لا  
يعرفونه حتى الآن.. أنا أفضل أن أموت و أنا بين أحضان أبي.. بينما أبتسم  
لأختي و أمسك بيد زوجي.. لا أن أموت في بلد غريب لا يعرفني أيّ أحد  
فيه.. رغم أن زوجي موجود معي... لكن هذا غير كافٍ !!

قالت آخر جملة بصوتٍ مشدّد بعض الشيء.. قبل أن تطرق قليلاً برأسها  
ناظرة إلى تلك الإسوارة في يدها.. ثم همست بشرود بينما يدها الأخرى تمتد  
لتلامسها برقة ؛

\_ أنا لديّ عائلة.. أجمل عائلة !

رفعت رأسها إليه مجدداً لتتهف بقوة و حزم قاطع ؛

\_ لا أستطيع أن أفعل هذا بعائلي.. لا أستطيع أن أكون قاسية إلى هذا الحد !  
كان براء يستمع لها بصمتٍ.. ملامحه هادئة ثابتة و قد بدا لها و كأنه ينتظرها  
أن تكمل كلامها فقط.. ثم ما إن صمتت تماماً.. قال بحزم ؛

\_ هل انتهيتِ؟! حان دوري الآن..

نظرت له سارة بأمل واهن.. فقال بينما يرسم شبح ابتسامة متفائلة على جانبي  
شفتيه ؛

\_ العلاج بدأ يعطي مفعوله بالفعل !

بدت سارة و كأنها لم تستوعب كلامه في الوهلة الأولى.. فالتسعت عيناها  
بقدر ضئيل.. و ظهر بريق خفي بداخلهما سرعان ما اختفى و هي تسمعه  
يعقب بجدية ؛

\_لكن.....

\_لكن!؟

كرّرت وراءه بقلب يرتجف.. فقال بنفس النبرة ؛

\_هذا لا يكفي !

تنهد و كأنه يلقي بثقل كبير من على كاهليه ثم أضاف بهدوء ؛

\_لقد كانت الفترة الماضية بمثابة البداية..بداية لمراحل طويلة جدًا ربما ستستغرق منك شهرًا عدة عليك أن تقضيها في المشفى..

ابتلعت سارة ريقها بتركيز مفقود و هي تهمس بضياح ؛

\_ل...لا أفهم !

و كان الجواب جملة مختصرة..واضحة ؛

\_عملية زرع النخاع العظمي !

تضاعفت الحيرة على ملامحها و هي تعقد حاجبيها.. تنتظره أن يستفيض في الشرح أكثر..و بالفعل..تنهد براء للمرة الرابعة ربما اليوم و هو يردف بنفس نبرته العملية الجادة تمامًا..و التي تحمل تعاطفًا من نوع خاص ؛

\_سأحاول أن لا أماطل في الشرح كثيرًا..هناك عملية تسمى بـ "عملية زرع النخاع العظمي"..سنقوم خلالها باستئصال النخاع العظمي المليء بالخلايا السرطانية لنستبدله بنخاع سليم..أظن بأن هذا هو العلاج الوحيد القادر على القضاء على المرض من جذوره..لكن.....

مجددًا هذه الكلمة التي تحتوي تعقيدات كبيرة لا تحصى.. همست سارة وراءه بصوتٍ باهت ؛

\_لكن.....!؟

و جاءها الجواب بنبرة صريحة من براء الذي لم يحيد بعينه عن عينيها  
الضائعتين ؛

\_ لا تتم هذه العملية بهذه السهولة.. أولاً.. عليك أن تنتقلي للمشفى لمدة جيدة  
إلى أن يصبح جسمك جاهزاً للخضوع لهذه العملية المعقدة جداً.. فكما تعلمين  
أن النخاع جزء لا يتجزء من العظام.. و بما أنه موجود بداخلها فاستئصاله  
صعب.. لهذا نقوم باعتماد الأدوية الكيميائية أو الإشعاعية لتدمير النخاع  
الحامل للخلايا السرطانية ! ثم بعد كل هذه الإجراءات نقوم بزرع خلايا  
جذعية بالنخاع الجديد ليتشكل لدينا نخاع قوي و سليم.. طبعاً الخلايا الجذعية  
نستطيع أن نستخرجها من أي نخاع عظمي ما إن يتم التبرع بعينة منه من  
قبل شخصٍ ما !

كانت سارة مبهوتة.. عاجزة عن الكلام تماماً.. رغم أن فكرة أن هناك أملاً  
جعلت قلبها يرفرف و عقلها يصور لها مشاهدًا من مستقبل تمضيه بكل  
تفصيلة منه بين عائلتها و جاد.. إلا أنها قالت بتردد ؛

\_ هل...نسبة نجاح هذه العملية مضمونة ؟!

همس براء و هي يفتح يديه ببساطة ؛

\_ تقريباً !

فأطرقت برأسها ناظرة إلى الأرض.. و صمتت لعدة لحظاتٍ ظلت فيها تناظر  
السراب بحيرة.. إلى أن رفعت رأسها مجدداً.. و قالت فجأة ؛

\_ هذا يعني أن هناك احتمالية أن...أموت !

اوماً براء ببطءٍ و هو يشعر بثقل قوي يجثم فوق قلبه.. فتسمرت سارة للحظة  
أخرى.. قبل أن تهز رأسها بالنفي و هي تقول بغير اقتناع ؛

\_ لا أستطيع... لا أستطيع أن أجازف !!

صمتت للحظة إضافية.. ثم عادت تقول باعتراض ؛

\_ كما أن زوجي هنا !! إذا وافقت على هذه العملية فسيكون عليّ الانتقال  
للمشفى.. حينها سيعلم حتمًا بمرضِي.. لا أستطيع يا براء.. لا أستطيع !!!!  
نظر لها براء بتفاجئ أقرب إلى الصدمة.. هل هذا هو عذرها حقًا !! لقد كان  
عذرًا غاية في... الغباء ! بالنسبة إليه !!

كانت تلك أول مرة يخاطبها بغير احترام.. فقد وجد نفسه يهتف بدون أن  
يستطيع منع نفسه بصوتٍ منفعَلٍ مشتت كالوتر ؛

\_ هل أنت جادة؟! هل مشاعر زوجك أهم من حياتك نفسها؟! حقًا !!!  
صدقيني ستندمين كثيرًا على هذا الإهمال.. و أول واحد سيلومك هو زوجك و  
عائلتك.. هذا ليس مبررًا.. ليس مبررًا لترفضي فرصة كهذه ربما يتمناها أي  
أحد مصاب بمرض مشابه.. لكن ليس الجميع يحظى بها !!!!!  
صمت للحظة ثم هتف بحدة ؛

\_ و فيما يخص عائلتك فهذا موضوع مفروغ منه.. يجب أن يعلموا.. أنت لا  
تستطيعين إخفاء الأمر عنهم إلى الأبد.. هل تظنين حتى بأنك تستطيعين  
الإخفاء عنهم؟! مهما حاولت.. فلامحك ستفضحك.. تعبك الدائم و انخفاض  
وزنك.. كل هذا سيدخل الشك إلى قلوبهم.. أنا دكتور و أقول لك بأنك يجب أن  
تخبريهم لأن الأمر ليس بالهين.. شيئًا فشيئًا سيبدأ هذا المرض في سحب كل  
قوتك منك.. ستحدث معك مضاعفات ربما لن تستطيعي الوقوف حتى معها  
بدون أن يلتقط أحدهم يدك.. كوني منطقية يا سارة.. ألسن طبيبة أيضًا !!!

صمت أخيرًا ينظر لها لاهت الأنفاس بنفس التعبير المعقد.. لكن كلامه  
للأسف.. لم يكن بذلك التأثير الكبير على سارة ربما.. فقد زاد استنكاره و هو  
يراهها تهز رأسها بيأسٍ بينما تقول بأعصابٍ مشتتة ؛

\_ و لأنني كذلك أمانع.. أنا أخصائية أمراضٍ نفسية و أعلم كمّ تأثير هذا النوع  
من الأمراض على نفسية المريض و عائلة المريض نفسها !! أنا لا أستطيع  
أن أجعل عائلتي تعيش هذا النوع من الخوف و الذعر و الترقب أبدًا.. لن  
أدعهم يعيشون هذا الألم لأجل شيءٍ ليس مضمونًا مئة بالمئة.. لا أستطيع أن

أتمسك بتلابيب أمل ضعيف لأجد نفسي في النهاية و قد وقعت في أكبر فخ  
نصبتة الحياة لي.. لا أريد أن أترك لهم خلفي صورة شاحبة لفتاة هزيلة  
أوهنها المرض.. أعلم بأن فترات العلاج ستكون مكلفة جدًا و مرهقة لي و  
لهم.. و لهذا أنا لا أستطيع أن أجازف لهذا الحد... لا أستطيع !!!!

صمتت بأنفاس مجهدة قليلاً.. بينما لم تتغير ملامح براء كثيرًا رغم مشاعر  
الأسى و الإشفاق التي ظهرت في عينيه و لمحتها سارة..

فقالتمتمسكة بقرارها و هي تقف فجأة.. و قد نجحت بصعوبة في رسم  
ابتسامة متزنة صادقة على شفيتها ؛

كنت نعم الطبيب و الصديق في الفترة التي مضت حقًا.. ربما ستكون من  
بين الأشخاص القليلين الذين تعرفت عليهم في حياتي و ترسخت أسماءهم في  
عقلي.. شكرًا لك !

ظل براء ينظر لها غير مصدقًا.. و لم يستطع أن يلفظ حرفًا واحدًا هو يراها  
تلتفت بغاية الخروج.. إلا أنها و قبل أن تغادر بالفعل.. قال بنبرة لمحت فيها  
الكثير من العتاب و التأنيب ؛

أنت لا تحبين نفسك !!

التفتت إليه سارة بهدوء.. لتهمس محتفظة بابتسامتها التي تحمل حزنًا بين  
طياتها.. بصوت هادئ شديد الحزم ؛

بلى.. أنا أحب نفسي كثيرًا لهذا أختار الحياة.. على أن أموت ببطء و أنا أرقد  
في فراش ما هنا بين المحاليل و الأدوية و العمليات.. إلى أن أجد نفسي و قد  
استنزفت تمامًا.. لن أسمح للمرض بأن يسرق مني الكثير من اللحظات  
الجميلة التي لا أزال أطمح لعيشها بين عائلتي !

أكملت كلامها و استدارت بصمت لتفتح الباب و تخرج قبل أن تسمح لبراء  
باستيعاب أي شيء.. إلا حينما تسلل إلى مسامعه صوت انغلاق الباب.. حينها  
فقط طرف بعينه و هو ينقلهما في كل مكان حوله بيأس... و أسى !!!!

سارت في الرواق بخطواتٍ هادئةٍ.. كل طريقة يطرقها كعب حذائها فوق الأرض تتردد في أذنيها.. إلى أن توقفت أمام المشفى.. و سحبت نفساً عميقاً مغمضة عينيها.. سامحة لدمعة وحيدة تحتاج إلى الشعور بها بالتحرر من تحت جفنيها..

رفعت يدها لتمسحها بهدوء و تتحرك تنوي إتمام طريقها.. إلا أن رنين هاتفها جعلها تبقى متوقفة مكانها.. و بدلاً عن ذلك أخرجت هاتفها لتفتح الخط و ترفعه إلى أذنها مردفة بسرعة قبل أن تسمع صوت المتصل من الجهة الأخرى.. و الذي كان... سيلين !!

\_ لا.. لا تقولي أي شيء.. أنا أخذت قراري و سأعود !

ساد الصمت قليلاً من الجهة الأخرى.. فعلمت بأنها قد داهمت سيلين على غفلة بسرعتها في الكلام..

قبل أن تسمع صوتها يأتيها من الجهة الأخرى محملاً بكل اشتياقها و حبها ؛

\_ حقاً؟! متى!!!!

سحبت سارة نفساً جديداً و هي تهمس مبتسمة ؛

\_ قريباً.. قريباً جداً.. اشتقت لكما يا سيلين !

\_ واضح !

قالت سيلين من الجهة الأخرى بنبرة استخفاف لكنها تحمل أيضاً لفحة من الإتهام.. فضحكت سارة بخفة.. ثم ردت بينما تفتح باب المقعد الخلفي لسيارة الأجرة التي طلبتها للتو و تصعد ؛

\_ حسناً.. نقدم لك بالغ اعتذاراتنا يا أنسة سيلين.. هل أنت راضية؟!

سمعت صوتها يقول بدلال متعمد من الجهة الأخرى ؛

\_ ليس بعد !

فهمست و هي تمط شفثيها بتفكير عميق ؛

\_اممم.. هذا يعني أنني يجب أن لا أتأخر كثيرًا.. فهناك شخص غاضب و  
ينتظر ترضية !

الآن فقط وجدت نبرة المزاح تتلاشى من صوت سيلين.. و همست متنهدة  
بحزن ؛

\_الترضية الوحيدة التي قد أقبّلها منك هي عودتك إلينا !!

تنهيدة مشابهة خرجت من بين شفثي سارة.. همست بعدها بحنان و عيناها  
تشردان في البعيد ؛

\_حاضر.. هل والدي بجانبك ؟!

لحظة صمت.. و قالت سيلين بهدوء ؛

\_لا.. أنا في غرفتك الآن..

قالت سارة عاقدة حاجبيها بدهشة ؛

\_في غرفتي ! ماذا تفعلين ؟!

جاءها صوت سيلين تردف بنبرة حاملة بسيطة ؛

\_أخوض حديثًا شيقًا جدًّا بيني و بين روميوا و جوليت..

ارتفع حاجبا سارة بدهشة لوهلة.. قبل أن تقول متشدقة ؛

\_ما شاء الله.. و يزعمون بأن الحب لا يغيرنا !

لم تكمل تعليقها هذا حتى جاءها صوت سيلين تسأل بغباء و تحفز ؛

\_ماذا قلت ؟!

هزت سارة رأسها و هي تهمس بخفوت ؛

\_لا.. لا شيء.. دعينا نكمل كلامنا لاحقًا يا سيلين.. اتفقنا ؟!



\_حسناً..تصبحين على خير..

بعض الإستغراب لمس عيني سارة للحظة الأولى و هي تنظر إلى ضوء  
النهار الساطع من خلف النافذة..لكن عقلها سرعان ما تنبه لفرق التوقيت بين  
البلدين..فقالت بهدوء ؛

\_و أنتِ من أهله !

همت بأن تغلق الخط..إلا أن صوت سيلين عاد ليقاطعها بتردد ؛

\_سارة !

\_همممم..

همست باهتمام و هي تعقد حاجبيها قليلاً..فجاءها صوت سيلين تهمس بتردد  
أكبر ؛

\_لقد جمعت العصفورين في قفصٍ واحد..

ابتسامة شبه مرئية لامست عيني سارة و هي تهمس بعد صمت قصير ؛

\_خيرًا فعلتِ !

ثم أنزلت الهاتف بعدها لتغرقه في جيب معطفها الصّوفي الأصفر و تستند  
على زجاج النافذة برأسها مراقبة حركة الشارع بعينين ساهمتين..

إلى أن تنهدت أخيراً حينما توقفت السيارة أمام مقر عملها الذي يبدو أنها  
ستتركه قبل أن تعتاده !

ما إن تجاوزت الباب الرئيسي للمشفى مساءً بعد أن مر باقي اليوم بشكل  
طبيعي جداً..حتى وجدته ينتظرها في مكانه المعتاد..يقف مستنداً إلى سيارته  
ينقل عينيه حوله بملل بينما يتلاعب بسلسلة المفاتيح بين يديه..

تلقائياً كانت ترتسم ابتسامة عريضة فوق شفثيها.. و اتسعت أكثر حينما وقعت  
عيناه عليها فاستقام بسرعة متأملاً إياها بلهفة واضحة أصبحت لا تفارق  
عينيه..

اقتربت سارة منه بخطواتٍ سريعة نسبياً.. و ما كادت تصل إليه.. حتى كانت  
ترتفع قليلاً محاوطة عنقه بذراعيها بقوة قبل أن يستوعب شيئاً حتى..  
ربت جاد على ظهرها و هو يضمها إليه برفق مبتسماً بدهشة.. قبل أن يهمس  
بحذر و هو ينقل عينيه حوله عشوائياً ؛

\_ هل هو مزاج رومانسي جديد ؟!

إبتعدت سارة متذمرة من حضنه.. لتقول رافعة ذقنها عابسة بعض الشيء  
رغم أطياف ابتسامتها الخلابة على ملامحها ؛

\_ و هل هو مختلف عن مزاجي الرومانسي منذ أسبوع ؟!

تألقت ابتسامة جاد و كأنها منحة هدية بهذا السؤال.. لكنه رغم ذلك همس  
يرفع حاجبيه معاً و ينقل عينيه حولهما بجدية مفتعلة تناقض ذراعيه اللتين  
كانتا لا تزالان عليها تحاوطان خصرها برفق ؛

\_ تعلمين أنني أكثر من يعشق مزاجك الرومانسي هذا و الذي لم أتعرف عليه  
إلا مؤخراً.. لكن... نحن في الشارع.. في الشارع يا دكتورة.. لم أعهدك عابثة  
إلى هذا الحد !

عبست سارة أكثر في وجهه و هي تجيبه بغيظ رغم الابتسامة الساحرة التي  
كانت لا تزال تتألق في عينيها ؛

\_ و هل سيلاحظنا أحد بين كومة البشر هذه ؟! هل تظن بأننا في بلدنا حقاً  
؟!.. نحن في الخارج!.. كلهم أجانب يا ذكي..

بدا و كأن ما قالتها راق له تماماً.. و بدا أيضاً بأنه قد استوعب للتو بأنه كان لا  
يزال يحاوط خصرها.. فشدّ من تمسكها به يجذبها أقرب إلى صدره..

و تحركت يده على ظهرها يلامس خصلات شعرها التي كانت تنعكس عليها  
أشعة شمس الغروب جاعلة من لونها الجميل يزداد بروزاً و من لمعة خلاية  
تحتل عينيها الناعستين..الفاتنتين..

ثم قال متداركاً أمام تلك العينين الحبيبتين..يحاول أن يتغاضى عن أناملها التي  
استكانت فوق موضع قلبه تلقائياً بينما تسمعه ؛

\_أه..نسيت تلك التفصيلة..جيد بأنك ذكرتني..

همّ بأن يقترب منها متعمداً بعد تلك الجملة مباشرة..إلا أن سارة سارعت  
برفع يدها لتغطي فمه على بعد إنش من شفيتها ناظرة له بدهشة حقيقية  
الآن..

و في لمح البصر..كانت قد تملصت منه لتبتعد و تدور حول السيار..إلى أن  
فتحت الباب الملاصق لمقعد السائق و صعدت ببساطة أمام ملامحه التي  
لامسها تعبير من عدم الرضا..

لكن حتى ذلك التعبير تداعى و هو يسمع صوتها الحبيب تقول بحماس لم يعد  
من الغريب اقترانه بها ؛

\_حسناً يا سيد رومانسي..كفاك أحلاماً لحظية و خذني إلى مكان ساحر..  
ساحر جداً..هذه الليلة بالذات أنا أريد أن أطير...دعني أطير حرفياً من  
السعادة !!

## " الرمق الثامن و العشرون ؛ عائلة واحدة "

هل تعلمون ذلك الشعور ؟! حينما تجد نفسك تقترب ببطءٍ من النهاية ! فتبدأ بترك كل متمنياتك الكبيرة لتطلق العنان لساقيك الوهميتين في الركض خلف أحلامك الصغيرة التي بقيت تؤجلها طوال حياتك..

تجد نفسك تهفو إلى ابتسامة.. إلى ضحكة.. إلى قبلة.. إلى عناق دافء و احتواء لذيد.. إلى حرية.. إلى سعادة لحظية تجرفك بعيدًا.. بعيدًا عن حقيقة أنك.....ميت لا محالة !

كانت سعيدة.. سعيدة حقًا !

اليوم فقط تخلت عن سارة القديمة بكل حداثتها و رسميتها و أناقتها.. و أطلقت العنان لضحكتها العفوية.. تاركة إياها ترتفع متسللة إلى قلبه كالدواء لكل ألم عاشه قبلها..

لم تكن تجلس في السيارة.. بل كانت تقف فاتحة ذراعيها كطفلة شقية.. النسيم البارد يلفح بشرة وجهها و شعرها.. و ضحكتها تلفح قلبه المتلهف إليها.. كان يراقبها بابتسامة واسعة.. ينقل عينيه بينها تارة و بين الطريق تارة أخرى..

لقد فقدت عقلها حبيبته.. و ليتها لا تستعيده أبدًا !!

كان سعيدًا مثلها.. بل أكثر منها.. سعيدًا بها.. و بنسختها الجديدة.. إنه ذلك النوع من السعادة التي تغمرنا و نحن نقف أمام أحلامنا التي تحققت بعد عناء طويل من الانتظار و الألم !!

إلى أن توقف بالسيارة منهيًا اللحظة الجميلة على مضض.. لكنه كان متأكدًا بأنه سيحظى بلحظاتٍ أجمل هنا.. أمام ساحل البحر الذي أحضرها إليه..

ارتمت سارة فوق مقعدها بإرهاق فور توقف السيارة..بينما أخذ صوت ضحكها يتلاشى تدريجياً بدون أن يخفي تماماً..و ظلت ابتسامتها متألفة بدون أن تلمح جاد الذي فتح الباب من جهته و نزل..

إلا حينما وصل إليها و فتح الباب من جهتها هي الأخرى أمراً بأناقة ؛

تفضلي سيدتي !

نظرت له سارة بعينيها المُبتسمتين الزائغتين قليلاً بالفطرة بحب..ابتسامتها لا تزال كما هي رغم التعب الذي كان يداهم جسدها..و الذي تحاملت عليه بصعوبة و هي تنزل قدميها فوق الأرض متمسكة بيده بكل رحابة..

لقد ظن بأن مزاجها الغريب اليوم انتهى..لكنها فاجئته بأن تركت يده في اللحظة التالية لوقوفهما..لتتجاوزه بسرعة متجهة إلى البحر بعينين تبرقان حرفياً..

كم تشابهت صورتها المتألقة بمرح كبير اليوم بتلك الطفلة الصغيرة الشقية..

لقد كان و هو ينظر لها الآن..يراقبها من البعيد بينما يلحق بها بخطوات هادئة..يشعر و كأنه لم يفارقها يوماً !!

حبيبته العاقلة..الطفلة !!

أغرق يديه في جيبى بنطاله و هو يقترب منها أكثر بهدوء إلى أن توقف بجانبها حيث كانت تتأمل البحر بشرود لم يخلو من ابتسامتها التي اختفى بريقها اللامع قليلاً فقط..

ظل يتأملها لعدة لحظات بصمت..و لم يشعر بتلك التنهيدة التي تحررت من بين شفثيه طويلة و مرهقة..قبل أن يلتفت بهدوء لينظر أمامه مثلها..يستمع إلى صوت أمواج البحر الهادئة كخفقات قلبه اليوم بانسجام..

لكن حركة جديدة منها..لفتت انتباهه مجدداً..فالتفت إليها لتستقر عيناه على حركة ذراعيها..بحيث كانت تعقدهما سوياً محتضنة جسدها بقوة..

رفع أنظاره قليلاً إلى وجهها.. و قد كانت لا تزال كما تركها قبل قبل  
قليل.. تتأمل البحر الساكن بشرود تام و كأنها قد تناست وجوده تمامًا  
بجانبيها.. و خصلات شعرها تتطاير بفعل النسيم البارد لتمنحها هالة أجمل..

تأملها للحظاتٍ إضافية.. قبل أن يرفع يده بهدوء ليخلع الوشاح الصوفي  
الرمادي الذي كان يلفّ عنقه من فوق معطفه الأسود الأنيق..

ثم قال فجأةً جاذبًا انتباهها و هو يمدده لها ؛

\_ خذي.. عنقك مكشوف.. ستبردين !

تألقت ابتسامة سارة بطريقة غريبة جعلته يعقد حاجبيه متفاجئًا.. بينما ظلت  
يده مفرودة نحوها بالوشاح الذي رفضت أن تأخذه..

فقد اكتفت بأن رمقته بنظرة سريعة سرعان ما عادت بعدها لتمنحه عينيها  
الجميلتين.. ثم لم تلبث أن تراجعت عدة خطواتٍ و هي تهمس بشقاوتها  
المستحدثة الحبيبة بينما تميل برأسها قليلاً ؛

\_ لا.. لن أقبله.. اليوم فقط أنا أريد أن أكون حرة تمامًا.. بلا قيود.. أنا أحب هذا  
الجو جدًّا و لا أمانع أن أبرد قليلاً.. نزلة برد بسيطة لن تقتلني كما تعلم !

كانت تتكلم ببساطة شديدة.. إلا أن جاد الذي كانت نبضات قلبه ترتجف تفاعلاً  
مع كل حركة أو كلمة منها.. قال بإلحاح و صرامة غريبة عليه ؛

\_ لكنني أنا أمانع.. تعالي إلى هنا !

لم تتمالك سارة نفسها من الضحكٍ بحب بعد أمره الصارم هذا و كأن من  
يخاطبها طفل صغير.. ثم هتفت و هي تبتعد أكثر بينما هو ينتبع كل خطوة  
بحاجبيه المنعقدين على نحو مضحك ؛

\_ ألم تخبرني قبل أيام معدودة بأن الرومانسية لا تليق بك ؟! الآن أنا أقول  
لكّ بأن الصرامة لا تليق بكّ أبدًا.. أبدًا أبدًا يا ابن عمتي !

كانت تتراجع أكثر و أكثر مع كل كلمة جديدة تخرج من بين شفثيها.. و ما إن صممت..حتى كان جاد يهتف بنفس الصرامة غير الحقيقية تمامًا بدون أن يتحرك مكانه ؛

\_و هل يليق بي الركض ورائك...توقفي !!

هزت سارة رأسها بالنفي بهدوء..إلا أنها سرعان ما صرخت ضاحكة بفرح حينما هز جاد رأسه بتوعد و هو يهجم عليها في لحظة خاطفة كانت هي أسرع منها و هي تطلق العنان لساقها في الركض..

و ظلت تضحك و تضحك و هو يلحق بها مشاركا إياها نفس سرور اللحظة و هو يراها تركض بحماس طفلة لا تخشى عقاب أبيها..

لكن حماسها الجميل..انتهى في لحظاتٍ قليلة..فسرعان ما شعرت بقوتها تتداعى ببطءٍ كأنفاسها..فانخفضت قليلاً لتلتقط أنفاسها ضاحكة بقوة..

\_أنتِ بخير !؟

سمعت صوت جاد يأتيها محملاً بالقلق بعد أن وصل إليها في لمح البصر..قبل أن تشعر بيده على ظهرها تربت برفق..

هزت رأسها قليلاً بدون أن ترفعه نحوه و بدون أن تجيب سؤاله القلق..بل كان أن انخفضت أكثر إلى أن جلست جاثية على ركبتها فوق الرمال الباردة في هذا الوقت من الليل..

انخفض جاد إلى أن جلس فوق الرمال مثلها يكاد أن يفترسها بعينيهِ القلقتين..لكنها ما لبثت أن تمسكت بصمتها أكثر.. فامتدت يده لتبعد خصلات شعرها عن جانب وجهها برقة..إلى أن قبض على ذقنها ليجعلها تنظر له.. و حينها فقط..تراجع قلقه و هو يرى ابتسامتها الجميلة بينما ملامحها البيضاء مشعة رغم الشحوب الذي أصبح لا يفارقها..و تزعجه رؤيته جدًا..جداً !

امتدت يده الأخرى التي تحمل الوشاح إليها.. ليبدأ في لقه حول عنقها بغير  
اعتراض منها الآن.. فقد طرفت برموشها ببطء بدون أن تتخلى عن تواصل  
عينها المبتسمتين بعينيه..

\_ استسلمتِ إذا؟! \_

همس بعد لحظاتٍ و هو يرفع حاجبًا واحدًا بجذل.. قبل أن تسقط عينيه على  
الابتسامة الجميلة التي عادت تتشكل فوق شفثيها.. حينما همست تتأمله بعينين  
تفيضان عشقًا ؛

\_ و ما يمنعني من الإستسلام ما دامت العقوبة هي أنت !!

شحبت ابتسامته قليلاً بدون أن يختفي البريق الشفاف من عينيه اللتين  
وصفتها بالبئر الذي يفقد حياته كل من تجرأ على محاولة الغوص في  
أعماقه..

و ساد صمت طويل لم تلبث فيه أنامله عن مداعبة وجنتها برقة تخصّه.. قبل  
أن يطرف بعينيه قليلاً و كأنه يحاول الخروج من هذه اللحظة و من تأثير  
جملتها الذي لن يبارح قلبه ما حيا..

ثم لم يلبث أن تنهد بخفوتٍ و هو يجبر نفسه على الوقوف أخيراً لكنه لم  
يستطع أن يتخلص من تأثير جملتها مهما حاول.. فظهر في صوته الذي خرج  
مختلفاً بينما يمد يده نحوها في دعوة صريحة لأن تتمسك بها..

و في عينيه البراقتين بشدة كقطعين من الماس الأسود !

\_ دعينا نذهب ! \_

\_ إلى أين؟! \_

همست سارة بأنفاس مجهدة قليلاً مبقية على ابتسامتها و هي ترفع يدها  
لتنمسك بيده ببساطة بدون أن تقف.. فقال جاد مبتسمًا بنبرة ذات مغزى عميق  
و هو يطبق على أناملها الرقيقة بين يده ؛



\_إلى مكان لن يرانا أيّ أحد فيه و نحن نتعانق !

تسمرت سارة للحظة..ثم لم تلبث أن هزت رأسها ضاحكة بنعومة و هي  
تسمع هذه العبارة التي قالتها له هي قبل فترة تكرر بصوته..

قبل أن تهمس و هي تهز كتفيها ببساطة بدون أن تقف ؛

\_لكنني لا أستطيع الوقوف...احملي !

تظاهر جاد بالدهشة العميقة و هو يرفع أحد حاجبيه متراجعاً برأسه قليلاً..إلا  
أنه رغم ذلك همس أمام ابتسامتها الجميلة بنبرة شبه عابثة بينما ينحني عليها  
ليدس إحدى ذراعيه تحت ركبتيها و الأخرى خلف ظهرها شاعراً بذراعيها  
تطوقان عنقه تلقائياً..

\_حقاً؟! لوهلة صغيرة جداً كدت أن أصدقك !!

كان قد حملها بين ذراعيه بالفعل..فشددت سارة من احتضانها له و هي  
تغمض عينيها بسلام..

لقد كانت صريحة بالفعل..لقد شعرت في لحظة من الزمن بأنها لو وقفت  
أمامه...فستقع فوراً !!

و هي حرفياً..تفضل أن تموت الآن و في هذه اللحظة على أن تطلع عائلتها  
على الخبر الحزين !!

إلى أن فتحت عينيها بعد لحظات..و همست بصوتٍ مستكين و هي تريح  
رأسها على صدره ؛

\_سأعود..

كان جاد يسير بهدوء باتجاه سيارته حينما سمع همستها الغريبة هذه..فتوقف  
للحظة..ثم عاد ليسير ببطءٍ أثناء همسه بعدم فهم ؛

\_ماذا قلتِ؟!!

قالت سارة موضحة بدون أن ترفع رأسها إليه ؛

\_ أنا... سأعود معك إلى منزلنا !

ابتسم جاد بحيرة قليلاً و هو يعود ليتوقف فجأة سائلاً بلهفة حقيقية ؛

\_ حقًا ! هل أنتِ جادة ؟!

شعر برأسها يتحرك فوق صدره تومئ له بهدوء.. فارتفع جانب شفثيه في ابتسامة مترددة قليلاً.. و عاد يستأنف طريقه نحو السيارة و هو يراهن نفسه بأنها ستتحدث مجددًا..

و هذا ما حدث بالفعل.. فقد سمع صوتها يأتيه بعد لحظة أخرى هادئًا و ساكنًا إلى أقصى حد ؛

\_ لم تسألني أيّ منزل أقصد !

الآن قال باهتمام بدون أن يتوقف عن السير ؛

\_ أيّ منزل ؟!

لولا أن جوابها التالي فاجئه بشدة.. حينما همست بشرود و عيناها تتألقان بأمل باهت لم تتسنى له رؤيته و هو يضمها لصدره إلى هذا الحد ؛

\_ إلى نفس المنزل الذي ولدنا فيه و نشأنا سويًا.. بين عائلتنا.. كلينا !

للمرة الثالثة يتوقف إزاء جملة لها و كأنها تمتلك زرًا مميزًا يخول لها السماح له بالتحرك أو التوقف الوقت الذي تريد.. ثم قال يعقد حاجبيه بحيرة أكبر ؛

\_ تقصدين المزرعة ؟!!

و قد كان الجواب في منتهى الصدق و الثبات.. جاءه في نفس اللحظة و بدون أيّ تردد ؛

\_ نعم !

فلم يشعر بنفسه و هو يهتف فورًا باعتراض ؛

\_لكن.....

لكنها قاطعته بسرعة و بجدية و هي تشدد من ضغط ذراعيها حول عنقه ؛

\_لا يوجد لكن.. أنا سأقنع أبي..

ستقنع والدها ؟ مهلاً..بماذا ستقنعه !؟

بأن يسمح لهما بالانتقال إلى المزرعة !!

همّ بأن يفتح فمه ليؤكد اعتراضه..إلا أنها هي..زوجته الحبيبة..عادت تقاطعه..

و تلك هذه المرة بأكثر طريقه فعالة..

فقد ابتعدت عن صدره قليلاً لا لشيء إلا ليتسنى لها النظر في عينيه..بل في جوف عينيه..و همست بنبرة مسّت قلبه رغماً عنه ؛

\_ستعيش معنا هناك.. لأجلي...أليس كذلك !؟

ابتلع جاد ريقه ببطءٍ أمام توصل عينيهما الصامت..و ظل فقط يحدق بها للحظات..في كل مرة يحاول أن يستجمع بعض الحروف للرد تنتهي محاولته بفشل ذريع..

ثم في النهاية..وجد نفسه يتنهد باستسلام و هو يهز رأسه بالإيجاب كشخص مسيرٍ لا مخير..تنهيدة أخرى حرّرها تلك المرة خرجت بلا صوت و هو يرى ابتسامتها التي شرعت تتألق أكثر و أكثر و كأنها طريقتهما في شكره..منحه تلك الابتسامة التي هو مستعد لخسارة العالم أجمع فقط لو كان المقابل هو الفوز بها..و بصاحبيتها !

كان يقف الآن على بعد خطوتين من السيارة..فتقدمهما بهدوء إلى أن فتح الباب..و انخفض بنفس الهدوء إلى أن وضعها في المقعد الملاصق لمقعده..

ثم همس بدفءٍ و هو لا يزال منحنيًا إليها يرى يديها اللتين تحركتا تهبان  
خصلات شعرها قليلاً بينما تستقيم أكثر في طريقة جلوسها ؛

\_ أنتِ تبدين مرهقة بالفعل.. ارتاحي قليلاً ريثما نصل..

اومأت سارة بصمتٍ.. فمنحها ابتسامة عريضة من ابتساماته الجميلة التي من  
غير الوارد أن تستطيع مقاومتها بدون تقبيلها بعينيها على الأقل..

قبل أن يغلق الباب و يدور حول السيارة ببسرة إلى أن استقر في مكانه و  
انطلق في هدوء لم يبده صوته الحنون و هو يخترع بين كل لحظة و أخرى  
موضوعًا يحدثها به..

و كأنه ليس نفس الشخص الذي أمرها بأن تستغل وقت الطريق لترتاح !!!

---

تلك الليلة.. جلست برففته طويلاً.. طويلاً في شرفة غرفتها بالفندق  
الفاخر.. لساعاتٍ ظلًا يتأملان الشارع الهادئ بينما رأسها يستكين فوق  
صدره.. و ذراعه على كتفيها تدلكان بحنو..

إلى أن غفت بين ذراعيه.. و بقي هو جالسًا على نفس الوضع لساعاتٍ  
إضافية لم تنتهي إلا حينما اشتد البرد من حولهما و خاف عليها من  
المرض..

و في اليوم التالي.. كان أول شيء فعلته.. أن اتصلت لتحجز لهما تذكرتين  
لأجل العودة..

كانت اللفتة واضحة عليها.. لفتة العودة إلى بلدها.. و إنهاء الشوق المرير  
لعائلتها التي لم تفارقها إلا لفترة صغيرة..

راقبها جاد بصمتٍ إلى أن أعادت سماعه الهاتف مكانها.. فاقترب منها  
ليحاوط خصرها من الخلف برفق.. ثم طبع قبلة طويلة فوق وجنتها همس لها  
بعدها بأسى ؛

\_كنت أتمنى أن نبقي ليومين آخرين !

شعر بأناملها التي تحركت لترتاح فوق ظاهر كفيه المحاوطين لخصرها  
بنعومة..ثم همست له بحزم رغم نبرة صوتها الخافتة التي تحمل دفء العالم  
؛

\_و أنا أيضاً..لكنني لم أعد أطيق صبراً لرؤية سيلين و أبي..

و ها هما يجلسان بجانب بعضهما في الطائرة..و كعادتها التي بدأ في التعود  
عليها..اقتربت منه لتريح رأسها فوق صدره بإعياء..فهمس لها بخفوتٍ بينما  
يقربها إلى صدره أكثر ؛

\_سارة !؟

\_همممم....!

همست فوق صدره بصوتٍ شبه مسموع..فصمت للحظة.. قبل أن يقول بقلق  
؛

\_متأكدة بأنك بخير !؟

كانت عيناها تحدقان بظهر المقعد المقابل لها الآن حيث تجلس امرأة  
أخرى..حينما قالت بشيءٍ من الشرود..لكن بصوتٍ ثابت ؛

\_أنا بألف خير..ما إن ننزل من الطائرة سيختفي هذا الدوار... صدقني !

او ما جاد بغير ارتياح تام و هو يضمها إليه أكثر مقبلاً جبينها ؛

\_صدقتك ! نامي قليلاً حبيبتي..سأوقظك ريثما نصل..

و لم تكن لتمانع طلبه هذا بالطبع..فأغمضت عينيها باستسلام و هي تحاوط  
جذعه بيد و تقبض على ذراعه بيدها الأخرى و كأنها تخشى اختفائه..و  
سلمت نفسها للنوم الذي سحب منها كامل إدراكها..

إلى أن فتحت عينيها بعد وقتٍ لم تدرِ كم طال.. لتجد نفسها ممدّدة فوق المقعد الخلفي..... لسيارة جاد !!!

طرفت بعينيها الناعستين قليلاً و هي تنقلهما حولها لوهلة.. قبل أن تستقيم رافعة يدها إليهما لتبعد أثر النعاس بينما تهمس بغير تركيز تام ؛

\_متى وصلنا إلى هنا ؟!

التفت عيناها بعيني جاد في المرأة الصغيرة الأمامية.. فقال يجيبها مبتسماً بنبرة رائقة ؛

\_ليس منذ وقتٍ طويل.. قبل نصف ساعة تقريباً.. حاولت أن أوقظك لكنك كنت مرهقة جداً.. و كان أمثل حل هو أن أحمل -الأميرة النائمة- بين ذراعي و أنتظرها إلى أن تكتفي و تستيقظ بنفسها !

عبست سارة قليلاً و هي تستقيم أكثر لتتخلل خصلات شعرها بيديها الإثنتين محاولة إعادتها إلى ترتيبها ؛

\_لا بد أنك أثرت فضيحة بحملي في العلن أمام كل الركاب !

هز جاد رأسه مبتسماً بتسلية خفية ؛

\_هل تظنين بأن واحداً منهم قادر على أن يتجرأ و يلقي نظرة واحدة حتى على زوجتي !

مطت سارة شفيتها باستهانة و هي تهمس بامتعاض قليلاً ؛

\_لا.. لا أظن... بل أنا متأكدة !

التفتت بعدها لتنظر إلى النافذة بصمتٍ.. و التزم جاد نفس الصمت الذي ساد طوال الطريق.. إلى أن توقفت السيارة بعد وقت طويل أمام المزرعة..

حينها فقط.. كانت تحيد بعينيها عن الطريق لتلتقي بعينه عبر المرأة الصغيرة.. و هناك رأت نظرة توقعت رؤيتها.. لقد كانت نظرة تردّد و عدم ارتياح !!

زمت سارة شفيتها قليلاً بحزم و هي تفتح الباب و تنزل متجاهلة تلك النظرة تماماً..فتنهده جاد و هو يلحق بها إلى أن دار حول السيارة ليفتح صندوقها الخلفي و يخرج حقائبهما..

عاد ليقف بجانبها ناظرًا إلى واجهة المزرعة بنفس الطريقة..فزمت سارة شفيتها بتصميم أكبر..ثم تحركت يدها لتمسك بيده مردفة بحزم ؛

دعنا ندخل !

نظر لها جاد بغير ارتياح..آخر ما قد يتمناه في هذه اللحظة هو العيش في هذا المنزل..كيف سيعيش مع فؤاد تحت نفس السقف أساسًا ؟

الفكرة وحدها تبدو غريبة جدًا و...مضحكة لشخص يراقبهما من البعيد !  
لكنه أيضًا يكاد أن يتفهم أسبابها..و رغبتها في أن تعيش مع كل أفراد عائلتها تحت سقف واحد !!

و هي تستحق..حبيبته تستحق أن تعتكف مثل هذا الأمان بعد عمر طويل تذوقت خلاله كل مستويات الألم و الخذلان !!

لهذا..فقد زفر بقوة و هو يتقدم برفقتها نحو الباب الداخلي..تاركًا مهمة إدخال الحقائب للحارس الذي ألقى تحية بشوشة عليهما و هو يتقدم سريعًا ليقوم بعمله..

كان الباب الداخلي مفتوحًا عن آخره كما العادة..و توقفت سارة و جاد هناك في حاجزه للحظة واحدة..

قبل أن ترتفع أنظارهما سويًا لسيلين..تلك التي كانت تنزل السلالم بخطوات سريعة أقرب إلى الركض..فاستطاعت سارة أن تخمن تلقائيًا بأن هذه الشقية غالبًا ستكون قد رأتهما من الشرفة..

التقت عيناها بعيني جاد في لحظة خاطفة لم تشكل فارقاً لديها أبداً رغم  
الذهول اللحظي الذي احتل نظرتها.. بدون أن تتوقف خطواتها عن التقدم  
بلهفة نحو سارة التي تركت يده فجأة لتستقبلها بين أحضانها..

يا الله كم اشتاقت لها !!!

أغمضت سيلين عينيها بقوة و هي تطوقها بقوة جبارة.. بينما أخذت سارة نفساً  
عميقاً محملاً بخصلاتٍ شعرها حيث أغرقت وجهها و هي تهمس بحرارة  
بينما تحتضنها أكثر ؛

\_ اشتقت لكِ يا مزعجة !

ابتسمت سيلين و هي تفتح عينيها أخيراً على نظرة احتوت كل الألم و الشوق  
الكامن بداخلها.. و لم تلمح أيّ منهما ابتسامة جاد التي ارتسمت فوق شفثيه  
ببطءٍ.. ابتسامة هادئة محملة... بالصدق !

لكنها تلاشت قبل أن تكتمل حتى حينما وقعت أنظاره على فؤاد الذي كان قد  
خرج للتو من غرفة مكتبه حيث يكون غالباً..

كان قد اقترب بخطواتٍ سريعة كل همه سارة.. لكنه تسمر مكانه ما إن وقعت  
عيناها عليه هو برفقة ابنته..

ابتلعت سارة ريقها ببطءٍ و هي تبتعد عن سيلين.. و لأول مرة بعد فترة يلمح  
جاد بعض القلق يفترس ملامحها و هي تنقل أبصارها بين كلاهما..

لم يستطع أيّ أحد منهم أن يقطع الصمت الذي ساد فجأة محملاً بشيء من  
الرغبة للحظاتٍ طالت ظل خلالها كل من فؤاد و جاد ينظران صوب  
بعضهما بلامح شبه فارغة..

إلى أن اقتربت سارة من والدها الذي نقل أنظاره إليها يمنحها نظرة جامدة..  
توقفت أمامه للحظة واحدة.. قبل أن تتمسك بيده لتسحبه معها باتجاه المكتب  
مردفة أثناء ذلك بحزم ؛



\_ دعنا نتكلم قليلاً يا أبي !

راقبها جاد بقلق إلى أن اختفت برفقته في الداخل.. قبل أن ينتفض فجأة على صوت سيلين التي قالت تسأله بصوت بارد بلا عاطفة ؛

\_ هل كنت معها كل هذه المدة ؟!

اوماً جاد بهدوء و عيناه لا تزالان شاردتان في اللأ شيء.. فعادت لتسأل مجدداً بتردد.. و انزعاج..

\_ و هل.....سامحتك سارة..حقاً ؟!

اوماً لها مجدداً بنبات..فتنهدت بيأسٍ أمام عينيه.. ثم قالت بفضاضة قبل أن تبعد مقتربة من السلالم لتصعدا بخفة متجهة لغرفتها ؛

\_ لا تنتظر أيّ ترحيب خاص مني.. لو أردت الدخول فادخل..وداعاً..

هزّ جاد رأسه مبتسماً بلا فائدة و هو يراقبها إلى أن اختفت عن مجال نظره هي الأخرى.. قبل أن يحفز نفسه على التقدم إلى الداخل بخطواتٍ بطيئة..

يحاول أن يتوقف عن التفكير للحظة واحدة في ما ستكون عليه ردة فعل فؤاد على قرار سارة بعد ما سمعه منه ذلك اليوم بخصوص تهديداته المُقَيِّتة لحيبة قلبه..

جالت عيناه في كل ركن من هذا المكان.. تتأملانه بعد وقت طويل.. نفس المكان الذي ضمّ كل ذكرياته الرائعة الجمال من الطفولة..

و قد كان من الممكن أن يضم ذكريات أخرى.. لولا أن تدخلت الظروف جارفة إياه لتبعده عن.....

هز رأسه مجدداً هذه المرة بغاية إبعاد كل الذكريات البائسة عن ذهنه.. ليحتفظ بالجميلة منها فقط.. و قد كانت هناك الكثير من الذكريات الجميلة بالفعل.. ذكريات كان قد نسيها.. أو تناساها عن عمد !!

لكنه اليوم يريد تذكرها.. يريد أن يستعيد في ذهنه كل لحظة جميلة من الماضي أمضاها برفقة حبيته.. زوجته سارة !!

الكثير من الصور تراودت إلى ذهنه ما إن سمح لها.. في كل ركن هنا تقبع ذكرى مختلفة لا تزال حية في قلبه..

هناك كان يجلسان دائماً أمام التلفاز الكبير.. بينما جهاز التحكم يقبع بينهما.. ليتشاجران بين الحينة و الأخرى عن من سيختار البرنامج التالي الذي سيشاهدانه..

ابتسم و هو يتذكر تلك اللحظات التي كانا يعجزان فيها عن التمسك بقاعدة السلام.. فينشأ بينهما تشابك بالأيدي.. من يفوز يحصل على الجهاز الثمين..

و هناك تحديداً.. فوق تلك السلام التي صعدت منها سيلين قبل قليل.. كانا يتسابقان بالركض عن من سيصل أولاً إلى الطابق العلوي.. و في أحيان قليلة.. كانت تركض خلفه أو العكس حينما يختطف منها لعبة ثمينة بعد أن ترفض اللعب معه..

انخفضت عيناه ببطء حتى استقرت على إحدى الدرجات.. و مجدداً غرق في ذكرى أخرى.. حينما كانا يجلسان عليها و بينهما حبوب الذرة التي يشتريها خاله غالباً لهما ليتقاسماها بينهما..

و دائماً تحصل سارة على الحصة الأكبر متحججة بسيلين التي كانت أصغر من أن تتنافس معها على أي شيء..

" مهلاً.. لقد أخذت حصتين.. هذا غش !! "

" غش؟!.. إنها حصة سيلين.. هل نسيتها أم أنك تريد أن تأكل نصيبها؟! "

" لكن سيلين لا تأكل حبوب الذرة.. إنها لا تزال صغيرة.. "

" حتى و لو.. إنها أختي أنا.. ما شأنك أنت بنصيبها !! "

لاحت على شفثيه ابتسامة ساهمة و هو يشعر بأن ذلك المشهد يتكرّر أمامه  
في هذه اللحظة بالذات..و كأنه يرى أطيافهما بالفعل..

يراها و هي تحمل كلا الحصّتين لتركض في الدرجات هاربة منه..تضحكُ  
بظفر و براءة بينما هو يلحق بها متذمرًا..

" سارة..توقفي في الحال و إلا أخبرت خالي..أقسم بالله سأخبره لو لم  
تتوقفي..توقفي لا يمكنكِ أن تأخذي أكثر مني بحجة سيلين التي لا تتناول  
شيئًا باستثناء الحليب.. سارة..... "

عادت أبصاره لتتخفّض مع ذكرى أخرى على نفس الدرج.. ليمر الموقف  
أمامه واضحًا و كأنه يعيشه بالفعل..

يراها و هي تركض لاحقة به لسبب آخر..و تلك المرة كان الهتاف المتذمر  
من نصيبها بينما هو يركض بكل جهده عبر السلالم..

ينظر لها بين الوهلة و الأخرى و هي على وشك الإمساك به لولا أن  
اصطدمت قدمها بالأخرى أثناء استعجالها فوقعت من على الدرجات الثلاث  
الأخيرة..

كان قلبه ينتفض و كأنه يشهد الموقف حقًا..حتى أنه أجفل للحظة و اهتز  
بؤبؤ عينيه و كأنه يود الإقتراب و مساعدتها.. لولا أن تكلف جاد الصغير  
بالأمر..

فتوقف مكانه مبتسمًا..يتذكرها و يراها بعين خياله و هي تجلس على آخر  
درجة بمساندته بينما هو يجلس بجانبها..

و كعادته يحاول أن يواسيها و يضحكها بكل طريقة ممكنة..إلى أن ينجح في  
النهاية بالطبع..وحده من يمتلك مفاتيح سعادتها أو حزنها !!!

تسللت إلى عقله ذكريات أخرى في الحديقة..غرفتها.. و أحيانًا في غرفته  
ذات الجدران المطلية باللون الأزرق...غرفته التي كان قد جهزها له خاله  
بنفسه !

شردت عيناه أكثر و هو يلّمح تلك المنضدة الجانبية حيث تتراص فوقها  
مجموعة من الصور بترتيب..لسيلين..و فؤاد..و سارة..و أم سارة !  
وجد نفسه يقترب ببطءٍ إلى أن امتدت يده و التقط صورة قديمة تجمع بين  
فؤاد مع سارة و سيلين..

كانت صورة جميلة جدًا..حيث تقف سارة و سيلين بجانب بعضهما في الأمام  
و هو يجلس القرفصاء خلفهما محيطًا كتفيهما باحتواء..بينما ضحكته تكاد أن  
تتسع لتشمل كل وجهه..

ابتسامة ساهمة لامست عينيه و هو يمرّر يده بخفة على صورتها..قبل أن  
يعيدها إلى مكانها بحرص..و تجولت عيناه على كل تلك الصور بينما عقله  
يعود لما قبل ثمانية عشر سنة تقريبًا..

و صفّ من الصور التي تجمعه و والدته أيضًا متراصة معهم..مع صور  
العائلة..هنا !

شعر بالحنين يجرفه إلى ذلك الماضي بسادية..فطرف بعينه ليخرج من هذه  
اللحظة..ثم اقترب من نفس الأريكة حيث كانا يجلسان في الماضي..  
ليجلس بثبات أجبر نفسه على التسلح به..منتظرًا خروج سارة بلهفة تفوق  
اللهفة..

بينما بداخل المكتب..كان فؤاد يقف عاقداً ذراعيه..ناظرًا لسارة بجمود..بينما  
هي..تبادلته النظر بكل هدوء لا يزيد إلا من تأجج غضبه المكتوم..

\_\_هل تعلمين بأن هذا المكان أصبح يكرهنا من تعدد الحوارات و النقاشات  
التي دارت بيننا هنا..كلها حول السيد جاد..في كل مرة !!

سمعت صوته يقول بنفس الجمود الذي ما لبث يكتسح نظراته..لكنها ظلت  
هادئة تمامًا ملتزمة الصمت أمامه كطفلة معاقبة..فصمت قليلًا..ثم عاد يسأل  
بنبرة تحمل العتاب في أعماقها ؛

\_ هل طلب السماح منك؟!\_

هنا فقط.. كانت سارة تجيب بتأكيد حار ؛

\_ ألف مرة !!\_

قال فؤاد بدون أن يغير من وضعيته وقوفه بنفس النبرة ؛

\_ و هل سامحته؟!\_

ابتسامة شقية لامست أطراف شفيتها و عينيها و هي تهمس بهدوء و وداعة شديدة ؛

\_ بعد إذنك !\_

ضيق فؤاد عينيه قليلاً ناظرًا لها بتفكير و كأن عقله يحاول أن يفكّ شيفرة معقدة جدًا.. ثم قال فجأة يهتف بحدة مبالغ بها و كأن عقله قد انتبه لنقطة ما فجأة ؛

\_ و كان معك طوال هذه المدة؟!!!!\_

هذا السؤال.. جعل من بعض الإحمرار اللطيف يلامس وجنتيها.. لكنها رغم ذلك همست ببراءة تامة و هي تميل برأسها قليلاً و كأن الموضوع مفروغ منه ؛

\_ هو زوجي !\_

تجمدت عينا فؤاد أكثر و هو ينظر لها بياس لعدة لحظات.. ثم لم يلبث أن فكّ العقدة عن ذراعيه ليرفعهما أمامه مردفًا بعجز ؛

\_ أصبت.. هو زوجك.. ماذا عساي أن أقول؟!!!!\_

ازدردت سارة ريقها بصعوبة قليلاً أمام عينيه.. و تلاشى بعض الهدوء ليحل محله شيء يشبه.. القلق و الخوف !!

لقد كانت خائفة.. خائفة حرفياً رغم أنها تعرف والدها جيداً.. و تعلم بأنه لا يمكن أن يكسر بخاطرها أبداً حتى و لو توقف الأمر على حياته..

لكنها تعلم أيضاً.. بأنه لو أصر على رفضه لجاد فلن تستطيع فعل أي شيء  
حياله.. لن تستطيع التخلي عن عائلتها..

و لا تقدر على التخلي عنه أيضاً !!

و أمامها.. كان والدها و كأنه يقرأ كل أفكارها.. يلح كل تعبير جديد يطل على ملامحها.. عقله يلح عليه بأن يقول " لا " و يرفض لأجلها.. لأجل ابنته.. لكن.....

" كان الإتفاق بيننا أن تذهب سارة معي مقابل أن لا أُوذيك.. أبداً "

" خيرتها بين نفسها و عائلتها.. فاختارتكم بلا أي تردد.. كنت قد استنزفتها تماماً و أنا أخبرها بوضوح بأنني لن أتردد في تدمير هذه الحياة التي تعيشونها برفاهية و ترف.. نظرت لعينيها و خيرتها بين كبريائها الغالي و والدها.. فاختارتكم بلا أي تردد ! "

" فاختارتكم بلا أي تردد ! "

كانت كلمات جاد ترن في عقله.. تتكرر كجرس الإنذار لقلبه.. و فجأة.. وجد نفسه يقترب منها في لحظة واحدة ليحتويها بين ذراعيه..

و كأنه يواسيها على شيء ما لم تعلم هي ماهيته..

لكنها ابتسمت رغم ذلك و هي تهمس فوق صدره الدافء بترقب ؛

هل أعتبر هذا موافقة غير معلنة ؟!

ظل فؤاد صامتاً يضمها بقوة إلى صدره.. قبل أن يبتعد فجأة ليقول بينما يطبع شفثيه بقوة على جبينها ؛

بل معلنة.. معلنة يا حبيبتي.. أنا.. ليس لدي أي مانع في أن يعيش معنا إذا كان هذا هو ما تريدينه أنت !

خرجت بعد لحظاتٍ من المكتب..و لم تكذ تفعل..حتى كان جاد يقف بسرعة  
متنبهاً إلى صوت الباب..

كانت تقف بمفردها هناك بعد أن أغلقت الباب بهدوء..

نظراتها الجامدة التي لا تتم عن تعبير معين جعلت القلق يستولي على قلبه  
أكثر..

و ظل صامتاً و هو يسمع صوت خطواتها الرصينة تقترب منه..ينظر الى  
وجهها بتربق..رغم كل شيء..و كونه ليس يعلم فحسب..بل موقن أنها تحبه  
جداً..

لكنه يعلم بأنها ربما تحب والدها..أكثر منه !!!

لهذا و بلهفة كبيرة..كان يقترب منها قبل أن تصل إليه..إلى أن وقف أمامها  
ينظر إلى عينيها بأمل مندثر خلف نظرتة الحائرة القلقة..

كانت عيناه تفرسان ملامحها تبحثان عن جواب يريح قلبه..بينما عيناها  
هي..صافيتان تماماً..هادئتان بدون تعابير واضحة..

لمحت ذلك الإهتزاز الضئيل برموشه..و شعرت بتلك الغصة المختنقة و هو  
يبتلعها..كما استشعرت أنفاسه البطيئة و كأنها تشاركه الترقب الخائف..

لكنها رفضت أن ترحمه لعدة لحظات..قبل أن ترفع ذراعيها فجأة لتحاوط  
بهما كتفيه ناظرة إلى عينيها تماماً..ثم همست بنبرة مميزة و هي تسمح  
لابتسامه ماكرة أن تحتل شفثيها ببطء أشد مكرًا ؛

\_ هل ستساعدني على رفع الحقايب إلى -غرفتنا- أم أحملها بنفسى!؟

للحظاتٍ أخرى ظل جاد صامتاً ينقل أبصاره بين عينيها و كأنه يحاول أن  
يستوعب بصعوبة ما قالت..بل و كأنه فقد القدرة على الإستيعاب..

قبل أن تتسع عيناه فجأة..ثم و بدون سابق إنظار..تألقت ابتسامته الجميلة و  
هو يطوق وجهها بقوة ليطبّع شفثيه بنفس القوة على وجنتها..

ثم التفت ليحمل الحقائب بكلتا يديه لكنه ما كاد يتقدم خطوة..حتى عاد ينظر إليها..ثم همس بصوتٍ يختنق بالمشاعر و كأنه شخص لا يملك سلطاناً على نفسه ؛

\_تعالى.....!

---



## "الرمق التاسع والعشرون؛ احتياج"

\_هل تصدقني لو أخبرتك أنني اشتقت لرسائلك الغرامية التي كنت تزعجني بها في الماضي؟!\_

قالت سيلين لسليم الذي كان يقف أمامها في حديقة منزلهم.. بينما والداها و أخته يتقدمانه برفقة والدها نحو الداخل.. فهز سليم رأسه مبتسمًا بالقليل من الخجل.. لكنه رغم ذلك همس يسألها بتأنيب ؛

\_تزعجك؟!\_

أومأت سيلين مبتسمة بتأكيد.. فتوقف فجأة عابسًا بشدة.. ثم لم يلبث أن رمق غيثارته التي كان يحملها في يده بداخل غشائها الأسود.. و قال بنبرة متوعدة لطيفة ؛

\_ما رأيك إذا أنني كنت أود أن أعزف لك اليوم أمام الجميع.. لكن الآن بعد كلامك هذا غيرت رأيي !

استدار عنها فورًا ينظر أمامه متصنعًا الضيق بمهارة.. إلا أن ضحكتها التي انطلقت بعفوية جعلته يعيد أنظاره إليها.. تأملها بنهم و هو يجاورها المشي ببطء..

إلى أن قالت فجأة باهتمام ؛

\_هل تجيد الغناء؟!\_

اندهش سليم من سؤالها المفاجئ قليلًا.. لكنه أومأ رغم ذلك و هو يرفع يده ليحك مؤخرة عنقه مجيبًا ؛

\_قليلاً..\_

توقف فجأة.. فتوقفت سيلين هي الأخرى ناظرة له بعدم فهم.. قبل أن يرتفع حاجباها معًا حينما وجدته يميل عليها قليلاً ليهمس على مقربة من وجهها بسحر ؛

\_ لماذا؟! هل تحبين أن أغني لك أيضًا.. لن أرفض إذا طلبت مني !

كانت نبرته واثقة على نحو خاص.. تبدو غريبة على ارتبائه المعهود.. فرفعت يدها لتضعها فوق صدره بغاية دفعه لا أكثر.. ثم لم تلبث أن قالت بكبرياء و قد انتقل ارتبائه إليها بأكثر طريقة تدعو للضحك ؛

\_ أنا لم اطلب منك أن تغني لي... ابتعد !

ابتعد سليم بالفعل ناظرًا لملامحها الجميلة التي يلمح لأول مرة الإرتباك فيها بحب.. قبل أن يرفع حاجبيه معًا بما يشبه التحدي..

فعبست سيلين أكثر لوهلة.. إلا أنها سرعان ما رسمت أكثر ابتسامة مستفزة على شفثيها بينما تهمس باستخفاف ؛

\_ عمومًا أعلم بأنك تقول فحسب.. أنت شخص خجول للحد الذي يجعلك غير قادر على رفع رأسك حتى أمام عائلتي.. فماذا عن الغناء؟!

امتفعت ملامح سليم بشيء من التضايق و كأنها شتمته.. و فتح فمه يريد أن يجيبها.. إلا إنها كانت قد تجاوزته بلمح البصر بعد أن هزت رأسها ناظرة له بنظرة يائسة مفتعلة..

و ما كان منه إلا أن زم شفثيه امتعاضًا و حزمًا و هو يلحق بها عازمًا على جعلها تخسر في هذا التحدي.. الرومانسي على نحو خاص !!

---

تحت ضوء النجوم.. في عتمة الليل.. و شرفة سارة المطلة على كل مكان في هذه المزرعة الواسعة.. كانا كلاهما يجلسان فوق ذلك المقعد الأرضي الصوفي الرمادي القابع في منتصف هذه الشرفة..

ظهرها مستند إلى صدره القوي..بينما ذراعاها ملتفتان حول خصرها..و ذقنه يرتاح فوق كتفها..النجوم وحدها من كانت تطفو فوق هذا الظلام القاحل لتزين السماء بأضواءها و أشكالها المميزة..

بينما هما يراقبانها في صمتٍ تام دام لوقت طويل..إلى أن قطع هذا الصمت صوت سارة الهامس ؛

\_ هل تشتاق لأمك !؟

تسمر جاد مكانه للحظة..قبل أن ينعقد حاجباه بدهشة قليلاً من هذا السؤال المفاجئ..لكنه رغم ذلك..همس بخفوت ؛

\_ أحياناً !

صمت قليلاً..ثم قال بينما يأخذ نفساً عميقاً من بين خصلات شعرها متمسكاً بها أكثر بدون أن يعلو صوته عن الهمس ؛

\_ و أنتِ !؟ تشتاقين لها !؟

همست سارة بهدوء ؛

\_ من !؟ أمي أو...أمك !؟

فقال يردف بنبرة تشبه نبرتها ؛

\_ أمكِ !

صمت ثقيل ساد من جهتها لم يفهمه..فرفع رأسه قليلاً منتظراً سماع الإجابة المتوقعة..إلا أن كل ما قالته..كانت جملة بدت غريبة عليه في البداية ؛

\_ أنا أنظر لها الآن..

الآن انعقد حاجباه أكثر..و تسمر للحظة أخرى شاعرًا بالغباء..قبل أن يلمح يدها التي ارتفعت ببطءٍ لتشير له على نقطة ما في السماء..فرفع رأسه مجددًا متأملًا السماء..قبل أن يبتسم تلقائياً هامساً أخيراً بإدراكٍ ؛

\_ اووه.. نعم.. نسيت بأن أمك تحولت إلى نجمة بعد موتها.. أليس كذلك؟!!

ضحكت سارة هي الأخرى برقة.. ثم همست بصوت عميق ؛

\_ و أمك أيضًا...!

تاقت عيناه قليلاً فوق تلك النجوم و كأنه يبحث عن نجمة أمه فعلاً.. دائماً ما بحث عنها أساساً.. منذ أن كان طفلاً صغيراً.. لكنه على عكسها.. عجز تماماً عن تصديق هذه الأسطورة.. كما عجز عن إيجاد نجمة أمه..

كان تائهاً تماماً.. الشرود يكتنف عينيه اللتين سرقتا بريقهما من ظلام السماء.. بينما يداه تداعبان خصرها بلمساتٍ حانية..

إلى أن انتفض فجأة.. انتفض حرفياً حينما سمع صوتها يهمس بأكثر نبرة غريبة سمعها في حياته ؛

\_ و أنا أيضًا سأتحول إلى نجمة بعد أن أموت !

اتسعت عيناه جاد بقوة و هو يتراجع برأسه للحظة بما يشبه الفرع الشديد.. ثم بدون أن يشعر وجد نفسه يهتف بذعر ؛

\_ بماذا تهذين؟!!

سؤاله المرتفع.. جعلها تنتفض قليلاً مستوعبة الحماسة التي نطق بها لسانها.. فزمت فمها قليلاً شائمة نفسها بحنق بداخلها.. ثم همست و هي تقبض على يديه المحيطتين بخصرها ؛

\_ لا شيء.. اعتبرني لم أقل أي شيء..

لكن جاد لم يتراجع في موقفه.. بل عاد ليقول بصوت أقل حدة لكنه محمل باستياء شديد مصدره خوفه ؛

\_ بلى.. قلت.. لا تذكرني سيرة الموت بيننا مجدداً.. أبداً !

كان صوته صارمًا و حادًا بطريقة لم تعهدها سارة منه.. لكنها تفهمته  
تمامًا..فاكتفت بأن همست متنهدة و هي تناظر السماء بعينين تحتويان عذابًا  
داخليًا لا يراه أحد غيرها ؛

\_حاضر..

زفر جاد نفسًا مرهفًا خافتًا بدون أن يضيف كلمة..فقد سمح للصمت بأن يعود  
ليتسيد بينهما..و سارة مثله ظلت صامتة مغمضة عينيها بسلام..تستند إلى  
كتفه القوي برأسها..

مستقبلة دفاء أنفاسه الحارة على بشرة عنقها حيث اختفت معالم وجهه  
الوسيم تاركًا شفتيه تعزفان على بشرتها ألحانًا ساحرة تنقلها إلى عالم آخر لا  
يحتوي سواه..عالم جميل جدًا مفعم بوردية عشقه النادر..

و طال الصمت لوقتٍ طويل..إلى أن قطعه هو هذه المرة.. همس لها مبتسمًا  
بنبرة مميزة..بدون أن يرفع رأسه أو يفارق بشرتها ؛

\_إذن...ألن تقول لها!؟

فهمت سارة معنى سؤاله فورًا..إلا أنها رغم ذلك تعمدت أن تقول عاقدة  
حاجبها قليلًا بعدم فهم ؛

\_ماذا أقول!؟

شعرت بأنفاسه تلفحها مجددًا..فاضطربت أنفاسها قليلًا.. بينما همس صوته  
في أذنها بعمق..تلك الكلمة التي لم يعد يمل من تكرارها ؛

\_أحبك!

هنا فقط..كان ينتهي سحر اللحظة الرائعة بالنسبة إليه.. فقد وجدها تتمسكُ  
بذراعيه فجأة لتحرّر نفسها منه في لمح البصر..ثم وقفت أمام عينيها اللتين  
راقبتاها باندھاش و غباء لتقول بجدية زائفة تحجب خلفها الكثير الكثير من  
الشقاوة ؛

\_ سأقولها بالطبع.. لكن ليس الآن... بل عندما تصبح جديرًا بسماعها !  
لم تسمح له بفرصة للإستيعاب.. فقد استدارت فورًا لتدخل للغرفة.. فوقف جاد  
هو الآخر ملقبًا بالغطاء عشوائيًا ليلحق بها بينما يهتف باستنكار ؛

\_ لحظة ! أأست جديرًا بسماعها بعد ؟!

و كان ردّها أن راقصت بين حاجبيها باستفزاز و هي تحمل وشاحًا سميغًا  
لفت نفسها به.. ثم قالت ببساطة بينما تتجه إلى الباب و تفتحه ؛  
\_ كل العائلة مجتمعة في الحديقة إلّا نحن.. سأنزل إليهم في الحال و أنت الحق  
بي لو أردت بالطبع..

خرجت بعدها بخفة مغلقة الباب خلفها بكل هدوء.. تاركة جاد يقف مكانه  
فاتحًا يديه بحيرة ينظر في أثرها بملامح ممتعة غير مصدقة..  
كانت تنزل الدرجات بخفة.. تكاد أن تتجاوزها كاملة.. حينما داهمها شعور  
مفاجئ بالغثيان جعلها تتوقف فجأة مترنحة..

تمسكت بحاجز السلم و هي ترمش بعينيها قليلاً بغير تركيز محاولة أن  
تتمالك نفسها..

إلّا أن العجز هو كل ما ناشدها.. فانخفضت ببطءٍ إلى أن جلست فوق الدرجة  
التي كانت تقف عليها بإرهاق بالغ.. و مجددًا.. كلمات براء تفرع أفكارها..

" هل تظنين حتى بأنك تستطيعين الإخفاء عنهم؟!!! مهما حاولت.. فملاحك  
ستفضحك.. تعبك الدائم و انخفاض وزنك.. كل هذا سيدخل الشك إلى  
قلوبهم.. أنا دكتور و أقول لك بأنك يجب أن تخبريهم لأن الأمر ليس  
بالهين.. شيئًا فشيئًا سيبدأ هذا المرض في سحب كل قوتك منك.. ستحدث  
معك مضاعفات ربما لن تستطيعي الوقوف حتى معها بدون أن يلتقط أحدهم  
يدك.. كوني منطقية يا سارة.. أأست طبية أيضًا !!! "

أغمضت عينيها بقوة و هي تنحني أكثر على نفسها مطوقة خصرها  
بذراعيها.. تشعر بألم قوي لا تدرك مصدره.. و ظلت منحنية على نفس  
الوضع للحظات..

قبل أن تقف فجأة بسرعة لتتنزل باقي الدرجات بخطواتٍ شبه راكضة و تتجه  
إلى أول غرفة لمحتها أمامها و قد كانت وجهتها الحمام..

استندت إلى طرفي المغسلة بيديها الإثنتين و هي تنحني إلى الأمام مستفرغة  
بصعوبة كل ما بداخل معدتها..

لكنها لم تستطع أن تستقيم فوراً.. فقد ظلت تعنصر بأنامل يديها الإثنتين طرفي  
المغسلة بقوة.. و أطبقت عينيها بشدة و هي تنحني أكثر محاولة التقاط أنفاسها  
المسلوبة منها..

إلى أن رفعت رأسها أخيراً لتقابل عينيها الزائغتين في المرأة.. و تسمرت  
أنظارها قليلاً على تلك الدمعة الوحيدة التي كانت تنساب فوق وجنتها  
بهدوء..

ظلت تنظر إلى انعكاسها الشاحب بأنفاس متهدجة متسارعة لعدة لحظات..  
لقد بدأت أخاديد المرض تحفر مكانتها في ملامحها عميقاً.. و هي تشكّ بعد  
الآن أن تستطيع إخفاءها لوقتٍ أطول عن عائلتها..

ارتعشت يدها قليلاً و هي ترفعها ببطءٍ إلى وجهها تلمس بها خطوط التعب  
المتجسدة تحت عينيها..

قبل أن تبتلع ريقها ببطء.. ثم انخفضت قليلاً تفتح الصنبور بسرعة لتشرع في  
غسل وجهها لعدة مراتٍ..

التقطت المنشفة البيضاء المعلقة على مقربة منها لتجفّف وجهها و يديها و  
تعيدها إلى مكانها بانتظام..

و ما إن رفعت رأسها هذه المرة إلى المرأة.. كانت ملامحها أقل شحوباً..

أخذت نفساً عميقاً أخيراً و هي تصنع شبح ابتسامة لم يكتمل.. قبل أن تقترب من الباب مجدداً لتفتحه و تخرج من الغرفة بأكملها متجهة إلى الحديقة بخطواتٍ هادئة الآن..

لكن يدًا قوية أوقفتها في منتصف الطريق.. فالتفتت تلقائياً لتجد جاد يقف بجانبها.. همس لها بخفوتٍ و هو يتمسك بيدها متخللاً أناملها بحنانه الجميل ؛

\_ دعينا نخرج سوياً !

اومأت سارة بهدوء و هي تتجه برفتها إلى الحديقة.. إلى أن توقفا أمام طاولة خشبية مربعة الشكل تتوسط مجموعة من المقاعد الخشبية أيضاً و التي كان يحتلها كل أفراد العائلة من والدها و أختها و سليم مع والديه و أخته..

ابتسم فؤاد ما إن رآها و هو يردف ممازحاً موجهًا كلامه لوالدي سليم و كأنه كان ينتظر نزولها بالفعل ؛

\_ رأيتم !! حتى لا تفكروا مجدداً بأن ابنتي تتجنب الجلوس معكم.. تعالي..

نقلت سارة أبصارها بينهم بابتسامة مترددة قليلاً.. ثم تقدمت بدون أن تترك يد جاد إلى أن جلست في مقعد خشبي بظهر طويل و تصميم لطيف مثل كل المقاعد هنا..

و جلس جاد في المقعد المجاور في يسارها بينما والدها في المقعد الذي على يمينها بينما و بين سيلين..

\_ إداً!؟

قال والد سليم بلطفٍ و هو ينقل أبصاره بين جاد و سارة.. فقالت سارة بهدوء و هي تنتظر إلى جاد ؛

\_ لم تتعرفوا من قبل.. هذا جاد.. زوجي..

همست كلمة "زوجي" بنبرة مميزة عن سابقاتها.. بينما ظلت عيناها عليه كما كانت طيلة حديثها.. و ظل جاد يتأملها هو الآخر بصمتٍ..



إلى أن نجح بمشقة في رسم ابتسامته وقورة و هو يبعد عينيه عنها بمشقة  
ليقف و يصافح والد سليم الذي قال بمودة ؛

كيف حالك؟!!

قال جاد بهدوء بدون أن يتخلى عن ابتسامته المتحفظة بعض الشيء ؛

بألف خير..شكرا لك !

لم تغفل عينيه الإرتباك الذي لامس ملامح والد سليم و هو يهز رأسه بصمتٍ  
و كأن نفس الذكرى تمر في عقليهما في نفس اللحظة..

ذكرى الزفاف الكارثي الذي لم يكلف أيّ أحد منهم نفسه عناء شرح حقيقة ما  
حدث بالفعل..

لكن جاد اختار بحزم و إرادة أن يتجاهله و هو يلقي التحية على ابنته و  
زوجته مبقياً على ابتسامته الرصينة الحاجبة لكل أفكاره..و كذلك فعل والد  
سليم الذي عاد ليستقر في مكانه بهدوء..

جلس جاد أخيراً في نفس مكانه..قبل أن تمتد يده تلقائياً لتتمسك بأنامل  
سارة..و ما إن رفعت عينها إليه لتمنحه واحدة من أجمل ابتساماتها التي  
تجعل قلبه يتوهج حباً..

حتى بادلها إياه بشبيبتها و هو ينقل عينيه بين كل ملامحها..بينما إبهامه  
يصنع خطوطاً عشوائية فوق ظاهر كفها ليلاصق بين اللحظة و الأخرى  
خاتمه المميز في أصبعها..

كان الجو حميمياً جداً بين كل العائلة..دافئاً رغم النسيم البارد الذي كان يلفح  
وجوههم..لكن أحداً لم يهتم..بل كان كل تركيزهم منصّباً حول وجوه بعضهم  
البعض بينما يتبادلون أطراف الحديث بودّ و وقار..

إلى أن أمسك سليم بغيتاره الذي كان يضعه بجانبه لتبدأ أنامله في العزف  
عليه بألحان رتيبة متقنة..بينما عيناه لا تفارقان عينيها..

و من غيرها..حبيبته الشقية سيلين التي تحدثه قبل قليل بما يستطيع فعله من  
أجلها لا محالة !

و بالفعل فقد شردت سيلين تمامًا و خرج نفس مرتجف من بين شفتيها و هي  
تسمعه يبدأ بالددنة بلحن جميل جدًا..ليرتفع صوته الدافئ الجميل مرددًا  
كلمات الأغنية الجميلة..

\*\*\*\*

قولوا لها أني..لا زلت أهواها..  
مهما يطول النوى..لا أنسى ذكراها..  
هي التي علمتني..كيف أعشقها..  
هي التي سقتني..شَهْدَ رِيّاه..  
روحٌ من الله..سوّاها لنا بشرأ..  
كساها حُسنًا..وجمّلها وحلاها..  
قولوا لها..أنني لا زلت أهواها..  
مهما يطول النوى..لا أنسى ذكراها..  
قولوا لها أني..لا زلت أهواها..  
مهما يطول النوى..لا أنسى ذكراها !

\*\*\*\*

كانت نظراته مكشوفة للأعين..خاصة عينا سارة الخبيرتين..و أخته التي كان  
يجلس بجانبها..تلك التي زمت شفتيها قليلاً و هي تميل عليه لتهمس في أذنه  
من بين أسنانها ؛

\_ اخفض أبصارك يا غبي..لقد فضحتنا !

عبس سليم فجأة دون أن يتوقف عن العزف و هو يزجرها بنظرة حادة  
لمحتها سيلين.. فرفعت يدها إلى فمها لتخفي ضحكتها و هي تفكر بأنها لم تكن  
مخطأة أبدًا حينما أطلقت عليه لقب -الأبله- !!

قبل أن تلتقي عيناها صدفه بعيني سارة التي ابتسمت لها رافعة أحد حاجبيها  
بمكر.. فاتسعت عيناها قليلاً.. ثم تتحننت بحرج و هي تنزل يديها بسرعة  
محاولة بكل ما تمتلكه من جدية أن تكتم ضحكتها باقية على ابتسامة غير  
بريئة تمامًا..

كان الجو جميلاً جداً.. أجمل من ما تخيلت سارة.. لولا أن سمعت صوت رنين  
هاتف جاد المفاجئ الذي جعل قلبها ينبض بلا سبب يذكر.. قبل أن يخرجها  
من جيب بنطاله لينظر إلى اسم..... " لارا " !!

رغمًا عنها احتدت ملامحها و ضاقت عيناها قليلاً ما إن رأت الاسم.. لكنها  
التزمت الصمت رغم ذلك و أشاحت بأبصارها عنه لتمنحه المساحة الكافية  
في الرد أو لا..

و قد جعلها الغباء ربما تتأمل أن يغلق الخط فورًا أو أن يتجاهلها  
فحسب.. لكنها سمعت صوته يقول بنبرة استنذان موجهًا كلامه إلى الجميع ؛  
\_ سأعود حالاً..

وقف على الفور ليبعد عدة خطواتٍ عنهم بدون أن يرمقها بأيّ نظرة.. إلى  
أن توقف في جانب معين و فتح الخط مجيبًا بفتور..

و بالطبع عجزت سارة عن منع نفسها من مراقبته من مكانها بعينيها  
المتقدتين غيرة مكتومة.. إلى أن أنزل الهاتف بعد أن قال عبارته الأخيرة التي  
لم تصل إلى مسامعها..

\_ سأحاول.. لكنني لست متأكدًا من أنني أستطيع القدوم.. على أية حال.. مبارك  
لك !

أغلق الخط فوراً.. و لم يكذ يستدير..حتى كان يلوح سارة التي استأذنت من الجالسين هي الأخرى لتقف و تقترب منه..فطن بعقله بأنها ستلحق به..  
إلا أنها و بكل بساطة مرّت من جانبه لتتجاوزه متجهة إلى المنزل بملامح جامدة...و كأنها لم تراه !!

تسمر جاد مكانه ناظرًا لظهرها المنصرف و خطواتها الثابتة بدون أن تلتفت إليه مرة أخرى بغباء شديد..قبل أن ترسم ابتسامة استغراب على شفثيه..  
ثم سرعان ما كان يهز رأسه قليلاً في حركة غير مرئية تقريباً و هو يحفز قدميه على اللحاق بها بسرعة..

كانت قد وصلت بالفعل إلى غرفتها..و توقفت للحظة ناظرة حولها بعينين تتميزان غضباً داخلياً..حينما سمعت صوت انفتاح الباب من خلفها..فزفرت و هي تتجه إلى الشرفة بصمت..

توقفت خلف الحاجز الصخري قابضة عليه بيديها الإثنتين بينما تسمع صوت خطواته تقترب منها بهدوء..إلى أن وصل إليها..و وقف بجانبها قابضاً على حاجز الشرفة مثلها..

تنهد بخفوت و هو ينظر أمامه للحظاتٍ بصمت..قبل أن يهمس فجأة موجهًا سؤاله الهادئ لها ؛

ما...خطبكِ!؟

رمقته سارة بنظرة جانبية لا معنى لها..قبل أن تعود لتتنظر أمامها بدون أن تجيبه..لكنه رفض هذا الصمت..فعدّد حاجبيه بتفكير للحظة..قبل أن يهمس بخفوتٍ ؛

لأرا ستتزوج بعد أسبوع من الآن..اتصلت بي لتدعوني.. ليس إلا !

لو هلة خيل إليه أنها لم تسمعه ربما.. لأنها ظلت صامته بدون أن تمنحه ردة فعل.. إلى أن طرفت بعينيها قليلاً و هي تستدير إليه نصف استدارة.. و سألت بحذر ؛

\_ و ماذا... أخبرتها؟!!

قال جاد بجدية و هو يلتفت إليها هو الآخر بدون أن يترك حاجز الشرفة ؛  
\_ ماذا سأخبرها؟! قلت لها بأنني سأحاول أن أكون حاضرًا و باركت لها..

صمت قليلاً أمام عيني سارة المجفلتين.. ثم أضاف ؛

\_ عليّ أن أذهب !

نبرته التي خرجت متشنجة تحمل شيئاً من التصميم و الشعور بالواجب جعلت ملامحها تتعقد بشكل لم يفهمه.. ثم همست بدت بنبرة غريبة على مسامعه ؛

\_ و إذا طلبت منك أن لا تذهب؟!!

صمت جاد مندهشاً أمام سؤالها.. لكنه لم ينفك أن قال بجدية تامة ؛

\_ نحن سنذهب سوياً !

لكن هزة من رأسها كانت الجواب.. ثم قالت تجيب التساؤلات في عينيه بصبر محدود ؛

\_ لا.. لن نذهب سوياً.. أنا لن أعود إلى العاصمة مجدداً.. أبداً..

ارتفع حاجبا جاد بذهول كبير و هو يقول بعجز عن الفهم ؛

\_ و عمالك؟!!

جوابها جعل من عينيه تتسعان ذهولاً أكبر و استنكاراً شديداً.. حينما قالت تهز كتفيها بلا مبالاة ؛

\_ لا أهتم..

تسمر جاد تمامًا بدون أن يتمكن من إجابتها للحظة..

لا تهتم؟! هل خرجت تلك الكلمة حقًا من بين شفتي زوجته سارة!!! تلك المهووسة بعملها بشكل ميؤوس منه.. كيف يمكن أن تكون إجابتها بهذا الشكل!!

وجد نفسه عاجزًا عن استجماع حروف للإستفسار تمامًا.. فظل ينظر لها بدهشة كبيرة.. لكن سارة لم تبدو كمن تنتظر سماع رأيه في الأمر و هي تكرر سؤالها السابق مجددًا بنبرة مشتدة حادة قليلًا ؛

\_ الآن أخبرني.. إذا طلبت منك أن لا تذهب.. ماذا ستفعل!؟

ظل جاد متمسراً للحظاتٍ أخرى ينظر لملامحها بنفس الطريقة.. قبل أن يزفر فجأة.. ثم التفت عنها لينظر جانبًا بينما يهمس بأعصاب مشتتة ؛

\_ عليّ أن أذهب !!

لم يرى أبدًا ذلك الألم الذي لون حدقتها بعد هذا الرد.. و لم يرى لمعة عينيها.. كل ما استشعره.. الغصة التي استوطنت صوتها بينما تهمس من ورائه ؛

\_ اذهب و لا تعد إذا !

همّت بأن تعود إلى الغرفة منسحبة من أمامه نهائيًا.. لكنه لم يسمح لها بأن تتعد لأكثر من خطوة واحدة..

فقد التفت بسرعة ليحتضنها بقوة.. محاطًا خصرها و ذراعيها بذراعيه من الخلف ليحبط كل مقاومتها بينما هي تهتف بعنفٍ و الغصة تستوطن صوتها أكثر ؛

\_ اتركني يا جاد !!!

لكن جاد بدا أشد عنادًا.. فقد ظل متشبثًا بها بصمتٍ.. و انتظر إلى أن سكنت  
بأنفاسٍ مجهدة بين ذراعيه.. حينها فقط كان يهمس بنبرة جمعت ما بين  
الدهشة و...

شيء يشبه السعادة بذلك الإدراك الجميل الذي تسلل إلى عقله !!

\_ أخبريني الآن.. لماذا كل هذا الإنفعال؟! لماذا أنت متضايقَة إلى هذا الحد؟!  
إنه مجرد زفاف سأحضره !!!

دمعت عيناها قليلاً بعجز و هي ترفع رأسها إلى السماء عاجزة عن قول  
كلمة واحدة.. فسمعت صوته يهمس بخفوتٍ مبررًا و هو يخفّف من ضغط  
ذراعيه حولها تدريجيًا بدون أن يتركها ؛

\_ أنا لا أريد الذهاب لأجل لارا.. بل لأجل السيد عاطف... والداها !

قالت سارة بغصة مختنقة تكاد أن تبكي ؛

\_ لماذا؟! من هو السيد عاطف؟! ماذا يمثل لك؟!!

تنهيدة عميقة غادرت شفثيه.. أجابها بعدها بشرود لم تفهمه ؛

\_ الكثير.. صدقيني !

\_ كيف؟!!

همست بنفسٍ نبرتها التي تحتوي الألم و التذمر و الحزن و الغيرة القاتلة معًا  
!!

فتنهده جاد مجددًا.. ثم لم يلبث أن أجابها بهدوء.. يشرع في شرح القصة  
بالتفصيل المُمل ؛

\_ السيد عاطف كان من مدّ لي يد العون بعد أن رحلت من هنا.. لقد كان له  
الفضل فيما وصلت إليه اليوم بعد الله سبحانه و تعالى.. هو من جعلني مستقلًا  
بعد أن كنت مجرد شاب صغير بأحلام ضائعة!.. ذات يوم.. أصيب بوعكة  
صحية بينما كان يقود.. و كانت هذه أول مرة قابلته فيها.. كنت قد لمحته من

داخل سيارة الأجرة التي كنت أستقلها للانتقال من مكان لمكان حينها.. رأيته و هو يفتح سيارته بصعوبة ليقف مترنحًا بينما يسعل بقوة.. و لم أتردد و أنا أوقف سيارة الأجرة لأنزل و أساعده.. ذلك اليوم نقلته للمشفى و بقيت طيلة النهار أنتظر استيقاظه لأطمئن عليه من باب الإنسانية فقط.. و حينما استفاق.. كان أول شخص أراد رؤيته أنا.. قبل ابنته حتى!.. تعرفت عليه بشكل أفضل و سردت له بعضًا من أسراري.. عن كوني شاب في مقتبل العمر لا أرغب سوى في تكوين نفسي و الحصول على وظيفة محترمة.. و هو لم يبخل.. فقد وظفني عنده في شركة من أرقى الشركات في المدينة.. و شيئًا فشيئًا بدأت اعتاده و يعتادني.. إلى أن أصبحت له كالسند و أصبح شخصًا مهمًا بالنسبة لي.. مهما ابتعدت لا أنسى فضله.. لكن ابنته.....

**\_ تحبكِ !**

قاطعته سارة بصوتها الجامد المكبل بعاطفتها قبل أن يكمل.. فحرّرها ببطءٍ.. بينما كرّرت سارة بصلافة رغم الإختناق الذي لامس صوتها و هي تلتفت إليه ؛

**\_ ابنته تحبكِ.. أليس كذلك !؟**

كانت نظراته مندهشة مذهولة من سؤالها هذا.. و عجز عن إجابتها بشكل جعلها تشعر بالغيب يستوطن قلبها.. فقالت مجددًا بنفس النبرة القاطعة تمنعه من الإنكار ؛

**\_ رأيت ذلك في عينيها منذ أول مرة قابلتها فيها !**

لم يستطع جاد أن يلفظ كلمة يردّ عليها أو ينفي بها ما قالت.. كل ما فعله أن فتح فمه و كأنه يريد قول شيء ما.. لكنه عاد ليغلقه محددًا بها بغير تصديق..

قبل أن يزفر بعنف لعله يستعيد تركيزه.. إلى أن قال أخيرًا مبتسمًا بعينين تبرقان بشدة ؛

**\_ سارة.. هل تغارين حقًا !؟**



قالت سارة بنبرة متحفزة هادئة ؛

\_ أو ليس من حقي؟!!

اتسعت ابتسامته أكثر حتى قاربت الضحكة و هو يتطلع بها بنفس الدهول.. ثم فجأة.. أحاط وجهها بيديه برفق.. ليهمس لعينيها غير المتسامحتين ببطء و كأنه يحاول إقحام درس مهم في عقل طفلة صغيرة تعجز عن الإستيعاب ؛

\_ ألم تسمعي ما قلته؟! هي ستتزوج!!!

بدت سارة و كأنها لم تسمعه بالفعل و هي تردف فوراً بنبرة مسّت قلبه رغم قوتها ؛

\_ و أنت ستسافر لتحضر الزفاف!!!

طرف جاد برموشه قليلاً و هو يبتلع غصة مختنقة بحلقه.. بينما كمية المشاعر المستوطنة لعينيها.. هالته!!

فقد كانت عيناها و كأنما تترجيانه.. تترجيانه حرفياً أن يبقى معها فقط... و لا يذهب!

لم يعلم أنها كانت تتوسله بالفعل إلا حينما اقتربت في لحظة خاطفة لتحاوط عنقه بذراعيها بشدة.. و همست بضعف لأول مرة يحكم سيطرته عليها بهذا الشكل ؛

\_ لا تذهب.. أرجوك لا تذهب و تتركني.. خاصة بهذه الفترة.. أنا

أحتاجك.. أحتاجك بشدة يا جاد.. لا تتركني.....!!

لم يستطع أن يستوعب همساتها المتوسلة فوراً.. هو عجز عن حتى عن استيعاب سبب تلك الدموع التي ترقرت لها عيناها و استشعرها بدون أن ينظر لها..

فانحنى حاجباه بألم داخلي و هو ينقل أنظاره الحائرة للحظاتٍ أمامه.. ثم أغمض عينيهِ بقوة و هو يرفع ذراعيه ليبادلها عناقها بقوة جبارة..

و ظل صامتًا بينما ضغط ذراعيه يشدد على خصرها أكثر.. حتى أن عقله قد  
هياً له بأنه قد سمع صوت فرقة بعض عظامها الهشة تحت  
ضغطهما.. فهمس و هو يطبع شفثيه فوق كتفها من فوق الوشاح الصوفي  
الدافاء ؛

\_ أعيدي ما قلته مرة و لن أذهب !

لم تتردد سارة من الهمس بتهديج و دموعها تنساب بحرارة مفصحة عن  
ضعف أليم يقتلها ؛

\_ أرجوك لا تذهب !

إلا أن جاد هز رأسه بالنفي فوق كتفها.. ثم يهمس معقبًا بخفوتٍ ؛

\_ لا.. ليس هذه.. التي بعدها !

همست سارة بحرارة و هي تدفن أنفاسها المتقطعة المختنقة في عنقه ؛

\_ أنا أحتاجك.. أحتاجك بشدة يا جاد.. لا تتركني...!!!

حينها فقط.. كانت تظهر ابتسامة باهتة على شفثيه.. و همس متأوهاً و هو  
يغرق أنفاسه في تجويف عنقها ؛

\_ لن أتركك أبدًا... أبدًا حبيبي !

ارتفعت يده بعدها لتمر فوق خصلات شعرها برفق شديد.. بحنان جارف.. و  
ظل يحتضنها بقوة لعدة ثوان أخرى.. إلى أن ابتعد قليلاً ليقابل عينيها هامسًا  
بنبرة مميزة ؛

\_ ألن تقوليها ؟!

صمت مزعج ساد بينهما مجددًا.. و قد شعر جاد بأنها لن تمنحه هديته الأجل  
بسماعه الكلمة الأحب إلى قلبه.. فعادت أنامله لتطوق وجهها برفق..

ثم اقترب منها ببطءٍ متعمدٍ.. إلى أن لامس شفثيها بشفثيه برقةٍ.. مشكلاً  
قبلة.. قبلة.. كادت أن تذيب مفاصلها لشدة نعومتها.. قبلة طالت أكثر مما يستطيع  
قلبها الضعيف في عشقه التحمل صامداً..

إلى أن ابتعد قليلاً فقط.. و همس على مقربة من عينيها و هو يستند بجبهته  
إلى جبهتها تاركاً أنفاسه الدافئة المتحشجة قليلاً كأنفاسها تلفح بشرة  
وجهها..

\_ الآن قوليها.. أرجوكِ !!

هل كانت تستطيع الرفض بعد هذه الهمسة..

و تلك القبلة؟! !!

تلقائياً كانت ترفع يديها هي هذه المرة.. و لامست عنقه براحتيها و هي تهمس  
ببطءٍ ناظرة إلى عينيهِ.. بحرارة و صدق تام بينما الدموع الماسية لا تزال  
تحتكر عينيها الجميلتين ؛

\_ أحبك... أحبك إلى ما لا نهاية !

---

## "الرمق الثلاثون؛ ارتعاشة"

الحياة رحلة طويلة.. نفتح عيوننا أول مرة لنجد أنفسنا من ركابها.. مجبرون نحن على المضي قدمًا معها دون محاولة للتوقف في منتصف الطريق أو إلغاء الرحلة من أنفسنا.. فيبقى علينا التأقلم و انتظار المحطة الأخيرة التي هي نهايتنا..

و ما بين بداية الرحلة و نهايتها نحن ملزمون بالتقيد ببعض القوانين.. لنضمن رحلة سليمة و نهاية أفضل لهذه الرحلة الطويلة.. و هي اختارت أن تكون النهاية هنا.. في مدينتها، منزلها، وبين عائلتها !

رغم التعب الذي كانت تشعر به و أصبح لا يفارقها.. و رغم ترنح ساقيها و الألم الذي لم يلبث أن استفحل جسدها.. لا تزال حتى الآن لا تدرك مصدره الحقيقي.. و الغثيان الذي يلفّ عقلها و كل إدراكها..

رغم شعورها بأن "النهاية" أو شكت على المجيء بالفعل.. هي اختارت أن تتمسك بآخر تلايبب و عيها بهذه الحياة.. أن تستغل كل يوم.. بل كل دقيقة و لحظة تبقت من حياتها القصيرة لتنتعم بحضن عائلتها..

و تبتسم من قلبها بدون قيود أو كوابح !

هي لا تريد أن تترك لهم خلفها صورة لفتاة شاحبة هذّها المرض.. تريد من صورتها القوية أن تظل مرتسمة في قلوبهم.. حتى يكون الألم أخف كلما مرت ذكراها في عقولهم..

تريد من كل أحد تذكرها أن يبتسم.. فقط يبتسم بحلاوة !!

ارتدت سترتها الجلدية السوداء و التي تشابه بنطالها الأسود الذي من نفس الصنف.. و حذائها الذي كان يصل حتى ركبتها.. أسود أيضًا..

قبل أن تقف أمام انعكاسها في المرآة.. و شعرت بالرضا رغم كل بادرة قلق تبتلع أحاسيسها خلسة..

فاليوم..ستخوض أجمل رحلة..أجمل سباق و أجمل تحدي بينها و بين  
جاد...زوجها !!!

نزلت درجات المنزل بهدوء لتلتحق به حيث كان ينتظرها في الاسطبل..بعد  
أن استفزته بكل طريقة شقية ليخوض معها سباق أحصنة نزيه..  
و وافق بالطبع استجابة لرغبتها..هل يستطيع هو أن لا يستجيب !!!

\_جنّت !

همست بنعومة فور اقترابها منه..فالتفت إليها جاد بسرعة ليبتسم بشعور من  
الرضا و هو يراها في أبهى طلتها..

يعلم هو بأنه ضعيف أمام جمالها..خاصة حينما ترتدي هذه البدلة..فكأنما  
تضيف إلى جمالها الذي يمزج ما بين الرقة و القوة جمالاً آخر و فخامة لا  
تناسب سوى سارة فؤاد الغالي...زوجته !

فرد يده نحوها ناظرًا لعينيها بحب لن يفارق عينيه يومًا.. فاقتربت بغير تردّد  
لنتمسكّ بها..همس جاد في أذنها و هو يميل عليها قليلاً بينما يشعر بكفها  
الذي ارتاح فوق صدره برقة ؛

\_هل تدركين بعد بأن اللون الأسود يليق بكِ جدًا..و كأن من اكتشفه فعل  
لأجلك !

ابتعد قليلاً لينظر لعمق عينيها..فهمست سارة و هي ترسم شبح ابتسامة جذل  
؛

\_اممم..ظننت بأن لونك المفضل علي هو البني !!

همس جاد بصدق و هو يطوق خصرها بذراعه برفق..بينما يده الأخرى  
تلامس خصلات شعرها الناعمة المرفوعة على شكل ذيل حصان أنيق و  
مرتّب ؛

\_كل لون ترتدينه أنتِ يصبح مفضلًا عندي !

تألفت ابتسامتها خلسة و هي تقرأ صدق كل كلمة باح بها من عينيه  
فقط.. عيناه.. و ابتسامته.. حبيبة قلبها !

و لم تستطع رغم رغبتها في عدم ترك عينيه أن لا تخفض رأسها قليلاً  
لتأمل شكله من أخصص قدميه و حتى رأسه..

و قد كان شكله... كان... ساحراً !! كالعادة !!

كان يرتدي الأسود مثلها.. بنطال و قميص و حذاء بنفس اللون الذي لا يناسب  
أحدًا مثلما يناسبه.. رغم جزمه بأنه يليق بها.. أو ربما في عينيه.. هي تليق بكل  
الألوان !!!

توقفت عيناها قليلاً على شعره القصير الناعم شديد السواد.. شعره مرفوع  
بطريقة بسيطة تجعلك تدرك بأنه لم يتكبد أيّ عناء في الإهتمام به.. بل إنه  
خلق به بهذا الشكل..

و حاجباه رفيعان.. تلك العقدة بينهما تتم عن تركيز عميق.. و كأن مجرد  
النظر لها لا يكفي.. و كأن كل غاية نظراته الدافئة تلك.. أن تخترق روحها و  
عمق عينيها..

\_هل... نذهب إذا؟! !!

همست أخيراً بخفوتٍ و أناملها لا تنفك عن تلاعبها الرقيق بياقة قميصه.. فما  
كان منه إلا أن ابتسم لها ابتسامته التي تأسرها.. بينما أخذت أنامله المبادرة  
في تخلل أصابعها..

قبل أن يلتفت ليرمق عامل الإصطبل الذي كان يقف على بعد منهما.. و ما إن  
رفع هذا الأخير أنظاره له.. أو ما له جاد في حركة كان مغزاها حثه على  
إخراج الأحصنة لأجلهما..

الأسود له.. و الأبيض لـسارة- !!!

ثم بعد دقائق.. كانا يقفان سويًا في الساحة الكبيرة.. كانت سارة تهتم بهم  
بامتطاء حصانها حينما اقترب منها جاد ليقف في مقابلها تمامًا..  
ثم همس على مقربة من وجهها بنبرة تحمل العبث أكثر من اللطف الذي  
يحاول إظهاره ؛

\_ هل تحتاجين إلى مساعدة... من نوع ما ؟!!

كان قريباً جداً منها.. و قد تأمل أن يسمع الموافقة منها.. لكنها و بذلك الغرور  
الذي يتلبسها كلما تعلق الأمر بموهبتها و عشقها الفطري.. رفعت يدها  
لتضعها على صدره و كأنها تشكل حاجزاً وهمياً بينهما..

حاجزاً... رقيقاً؟! شديد الرقة !!

ثم همست له مبتسمة بسحر خلاب يناقض جوابها.. بدون أن تبتعد إنشً واحداً  
عنه ؛

\_ قطعاً لا.. لكنك ربما تحتاج إليها بعد أن أفوز عليك !!

لم يتمالك جاد أمر ابتسامته التي تألقت على شفثيه رغماً عنه.. لكنه رفض  
الإستسلام.. فهمس و هو يضم خصرها للمرة الثانية و يميل على أذنها  
بصوتٍ أكثر سحراً من صوتها ؛

\_ سأحاول أن أخسر.. لو وعدتني بأن التعويض... يستحق !!

عاد ليرفع عينيه إلى عينيها و كأنه ينتظر جوابها بالفعل.. و قد جاءه  
الجواب.. حينما قالت سارة بتشدد و استخفاف ؛

\_ تحاول؟! أنت خاسر منذ الآن..

التفتت عنه فوراً لتصعد حصانها بخفة.. فتنهد جاد أخيراً و هو يتراجع قليلاً  
ليمتطي حصانه برشاقة مثلها.. ثم نظر لسارة التي بادلتها النظر بابتسامة  
جميلة جداً مليئة بالتحدي.. و قال رافعاً أحد حاجبيه ؛

\_ سأحاول أن أفوز إذا.. ماذا ستكون جائزتي لو فعلت؟! !!

هزت سارة كتفيها ببساطة.. مردفة بغرور حقيقي ؛

\_ ألا أكفي أنا؟! أي جائزة تريد بعدي؟!\_

مجددًا عادت الابتسامة لتتألق فوق شفثيه.. لكنه رغم ذلك همس يتظاهر  
بالجدية بينما العبث و التسلية تتطاير من عينيه ؛

\_ و لو.. معك كل الحق.. لكنني أريد جائزة رغم ذلك.. الخاسر سيتنازل و  
يمتطي حصان الآخر.. اتفقنا؟!\_

اومأت سارة بالإيجاب بدون أن تتخلى عن ابتسامتها.. فمال جاد عليها القدر  
الذي سمح له وضعه و هو يهمس ؛

\_ الحقيقة أنني رابح في كلتا الحالتين !

كان مبتسمًا باتساع.. يتأملها بحب و نهم.. و لم يتوقع أبدًا حركتها التالية.. إلا  
حينما امتدت يدها لتدفعه من كتفه.. ثم انطلقت بخفة مبتعدة عنه بحصانها  
الأبيض في لمح البصر..

استغرق جاد لحظتين في الاستيعاب.. قبل أن يهتف باعتراض و هو يلحق بها  
بسرعة ؛

\_ لحظة.. هذا غش !!

لكن سارة لم تهتم.. فقد كانت ملامحها المشرقة بالحب ممتلئة بالتصميم هي  
تبتعد أكثر و أكثر.. و هو خلفها بمسافة قريبة..

و ظل السباق قائمًا بينهما لدقائق..

الحقيقة أن غرورها كان في محله.. فقد باءت كل محاولاته للوصول إليها  
بالفشل تباعًا.. إلى أن تمكن أخيرًا من اللحاق بها ليصبح في مستواها..

و حينها فقط هتف بزهو من نفسه ؛

\_ ألم أخبرك بأنني فائز في كلتا الحالتين؟!\_



ضحكت سارة بقوة و هي تطلق العناق لحصانها أكثر.. و كادت أن تجيبه.. إلا أنها تسمرت فجأة تمامًا.. حينما داهمها دوار قوي جعل من قوة سرعتها تنخفض و تنخفض بشكل سمح له بتجاوزها بمنتهى السهولة.. بينما ظلت هي.. تنظر أمامها بعينين زائغتين.. تشعر بأنها تفقد قدرتها على التحكم بالحصان تمامًا..

كان رأسها قد بدأ يميل بها و الأرض تدور من حولها في خطّ دائري تدعوها للإستسلام.. فقط الإستسلام و السقوط..

لكنها رغم ذلك ظلت تحاول تلقف بعض الأمل.. تحاول و تحاول بعزيمة لطالما تميزت بها..

إلى أن شعرت فجأة بأنفاسها تختنق في صدرها.. و طعم الدماء في فمها و على أنفها.. بينما صوت ضحكاته المرتفعة.. يتخلل أذنيها من البعيد جدًا..

حاولت أن تهتف باسمه.. فخرج صوتها لاهنًا ضعيفًا جدًا.. و قد كان هو غافلاً عن كل هذا.. فلم يلبث صوت ضحكاته أن ارتفع أكثر و أكثر و هو يبتعد أكثر بحصانه..

لكن شعورًا من خواء غريب جعله يعقد حاجبيه قليلاً مدرغًا بأنها لم تعد خلفه.. فاستدار باحثًا عنها بالقرب منه.. لكن كل ما رآه من مكانه البعيد.. هو خطوات الحصان التي أخذت تتباطئ بعشوائية..

بينما سارة تبدو و كأنها في عالم غير هذا العالم.. هل ربما... استسلمت؟! أم شعرت بالإرهاق!!!

لم يفكر أبدًا و هو يدور حول نفسه بغاية العودة إليها و الإطمئنان.. لكنه تسمر تمامًا.. و جحظت عيناه برعب كبير و هو يراها تكاد أن تسقط بالفعل..

أما سارة.. فما كان منها بعد جهد مرير رغبة في التماسك إلا أن... استسلمت

!!

استسلمت تمامًا لجسدها و هو يמיד بها إلى الورا إلى أن سقطت بكل ثقلها  
فوق الأرض.. لتصدح صرخة من البعيد هزت أرجاء المكان ؛

\_سارة!!!!!!

كان هذا صوت جاد الذي لم ينتظر أكثر و هو يقفز بخفة عن ظهر الحصان  
ليقترب منها راضًا بجنون..

رغم أنه كان يستطيع أن يعتمد على الحصان بالفعل.. إلا أن حرارة الخوف  
التي استفحلت قلبه لم تسمح له بالتفكير أبدًا..

اقترب منها بخطواتٍ راضة يكاد أن يفقد صوابه.. إلى أن وصل إليها و  
سقط جاثيًا على ركبتيه بجانبها..

امتدت يده الإثنان لترفعان جسدها الفاقد لحيويته إلى صدره.. ينظر بعينين  
جاحظتين إلى عينيها اللتين كانتا شبه مفتوحتين..

لكنهما سرعان ما انسدلتا باستسلام تام..

فجحظت عيناه أكثر بجنون الخوف و هو ينقلهما لا يزال غير مستوعبًا بين  
كل ملامحها التي بدت إليه لأول مرة شاحبة لهذا الحد..

رأى ذلك الخيط الرفيع من الدماء الذي كان ينساب من تحت فتحة أنفها كذلك  
اليوم.. لكن اليوم بدا منظره.. بدا أشد رعبًا.. فقد كانت قد فقدت الوعي بالفعل

!!

كان يسمع صوته يهتف بذعر و كأنه ليس صوته.. بينما أنامله المرتجفة  
تربت على وجنتها لتبعد شعرها عن جانب وجهها بحركاتٍ خرقاء ؛

\_سارة.. سارة افتحي عينيكِ حبيبتي.. افتحي عينيكِ.. سارة.. هل أنتِ

بخير.. سارة.....!!!!!!

و بينما كان هو يحاول اجتذاب و عيها ليطمئن دقات قلبه التي ارتعدت  
برؤيتها هكذا..

كانت سيلين تقف أمام غرفة سارة بترددٍ..

رفعت يدها بامتعاظ قليلاً و هي تفكر بأنها أصبحت مضطرة بالفعل لطرق الباب قبل دخول غرفة أختها..

\_كله من أجل السيد جاد المبجل..

همست بغیظ و هي تطرق الباب مرة بعد أخرى دون أن تجد ردًا من الداخل.. فزفرت و هي تمسكُ بالمقبض لتفتحه و تدلف بخطواتٍ حذرة بينما تهتف تلقائياً ؛

\_سارة.. كنت أريد أن أستعير مجفّف الشعر الخاص بكِ.. هل أنتِ هنا؟!!

لم يقابلها سوى الصمت التام.. فاقتربت من الشرفة لتتفقدّها لكنها كانت فارغة أيضاً.. زفرت بتضايق و هي تعود إلى الغرفة مجدداً شاعرة بالحنق.. و لم تتردد كثيراً و هي تقترب من طاولة الزينة هامسة لنفسها ؛

\_لنستعيره بدون إذنٍ إذاً.. ما دامت السيدة المصون تلهو مع زوجها..

فتحت واحداً من الأدراج الخاصة بالمنضدة لتقع عينيها عليه فوراً.. فأمسكت به و هي تكاد أن تغلق الدرج بعفوية.. إلا أن شيئاً ما لفت انتباهها و جعلها تتردد في إغلاقه فوراً..

كانت ورقة بيضاء مطوية بعناية و محفوظة في نهاية الدرج.. و فوقها تماماً.. قنينة عطر تخصّ سارة..

نظرت لها سيلين عاقدة حاجبها قليلاً.. لكنها بأمانة.. حاولت أن تقمع فضولها الذي يحثها على اقتحام كل خصوصيات أختها و هي تهز رأسها بلا فائدة هامة بالخروج..

لولا أن فضولها كان قاتلاً و مزعجاً إلى درجة منعها من الإبتعاد أكثر من خطوة.. و بدلاً من الخروج.. عادت لتقترب من الطاولة باستسلام لتضع المجفّف فوق المنضدة و تفتح الدرج حاسمة أمرها..

سحبته بخفة من تحت العطر مانحة نفسها كل الأعذار عن كونها مجرد ورقة و أن أختها التي لا تخفي عنها أي سر لن تمنع أو تنزعج لو وقع شيء يخصّها بين يديها..

رفعتها إلى عينيها لتفتحها بهدوء مدققة النظر بعينين هادئتين.. لكن الهدوء سرعان ما تحول إلى عاصفة هوجاء اندلعت بداخلهما..

و جحظت عيناها بصدمة تشابه صدمة جاد قبل قليل و هي تنقل عينيها بسرعة بين السطور المتلاحقة مصعوقة ممّا قرأه..

فقد كانت نفسها.. ورقة نتيجة التحليل الذي قامت به سارة قبل فترة.. تلك التي توضح أنها مصابة ب.....اللويميا !!

---

كالمجنونة الفاقدة لصوابها بدت و هي تذرع الغرفة ذهابًا و إيابًا.. الورقة لا تزال بين يديها تكاد أن تتمزق تحت ضغط أناملها على جانبيها.. بينما عيناها..متسعان بنفس النظرة منذ دقائق طالت..

إنها تستوعب.. و لا تستوعب !!!!

دموعها أيضًا كانت تشاركها نفس الجنون و هي تسقط واحدة تلو الأخرى لتحرق وجنتيها و تجلد قلبها بسياط الصدمة..

ارتفعت أناملها تتخلل خصلات شعرها الناعمة بانفعال تام إلى أن استقرت فوق جبينها ناظرة للورقة عاجزة عن الفهم حتى الآن..

عقلها متوقف عن العمل تمامًا لكن خفقات قلبها تتدافع بسرعة لا متناهية..

رن هاتفها فجأة..فانتفضت و هي تخرجه من جيب بنطالها لتمسك به بأنامل ترتجف بشدة..

" سليم "

نظرت للاسم بوعي غائب و أناملها تتحركُ بغير شعور منها لتفتح الخط و  
تضع الهاتف فوق أذنها غير قادرة على لفظ كلمة واحدة.. إلى أن جاءها  
صوت سليم يقول بتوجس ؛

\_سيلين !!

صوته الذي خرج محملاً ببعض القلق.. كما لو أنه منح الإذن لصوتها  
بالإرتفاع.. فهتفت باكية برعب و هي تنحني إلى أن جلست فوق الأرض على  
ركبتيها ؛

\_سليم !!!!!

كان ندائها نداء استنجد و عذاب.. جعل من عينيه تتسعان خوفاً.. ثم لم يلبث  
أن استقام بسرعة بعد أن كان مستنداً إلى سيارته المتوقفة أمام المزرعة..  
و همس يبتلع ريقه بقلق شديد ؛

\_هل أنتِ بخير ؟!!!!

لم تستطع سيلين أن تقول شيئاً بعد.. صمتت تماماً بعد ندائها لكن بدلاً عن ذلك  
فقد ارتفع صوت بكاءها ممزقاً قلبه..

فعاد ليهتف بجزع بينما يقترب بسرعة من المزرعة ليتجاوز الباب الرئيسي  
حيث سمح له الحارس هناك بالدخول و يطرق الباب الداخلي الذي كان مغلقاً  
اليوم على عكس العادة ؛

\_سيلين !! لماذا تبكين حبيبتي ؟! أنا.. أنا أمام المنزل.. سأدخل حالاً.. أين أنتِ  
!!!!

فتحت له الخادمة الباب فاقتحم المنزل بدون إذن و هو يهتف بقلق متجهًا إلى  
السلام ؛

\_أين الأنسة سيلين ؟!

\_في غرفة الدكتورة سارة سيدي..

قالت الخادمة برسمية و هدوء.. فلم ينتظر سليم و هو يقطع الدرجات راکضاً  
بسرعة..

نقل عينيه بحيرة بين الغرف العديدة المغلقة حوله و هو يتذكر الآن فقط بأنه  
لا يعرف أين غرفتها و لا أين غرفة سارة بالضبط.. فزفر و هو يقترب من  
الحاجز المطل على الأسفل ليهتف بالخادمة ؛

\_ أين غرفة السيدة سارة ؟ !!

قالت الخادمة بنفس النبرة و هي تشير بيدها إلى اتجاه معين و قد انتقل بعض  
من القلق المنتشر في ملامحه إليها تلقائياً ؛

\_ أول غرفة بعد أن تتخطى هذا الرواق..

اندفع سليم إلى الغرفة بسرعة ليترك الباب أولاً.. ثم يفتحها مضطراً عندما لم  
يصله أي رد.. و هناك اتسعت عيناه أكثر بذعر و هو يراها تجلس فوق  
الأرض.. تحمل بين يديها ورقة معينة تنظر إليها بحدقتين محمرتين بشدة..  
ضائعتان تماماً و كأنهما فقدتا إدراكهما للعالم.. بينما الهاتف ملقى بجانبها على  
الأرض.. و على ما يبدو فقد نسيت أمره تماماً..

\_ سيلين !!

هتف بسرعة و هو يقترب منها ليجلس القرفصاء بجانبها.. قبل أن تمتد يداها  
بسرعة لتحاوط وجهها ناظراً لها بجزع..

\_ ما الخطب ؟ !!! هل حدث مكروه لسارة ؟ !!!

الاسم لوحده جعل سيلاً من الدموع الجديدة تنساب على وجنتيها  
بحرارة.. بينما ارتعشت أناملها فوق الورقة التي كانت لا تزال تحديق بها  
بضياح تام..

فرمش سليم و هو يخفض عينيه لينظر إلى ما تنتظر له..و سرعان ما كانت  
عيناه تجحطان أكثر صدمة..و هو يقرأ و يستوعب فحوى ما تحمله الورقة  
التي أوصلت حبيبته إلى هذا الحال !!!

---

في مكان آخر..لم تكن حالة جاد بالأفضل من سيلين..كان يقف مستنداً إلى  
الجدار بظهره..أمام الغرفة حيث أدخلوا سارة قبل قليل..ينظر إلى الأرض  
بأنفاسٍ لاهثة و عينين تائهتين بلا هدى..

منظر الدماء التي كانت تسيل من أنفها..و فقدانها لتوازنها فوق الحصان ثم  
سقوطها..بالإضافة إلى شحوبها و الإرهاق المستحدث الذي ما انفك يلاحظه  
عليها منذ فترة..كل تلك التفاصيل..كانت توجب من ذعره عليها..

لكنه رغم ذلك ظل يقبض على أنامله بقوة..عاقداً حاجبيه بشدة متشبثاً  
بالأمل..يتفاءل بأنها ربما تكون أعراض طبيعية لمشكلة بسيط..

هي ستكون بخير..لا بد أن تكون بخير !!

مرّ وقت طويل و هو يقف مكانه..عيناه الضائعتان لا تفارقان الأرض..إلى  
أن سمع صوت انفتاح باب الغرفة..يرفع رأسه مندفعاً لينظر إلى الدكتور..ثم  
هتف بتلعثم و هو يقترب منه بسرعة ؛

\_رجاءً طمئن قلبي..هل...هل هي بخير ؟!!!!\_

بطريقة ما..كانت عينا الطبيب تحملان نفس الحيرة التي احتوتها عيناه..و  
قال و هو ينظر له بتدقيق ؛

\_هل أنت من أحضرت المريضة إلى هنا ؟!\_

قال جاد بأنفاسه المتسارعة لهفة و خوفاً ؛

\_نعم..أنا زوجها..\_

صمت الدكتور للحظة.. قبل أن يفتح فمه مجددًا لكن لا ليطمئننه.. بل قال يلقي عليه سؤالًا جديدًا بينما يعقد حاجبيه قليلاً ؛

\_ هل.. زوجتك تعاني من أي مرض ربما.....

صمت فجأة ما إن صدح رنين هاتف جاد فجأة.. فأخرجه جاد بسرعة من جيب بنطاله.. و امتلأت عيناه ببعض الدهشة و هو يرى اسم... "سليم" !  
يا الله.. إنه ليس في مزاج مناسب أبدًا لتحمل أي معضلة أخرى قد تكون السبب في اتصال هذا الشاب به..

فتح الخط على مضض ليرفع الهاتف إلى أذنه.. يشعر بأن هذا الإتصال لن يكون عاديا أبدًا.. و هو لم يكن عاديًا بالفعل.. فما إن فتح الخط حتى سمع صوت سليم يقول من الجهة الأخرى بقلق ؛

\_ مرحبًا جاد.. هل سارة معك !!؟

صمت جاد قليلاً متفاجئًا من هذا السؤال.. لكنه رغم ذلك أجاب بخفوتٍ و بنبرة باهتة ؛

\_ نعم.. معي..... لماذا !!؟

شعر بالتردد الذي اكتسح سليم و هو يقول متلعثمًا ؛

\_ لا أعرف ماذا أقول في الحقيقة.. هل.. هل سارة بخير !!؟

\_ ماذا تقصد !!؟

الآن هتف جاد ببعض الحدة غير قادر على تمالك أمر أعصابه المتشنجة.. و قد فاقم الجواب من وضعه أكثر و هو يسمع سليم يقول بنفس نبرته المترددة الخرقاء ؛

\_ أ.. أقصد هل... هل.....

زفر جاد بعصبية و هو يهتف مقاطعًا ؛



\_ماذا تريد أن تقول؟! تكلم بسرعة!!!

و مجددًا صمت مزعج.. فأغض عينيه بياسٍ شديد.. ثم قال و هو يزفر تنهيدة طويلة مرهقة ؛

\_سارة سقطت من فوق ظهر الحصان اليوم.. لقد فقدت وعيها و اضطرت لأخذها للمشفى.. سليم.. هل تعرف شيئًا؟! أرجوك أخبرني إن كنت تعلم!!!

ساد الصمت للحظاتٍ أخرى كان قد شعر فيها جاد بالإستنزاف و هو ينتظر ردًا.. بينما كان سليم ينظر بألم نازف إلى سيلين التي كانت لا تزال تجلس مكانها منذ أن أتى عاجزة عن الوقوف أو الإستجابة لأيّ من محاولاته في تهدئتها أو إخراجها من هنا.. بعيدًا عن هذه الورقة..

ثم ابتلع ريقه بصعوبة ليهمس بصوتٍ حاول أن يضيف إليه البعض من الثبات عبثًا ؛

\_سارة مصابة... باللويميا!!

لم ينتظر طويلًا أن يسمع الجواب الذي يعلم بأنه لن يسمعه من جاد.. فأنزل الهاتف فورًا و عاد ينخفض بجانب سيلين التي كانت قد سكنت تمامًا و كأن نوبة انفعالها انتهت بعد أن استوعب عقلها بأن البكاء لن يفيد!!!

كانت لا تزال تحرق بتلك الورقة غير قادرة على إزاحة عينيها عنها.. فانتظر سليم لحظة.. قبل أن يمد يده برفق إلى أن تمسك بيدها مناديًا بصوت خافت على مقربة منها ؛

\_سيلين!

لم ترد كما توقع.. فتنهد و هو يهمس مجددًا بنبرة أكثر رفقًا ؛

\_علينا أن نذهب يا سيلين.. سارة تحتاجك!

بمجرد أن ذكر الاسم..كانت ترفع رأسها نحوه بسرعة.. لتنتقل عينيها بين  
عينه و كأنها تسأله بلا صوت..تسأله السؤال الذي لا يستطيع لسانها  
تكوينه..

و كان الجواب أن اوماً لها بالإيجاب..قبل أن يطرق برأسه قليلاً هارباً من  
عينيها..يحاول أن يكبح انسياب تلك الدموع المخترنة بين رموشه..

لكنه لم يستطع فهمس باختناق غير قادر على النظر إلى عينيها ؛

\_سارة في المشفى !!!

---

" سارة مصابة باللويميا "

لم يعلم بأن الطبيب كان لا يزال يقف مكانه..ينتظره أن ينهي اتصاله الذي  
يبدو في غاية الأهمية..إلى أن انتهى..و تسمر مكانه متسع العينين..تاركاً  
الهاتف على أذنه حتى بعد أن تم إغلاق الخط من جهة سليم..

كان غير مستوعباً..سارة مصابة ب...ماذا !!!

لم يشعر بفمه الذي انفرج على همسة لاهثة..خرجت محملة بذهول و صدمة  
و ذعر و...عدم فهم !!!

همسة خرجت كالهذيان لتصل إلى مسامع الدكتور ؛

\_اللويميا !!!!

فقط..همسته تلك كانت بمثابة إجابة للدكتور الذي نظر له بتعاطف لم يلحمه  
جاد أبداً و هو يتجاوزته ناظراً إلى كل مكان حوله بعينين ضائعتين..ضائعتين  
تماماً !

شعر بأنفاسه تخونه فرفع يده إلى قلبه الذي كان ينتفض كطائر صغير  
مسكين مصاب إصابة خطيرة جداً..لا أمل في النجاة منها أبداً !

لكن حركته تلك.. لم تنجح في التخفيف من حدة مشاعره و لو قليلاً.. فارتفعت  
يده أكثر ليفتح أول زرين من قميصه و كأنه على وشك الإختناق بالفعل..  
كلما تكررت الكلمة في أذنيه.. شعر بقدميه تصبحان هلاميتين أكثر.. إلى أن  
توقف مستنداً إلى الجدار بيده.. يحاول عبثاً أن يستعيد القليل فقط من ثبات  
أنفاسه..

قبل أن يتركه أخيراً ليكمل طريقه بغير هدى.. بخطواتٍ شبه مترنحة إلى أن  
تجاوز بوابة المشفى الرئيسية.. و نزل الدرجات القليلة أمامه.. ليتوقف أخيراً  
في منتصف حديقة المشفى..

كان كل شيء يبدو غير مألوفاً إليه.. العالم يدور من حوله.. و يدٌ وهمية تمتد  
من الفراغ لتعصر قلبه و روحه.. عيناه زائغان تخبران كل من ينظر لهما  
بأنه على وشك السقوط في أي لحظة !

و قد كان سيسقط بالفعل لولا أن قبضت يد قوية على ذراعه لتسنده.. فرفع  
رأسه ليجد شاباً يقاربه في العمر تقريباً يقف ناظراً له ببعض القلق.. ثم قال و  
هو يظنه أحد المرضى ؛

\_\_ هل أنت بخير سيدي ؟!

لم يجب جاد.. بل لم يحاول حتى.. فقد طرف بعينيه بتركيز ضائع و هو يدفعه  
بفضافة في حركة لم يشعر بها..

ثم لم يلبث أن استدار عائداً إلى المشفى كشخص عاجز عن تمييز  
طريقه.. كشخص فقد قدرته على النطق و التحرك و الفهم..

كشخص مجنون بالفعل.. هذا ما همس به الشاب لنفسه و هو يهز كتفيه بلا  
مبالاة !

تململت في الفراش الطبي و هي تفتح عينيها بصعوبة قليلاً لتلتقي أنظارها فوراً بالسقف الأبيض..

مهلاً.. هي تعرف هذا المكان..سقف أبيض..جدران بيضاء و.....

نفس ثقيل محمل بارهاق شديد غادر شفيتها و هي ترفع أناملها ببطء شديد لتبعد جهاز التنفس الذي كان يغطي أنفها..بعد أن استوعبت مكانها و استعاد عقلها الذكرى المؤلمة لسقوطها من فوق الحصان..

لقد سقطت من فوق الحصان مغشياً عليها أمام جاد..و هي في المشفى الآن  
!!!

رباه..ها هو نفس الشعور الذي لطالما خافت منه يختلجها...الإختناق الشديد  
!!

و كأنها مقيدة بهذه الأسلاك المتصلة بها من كل مكان.. تعجز عن التحرك..عن الوقوف و الضحك بانطلاق..مجرد جسد هزيل قد يتأذى لأدنى حركة !!

لكن الألم الحقيقي..كان ألم إدراكها بأن خطتها في إخفاء ما تعانيه باءت بالفشل..الجميع يعلم الآن..لا بدّ أن الجميع بات يعلم !!

كانت أقصى أمنياتها أن لا تزور المشفى أبداً قبل أن تموت..لكن يبدو أن للقدر رأي آخر..القدر قرّر منح كل أحبائها نصيبهم من الألم !!!

على بعد خطواتٍ منها..خارج الغرفة..كان جاد يقف خلف النافذة الزجاجية..ينظر لها من مكانه بدموع مرهقة...مثل قلبه !!

رفع يديه ليمسح دموعه بحزم ضعيف..ثم زفر بقوة و هو يقاوم انسيابها أكثر ليقترّب من الباب بسرعة..توقف خلفه للحظة بتردد..قبل أن يفتحه و يدخل..

لكنه رغم ذلك لم يستطع أن يتقدم أكثر من خطوة نحو الداخل..بدا و كأن قدميه تنمردان على أمر عقله الذي يعجز حتى الآن عن استيعاب ما يعيشه..

إنها سارة.. حبيبته.. صديقة الطفولة و زوجته.. تلك التي ترقد اليوم بضعف فوق ذلك السرير الطبي.. بينما وجهها شديد الشحوب يكاد أن يماثل السقف الأبيض لونه بشكل يدعو قلبه للخوف أكثر..

هل سيفقدها؟!!

طوال حياته لم يتخيل أن يعيش تجربة كهذه.. طوال حياته التي تمركزت حولها.. التي راقبها فيها بإخلاص.. يراها تكبر و تكبر أمام عينيه.. جمالها الساطع يتضاعف في عينيه كل سنة و البريق في عينيها يسرق ثبات قلبه الذي كنّ لها الحقد و الحب معاً في الماضي!!  
لكن الحقد انقشع اليوم.. و بات حُبه أقوى و أقوى..

إنها المرة الأولى التي يستشعر فيها لذة أن يمنح الإنسان كل كيانه للحب.. المرة الأولى التي يكون فيها سعيداً بين ذراعيها.. التي يشعر فيها بأنه إنسان على قيد الحياة.. لا مجرد نكرة!

رجل تلاطمت أمواج بحره لتلقي به في متاهات لم ينجح بالخروج منها إلا بعد أن تكبد أضراراً جسيمة جداً..

لكن... هل خرج منها بالفعل؟!!

لقد انتهى الحلم بمنتهى السرعة.. لقد سرقت منه السعادة التي انتظرها و تمناها طوال حياته الكئيبة.. عائلته الوحيدة على وشك..... الرحيل عنه!!!  
عند هذه الفكرة وجد عينيه تتسعان فجأة.. و هز رأسه بالنفي و كأنه يطرد فكرة مزعجة جداً من عقله عبثاً.. ثم عاد ينظر لها.. و للعجب.. فقد وجدها أيضاً تنظر له..

كانت تنظر له بعينين مرهقتين.. و لأول مرة يشعر بالكره الحقيقي يجتاحه نحو نفسه..

منذ متى و هي تخفي هذه الحقيقة المريرة عنه؟! كيف كان غافلاً عن ألمها  
طوال هذه المدة؟!!

كيف استطاع أن يتجاهل شحوبها و تعبها مأخوذاً بنعيمه المستحدث معها  
!!!! كيف كبلت السعادة قلبه و عينيه فأصبح كالأعمى... عاجز عن قراءة  
دواخلها!! و هو من كان أقرب إليها من أنفاسها.. لم يستطع أن يقرأ الحقيقة  
من عينها!!

الإرهاق المائل في عينها.. لم يمنع ابتسامتها الخلوة عن شق طريقها إلى  
شفتيها ببطء.. لكنها بدت أكثر ضعفاً من أن تستطيع مناداته اليوم..  
ففردت يدها نحوه في دعوة صريحة منها للتمسك بها.. تاركة ابتسامتها تتألق  
في عينها أكثر رغم الألم المُستعر بهما.. عيون القهوة!!!!

للحظات عجز عن الإقتراب.. ظل ينظر لها من مكانه كطفل معاقب بالإبتعاد  
عن أمه للأبد.. لكنه رغم ذلك يقف بعيداً ليراقبها دون أن يقترب خوفاً من أن  
تتلاشى صورتها في عينيه ما إن يلمسها!!

لكنه في النهاية.. لم يستطع أن يخذل ندائها.. فتحركت قدماه ناحيتها.. يقترب  
منها ببطء شديد و عينين تحملان وميض ابتسامة دامعة متألمة..  
إلى أن توقف بجانبها لوهلة.. و امتدت يدها معاً لتلتقطان يدها..

لم يستطع أن يقف أكثر.. شعر بقدميه ضعيفتين و النزيف في قلبه يشتد.. فسقط  
على ركبتيه بجانب سريرها خائر القوى.. ليهمس بعذاب بينما يرفع يدها إلى  
فمه يطبع شفتيه في باطنها مغمض العينين..

مطرق الرأس كشخص فقد كل أمله في الحياة؛

لماذا.. لماذا لم تخبريني؟! لماذا لم تخبريني أنك.....

لم يستطع أن يكمل.. وقع الكلمة كان أقسى من أن يقدر على تحمله.. على  
عكس سارة التي بدت هادئة.. مسلمة بالواقع المرير و هي تكمل عنه هامسة  
بصوتها الشاحب بخفوت ؛

\_ أخبرك أنني سأرحل... إلى الأبد !!

أجفل بقوة من عبارتها القاسية هذه.. حتى أن عينيه جحظتا بشراسة جديدة  
عليه.. و ترك يدها في لحظة ليحاوط وجهها بقوة هاتفاً بصوتٍ خافتٍ مشد  
غارق في الخوف ؛

\_ لن ترحلي.. لن ترحلي.. أنت لا يمكنك أن ترحلي !!!!

لم تتجاوب سارة مع نبرة صوته و نظرة عينيه.. بل و حتى لم تحاول  
التخلص من ضغط يديه.. فقد كانت أشد إرهاباً من أن تستطيع.. فاكتفت بأن  
أغمضت عينيها باستسلام و هي تهمس ؛

\_ سيلين ؟!

أرغم جاد نفسه بصعوبة على التحرك إلى أن جلس بجانبها على طرف  
السريير.. و عادت يدها لتمسكان بيدها بينما يردف بصوتٍ ميت ؛

\_ هي أيضاً أصبحت تعرف.. الجميع يعرف..

نظر لجانب شفيتها الذي ارتفع بما يشبه شبح ابتسامة ضعيفة.. ثم همست من  
بين أنفاسها المجهدة ؛

\_ كالعادة ستكون مختبئة في مكان ما هنا ! لا أستبعد أن تكون تسمعنا الآن !

و قد كانت تسمعها بالفعل.. على ذلك الجدار الملاصق للباب المفتوح.. كانت  
تتكأ.. تقف مستندة إليه ناظرة أمامها بلامح تجسد الصدمة بكل مظاهرها..

بينما سليم.. يقف في مقابلها.. يراقبها منذ أن أحضرها بنفسه إلى هنا.. الحزن  
يكتسح قلبه قبل عينيه و العجز يكبل ذراعيه اللتين تحترقان لاحتضانها إلى  
قلبه.. و لبت ذلك قد يغير من واقع معاناتها شيئاً !!

أما فؤاد.. فقد كان يجلس على أحد الكراسي.. رأسه مستند إلى الجدار  
كسليين.. يشاركها نفس الصدمة لكن بطريقة أخرى.. فقد كانت ملامحه  
فارغة.. لا تتم عن تعابير و كأنه مجرد تمثال حجري لا مشاعر له !

\_ساعدني لأجلس..

سمع جاد هذه الهمسة من سارة.. فنظر لها بعينيه الدامعتين بينما يهمس بنفس  
نبرته ؛

\_لكن الطبيب قال أن.....

لكنها قاطعته بثباتٍ و هي تطالع السقف الأبيض ؛

\_لن يحدث أيّ شيء.. ليس بعد..ساعدني !

ليس بعد !! هل من المفترض أن تشعره هذه العبارة بالراحة الآن !!!

كان يبدو مثلها.. مجهدًا و كأنه هو من يكابد المرض لا هي.. و بمشقة.. نفذ لها  
طلبها و هو يحاوط كتفيها ليرفعها برفق إلى أن أصبحت نصف جالسة.. و قد  
استبدلت و سادتها غير المريحة بصدرة الدافء..

\_أظن بأنك لا تزال مدينًا لي بشيء..!

سمع صوتها يهمس باستكانة.. فأخفض رأسه قليلاً ليقابل عينيها المحتقنتين  
بإعياءهما.. حينها همست مبتسمة و هي ترفع يدها لتمسح دمعة حزينة من  
فوق وجنته ؛

\_جائزة الفائز التي تنصّ على أن نمطي نفس الحصان سويًا !!

لم يتفاعل جاد مع مزاحها.. فقد انسابت دموعه أكثر.. تحرّرت بضعفٍ كما  
تمنى أن يتحرّر من ضعفه أمامها ذات مرة..

هذا الضعف مرتبط بها.. هذا الضعف الكامن في عينيه و الألم الكبير  
لأجلها !!



من كان يظن بأن ذلك الشاب الذي عاد بعد سنواتٍ طويلةٍ رغبة في التلذذ في عقابها و الإنتقام على حساب ألمها..سيمنحها ذات يوم.. هذه النظرة !!  
تلك النظرة التي تجعلها تؤمن بعبارة قالها من بين عبارات كثيرة..

" أنتِ تجعليني على قيد الحياة !! "

كانت عيناها دامعتان مثله.. و رغم ذلك..همست تتمسكُ في حبال الابتسامة المنقطعة باستماتة ؛

\_ لكن لا بأس..سنفعلها في يوم ما..ستكون أنت القائد بالطبع..و سأجلس أنا أمامك..بينما تطوقني بذراعيك مانعًا عني كل الأذى...كما تفعل الآن !!!

كان ذراعه على خصرها بالفعل..يضمها إلى قلبه و كأن كل مواطن الأمان تقبع هناك..لكن...أيّ أمان !! إنه يجلس مكبل الأيدي ينظر في عيني حبيبتة.. عاجز تمامًا عن منع أذى المرض عنها..عن حمايتها من...القدر !!!

لم يستطع أن يصمد أكثر أمام عينيها المبتسمتين..فعاد ليحتضنها إلى صدره بقوة مستندًا بذقنه إلى قمة رأسها.. مطبقًا عينية على دموع جديدة لم ترها.. إلا أنه سمعها تهمس مجددًا بنفس نبرتها ؛

\_ أطلب من تلك الجبانة أن تدخل..أريد رؤيتها..

انفطخت سيلين بقوة و كأنها تعرضت للصفع بعد هذه الجملة..و سرعان ما كانت تحفز نفسها على الإبتعاد..تريد الإبتعاد عن تلك النسخة من أختها..تريد الهروب..

هي لن تستطيع..لن تستطيع الصمود أمام هذه الصورة الضعيفة لأختها..لا تستطيع...و لا تريد !!!

همّت بالذهاب..كانت ستقطع ذلك الممر و تهرب من هذا الكابوس بجلدها.. لكن قبضة رفيقة على مرفقها منعتها.. فالتفتت لتقابل وجه سليم الذي قال يمنعها بجديّة ؛

\_ لا تفعلني هذا يا سيلين.. لا تهربي بهذا الشكل !

هزت سيلين رأسها بالنفي عاجزة عن إيجاد كلمة للرد.. فقد كانت دموعها تقف كغصاة في حنجرتها.. تمنعها عن التنفس السوي حتى.. فقال سليم بحزم كبير رغم اختناق نبرته ؛

\_ لا تفعلني ذلك بها !! أعلم أنك أيضاً تحتاجين لهذا.. ترغبين في الدخول إليها.. في ضمها إلى صدرك بقوة لعلك بين أحضانها تتناسين كل شيء.. لا تحرمي نفسك من هذه اللحظة.. لا تكسري نداءها بهذا الشكل.. ستندمين...  
صدقيني !

كلماته كانت تزيد من عذاباتنا..

لا تكسري ندائها "الأخير"... لا تحرمي نفسك من هذه اللحظة التي قد "لا تتكرر" لاحقاً..

ستندمين....."بعد رحيلها" !!!

كل كلمة تقتحم عقلها بمعناها الصحيح تترك تأثير السوط فوق الجلد على قلبها..

زمت شفيتها على شهقات ترفض أن ترحمها و هي تنقل أنظارها بين عينيها اللتين كانت تحفرانها على التراجع.. وبين والدها.. ذلك الذي بدا و كأنما فقد روحه بالفعل و جثته فقط من تنظر لها بهذا الذبول و الضياع..

ثم باستسلام موجع.. رفعت يدها لتمسح العبرات المتساقطة على وجنتيها بأنامل خرقاء.. قبل أن تتجه إلى غرفتها بخطوات متخاذلة.. إلى أن توقفت في حاجزها غير قادرة على التقدم للحظات كجاء..

و قد كان هذا الأخير.. يجلس بجانب أختها.. يحتضنها بقوة غير طبيعية.. يدقق النظر في الجدار أمامه بعينيها المتسعيتين و أطرافه ترتجف بشكل ملحوظ و كأنه يخشى في لحظة ما أن يخف من ضغطه حولها.. فتتلاشى !!!

و قد تحقق كابوسه ما إن لمحها.. وجد نفسه مرغمًا على تحريرها.. فخفف من ضغط ذراعيه حولها على مضض.. لكن أنامله عادت لتستقر فوق وجنتيها.. قبل أن يطبع شفثيه على جبينها بقوة..

و يقف بصعوبة مقتربًا من سيلين.. تلك التي كانت عيناها تحدقان في نقطة معينة.. لم ترمق سارة بنظرة واحدة كاملة منذ وقوفها.. مر من جانبها إلى أن تجاوزها و غادر الغرفة باستسلام مغلقًا الباب خلفه بهدوء..

توقف للحظة مكانه مطرق الرأس بوجع نافذ.. قبل أن يتقدم خطوتين فقط ليرتمي فوق المقعد بجانب خاله.. ثم سرعان ما كان يشعر بكفّ سليم الذي ربت على كتفه بمواساة.. و ليبتها تجدي !!

بينما بداخل الغرفة.. اقتربت سيلين ببطء.. تتقدم خطوة لتراجع مثلها بخوف.. إلى أن وصلت إلى سارة أخيرًا لتجلس في طرف السرير مطرقة برأسها.. تعجز تمامًا عن النظر لها مهما حاولت..

\_\_ إذا؟!!!!

سمعت هذه الهمسة التي صدرت من سارة بعد عدة لحظاتٍ من الصمت.. ظلت تنتظرها فيها بصبر أن ترفع رأسها لكن بلا جدوى..

كانت هناك ابتسامة حنونة مرهقة على شفثيها.. لم تلمحها سيلين التي ظلت مطرقة الرأس لثوانٍ أخرى و كأنها لم تسمعها..

إلى أن رفعت رأسها ببطءٍ شديد.. لتقابل عينيها بعينيها الحمرأوين.. و اللتين احتوتا نظرة عتاب لم يغفلها قلب سارة.. فانتسعت ابتسامتها بحزن.. و همست بحنان جارف ؛

\_\_ من الأفضل أن ألتزم الصمت تمامًا.. أليس كذلك؟!!

زمت سيلين شفثيها للمرة الثانية بقوة.. و لم تستطع إلا أن تطبق عينيها بنفس القوة.. تشعر بأنها لا تنظر لأختها التي عاشت معها طوال حياتها.. فأختها لا يمكنها أن ترحل !

هي لم تتخيل حياتها يوماً بدونها.. و لا تستطيع أن تتخيل.. لا تستطيع !!!!  
حينما قابلت سارة الصمت المزعج منها.. عادت لتهمس برجاءٍ ؛

\_ اقتربي !

أنى لها أن تقترب؟! أنى لها أن تلامسها و تحتضنها بطبيعية؟! أنى لها أن  
تفعل أي شيء !!!

إنها خائفة.. خائفة بشدة !!!

ففي هذه اللحظة بالذات.. أيّ إيماءة.. أيّ تلميح.. أيّ نظرة.. تعتبر بمثابة وداع!  
و هي لا تريد وداعاً لا تريد !!!

لكنها لم تستطع أن تتقيد بموقفها أكثر حينما عاد صوت سارة الذي اختنق  
قليلاً ليصلها محملاً بنفس الرجاء ؛

\_ حسناً إذاً.. دعيه لا يكون عناقاً.. أمسكي بيدي فقط.. هل هذا ممكن؟!!

تعلقت أنظار سيلين بيدها الموصلة بمحلول الدواء.. و المفرودة نحوها.. ثم  
عادت تنظر لابتسامتها الدامعة..

قبل أن ترفع يدها لتمسكّ بها بقوة..

و حينها فقط.. كان صمتها يتفتت تماماً.. فهمست مطرقة برأسها مجهشة في  
بكاء مختنق و هي تحتضن يدها إلى قلبها ؛

\_ لا تتركيني.. لا تتركيني أرجوك.. سأموت.. سأموت لو حرمت يوماً من  
النظر إلى وجهك متى أشاء... لا أستطيع التحمل.. لا أستطيع التحمل...  
سأموت !

شاركتها سارة نفس العبرات المتألّمة لكن بصمت.. قبل أن تهمس بثبات لا  
تدري من أين لها به ؛

\_ و أنا سأموت قبل الأوان لو استمررت بكلماتك هذه !

أجهشت سيلين في نحيب مختنق أشد و هي تطرق برأسها أكثر.. غير قادرة على التحكم بنفسها.. فربتت سارة على رأسها بيدها الأخرى هامسة بعذاب ؛  
\_ ششش.. لا تضعفي بهذا الشكل يا سيلين.. أرجوك.. إنها سنة الحياة.. جميعنا سنموت يوماً ما.. جميعنا سنرحل !

همست سيلين من بين بكاءها و هي تهز رأسها بالنفي قطعاً ؛  
\_ لكنك صغيرة.. لا تزالين صغيرة جداً.. هذا ليس عدلاً.. ليس عدلاً أبداً.. ليس عدلاً..... !!

عاد شبح الإبتسامة ليشق شفاه سارة ببطء.. لكن هذه المرة كانت ابتسامتها غريبة.. ثم همست بنبرة أشد غرابة.. نبرة من تحاول مواساة طفلتها الصغيرة الباكية !

\_ ألسـتِ أنت أصغر مني ؟! إذاً أنا كبيرة !

انحنت سيلين على نفسها باكية بقوة و بصوت أشد ارتفاعاً بدا لسارة كصوت نحيب طفلة صغيرة على وشك فقدان أمها..

حاولت أن تلتزم الصمت.. لـتمنحها بضع لحظات فقط لعلها تقترب طوعاً سامحة لها بتلقفها في عناق تتمناه كلاهما.. إلا أنها عجزت تماماً.. فهمست تكرر الطلب السابق برجاء أكبر.. بعذاب أشد ؛

\_ اقتربي أكثر يا سيلين.. أنا مرهقة.. لو كنت أستطيع لكنت جذبتك بنفسى إلى حضنى.. اقتربي.. رجاء !

هل كانت تستطيع أن ترفض رجاءها أكثر ؟! حتى لو فعلت فهل تستطيع أن ترفض رجاء قلبها !!

اقتربت منها في لحظة واحدة لترتمي في أحضانها تكمل بكاءها هناك.. بينما أغمضت سارة عينيها متأوهة و هي تحاوط كنفها بقوتها الخائرة.. تضمها إلى صدرها بيد و تربت على شعرها باليد الأخرى..

إلى أن همست تغمض عينيها بحرارة بعد ثانية من الصمت ؛

\_ لا تذلي بهذا الشكل يا سيلين.. لا تنطفي أرجوك.. لقد كانت هذه أكبر مخاوفي.. لا أريد أن أرحل تاركة لكم مثل هذا الألم خلفي.. أريدكم أن تبتسموا.. دعوني أشعر بالفعل بأنني لا أزال على قيد الحياة.. أنا لا أزال على قيد الحياة.. ودموعكم هذه تشعرني بقرب رحيلي.. و أنا لا أريد أن أرحل بهذه السرعة.. ليس قبل أن أحضر حفل زفافك على الأقل !

\_ لن يحدث..

هتفت سيلين بصوتٍ متحشرج ببيكاءها في حضنها.. فقالت سارة عاقدة حاجبها قليلاً ؛

\_ ما هو الذي لن يحدث !!؟

قالت سيلين بعناد و تدمر و هي تندس في حضنها أكثر باكية أكثر ؛

\_ لن يحدث أيّ زفاف حتى تتعافين..

هزت سارة رأسها بياسٍ من هذه المجنونة.. إلا أنها لم تستطع أن لا تهمس بنبرة حزينة معاتبة ؛

\_ إذا تفضلين أن يحدث بعد موتي !

رفعت سيلين رأسها بسرعة مجفلة و كأنها لم تكن تبكي قبل لحظة خوفاً من تلك الكلمة.. فإومات سارة ببطءٍ و هي تطوق وجهها بيديها الإثنتين ؛

\_ هذه هي الحقيقة يا سيلين.. حقيقة قاسية جداً لكنها هي هكذا.. لقد سافرت إلى الخارج بحثاً عن العلاج و لم أجد.. قال الطبيب أن المرض في تزايد.. و كلما مرّ الوقت سأفقد قدرتي على شيءٍ محدّد.. أنا أشعر بأنفاسي تهرب مني.. و ربما غداً لن أستطيع الوقوف على قدمي.. و قد أموت في اليوم الذي بعده.. و أنا لا أريد أن أموت قبل أن أحضر زفافك.. أريد أن أقف عليه بنفسي.. على الأقل فليظن الناس بأنني بكامل صحتي !!

بدت سيلين و كأنها لم تستوعب كلمة واحدة ممّا قالتها.. فقد اشتد بكاءها  
أكثر.. فاستأنفت سارة برجاء حازم و هي تشدّد من ضغط يديها حول  
وجهها ؛

\_إدّا... هل ستحققين لي رغبتى ؟!!!

هزت سيلين رأسها بالنفي هامسة من بين دموعها ؛

\_لن يأتي أيُّ أحد... !

و مجددًا عقدت سارة حاجبيها بعدم فهم و هي تقول ؛

\_لماذا ؟! لماذا لن يأتي أيُّ أحد ؟!!!

رفعت سيلين يدها لتمسح دموعها عبثًا بينما تهمس بنبرة شابها بعض الغيظ ؛

\_بفضلك أنتِ و السيد جاد.. بارك الله في فضائك العنوية المتكرّرة..

لم تستطع سارة أن تكتم ضحكتها في هذه اللحظة.. ضحكة خافتة حزينة  
جذبتها بعدها إلى حضنها بقوة.. قبل أن تهمس بتحشرج مغمضة عينيها بينما  
ضحكتها تتلاشى ببطءٍ لتبقى ابتسامة شاردة فقط تخطّ شفيتها ؛

\_أنتِ قطعة مني.. روعي التي استودعتها لتكمل مشوار الحياة عني.. !

استشعرت حركة طفيفة بالقرب منها ففتحت عينيها لتلمح والدها يقف هناك..

و قد كانت نظرتة و شكله كافيين ليجعلانها تعود لتطبق عينيها بإرهاق

مضاعف !

يا الله.. هذا ما كانت تخاف منه.. هذا ما حاولت تجنبه و الهروب منه.. رؤيتهم

بهذه الحال تقتلها تمامًا أكثر مو المرض نفسه..

زفرت قليلاً و هي تبتعد عن سيلين بحزم.. قبل أن تفرد يدها نحو والدها.. و

قالت بإعياء واضح و استسلام ؛

\_تعال يا أبي.. أنا حقيقية أقسم لك..

---



## " الرmq الواحد و الثلاثون ؛ هل هي النهاية ؟ "

\_\_ لقد سمح لك الطبيب بالخروج..

سمعت هذه الكلمات الخافئة من جاد الذي كان قد يقف أمامها.. فرفعت رأسها بسرعة لتنظر إليه بتفاجئ.. فهي لم تتوقع أن يقدم على هذه الخطوة من أجلها.. حتى بعد أن توصلته أن يقنع الطبيب السماح لها بالخروج..

لكن ها هو ذا يتنازل مجددًا.. يتنازل مضطرًا لأجلها.. يثبت لها للمرة التي لا تتذكر كم بأن قرارها في الصبح.. و العودة كان صائبًا..

بأن تلك النسخة التي كرهتها ذات يوم تلاشت منه..

و الآن من يقف أمامها يناظرها بعينين صامدتين رغم الألم المترسخ فيهما.. جاد زوجها.. صديق طفولتها و حبيبها المخلص المتفهم..

يقف أمامها شاحب الملامح.. غير حليق الذقن.. مبعثر الأنفاس.. حزينا و متألما في حالة لم تره عليها من قبل.. يقف أمامها مستسلما بعد أن تنازل على مضمض لا لشيء.. فقط إرضاء لرغبتها !!

لقد أصبحت هذه وظيفته في الحياة.. أن يستبدل كل دمعة أحدثها بابتسامة حتى و لو كانت غير حقيقية تماما.. و أن يحقق لها كل رغباتها حتى التي لا تتوافق منها مع قلبه !!

همس لها يكمل برفق ؛

\_\_ أقنعتة بصعوبة بأن يسمح لك بشرط أن أحضرك كل يوم للمراجعة.. على أن تعودي بعد أن ينتهي الزفاف..

كانت سارة تجلس على طرف السرير.. ترتدي فستانها الأزرق البسيط الذي جلبه لها بنفسه كما حرص على أن يؤمن لها كل ما تحتاج..

ابتسامة امتنان صغيرة ارتسمت على أطراف شفثيها و هي ترفع يدها  
لنتمسك بيده و تتخلل أنامله برفق..

فانخفضت أنظاره تلقائياً تنظر لأيديهما المتشابكتين.. ثم ابتسم.. ابتسم و هو  
يتمسك بها رغم الدموع التي لا تزال تعصف بعينيه..

\_ألن تسندني؟!\_

همست بدون أن تختفي ابتسامتها.. فعقد جاد حاجبيه قليلاً.. آتھمس مستأنفة  
بنبرة ذات مغزى عميق و ابتسامتها الحزينة الجميلة ترفض أن تترك شفثيها  
؛

\_هل تتذكر؟ ذات مرة حينما أردت أن أتملص من يدك.. فأخبرتني بأنك  
لست الرجل الذي يترك زوجته تمشي بلا سند!! يومها ظننت بأنها مجرد  
جملة عابرة سرعان ما سأنساها.. لكن و كأنك كنت تقيدها بعقلي كلما كررتها  
على مسامعي.. لم أنجح.. كم من مرة كررتها؟!\_

لم يستطع جاد مجارة ابتسامتها.. فاكتفى بأن همس بصوتٍ خافتٍ شبه مختنق  
و عينين دامعتين قليلاً.. يحاول أن يبقي على ابتسامته الواهنة عبثاً ؛

\_ربما مرتين.. أو ثلاث على الأرجح!

النفث كلاهما فور سماعهما لصوت انفتاح الباب.. ثم دخول أحدهم.. و الذي لم  
يكن سوى الممرضة التي كانت تدفع كرسيًا متحركًا ما إن لمحتة سارة حتى  
اتسعت عيناها بما يشبه الذعر و هي تهتف ؛

\_أنا... أنا أستطيع أن أقف بنفسي!!\_

أوما جاد للممرضة التي نقلت عينيها بينهما بأسى.. ثم انتظرها بصمتٍ إلى أن  
غادرت.. قبل أن يخفض أنظاره إلى سارة.. و لم يتفاجئ و هو يرى معالم  
الرفض و الجزع تكتسح عينيها..

إلى أن هتفت بدون أن يعلو صوتها الضعيف بنبرة مزجت ما بين الإستنجاد  
و الرفض ؛

\_ لا أريد.. لا أريد أن أجلس في هذا الكرسي.. أنا لم أصبح ضعيفة إلى هذا  
الحد.. لا أريد يا جاد.. أرجوك لا أريد !

شعر جاد بقلبه يتفتت بنبرتها و هو يشهد بنفسه اختفاء ابتسامتها التي كانت  
تجاهد لإبقائها حية فوق ملامحها طيلة هذه الفترة.. ليحل محلها دموع مؤلمة  
ارتعشت لمرآها رموشه و جوارحه..

انخفض بهدوء إلى أن جلس القرفصاء أمامها.. ينظر إلى عينيها المُستجديتين  
بعينيه المطمئنتين رغم الألم المستعر بداخلهما..

قبل أن يمسك بيدها هامسًا لعينيها برفق و جدية حنونة ؛

\_ أنتِ لست ضعيفة.. لست كذلك حبيبتي.. لم تكوني و لن تكوني.. أنتِ فقط لا  
تزالين متعبة قليلاً.. لقد أقنعت الطبيب بصعوبة فائقة فقط من أجلك.. و رأيت  
كيف بعث لنا هذا بنفسه.. هذا يعني أنكِ تحتاجين للجلوس عليه فعلاً.. فقط  
اليوم لنتلافى أيّ تدهور في حالتكِ..

هزت سارة رأسها بالنفي باعتراض و دموعها تنساب أكثر كزخات المطر  
حارقة وجنتيها و فؤاده المكلوم.. فترك جاد يدها ليحاوط وجهها براحتيه  
مردفًا ببطءٍ بينما ينظر لجوف عينيها ؛

\_ ألا تحبين أن تحضري زفاف سيلين و أنتِ بكامل قوتكِ؟!!

انسابت دموعها أكثر و هي تهمس بضغفٍ شاعرة بالغصة تخنق حنجرتها ؛

\_ أريد.. أريد بالطبع.. لكنني لا أريد أن أخرج من المشفى مدفوعة فوق  
الكرسي المتحرك.. لا أريد.. عليكِ أن تفهمني !!

ظل جاد ينظر لها للحظاتٍ طالت.. دموعها تمزق قلبه بخناجر وهمية.. و  
عيناها المُستجديتان به تكادان أن تنسفان كل مقاومته و حزمه الزائف..

انحنى حاجباه قليلاً بوجع و هو يحرك أنامله فوق وجنتيها برفق ليمسح  
دموعها ناظرًا لملامحها التي تزداد شحوبًا كل يوم بحنان جارف.. و اللمعة  
في عينيها تناقض ما تحاول أن تصنعه من قوة..

قبل أن يرتفع قليلاً متكأ على ركبتيه فوق الأرض إلى أن قبل جبينها بعمق  
بدون أن يترك وجهها.. ثم جذبها إلى صدره يضمها بالكامل بين ذراعيه..  
فأغمضت سارة عينيها بقوة و هي تبادلته العناق بقوتها الضعيفة.. ثم همست  
بصوتٍ متهدج شاعرة بدفء ذراعيه يسري في أوردتها ؛

\_من يمتلك سندًا في الحياة لا يضعفه مرض و لا تكسره أي ظروف.. أليس  
كذلك؟!\_

أطبق جاد جفنيه بقوة بدون أن يجيبها.. لا يملك القوة ليجيبها.. لا تعلم بأنها  
سنده الوحيد الذي يحميه من ظلام الحياة..

سنده الذي قد يموت و ينكسر لو فقدته في يوم ما !!!

كانت أقسى أمانيه في هذه اللحظة أن يبقيا في حضنه إلى الأبد.. أو أن يفتح  
عينيها ليجد نفسه مستلقيًا فوق سريرهما..

ليكتشف ما إن يراها بجانبه.. أمانة سليمة من كل أذى.. بأن كل ما عاشه في  
هذه الأيام القصيرة جدًا...

هو كابوس من نسج عقله !!!

زفر بحزم و هو يبتعد أخيرًا على مضض.. يبتعد بجسده فقط تاركًا يديه على  
وجنتيها.. ليقول مبتسمًا بإخلاص هذه المرة.. بنبرة ذات معنى ؛

\_تعلمين أنني أبدًا لن أسمح لك بتكبد العناء و الوقوف في هذا الوقت بالذات !  
هزت سارة رأسها بالإيجاب هامسة بخفوت ؛

\_إذن؟!\_

فاتسعت ابتسامته الباهتة قليلاً و هو يستأنف بنفس نبرته التي ازدادت دفناً و  
حناناً ؛

\_إذن... هل تحبين أن تخرجي مرفوعة بين ذراعي ؟!

ابتسمت سارة بدموع و هي ترفع يدها لتلمس بها ذقنه برقة.. ثم همست تهز  
كتفها قليلاً بجذل ؛

\_إذا لم أكن ثقيلة جداً فلا أمانع !

و هنا.. لم يعد للكلام مكان بينهما.. فقد دفع جاد الكرسي بكل أدب إلى جانب  
معين.. ثم عاد يقترب منها لينحني عليها يدس ذراعاً تحت ركبتها و الآخر  
خلف ظهرها إلى أن أصبحت محمولة بين ذراعيه..

قريبة من قلبه تماماً كما يجب !!

---

بعد أقل من دقائق.. كانا يجلسان في المقعد الخلفي لسيارة سليم.. حيث كان هذا  
الأخير يجلس في مكانه المخصّص يقود بهدوء.. و سيلين في المقعد المجاور  
له..

كان يضمها إلى صدره بقوة.. يكاد أن يخفيها بين معطفه الذي أسدله فوق  
كتفها.. بينما هي غارقة في النوم كطفلة صغيرة أرهقها المرض فاخترت  
أن تلجأ للنوم لعلها ترتاح في أحضان أبيها !!

كانت نائمة بعمق.. ملامحها الشاحبة ساكنة تماماً و خطوط التعب و المرض  
مرتسمة تحت جفونها المنسدلة بضعف..

حتى أنها لم تستيقظ حينما توقفت السيارة أمام المزرعة.. و لم يحاول أن  
يوقظها.. فقد عاد ليحملها برفق بين ذراعيه ليصعد بها الدرجات الطويلة  
باتجاه غرفتهما..

إلى أن وضعها فوق السرير برفق و دثرها بقوة.. دثرها بقلبه و ذراعيه اللتين  
التفتا من حولها لتعيدانها إلى موطنها المُتمثل في صدره..  
و أطبق جفونه بقوة و هو يتمسكُ بها كما يتمسكُ المرء بقشة الأمل الأخيرة  
المتبقية في يده !!

---

طوال الوقت.. كانت محاطة باهتمام الجميع.. كل خطوة تتحركها.. كل ابتسامة  
أو دمعة.. كل ايماءة و ارتجافة تلامس جفونها.. تحدثت تحت أنظارهم..  
جاد لم يعد يفارقها إلا في أوقاتٍ نادرة و يكون مضطراً.. و سيلين طوال  
الوقت تراقبها بعينين يغزوهما الألم و الخوف..  
هي الأخرى لا تفارقها إلا مضطرة خلال ساعات الليل أو في اللحظات التي  
تكون فيها في غرفتها برفقة جاد..

حينها فقط تجد نفسها مجبرة على الإبتعاد قليلاً.. كارهة لجاد الذي يقف بينها  
و بين رغبتها في البقاء بجوار أختها في كل حين.. كلما أرادت..  
أما والدها.. فكأنما فقد هالته القوية في بضعة أيام.. سنوات عمره التي لم تكن  
تشكل فارقاً كبيراً.. أصبحت تظهر آثارها على وجهه.. و تجاعيد الزمن و  
كأنها ظهرت فجأة لتخط تقاسيمه.. كل من يراه.. يعلم بأنه مجرد أب  
عطوف.. يقف على شفا خوفه من خسارة فلذة كبده !!!

و بعد وقتٍ طويل.. ربما يومين.. أو ثلاث..

كان كل من سليم و سيلين و جاد و هي يجلسون في الحديقة.. و كعادتها  
مؤخراً كانت مندسة في صدر جاد الذي لم يبخل عليها بعطاء سخي من  
حنانه.. و في مقابلها.. سليم و سيلين..

\_دوري الآن..

صدرت هذه الهمسة من سيلين بحماس يعلم الجميع بأنه زائف.. بينما تدير  
القنينة الزجاجية فوق الطاولة الدائرية التي تتوسطهم..

راقبتها عيونهم بترقب و هي تدور و تدور إلى أن توقفت موجهة نحو سارة  
و جاد تمامًا.. بل بينهما تمامًا بشكل يدعو للحيرة.. و هذا بالفعل ما شعرت به  
سيلين التي قالت بإحباط بينما تنقل عينيها بينهما ؛

من منكما سأسأله الآن؟!

همست سارة مبتسمة برقة و هي تبتعد عن جاد لتستقيم في جلوسها قليلاً ؛

اسأليني أنا..

ابتسمت سيلين هي الأخرى و هي تسند ذقنها إلى قبضتها مفكرة.. ثم همست  
بينما ترمق جاد بنظرة عابرة.. أول سؤال خطر في بالها ؛

من تحبين أكثر ؟ أنا أم جاد؟!

انحنى جانبا شفتي سارة إلى الأسفل ببؤس و هي تسمع سؤالها الصعب.. إلا  
أن سيلين لم ترحمها و هي ترفع حاجبيها معًا بإصرار منتظرة جوابًا  
قاطعًا.. حينها قالت سارة مبتسمة بمراوغة ؛

ماذا ستقولين لو سألتك نفس السؤال؟! أنا أو سليم؟!

لم تحتج سيلين للحظة تفكير واحد.. قالت بسرعة و بديهية و بدون أدنى تردد  
يمنعها ؛

أنتِ بالطبع !

بدت و كأنها لم تستوعب إجابتها هذه إلا بعد أن خرجت بكل صدق من  
أعماق قلبها.. فعضت على طرف شفتيها قليلاً كشخص أوقع نفسه في ورطة  
كبيرة و هي تنظر لسليم الذي تسمر تمامًا بما يشبه الاعتذار..

ذلك الاعتذار الذي قرأه في نظراتها.. اعتذار البوح بالحقيقة !!

و كعادته معها..فقد منحها شبح ابتسامة تفهم لطيفة و هو يهز رأسه و كأنه  
يقبل اعتذارها بصدر رحب..

بينما ابتسمت سارة بشيءٍ من الأسى و هي تنظر لجاد بقلة حيلة..إلى أن  
همست بدون أن تبعد عينيها عن عينيه المبتسمتين لها بصفاء ؛  
\_إِذَا أَنَا أَيْضًا سَأَخْتَارُ.....\_

التفتت لسيلين لتردف موجهة الكلام لها بينما تمسكُ بيد جاد من تحتِ الطاولة  
متخللة أمامه في إشارةٍ منححت قلبه كل الرضا ؛

\_أَخْتَارِكِ أَنْتِ !

اتسعت ابتسامة سيلين تلقائيًا و قد اكتسبت بعض الغرور و الاستفزاز و هي  
ترفق جاد الذي لم تتغير ملامحه كثيرًا بنظرة خاطفة تحمل شعورها بالتشفي  
و النصر عليه..

قبل أن يقاطع سليم لحظة الصمت بصوته الهادئ و هو يدير القنينة مجددًا ؛  
\_حَسَنًا..و هذا جواب..دعونا نكمل..\_

هذه المرة..كانت القنينة تتوقف عن الدوران موجهة إلى سيلين..و كأنها  
انصاعت لأمر قلبه لتختار محبوبته..فرفع حاجبيه بتسلية و هو يهمس بغاية  
مشاكستها لا غير ؛

\_اممم..نفس السؤال..أنا أو أختك؟! من تختارين؟!\_

أمالت سيلين رأسها بتأنيب..فقال سليم مؤكدًا على سؤاله بنبرة قاطعة ؛  
\_قولي و أنتِ تنظرين لعيناي..\_

زمت سيلين شفثيها بغیظ أمام هذا الإلحاح المزعج..لكنها لم تجد بداً من أن  
تقول بترفع و هي تشيح بأنظارها عنه متعمدة..متمسكة بموقفها بينما تمسكُ  
بالقنينة لتديرها مجددًا..



\_ لن أجيب هذا السؤال لأنك تعلم مسبقًا ما إجابته !

نقلت سارة و جاد أنظارهما بين بعضهما بابتسامة تمكنا من قمعها بصعوبة قبل أن تنفجر إلى ضحكة من ملامح سليم المذهولة المنزعجة قليلاً و سيلين الحانقة و الممتعضة حرفياً منه و كأنه قد ألقى عليها سؤالاً مشبوها لا يحق له الإلقاء عليها..

دارت القنينة بسرعة إلى أن توقفت باتجاه جاد..فالتوت شفتا سارة قليلاً و هي تنظر له بمكر خفي..لكن سيلين من أخذت مبادرة سؤاله فهمست بنبرة مزعجة رغم هدوءها و لطفها الظاهري ؛

\_ أخبرنا الآن يا جاد..

بصعوبة حتى تمكن جاد من ترك عيني سارة لينظر لها باهتمام..فقالت بهدوء و حاجبها يرتفع بشر ؛

\_ ألسنت منزعجًا من سارة لأنها تفضلني عليك !؟

و كأنها منحته رفاهية تأمل سارة كما يجب..فعاد يتطلع بـ"مستودع القهوة" خاصته بحب..و بادلته سارة التحديق بنفس ابتسامتها التي حملت شيئاً من التحدي..

لكنه تلاشى و ظل الحب فقط يسكنهما و هي تشعر بأنامله التي تحركت بداخل أناملها لتأخذ الزمام عنها متمسكة بها أكثر بينما يردف بعمق ؛

\_ أبدًا !

ثم رفع رأسه لسيلين ليضيف متعمدًا استفزازها ؛

\_ ثم إنها لا تقال بتلك الطريقة..هي لا تفضلك علي..هي فقط تسايركِ لأنك اخترتها بدل سليم..

انعقد حاجبا سيلين باندهاش و حنق شديد منه..و همت بالإجابة عليه باندفاع لكن سارة همست تسبقها بتأنيب ؛

\_جاد!!!!

رفع جاد حاجبه بتهكم و هو ينظر جانبًا..بعيدًا عن سارة التي زفرت و هي تقول بضيق حقيقي منه بينما تترك يده فجأة ؛

\_إنه يمزح فحسب..رغم أن هذا المزاح لم يعجبني.. سأصعد إلى غرفتي..  
وقفت مندفعة بسرعة..لكنها و ما كادت تتحرك خطوة واحدة حتى كانت تفقد توازنها فانخفضت قليلاً مستندة بيدها إلى الطاولة تلهث أنفاسها التي تسارعت فجأة..و سرعان ما وجدت نفسها محاطة بهم جميعا في لحظة واحدة..

\_أنت بخير؟! بماذا تشعرين!!!؟

كان هذا صوت جاد الذي هتف بجزع و هو يتمسك بذراعاها..لكن سارة دفعت يده بحنق و هي تغمض عينيها الزائغتين عن الرؤية قليلاً بقوة قبل أن تفتحها مجددًا آملة أن تستعيد البعض من قوتها..

رفع رأسها تنظر بين سيلين التي كانت تقف من الجهة الأخرى متمسكة بها و جاد الذي يقوم بنفس الحركة..و هتفت بهما سويًا بانفعال حقيقي ؛

\_هل ستستمران على هذا المنوال؟! هل أنا قطعة قماش لتتنازعا عليها في كل مرة؟! أنا..أنا تعبت بالفعل...أحتاج أشخاصًا أسوياء بجانبني لا أن تتشابكوا على أمور تافهة في كل مرة نجتمع فيها!!

شتمت سيلين نفسها بداخلها بغضب مكبوت لم تظهره ملامحها الحزينة و هي تقف وراء سارة..تضم نفسها إليها مسندة ذقنها إلى كتف أختها..بينما همس جاد و هو يشعر بتدهور الحوار ؛

\_أنا آسف!

رغم أن الاعتذار في ظاهره كان موجه لسيلين.. لكن عينيه كانتا تعتذران لها هي فقط.. لهذا الإنفعال الذي يراه في عينيها المرهقتين بسببه.. و مثله.. همست سيلين متراجعة بخفوت ؛

\_ و أنا أيضاً..

ثم نظرت لسارة لتقول برجاء و هي تتمسكُ بها أكثر ؛

\_ لقد اعتذرنا.. هيا اجلسي.. رجاءً !

و قبل أن ينالها تردّد الرغبة في الإنسحاب سمعت صوت جاد يهمس هو الآخر بنفس الرجاء ؛

\_ دعينا لا نفسد مزاج هذه الليلة... اجلسي !

حينها فقط.. كانت تتنهد و هي تعود لتجلس بالفعل.. فعاد سليم أيضاً.. و عادت سيلين إلى مكانها ناظرة لها بقلق.. لكنها سرعان ما طردته بمشقة عن ملامحها..

لتزيف ابتسامة حاولت أن تجعلها مرحة و هي تدير القنينة استعداداً للسؤال الجديد ؛

\_ دعونا نرى على من سيأتي الدور هذه المرة..

---

\_ غاضبة؟!!

قال جاد و هو يقف في الشرفة وراء سارة التي ما إن دلفت إلى الغرفة حتى توجهت إلى هنا بصمت.. ظل يقف في مكانه ورائها.. على بعد خطواتٍ منها لعدة لحظات..

قبل أن يقترب بهدوء حينما لم يصله أيُّ ردٍ منها.. و لم يتردد في رفع ذراعيه إلى أن حاوط خصرها الرفيع من الورااء برفق هامساً بصوتٍ أجش بجوار أذنها ؛

\_ أعتذر على ما قلته لسيلين... آسف !

لم ترد مجددًا.. ظلت ساكنة بين ذراعيه.. ذقنه على كتفها و يديه على  
خصرها.. بينما عيناها.. ساكنتان.. تتأملان السماء السوداء..

تنظر لنجمة واحدة بين كل النجوم.. كما اعتادت أن تفعل في آخر فترة.. و  
لاحظ جاد عاداتها هذه في الوقوف هنا كل ليلة لوقتٍ طويل و مراقبة السماء  
لكنه لم يعلق..

شعر بتهيبتها الطويلة.. قبل أن ترفع يدها لتلمس ذقنه بأناملها نعومة بدون أن  
تلتفت.. و همست بصوتٍ مستكين هادئ ؛

\_ لم أعد أستطيع أن أغضب منك !

تأوه جاد بصوتٍ مكتوم و هو يغرق أنفاسه في خصلاتٍ شعرها متمسكًا بها  
أكثر.. لكنه لم يلبث أن اضطر للإبتعاد قليلًا فقط حينما شعر برغبتها في  
الإلتفات إليه..

و التفتت إليه بالفعل بهدوء لتقابل عينيه.. و حينها فقط همست مبتسمة بشقاوة  
مُحبية إلى القلب ؛

\_ لكن بما أنكِ اعتذرت فسأسامحك بشرط !

همس جاد يبادلها الإبتسامة بأخرى باهتة و هو يتخلل خصلات شعرها برقة  
؛

\_ ما هو !!؟

لمح ابتسامتها تتألق أكثر.. و لمعة الحب تظهر في حدقتيها جليًا.. ثم لم تلبث  
أن رفعت يدها لتتمسك بيده تخرجها من مخبأها بين خصلات شعرها هامسة  
بنبرة مميزة ؛

\_ أن تمنحني... رقصتي الأخيرة معك !

" الأخيرة " !!!!

تسللت هذه الكلمة إلى قلبه كالسهم القاتل.. فبهتت ابتسامته أكثر و أكثر إلى أن  
اختفت تمامًا و أخذت معها بريق عينيه..

و تراجع قليلاً برأسه فقط ناظرًا لها بطريقة غريبة و كأن كلماتها أيقظته على  
حقيقة كان قد نسيها..

أو ربما حاول أن يتناساها !

طال الصمت قليلاً بينهما و جاد ينظر لها بعينيه المتألمتين.. الفارغتين.. كمن  
تمّ طعنه في الصميم.. إلى أن تمالك نفسه قليلاً.. فقال بصوت يرتجف ؛

\_ سأمنحها لك.. لكنها لن تكون الأخيرة بالطبع !!

أومات سارة بثباتٍ بدون أن تخفي ابتسامتها و كأنها تسايره فقط.. لكنه رغم  
ذلك اختار أن يصدق إيماءتها تلك.. فأخرج هاتفه ليرفعه إلى عينيه بغاية  
انتقاء أغنية ما..

لكن سارة اختطفته من يده فجأة.. و استقرت عيناها على شاشته بتركيز  
كأناملها التي أخذت تضغط الأزرار بخفة باحثة عن أغنية معينة..

إلى أن اندلع اللحن الكلاسيكي الجميل.. و اتسعت عينا جاد بغير تصديق..

" قولي أحبك كي تزيد وسامتي.. فبغير حبك لا أكون جميلًا ! "

شحبت ملامحه تمامًا و هو ينظر لها غير مصدقًا.. إلا أن سارة بدت أكثر من  
هادئة و هي تهمس رافعة أحد حاجبيها ببساطة ؛

\_ لماذا تنظر لي بهذه الطريقة !؟

قال بصوت أكثر شحوبًا من نظرتة.. يتعثر في كلماته المتوترة ؛

\_ لكن.. هذه الأغنية.. هذه الأغنية.....

كل ما صدر عنه حروف غير مترابطة و عقله يستعيد يوماً بعيداً.. و رقصة  
ساحرة بعيدة.. أول رقصة بينهما على هذه الأغنية.. فهل يمكن أن تكون هذه  
آخر رقصة لهما؟! على نفس الأغنية!!!

أمسكت سارة بكلتا يديه لتلفهما حول خصرها بهدوء مقاطعة كلماته الخرقاء  
بعد أن وضعت الهاتف فوق سور الشرفة.. ثم رفعت ذراعيها سوياً تحاوط  
عنقه ناظرة لوجهه بابتسامة جميلة.. جميلة جداً..

قبل أن تهمس بصدق تام محدقة في أعماق عينيه ؛

\_ ألا تعلم؟! أنا تصالحت مع كل شيءٍ يخصّك... يخصّنا !!

طرف جاد بعينيه و هو يحركُ يديه على خصرها ليتمسكَ بها أكثر.. ثم همس  
بغير اقتناع و هو يقترب من وجهها البهي ليجاريها في خطواتها الرشيقة في  
الرقص ؛

\_ هل فعلتِ... حقاً؟!!

همست سارة بصيغة الأمر و هي تدور بين ذراعيه لعدة مراتٍ برقة إلى أن  
عادت يدها لتستقر فوق صدره برفق ؛

\_ حقاً... الآن قل بأنك تحبني !!

قال جاد بلا أيّ لحظة تردّد و هو يميل بها إلى الورااء متمسكاً بخصرها و قد  
زال عنه كل الشحوب مؤقتاً ؛

\_ أحبك !

إلا أن سارة لم تكتفي بسماعها لمرة واحدة.. فعادت تهمس بشغفٍ و هي  
تتجاوب مع كل حركة تصدر منه ؛

\_ قلها مجدداً...

كان ظهرها الآن موازيًا لصدره.. ذراعاها معتقلان لذراعيه.. و ملامحها قريبة جدًا من ملامحه.. حتى أنها شعرت بأنفاسه الدافئة تلفحها و هو يكرّرها ببطءٍ أمام عينيها تزامنًا مع مقطع لطالما أحبته في هذه الأغنية..

" الآن قولها.. لا تترددي.. بعض الهوى لا يقبل التأجيلًا ! "

\_أحبك.. ألا يفترض أنني أنا من أطلب منك أن تقولها !

ضحكت سارة برقة و هي تتمايل بفعل يده التي تبعتها تارة بدون أن تترك تمسكها بها لتعود و تجذبها نحو صدره تارة أخرى..

و رغم ذلك فقد عادت تهمس محاوطة عنقه بذراعيها ؛

\_لا يهمني.. قلها مجددًا..

و أخيرًا رأت ضحكة حقيقية تصدر منه.. ضحكة خافتة ساحرة همس بعدها بحرارة و هو يقربها أكثر منه ملامسًا صدغها بشفتيه بينما الألحان الشقية تطرب مسامعها..

\_أحبك.. أحبك.. أحبك.. أحبك إلى ما لا نهاية...

ثم عاد يهمس لها مبتسمًا و هو يستند إلى جبهتها بجبهته ؛

\_هل شبعت الآن؟!

هزت سارة رأسها بالنفي بعناد فوق جبينه.. فانعقد حاجباه قليلًا بصرامة.. ثم لم يلبث أن انحنى بخفة و في حركة مباغتة ليرفعها عاليًا بين ذراعيه كطفلة إلى أن حطت يداها فوق كتفيه متشبثة تلقائيًا..

و هتف و هو يرفع رأسه عاليًا إليها.. يستمع بشجن إلى صوت ضحكتها الذي ارتفع أكثر ينعش قلبه المتألم ؛

\_أحبك.. أعشقتك.. أهيم بك.. هل اخترع طريقة جديدة للاعتراف بالحب؟! أم ربما عليّ فقط أن أهتف بها بصوتٍ مرتفع لتخترق آذان كل النائمين في هذا

القصر الكبير؟! ما رأيك!!!

كان قد بدأ يدور بها أثناء هتافه و هو يسمع صوت ضحكاتها يعلو أكثر و أكثر..بينما تركت أناملها كتفيه لتفرد ذراعيها في الهواء و هي تدور أكثر و أكثر بين ذراعيه كعروسة الصندوق الموسيقي..

كعصفورة تعانق شعور الحرية بعد سنين من السجن..و فستانها الأبيض الرقيق الذي يتطاير بنعومة يزيد من جمالية هذه اللوحة التي رسمتها عيناه..

إلى أن أنزلها على قدميها أخيراً..و حينها فقط هزت رأسها بالإيجاب و صوت أنفاسها المتلاحقة ينافس صوت ضحكاتها التي كانت قد بدأت تتلاشى بعض الشيء مخلفة أثر ابتسامة متسلية سعيدة بحق فوق شفثيها..

\_ اهتف كما تشاء..

لكنها لم تتوقع أن ينفذ لها هذا الأحق رغبتها..إلا حينما فتح فمه يهم بالهتاف بالفعل بصوتٍ مرتفعٍ شقّ سكون المكان و دمر عذوبة الألحان الساحرة ؛

\_ أحب.....

لم يستطع أن يكمل..فقد رفعت سارة يدها لتكمّم فمه بسرعة..و هتفت بخفوتٍ و هي تنظر له بابتسامة ذهول ؛

\_ لست جادة يا مجنون..ستدمر هييتي بين أفراد عائلتي !!

قال جاد و هو يعود ليلصق جبينه بجبينها مبتسماً ملأ روحه المنكسرة ؛

\_ و لو..أنا " جاد " !!!

تألقت ابتسامتها أكثر كطفلة صغيرة تم تخصيصها بكلمة مدح مميزة و هي تقول رافعة أحد حاجبيها بصرامة زائفة ؛

\_ جاد خاصتي !!

و لم يتردد جاد و هو يهز رأسه بالإيجاب لعدة مرات..قبل أن ينخفض في لحظة خاطفة ليدسّ ذراعه تحت ركبتيها و الآخر خلف ظهرها إلى أن حملها بين ذراعيه..و همس لها بسحر و هو يعود بها إلى الغرفة ؛



## \_ جاد خاصتكِ فقط !

وضعها برفق فوق السرير.. لكنها لم تترك عناقه رغم ذلك.. و لا هو استطاع أن يحررها من حصاره الدافء..

فمال عليها مستجيبًا لأسر ذراعيها و أناملها التي تخللت خصلات شعره برقة ليغرقها في عاطفته الدافئة مدغدغًا بشرة عنقها الناعمة بشفتيه الجريئتين..

إلا أنه بعد لحظة واحدة.. رفع رأسه ليقابل عينيها.. و رأت سارة العذاب الكامن الذي اكتسح حدقتيه بعد أن فقدتا كل أثر للإبتسام و الضحك الذي كان قبل قليل.. ليحل محله لمعة دموع احتقنت بجوفهما..

فابتسمت.. منحته ابتسامتها المحملة بحزن عميق و حب أعمق.. لكنه عجز عن الإبتسام مثلها.. فاكتفى بأن مد يده إلى شعرها و كأنه سيلمسه.. إلا أنه توقف على بعد إنشأت منه بدون أن يلمسها..

و قد عادت تلك النظرة لتستوطن عينيه.. و كأنه يخشى أن يلمسها فيكتشف بأنه كان يراقص و يمازح السراب قبل قليل..

و كأنه يخشى أن يتناسى نفسه في عشقها... فتموت بين ذراعيه !!!

شعرت سارة بنيران الألم تحرق قلبها.. فرفعت يدها هي هذه المرة ببطء لتلمس ذقنه حيث كان مستلقيًا بجانبها.. مقبلًا عليها بوجهه و عينيه..

و همست ببطء و هي تتمسك بالأخرى بيده لتقربها من وجنتها و كأنها تمنحه صكّ الأمان ؛

\_ المسني جاد.. أنا هنا معك.. لن أتحول إلى سراب لو طرقت عينيكَ في

لحظة خاطفة بعيدًا عن عيناى !!!!

بدا جاد و كأنه لم يسمعها.. ظل ينظر لها لعدة لحظات بلامحه المعقدة و عينيه الدامعتين.. قبل أن ينخفض ببطء ليخفي معالم وجهه في تجويف عنقها.. بينما سقطت يده تعنصر الوسادة بجانب رأسها..

فأطبقت عينيها بتألم و هي تسمعه يهمس فوق بشرتها بصوتٍ مكتومٍ مختنق  
يتخبط خوفاً من الفراق الوشيك ؛

\_ لا أستطيع أن أخسرك بعد هذا العمر.. لا أستطيع أن أخسرك.. ليس  
بعد.. ليس الآن!!!!!!!

رفع وجهه ليقابل وجهها مجدداً.. و همس بانفعالٍ مكتومٍ و هو يحرك نفس  
تلك اليد ليحتوي بها وجنتها.. و شرعت أنامله تصنع دوائرًا و همية هناك و  
كأنه يحاول أن يتأكد من حركته تلك بأنه يلمسها حقًا ليس إلا..

\_ لا أستطيع أن أخسرك الآن.. ليس الآن.. ليس الآن و لا في أي وقت.. لا  
أستطيع أن أخسرك!!!!

كان قد فقد سيطرته على دموعه الحارقة.. فترك وجهها و استقام مبتعدًا  
عنها.. لكن سارة أبت أن تسمح له بالإبتعاد..

فاستقامت هي الأخرى إلى أن أصبحت جالسة فوق السرير.. و هو بجانبها  
ينظر بعيدًا عنها.. يخفي دموعه الضعيفة التي لمحتها بقلبها..

امتدت يدها نحوه لتلامس ذقنه برفق إلى أن جعلته ينظر لها.. و ما إن فعل.. و  
لمحت دموعه التي بنت في قلبها قلعة من الألم..

همست له ببطءٍ و حكمةٍ شديدين و هي ترفع يدها الأخرى لتلامس موضع  
قلبه حيث كانت خفقاته تتدافع كهذيان المطارق ؛

\_ لن تخسرنى.. لا يمكنك أن تخسرنى بعد الآن لأنني أعيش هنا !!!

أخفضت عينيها لتتنظر إلى حدود يدها المستقرة فوق قلبه هامسة بصوتٍ  
مختنق بدموعها التي انسابت تجاوبًا مع دموعه ؛

\_ هنا تمامًا.. أعيش أنا !

عادت لتتظر في عينيه المعذبتين.. و ساد بعض الصمت بينهما.. صمت مرفق  
بأنفاسه التي ما لبثت أن ازدادت وتيرتها.. قبل أن يرفع جاد يديه ليطوق  
وجهها.. و همس على مقربة من عينيها بأمل ضعيف ؛

\_ دعينا نحاول أكثر !! لما لا نسافر مجددًا أنا و أنتِ؟! هل تعرفين مقولة  
الأطباء الشهيرة.. "الأمل دائماً موجود لو تمسكنا به"..لما لا نتمسكُ به إذاً  
لآخر مرة؟! أنا لا أصدق بأن هذه هي النهاية.. لا يمكن أن يكون الأمل  
منعدمًا في حالتكِ لهذا الحد !! ربما كل ما علينا فعله هو.....

\_ ليس علينا فعل أيّ شيء !!

تسمر مكانه تمامًا و هو يسمع هذه الجملة التي خرجت محملة باليأس من  
طرفها.. قبل أن تكمل بنبرة إقرار بينما دموعها تنساب أكثر و أكثر مواسية  
لدموعه ؛

\_ لم يعد بمقدورنا فعل أيّ شيء يا جاد.. لقد سافرت بالفعل بحثًا عن العلاج  
أخبرتكِ.. لكن... لا أمل !!!

شحبت ملامح جاد و كأنه يسمع هذه الجملة لأول مرة.. و كأنه يعيش صدمة  
اكتشافه لمرضها مجددًا..

بينما زمت سارة شفثيها قليلاً على دموع جديدة.. و همست بصوتٍ متحشرج  
خافتٍ جدًّا و هي تقترب منه إلى أن لامست جبينه بجبينها.. تلك الحركة التي  
تعشقها.. و التي تجعلها أقرب إليه..

\_ أنا لن أعود للمشفى يا جاد.. لن أعود لا الآن و لا بعد أن يتم زفاف  
سيلين.. أنا لا أريد أن ألفظ آخر أنفاسي هناك.. لا أريد أن أموت وحيدة بعيدة  
عن بيتي و غرفتي و عائلتي و...حضنك !!! لا أريد أن أفقد قدرتي على  
الوقوف.. لا أريد أن أفقد آخر فرصة لي في الإبتسام.. لا تحاول أن تجبرني  
أرجوك لأنني.. لن أفعل!.. نعم.. هناك أمل.. الحقيقة أن لدي الكثير من الأمل  
لأتمسكُ به.. أمل قضاء آخر أيام حياتي معكِ.. بجواركِ.. الأمل في أن أترك  
لكم جميعًا ذكريات جميلة عني تعيشون عليها من بعدي.. الأمل في أن

أستطيع أن أجعل علاقتك بأبي و أختي أفضل.. أن أموت مبتسمة مرتاحة  
البال و أنا أترك خلفي عائلة متماسكة.. لا أريد أن أموت في المشفى  
جاد.. أريد أن أموت بين أحضانك.. أن تكون عينك آخر ما أنظر له.. أن أمهد  
لكم الطريق للعيش من بعدي و أمنحك وداعًا يستحقه كل واحد منكم.. عليك  
أن تفهمني.. أرجوك افهمني !!!

أطبقت عينيها بقوة مع نهاية كلامها المؤذي.. الجراح بالنسبة إليه.. كلامها  
المحمل بقسوة لا يستطيع تحملها.. أطبقت عينيها كأناملها التي انغلقت حول  
ياقة قميصه الأبيض تعصره بقوة..

و كانت هي من تغرق أنفاسها في عنقه الآن.. تبثه ضعفًا و خوفًا يكاد أن  
يلتهمها.. الخوف من فكرة موتها بعيدًا عنهم.. من فكرة أن تمر آخر أيام  
حياتها هباءً متمسكة في أمل ضعيف قد يقودها للموت وحيدة خائفة القوى  
!!!

كانت عيناها متسعتان بعد نهاية كلامها.. يدها مرتفعتان في الهواء بدون أن  
يحتضنها.. أنامله تنقبض حول نفسها بعنفٍ غير عابئ بالألم الذي أحدثته  
براحة يده.. استشعار ألم خفيف كهذا.. هي رفاهية لم يعد يمتلكها !!

الآن كل آلام الدنيا تركز في قلبه.. لقد ضاعت منهما الكثير من الأيام  
بالفعل.. كان بإمكان تلك الأيام و الشهور التي أمضيها في صراع دائم مؤلم  
أن تكون أجمل أيام حياتهما..

كم من السعادة التي حرم قلبه و قلبها من اعتكافها؟! كم من ابتسامة كبح  
وصولها إلى عينيها.. كم من دمعة ذرفت عيناها قهراً و ألماً بسببه!؟

حتى فرصتها في استشعار معنى الأمومة لأول مرة نسفها !!!

لقد قتل الأمل في مهده منذ أن عاد عازماً على الإنتقام لتشوهِ روحه الذي لا  
دخل لها به.. لا يحق له مطالبتها الآن بالتمسك في حبال الأمل القابلة للتمزق  
في أي لحظة !!!

لقد قتلها مرة من قبل و كان سلاحه..الخدلان بعد الحُب !!! فهل يقتلها للمرة الثانية لو أصر..لو أجبرها على ما لا تريد..على ما لا تقوى عليه نفسها؟! وجد نفسه يطبق عينيه مثلها بقوة شديدة..بعنفٍ شديد..نفس العنف الذي التفت به ذراعاه من حولها..و كأنه يتمنى أن يزرعها بداخل صدره..لعلها هناك تنال كفايتها من الأمان الذي تحتاجه..

و همس بحرارة مختنقة و هو يشعر بذراعيها تلتفان من حول عنقه..تضمه بقوة مماثلة ؛

\_جاد..و قلب جاد..و أنفاس جاد..تحت أمرِك..قرّري ما تشائين حبيبتي..افعلي ما تشائين..أنا بجوارِك..دائمًا سأكون معك..أقرب إليك من أنفاسِك..غير سامح لكِ حتى بالتقاطها بدوني !!!

---

دموعنا كالمطر الذي يغسل مآسي قلوبنا..نكره انسيابها متناسين أن لا شيء كالدموع قادر على قتل الألم و الخوف بداخلنا..حتى لو كانت مجرد قطرات ندية لن تغير شيئًا في مستقبلنا !

و كذلك كانت دموعه التي كان يحاول كبها بصعوبة.. مضطر هو على الابتسام كلما نظر لها..ابتساماته يملأها التفاؤل الكاذب و الأمل المنعدم..

الأمل الذي مات في مهده !!!

كانت سارة تقف أمامه في غرفتهما..ترتدي فستانًا ورديًا شاحبًا رقيقًا كملامحها تمامًا..ملامحها تزداد ضعفًا كل يوم..كما يزداد وميض ابتسامتها كل يوم !!

لقد كانت تتحدى الموت الذي ما لبث يقترب بخطواتٍ ثابتة منها بإصرار..تتحداه أن يحزنها..فيفشل أمام حزمها المبهر !!!

\_مستعدة؟!!

همس لها بخفوت و هو يقف خلفها.. أمام المرآة.. يغرق يديه في جيبي بنطاله  
الأسود.. يرتدي بدلة كاملة و لأول مرة بربطة عنق..

لقد كانت تلكَ رغبتها.. و من هو ليرفض تلبية رغبتها !!

ملاكه المبتسم !!

لا يزال يذهب برفقتها كل يوم للمراجعة.. و كأنه يحاول تمديد مدة بقاءها  
على هذه الحياة القدر الذي يستطيع..

لكن عبثاً.. هل يستطيع المرء الفوز على القدر ؟!!!

أومأت سارة بهدوء و هي تقابل عينيه في المرآة.. ثم التفتت ببطء لتقابل عينيه  
مباشرة.. لا مجرد انعكاس لن يرضي قلبها المحب..

فرجع جاد يديه ليلامس وجنتيها.. ثم همس و هو يمشط خصلات شعرها  
الملامسة لجانب وجهها ؛

\_تبدين جميلة.. بل ساحرة !!!

همست سارة مبتسمة بحب و هي تعدل شيئاً وهمياً في سترته و ربطة عنقه ؛

\_و أنت تبدو وسيماً.. بل تخطف الأنفاس !

تألقت ابتسامة جاد قليلاً و عيناه تتلكان على شفثيها في حركة مقصودة.. ثم  
همس و هو يلامس أحمر شفاهها الخفيف اللون بإبهامه بركة ؛

\_أظن بأنني سأفسد أحمر شفاهك.. هل تمتلكين الوقت لرسمه مجدداً ؟!!

قالت سارة بنبرة تهديد زائفة و هي تمسك بيده لتبعدها عن شفثيها بدون أن  
تخفي ابتسامتها ؛

\_أرني حدود قدرتك و تجرأ على فعلها أولاً !

عقد جاد حاجبيه باستنكار مبالغ به جداً و هو يتراجع قليلاً برأسه فقط.. قبل  
أن يهمس مضيقاً عينيه بشك ؛

\_مهلاً.. هل تهددينني دكتورة سارة؟! و بحقوقى الزوجية أيضاً !!

ابتسمت سارة بمكر داخلي و هي تحاوط كتفيه بذراعيها هامسة بجذل بينما  
تعقد حاجبيها مثله ؛

\_حقوقك الزوجية !! من سعيدة الحظ هذه التي تريد اقتناص حقوقك الزوجية  
منها !!!

و إذا كانت تتوقع أن يتصرف بتعقل عنها.. فقد خاب توقعها.. فقد وجدت نفس  
المكر يكتسح ملامحه الوسيمة ليزيدها وسامة.. ثم قال و هو يحاوط خصرها  
بيديه ليقربها منه أكثر ؛

\_ امرأة فاتنة تقف أمامي مبتسمة في هذه اللحظة.. البراءة في عينيها شبيهتي  
القهوة الحديثة النضج تنافس الخبث اللذيذ !!

تضاعف "الخبث اللذيذ" في عينيها و هي تقترب منه بخبثٍ إلى أن لامست  
وجنتها ذقنه الملتحي قليلاً.. و همست تمط شفثيها قليلاً ؛

\_لذيذ... هممممم !!!

همس جاد في أذنها بأنفاس متسارعة ؛

\_لذيذ جداً.. آه لو تعلمين !!!

ثم صمت للحظة.. و عاد ليهمس في أذنها سائلاً مجدداً بدون أن ينظر لها ؛

\_هل أفعها إذا؟! !!

مالت ابتسامه سارة قليلاً لتكتسب نظرة حنان لم يرها.. هو فقط شعر بشفتيها  
على ذقنه.. حيث طبعت قبلة طويلة هناك.. قالت بعدها بجدية و هي تبتعد فجأة  
و كأنها تتعمد تعذيبه ؛

\_بعد أن نعود !!

قال جاد بوجه عابس متذمر كطفل صغير ؛

\_سارة!!!

إلا أن سارة قالت تكرر جملتها بحزم و هي ترفع منديلاً ورقياً مسحت به  
الأثر الخفيف لأحمر شفاهها من وجنته ؛

\_بعد أن... نعود..... أعدك !!

لم تسمح له بفرصة التذمر أكثر.. فما كادت تكمل كلامها.. حتى امتدت يدها  
لتمسك بيده.. و همست بخفوت ؛

\_دعنا نذهب.. ستقتلني سيلين لو تأخرت أكثر..

لانت نظرات جاد تمامًا و هو ينظر ليدها الرقيقة القابعة بين يده.. ثم عاد  
ليرفع أنظاره إليها بصمتٍ محمل بنفس النظرة الكئيبة التي تنتهي بها كل  
لحظة.. و كل ابتسامة بيتسمها لها في آخر فترة..

قبل أن يقترب منها.. هذه المرة ليلثم جبينها.. تلك الحركة لطالما كانت تجعل  
قلبا يرتجف.. مجرد قبلة بريئة على جبهتها.. قبلة تحمل احترامًا يَكُنْه لها في  
قلبه.. يمتزج مع حبه الذي تحرر من قيود الماضي المرير..

امتدت يده الأخرى لتمسك بيدها و تفصلها عن يده.. فعقدت حاجبها غير  
مستوعبة لهذه الحركة في البداية.. قبل أن تبتسم بتأثر و هي تراه يثني  
ذراعه لها في حركة ذات مغزى..

و هي فهمت المغزى.. فتعلقت بها متنهدة بارتياح..

قبل أن تتجه برفقته إلى الباب بخطواتٍ هادئة.. إلى أن خرجا من الغرفة  
سويًا.. كأجمل زوج و زوجة !!

---

ما إن خطت سارة بقدميها إلى داخل القاعة العريضة حتى لمحت والدها  
الذي لم يكن يبدو عليه أي أثر للسعادة.. فقد كان يقف في ركن بعيد نسبيًا عن



الضيوف الذين بدأوا بالتوافد.. عاقداً ذراعيه ناظرًا أمامه بملامح تحفر أخاديد  
الوجع مكانها بداخلها..

و هو أيضًا لمحها.. فقد كانت عيناه على الباب طيلة الوقت.. اقترب منها  
بسرعة و كأنه كان يقف قبلها على جمر من نار ليحتضنها بين ذراعيه  
بقوة.. ثم سرعان ما همس بقلق و هو يربت على وجنتها ؛

\_ أنتِ بخير ؟! كيف تشعرين الآن ؟!

كانت هناك نظرة تعاطف على عيني جاد.. نظرة نبعت من شعور جعل من  
حاجبيه ينعقدان بدهشة و استنكار.. كيف يمكنه أن يشعر بالتعاطف مع الرجل  
الذي حمل له الكره في قلبه طوال حياته !!

لكن... هل تلك الصورة التي رسمها له في عقله دائمًا.. تتوافق مع هذه  
الصورة التي أصبح يراه عليها اليوم.. صورته الحقيقية !!

همست سارة مبتسمة برصانة ؛

\_ أنا بخير !

كانت تلك ثاني مرة.. تنظر في عيني والدها و تكذب !! المرة الأولى كانت  
في مكتبه حينما تحجّجت بأثفه الأسباب لتعود إليه.. إلى جاد..

إنها تكذب.. هي لا تشعر بأنها بخير أبدًا في هذه اللحظة !!!

الحقيقة أن الشعور الوحيد الذي كان يحتل إدراكها الآن هو أن "النهاية"  
اقتربت.. اقتربت كثيرًا !!

ربما.. ربما لن تشرق شمس الصباح عليها بين ذراعيه.. ربما تكون تلك  
النظرات المتبادلة بينهما و اللمسات الأخيرة !! ربما لن تستطيع أن تفي  
بوعدها البسيط له.. حينما همست بخفة ؛

" بعد أن نعود.. أعدك! "

لكنها حتمًا تستطيع الإيفاء بوعدھا الغير معلن لنفسھا.. بأنها لن تموت إلا بعد  
أن تشهد زفاف سيلين..و تسامح جاد..و قد فعلت الإثنان..

حتى حلمها الأجل بأن تحسن من علاقة جاد بهم.. أصبحت تؤمن بقابلية  
تحققه..

فنظرة التعاطف التي لامست عيني جاد قبل قليل و هو يشهد موقفها مع  
والدها..لا يمكن أن تكون كاذبة أو مزيفة.. حتى نظرات الدهشة في عيني  
والدها كلما رأى ابتسامتها..أو موقفًا جميلًا بينها و بين جاد لم تغفلها !!  
و أخيرًا رفع فؤاد نظره لجاد..رمقه بنظرة خاطفة لا معنى لها..قبل أن  
يحرك رأسه مشكلًا تحية صامته قابلها جاد بشبيبتها..ثم قال بهدوء ؛

\_ادخلوا..

و على عكس عادة الزفافين الكارثيين السابقين..فقد مر زفاف سيلين و سليم  
على أكمل وجه..كانت الأجواء جميلة تبعث على السعادة..تلك السعادة التي  
لم تلامس قلوب أيّ من المعنيين بهذا الزفاف !!

كانت سارة طيلة الوقت تنظر لسيلين..تراقبها متأملة بابتسامة حنونة..و في  
مقابلها سيلين لم تستطع أن تزيع عينيها القلقتين عنها منذ أن وصلت..

نظراتهم لها..كانت بمثابة الوداع الذي لم يدرك أو انه إلا سارة !

سارة التي كانت تقف على قدمين شبه هلاميتين..تنتظر انتهاء هذه المراسم  
على أحر من الجمر لـ...

تستسلم.....فقط لتستسلم !!

طرفت بعينيها و هي تشعر بوعيها يبدأ في الإنسحاب منها ببطء..و زاغت  
الرؤية أمامها فأصبحت تتراءى لها الوجوه مكللة بالضباب..

و لم تشعر بيدها التي تحركت لتتمسكَ بذراع جاد الذي لم تجد غيره لتسند  
نفسها به.. قبل أن تخفض رأسها مغمضة عينيها بشدة للحظاتٍ حاولت فيها  
التماسك..

لم تدري بأن جاد كان قد انتبه لها.. فقال بجزع و هو يلتقط يدها من فوق ذراعه  
ليحتويها بشدة بين يده بينما الأخرى تحاوط كتفها ؛

\_سارة ! هل أنتِ بخير ؟!!

ارتجفت شفتاه و هو يشعر بالخوف يتلَقَّف قلبه أكثر مع استشعاره لبرودة  
يدها.. و صمتها التام المرعب الذي جعل رغبة جديدة تنمو في قلبه..

الرغبة في تغيير الواقع القاسي !!!

استطاعت سارة أن تتمالكَ نفسها أخيرًا بصعوبة.. فرفعت رأسها لتقابل عيني  
سيلين.. تلك التي همّت بتركِ سليم يدفعها خوفها كجاد قبل اكتمال المراسم..

لكن سارة منعتها بايماءة من رأسها و إشارة من يدها.. فتراجعت سيلين عن  
رغبتها المتهورة.. و تسمرت مكانها تحديق بها بدموع لا يمكن أن تجف..

قبل أن تتركَ ذراع جاد الذي لاحقها بنظراته القلقة.. لكنه رفض أن  
يتركها.. فعاد ليقبض على يدها متمسكًا بها بقوة.. و ظل يراقبها من بين غمامة  
دموعه بإدراكٍ مؤلم.. أنها... النهاية بالفعل !!!

و كان هذا الإدراك كجهاز الإنذار لعقله الذي بدأ يسترجع تلقائيًا كل  
الذكريات منها البائسة و المؤلمة و السعيدة حتى معها.. بينما أخذت دموعه  
تنساب لأجلها للمرة الألف..

العجز و القهر يكبل يديه.. و الندم يسكن قلبه أكثر.. نادم.. نادم على كل  
لحظة مرت في حياته البائسة و لم يستغلها في إسعاد هاته الملامح التي  
ربما.. أو شكَّ على الإفتراق عنها بالفعل !!

و قد كان شعورها صائبًا.. شعورها صائب !!

فمع انتهاء المراسم.. و مغادرة الضيوف واحدًا تلو الآخر مخلفين الصمت المنفر في القاعة الفارغة إلا من أفراد عائلتها و أفراد عائلة سليم..

كانت أنظار جميعهم موجهة إليها فقط.. جميعهم بلا استثناء يناظرونها و كأن عقولهم تنبأت بما سيحدث في هذه اللحظة.. بعد هذه اللحظة..

و قد حدث شيء في ملامحها.. ملامحها ابتسمت.. ابتسمت لهم ابتسامة جميلة جدًا مليئة بالدموع.. ابتسامة استطاع الجميع قراءة فحواها.....الوداع !!

قبل أن تشهق فجأة محرّرة أنفاسها المختنقة التي كانت تمنع تسارعها طيلة هاتين الساعتين.. و قدميها اللتين كانت تقف عليهما بمعجزة..

و كادت أن تقع بالفعل.. كادت لولا أن التقط جاد ذراعيها قبل أن تسقط ليجذبها إلى صدره و يغمض عينيه هامسًا في أذنها بأنفاسٍ متهدجة مختنقة ؛

**\_ستكونين بخير.. ستكونين بخير !!**

كان يكبل جسدها الهش بين ذراعيه حرفيًا.. و كأنه يحاول أن يقنع نفسه بأنها هي من تقف بمفردها مستقبلة عناقه.. لكن الحقيقة أنه كان شبه يحملها.. ذراعاه على خصرها و جسدها ملتصق بجسده..

و ما إن تسللت عبارته إلى أذنيها.. حتى كانت تهز رأسها بالنفي فوق كتفه غير قادرة على لفظ كلمة واحدة..

بينما رفعت سيلين أناملها المرتجفة لتمسح دموعها بعنفٍ و تندفع لتتنزل الدرجات الثلاث أمامها مقتربة من سارة بخطواتٍ راکضة بينما فستانها الأبيض الهفهاف يتطاير من حولها.. و سليم كالعادة يلحق بها بقلق..

أما فؤاد.. فقد تجمد مكانه تمامًا.. و صورة من الماضي لابتسامة مشابهة للتي على شفتي سارة تمر في عقله..

كانت آخر ابتسامة لوالدة سارة.. آخر ابتسامة منحتها له قبل رحيلها المفاجئ المؤلم... ابتسامة الوداع المرير !

شعر جاد بها تفقد و عيها بالفعل فتمسكَ بها أكثر.. لكنها لم تكن قد فقدت  
و عيها تمامًا.. فقد تحاملت على نفسها لتتزع تلك الإسواره التي أهداها لها في  
يوم ميلادها من معصمها..

و تمسكت بأناملها المرتجفة بشدة بيده لتضعها بداخلها هامسة في أذنه بأخر  
ما تبقى لها من قدرة على التقاط أنفاسها ؛

\_ عندما.... أموت... ضع... صورتي بداخلها !!!

يا الله !!!

تلك هي الهمسة التي انتفضت بها جوارحه بدون أن تغادر شفثيه.. هو  
فقط.. وجد نفسه يجهش في بكاء مرير مذعور لأول مرة في حياته بهذه  
الحدة..

قبل أن ينحني مضطراً معها إلى أن جلس على ركبتيه فوق الأرض محتضناً  
إياها بشدة.. امتدت يده تبعد خصلات من شعرها عن ملامحها التي كان قد  
اختفى لون الحياة منها..

و بكى أكثر و هو ينحني عليها إلى أن لامس جبينها بجبينه.. غير عابئ بأيّ  
أحد غيرها.. غير عابئ بسيلين التي شاركته نفس دموع العجز و هي تتسمر  
مكانها مستندة إلى صدر سليم الذي احتواها بين ذراعيه بدفء لم يستشعره  
قلبا الممزق !!!

## "الرمق الواحد و الثلاثون ؛نفس جديد"

من قال بأن الظروف تغيرنا فهو كاذب !! الظروف لا تغيرنا..بل تعلمنا !!  
أساسًا الظروف وجدت لتلقيننا بعض الدروس التي ربما بقينا غافلين عنها  
طيلة حياتنا..

تمر الحياة أمام أبصارنا..ما بين الحُب..و الكره..و الكبرياء و الكرامة..و  
الإنتقام..و الضعف..و العائلة..نغرق بداخل كل هذه المشاعر متغافلين عن  
كلمة واحدة...الموت !

ربما هو نفس ردُّ الفعل لكل واحد منا..حينما نأتي على ذكر الموت..و كأنما  
تسقط كل أقنعتنا و نكتفي فقط بجملته واحدة لعلمك رددتموها الآن..

" بعيد الشر..اللهم أبعدنا! "

إن هذه الدعوة بحد ذاتها رغم صدقها تجلب نوعًا من مشاعر السخرية و  
الضحك إلى قلوبنا..حينما نتذكر أن لا ابتعاد..بل لا مفر من الموت..

نحن فقط نرجو من الله تأجيل هذا اليوم العسير الذي قد يستيقظ واحد منا فيه  
على فقدان شخص عزيز !!!

الموت يا أعزائي هو صديقنا المخلص..الذي يرافقنا منذ ولادتنا و حتى آخر  
يوم نعيشه في هذه الدنيا المظلمة..هو فقط يمنحنا وصلة استراحة نلتقط فيها  
أنفاسنا..نستجمع شتات حياتنا..نحظى ببعض الإبتسامات و اللحظات الأثيرة  
مع أقاربنا..ثم يطرق بابنا على غفلة ليعلن نقطة الكفاية !

على شفا حفرة من الموت !

كان يشعر أنه هو من على شفا حفرة من الموت لا هي..لم تطراً في باله  
يوماً فكرة فقدانها..حتى في أشدّ الأوقات التي كان يقنع نفسه بأنه يكرها فيها  
لم يحدث أن تخيل فقدانها !

كمن تم تشبثه أوتوماتيكياً على فكرة واحدة.. هي لا يمكن أن تموت.. ليست هي... لن تموت !!

ربما لو أخبره أحدهم سابقاً بأنه قد يعيش هذه اللحظات من الذعر بعد أمه.. الذعر الحقيقي و الشديداً لضحك باستهزاء منه..

كان يظن بأن زمن القلق قد ولى.. و أن لا شيء في الحياة قد يهدم سعادته بعد.. لكن للحياة رأي مخالف دائماً و يجب أن نتأقلم معه - رغماً عنا..

و من يعلم؟!.. لعلها ترضى برضانا و تمنحنا آمالاً جديدة تبديد ظلام مخاوفنا !!

\_سارة.. سارة حبيبتى.. أرجوكِ قولي شيئاً.. لا تفعلني هذا بي بالله عليك.. قولي أي شيء.. أي شيء فحسب.....

كان يهتف كالمجنون مستتجداً بعينيها المغلقتين بلا حياة.. يمسح على وجنتها ببعض القوة بينما يجلس في المقعد الخلفي محتضناً إياها بقوة إلى صدره و سليم و سيلين في المقعد الأمامي..

و لأول مرة يشعر بأن الطريق لا ينفكّ يصبح أطول و أطول كلما اقتربا من المشفى.. الطريق طويل.. طويل جداً.. ربما أطول من سنوات عمره التي عاشها قبلها و معها..

كان بين اللحظة و الأخرى.. يتراجع برأسه في المقعد ليغمض عينيه مردداً بعذاب كل دعاء حفظه يوماً.. يستنجد الله أن يحميها.. فقط ليحميها هذه المرة.. لقد وعد نفسه ذات مرة بأنه سيحررها لو نجت.. و صدقاً فعل.. لولا أن تمرّد قلبه المتعطش إليها فعاد ليقنح حياتها متأملاً الصفح و العودة..

الآن أيضاً يعد نفسه.. لو عادت.. فسيعمل أكثر.. بجهد أكبر لإسعادها.. لتعويض حبيبته عن كل وجع ألفه قلبها سابقاً بسببه.. لو عادت.....

ليتها تعود فقط... ليتها تعود !!!

توقفت السيارة أخيرًا أمام المشفى.. ففتح الباب بسرعة ليدور حول السيارة و يحملها بين ذراعيه متوجهًا إلى الداخل بسرعة بينما سليم و سيلين و فؤاد الذي كان بسيارة أخرى خلفه..

---

و بعد دقائق... كان يذرع الممر ذهابًا و إيابًا.. يقف أمام الغرفة المغلقة حيث تم إدخالها.. مغرًا أنامله بين خصلات شعره بعنف..

بين الحين و الآخر.. يرفع رأسه لينظر للباب المغلق في انتظار ظهور الطبيب في أي وقت.. قبل أن ينتفض فجأة حينما فتح الباب بهدوء ليطل منه وجه الدكتور الوقور الذي يحمل نفس الهدوء..

بصعوبة تمكن من جمع الحروف ليردف سؤاله بأنفاسٍ متهدجة و صوت متحرج متلعثم ؛

ك.. كيف.. كيف هي الآن؟! هل... هي بخير؟! أخبرني أنها بخير أرجوك!

كان شبه مهيء للسقوط في أي لحظة بانهيار تام.. ينتظر جوابًا قاطعًا من الطبيب بينما قلبه يهتف مذعورًا رغبة في تكميم فمه إذا كان ما سيقوله لا يتوافق مع ما يتمناه..

و أمامه.. هز الطبيب رأسه بياسٍ و هو يقول موجهًا كلامه للجميع بعدم فهم ؛

لماذا لم تخبروني من قبل بأنها كانت قد بدأت العلاج بالفعل؟! هل هذا أمر كان عليّ أن أكتشفه بنفسي؟! و الأهم لما تبدأونه منذ البداية إذا كنتم ستوقفون دون إكماله!! أنا لا أفهم! كيف استطعتم أن تتصرفوا بهذا الإهمال مع مرض كهذا... أنتم.....

كان الطبيب يسترسل في كلامه بصوتٍ حادٍ.. ينقل عينيه بين جميعهم مستمرًا في الكلام بينما لا أحد منهم.. لا أحد كان يستمع لما يقوله بعد جملة غريبة نطقها ببديهية قبل قليل..



فقد كان عقل جاد قد سرح في عالم آخر غير هذا العالم.. و عبارة منها مرت في عقله..

" لم يعد بمقدورنا فعل أيّ شيء يا جاد.. لقد سافرت بالفعل بحثًا عن العلاج لكن أخبرتك... لا أمل "

و مثله سيلين تسمرت في مكانها عاقدة حاجبها بشدة.. تنقل عينيها المتورمتين بين والدها و سليم بعدم قدرة على الفهم.. إلى أن صدح صوت جاد الذي هتف مقاطعًا الدكتور فجأة بلهفة شديدة ؛

\_ علاج !! هل هناك علاج حقًا؟! هل هناك أمل!!!!

بدا الطبيب مندهشًا قليلًا من سؤاله هذا.. خاصة و قد استوعب بأنه كان يخاطب الفراغ قبل قليل.. لكنه رغم ذلك قال يجيبه بصوتٍ أقل حدة و أكثر هدوئًا ؛

\_ حسنًا.. لأكون صريحًا فالأمل ضئيل في حالتها.. خاصة و قد كادت أن تتخطى المرحلة الثالثة للمرض.. لكن إذا كنتم تريدون التمسك ببعض الوميض و المجازفة قليلًا.. سأكتب لك عنوان طبيب مختص بهذا المرض.. لحسن حظكم أنه قد عاد إلى البلد قبل ثلاثة أيام.. كانت المدة التي سيمضيها هنا ثلاثة أسابيع فقط لكنه قرّر تمديدتها أكثر لظروف عائلية.. لهذا إذا.....

قطع كلامه فجأة و هو ينظر لجاد ينتظر جوابه.. و لم يتردد هذا الأخير و هو يقول بسرعة و بريق من أمل ييزغ في عينيه بعد يأسٍ طويل ؛

\_ بالطبع.. بالطبع.. ألم تقل أن الأمل لا يزال موجودًا رغم ضعفه !!

اوماً الطبيب بوقار و هو يخرج ورقة صغيرة من جيب مازره و قلماً ليدون فيها العنوان كما أخبره.. قبل أن يمدها له مردفًا بنبرة تعاطف و تشجيع ؛

\_ تفضل !

أخذها منه جاد بلهفة محدقًا بالعنوان و كأنه خلاصه الوحيد.. فربت الطبيب  
على كتفه هامسًا بمواساة ؛

\_ أتمنى من كل قلبي أن تجد خلاصك عنده.. دعواتي لها بالشفاء العاجل إن  
شاء الله !

ثم التفت لبيتعد بخطواتٍ رصينة.. بينما التفت جاد لتلتقي أنظاره مباشرة  
بسيلين.. تلك التي شاركته لأول مرة بعد زمن طويل ابتسامة.. ابتسامة ضئيلة  
دامعة تحمل أملاً جديدًا..

مضطر هو.. و هي.. و جميعهم... على التمسك بتلابيبه حتى النهاية !

---

هل هو تدبير ماكر من القدر ؟!

أن يلقي بك في مفترق طريق تكالته العثرات.. ليقف بعيدًا.. يراقب محاولتك  
المستميتة للوقوف مرة تلو الأخرى بكل برود..

ثم ما إن ترفع راية الإستسلام و تسقط.. تجده و قد من عليك بيد من الفراغ  
تسحبك نحو سبيل النجاة الذي كنت تراه مستحيلًا حتى قبل حين !!

حتى قبل ساعات من الآن.. ظنت بأنها النهاية المُحتمة.. لقد استعدت و  
استسلمت للموت الرحيم متخيلة بأنه قد يزورها اليوم..

بل كانت شبه متأكدة.. لقد شعرت و هي بين ذراعيه.. تسمع صوت أنفاسها  
التي أصبحت بمشقة تسحبها.. بأنها تحتضر !!!

فكيف لا تزال حية إلى الآن إداً ؟! كيف يمكن أن يكون القدر سخياً معها إلى  
هذا الحد !!

بأن يمنحها دقائق أخرى.. ساعات أخرى.. أيام لتمضيها بين عائلتها.. لتبتسم  
أكثر.. لتنتعم بدفء نظراتهم و حبهم أكثر.. لتجعل الوداع أطول !!

بعد أن اتخذت من خوفها حجة و قطعت آخر خطواتها نحو الإستسلام الذي  
لم يكن من شيمها يوماً...كيف !!!

كانت راقدة فوق السرير الطبي..تناظر الليل الداكن من خلف النافذة المقابلة  
لها..السماء تبدو مظلمة بلا نجوم الليلة..تستطيع أن تلمح ذلك من مكانها..  
اليوم لا يمكنها أن تراقب نجمتها الساطعة الحزينة التي تحتضن طيف  
أمها..اليوم فقط تستطيع الرقود مكانها..فهي على أية حال..تكاد أن تفقد  
قدرتها على الوقوف !!!

\_ منذ متى أصبحت قاسية لهذا الحد !؟

سمعت هذا السؤال الذي خرج محملاً ببرود غريب لم يعد يلائم صوته الذي  
اعتاد أم يطرب مسامعها و قلبها بهمساته الدافئة الحانية..

كانت نبرته تحمل اللوم..و التأنيب..فطرفت سارة بعينيها قليلاً..قبل أن تلتفت  
ببطءٍ إلى أن قابلت عينيه الجامدتين ظاهرياً..تتطلعان بها بقسوة تناقض الألم  
العامر بداخلهما..

اقترب منها أكثر ببطءٍ إلى أن جلس بجانبها مستأنفاً بنبرة مزجت ما بين  
عتاب و قهر ؛

\_ بماذا كنت تفكرين و أنتِ تقفين أمامي و أمام كل العائلة لتخبرينا ناظرة  
لعيوننا تماماً بأن لا أمل لديكِ في النجاة ! بماذا كنت تفكرين بالله عليكِ ؟! هل  
حياتكِ رخيصة إلى هذا الحد بالنسبة لكِ ؟!!!!

لم يظهر أيّ تأثير على ملامح سارة و هي تسمع كل هذه الأسئلة منه..فقد  
أشاحت بعينيها عنه و كأنها لا تشعر..و عادت لتتطلع إلى نفس المكان..تتأمل  
الظلام المائل خلف النافذة بينما تهمس بصوتٍ شاحب بارد ؛

\_ أنا لم أكذب..ليس هناكِ أيّ أمل بالفعل !

لم يتمالك جاد نفسه بعد هذه اللحظة.. فهتف و هو يقف فجأة بشيء من  
الغضب.. و بنبرة مرتفعة جعلتها تجفل داخليًا ؛

\_بلى.. هناك أمل.. لا يزال هناك أمل ربما لو تمسكت به لكنك في طريقك  
للتعافي الآن !!!

كان صوته قد ارتفع أكثر في آخر كلمة و هو ينظر لعينيها الزائغتين بعد أن  
جعلتها نبرته تلتفت إليه مرغمة.. فهمست بضيق و قدرتها على التنفس تكاد  
أن تصبح منعدمة ؛

\_ لا تصرخ عليّ بهذا الشكل !

لانت ملامحه فورًا بعد همستها هذه.. و انحنى حاجباه قليلاً بألم و هو يعود  
ليقترب منها.. إلى أن جلس بجانبها في نفس المكان..

و همس على مقربة منها و هو يحاوط وجهها برفق.. يتمنى لو يستطيع أن  
يمنحها أنفاسه و خفقات قلبه لتعيش بدلاً عنه..

\_ آسف.. آسف لأنني صرخت عليك.. لكنني لست آسفًا على ما قلته.. بسبب  
تهورك و استسلامك ضاع منا الكثير من الوقت بالفعل.. و لن أسمح بأن  
يضيع أكثر !

هزت سارة رأسها بالنفي هامسة بصوتٍ مبوح مجهد ؛

\_ لم يضع.. لم يضع منا أي وقت و لن يضيع لأنني لن أخضع لأي علاج.. لن  
أخضع له جاد !!!

شحبت ملامح جاد تمامًا حتى بدت أكثر شحوبًا من ملامحها هي نفسها.. ثم  
قال غير مصدقًا بصوتٍ متشنج قاطع ؛

\_ ستفعلين !! الأمر ليس بمزاجك هذه المرة.. ستسافرين معي إلى العاصمة  
غداً و سيبدأ العلاج من هناك.. و أنت لن تعترضي.. أقسم بالله  
لن..... تعترضي !!!

قال آخر كلمة من بين أسنانه و كأنه يأمرها بالفعل.. لكن سارة ذات العناد  
الأسطوري لم تبدو و كأنها ستستمع إليه.. فعادت تهز رأسها باعتراض..  
فزفر بتعب.. ثم عاد ليهمس محاولاً بكل ما يمتلك من طاقة أن يكون صوته  
هادئاً لينا ؛

\_ أنا أعلم كل مصادر خوفك.. أعلم بالضبط ممّا أنتِ خائفة.. و أنا أيضاً خائف  
مثلك.. أنا أموت من الخوف ألف مرة في اللحظة الواحدة كلما اقتحمت فكرة  
فقدانك عقلي.. لكننا سنتخطى هذا الخوف معاً.. ثقي بي حبيبي.. نحن لم  
نجتمع بعد كل هذه السنوات لنفترق مجدداً.. هل تظنين بأن كل ما يحدث عبثاً  
؟! لكل شيء يحدث في هذه الحياة حكمة معينة.. و الحكمة ها هنا هي إظهار  
حبنا لبعضنا البعض..

هز رأسه لعدة مرات و هو يستأنف بسرعة أمام عينيها غير سامح لها  
بالتعقيب على كلماته.. بينما أنامله على وجنتيها ترسلان دفناً لا مثيل له إلى  
جسدها البارد ؛

\_ نعم.. هذه هي الحكمة من مرضك.. و إلا كيف يجمعنا الله و في نيته تفريقنا  
مجدداً ! إنها فترة فحسب.. هذا ليس إلا اختباراً لقوة إيماننا و لمدى تمسكنا  
ببعضنا البعض.. اختبار سنتخطاه بنجاح معاً.. أنا واثق أننا قادرين على  
تجاوزه !!

الحيرة المؤلمة هي الشعور الوحيد الذي لامس عينيها.. و انسابت دموعها  
قهراً و هي تهمس بعذاب.. ترفع يدها بتعب لتلامس وجنته و كأنها تتوسله  
التفهم ؛

\_ ألا تفهم؟! سينتهي بي الأمر جثة هزيلة هامة.. الموت سيورني كل يوم  
على هيئة الوحدة و الظلام و الضعف الذي سيتلقفني شيئاً فشيئاً.. و أنا لا أريد  
أن أعيش شعور الموت مرة بعد مرة.. لا أريد أن أموت بين الأسلاك و  
الأدوية.. لا أريد أن ألفظ آخر أنفاسي بالمشفى.. كم مرة سأخبرك جاد !! لا  
أريد.. أرجوك !!!

لم يبدو جاد و كأنه قد اقتنع بأيّ كلمة قالتها.. فقد هز رأسه بالنفي بقوة و هو يهمس بحرارة بينما يشاركها دموعها ؛

\_ لن تموتي.. لن تموتي.. أنا واثق أنك لن تموتي.. كل ما تشعرين به الآن ما هو إلا خوف طبيعي سيتلاشى لوحده لاحقاً.. أنا واثق أن كل شيء سيمر بخير بإذن الله.. صدقيني.. فقط صدقيني !!!

ظلت سارة صامته تنظر لملامحه بألم.. دموعها تنساب أكثر و الأمل المنعدم في عينيها يقتله.. إلا أنه رفض أن يتراجع عن كلامه.. فمال عليها برفق إلى أن لامس جبينها بجبينه..

و همس بصوته المختنق بخفوتٍ شديد ؛

\_ صدقيني !!!

حينها فقط.. كانت سارة تسحب نفساً طويلاً.. ثم قالت و هي تضع يدها فوق يده التي تغطي وجنتها ؛

\_ لماذا علينا أن نذهب للعاصمة ؟ لماذا لا نقوم به هنا ؟!

ابتعد جاد قليلاً ليقابل عينيها متأملاً إياهما بحرية أكبر.. ثم همس بابتسامة صغيرة متفائلة ؛

\_ لأن الطبيب الذي سأخذك إليه ليس مثل أيّ طبيب.. إنه مختص بهذه الأمراض بالضبط كما أنه طبيب مخضرم ذي سمعة جيدة في الخارج و قد أتى إلى هنا في إجازة عمل فحسب.. لكن من حسن حظنا أن هذه الإجازة ستطول لظروف عائلية لديه.. رأيت.. ألم أقل لك أن هناك حكمة في كل شيء يحدث !!

همست سارة بنفس نبرتها السابقة و كأن كلامه لم يؤثر بها إطلاقاً ؛

\_ و سيلين و أبي... و سليم !

لم تفهم سبب النظرة العابسة التي ظهرت في وجهه.. ثم قال بشيء من  
الإستهجان و الدهشة و هو يترك وجهها فجأة ؛

\_سليم ! ما دخل سليم بالأمر ؟! هل وجوده مهم أيضًا ؟!

قالت سارة ببديهية ؛

\_أليس زوج سيلين ؟!

قال جاد بحاجب مرتفع بضيق طفولي ؛

\_نعم..زوج سيلين..و أنا زوجك أنت..لماذا تسألين عنه ؟!!!

اتسعت عينا سارة بدهشة و هي تنقلهما حول عينيه للحظات..قبل أن تهمس  
مبتسمة بإعياء ؛

\_لا تخبرني أنك تغار من سليم !

همس لها جاد بحب و هو يعود ليحتضن وجهها البهي بين يديه ؛

\_و أغار من نسمة الهواء إذا لامست وجهك بالصدفة !

كان صوته عميقًا مميزًا رغم الصلابة و التهكم الزائف.. فاتسعت ابتسامة  
سارة بقدر ضئيل و هي ترفع يدها لتربت فوق وجهه و كأنها تطبطب على  
طفل صغير لتهدئه !

قبل أن تتركه بكل بساطة لتستدير عنه بلا مبالاة..و همست بجفاء بينما ترفع  
الغطاء فوق جسدها أكثر و كأنها تستعد للنوم ؛

\_ألم تقل بأننا سنسافر غدًا ؟!

قال جاد يعقد حاجبيه بحذر ؛

\_نعم !

لكن الحذر تحول إلى دهشة.. و امتقعت ملامحه و هو يسمعها تقول بصوتٍ ناعس ؛

\_إِذَا اخرج و دعني أنام !

فغر جاد قمه بغباء تام و هو ينظر لها بذهول.. و لم يستطع سوى أن يسأل بتركيز مشتت ؛

\_أخرج !! إلى أين ؟!!!

لكن أيّ جواب لم يصله منها.. فمال عليها بحذر لينظر لوجهها.. و تفاجأ بشدة و هو يرى ملامحها الساكنة التي تدل على أنها غرقت في النوم بالفعل !!

ابتلع ريقه ببطءٍ و هو يمد يده ليبعد خصلات متمرده من شعرها عن وجهها ببطءٍ حتى يتسنى له تأملها أكثر.. و لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقترب أكثر إلى أن طبع شفثيه على وجنتها بقوة..

ثم همس في أذنها بصوتٍ خافتٍ جدًا و كأنه يخاطب عقلها الباطن و قلبها الذي لا يزال على تواصل معه ؛

\_أظن بأنك أردت أن تقولي.. " إياك أن تخرج.. ما أحতاجه بالفعل للنوم.. هو صدرك.. و ذراعيك.. و أنفاسك إلى جانبي " !!

ابتسامة ذات وميض حزين اكتسحت ملامحه بشكل طفيف و هو يرفع الغطاء و يندسّ تحته محتضناً إياها من الخلف برفق و حذر.. قبل أن يعود ليهمس لقلبها بخفوتٍ ؛

\_و من أنا لأرفض دعوة عينيك المعطانتين.. عيون القهوة خاصتي !!

---

كان الحزن هو سيد الموقف الوحيد طوال الطريق.. فمنذ أن غادرت سيلين المشفى بعد أن لم تتسنى لها رؤية سارة إلا من البعيد اليوم.. و صعدت برفقة سليم في سيارته.. و هي تراقب الشارع بعينين تذرفان الدموع بسخاء..



و ما إن توقفت السيارة أمام المنزل.. و التفتت لتقابل بعينيها الدامعتين عيني  
سليم الحانيتين في لطفهما و حزنهما و تفهمهما.. همست تكرر نفس الكلمة  
التي ألقتها على مسامعه لعدة مرات الليلة ؛

أسفة !

عبس سليم للحظة و هو ينظر لها بياسٍ.. قبل أن يقول و كأنه يؤنبها ؛

أسفة !! ماذا قلنا ؟!!!

كان صوته حنوناً كعادته.. عيناه تجسدان العذاب الذي يملأ قلبه برؤيتها بهذا  
الشكل.. فارتفع جانبا شفتي سيلين في شبح ابتسامة ضعيفة و هي تهمس  
ناظرة له بمشاعر خالصة ؛

أنت كالهدية التي منحها لي القدر.. لا أعلم ماذا كنت سأفعل لو لم ألتقي بك  
!

دمعت عينا سليم قليلاً بتأثر.. ثم اقترب ببطءٍ ليحتويها بين ذراعيه هامساً في  
أذنها بصدق ؛

و أنتِ السلام الذي كنت أبحث عنه بين الألحان و الكتب !

صمت للحظة ثم عاد ليهمس مرتباً على شعرها برفق و هو يشعر بارتجافة  
دموعها التي لم تتوقف عن الانسياب حتى بعد أن طمنهم الطبيب بكلماته  
المتعاطفة ؛

لا أريدك أن تبكي أكثر.. و لا تشعري بالذنب.. نحن قربنا موعد الزفاف  
لأجل سارة في الأصل.. و لا أمانع بقائك بجانبها أبداً.. المهم أن تكون  
بخير.. و هي ستكون بخير.. دعواتنا و حبنا لها سيعيدها لنا سالمة.. ثقي بي !

أغمضت سيلين عينيها و هي تهز رأسها فوق صدره بدون أن تجيبه  
بكلمة.. إلى أن ابتعدت قليلاً لترفع يدها و تمسح دموعها برفق.. ثم قالت و هي  
تضع يدها فوق المقبض استعداداً للنزول ؛

\_ ستكون أصعب فترة نعيشها سويًا.. لكنها ستمضي.. أليس كذلك !؟

او ما لها سليم بهدوء.. فساد بعض الصمت من طرفها استمرت خلاله تنظر له  
متمسكة بالمقبض بدون أن تنزل و كأنها لا تريد الإبتعاد.. قبل أن تهمس  
بخفوتٍ ؛

\_ تصبح على خير !

لم يرد سليم فورًا.. مثلها كان يبدو و كأن الكلمات توقفت في حلقه.. ليته  
يستطيع أن يحتضنها بين ذراعيه للأبد.. ليت هذا الزفاف قد مرّ في ظروف  
أفضل.. كما تمنى.. و تمنى !!

رفع يده بهدوء ليقربها منها إلى أن لامس جانب وجهها برقة.. و همس لها  
بعينين تحملان وعودًا صادقة ؛

\_ سأنتظر اليوم الذي تتعافى فيه سارة على أحر من الجمر.. حتى يتسنى لي  
الإمساكُ بيدك في سعادة مكتملة لندلف إلى بيتنا الجديد سويًا.. الذي سنعيش  
فيه.. سويًا.. سأنتظره بكل روح صبورة و أمل كبير..

عاد شبح الإبتسامة الحزينة ليكتسح شفثيها و هي تهمس بينما تحركُ رأسها  
بالإيجاب ردًا على كلامه ؛

\_ و أنا أيضًا !

لحظات أخرى استغرقتها في النظر له.. قبل أن تفتح الباب و تنزل بهدوء  
مبتعدة عن أنظاره التي ظلت عليها تراقبها حتى اختفت تمامًا بداخل منزلها..

حينها فقط كان يتنهد بقوة.. ثم أشاح بوجهه.. قبل أن تمتد يده إلى المحرك  
يشرع في تشغيله منطلقًا في طريقه.. عائدًا إلى منزله.. إلى غرفته الخالية منها

!!!

" لا أريد أن أفقد قدرتي على المشي.. لا أريد أن أفقد آخر فرصة لي في الإبتسام.. لا أريد أن ألفظ آخر أنفاسي في المشفى... "

كلماتها الشيء الوحيد الذي كان يرن في عقله على التوالي.. ترفض أن تتركه.. تلح على قلبه العاشق أكثر.. و تتردد في عقله بكل قسوة كلما وقف أمام نسختها الضعيفة..

يراقبها و هو بجوارها.. بينما هي أمام عينيه.. تزداد ذبولاً كل يوم لا العكس الذي هو ما يفترض حدوثه..

لم تكن فترة علاجها مرهقة فقط.. بل مؤذية نفسياً و معنوياً و جسدياً لها.. خلال فترة وجيزة.. فقدت الكثير من وزنها.. تضاعف شحوب وجهها و الذي ظن بأنه وصل من قبل إلى آخر درجة من الشحوب.. عيناها في كل يوم تفقدان بريق الأمل و كأن الأدوية تعمل بشكل عكسي..

و ابتسامتها نادراً ما أصبح يراها.. ابتسامة مجهدة بالكاد تسمى ابتسامة.. ابتسامة تحمل وميض الحب رغم إرهاق روحها المكبلة بحُبه منذ الأزل..

لم يكن يفارقها أبداً.. على مدى أربع و عشرون ساعة تقريباً يبقى معها.. متمسكاً بيديها.. و حتى في اللحظات التي يضطر فيها لتركها بأمر من الطبيب أو برغبة منه في إحضار شيء ما لها..

كان قلبه يبقى برفقتها..

منهكٌ مثلها.. محمل بقلقه و خوفه غير الطبيعي عليها.. متشبث بتلابيب الأمل بكل قوته..

لقد تحققت إحدى مخاوفها.. و أصبحت الدكتورة سارة فؤاد الغالي تعجز عن المشي لأكثر من خطوة واحدة.. و غالباً ما إن تقف بعناد توشكُ على الوقوع مجدداً..

لا توشك.. بل تقع غالبًا.. تقع على صدره..

ثم ما إن ترفع عينيها لتقابل عينيه المحققتين ألمًا.. تقع في حبه... مجددًا !!!  
ما كان يخيفه بالفعل و يقلقه.. هو إدراكه بأن كل ذلك التعب.. و الإرهاق.. و  
المضاعفات التي ما لبثت تلتهم جسدها الضئيل.. ما هي إلا بداية..  
مجرد محاولات من الأطباء لتجهيز جسدها من أجل الخطوة الأكبر.. و  
الأهم.. العملية التي تنتظرها !!

لقد نجح في إقناع الدكتور في أن يطيل من مدة إجازته أكثر.. بل توسله  
حرفيًا حتى يوافق على أن يقف على مهمة علاجها بنفسه.. و وافق في النهاية  
كأي طبيب يمتلك ضميرًا مهنيًا يمنعه من ترك مريضة لديه للموت !!  
كل يوم.. كان يمضي بالنسبة لها أطول من الذي قبله.. الدقائق تمر بشق  
الأنفوس عليها.. و الساعات كالأيام.. و لا يخرجها من هواجسها و مخاوفها إلا  
ابتساماته التي تعلم بأنها مزيفة باتقان لأجلها..  
و كلماته التي يختارها بعناية فتفتح قلبها فتزرع ابتسامة حقيقية على شفتيها  
!!

سيلين أيضًا كانت تزورها كل يوم برفقة والدها.. و لولا تواجد جاد و  
التصاقه الدائم بها لما تركتها هي الأخرى للحظة واحدة..

و في أحيان قليلة.. كان يأتي سليم برفقة أحد من أفراد عائلته.. هو الآخر  
أصبح يمتلك مكانة مميزة في قلبها كأخ صغير.. و كلما رأت تعامله و حبه  
لسيلين أصبحت مكانته في قلبها أكبر.. و أقوى..

هكذا يمر كل يوم.. إلى أن ينتهي بانتهاء قدرتها على فتح عينيها  
أكثر.. فتستسلم للنوم بين أحضانه التي تتلقف ضعفها بأنهار من حنانه و  
حبه.. ثم تستيقظ في اليوم التالي على وجهه.. و عينيه المتأملتين إياها  
بإخلاص..

كان لا يغادر مضطراً إلا في الليل.. بعد أن يطمئن على نومها.. و غالباً تكون غايته أن يؤمن لها كل ما تحتاج.. فهو توقف عن التفكير بنفسه منذ أن رقدت حبيبته في المشفى..

ثم يعود قبل أن تستيقظ ليندس في مكانه الأثير بجانبها محتضناً إياها إلى صدره بقوة..

لم تكن تظن بأن الفترة التي حدّدها براء ذات يوم لها.. قد تكون طويلة إلى هذا الحد.. إلا حينما وجدت نفسها تقطن في المشفى لشهور لم تهتم بحسابها.. اليوم كان مختلفاً.. لقد جاءت سيلين لتزورها في المساء.. و كالعادة مضطراً هو للخروج مانحاً الأختين بعض الخصوصية..

و قد طالت زيارتها أكثر من العادة.. حتى امتدت لأكثر من ساعتين ظل فيهما جاد ينتظر أمام الباب بصبر..

إلى أن مالت على سارة لتطبع قبلة رقيقة فوق جبهتها.. و تغادر الغرفة أخيراً على مضض.. بعد أن منحها سارة القليل من ابتساماتها الصادقة..

راقبت الباب و هو ينغلق من وراءها بهدوء.. ليعود و يندفع في نفس اللحظة من طرف جاد بالطبع.. ذلك الذي توقف ناظراً لها مبتسماً.. ابتسامة كبيرة جميلة..

إنها نفس ابتسامته الجميلة التي كانت تؤثر فيها بالماضي.. و بطريقة ما.. فقد عادت تمتلك نفس التأثير على قلبها !

إنها تحب ابتسامته.. تحبها جداً ! خاصة تلك التي يزيّفها لأجلها -فقط- !

كما الآن... إنها بسهولة تستطيع أن تلمح خيط الدموع الذي يحاربه حتى لا يتحرّر.. و قوقعة الحزن التي يحجبها خلف نظرة عينيه الهادئة..

فردت يدها باتجاهه في حركتها التي أصبحت أثيرة لديه.. فاقترب منها بسرعة ليلتقطها بين راحتيه و يجلس في طرف السرير بجانب رأسها كعادته..

رفع يدها الرقيقة إلى فمه يطبع قبلات دافئة في باطنها ناظرًا لعينيها المحاطتين بهالة من الضعف و الهشاشة.. قبل أن يمد يده الأخرى ليلمس جفونها التي كانت قد بدأت تنسدل بخمول شديد..

و حاول لعدة لحظات أن يشاكسها حتى تفتحهما.. إلا أنها كانت قد أغمضت عينيها نهائيًا بالفعل.. و همست بخفوتٍ و هي ترفع يدها لتبعد يده عن عينيها ؛

\_ دعني أنام !

إلا أن جاد بدا كطفل صغير و هو يستبدل يديه بشفتيه.. ثم همس مبتسمًا بـرجاءٍ و هو يعود ليدغدغ رموشها بأنامله ؛

\_ و إذا طلبت منك أن لا تنامي الآن.. ابقني قليلًا بعد.. أريد أن أدقق النظر بعينيكِ أكثر.. لا أشبع من تأملهما !

همست سارة بصوتٍ ثقيلٍ و هي تكاد أن تستسلم لسلطان النوم المريح ؛

\_ و أنا أريدك أن تكون أكثر تفهمًا و تتركني أنام... فأنا متعبة جدًا !!

لم يستطع جاد أن يلح عليها أكثر.. فتهدهد بقوة و هو يشعر بأنفاسها تنتظم بهدوءٍ دليلاً على استسلام جسدها للنوم بالفعل..

قبل أن يرفع الغطاء عليها مدثرًا إياها جيدًا.. هذه المرة بدون أن يندس بجانبها.. فقد كانت تنتظره مهمة و جب عليه تنفيذها قبل استيقاظها صباحًا !!

تجولت أنامله بنعومة فوق بشرة وجهها.. يلامس خط حاجبيها الدقيق.. ثم جفونها.. أنفها.. شفتيها.. ثم ذقنها الحاد و الرقيق في نفس الوقت حيث استقرت يده و عيناه للحظاتٍ يتأملها باهتمام..

ثم أخيرًا.. خصلات شعرها الناعمة الحبيبية..

عاد ليتنهد بقوة و هو يتطلع بها بعد أن تلاشت ابتسامته.. لماذا عليه أن يغادر الآن.. تبا لا يريد تركها !!!

اقترب منها بخفة ليلثم وجنتها بخفة.. ثم طبع قبلة حانية فوق جبينها.. قبل أن يتركها على مضض ليقف متجهاً إلى الباب.. إلى أن فتحه و خرج مغلقاً إياه خلفه بهدوء شديد..

---

لا يصدق بأنه قطع كل هذه المسافة لأجلها.. لقد انطلق في طريق طويلة جداً متجهاً إلى مدينة طفولتهما الجميلة.. إلى المزرعة الدافئة التي أصبحت تقترن بأجمل ذكرياته برفقتها..

إلى غرفتهما التي شهدت أجمل الابتسامات.. و الضحكات.. و الحب و الإعترافات المتبادلة.. و المشاعر الجميلة الدافئة..

إلى الشرفة التي لطالما وقفا سوياً بداخلها.. أحياناً متمسكين بحاجزها.. و أحياناً ببعضهما البعض بلا حواجز تذكر.. التي شهدت رقصتهما الأخيرة الساحرة..

الرقصة الأجمل في حياته !!

قبل أن يقف أمام القفص الذهبي اللون الذي يحتضن عصفوريهما.. روميوا و جولبيت... جاد و سارة !!

الحقيقة بأنه لم يعد يستطيب اسمي "روميوا و جولبيت".. ذلك يذكره بنهاية قصتهما المأساوية.. النهاية التي يخشى أن تنتهي قصته هو و سارة بها !!

و رغم ذلك.. فما إن عاد إليها.. بعد طريق طويل من القيادة امتد لساعات و ساعات.. شعر بالتوتر و مشاعر الندم القديمة تتلقف قلبه.. و عجز تماماً عن

ربط اسميهما بالعصفورين و هو يهتف بحماس ما إن دخل إلى الغرفة  
ليجدها مستيقظة كما توقع ؛

\_ ترالالال.. أنظري ماذا أحضرت لك !

كانت مستلقية على نفس وضعها.. تراقب شمس الظهر من النافذة كما تفعل  
في كل مرة تكون بمفردها.. حينما تسلل صوته الجميل إلى مسامعها.. فالتفتت  
إليه بهدوء لتتنظر إلى ذلك الققص الذي يضم العصفورين..

نفسهما اللذان فرقت بينهما ذات مرة.. و ها قد اجتمعا مجددًا في ققص  
واحد... كحالها مع جاد... حبيبها !

عادت تنظر لجاد الذي توقف في منتصف الغرفة ينقل أنظاره حوله للحظاتٍ  
بحيرة.. يبحث عن مكان مناسب ليضعهما به..

قبل أن يقترب من النافذة العريضة ليعلقه في مسمار طويل مُمتد بجانبها.. ثم  
تنهد و هو يلتفت إليها مبتسمًا ابتسامته الزائفة الساحرة.. فهمست سارة عاقدة  
حاجبها قليلاً ؛

\_ لا تخبرني بأنك سافرت ذهابًا و إيابًا لتحضرهما.. ما الذي ذكرك بهما الآن  
!؟

اقترب منها جاد بهدوء ليتخذ مكانه المعتاد بجانبها.. ثم همس و هو يلامس  
وجنتها برققة.. بنبرة تخللها شيءٌ من الحزن ؛

\_ أنا لا أنسى أيّ شيء يخصك.. روميوا و جول-.....

\_ جاد و سارة !

قاطعته سارة بتعقيب و هي تنظر في عمق عينيه.. قبل أن تستقيم معتمدة على  
يديها إلى أن أصبحت نصف جالسة.. ترى معالم الدهشة التي ظهرت في  
عينيه..



و الإرتجافة التي غزت رموشه إثر تطرقهما للماضي الأليم.. حتى و لو  
بطريقة غير مباشرة..

كانت كل مخاوفه أن يؤلمها.. فتلك الذكرى بالذات.. لم تكن تشبه أي ذكرى  
أخرى.. لقد كانت أكثر ذكرى مميزة بينهما.. كانت الليلة التي أسقطت فيها  
سارة كل حصونها و استسلمت لحُب خائن..

لم يستطع أن يصمد كثيرًا أمام عينيها.. فاقترب منها رغبة في التملص من  
أسر عينيها لا أكثر.. و همس بصوتٍ أجش بينما يتخلل خصلات شعرها.. و  
يلامس صدغها بشفتيه ؛

\_ هل أخبرك بسرٍ قديم عني؟! \_

\_ هممم !! \_

همست سارة بخفوتٍ متتعة بدفء أنفاسه.. فقال بنفس صوته الهامس  
مغمضًا عينيه بقوة ؛

\_ هل تتذكرين جاد الفظ؟! الغبي.. الحاقد و المنتقم!!! \_

\_ هممم.. \_

عادت سارة لتهمس بهدوء و كأن تلك السيرة لم تعود تؤذيها.. بل لم تعد  
تشكل أي فارق لديها.. فأطبق جفونه أكثر و هو يحرك أنامله بداخل خصلات  
شعرها متخللاً برفق بينما يهمس بحرارة و صدق تام ؛

\_ لقد مات في تلك الليلة على يديك!! تلك الليلة لم تكن عابرة أبدًا حبيبتي.. لم  
تكن بتخطيط مسبق مني.. لقد أردت إخضاعك نعم.. أردت امتلاكك و  
إذلالك.. أردت أن أقتل كل سبيل لك في التخلص أو الإبتعاد عني.. لكنني لم  
أتوقع بأن خطتي قد تنقلب بشكل عكسي علي.. فكنت أنا من خضعت لك  
حينها.. لقد خضعت لجمالك و سحرك الخلاب.. خضعت لقلبك الذي أحبني  
بكل إخلاص و لمشاعرك التي لفحت مشاعري بسحر لا متناهي..

صمت للحظة.. ثم عاد ليهمس بقلب يختنق و يتقد بالعاطفة ؛

بعد تلك الليلة.. شعرت بأن جزءًا من جاد القديم عاد.. نظراتك كانت تتخلل أعماقي لتهيج رغبتني في نبذ كل الأحقاد القديمة.. إلى أن أصبحت أتعمد تجنب عينيك كلما قابلتك.. و صوتك المرتعش ندماً على ما لا يحق لأحد محاسبتنا عليه كان يجعل قلبي يئن رغبة في منحك صك الأمان الذي لا أملكه.. أنفاسك كانت تضعفني.. و عطرك الذي أصبح جزءًا من أنفاسي أرسل الأرق إلى جفوني لعدة ليال.. أردت بعدها بشدة أن أتمسك بك.. لكن الرغبة العمياء في الإنتقام كانت تقيدني..

فتح عينيه فجأة ليقابل الفراغ المائل أمامه.. لا يزال حتى الآن متمسكًا بها.. أنفاسه تلمح قلبها و بشرة وجهها بدون أن يقابل عينها.. وجنتها تلامس ذقنه في عناق قلبي..

ثم أكمل بصوتٍ مشدد النبرات.. يعبر عن كل ما اختلجه من مشاعر حمقاء عجز عن سردها لأحد غيرها ؛

إلى أن جاء ذلك اليوم.. أسوء يوم عشته في حياتي.. كان اليوم الذي استسلمت فيه لتناقضات كادت أن تقتلني.. كنت كالأحمق.. أذرع غرفة الفندق ذهابًا و إيابًا.. ما بين رغبتني في التراجع و تصميمي على الإتمام.. ما بين عينيك اللتين تضعفانني و الماضي الأليم الذي يرفض منح قلبي السلام.. ما بين رغبتني في احتوائك و تدميرك.. رغبتني في جلب الدموع إلى عينيك و رغبة مماثلة في احتضانك حتى تجف هناك.. فوق قلبي.. ما بين حبي العاصف لك و كرهى المرعب لأبيك.. و فكرة خذلانك الماضي لي تمنحني حافزًا جديدًا و أقوى.. توقفت يومها طويلًا أمام قاعة الزفاف.. أحمل في يدي الظرف الذي كتبته بنفسى.. عيناى تتلكان على الطريق الذي يقود إليك.. لكن قدماى ثابتين ترفضان الإستسلام.. ثم بين كل ذلك.. رأيتك.. رأيتك تنزلين من السيارة الفاخرة.. كان وجهك شاحبًا.. لا تسأليني كيف لاحظت ذلك من مكاني.. رأيت القلق يفترس ملامحك رغم الابتسامة الزائفة.. نظراتك تلك.. ذكرتني بنظراتي التي حملت نفس القلق و أنا أقف بجانب القطار أنتظر

قدمك.. أتأمل قدمك.. لكنك لم تأتي.. فلماذا قد آتي؟! كان هذا السؤال هو ما  
طراً في عقلي.. وحده خلد شعور الحقد في داخلي.. وراقبتك بعينين تقذفان  
الشرر إلى أن دخلت القاعة.. توقفت مكاني بعدها طويلاً.. تعمدت أن أجعل  
انتظارك طويلاً.. و في كل مرة أتذكر شعوري يزداد الحقد في قلبي و تتأجج  
الرغبة في الإنتقام و التشفي في عياني.. إلى أن لمحت الطفل الصغير يمر  
من أمامي.. يمسك بين يديه مجموعة مناديل ورقية يبيعه لمن  
يريد.. فاستغلّيت فرصتي و اشتريت جميع المناديل و كأنني علمت بأنني  
سأحتاج إليها لاحقاً لأجلي.. لا لأجلك!.. ثم طلبت منه بأن يأخذ الورقة  
إليك.. ليسلمها إلى العروس الفاتنة في يدها.. و فعل.. و عاد إليّ مبتسماً بفخر و  
كأنه قام بإنجاز عظيم لي.. نعم.. لقد ساعدني في طعن قلب حبيبتي.. ساعد هذا  
الرجل الأحمق الغبي على أذية أكثر إنسانة أحببني.. و أحببتها في هذه  
الحياة.. هل تعلمين بماذا شعرت و أنا أرى ابتسامته؟! أرى يده الفارغة من  
الظرف؟!!!

تنهيدة طويلة هربت من بين شفاهه و هو يستأنف بصوتٍ مختنق ؛

\_بالندم !! نعم.. لقد ندمت على الفور.. كطفل صغير أردت أن أستعيد  
ظرفي.. تمنيت أن أرجع الوقت دقيقة واحدة لأمزق الظرف اللعين و أهب  
إليك.. لكن عبثاً !! فقد فات الأوان !! و لا يمكن للرجل الذي توعد بالانتقام.. و  
الذي آمن بأن انتقامه صائب أن يتراجع كالجبان.. ألم أخبرك بأنني تنبأت  
بحاجتي للمناديل الورقية !! نعم.. لقد استعملتها بالفعل.. استعملتها جميعها و لم  
تكفي لتجعل أنهار دموعي تجف.. فقد كانت تلك المرة.. المرة الثانية التي  
أنهار فيها بعد انهيار الأول حينما فقدت أمي !! و لم يكن انهيار الأخر  
بالطبع.. لقد انهزت كثيراً بعدها.. و في كل مرة.. يكون انهيارى مقترناً بك.. و  
بعد كل انهيار جديد.. يتأكد هذا الأحمق الذي يجلس بجانبك.. بأنه كان أكبر  
أحمق على الإطلاق حينما راهن على سعادته المتجسدة بك.. في كل  
مرة.. يفتنن من صواب فكرة واحدة.. أنك فقط.. من تجعليني على قيد الحياة  
!!!!

صمت أخيراً بأنفاسٍ متهدجة.. صمت تماماً بعد سيل من الإعترافات التي  
اخترقت قلبها بصدق تستطيع أن تقرأه من خفقات قلبه المتدافعة تحت يدها  
بدون الحاجة للنظر إلى عينيه..

رفعت يديها سوياً لتحتضن رأسه متخللة شعره بأناملها الفنانة بينما تريح  
ذقنها على كتفه.. و همست في أذنه بنبرة شديدة الهدوء.. نبرة جعلت من عينيه  
تضيقان قليلاً بغباء شديد ؛

\_ هذه آخر مرة أسمعك تنعت نفسك بالأحمق.. أنا فقط من يحق لها أن تناديك  
باللقب الذي تريد.. و رغم ذلك.. فلقب الأحمق لا يليق بك أبداً... يا أحمق !!!  
كانت هناك ابتسامة ضئيلة جداً فوق شفثيها.. أغمضت بعدها عينيها اللتين  
لامسهما بريق أحمر من التأثر بكل كلمة سمعتها..

قبل أن تشعر بذراعيه تلتفان من حولها برفق و كأنه يخشى عليها من الأذى  
لو انصاع لحرارة مشاعره و طوقها بكل ما يعتمر في صدره من لهفة إليها..  
ثم سمعته يهمس في أذنها بخفوتٍ ؛

\_ هل أطرح عليك سؤالاً صغيراً تجيبيني عليه بصراحة؟! !!

اتسعت ابتسامتها قليلاً و هي تهمس بذات الهدوء ؛

\_ سؤال صغير؟! أصغر من سرك "الصغير" من حيث عدد السطور على  
الأرجح؟! !!

ضحك جاد بخفوتٍ و هو يهز رأسه يأساً.. لكنه رغم ذلك همس بنبرة مسّت  
قلبها بينما يتشبث بها أكثر ؛

\_ هل كنت لتسامحينني لو لم تكتشفي أمر مرضك؟! !!

صمت قصير ساد من طرفها للحظة.. ثم همست بنفس نبرتها الساكنة الخافتة  
؛

\_ أظن بأن دوري قد حان لأخبرك بسر "صغير" !

إبتعدت عنه برفق لتجبره على مقابلة عينيها أخيراً.. و قد كان يحتاج للنظر  
إلى عينيها بالفعل..

ف-على- عكسها.. كان يستطيع أن يستشرف كل مشاعرهما الحقيقية  
منهما.. يستطيع قراءة دواخلها بمنتهى السهولة.. و كأنها كتاب مفتوح أمامه..  
يقرأ ما يريد و يتجاهل ما يريد.. هو فقط يصدق ما يريد تصديقه.. و يتجاهل  
ما لا يريد تصديقه !!!

همست بنبرة عميقة و هي ترفع يدها لتلمس ذقنه بنعومة ؛  
\_حبي لك.. أعمق و أقوى من أن يموت و يُدفن تحت ركام الخطايا و الكره  
!!!!

نقل جاد عينيه بين عينيها بحيرة و كأنه يعجز عن فهم المعنى الحقيقي  
لكلامها.. فاسترسلت بصوت هامس ثابت و هي تنظر في جوف عينيه ؛  
\_لقد سامحتك منذ زمن طويل.. لا أعرف متى بالضبط.. لا أستطيع أن  
أعرف.. ما أعرفه فقط و يستوعبه قلبي و عقلي.. بأني الآن و أنا أجلس  
بجانبك.. أنظر إلى عينيك.. أدرك كم من اللحظات الجميلة كانت لتضيع مني  
لو لم أسامح!.. أدرك بأني طوال حياتي.. كان هذا هو أكثر قرار صائب  
اتخذته في حق نفسي.. لقد سامحتك ربما.. منذ تلك اللحظة التي عانقتني فيها  
بقوة في المشفى.. أو ربما... حينما رأيت سيل دموعك الذي مزق قلبي.. أو  
ربما... بعد أن اتخذت قرار تمزيق أوراق الماضي و منحي مستقبلاً أجمل  
بدونك.. أو في ذلك اليوم الذي تصنعت الغفوة فيه بمنزلي لتلقي على مسامعي  
اعترافاتٍ لم أظن بأني قد أسمعها منك يوماً.. لا أعلم متى بالضبط  
سامحتك.. لا أستطيع أن أعلم.. لكنني.....

انضمت يدها الأخرى لتطوق وجهه برقة.. و أضافت ببطء و جدية أمام عينيه  
؛

\_سامحتك من كل قلبي حبيبي.. و لا علاقة لهذا القرار بمرضي !

تلقائيًا بعد سماع هذه الإعترافات الحساسة منها.. وجدت مشاعر الحيرة  
السابقة تنقشع من عينيه.. و حل محلها ضعف جديد عليه و هو يرى طيف  
الإبتسامة المُرهقة التي اكتسحت شفثيها..

همست بعدها بنبرة ذات مغزى عميق بدون أن تفارق عينيه ؛

\_أنظر إلي.. أنا عشقك.. أنا قدرك.. أنا هويتك.. أنا لن أستطيع الهرب منك بعد  
الآن ليس لأنني أعطيك وعدًا.. بل لأنني لا أستطيع.. حتى لو لم تمنعني أنت  
فسيمنعني قلبي اللعين بحبك... هل تتذكر ???!

بادلها جاد الإبتسامة بشبيهتها و هو يهمس بتحسرج و تردد ؛

\_جاد لسارة... و سارة لجاد !!؟

و ما كان منها إلا هزت رأسها بالإيجاب.. ثم قالت بصوتها الخافت المرهق  
بنفس النبرة و هي تستند بجبهتها إلى جبهته.. مغمضة عينيها بسلام ؛

\_لا أعرف شيئًا غير هذا !!!

مال عليها جاد برفق ليطلع شفثيه مطولاً فوق وجنتها.. فزادت من إغماض  
جفنيها.. إلا أنها و بعد لحظة شعرت بتشنج جسده المفاجئ.. و رأسه الذي  
ابتعد عنها..

فنظرت له بحاجبين منعقدين بقلق.. لكنه كان ينظر في جهة أخرى.. كان ينظر  
خلفها.. إلى يده... ربما !!!

ابتلعت ريقها ببطءٍ و هي تلتفت قليلاً برأسها لتنظر ليده.. و لم تتفاجئ كثيرًا  
و هي ترى بعض من خصلات شعرها.. عدد وفير منها في الحقيقة على  
أنامله..

تمسكت بيده برفق لتحتويها بين يديها.. ثم عادت لتقابل عينيه الجاحظتين.. و  
اللتين تحرك بؤبؤيهما ببطءٍ إلى أن نظر لها بلا تعابير تقريبًا..

إلا أنها لم تهتم بنظرته تلك.. فقد همست بخفوتٍ و هي تنتزع الخصلات  
برفق من بين أنامله ؛

أنا لن أفقد شعري جاد.. لن أضطر لقصّه.. لا تخف.. لقد.. لقد سألت الدكتور  
الذي كان مسؤولاً عن حالتي في الخارج و أكد لي بأنني لن أضطر  
لقصه.. سيتساقط القليل منه نعم.. بل ربما الكثير.. لكن ليس إلى الدرجة التي  
تضطرني لقصّه.. لقد مر الكثير بالفعل.. العملية لم يتبقى لها سوى أيام  
قليلة.. و بما أنني لم أفقد شعري طيلة الشهور الماضية فلن أفقده في أيام تعد  
بالأصابع... لا تخف !!

نظر لها جاد بعذاب.. النظرة في عينيه تناقض صوته الذي خرج محملاً  
بحرارة مشاعره.. حينما همس متأوهاً بشدة و هو يعود ليحتضن جسدها  
النحيل إلى صدره.. متمسكاً بقوة كما يتمسكُ المرء بحياته..

لست خائفاً.. أنا فقط.. أريد أن يمر كل شيءٍ بخير.. لا بدّ أن يمر كل شيءٍ  
بخير.. لست خائفاً حبيبتي.. لا تقلقي !

---

لقد كان يكذب.. فذلكَ الخوف الذي يلتهم قلبه و أنفاسه.. تزداد وتيرته كل  
يوم.. كلما اقترب موعد العملية أكثر.. كان أكثر من واضح لها.. لكنها كانت  
تتجاهله كما تتجاهل الخوف بداخلها بحزم.. مكتفية بالابتسام..

و كأنما انقلبت الأدوار مجدداً.. فباتت هي من تجبره على الابتسام لا  
العكس.. ابتسامتها الحُلوة الباهتة تجعل كل من يراها يرغب في  
الابتسام... فكيف به هو !!!

الكثير الكثير من المراحل و الإجراءات انتهت بوقوفه أمام الطبيب بعد أيام  
من إجراءاتها لعملية " زرع النخاع العظمي " .. و الذي كان هو بنفسه من  
تبرع بجزءٍ منه لحبيبته بعد أن قام بفحص كامل يثبت تؤهل جسده لهذه  
العملية..

لم يكن يهتم بضعفه بعد نهاية العملية.. كل ما كان يشغل باله هي.. و قد بدت له حالتها أصعب من ذي قبل منذ الوهلة الأولى..

و كأنها تعرضت للقتل في تلك الغرفة لا عملية من المفترض أن تنقذ حياتها.. لكن وضعها سرعان ما عاد لحالته السابقة.. و اطمئن قلبه بتحسّنها النسبي..

كان يقف أمام الطبيب في مكتبه.. بينما سيلين و فؤاد يقفان بجانبه بنفس القلق.. و سليم أيضاً.. حينما مدّ له الطبيب نتائج الفحوصات المرضية الأخيرة التي قامت بها سارة..

فسكنت عيناه للحظة على نظرة تردّد.. قبل أن يأخذها منه بأنامل ترتجف و يفتح الملف ببطءٍ شديدٍ.. بخوفٍ و ترقبٍ شديدٍ.. لتبدأ مهمة عينيه في التجول فوق تلك السطور بخفقات قلب تتدافع بشكل غير طبيعي..

إنها اللحظة الفاصلة..

فإما أن يفي بوعده الثقة الذي منحّه لها.. أو يتحقق هاجسها المرعب و... تموت حبيبته بين جدران المشفى !!!

---



## " الرmq الثاني و الثالثون ؛ إلى منزلنا ! "

كانت تلك اللحظة هي الأصعب تقريبًا من بين جميع لحظات حياته.. الأصعب عليه بعد لحظة فقدانه لأمه.. و اكتشافه لمرض سارة..

كانت أنفاسه متباطئة.. و عيناه ترتعشان بشدة و هما تتجولان فوق السطور المترakمة أمام عينيه.. يفهم القليل منها و لا يفهم الكثير.. لكنه يبحث عن شيء واحد فقط.. عن إشارة واحدة..

تلك التي ما إن إن وجدها.. حتى اتسعت عيناه بدهشة لا متناهية.. بسعادة لا متناهية برقت بؤبؤتيه لها..

سعادة جعلت قلبه يختلج بقوة و هو يرفع رأسه محققًا بالدكتور بحاجبين منعقدين بشدة و كأنه يسأله.. يطلب منه أن يؤكد صحة ما قرأه..

و قد كان الدكتور سخيًا في طمئنة قلبه.. فأوماً له مبتسمًا بثبات و لطف شعر معه جاد برغبة قوية في ضمه بقوة..

لكنه بدلًا عن ذلك احتضن سيلين التي لم يجد غيرها بجانبه..

احتضنها بحرارة و كأنه يحتضن قلبه المسكين الذي تكاد أن تتوقف خفقاته استجابة لمشاعره المتوهجة في هذه اللحظة..

ذلك الحزن.. كان بمثابة تهنة.. بمثابة الإجابة التي كانت تنتظرها قبل قليل من عينيه اللتين جالتا حوله و كأنه يبحث حقًا عن من يشاركه شعوره ذاك..

فارتفع جانبا شفثيها في ابتسامة مترددة.. قبل أن تقابل وجهه ما إن ابتعد عنها.. تحاول أن تتأكد ممّا تراه..

هناك ابتسامة مشعة على وجهه.. إذاً هناك أمل كبير يلوح في الأفق.. لا.. ليس مجرد أمل.. سارة.. سارة ستنجو بالفعل... لقد قاربت على النجاة!!!

كان يبدو كشخص آخر.. و كأنما يشهد لحظة ولادته للمرة الثانية.. لقد ولد من جديد بابتسامة جديدة.. و روح جديدة.. و روح الجديدة التي جعلته يندفع إلى خاله أيضًا ليضمه بقوة مبتسمًا من أعماق قلبه..

لقد كان صادقًا حينما أخبرها أن لكل شيء يحدث في الحياة حكمة.. تأكد من ذلك حينما شعر بخاله يبادلُه العناق مرتبًا على ظهره بشيء من الرفق و الدفء !

حتى سليم و الدكتور لم ينسأهما و هو يضمهما أيضًا بلامح تبدو مشعة مجنونة من السعادة.. قبل أن يندفع بخطواتٍ تنهب الأرض ليفتح الباب و يتوجه إلى حبيبته الراقدة في تلك الغرفة الجانبية..

إلى أن توقف أمام باب غرفتها.. و أخذ نفسًا طويلًا عميقًا.. قبل أن يدفعه بهدوء و يدخل بنفس الهدوء تاركًا الابتسامة المتألقة على شفثيه.. هذه المرة ابتسامة حقيقية جدًا..

رأها و هي تجلس جلستها المعتادة منذ فترة.. تستند إلى الوسائد بظهرها شبه جالسة في وضعية غير مريحة تمامًا.. قبل أن تلتفت إليه فورًا مع سماعها لصوت اندفاع الباب..

و ما إن لمحتة.. و جالت عيناها مدققة النظر بلامحه المبتسمة بهذا الإخلاص.. ابتسامة صادقة لم ترى شبيهتها منذ وقتٍ طويل.. حتى انعقد حاجباها بغير فهم..

اقترب منها جاد ببطءٍ و قد كادت أن تزيح نفسها متوقعة أن يجلس في مكانه المعتاد بجانبها.. إلا أنه لم يجلس.. بل سقط.. سقط على ركبتيه بجانب سريرها.. متمسكًا بيدها كذلك اليوم تمامًا..

\_\_ جاد ؟

همست اسمه بصوتٍ لاهثٍ لم يغادر شفيتها ليصل إلى مسامعه.. و كادت أن تناديه مجددًا بحيرة.. إلا أنها تراجعته و هي تراه يغرق يده الحرة في جيب بنطاله ليخرج شيئًا ما..

ذلك الشيء.. لم يكن سوى إسوارتها الفضية التي رفعها أمام وجهها.. و لم ينتظر.. لم يمنحها تفسيرًا.. هو فقط أعادها إلى مكانها المخصّص في معصمها..

كان رأسه مطرق طوال الوقت.. منذ أن سقط على ركبتيه بجانبها.. إلى أن رفعه إليها أخيرًا.. و حينها فقط.. فتح فمه ليقول ببطءٍ و كأنه يتلذذ بنطق كل حرف على حدا ؛

\_ ألم أقل لك بأن الإستسلام كلمة مهملة في قاموسي؟! ألم أخبرك أنّ الله الذي جمعنا مجددًا بعد سنين فراق لا يمكن أن يسمح بافتراقنا؟! أخبرتك أن تتقي بي و سأكون عند حسن ثقتك!! أخبرتك!!!

كانت سارة تنقل عينيها بين وجهه بعدم فهم.. و لأول مرة يراها بهذا الغباء بحيث ظلت نفس الحيرة تتلقف ملامحها..

فانخفض ليدفن وجهه في باطن كفها المُرتاح فوق السرير.. و همس بحرارة و دموعه تنساب سعادة لأول مرة بعد وقتٍ طويل ؛

\_ و قد كنت عند حسن ثقتك.. أنا لم أخذلك هذه المرة... لم أخذلك!!!

بعض الإدراك ظهر في عيني سارة.. إدراك رفض قلبها الفاقد للأمل تصديقه.. فظهر شبح ابتسامة منقوصة فوق شفيتها.. و همست و هي ترفع يدها الأخرى لتتخلل شعره و كأنها تمشط لطفلها الصغير الذي أتاها باكياً يحاول التمهيد لإطلاعها على مصيبة اقترفها بحقها ؛

\_ أنت لا يمكنك أن تخذلي أبدًا.. أنا أثق بك !

رفع جاد رأسه بسرعة هاتفًا بسعادة عارمة و استنكار جميل ؛

\_ ألم تفهمي تلمحي بعد يا حمقاء ؟!!!

رفع يده الأخرى بالملف الذي كان قد أسقطه أرضاً في غمرة انفعاله.. ثم هتف و كأنه يقبض على كنزه الثمين ؛

\_ أنتِ لن ترحلي.. لن تذهبي إلى أي مكانٍ مجدداً.. ألم أخبركِ ذلكَ اليوم بأنني سأبقى ملتصفاً بكِ عالفاً بين أنفاسكِ حتى لا أسمح لكِ بالتقاطها بدوني !!  
وقف بسرعة ليرتمي بجانبها فوق السرير و يكمل مطوقاً وجهها بين يديه بلهفة فاقت حدود اللهفة ؛

\_ الآن لم يعد هناك أمل فحسب ! بل هناك حياة.. حياة طويلة سنعيشها سوياً بكل تفاصيلها الجميلة.. هل تفهميني ؟! هل تستوعبين ما أقول ؟!!  
الآن أصبح الإدراك قابلاً للتصديق.. لقد شرحت نظرات عينيه المكّلة بالحياة كل شيء..

ربما.. ربما عليها أن تصدقه فقط.. حتى و لو بدا لها ما تعيشه أشبه بحلم جميل مستحيل التحقق..

فلتصدق هذه المرة.. ما الذي يمنعها من التصديق !!!

شهقة مفاجئة غادرت شفثيها و هي تنقل عينيها مذهولة بين عينيه لعدة ثوان تكاد أن تذرّف الدموع حيرة و لهفة..

فاقترب منها جاد ليطلع قبلة حانية فوق جبينها.. ثم همس بصوتٍ أكثر ثباتاً و هدوءاً و هو يترك شفثيه على بشرتها ؛

\_ هل تستوعبين ما أقول ؟!!! أنتِ لن تلفظي أنفاسكِ الأخيرة هنا.. لن تموتي بين جدران المشفى التي تخافين منها.. هاجسكِ الأحمق لم يعد يمتلك قابلية للتحقق.. لقد فزت عليكِ هذه المرة.. لقد انتصر إيماني على خوفكِ..

أغمضت سارة عينيها بقوة على شهقة أخرى خرجت محملة بتعب من خاض سباقاً طويلاً مريراً..

قبل أن ترفع ذراعها لتحتضنه بقوة..سامحة أخيراً لابتسامتها باكتساح شفيتها  
ببطءٍ من بين الدموع..ابتسامة تحمل نفس الدهشة التي كانت على ملامحه  
قبل دقائق..

فبادلها جاد العناق بقوة تفوق قوتها..ثم همس في أذنها باختناق و هو يشدد  
من تمسكه بها ؛

\_أحبك..أحبك يا -مستعمر القهوة- !

لم تتمالك سارة نفسها من الضحك من بين دموعها..ضحكة خافتة متحشجة  
همست بعدها تشاركه نفس النبرة المختنقة تأثراً ؛

\_و أنا أحبك يا -مجنون العائلة- !

كانت تلك أول مرة يسمع هذا اللقب منها..و أول مرة لا يضايقه لقب  
"المجنون" الذي أزعجه كثيراً في الماضي..أما اليوم..فقد رفع رأسه للسماء  
بامتنان و هو يبتسم بكل ما يعتمره من مشاعرٍ جياشة !

و خارج الغرفة..كانت سيلين قد خرجت من المكتب بعد لحظاتٍ من خروج  
جاد عازمة على الإتجاه لغرفة سارة..لكنها توقفت و هي تشعر بيدٍ قويةٍ  
تقبض على ذراعها برفق..

فاستدارت لتتنظر لسليم الذي قال مبتسماً بصوتٍ أجش ؛

\_الحمدلله على سلامتها..و سلامتنا أيضاً !

ابتسمت سيلين من عبارته الأولى..و هزت رأسها بمكر من عبارته الثانية  
هامسة ؛

\_و ما دخلنا نحن؟!!

تنهد سليم تنهيدة عميقة طويلة و هو يقبض على ذراعها الآخر أيضاً برفقٍ  
ليقربها منه مردفاً بنبرة مميزة ؛

\_نحن تزوجنا..هل نسيت؟!!

لم يكد يتم كلامه..حتى كان ترفع يدها لتلكز جبهتها متظاهرة بالغباء و هي  
تقول بنبرة اعتذار مزيفة ؛

\_اووه..هل تصدق أنني كنت قد نسيت بالفعل في خضم كل هذه الأحداث !!  
لم تتفاجئ و هي ترى نظرة العبوس التي احتلت عينيه..قبل أن يقول بتذمر  
طفولي ؛

\_من الأفضل أن يكون هذا مزاحًا و إلا.....

صمت فجأة..فقالَت سيلين بترقب بينما ترفع حاجبها الشرير ؛

\_و إلا؟!!!

مال حاجباه بحزن و انخفض جانبا شفثيه إلى الأسفل ببؤسٍ و هو يهمس ما  
توقعته تمامًا بأسلوبه العفوي اللطيف ؛

\_و إلا سأحزن...كثيرًا !

ابتسامة متألقة اتسعت فوق شفثيها جعلته يبتسم مرغمًا هو الآخر..لكن عينيه  
غرقتا في الشرود بعد لحظة..ثم همس و هو يلامس جانب وجهها  
براحته..يتلقف ابتسامتها الجميلة بعينيه ؛

\_هل تعلمين ما أكثر شيء كنت قد اشتقتُ إليه طيلة هذه الفترة؟!!

هزت سيلين رأسها بالنفي سائلة ببطء ؛

\_أخبرني ما هو؟!!

\_ابتسامتكِ !

همس بنبرة خافتة جدًا عميقة لعينيها..عينيهما اللتين سقطت عنهما الابتسامة  
ليبقى أثرها جميلًا و هي تنظر له بحب يستطيع قراءته بكل سهولة..

لكنها لم تستطع إجابته..فقد انتفض كلاهما على صوت انفتاح الباب  
فجأة..ليخرج منه فؤاد..

و قد تسمر مكانه للحظة ينظر بينهما بدهشة.. خاصة و هو يرى سيلين تبتعد  
كالمسوعة.. و أدني سليم اللتين احمرتا كما العادة حينما يتوتر.. و لم يستطع  
أن يتكلم بالطبع فكانت سيلين من همست متلعثمة قبل أن تبتعد بسرعة ؛

\_ أنا.. أنا سأذهب لأرى سارة !

ظل سليم متوقفاً مكانه للحظة ينظر في أثرها.. ثم لم يلبث أن ابتلع ريقه و قال  
موجهًا كلامه لفؤاد قبل أن يلحق بسيلين هو الآخر ؛

\_ أنا.. أنا أيضًا عليّ أن أذهب !

توقفت سيلين أمام الباب و هي تهتم بفتحه.. لكن جاد كان قد سبقها فاصطدمت  
به بعد أول خطوة كان ينتوي قطعها نحو الخارج.. قبل أن يقول مبتسمًا  
بهدوء تام.. بملامح و نبرة مرتاحة ؛

\_ جنّت في وقتك تمامًا.. أنا سأذهب إلى المنزل سريعًا لأغير ثيابي و أحضر  
بعض الأغراض المهمة لسارة ثم أعود.. ادخلي..

اومات سيلين بلهفة و هي تتقدم بسرعة لتدخل تزامنًا مع خروجه مغلقة الباب  
خلفها.. قبل أن تقترب بسرعة من سارة..

جلست بجانبها تنظر لها للحظة واحدة بابتسامتها المشعة.. قبل أن تقترب  
لتحتضنها بقوة بدون أن تلفظ كلمة واحدة..

و تبادلها سارة بدون أن تلفظ كلمة هي الأخرى !!

---

لم تعد الساعات تمر ببطءٍ كما السابق في انتظارها للحظة الموت الرحيم  
التي ستخلصها من معاناتها.. لقد عاد الوقت ليتخذ مجراه الطبيعي بالنسبة  
لها.. فأصبحت الساعات تمر منتظمة في وتيرتها الطبيعية..

الأمل الجميل عاد ليتدفق إلى قلبها الذي خذلها في التمسك به لمرّة واحدة في حياتها.. و الحمد لله أنها وجدت من يتمسك به عوضاً عنها.. بل و يجبرها على التمسك به !!

\_ لحظة.. سأنتهي في الحال !

سمعت صوته يهمس بنبرة مرحة محببة إلى القلب بينما يجثو على ركبتيه أمام سريرها.. يلبسها الحذاء برفق.. فهمست باعتراض ضعيف و هي تتمسك بكنتفيه تتمنى لو تمنعه ؛

\_ جاد.. جاد يكفي... سأرتديه بمفردي !

هز جاد رأسه بالنفي و هو يكمل ما يفعله بكل رحابة.. إلى أن ألبسها الفردتين برفق.. و حينها فقط.. رفع رأسه ليمنحها ابتسامته المتألقة..

فقال سارة و هي تميل برأسها قليلاً معاتبة ؛

\_ ما كان عليك أن تفعل ذلك أيضاً !

عاد يحرك رأسه قليلاً بدون أن يرد و كأن تلك هي الحركة الوحيدة التي يجيدها.. قبل أن يحث نفسه على الوقوف بهدوء أمامها..

مشرقاً على حبيبته.. متأملاً شعرها الذي كان مرتباً على شكل جديلة فرنسية بعد أن إهتم بتمشيطه و ظفره لها بنفسه..

لاحظت سارة نظراته.. فهمست مبتسمة برقة ؛

\_ هل أبدوا جميلة؟! !

أخفض جاد عينيه ليقابل عينيها بهدوء.. قبل أن يهمس بصدق و هيام تاركاً ابتسامته الجميلة تدفء جوارحها ؛

\_ و أجمل من أيّ مرة رأيتك فيها !

ثم فرد يده نحوها في حركة ذات مغزى و هو يضيف ؛



\_ دعينا نذهب..

رمقت سارة يده بنظرة مميزة.. قبل أن ترفع يدها لتضعها فوقها تلقائيًا لكنها لم تقف رغم ذلك.. همست مبتسمة بنبرة تشبه نبرته ؛

\_ إلى أين ؟!!

حينها همس يجيبها بالطريقة التي تريد.. تلك الجملة التي توقعت أن تسمعها.. و التي سمعها و سمعتها منه مسبقًا.. همس و هو يميل برأسه قليلاً لا يشبع من تأملها ؛

\_ إلى مكان لن يرانا أيّ أحد فيه و نحن نتعانق !!

وجدت نفسها عاجزة بعد هذه الجملة عن كبح ضحكة تأقت لها عينيها و غادرت شفثيها بدون صوت.. قبل أن يضيف ببطء ؛

\_ إلى منزلنا !

ثم لم يلبث أن سحبها برفق إلى أن وقفت بصعوبة قليلاً بجانبه.. ذراعه تحاوط خصرها.. و رأسها يكاد أن يلامس صدره.. ثم قال بجدية بينما يقربها منه أكثر ؛

\_ دعيني أحملك !

كما توقع تمامًا.. فقد هزت رأسها بالنفي و هي تحاوط ظهره بذراعها هي الأخرى هامسة برقتها الجميلة بينما ترفع رأسها لتنظر إلى عمق عينيه ؛

\_ لا.. أريد أن أمشي قليلاً..

تنهد جاد باستسلام و هو يرفع يده ليغطي وجنتها.. يسمع صوتها بينما تستأنف ببساطة و لطف ؛

\_ و مع ذلك فسأخبرك إذا شعرت في أيّ لحظة بعدم قدرتي على

المشي.. اتفقنا !

رمش بعينه المفعمتين بعشقه و تأثره بكل همساتها و سكناتها و نظراتها..و  
لم يستطع أن يجيبها إلا بعد لحظات..إجابة هادئة و متوقعه تمثلت في هزة  
من رأسه..

سار معها بهدوء عبر أروقة المشفى..

إلى أن توقفا بجانب سيارته..و حينها فقط كان يتركها مضطراً بعد أن  
ساعدها على الإستقرار في مقعدها..ليدور حول السيارة و يستقر في مكانه  
هو الآخر..

همس بشيءٍ من التردد و هو يعتمد التظاهر بالإعتيادية بينما يبدأ في تشغيل  
سيارته ؛

\_هل تحبين أن نذهب إلى منزلي أو منزلكِ!؟

تعمدت سارة أن لا تجيب فوراً حتى ترغمه على النظر لها..و بالفعل نجحت  
و هي تراه يستدير نحوها ليقابل عينيها مستأنفاً بخفوتٍ ؛

\_لن أتضايق حتى لو قلتِ أنكِ لا تتمنين العودة إلى منزلي مرة أخرى !

صمت ثقيل تلقاه منها..قبل أن تقول ببساطة ؛

\_خذني إليه !

نظر لها جاد محتاراً..فعدت تهمس بنبرة بطيئة ذات مغزى ؛

\_إلى -منزلنا- !

لم يفهم جاد إلى ما تلمح..لكنه رغم ذلك ابتسم قليلاً و هو يقترب منها ليلمس  
وجنتها بحنانٍ بينما يهمس ؛

\_هل تقصدين بمنزلنا..المنزل الذي أتينا له لأول مرة بعد أن تزوجنا..أم

منزلكِ أنتِ!؟

رفضت سارة أن تريحه..فقالته بعناد ؛

\_ أقصد بمنزلنا -منزلنا-..و ليس منزلي...ألا تفهم !!

اتسعت ابتسامته بمكر خفي و هو يقترب منها أكثر..إلى أن قال بنبرة مميزة  
مشددًا على حروفه عن عمد ؛

\_ لا..لا أفهم..أريد أن أفهم أرجوك..اجعليني أفهم !!

" لا..لا أفهم..أريد أن أفهم أرجوك..أريد أن أفهم ! "

كم أصبح ذلك المشهد يبدو بعيدًا جدًا..بعيدًا و جميلًا..لقد كانت تلك الجملة  
بمثابة تمهيد لحياتها الجديدة الجميلة..

ابتسمت سارة أمام عينيه و عقلهما عالق في نفس اللحظة..ثم بهدوء..أمسكت  
بيده التي على وجنتها و أنزلتها قليلًا إلى شفثيها حيث طبعت قبلة طويلة فوق  
باطنها هامسة بنبرة جعلت قلبه المسكين ينصهر في مكانه ؛

\_ أنا أحبك..أحبك حد الموت..هل كنت تظن بأن حبي العميق الذي أخبرتك  
عنه قد يخضع لمأساة الماضي؟! أم أنني كنت أمزح حينما همست  
باعترافاتي أمام عينيك! قطعًا لا..قطعًا لا حبيبي..بعد الآن..افعل بي ما  
تشاء..خذني إلى حيث تشاء..لكنني لن أتخلى عنك..لن أتركك بعد الآن..  
سأموت قبل أن أفعل..سأمو.....

لم تستطع أن تكمل..فقد قاطعها جاد بسرعة و هو يكتم فمها بنفس راحة اليد  
التي كانت تقبلها قبل لحظات..ثم قال بصوتٍ متشنج على مقربة من عينيها ؛

\_ لا تذكرني سيرة الموت مجددًا !!!

اومات سارة تحت يده ببساطة و كأن الأمر لا يدعو للإنفعال..فتردد  
للحظة..ثم أبعد يده ببطءٍ ليقول بينما ابتسامته تعود لتخط شفثيه تدريجيًا ؛

\_ إذن فليكن منزلنا !

---

\_ منزلنا !!

قال سليم بشغف و هو ينظر إلى سيلين التي كانت تقف بجانبه..يدها في يده..و عيناها أسيرتا عينيه..بينما يقفان أمام واجهة منزل جميل جدًا..

همست سيلين بخفوتٍ و هي تتأمل ابتسامته العذبة ؛

\_تعلم بأنني أحبك..أليس كذلك؟!\_

أوماً سليم بهدوء..لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يقول ممازحًا بما يشبه الغيرة ؛

\_و أعلم أيضًا أنكِ تحبين أختكِ أكثر مني...أليس كذلك؟!\_

هزت سيلين كتفيها بعجز و هي تهمس ؛

\_هذا أمر ليس بيدي !\_

ثم قالت فورًا بحماس و هي تنظر لواجهة المنزل ؛

\_الآن ندخل!!؟\_

أوماً سليم بسرعة..ثم سار معها بهدوء إلى المنزل..إلى أن توقف أمام الباب..و أخرج المفاتيح ليفتح الباب بيد واحدة بينما الأخرى لا تزال متمسكة بيدها لا تتركها أبدًا..

قال مبتسمًا بلطف و هما يتوقفان في منتصف صالة هذا المنزل الكبير نسبيًا ؛

\_أنا لم أقرّر بعد إذا كان هذا سيكون منزلنا أو لا...أردت أن تريه أولًا ثم بعدها نقرر سويًا..تعالى لأريكِ الغرف..\_

لم ينتظر ردها فقد سحبها وراءه بحماس باتجاه المطبخ أولًا..ثم الغرف ليريهما إياها واحدة تلو الأخرى..

كانت ابتسامتها واسعة جدًا..لا تنفك عن الإنبهار كلما تجولت في الشقة الدافئة أكثر..

إلى أن توقفا في منتصف أحد الغرف التي كانت جميلة جدًا.. بأثاث فخم  
تتماوج ألوانه ما بين الأسود و الزهري الشاحب..حينها قال سليم بنبرة مميزة  
؛

\_و هذه ستكون غرفتنا !

نظرت سيلين حولها إلى الغرفة الجميلة بابتسامة واسعة متألفة..ثم همست  
تلقائيًا ما تشعر به ؛

\_واووو..أنا منبهرة حقًا..لا بدّ أن سارة أيضًا.....

صمتت فجأة و هي تنظر لسليم الذي لم تختفي ابتسامته أبدًا..ثم قالت تتداركُ  
بنبرة بدت بريئة جدًا ؛

\_لما كنت سأستطيع أن أقف اليوم هنا بجانبك و أبتسم بهذا الشكل لولا عودة  
سارة !

أوماً سليم بتفهم و هو يقترب خطوة منها ليحاوط وجهها بيديه..ثم همس  
ناظرًا لعينيها الدامعتين ؛

\_أعلم..و لهذا أنا ممتن لسارة كثيرًا..و للقدر الذي أعادها لنا جميعًا !

صمت للحظاتٍ ثم عاد ليهمس بصدق ؛

\_هي ليست أختك أنتِ فقط..بل أختي أنا أيضًا..و أنا أيضًا أكن لها الكثير من  
الإحترام و الحب أيضًا !

لمح تلك الدمعة التي انزلقت ببطءٍ لتلامس وجنتها.. فمسحها بسرعة مردفًا  
بقلق ؛

\_لماذا الدموع الآن حبيبتني !؟

اتسعت عينا سيلين قليلًا و هي تهز رأسها بلا فائدة و كأنها لم تستوعب إلا  
الآن بأنها تبكي بالفعل..قبل أن تقول بصوتٍ بدا مرتعشًا ؛

\_ لا تزال هناك بعض الفحوصات المهمة التي ستقوم بها سارة !

همس سليم ينقل عينيه بين ملامحها ببطء ؛

\_ و هل أنتِ خائفة؟!!

فأومات مجيبة بنفس النبرة المرتعشة بصدق ؛

\_ سأكذب لو أخبرتك بأنني لست خائفة.. لكنني أيضاً سعيدة.. سعيدة كون سارة  
تخطت كل المراحل الأصعب.. و أخاف بشدة كلما مرت في عقلي لحظة من  
الأيام المؤلمة التي عشناها في آخر فترة..

تهدج صوتها قليلاً و هي تستأنف بنبرة قاربت على الإختناق ؛

\_ سارة ليست أختاً فحسب بالنسبة لي.. سارة هي ملجئي الأمن.. ذلك الحزن  
الذي أختبئ بداخله كلما أرهقتني الحياة.. نفسه الحزن الذي يحتويني دون  
سؤال.. دون تردد.. سارة تكون أُمي الثانية.. ربما ستظنني أبالغ لو أخبرتك  
أنني كنت سأموت.. سأموت حرفياً لو فقدتها.. لم أكن سأتحمل.. لا أستطيع أن  
أتخيل الفكرة حتى.. لا أستطيع !!

دمعت عينا سليم رغماً عنه و هو يسمع منها كل هذا الكلام بهذا الألم.. قبل أن  
يجذبها إلى حضنه ليطوقها بين ذراعيه بقوة..

ثم همس بحرارة و هو يغرق أنفاسه في خصلات شعرها.. يشعر بذراعيها  
تلتفان من حول خصره..

\_ ستكون بخير.. بإذن الله ستكون بخير.. صدقيني !

لم تجب سيلين.. فضمها إلى صدره بقوة أكبر مرتباً براحته صعوداً و نزولاً  
على ظهرها.. يريد أن يمنحها كل الدفء الذي تحتاجه ضدّ ألمها.. يتمنى لو  
يستطيع أن يقتنص منها كل وجعها ليعيشه هو عنها..

همس بعد لحظات بصوته المرح و هو يشعر بها تستكين بين ذراعيه ؛

كل تلك الإعترافات لأختك.. ألا يستحق زوجك إعترافاً صغيراً.. صغيراً جداً  
!!

كما توقع لم يسمع ردًا.. بدت و كأنها قد سكنت تمامًا فوق صدره.. فالتزم  
الصمت قليلاً.. ثم عاد ليقول بضيق زائف ؛

حسناً.. قولي أن المنزل أعجبك فقط و سأكون أكثر من راضيًا !

و أخيرًا سمع منها ردًا.. همست فوق صدره مبتسمة بجذل ؛

المنزل أم صاحب المنزل !؟

قال سليم يتصنع الإمتعاض بمهارة ؛

كلاهما بعد إذنك... يا صاحبة المنزل !

قبل أن يبتعد قليلاً ليقابل وجهها.. و حينها قالت سيلين بابتسامة و هي تفرد  
كفيها فوق صدره في حركة لم تغفلها عيناه ؛

أنت أولاً !

أنا ماذا !؟

همس يعقد حاجبيه بعدم فهم.. فتسمرت سيلين لوهلة.. ثم لم تلبث أن اكتسبت  
ابتسامتها بعض الخبث و هي تقول مغيرة كل منحى الموضوع ؛

هل تعلم ما كان أول انطباع أخذته عنك حينما قابلتك في المقهى لأول مرة  
!؟

هز سليم رأسه باهتمام و هو يشعر بعدم الإرتياح.. فقالت و هي تتعمد تجنب  
عينيه بدون أن تتلاشى ابتسامتها المتسلية ؛

مُلتصق !

لم تكذ تنطق جميع حروف الكلمة حتى وجدت عينيه تتسعان ذهولاً.. و هتف  
بغير تصديق ؛

ملتصق... أنا!!!!!!

شعرت سيلين برغبة قوية في الضحك تكتسحها..فزمت شفيتها بقوة و هي تحاول بشتى الطرق أن يكون صوتها جادًا لطيفًا بينما تقول بسرعة مقاطعة رغبته التي تراها في عينيه في التكلم ؛

لحظة لحظة..كان هناك لقبٌ آخر !

زفر سليم و هو لا يشعر بالتفاؤل أبدًا من نبرتها..لكنه قال رغم ذلك بوجه ممتقع عابس ؛

ما هو !!؟

كانت سيلين تحاول كتم ضحكتها بصعوبة و هي تهمس ببراءة ؛

أبله !

لكنها عجزت تمامًا عن كتمها و هي ترى انطباعه الجديد بعد هذا اللقب..فقد تراجع خطوة واحدة مجفلاً..ينظر لها بغباء يمتزج بغضب لأول مرة..

لكن غضبه لم يخفها..بل جعلها تتحني قليلاً لتمسك بمعدتها منفجرة بالضحك..و ظلت تضحك..و تضحك..و تضحك أمام عينيه الغاضبتين إلى أن سمعت صوته يرتفع هاتفاً ؛

كفى!!!!

هتف بها باستنكار شديد و هو يعجز عن استيعاب كلتا الكلمتين..ملتصق و أبله..هو !!!

بينما رفعت سيلين يدها بما يشبه الاعتذار و هي تقول غير قادرة على التوقف عن الضحك ؛

آسفة..آسفة..أحاول..لكن الغضب لا يليق بك..أبدًا !



زم سليم فمه عابسًا أكثر أمام ضحكها الهستيري الذي رفض التوقف.. لكن  
من خلف عبوسه.. كانت هناك سعادة جميلة أغرقت قلبه برؤية ضحكها  
المنطلقة لأول مرة بعد فترة طويلة أمضتها في البكاء و الحزن..

و رغم ذلك.. فقد عجز عن الصمود أكثر.. فاندفع إليها في لحظة خاطفة ليكمّم  
فمها بقوة هاتفًا من بين أسنانه ؛

**\_ كفى.. كفى !!!**

و قد كانت حركته هذه مجدية.. فقد جعلت سيلين تسكن تمامًا و تستقيم  
بأدب.. فزفر بتعب ناظرًا لعينيها المتسليتين.. ثم لم يلبث أن قال عابسًا و كأنه  
يهدّدها ؛

**\_ سأبعد يدي لكن لن تضحكي... اتفنا !**

أومأت سيلين بوداعة بدون أن تنتشع التسلية تمامًا من عينيها.. فأبعد يده  
بتردد ناظرًا لها بحذر للحظات بينما سيلين تكتم ضحكها بصعوبة..  
و حينما عجزت عن تمثيل الجدية أكثر.. رفعت يدها لتضعها فوق فمها مخفية  
ابتسامتها التي تكاد أن تتحول إلى ضحكة عنه..

لكنه لمحها رغم ذلك.. فتنهد بقلة حيلة و هو يترك ابتسامة يائسة تلامس  
أطراف شفثيه.. و همس يرفع كلتا يديه إلى جانبيه ؛

**\_ أنا أستسلم !**

و كأنها أخذت الإذن من كلمته تلك لتتنزل يدها.. لكنها لم تضحك الآن.. بل  
اكتفت بتلك الابتسامة الصادقة التي رفضت أن تترك شفثيها..

ثم همست ناظرة إلى عينيه بحب خالص ؛

**\_ أحبك... و الله أحبك !**

كان المنزل يبدو غير مألوفًا.. شعرت و كأنها تدلف إليه لأول مرة في حياتها  
حقًا..

و كأن تلك الفتاة التي دخلت محمولة بين ذراعيه فاقدة لوعيها قبل أكثر من  
سنة من الآن ليست نفسها هذه التي تقف أمام الباب بجانبه بينما هو يفتح  
الباب !!

ابتسامتها تكاد تصل إلى أذنيها.. و عيناها تلمعان بسعادة تعادل الكون في  
مساحتها.. ثم دلفت قبله ما إن فتح الباب لتدور عيناها فوق كل مكان هنا..  
و كأنها تتعرف على كل ركن من هذه الشقة التي عاشت فيها أكثر أيام  
حياتها غرابة.. مجددًا !!

سمعت صوت خطواته الهادئة تقترب منها تزامنًا مع صوته الذي همس من  
وراءها بتردد ؛

إذا غيرت رأيك فأنا هنا موجود.. نستطيع أن نذهب لشقتك.. عمومًا الأمر لن  
يستغرق إلا شهرًا قليلة.. ما إن تنتهي كل الفحوصات الوقائية المتبقية لك  
نستطيع أن نعود للمزرعة إذا أردت !!

بدت سارة في عالمها الخاص تمامًا و هي تهز رأسها له بغير تركيز بدون  
أن تنظر له و كأنها لم تسمعه.. قبل تتجه إلى الغرفة حيث كانت تنام هي.. بل  
تقضي كل أوقاتها بداخلها تقريبًا حينما كانت تعيش هنا..

بينما ظل جاد واقفًا مكانه يتأملها بفستانها الأصفر الذي يتخطى ركبتيها قليلًا  
ليلتقي عند حافته بحذاءها الأسود الذي يعلو مرفقيها قليلًا.. حذاءها الذي ألبسه  
لها بنفسه.. مع جديلتها..

شكلها هذا ذكره بذلك اليوم الذي توقف فيه أمام مدرستها يراقبها بشغفٍ  
حزين بينما تخرج من سيارتها الفارحة.. صغيرة.. صغيرة جدًا و مبهرة !!

راقبها بصمتٍ و هي تدخل إلى الغرفة تاركة الباب مفتوحًا خلفها.. و رمقته  
بنظرة خاطفة مميزة قبل أن تعود لتقترب منه بسرعة إلى أن أمسكت بيده..

قالت بينما تسحبه وراءها إلى أن توقفا بين الغرفتين المنفصلتين حيث كان يعيش كل واحد منهما بغرفة ؛

\_ ما رأيك !!؟

نقل جاد عينيه بين الغرفتين المفتوحتين بعدم فهم و هو يقول بحيرة ؛

\_ رأيي بماذا !؟

همست سارة بعفوية شديدة و هي تنقل أنظارها بين الغرفتين بحيرة مثله ؛

\_ بالغرف..أيّ غرفة منهما تبدو لكّ جاهزة لكي تصبح غرفتنا !؟

كانت لا تزال تتمسكُ بيده برقة حتى الآن..بينما هو يقف بجانبها متأملاً جانب وجهها المبتسم بعينين تنطقان بالكثير..

قبل أن يتركّ يدها فجأة ليقف وراءها محاولاً خصرها بذراعيه..و همس بينما يدفن أنفاسه في تجويف عنقها ؛

\_ ماذا تريدان أنتِ !؟

استندت سارة بمرفقيها إلى ذراعيه و هي ترتاح فوق صدره أكثر..ثم همست بخفوتٍ بينما أناملها تلامس ظاهر كفيه برقة..و عيناها على باب غرفته المغلق..غرفته التي دخلت إليها لمرة واحدة من قبل..

\_ سأقرّر بعد أن أرى غرفتك !

عبس جاد قليلاً و هو يرفع رأسه فجأة قائلاً باعتراض ؛

\_ غرفتك ! ألم نتفق على أنها "غرفتنا" !؟

ثم عاد ليهمس بينما يشدّد من تمسكِ ذراعيه بها ؛

\_ ثم ألم تدخلها من قبل !!؟

همست سارة بكل بساطة و كأن الأمر عادي و بديهي ؛

\_\_مرة واحدة..و كانت بهدف سرقة المفاتيح لا أكثر..

فجر جاد شفثيه مندهشًا..إلا أن سارة لم تنتبه لدهشته.. فقد تمسكت بيديه  
لتحرّر انعقادهما حول خصرها و تبتعد متجهة إلى الغرفة..

بينما تسمر جاد للحظة قبل أن يلحق بها بسرعة..

و قد حازت على إعجابها بالفعل..تأكد من ذلك و هو يلمح حماسها بينما  
تتأمل كل ركن هنا..إلى أن توقفت بجانب النافذة التي كانت تحتل كل الجدار  
لتنفتحها و تخرج للشرفة..

ثم قالت بتأنيبٍ و هي تلتفت إليه ؛

\_\_يا لك من غشاش..كنت تستمتع بكل هذا بينما أنا محبوسة بداخل تلك الغرفة  
التي لا تحتوي إلا على نافذة صغيرة !!

ضحك جاد قليلاً و هو يقترب منها واضعًا يديه في جيبي بنطاله بينما يقول  
رافعًا أحد حاجبيه ؛

\_\_يبدو أنني لم أعد مضطرًا لسؤالك عن أيّ غرفة تختارين لتكون غرفتنا؟!  
هزت سارة رأسها بالنفي كتأكيد على كلامه و هي تقف متمسكة بحاجز  
الشرفة متأملة الشارع الساكن..

لطالما كان هذا هو مكانها المفضل..و تلك وقفها المفضلة..يجب أن تقع في  
عشق كل شرفة تدخل إليها..

ليته كان رسامًا..لكان قد رسم لها أجمل لوحة ليعلقها فوق جدار قلبه بإطار  
من ذهب !!

استقرت عيناه للحظة على تلك الخصلة الناعمة الوحيدة التي كانت منفلة من  
الضفيرة..و التي كانت تتطاير بخفة لتستقر في النهاية على جانب وجهها  
برقة..

و دون تفكير.. وجد نفسه يقترب منها بهدوء إلى أن وقف بجانبها لا يزال يتأملها بشغف.. قبل أن تمتد يده إليها لتلامس تلك الخصلة بنعومة ربما لم تشعر بها سارة..

لكنها رغم ذلك استدارت إليه مبتسمة برقبتها الجميلة.. فامتد ذراعه الآخر ليطوق خصرها إلى أن جذبها إليه برفق بدون أدنى اعتراض منها.. ثم همس في أذنها بنبرته الساحرة التي تذيب مفاصلها ؛

\_ لقد منحتني وعدًا !!

ابتسامة مكر خفي ظهرت فوق شفثيها و هي تلمس يده الأخرى التي على وجنتها بنعومة هامسة ؛

\_ أيّ وعد هذا؟! ذكرني !!!

همس جاد بنبرة ذات مغزى و هو يبتسم مثلها بحب ؛

\_ لا أظن حقًا بأنني أحتاج لتذكيرك !!

ابتعد قليلاً ليقابل عينيها ملامسًا جبينها بجبينه.. فهمست سارة بنفس ابتسامتها و رقتها المهلكة لفؤاده المتيم ؛

\_ رغم ذلك.. عليك أن تذكرني !!

تحركت أنامله على وجهها برفق إلى أن لامس شفثيها بإبهامه بنعومة.. و لم يحتاج بعدها لبذل أيّ مجهود في تذكيرها بالطبع..

فتلك اللعة الخاطفة التي مرت في عينيها كشهاب مضيء بدت كافية ليكتشف مكرها الفاتن في ادعاء الجهل..

" بعد أن نعود... أعدك! "

هل يعقل !!

هل ستتسنى لها الفرصة مجددًا في العودة إلى منزلها الدافئ.. إلى غرفتها  
بالمزرعة.. والتي ظنت بأنها كانت تعيش فيها آخر أيامها في تلك الفترة !!  
زاغت عيناها قليلاً و هي تنظر لعينييه العاصفتين بمشاعر خالصة.. قبل أن  
تسدلها بسلام حينما اقترب منها ببطء ليكتم أنفاسها بشفتيه.. و يمنحها من  
أنفاسه الدافئة في المقابل..

و ما كان منها إلا أن رفعت ذراعيها لتحاوط عنقه مستقبلة فيض مشاعره  
برحابة.. غير عابئين بمكان وقوفهما..

و لحسن حظهما.. فقد كان الطريق السريع الذي تطل عليه شرفته خالياً تماماً  
ككل الأجواء الهادئة من حولهما.. فكانت احتمالية أن يلمحها أحد حتى و لو  
من البعيد غير مرجحة إطلاقاً..

إلى أن ابتعد قليلاً فقط محرراً أنفاسها على مضض.. لولا الإرهاق الذي لا  
يزال يكتنف وجهها و جسدها.. لما تركها على الإطلاق..

كانت أنفاسها تخرج لاهثة بشدة.. فهمس برفق و هو يلامس رموشها  
المرتجفة بأنامله.. ناظراً بعينييه العاصفتين بالمشاعر إلى عينيها المنسدلتين  
عن قرب..

فقد كان جبينه على جبينها.. يكاد أن يكون أقرب إليها من أنفاسها كما العادة..

\_\_سارة!!!

رفعت سارة يديها الإثنتين لتمسّ معصميه تاركة أنامله على ملامحها تتجول  
بكل حرية.. ثم همست من بين أنفاسها اللاهثة بدون أن تفتح عينيها ؛

\_\_ما الذي تفعله بي أيها الأحمق !! هل تعرف أين نقف نحن !!!

همس جاد مبتسماً بحب ؛

\_\_في منزلنا.. و خصوصيتنا.. هل تدركين منذ متى و أنا أنتظر بصبر عودتكِ  
لأحظى بهذه اللحظة بالذات !!!

فتحت سارة عينيها ببطءٍ هامسةً بغيظٍ رغم صوتها الخافت ؛

\_ لقد كان الوعد واضحًا.. يشمل غرفتنا في المزرعة !

همس جاد و هو يطبع شفثيه بقوة على وجنتها ؛

\_ تلكَ غرفتنا.. و هذه غرفتنا... لا فرق !

همست سارة بنفسٍ نبرتها و هي تسحب أنفاسها بضعفٍ ؛

\_ الفرق أننا نقف في الشرفة المُطلّة على الطريق السريع... ابتعد عني !!!

لكن جاد رفض الإبتعاد.. بل همس بصوتٍ خلاب و هو يحتضنها إلى صدره  
برفق ؛

\_ لا يهمني.. الشرفة أيضًا جزء من منزلنا.. الذنب ذنب من سيحاول التلصّص  
على خصوصية زوج عاشق و زوجته الدكتوراة !

أغمضت سارة عينيها بهدوء و هي ترتاح فوق صدره محاوطةً جذعه  
بقوة.. و ساد بعض الصمت بينهما.. قبل أن يقطعه صوت رنين الجرس  
المفاجيء.. فطرف جاد قليلاً و هو يبتعد ناظرًا لها بحيرةً شاركتها إياها..

همس بخفة بينما يتجه إلى باب الغرفة المفتوح ليتجاوزهُ متجهًا إلى الباب  
الرئيسي ؛

\_ سأفتح أنا !

فتح الباب بهدوء ليصطدم بالوجه المألوف.. فقال بتعجب و هو يرى لارا تقف  
أمامه ؛

\_ لارا !

كانت لارا تقف في حاجز الباب.. ملامحها الناعمة تبدو ذابطةً بعض الشيء.. و  
عيناها غائرتان على نظرة حزينة لا تخفيها ابتسامتها الهادئة..

هز رأسه بخفة و يفرّد يده ناحيتها رغبةً في مصافحتها بينما يقول بأدب ؛

\_مبارك لكِ..

لمح نظرات التردد التي اكتسحت عينيها و هي تنظر ليدِه.. قبل أن تقرب  
يدها ببطءٍ إلى أن لامستها و تمسكت بها برفق مصافحة إياه..

لكنها لم تلبث أن أبعدت يدها بسرعة تزامناً مع صوت جاد الذي خرج محملاً  
بنبرة اعتذار ؛

\_أنا آسف بالفعل لأنني لم أستطع حضور زفافك..كنت أريد لو.....

صمت فجأة و هو يلمح أنظارها التي تعلقت بشيءٍ ما وراءه..فالتفت ليجد  
سارة تقف أمام باب الغرفة عاقدة ذراعها..تنظر لهما بجمود لم تغفله  
عيناها..ففرذ ذراعه باتجاهها و هو يقول بمحبة ؛

\_تعالى حبيبتي !

إلا أن سارة لم تستجب لندائه..فقد نقلت عينيها منه بهدوء إلى لارا لتهمس  
راسمة ابتسامة مزيفة تخفي خلفها الكثير الكثير من الضيق ؛

\_لا بأس..أنهيا حديثكما..مبارك لكِ مجدداً لارا !

اومات لها لارا بغير تركيز تام..فالتفتت سارة فوراً لتدخل إلى الغرفة مغلقة  
الباب خلفها..تاركة جاد يقف مكانه شاعراً بالإحراج الشديد..

إحراج لم يمنع شعور السعادة من أن يخالغ قلبه مع إدراكه بأن هذا التصرف  
ناتج عن...غيرتها الجميلة عليه !!

عاد لينظر إلى لارا التي لون نفس الإحراج ملامحها..ثم قال يحثها بهدوء ؛

\_إذا؟!

قالت لارا بابتسامة حزينة قليلاً و هي تنظر لمامحه و كأنها تنظر لكنزها  
التمين الذي ضاع منها للأبد..أو ربما لم يكن لها من الأساس !



\_جئت فقط لأسأل عن صحة زوجتك بما أنها.. خرجت من المشفى  
لتوها..كيف أصبحت الآن؟! هل هي بخير!؟

لم تغفل عينيها الدهشة التي اختلطت مع نبرته الهادئة بينما يرد ؛

\_الحمد لله بألف خير..شكرا لك لارا!

أغلق الباب أخيراً بهدوء..ثم التفت متوجهاً إلى الغرفة حيث تقبع  
حبيبته..كانت تقف في الشرفة..في نفس المكان حينما شعرت بخطواته  
خلفها..و ما إن توقف بجانبها..حتى همست بخفوتٍ بدون أن تنظر له ؛

\_ماذا قالت!؟

همّ جاد بإجابتها..لكنه تراجع فجأة رافعاً أحد حاجبيه بخبثٍ أطل على عينيه  
للتو..قبل أن يردف بينما يهز رأسه بأسى ؛

\_قالت أنها صرفت نظراً عن الزواج...للأسف!

انتفض رأسها بسرعة كالصاعقة ما إن سمعت هذا الجواب..لكنه ما كاد أن  
يقول كلمة أخرى يتداركُ بها كلامه قبل أن تقتله..حتى كان قناع الأسى  
الزائف يسقط عن وجهه و هو يراها تغمض عينيها بشدة فجأة و تتحني قليلاً  
مستندة بمرفقها إلى حاجز الشرفة..

همس بخوف و هو يندفع إليها بسرعة ؛

\_ما الخطب!؟ هل أنتِ بخير!!!

لم تنتبه سارة لسؤاله هذا..بل عادت تهمس بدون أن ترفع رأسها نحوه  
بتركيزٍ مشتت ؛

\_ما..ماذا قالت!؟

أحاط جاد وجهها بقلقٍ ليجعلها تنظر له..ثم همس و هو ينقل عينيه بين كل  
ملامحها الشاحبة و كأنه يحاول أن يطمئن عليها ؛

\_ لم تقل شيئاً.. لم تقل شيئاً.. جاءت لتسأل عن صحتك فحسب.. لقد كنت أمزح  
لا غير..

نظرت له سارة عاقدة حاجبها بغير تصديق.. فتوترت ملامحه بعض  
الشيء.. و بدا كطفل صغير و هو يهمس بخفوتٍ ؛

\_ مزحة سخيفة... أعلم !

رفعت سارة يديها لتمسك بيديه بغاية إبعادهما عن وجهها لا أكثر.. ثم و دون  
تردد هزت رأسها بياس و تضايق منه و التفتت تنتوي العودة للغرفة..

لكنه لم يسمح لها.. فقد اندفع في لحظة خاطفة ليضمها من الخلف بقوة مقيداً  
حركتها كذلك اليوم في شرفة غرفتهم بالمزرعة..

ثم قال يهمس في أذنها بنبرة مستفزة و هو يكبح كل مقاومة ضعيفة تصدر  
منها بسهولة بالغة ؛

\_ هل كل الدكاترة النفسيين مجانيين مثلك أم هي واحدة فقط ابتليت بها أنا  
فحسب !

اتسعت عيناها بغير تصديق و هي تكرر وراءه بصدمة ؛

\_ ابتليت بها !!!

همس جاد في أذنها بسحر ؛

\_ أجمل ابتلاءٍ على الإطلاق !

زمت سارة شفثيها بغضب و هي تقبض على ذراعيه في محاولة  
لإبعاده.. لكنها كانت أضعف من أن تستطيع.. فأسقطت يديها بفشل و زفرت  
بضيق و هي تهمس من بين أسنانها ؛

\_ هذا ما كان ينقصني.. شبيه آخر لسيلين !!!

قال جاد بدهشة كبيرة و هو يخفف من ضغط ذراعيه حولها بدون أن يشعر ؛

\_سيلين ! ما دخل سيلين !؟!

تملصت سارة من ذراعيه بصعوبة مستغلة فرصتها الثمينة تلك.. قبل أن تهتف باستياء رغم نبرة صوتها المجهدة ؛

\_و سيلين كانت تفعل مثلك.. تضمني بالقوة كلما انفعلت و لا تتركني حتى اهدأ..

لم تنتظر بعدها أبدًا.. فقد استدارت عنه بسرعة عائدة إلى الغرفة.. و مجددًا كان جاد يلحق بها بلهفة و كأن هناك خيط رفيع بينهما يجعله في حالة ضياع و اختناق لو ابتعد عنها للحظة واحدة.. أثناء هتافه بعملية ؛

\_إنها الجينات الوراثية يا عزيزتي !!

كانت سارة قد توقفت أمام خزانته العريضة.. و بدون أن تسأله بالطبع.. فتحتها محدقة بها بتدقيق.. بينما توقف هو بجانبها ينظر لها بحذر..

قبل أن يقول و هو يشاركها التحديق ؛

\_اممم.. لا أظن أنك قد تجدين أي شيء في خزانتي عدا ملابسي !

لم يصله أي جواب منها.. فعاد لينظر لملامحها التي كانت جادة تمامًا.. قبل أن تنظر له فجأة.. و همست ببديهة و هي تشير إلى جهة معينة فارغة بالخزانة ؛

\_ما رأيك أن أضع ثيابي أنا من هذه الجهة و أنت تغير ثيابك إلى هنا.. بما أن هذه الجهة أكبر قليلًا !

نظر لها جاد بدهشة و هو يقول متهكمًا كطفل صغير ؛

\_و لماذا الجهة الأكبر لك !؟ هل أبدوا لك لا أليق إلا بالمقامات الصغيرة أم ماذا !؟!!

بدا و كأنه صفعها بهذه الجملة التي خرجت بمنتهى العفوية منه.. فتسمرت للحظة بعينين متجمدتين باهتتين.. قبل أن تمسك بطرف الباب لتغلقه بهدوء بينما تهمس ؛

\_ لا بأس.. احتفظ بها لنفسك.. و أنا سأبقى في غرفتي التي كنت أعيش فيها من قبل !

نفس الصدمة ظهرت على وجه جاد و هو يراها تهم بالإلتفات عنه بالفعل.. فقبض على ذراعها بسرعة هاتفاً بذهول ؛

\_ سارة؟! أنا أمزح!!!!

لم تلتن ملامح سارة.. و لم تتراجع النظرة الحزينة التي قتلته من ملامحها.. إلى أن همست ناظرة لعينيه تماماً ؛

\_ هل تعلم أين يقبع مكانك الحقيقي!!؟

لم يمنحها جاد إجابة إلا من ارتجافة غير ملحوظة بعينيه.. فتمسكت بيده لترفعها إلى أن فردت راحته فوق موضع قلبها تماماً.. و حينها همست بصدق بدون أن تترك يده ؛

\_ هنا تماماً.. تعيش أنت.. فهل عساك.. ترى هذا المقام أصغر من أن يليق بك!!!

طرف جاد برموشه و هو يميل برأسه قليلاً ناظرًا لها بيأس على الرغم من الغصة التي استوطننت صدره تفاعلاً مع حزنها.. ثم اقترب من عينيها ليهمس أمامهما بخفوتٍ شديد ؛

\_ أقسم لك حبيبتي كنت أمزح..

همست سارة و هي تطرف بعينيها مثله.. تشعر بالدموع تلسع عينيها بدون سبب واضح ؛

\_ توقف عن المزاح إداً!!

همس جاد بنفسِ نبرته الخافتة جدًا و هو يرفع يدها بين يده ليقبل باطنها  
بعمق ؛

\_حاضر..

ظهر شبخ ابتسامة باهتة لامس عينيها فقط.. قبل أن تهز كتفيها في حركة شبه  
مرئية هامسة و هي تلمس ذقنه بيدها الأخرى برقة ؛

\_لقد طلبت الجهة الأكبر.. لأنني فتاة.. و عادة الفتيات أن يكون لديهن ثياب و  
أغراض أكثر من الشباب بكثير..

شبخ ابتسامة مشابهة لابتناسمتها لامس عينيها هو الآخر.. ثم همس و هو يقترب  
منها أكثر ؛

\_الخرانة.. و صاحب الخزانة.. ملكية خاصة لك.. افعلي بكلاهما ما تشائين..

عاد ليفرد راحة يده فوق موضع قلبها الخافق بشدة.. ثم همس بصوتٍ أجش ؛

\_الحقيقة أنني أنا... من أخاف أن لا أكون لائقًا بهذا المقام !!

نظرة غريبة استفحلت عينيها و هي تسمع هذا الكلام منه.. نظرة

تشبه... الإستنكار !!

قبل أن تردف مبتسمة ببساطة ؛

\_لا أحد يليق به أكثر... لا أحد لاق بقلبي أكثر منك !!

مدت يدها الأخرى لتلامس موضع قلبه الخافق كقلبها و هي تستأنف بثقة ؛

\_و بنفس الطريقة.. لا امرأة في هذا العالم... لاقت بقلبك أكثر مني !!

لم تظهر أيّ بادرة للتفاجئ في ملامح جاد و هو يرى و يشهد هذه الثقة التي  
جعلت الإنبهار لا الدهشة يحتل عينيها.. لكنه سرعان ما همس مؤكدًا بحرارة

؛

\_ لا امرأة قبلكِ و لا بعدكِ استطاعت أن تخلع أبواب قلبي الموصدة بمفاتيح  
من صلابة يمثل هذه السلاسة.. هي امرأة واحدة.. حاولت كثيرًا صدها  
بغباء.. إلا أنني في النهاية.. وجدتها و قد تربعت فوق عرش قلبي.. فأصبحت  
خفقاته مستعبدة لعينيها.. لا تنبض.. لا تحيا.. إلا بمرآها !!!

اقترب منها بعدها في نفس اللحظة إلى أن طبع شفثيه فوق جبينها بقوة.. بينما  
أغمضت سارة عينيها شاعرة بنبضات قلبها تفقد كل توازنها و ثباتها للمرة  
الألف ربما اليوم..

إنه يجيد سبي أغوارها و إضعافها بمنتهى السهولة.. و كأنها كتاب مفتوح  
أمامه بالفعل.. يتلاعب بأسرارها الحساسة كما يشاء.. و يوجد الحلول لألغاز  
قلبها المعقدة بغير عناء.. الأجدر بها هي أن تعترف بأنه الشخص الوحيد  
الذي استطاع خلع أبواب قلبها بكل سلاسة.. ليتربع هناك.. و يعيش هناك !!  
لم تشعر بشفثيتها اللتين انفرجتا على همسة وصلت محملة بتهدج مشاعرها  
إلى قلبه تمامًا ؛

\_ أحبك !

حينها قال جاد بيتسم بسحر خاص به و هو يلامس نفس الخصلة المُتمردة  
من شعرها ؛

\_ و أنا أعشقتك يا خصلات.....

أخفض يده ليلامس حاجبها الرفيع متجولاً بإبهامه برقة ؛

\_ و حاجبا.....

ثم أنزلها أكثر ليلامس رموشها الطويلة مستأنفًا ؛

\_ و رموش.....

اقترب ليطلع قبلة معبرة هناك.. فوق عينيها تمامًا.. و همس يتمم جملته أخيرًا  
بكلماتٍ تقطر حبًا و عشقًا و شغفًا ؛

\_و عيون... القهوة !!!!

زاغت عيناها قليلاً بتركيز ضائع و هي تنظر له مبتسمة ابتسامتها الجميلة.. الرقيقة و المعبرة لأقصى حد.. و كادت أن تنصهر بنظراته متناسية نفسها.. لولا أن ابتعد خطوة فجأة ليفتح الخزانة مردفًا بلطف ؛

\_الآن.. أكمل تصاميمك بشأن الخزانة و الغرفة..

اقتربت سارة بهدوء لتقف بجانبه.. لكن عينيها وقعتا فورًا على صندوق معين كان محفوظًا بعناية في جانب مخصص له من الخزانة.. فتسمرت قليلاً ناظرة له..

بينما رفع جاد حاجبيه بحيرة و هو يخفض رأسه لينظر إلى حيث تنظر.. و لم يكذب يلمحه.. حتى كانت عيناها تتسعان قليلاً.. و عقله يتنبه بعد أن تناسى أمر تواجد هـنا..

عاد ينظر لسارة التي رفعت أنظارها له مضيقة عينيها بتوجس للحظة.. ثم قالت باهتمام ؛

\_هل هو صندوق مهم !!؟

ظل جاد متمسراً للحظة مكانه.. قبل أن يهز رأسه و كأنه يجلي تفكيره.. ثم قال بصوتٍ فضح توتره و هو ينحني فجأة ليحمله بين يديه ؛

\_لا.. لا شيء مهم على الإطلاق.. سأعود فوراً..

تجاوزها بسرعة يهم بالخروج من الغرفة بأكملها.. لكن سارة التي تنبأ عقلها بفحوى ذلك الصندوق مسبقاً.. قالت تمنعه فجأة بصوتها الجاد تمامًا.. بدون أن تنظر له ؛

\_ألا تظن بأن الوقت قد حان... لنكشف كل دفاترنا القديمة و الجديدة أمام بعضنا البعض !

تجمد جاد في مكانه تمامًا بعد كلماتها.. و عجز لعدة لحظاتٍ عن الإلتفات إليها  
فظل واقفًا هناك يوليها ظهره.. نظر إلى الصندوق في يده بتردد.. ثم ابتلع  
ريقه ببطءٍ و كأنه يجد صعوبة في كشف جميع دفاتره أمامها بالفعل.. إلا أنه  
في النهاية.. سحب نفسًا عميقًا..

قبل أن يعود إليها بخطواتٍ هادئة.. و بدون أن يتكلم أمسك بيدها ليسحبها  
برفقته نحو السرير.. إلى أن جعلها تجلس على طرفه و جلس بجانبها..  
كانت حركته واضحة تمامًا.. إنه يريد أن يشاركها سر هذا الصندوق الذي لم  
يشاركه مع أحد أبدًا..

لأنه يعلم بأنها أكثر من يستحق..

من بين كل من عرفهم في حياته.. كانت هي الوحيدة التي تستحق أن يشاركها  
كل ما يخصه بغير استثناء !

لكن...لما كل هذا التردد ينال منه؟! أو بالأحرى..الحزن الشديد..و الخوف  
الأشد منه من حالة الإكتئاب التي تنتابه في كل مرة يفتح هذا الصندوق !!!

كانت تجيد التعامل معه..لقد قررت و عزمت بداخلها على أن تخلصه من كل  
عقدة لا تزال تركز فوق قلبه من الماضي الأليم..و تقريبًا نجحت..لكن هذا  
الصندوق !!

التزمت الصمت تمامًا و هي تراقبه..كان مطرفًا برأسه قليلًا..ينظر بعينين  
تحملان تناقضات كبيرة الى ذلك الصندوق..و كأنه قد غرق في دوامة تعزله  
عن الناس.. و كأن الماضي الأليم عاد ليهيمن بسيطرته المؤذية على مشاعره  
!!

لم تحاول أبدًا أن تقطع الصمت..كانت تنتظره بصبر..و قد حصل انتظارها  
على نتيجة..فرأته يحرك يده ببطءٍ ليفتح الصندوق العجيب هذا..ثم استغرق  
لحظة أخرى..

قبل أن يضعه فوق السرير بينهما بهدوء..



بدون أن يرفع رأسه نحوها و كأنه يخشى عليها من الألم الذي قد تصادفه في  
حدقتيه لو فعل !!

ابتلعت سارة ريقها ببعض التوتر حينما وقعت عيناها على صورة كانت هي  
أول شيء يظهر من الصندوق..صورة تجمع جاد ب...عمتها...و بها !!!  
قبل أن تمتد يدها المرتجفة لتمسك بها و ترفعها إلى عينيها متأملة بقلب  
متألم..لكن من بين الألم..ظهرت ابتسامة ضعيفة و هي تنقل عينيها من  
وجهها..إلى وجه عمته..تلك التي كانت بمثابة والدتها لها ذات يوم..  
قبل أن تعود لتحدق به..بجاد الصغير..و طال تحديقها لعدة ثوان استفحل  
خلالها الشوق عينيها..

قبل أن ترفع الصورتين المتبقيتين في الصندوق..و تاهت عيناها أكثر و هي  
تنظر لواحدة منهما بعد أن تأملت الأخرى على حدا..

كانت صورة تجمعه مع أمه..صورة جعلت ابتسامتها تكتسب بعض العبرات  
التي تحجرت بداخل مقلتيها بدون أن تنساب إلا من دمعة واحدة شعرت بها  
عالقة على طرف جفونها فرفعت يدها لمسحها بهدوء.

قبل أن تضع الصورة فوق شبيهاتها بعناية..ثم تعيد أنظارها  
للصندوق..الصندوق الفارغ إلا من ورقة بيضاء كانت مطوية بعناية  
محفوظة تحت الصور..أطرافها متهاكة تدل على أنه يحتفظ بها منذ زمن  
بعيد..

أمسكت بها بتردد لتفتحها ببطء أمام وجهها..جالت عيناها فوق كل  
سطورها..و بعد كل كلمة جديدة تقرأها..كانت الدموع تتناقل أكثر بداخل  
جفونها إلى أن تحررت مناسبة على وجنتيها بصمت..

بينما هي..ظلت تكمل قراءة الرسالة التوديعية المؤلمة..و هي تشعر و كأن  
خناجراً وهمية سامة تنغرس في قلبها لترديه مرة بعض مرة بسلاح الحسرة  
و الحزن..

إلى أن انتهت.. و تلكأت عيناها الباكيتان قليلاً على اسم عمته.. قبل أن تعيد  
طيّها بعناية و وضعها في مكانها المحدّد تحت الصور التي وضعتها واحدة  
فوق الأخرى كما كانت تماماً..

ثم أغلقت الصندوق.. و تسمرت.. تسمرت متسعة العينين بصدمة !

كيف استطاع التحمل ؟!! لقد كان مجرد طفل !!!

كان مجرد مراقب صغير لا يفقه من الحياة شيئاً.. مراقب صغير لا يمتلك في  
العالم أيّ شخصٍ باستثناء أمه.. ثم يفقدها بهذه البساطة !! و في حادث مشابه  
!

كيف استطاع التحمل !! أتى له القدرة على الابتسام بطبيعية.. و منح الحب  
بسخاء بعد كل ما كان !!!

لقد أصبح تأثير الخناجر السامة أكثر قسوة بعد كل هذه التساؤلات التي لا  
أجوبة لها.. ربما هناك جواب واحد و وحيد..

أنها ارتبطت و أحبت رجلاً أقوى بكثير ممّا تخيلت !!!

كان لا يزال يجلس في مكانه بجانبها.. يناظر الأرض بصمت.. يعجز عن  
النظر لها.. عن مشاركتها ضعفه المتعلق بهذه السيرة..

شعر بأنامل رقيقة تلامس كتفه.. يرفع عينيه بتردد نحوها.. و هناك رأى ما  
خشي رؤيته.. رأى المآ سحيقاً و عبارات سخية تذرفها أعين حبيبته..

فأغمض عينيه يشعر بالكره تجاه نفسه.. و عاد يطرق برأسه قليلاً  
بصمت.. بحزن..

لقد أخبرها بأنها كانت السبب في انهياره الثاني و كل انهياراته التي أتت  
بعدها.. و كان سبب الإنهيار الأول... أمه بالطبع !!

لطالما كان ضعيفاً أمام امرأتين.. يراهما مثل انعكاس جميل لبعضهما البعض.. امرأتان شكلتا كل شيء في حياته.. امرأتان دائماً ما ارتبطت دموعه بهما..

و بدونهما هو إنسان لا قدرة له على البكاء.. إنسان متبلد الأحاسيس و المشاعر !!!

زمت سارة شفيتها قليلاً و كأنها تحاول عبثاً التمسك بقوة بائسة يحتاج أحدهما إليها اليوم.. قبل أن ترفع يديها لتحاوط وجهه.. إلى أن جعلته ينظر لها.. لكنها هي من عجزت عن النظر له الآن.. عجزت عن الصمود أمام دموع الطفل اليتيم بداخله..

فجذبتة إلى حضنها تطوقه بذراعيها بقوة مستندة بذقنها إلى قمة رأسه.. و همست مغمضة عينيها بقوة.. بينما أناملها تتخلل شعره برفق.. و هو في المقابل يتمسكُ بها كطفل صغير يتشبث بحضن أمه بالفعل !

\_ أخبرني !!!

همس جاد بصوته الخشن المتحشرج قليلاً ؛

\_ أخبرك... عن ماذا !!؟

شعر بذراعيها تشددان من احتضانه إلى صدرها بقوة.. و قالت بنبرة خافتة بسيطة رغم عواصف عينيها ؛

\_ أخبرني عنك.. عن عمتي.. و عن أبيك !!!

ابتسامة ساخرة مريرة لونت ملامحه و هو يكرّر ببطء ؛

\_ أبي !!؟

ثم صمت لعدة لحظات تركته فيها سارة على حرите.. قبل أن يعود صوته ليرتفع هامساً بخفوتٍ و كأنه في حاجة ماسة للكلام ؛

\_أبي... مات بجرعة زائدة !! لقد مات بنفس السم الذي تخلى عنا لأجله.. و كان هذا لحسن حظه في الحقيقة.. لأنني كنت أخطئ لمنحه أسوء عقاب قد يستحقه زوج و أب مثله على الإطلاق.. بحثت عنه طويلاً لا لغاية في قلبي برويته مجدداً.. بل أردت فقط أن أنقل إليه خبر انتحار أمي الذي كان السبب المباشر فيه.. أردت أن أسرد له حكاية امرأة جميلة وقعت في الحب بغباء.. فركضت خلف غبائها حتى النهاية.. حتى نهايتها !! أردت أن أشعره بالذنب.. أردت أن أؤسّ كلماتي في عقله بطريقتي ثم أرحل تاركاً إياه خلفي يواجه مشاعر الذنب و الندم و الحسرة لوحده.. لكنني لم أجده.. كلما وجدته بيت صغير يشبه الكوخ.. بيت مقرف هو ما أمضى فيه جل سنوات حياته.. ذلك البيت المقرف الذي اختاره عن عائلته.. و فضل حياته الميتة بين جدرانها على أن يعيش معنا!.. وثيقة تثبت وفاته.. و قبر مهجور أشك بأن أيّ أحد قد زاره يوماً غيري.. لقد حصل أبي على نهاية مأساوية مقرفة استحقتها.. مات بين جدران البيت المقرف.. بينما يمارس هوايته المفضلة.. احتساء الخمر.. و تعاطي الممنوعات !!

سمعت صوت تنهيدته الطويلة التي أنهى بها كلامه.. فأطبقت جفنيها هي الأخرى على مشاعرهما المرهفة.. قبل أن تهمس بهدوء تحايلت على صوتها لتمثيله ؛

\_ و أمك ؟!!!

و كأنها بعد كل سؤال تحفزه على الابتسام.. فقد ابتسم مجدداً.. لكنها كانت ابتسامة مختلفة الآن.. ابتسامة شوق و حب و تقدير.. و همس بصوتٍ شارد و هو يقابل انعكاسهما المُعبر في المرأة ؛

ذلك الانعكاس الذي يظهر صورة لرجل مُرهق غارق بين أحضان امرأة جميلة تضمه إلى صدرها بقوة..

تلك المرة تكون... حبيبته.. امرأة قلبه الوحيدة !!

\_أمي... أمي كانت تشبهك!.. كانت... أجمل و أرق امرأة في العالم.. و كانت  
ستعيش حياة جميلة.. جميلة جدًا.. لولا أن تبنت صفة مزعجة جدًا.. بل أكثر  
من مزعجة... الغباء !!!

---

## "الرمق الثالث و الثلاثون ؛دقات القلب "

الحُب !!

شعور يعيش في قلوبنا منذ أول نظرة نمنحها للحياة..كلمة خالدة لا تموت حتى بموتنا..إحساس قابل للتجدد..قابل للنمو أو التخاذل...

بدون إرادتنا أو بها !!

لكن نموه أو تخاذله يعتمد على نوع الشخص..على ماهية الإنسان الذي نحفظ هذا الشعور بداخلنا له !!

و هو كان يستحق..كان يستحق كل ذرة من حب تشعر بها اتجاهه..

لقد كان إنسانًا عطوفًا..مختلفًا بطريقة جميلة..رجل صغير بقلب كبير قادر على احتضان كل مشاعرها و تفهمها بدون أن تطلب !

لقد اعترفت له ذات مرة..ذات ليلة حينما نظرت في عينيه لتهمس بغرابة..

" أظن بأنني...أحببتك ! "

نعم..لقد كانت تظن بأنها أحبته..لكنها بعدها بفترة صغيرة..بساعات تستطيع عدها بالأصابع تأكدت بأنها لا تظن...بل هي تحبه فعلاً !!

دائمًا القلب يميل لمن يمنحه الأمان بغير شروط..القلب يميل لمن يبعثه على الابتسامة بغير عناء..الروح تهوى..و ترتاح لمن يشعرها بالألفة..و شعور الحب القابل للنمو..لا ينفكّ ينمو اتجاه كل شخص عاملنا...بحُب !!

لقد انتقلت للعيش معه في منزلهما الصغير الدافئ قبل يومين..كانت هي من اختارت قرار المضي في حياتها..بعد أن تحدثت مع سارة طويلًا..لتسمع منها أكثر الكلمات التي تجعلها مطمئن..

لقد كانت سارة من حفزتها كما العادة على قطع هذه الخطوة الفارقة في حياتها..و هي رضخت لتأويل سارة..و كلام سارة بالطبع !!

كانت سعيدة بحق و هي ترى ردة فعل سليم ما إن أخبرته.. ابتسامة عريضة  
خلافة قابلها بها.. ثم تردّد قليلاً كالطفل.. قبل أن.. يحتضنها !!

إلى أن جاءت تلك اللحظة التي توقف فيها بسيارته المزينة بورود حمراء  
لطيفة مثله.. موزعة حول مقدمتها بعشوائية جعلتها تستنتج بنفسها من هو  
صاحب الفكرة..

و من هو منفذها !!

الشيء الوحيد الذي جعلها حزينة بعض الشيء.. هو الغصة التي استوطنت  
عيني أبيها رغم سعادته و هو يودعها مؤقتاً.. فهي ستأتي إليه كل يوم  
لتزوره.. بما أن سارة لن تستطيع أن تكون معهم الآن..

ودعته بحرارة و حب.. و منحته عناقاً كبيراً و ابتسامة أكبر.. قبل أن تخرج  
إلى سليم.. ذلك الذي بدا و كأنه عريس بالفعل بحلته الرسمية الكاملة..

ثم بكل أناقة فتح لها الباب لتصعد بجانبه.. و صعدت بكل رحابة لتتخذ مكانها  
الطبيعي بجانب... زوجها !!

و ما إن دخلا إلى المنزل.. و توقفا في منتصف غرفتهما التي دلها عليها و  
كأنها لم تأتي إلى هنا مسبقاً و ترها..

شعرت بتوتر غير طبيعي يهيمن على قلبها و حواسها.. خاصة و هي تراه  
يضع حقيبته في جانب معين بعناية.. ثم يرفع رأسه إليها ليقابلها  
بنفس... التوتر !!

يا الله.. إنها سلبيات الزواج من رجل خجول !! ما الذي عليها أن تقوله الآن و  
هي تشعر بأنه متوتر أكثر منها.. هل تهدئه بكلمة ما أو ربما فقط.. تحتضنه

!!!

لقد كان هذا ما فعلته بالطبع.. هذا كان الخيار الصحيح.. و الذي قادها إليه  
بخطوات هادئة.. إلى أن توقفت أمامه مبتسمة.. قبل أن ترتفع على أطراف  
أصابعها لتطوق عنقه مغمضة عينيها بهدوء..

و مثلها أطبق جفونه..و شعرت بذراعيه تطوقان خصرها بقوة..بينما همس  
صوته في أذنها بلطفه المعهود..بطيبته المعهودة ؛

\_ أهلاً و سهلاً بكِ..البيت أصبح مشغاً بحضوركِ !

و ها هي ذي تسير معه..جنباً إلى جنب كزوج و زوجة عاشقين..بعد يومين  
من تلك الجملة !!

كانت يدها على ذراعه..تتمسكُ به برفق و هي تسير متجولة بعينيها حول  
واجهات المحلات التجارية الفخمة..بعد أن دخلت لعدة منها و لم تجد  
منشودتها..حينما همست فجأة و هي ترفع رأسها إليه ؛

\_ إذن...ألن تدعني أقرأ دفتركَ الأسود ذاك ؟!!

منحها سليم ابتسامته الصافية الرصينة و هو يهمس بحزم ناظراً لعينيها بحب  
؛

\_ أبداً...هذا صندوق أسراري !

بدا و كأنه شتمها بهذا الجواب..فتوقفت فجأة..و قالت ترفع حاجبها الشرير  
المشهور بدون أن تترك تمسكها بذراعه ؛

\_ أسراركَ ؟!

حرك سليم رأسه بياس و كأنه يعتذر لها..قبل أن يتراجع قليلاً برأسه و هو  
يرأها تضيق عينيها قليلاً بتوجس..ثم قالت و كأنها تتمنى أن تفتح عقله  
لتجلس بين أفكاره بعد أن تقرأها كاملة ؛

\_ أسراركَ...التي أكون أنا بطلتها الوحيدة...أليس كذلك ؟!

بدت و كأنها تتشفى منه و تهدده في نفس الوقت..لكنه لم يعتبر كلامها  
تهديداً..فقد هز رأسه بالإيجاب مؤكداً بكل صدق..

لكن حاجبها الذي ارتفع أكثر..جعل نظرات الأسف تحتل عينيهِ..ثم قال و هو  
يحكّ طرف جبهته بإبهامه ؛



\_ لكنني رغم ذلك.. لا أستطيع أن أدعك تقرئينه.. ليس الآن على الأقل !!

ظهر بعض الإنزعاج الطفولي الجميل على ملامحها و هي تهمس ؛

\_ و لماذا؟!!

و كان الجواب متوقعًا نوعًا ما.. جعل ابتسامه عشق تلامس عينيها.. ابتسامه خفية كتمتها بمهارة و هي تسمعه يقول بنفس النبرة و كأنه يقر بحقيقة محتمة ؛

\_ لأنني...أخجل !

هذا الشاب غريب جدًا.. تكاد أن تشعر بأن تناقضاته لا تنتهي.. ما بين خجله و حزمه.. توتره و جديته.. لطفه و تفهمه.. و أحيانًا قليلة جدًا.. تدمره !!

تشعر بأنها في كل لحظة و يوم.. و بعد كل صفة جديدة تكتشفها فيه.. تقع في عشقه أكثر !!

اقتربت منه قليلًا بتعمد.. و قالت بأكثر نبرة رقيقة و ناعمة سمعها في حياته ؛

\_ و إذا أخبرتك أنني سأقرأه فقط بدون أن أناقشك بما في داخله.. أنت فقط.. أعطني إياه و أنا سأعيده لك ما إن أنتهي و كأنني لم أقرأه !

ظل سليم ينظر لها بتردد.. فأمالت رأسها قليلًا إلى الجانب ناظرة له ببراءة مسكين.. حينها فقط كان يزفر هامسًا باستسلام.. غير قادر على مقاومة نظراتها ؛

\_ حسنًا.. سأفكر في الأمر !

لم تتغير ملامحها أبدًا و كأنها لم تسمع تنازله.. بل في الحقيقة ازدادت براءة و مسكنة.. حتى أنها همست له بصوتٍ شبه مسموع ؛

\_ رجاءً !!

و كما توقعت.. رأت اليأس يكتنف عينيه أكثر.. و همس و هو يهز رأسه  
بأعصاب مشتتة منها.. و من جمالها الأخاذ في عينيه ؛

\_حسناً حسناً.. هو لك.. سأدعكِ تقرئينه بشرط أن تفي بوعدك.. اتفقنا؟!!

اومأت سيلين لعدة مرات و هي تنزع قناع البراءة مبتسمة برضا.. فابتسم هو  
الآخر بشغف لابتسامتها و هو يلمس جانب وجهها..

ثم قال بخفوتٍ و هو يعود ليسيير برفقتها بينما عيناه تعودان لتأمل الواجهات  
الزجاجية باهتمام ؛

\_حسناً.. أخبريني الآن ما هي غايتنا بالضبط من المجيء إلى هنا؟! لم نترك  
محلًا واحدًا إلا و دخلنا إليه !!

قالت سيلين بابتسامة شاردة بدون أن تنظر له ؛

\_لأنني أريد أن أشتري لسارة شيئاً مميزاً..

عقد سليم حاجبيه باهتمام سائلاً ؛

\_شيئاً مميزاً... كماذا؟!!

إلا أن سيلين لم تجب سؤاله هذا.. فقد نظرت له فجأة قائلة بحماس ؛

\_نسيت أن أخبرك بأننا سنسافر إليها غداً..

توقف سليم مكانه ناظرًا لها بدهشة ؛

\_حقًا؟!!

فأومأت مردفة بابتسامتها الواسعة الرائعة ؛

\_نعم.. و سيأتي العم " أمين " و الخالة " سمية " أيضاً..

ظلت ابتسامتها كما هي.. حتى و هي ترى تعبيره العابس و هو يقول متفاجئاً  
؛

\_و أنا آخر من يعلم !!!!

قالت سيلين بخفوتٍ و هي تعقد حاجبها قليلاً ؛

\_هل أنت ملتزم بموعد ما غدًا !!؟

زفر سليم بإحباط و هو يهمس بضيق بينما يعود لينظر أمامه ؛

\_أيّ موعد !! أنا لا أزال أعتبر "عملياً" رجلاً عاطلاً عن العمل..ربما

سأفكر في عرض أبي و أنضم إلى الشركة..

قالت سيلين و هي تتأمل جانب وجهه بحُب ؛

\_و ربما تجعل موهبتك مهنة..لماذا لا تكتب قصيدة باسمي !؟

نظر لها سليم بدهشة..لكنه سرعان ما ابتسم بألفة و هو يهمس ؛

\_أنا لا أكتب الشعر سيلين..أنا فقط كنت أعبر عن مكونات صدري بكلماتٍ

عشوائية تخطر في ذهني !

قالت سيلين تهز رأسها باعتراض ؛

\_ليست كلمات عشوائية..إنها خواطر جميلة..جميلة جداً في الحقيقة !

الآن تسمر سليم مكانه ناظرًا لها بما يفوق الدهشة..ثم قال بشكّ و كأنه

يستنكر أن يسمع مثل هذا المدح منها ؛

\_هل ترينها جميلة حقًا !!؟

همست سيلين بعفوية و تأكيد جاد ؛

\_بل أكثر من جميلة..كلماتك تلك..كانت واحدة من الأسباب التي جعلتني أقع

في حبك !!

همس سليم مبتسمًا باتساع كطفل تمّ منحه قطعة حلوى مجانية لذيدة الطعم ؛

\_و ما هي الأسباب الأخرى إذًا !؟

لم يفهم سبب نظرتها التي رمقته بها.. نظرة عميقة شملت ملامحه أولاً قبل أن تعود لتستقر في عمق عينيه فقط.. ثم همست تعض فوق جانب شفثيها بصدق ؛

\_أسباب كثيرة في الحقيقة.. لكن أهم سبب كان... هذه النظرة في عينيك !!

طرف سليم برموشه بشيء من الغباء و هو يكرّر ببطء ؛

\_ هذه النظرة في عيناى !!!

و لم تتردد من الهمس بخفوتٍ و ابتسامتها تصبح أكثر جمالاً و صدقاً ؛

\_ عندما تنظر لي... أشعر كما لو أنني... أميرة رقيقة هاربة من بلاد الجمال

!!!

فغر سليم شفثيه على نفسٍ ثقيل و هو ينظر لها بتدقيق.. لا يصدق.. لقد نطقت بأفكاره للتو.. همس لها بتركيز شبه مفقود و ابتسامته تتألق بعشق ؛

\_ أراكِ كذلك بالفعل !!

هزت سيلين رأسها هامسة بكل بساطة بدون أن تزيح عينيها من عينيه ؛

\_ أعلم..

ثم عادت لتتنظر أمامها تاركة له المجال لتأملها بغير تصديق لعدة لحظات.. أيّ غياب يعيش فيه !! كيف يمكنه أن يشعر بالتذمر أو الملل و هو

متزوج من أجمل فتاة رأتها عيناه !!

\_ وجدتها !!!

أجفل بقوة و هو يسمع هذه الكلمة تخرج بصوتٍ مرتفع مشبع بالحماس منها.. فنقل عينيه إلى حيث تنظر ببلاهة..

لكنها لم تسمح له بلحظة استيعاب واحدة.. فقد تمسكت بمعصمه لتسحبه ورائها بينما تهتف بنفس حماسها ؛

## لقد وجدت هدية سارة !!!

هل ستبالغ لو اعترفت بينها و بين نفسها فقط.. بأن هذه الأيام.. كانت الأجمل على الإطلاق في حياتها !!! ربما لن تبالغ.. ليس في الأمر مبالغة قطعاً !!! كيف تبالغ و هي من أصبحت تشعر بألم مزعج يمتد على طول فكها بعد كل نوبة ضحكٍ يدخلها إليها قسرًا !! كيف و هي من باتت تعجز عن المكوث في المنزل لحظة واحدة بدونها..

بدون مشاكساته و همساته العابثة الشاعرية !!!

كيف و هي من توقفت يوم أمس أمام المرآة الكبيرة بحمامها.. لتقابل فجأة.. أكبر ابتسامة رأتها ترتسم فوق ملامحها على الإطلاق !!

كيف و هي من غفّت كالطفلة بعد سنواتٍ طويلة من نضج مرهق فوق ركبتيه.. تتنعم بدفء أنامله و في أحيان أخرى شفتيه.. كلما دلت بشرة وجهها بقبلة.. ابتسمت في غفوتها الكاذبة..

إلى أن سقطت ضحية للنوم الجميل.. آخر ما تتذكره.. ابتسامته البراقة.. و آخر ما شعرت به.. أنامله الخشنة التي تمشط لها خصلات شعرها بنعومة..

لقد كان من المفترض أن تتابع "عرضاً مسرحياً" في الشاشة الكبيرة معه.. لكنها غفت قبل حتى أن يمر نصف العرض..

و ظل هو جالساً في مكانه فوق الأريكة.. يربت على ملامح طفلة النائمة بكل رقة.. متناسياً العرض التلفزيوني.. فعرضه المفضل مائل أمام عينيه.. مستريح على ركبتيه..

عرضه الذي مدته ساعات و ساعات من التأمل.. إلى أن يضطر لأن يحملها بين ذراعيه لينقلها إلى غرفتهما.. ثم يبدأ عرض جديد... أجمل من السابق !!

لقد عادت سارة فؤاد الغالي إلى عهدها السابق.. كل ابتسامة أمل.. كل ضحكة مشعة بالجمال..

شمسها الساطعة التي فقدت بريقها سابقًا على يديه.. عادت لتتوهج في سماء قلبه.. على يديه أيضًا !!

لقد نسف جاد مراد الماضي الكئيب من قلوبهما.. ليستبدل كل لحظة حزن بأخرى سعيدة.. كل نظرة كره بأخرى تنبض بالحب..

لقد التئم الجرح المؤلم بعد نزيف طويل طويل.. فأصبحت احتمالية تقيحه غير مرجحة بعد.. بل مستحيلة !!!

حتى المنزل الذي كانت تراه منفردًا في السابق.. أصبحت جدرانها تمتلأ اليوم بصور ضحكاتها و ابتساماتها المتألقة السعيدة..

هذا المنزل الذي شبهته بالجحيم ذات يوم.. أصبح جنتها التي لا تشعر بنفسها مكتملة إلا بداخلها !!!

في كل صباح تستيقظ على وجهه المقبل عليها.. و ابتسامته الخلابة الساحرة التي لطالما تلقفت قلبها بخبث مسيطر..

لقد أصبحت تلك عاداته.. فإما أن تفتح عينيها لتجده لا يزال غارقًا في النوم.. يحتضنها بذراعيه و قلبه و كأنه يخشى هروبها أثناء ساعات الليل.. أو مقبلًا عليها بتعابيره تلك.. يتأملها بنهم لوقت لا تعلمه و لا تهتم بمعرفته..

بينما أنامله تعزف فوق بشرة وجهها ألحانًا عذبة.. و أحيانًا شفتاه أيضًا.. إلى أن تتسلل إلى مسامعها الجملة المميزة المعتادة ما إن تبدأ رموشها بالإرتجاف منبأة إياه باستيقاظها الوشيك..

" افتحي عينيك.. أريد أن أرتشف القليل من قهوتك ! "

حينها فقط تفتح عينيها و كأن جسدها مبرمج على إطاعة أوامره.. لتقابل عينيه.. و تبتسم على أنغام صوته الذي يحرك أوتار قلبها..

## " صباح القهوة ! "

لكنها اليوم لم تسمع الكلمات المعتادة.. فقد استيقظت قبله.. و كالعادة أول ما تشعر به ذراعه الملتفتين حولها بدفء..

شقت الإبتسامة الحلو شفتيها و هي تأخذ المبادرة عنه متأملة إياه بحب للحظات طالت.. و انتهت بتنهيده قبل أن تنسل من حضنه بسلاسة و تقف بهدوء متجهة إلى أشغالها..

و بعد دقائق طالت.. تمطى جاد في مكانه على وشك الإستيقاظ.. و بالطبع كانت أول حركة فعلها أن فرد ذراعه بجانبه و كأنه يبحث عنها..

لكنه لم يجد سوى فراغاً.. فعقد حاجبيه قليلاً على نظرة شبه عابسة.. و فتح فمه لتقع عيناه مباشرة على مكانها الفارغ بجانبه..

لقد ضاعت منه الفرصة الثمينة في ارتشاف قهوة عينيها الصباحية المنعشة.. هذه نتائج السهر لساعاتٍ طويلة متأملاً إياها!

بينما هي.. كالأميرة النائمة لا تشاركه أي من جموح قلبه العاشق.. محفزه الأول لتأملها..

تنهد بقوة و هو ينسحب من السرير ليقف على قدميه الحافيتين و يلتقط قميصه الأبيض من فوق الأريكة.. ارتداه بسرعة بدون أن يغلق أزراره بينما يتجه إلى المكان الذي يعلم بأنه سيجدها فيه..

و قد وجدها بالفعل.. كانت حبيبته تقف أمام حاجز الشرفة.. تستند إليه بمرفقيها و هي تتأمل ضوء الصباح بعينيها الجميلتين..

ابتسم بشرود و هو يتوقف مكانه لعدة لحظات يتأملها بكل ارتياح..

مجدداً.. ترتدي الأبيض.. تبدو بفستانها الرقيق المتطاير بفعل النسيم كحمامة شقية.. بينما ملامحها هادئة تتم عن استقرار نفسي..

ترفع خصلتين من جانبي شعرها بمشبكٍ أنيقٍ.. تاركة خصلاته الناعمة  
تتطاير كفستانها تمامًا..

اقترب منها ببطءٍ.. بتأني و كأنه يحاول أن يؤخر انتهاء هذا المشهد الرائع  
الجمال ككل مشاهد حياته الجديدة معها..

إلى أن توقف بجانبها.. و حينها فقط.. رفعت عينيها ما إن استشعرت اقترابه  
لتنظر له مباشرة..

فهمس جاد و هو يبعد خصلة ناعمة إلى جانب وجهها ؛

متى استيقظتِ؟!

قالت سارة بهدوء و هي ترسم شبح ابتسامة رصينة على شفثيها ؛

ليس منذ وقتٍ طويلٍ.. لقد جهزت طعام الإفطار و كنت أنتظرك أن تستيقظ  
لتنقل معي طاولة الطعام حتى نتناوله هنا.. ما رأيك؟!

همس جاد مبتسمًا بنبرة مميزة جدًا و هو يتأمل كل إنشٍ في ملامحها الجميلة  
؛

رأيي من رأيكٍ.. تبدين جميلة جدًا هذا الصباح !

تسمرت سارة للحظة و كأنها لم تتوقع جملته التالية.. إلا أنها سرعان ما  
ابتنست برقة.. ثم همست بجذل بينما تمسكُ بطرفي قميصه لتبدأ في تزييره  
بتأني ؛

هذا الصباح فقط؟! !!

قال مفتونًا بها و بأناملها التي تدغدغ بشرة صدره بغير قصد منها بين  
اللحظة و الأخرى ؛

في كل صباح و كل مساء.. الفرق فقط أنك اليوم تبدين أجمل من الصباح  
السابق.. و غدًا ستكونين أجمل !



رمى أناملها بنظرة خاطفة و هو يهمس رافعاً أحد حاجبيه و كأنه لم ينتبه إلا  
الآن لحركتها ؛

\_ ماذا تفعلين؟! !!

همست سارة مبتسمة بدون أن تنظر له.. فقد كانت عيناها على حركة يديها  
المشغولتين ؛

\_ أسترك !

تجدد جبين جاد قليلاً و التوت شفاه بنظرة تقزز زائفة بينما يقول ؛

\_ يا لها من كلمة بشعة !!

حينها فقط.. رمقته سارة بنظرة صارمة لم تخفي ابتسامتها و هي تردف ؛

\_ تأدب !!!

لكنها و كأنها قالت كلمة عجيبة.. وجدت ملامحه تتغضن أكثر.. و قال  
باستنكار يدعي الإشمئزاز ؛

\_ أستغفر الله.. هل استبدلت كلمة بشعة بأخرى أبشع منها؟! من أي قاموس  
مزعج تقتبسين مفرداتك بالضبط؟! !!

كانت سارة قد انتهت بالفعل.. و قالت و هي ترفع أحد حاجبيها محذرة ؛

\_ جاد !!!

برقت عيناها سعادة و كأنها مدحته للتو.. ثم سرعان ما كانت ذراعه تمتدان  
لتطوقان خصرها.. ثم قال بينما يجذبها إليه إلى أن أصبحت تستند إلى صدره  
بمرفقيها برقة ؛

\_ الله !! لقد اكتشفت للتو بأنني أمتلك اسمًا جميلًا جدًا..

اتسعت ابتسامته الجميلة أكثر بشكل جعل قلبها المحب لابتسامته تلك ينتعش  
بشعور من الألفة المعهودة كلما رأتها..

بينما أكمل و هو يميل على وجنتها بقبلة طويلة كطول باله كل ليلة يمضيها  
في تأملها بعد أن تنام ؛

\_ أجمل اسم نطقته شفتاكِ على الأرجح !!!

عاد لينظر إلى ملامحها المبتسمة بإخلاص.. ثم همس و هو يلامس الخط  
الدقيق لابتسامتها الجميلة بإبهامه ؛

\_ نسيت أن أمنحك تحية الصباح المعتادة..

اقترب ببطءٍ ليطبع شفثيه على جبهتها مغمضًا عينيه بقوة.. و مثله أسدلت  
سارة ستار عينيها بهدوء تستشعر تلك القبلة المعبرة بكل جوارحها..

لقد إعتاد أن يقبل جبينها في كل صباح.. و في كل وقتٍ ربما.. قبلة تبدو عادية  
في الظاهر.. لكنها بالنسبة إليها كانت تحمل مشاعرًا لا تحصى..

كانت قبلة تهنئة و امتنان و.....اعتذار !!

رغم أن زمن الإعتذار قد ولى.. إلا أنه مصمّم أن لا يتوقف عن الإعتذار إليها  
و لو بعينيه طوال حياته ربما !!

عادت لتقابل عينيه بنفس ابتسامتها المبهجة لروحه.. قبل أن تسمع صوته  
يهمس بنبرة خافتة ذات مغزى جميل ؛

\_ صباح القهوة حبيبتي..

حينها همست له و هي تلمس ذقنه بأناملها بنعومة ؛

\_ صباح الفل...جاء !!!

نطقت اسمه بطريقة مميزة جدًا جعلته يتأكد بالفعل بأنه يمتلك الاسم الأجل  
على الإطلاق... أو ربما بالنسبة لها هي فقط !!

قد يكون السّحر الحقيقي منبعث من صوتها الخلاب !!!

همس لها برفق و هدوء و هو يمسكُ بيدها التي على ذقنه ليطلع قبلة طويلة  
في باطنها كعادته كلما صدرت منها تلك المبادرة الجميلة ؛

\_ سأذهب إلى الحمام و أعود في الحال.. انتظريني..

همست سارة ببساطة و هي تتأمله ؛

\_ سأفعل..

همَّ بأن يلتفت.. لكنه عاد لينظر لها للحظة بطريقة غريبة جعلتها تعقد حاجبها  
بعض الشيء بحذر.. لكنه لم يفعل أي شيء سوى أن عاد ليطوق وجهها بيديه  
و اقترب منها يريد أن يلتقط الهمسة من بين شفثيها الورديتين..

إلا أن يدها وقفت له بالمرصاد حينما ارتفعت لتكتم فمه.. ثم ما إن نظر لها  
رافعًا حاجبًا واحدًا بدهشة.. قالت تهز رأسها بالنفي بكل ثبات ؛

\_ أبدًا لن تكرّرها في الشرفة.. هل تريد أن تشوه سمعتي بين أفراد المجتمع  
الراقي ممّن يقطنون حولنا؟!!

حينها ابتسم.. ابتسم ابتسامة غريبة جعلتها تعقد حاجبها بحذر و هي تحرّر  
فمه ببطء..

لقد عادت سارة القديمة !!

تلك التي تحكمها قوانين و مبادئ صارمة أكثر من ما يستطيع الإلتزام بها..  
بل الأصح لقد عاد جزء من سارة القديمة.. و هذا المكر المائل في عينيها.. و  
المُمتزج ببريق حب حقيقي جامح محمل بكل الثقة الموجودة في العالم.. و  
التي أصبحت تكنها له.. هو جزءها الجديد الجميل.. جميل جدًا !!

همس بخفوتٍ و هو يهز رأسه بجذل محدثًا نفسه ؛

\_ توقعته ذلك !!

قالت سارة بعدم فهم ؛

\_توقعت ماذا ؟!!!

فقال بنفس النبرة ؛

\_بأنك تحبين أفراد المجتمع الراقى أكثر من حبك لي !!!

اتسعت عيناها بقوة و كأنه صفعها..ثم هتفت غير مصدقة ؛

\_قطعاً لا..كيف تقول ذلك !!!

إلا أن نبرتها المستنكرة لم تؤثر بجاد..فقد ربت على وجنتها بحنو و كأنه  
يواسي طفلاته الصغيرة..ثم همس بكل تفهم مزعج ؛

\_لا بأس حبيبتى..لا داعي أن تتعبي نفسك في التبرير إطلاقاً..لقد فهمت ما  
عليّ أن أفهمه..

لم تستطع سارة أن تستوعب كلمة واحدة ممّا يقوله.. فظلت تنظر له عاقدة  
حاجبها جاحظة بعينيها قليلاً بذهول..و لم يمنحها فرصة للإستيعاب..فقد كان  
قد استدار ليتجه للغرفة بصمتٍ بعد أن منحها ابتسامة عريضة متفهمة..

\_لكن.....

همست بغباء تام و هي تراقب انصرافه..لكن همستها تردّدت إلى مسامعها  
فقط..فقد كان قد اختفى بالفعل عن أنظارها..

فظلت متمسرة مكانها لعدة لحظات..قبل أن تزفر نفساً طويلاً و هي تنظر  
حولها بتعجب..تتخلله...ابتسامة..بل ربما ضحكة...أجمل ضحكة !!

وقعت عيناها فجأة على القفص الذهبي المعلق على جانب معين في  
الشرفة..فتلاشت ابتسامتها قليلاً..قبل تقترب بشرود إلى أن وقفت بجانبه  
متأملّة الانعكاس الحبيب لها و لجاد..

سارة و جاد العصفورين !!

كانت تستطيع أن تلمح شعور الألفة بين العصفورين.. تقرأ لغتهما  
بعينيها.. تاركة تحليل ما تقرأه لقلبها.. و قلبها يخبرها بأنهما في حالة حب  
ربما... مثلها و مثل جاد..

قلبها الأحق.. الذي هو ملكٌ لجاد !!!

---

خرج بعد دقائق من الحمام.. لكنه لم يتوجه إليها.. بل اتجه مباشرة إلى خارج  
الغرفة ليطلب الطاولة التي قالت عنها.. إلى أن اقتحم الشرفة فجأة حاملاً  
إياها..

و حينها فقط التفتت سارة التي كانت لا تزال تخوض حوارات شاعرية مع  
عصفوريهما.. اقتربت منه تزامناً مع وضعه للطاولة في مكانها المناسب..

لكنها تفاجأت بحركة أصبعه الذي ارتفع أمام وجهها فور وقوفه.. تزامناً مع  
صوته الذي قال بصرامة جعلتها تتراجع قليلاً شاعرة بالجزع ؛

\_ ستكون هذه آخر مرة تخرقين فيها القاعدة و تعدين طعام الإفطار  
بمفردك... اعتبريه أمر !!

رمشت سارة بعينيها ببطءٍ و هي تفغر فمها بتعبير مضحك.. و تجمدت تماماً  
و عقلها يتساءل بتشوش..

هل قال أمر ؟! أمرها للتو !!!

تلكأت قليلاً و هي تحاول أن تقول شيئاً ما.. إلا أنه عاد ليهمس بكل رضا و  
هو يبعد الأصبع المشاكس عنها أخيراً ؛

\_ الآن... دعينا ننقل أطباق الطعام بسرعة.. سأموت من الجوع..

تجاوزها ببساطة متجهًا إلى نفس الباب الذي دخل منه.. فنقلت سارة عينيها  
حولها للحظة بذهول.. ثم لم تلبث أن لحقت به بسرعة بينما تهتف بتركيز  
ضائع ؛

لحظة لحظة..ماذا كنت تقول للتو ؟!! أيّ أمر هذا !!!!!

كانت قد دخلت إلى المطبخ بالفعل حينما نطقت بآخر كلمة..فتوقفت تنظر لجاد الذي رفع صحنين بكل سلاسة.. قبل أن يستدير بكليته لها..و حينها همس مبتسمًا أمام عينيها العابستين ؛

لديّ مفاجأة جميلة لك..ستعجبك جدًا..

قالت سارة بغير تراجع عن موقفها ؛

قطعًا لن تفلح هذه الكلمات بإغوائي !!!

بدا و كأنها قد مدحته للتو..فقد ارتفع حاجبه في نظرة اندهاش يتخللها شيء يشبه الإنبهار الأحمق..ثم همس و هو يتظاهر بالبساطة..يتجاوزها مجددًا عائداً إلى الشرفة..

تعترفين إذا بأنني أستطيع إغوائك !!!

نظرت له سارة بجنون لأول مرة يصيبها معه..إلا أنه كان قد ابتعد بالفعل فزفرت بقوة..قبل أن تحمل الصحنين المتبقين و تلتحق بالشرفة..

و ما إن توقفت هناك..وضعت الصحنين بإهمال فوق الطاولة..قبل أن تقف لتواجه بعينيها الغاضبتين..و مجددًا..كان يهمس لها مبتسمًا ابتسامته الساحرة و كأن أيّ شيء لم يكن..

ألا تريدان حقًا أن تري المفاجأة التي أعددتها لك !!؟

لانت نظرة عينيها قليلاً فقط..لكنها رفضت أن تظهر أيّ تأثر أمامه..فغادر جاد الشرفة للحظة واحدة..هذه المرة ليحضر لها الهدية المذكورة..

إلى أن عاد يحمل بين يده شيئاً ما رفعه أمام عينيها..

شيئاً جعل من ملامحها ترتخي تدريجياً..و العقدة الغاضبة..تتحول إلى عقدة مندهشة..ثم مدت يدها لتختطف منه..التذكرتين !!

نعم.. لقد حجز تذكرتين باسمهما لمشاهدة مباراة سباق الخيول !!! عشقها و  
شغفها و هوسها الأكبر في الحياة !!!

لم تعلم بأنه كان يتأملها طوال الوقت.. عيناه تلتقطان كل انفعال جديد  
بملاحظتها قبل حتى أن يتشكل كاملاً.. و قد شعر و هو يقف أمامها  
الآن.. يتأملها بهذا الشكل... و كأنه ينظر إلى سارة الصغيرة !!!

حتى أن عقله استعداد لها صورة خالصة.. بخصلاتها المُصنفة بعناية منذ  
الطفولة.. فلطالما كانت والدتها رحمها الله تهتم بأدق التفاصيل في عنايتها  
بها..

والدتها التي بالكاد يستطيع تذكر بعض المواقف الجميلة بينه و بينها.. فقد كان  
لا يزال طفلاً صغيراً حينما توفيت و هي تلد سيلين.. و الحقيقة أنها خلفت  
فراعاً موحشاً في المزرعة الكبيرة آنذاك !!

كانت عيناها تبرقان حرفياً.. تلمعان و هي تنظر للتذكرتين في يدها..

لقد ظنت بأنها لن تحظى بفرصة جديدة بعد لمشاهدة واحدة من هذه  
السباقات.. لقد ظنت بأنها لن تستطيع ممارسة شغفها الأجل في امتطاء  
حصانها الأبيض الحبيب..

لكنه بمعجزة ما.. كان سبباً اختاره الله ليمنحها كل هذه السعادة التي يرفرف  
لها قلبها !!!

رفعت رأسها إليه فجأة.. و هناك رأى بريق الدموع المحتجز بجوف  
عينها.. فهمس بخفوت و هو يتطلع بها من مكانه يود لو يخفيها في قلبه عميقاً  
فلا ترى عيناها حزناً و لا ألماً بعد ؛

فكرت بأنك قد ترغبين في الذهاب هذه المرة.. بما أنك قد تغيبت لمدة سنتين  
متتاليتين عن الحضور..

همست سارة و هي تطرف بعينيها على دموعها المختزنة ؛

## \_ كيف علمت !!؟

كان سؤالاً متهوراً لا محل له من المنطق.. علمت ذلك و هي ترى ابتسامته البسيطة.. بينما حركة رأسه اليائسة منحتها الجواب الذي تعرفه..

و ذكرتها بوصف "المهووس" الذي خصّته به ذات يوم.. حينما علمت منه بأنه كان يراقبها طوال الوقت.. كالمهووس !!

رمق جاد يدها الممسكة بهديته بنظرة سريعة.. ثم عاد لينظر لوجهها هامساً باهتمام و تأثر لامس عينيه و نبرته و لم يغفله قلبها ؛

## \_ هل أعجبتك إذاً !!؟

كان الجواب مختلفاً عما توقع.. بل أجمل بكثير مما توقع.. فقد نظرت حولها لوهلة قصيرة.. قبل أن تقترب منه لتحاوط عنقه بدون أن تترك التذكريتين.. عازمة على منحه الهدية التي يستحق في المقابل..

بالنسبة له.. كانت الهدية أكثر سخاء من هديته.. فلم يشعر بنفسه إلا و هو يغمض عينيها و يكبل خصرها بذراعيه مستجيباً لنعومتها..

يقتنص هديته من شفيتها السخيتين.. و مجدداً.. غير عابئين لا بالمكان و لا بالزمان !

إلى أن إبتعدت قليلاً.. لكن لا لتتركه.. فما كان ابتعادها إلا لتطوق عنقه أكثر محتضنة إياه بقوة.. مطبقة عينيها بشدة..

ثم همست له و قد انسابت دموع ناعمة هادئة على وجنتيها ؛

## \_ أحبك.. بل... أعشقتك..

تأوه جاد بصوتٍ مكتوم في خصلات شعرها التي تجعله مجنوناً بنعيمها.. ثم همس و هو يمرّر أنامله ممشطاً برفق لا يمثل مشاعره المتوهجة العنيفة ؛

\_ أجمل اعتراف سمعته أذناي على الإطلاق.. من أجمل امرأة عرفتني في الوجود.. و أنا أحبك.. بل أعشقتك حبيبتى !!!



ساد بعض الصمت بينهما..صمت دافء ظلت فيه سارة تحتضنه متمسكة بقوة و هو بالمثل..إلى أن قطعه صوت جاد..ذلك الذي قال بنبرة غير مريحة بينما ينظر في نقطة معينة ؛

\_سارة !!

فتحت سارة عينيها بدون أن تجيبه..و لم ينتظر سماع إجابتها الصوتية فقد قال يستأنف بنفس النبرة ؛

\_هناك رجل..يقف في الشرفة المقابلة لنا من جهة اليمين..ينظر لنا !!

جحظت عيناها و كأنه صفعها..و شهقت بسرعة مبتعدة عنه لتتنظر إلى حيث ينظر..لكنها لم تجد شيئاً..فقد كانت الشرفة فارغة تمامًا..فعادت تنظر لجاد بتوجس..حينها همس بابتسامة سخيفة ؛

\_على الأرجح..شعر بالفرع و هو يصادف مثل هذا المشهد المخل بالحياء..فقرّر الإختفاء في منزله إحراجاً..

نظرت له سارة بشكّ..إلا أن ابتسامته ظلت كما هي..متسعة بشكل جعل الشكّ ينقلب إلى يقين..فزمت شفثيها بقوة و قالت بلوم و هي تلکم ذراعه بخفة ؛

\_هل تستهزء بي ؟!!!

هتف جاد متذمرًا في نفس اللحظة و هو يفرك ذراعه حيث لکمه ؛

\_ما الذي فعلته أنا !!! أنت من انقضضت علي !!!!!!

فغرت سارة شفثيها على شهقة صامته و هي تحدق به غير مصدقة..و لم تستطع أن تمنع يدها من أن ترتفع لتلکم صدره بقوة هذه المرة..

تزامنًا مع صوتها الذي هتف بذهول ؛

\_وقح !!!!!!

لكن ملامح الغضب سرعان ما تلاشت من وجهها.. و جحظت بعينيها بدهشة  
من نفسها و هي ترى الذهول الذي لون عينيه..

و ما إن تقدم خطوة واحدة ناحيتها و في عينيه رغبة واضحة في أخذ  
المبادرة عنها و الإنقضاض عليها..حتى كانت تتراجع خطوة مثلها باندفاع  
أحمق..

ثم قبل أن يصل إليها التفتت بسرعة لتطلق العنان لساقها هاربة منه كذلك  
اليوم في ساحل البحر..

كتلك الأيام الملونة الدافئة.. أيام الطفولة البريئة..حينما كانت تركز منه بعد  
أن تفتعل مصيبة بينما هو يلحق بها متوعدًا عبر السلاالم الطويلة..

أحياناً يدركها بسرعة البرق..و أحياناً تنجح في الهرب.. فتصفق باب غرفتها  
في وجهه متشفية قبل أن يمسخها..

لكنها و بعد دقائق..تعود لتخرج من مخبأها..ثم تعود المياه إلى مجاريها  
بينهما و كأنهما لم يتشاجرا..

اليوم أيضاً نجح في إدراكها..فقد كانت سرعتها لا تضاهي سرعته بأيّ  
طريقة..و لم تشعر بنفسها إلاّ و هي محاطة بذراعيه اللتين طوقتا خصرها  
بشدة لترفعانها عن الأرض..

بينما هي...انخرطت في نوبة ضحكٍ مجهدة..و هو مثلها كانت ضحكته  
واسعة جدًا و هو يحملها بين ذراعيه..

إلى أن سقط بها فوق الأريكة الأثيرة في حركة سريعة..و حينها فقط..تلاشت  
ضحكتها بعض الشيء مخلفة ابتسامة جميلة جدًا على شفيتها..

و تلاشت ضحكته مثلها ببطء..قبل أن يهمس و هو يحاصر جسدها  
بجسده..يمد يده ليبعد خصلة ناعمة عن عينيها حتى يتمكن من تأملها كما  
يشاء ؛

\_ هل أنت بخير !!؟

همس بشيء من القلق الذي قرأته سارة بوضوح في نبرة صوته و عينيه..و جعلها تزفر نفساً مجهداً و هي تهمس ناظرة إلى عينيه ؛

\_ أنا بخير..بخير..توقف عن تكرار هذا السؤال مراراً !!

ظل جاد يتأملها بعينيه المبتسمتين و كأنه تناسى تمامًا شجارهما قبل قليل..و ظلت ابتسامتها مثله على حالها للحظات..

قبل أن تبدأ في التداعي قليلاً ببطءٍ..إلى أن همست بخفوتٍ ؛

\_ سأعود إلى العمل !

و كأنها لكمته مجددًا..لكن هذه المرة كانت لكمة حقيقية.. فقد شحبت ملامحه فجأة..و اخفت ابتسامته فوراً..ثم تسمر للحظة قبل أن يستقيم عنها فجأة إلى أن جلس فوق الأريكة ينظر أمامه بصمت..و استقامت هي الأخرى جالسة مثله..

التزمت الصمت للحظاتٍ ظلت فيها تحديق بجانب وجهه بتعبير مبهم..و كأنها تنتظر منه أن يقول شيئاً..لكنها لم تجد سوى صمتاً مزعجاً منه..فهمست بخفوتٍ و هي تلمس ذراعه برقة ؛

\_ جاد !!!

طرف جاد بعينيه و هو يطرق برأسه ليقابل الأرض بتعبير حزين لمحتة..و قد ظنت بأنه سيتجاهل ندائها..إلا أنها وجدته يرفع رأسه إليها بعد أقل من ثانية..و رأت العذاب الكامن في عينيه بينما يردف ؛

\_ لا تعودي الآن..ليس بعد !!!

همست سارة و هي تميل برأسها قليلاً بصبر ؛

\_ متى سأفعل إذاً !!؟

لم تسمع منه ردًا.. فامتدت يدها بهدوء لتتمسكَ بيديه المتشابكتين أمامه بينما  
يستند بمرفقيه إلى ركبتيه.. ثم همست بصدق ؛

\_ العمل هو جزء مني جاد.. تعلم كم أحب ما أفعله.. أشعر بأنني كلما زرعت  
ابتسامة جميلة فوق شفاه شخص لجأ لي باحتياج... أولد مجددًا !!

همس جاد يستعطف عينيها بنفسِ النبرة المحملة بعذاب و خوفٍ مبالغ به ؛

\_ أنا أحتاجك أكثر من هؤلاء الأشخاص.. أحتاجك أكثر ممّا قد يحتاجك أيّ  
شخص في العالم.. أحتاجك و أخاف عليكِ بنفسِ القدر..

شبح ابتسامة ضعيفة ارتسم على شفثتها.. همست بعده بنفسِ نبرتها الدافئة  
الخافتة ؛

\_ إلى هذه الدرجة !!؟

همس جاد بحرارة و هو يرفع إحدى يديه ليطوق وجنتها ؛

\_ بل و أكثر.. لقد أصبحت أخاف عليكِ بطريقة غير معهودة أو طبيعية  
أبدًا.. و أنا راضٍ تمامًا عن مشاعري هذه تجاهك.. لهذا أريدك قريبة مني  
دائمًا..

صمت للحظة ثم استأنف بحرارة أكبر و صدق أكبر و هو ينظر لعمق عينيها  
المتأثرتين ؛

\_ أنا أفقد عقلي لو تأذى أصبع واحدٌ منكٍ بالغلط.. فكيف سأتحمل أن لا  
أراك.. و لا أعرف ما يحدث معكٍ ليوم كامل.. سارة !!؟

هز رأسه بقوة و هو يستأنف رافضًا للفكرة حتى ؛

\_ لا أستطيع.. لا أستطيع الآن.. لا تعودي الآن سارة.. انتظري قليلًا بعد.. ألا  
تفعلين على الأقل... لأجلي !!؟

ذلك الإستنكار الذي برز في عينيها فقط.. تتخلله ابتسامتها الحانية جعل من  
خفقات قلبه ترتعش حبًا و هو يسمعها تهمس بخفوت و دهشة ؛

\_ على الأقل لأجلك؟! تلك الكلمتان لا تتناسبان عند ذكرهما في جملة  
واحدة!!

رفعت يدها الحرة لتربت على وجنته بينما يدها الأخرى لا تزال مختفية بين  
يده..و استأنفت بدفء ؛

\_ أنا أستطيع أن أفعل لأجلك..ما لا يتخيله عقلك حتى !

مالت عيناه قليلاً بحنان و نبرتها الصادقة تدغدغ مسامعه بسحر خاص..قبل  
أن يهمس بترقب بدون أن يحيد بعينه عن عينيها ؛

\_ ماذا إذا؟!!!

همست سارة و هي تلقي بثقل قلبها على قلبه عبر تلك الحركة المميزة..حينما  
تتكأ بجبينها على جبينه ؛

\_ سأنتظر قليلاً بعد...لأجلك!!

ابتسم جاد بحب و هو يطوق وجهها البهي بكلتا يديه ليقربها منه أكثر مغيباً  
إياها في دوامة أشواقه التي استسلمت لها بحرارة لعدة لحظات..

و لم يستطع أيّ منهما ان يقطع الصمت حتى بعد أن ابتعد عنها قليلاً..فظل  
سائداً لعدة لحظات أخرى اكتفى فيها كلاهما بالإستماع إلى صوت أنفاس  
الأخر..

إلى أن قطعت سارة بصوتها الهامس ؛

\_ دعنا نذهب للأكل إذا..

هز جاد رأسه فوق جبينها هامساً باعتراض كالأطفال ؛

\_ لست أشعر بالجوع..

إلا أنها همست بإصرار يناقض رغبة قلبها الذي يتمنى لو تمتلك عصا  
سحرية تخولها تجميد الوقت فتعيش ما تبقى من عمرها في هذه اللحظة ؛

\_ جاد !!

همس جاد بصوتٍ أجشٍ متكاسل ؛

\_ حبيبته... متى يجِل الليل ؟!!

رغمًا عنها كانت تشرق عينيها في ابتسامة غير مرئية تمامًا.. لكنها اختارت أن لا تجيب هذا السؤال.. فاكثفت بأن تنهدت بخفة.. ثم قالت بينما تقف فجأة متمسكة بيده لتسحبه معها ؛

\_ لا بد أن تتذوق ما أعددت لك..

لم تسمع منه جوابًا باستثناء زفرة استسلام و هو ينصاع ليدها على مضض.. و ما إن استقرت في مكانها و هو في مقابلها.. قالت بهدوء و هي تشرع في الأكل بأناقة تليق بها ؛

\_ إذا.. هل لديّ أيّ فحص اليوم ؟!

قال جاد و هو يشاركها الأكل بشهية مفتوحة ؛

\_ لا.. لقد تكلمت مع الطبيب يوم أمس.. موعد الفحص التالي بعد غد..

هزت سارة رأسها مبتسمة بدون أن تنظر له.. فعاد ليهمس متسائلًا باهتمام ؛

\_ لماذا هذا السؤال إذا ؟ هل هناك خطة في عقلك تريد تنفيذها اليوم ؟!!

كان العبث و الحماس يتطاير من نبرته بشكل جعلها تنظر له رافعة أحد حاجبيها.. ثم قالت تقتل حماسه المسكين في مهده ؛

\_ نعم.. في الحقيقة لديّ الكثير من العمل.. سيلين ستأتي اليوم برفقة كل أفراد العائلة..

غصّ جاد في طعامه و هو ينظر لها بصدمة.. فأمسكت سارة بكأس الماء لتمده له بهدوء.. و بالفعل أخذه منها.. لكن نظراته ظلت على حالها.. و قال و هو يسحب منديلًا ورقياً ليمسح به أطراف فمه ؛

\_لم تخبريني !!!

توقفت سارة للحظة عن الأكل.. ثم قالت باعتيادية و بساطة ؛  
\_نعم.. هذا لأنها لم تطلعني على الأمر إلا في رسالة صغيرة أرسلتها لي  
صباح اليوم..

ثم نظرت إلى ساعة معصمها و هي تضيف بهدوء ؛

\_على الأرجح.. سيصلون بعد خمس ساعات من الآن..

بدا جاد شارذ الذهن تمامًا و هو يهز رأسه كإجابة صامتة.. فرمشت سارة  
بعينيها قليلاً.. قبل أن تهمس بشيءٍ من القلق و هي تدقق النظر بملامحه ؛

\_ما الخطب؟!!

نظر لها جاد بصمتٍ و بنفسٍ الشرود.. فعادت تهمس بخفوت و تردد ؛

\_هل تشعر بالقلق ربما... من حضور أبي؟!!

لم يتردد جاد على الإطلاق و هو يجيبها بهدوء ؛

\_قطعًا لا.. لقد تحسنت علاقتي معه نوعًا ما بعد الأحداث الأخيرة.. هذا لا  
يعني بأنها أصبحت جيدة تمامًا لكنه... يستطيع أن يأتي في الوقت الذي يريد  
بالطبع..

قالت سارة بحيرة بدون أن يرتفع صوتها أو يتخلله أيّ انفعال ؛

\_ماذا إذا؟!!

ابتسامة منقوصة شقت شفثيه قال بعدها بنبرة بسيطة يتخللها بعض الإحباط ؛

\_لقد كنت أخطط لأخذك إلى مكان ما..

الآن ظهر الإهتمام جليًا في عينيها.. و قالت ببطء ؛

\_أيّ مكان هذا؟!!

لكن جاد رفض أن يريها.. فهز رأسه تاركًا الابتسامة تتلاعب على شفثيه  
بينما يردف بغموض ؛  
\_مكان ما.. سأخبرك به لاحقًا..

---

لقد كان تخمينها صحيحًا.. فبعد مرور خمس ساعات بالتقريب.. رن الجرس  
الباب منبأً بمجيء أفراد العائلة.. توقفت سارة و جاد أمام الباب لهنيهة..  
كانت سارة تبدو جميلة جدًا.. غاية في الأناقة و الرقي و الرقة.. كعادتها  
بالطبع.. ترتدي فستانًا أحمرًا يتجاوز ركبتيها قليلًا.. حذاء أسود بكعب متوسط  
الطول تحته.. بينما شعرها منسدل طليق..

و جاد بجانبها.. يشعر بالغيرة تنهش قلبه و هو يرى طلتها البهية التي قد  
تسحر كل من يراها بغض النظر عن هويته.. لكن بجانب الغيرة.. كانت هناك  
سعادة أقوى و فخر شديد بها..

لم يدرك بأن أفكارها كانت متشابهة نوعًا ما مع أفكاره.. فقد كان يبدو هو  
الآخر... خلابًا !!!

خاصة و قد تخطى عن سترته ليبقى بقميصه الأبيض و بنطاله الرسمي  
الأسود.. فبدأ ساحرًا بشكل بسيط.. يجعلك تحتر حينما تنظر له.. ما الشيء  
الحقيقي المميز فيه !!؟

و الجواب غير معلوم.. هو مميز بطريقته فحسب !!

أمسكت بمقبض الباب أخيرًا لتفتحه.. و كما توقعت كان أول وجه رآته هو  
وجه سيلين الحبيبة.. تلك التي كانت تقف أمامها مبتسمة بإشراق.. تبدو كالحلم  
تمامًا لشدة الطاقة الجميلة التي تنشرها معها بابتسامتها..

يا الله !!



منذ متى لم ترها..إنها لا تتذكر حتى..المهم بأنها الآن و هي تراها..تدرك كم من الإشتياق كان يجتاحها ناحيتها..لهذا و بدون تفكير..اندفعت إليها بسرعة لتجذبها إلى حضنها معانقة بقوة بادلتها سيلين إياها..

كانت سيلين مغمضة عينيها..ابتسامتها الرائعة تشمل كل إنشٍ في وجهها.. بينما بجانبها تمامًا..كان يقف سليم..ذلك الذي بدا محرّجًا لسبب مجهول و هو يحمل بين يده قالب حلوى مغلف بشكل جميل..

فرد جاد يده ناحيته ليصافحه مرحبًا بوقار يليق به ؛

\_ أهلاً و سهلاً بك..

أوماً له سليم مبتسمًا بهدوء..ثم لم يلبث أن مدّ له العلبه البيضاء المزينة بطريقة جميلة فأخذها جاد منه شاكرًا..

ثم نظر لسيلين التي كانت لا تزال تحتضن سارة بقوة..و نظرت له هي الأخرى بابتسامة شابها بعض الإرتباك..

إلى أن ابتعدت عن سارة..و ظلت متسمره مكانها لا تعلم الطريقة المثلى لإلقاء التحية عليه..لكن جاد بدا طبيعيًا رغم التردّد الذي نال ابتسامته و المشابه لتردّدها..

فاقترب خطوة ليحتويها بين ذراعيه برفق هامسًا بخفوت ؛

\_ أهلاً بك..

ثم ابتعد مفسحًا المجال لسليم بمصافحة سارة التي بدت ملامحها كانعكاس لملامحه..مبتسمة بود حقيقي و ترحيب حار..قبل أن يهمس بتلكاً بينما يحكّ طرف جبهته ؛

\_أفراد العائلة أيضًا هنا..أصرّ والدي و والدتي على رؤية سارة و تهنئتكما بنفسهما..

تضاعف شعور الإحراج على وجهه و هو يقول ما قال و كأنه يخشى أن  
يزعجهم مجيء عائلته..إلا أن كل ما تلقاه.. ضحكة هادئة من جاد..قال بعدها  
بسعادة و هو يحثه على الدخول ؛

\_ أهلاً بالجميع..ألسنا عائلة واحدة..أين هم ؟!

كانت قد دخلت سارة و سيلين برفقة بعضهما البعض.. نقاشاتهما الأخوية  
تكاد أن لا تنتهي..فأغلق جاد الباب بينما يقترب برفقة سليم الذي قال يجيب  
سؤاله بهدوء ؛

\_إنهما في الطريق برفقة عمي فؤاد..

جلس أربعتهم في أريكتين منفصلتين في مقابل بعضهم البعض..كان جاد  
يجلس بجانب سارة..و سيلين بجانب سليم في مقابلهما..  
ساد صمت قصير جداً..قبل أن يقطعه صوت سارة التي همست بلطف و هي  
تنقل عينيها بين سيلين و سليم ؛

\_كيف هي الأوضاع بينكما إذاً ؟!!

ابتسم سليم باتساع و كأنها لم تمنحه سؤالاً طبيعياً متوقعاً..بل مدحته  
شخصياً..ثم قال و هو ينظر إلى عيني سيلين المبتسمتين مثله بصفاء ؛  
\_جيدة جداً..بل أكثر من جيدة..

اتسعت ابتسامة سيلين بحب..و همّت بأن تقول شيئاً..لولا أنه أكمل يتصنع  
الضيق بطريقة استفزتها ؛

\_ما عدا شيئاً واحداً !

أمالت رأسها قليلاً ناظرة له بحاجبين منعقدين بتحفر..و قبل أن يستطيع  
الكلام جاء صوت سارة تقول بثبات ؛

\_ما هو ؟!!!

بصعوبة استطاع أن يبعد عينيه عن سيلين لينظر لسارة التي كانت تنتظر  
جوابه باهتمام.. قبل أن يقول بنبرة يتخللها ضيق زائف ؛

\_ أنها لا تكف عن تذكيري بأنها تحبك أكثر مني !

اعتلت ملامح سارة الدهشة المزيفة.. و نقلت عينها لسيلين لترمقها بنظرة  
تشبه التأنيب.. بينما رمقت سيلين سليم بنظرة مغتظة غاضبة..

و قبل أن تتمكن من الإجابة.. كان يقاطعها صوت ضحكة هادئة صدرت من  
جاد هذه المرة.. ثم قال ما لم تتوقع سارة سماعه منه إطلاقاً ؛

\_ تمامًا.. حتى أنا لا تنفك عن تذكيري في كل حين !

نظرت له سارة باستنكار.. فبادلها بنظرة لطيفة جدًا.. قبل أن تشعر بذراعه  
على خصرها تقربها منه بسرية.. فزمت شفتيها و هي تريد أن تفتح فمها  
لتشتمه و لو بينه و بينها..

إلا أنها في النهاية.. تخلت عن هذه الفكرة.. و قالت بينما ترفع ذقنها باعتزاز و  
ترفع ؛

\_ طبيعي لن تستوعبا العلاقة بيننا.. هذه تسمى بوحدة الأخوة..

قال جاد رافعًا حاجبيه معًا باستفزاز.. متجاهلاً ابتسامة سيلين المشعة سعادة  
لسماعها لرد سارة ؛

\_ و ماذا عن وحدة -الازواج- !!!؟

برقت ابتسامة سارة أكثر و كأنها لم تسمع هذا السؤال.. و بالطبع أجابت تهز  
كتفيها بكل ثقة ؛

\_ تلك مختلفة عن تلك..

صوت رنين الجرس قاطع وصلة حديثهم المهمة.. فهبت سيلين واقفة بسرعة  
تنتوي أن تفتح الباب.. إلا أنها اصطدمت في وقوفها بسليم الذي كان قد وقف  
تلقائيًا هو الآخر..

لكنه عاد ليتراجع جالسًا حينما رمقته بنظرة غاضبة من طرف عينيها.. قبل أن تتجه إلى الباب رافعة ذقنها إلى أن فتحتة على وجه والدها الحبيب و والدي سليم مع أخته..

\_ هل ستتركني أم أضربك مجددًا!؟

قالت سارة من بين أسنانها و هي تلمح دخول والدها.. ذلك الذي أول حركة توقعها منها هي أن تهب إليه معانقة.. إلا أن جاد لم يتركها.. فقد مال على أذنها ليهمس في أذنها بخفوتٍ و هو يشدد من ضغط ذراعه على خصرها ؛

\_ ألم تسمعي من قبل.. المثل الذي يقول "ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب" .. هذا ما أشعر به في كل مرة تلکميني بيدك الجميلة !

لحسن حظه.. كان الجميع منشغلًا عند الباب.. حتى سليم الذي كان قد وقف لينضم إلى التجمع الصغير.. فلم ينتبه لهما أحد..

حينما لم تجد سارة منه استجابة لنظرتها المتوعدة.. همست مبتسمة بغیظ من بين أسنانها ؛

\_ اتركني... جاد!!!!

و أخيرًا حرّرها.. حررها بعد أن منحها نظرة أخرى من نظراتٍ عينية الملتوية المستفزة.. فسقطت الابتسامة الغاضبة عن عينيها.. و همست بغیظ قبل أن تقف بسرعة لتتجه إلى حيث يقف والدها ؛

\_ تبًا لك !!!

راقبها جاد مبتسمًا بحُب و هي تقترب من أبيها إلى أن عانقته بقوة مرحبة.. قبل أن ينتهد بقوة ليقف هو الآخر و ينضم إليها مرحبًا بأفراد العائلة..

كانت السهرة لطيفة جدًا.. بدا المنزل مكتظًا كما لم يكن من قبل.. الأصوات الصاخبة و الضحكات الحقيقية الدافئة ملأت منزلها الدافء..

و كانت هي.. سعيدة جدًا بهذا الإكتظاظ.. فلم تنفكّ توزع ابتسامات لطيفة و جميلة على وجوه الجميع.. و كان هو.. كعادته معها.. يتأملها مشدوهاً.. مبتسمًا.. ابتسامة ذات وميض يظهر أكثر كلما وقعت عيناها عليه..

إلى أن انسحبت بهدوء لتتجه إلى المطبخ بغية تجهيز صحن طعام العشاء.. و كما توقعت.. وجدته يلحق بها بعد أقل من دقيقة..

تعمدت أن لا تنظر له أبدًا و هي تسمع صوت خطواته تقترب منها بهدوء شديد..

إلى أن شعرت بذراعيه تتسللان بخفة من حولها إلى أن أحاطها برفق مريحًا كلتا يديه على طرفي الطباخ.. و شفتاه توزعان قبلات رقيقة على جانب وجهها و فكها الناعم..

لكنها رغم ذلك لم تقل شيئًا.. بل لم تمنحه ردة فعل و كأنه غير موجود و هي تتم عملها.. ربما تظن بأن ردة الفعل هذه قد تزعجه !!

لكنه في الحقيقة كان أكثر من سعيدًا.. فلم تلبث أن علت شفتيه ابتسامة حنونة و هو يستشعر هذا التجاهل العين منها..

قبل أن يرفع يده فجأة ليمسك بيدها التي كانت على وشك فتح القدر الذي يحتوي على ألد الطعام..

حينها فقط كان يسمع صوت زفرتها القانطة.. فقال و هو يتمسك بيدها أكثر ليبعدا عن القدر و يرفع يده الأخرى ليفتحه ؛

\_ دعيني أساعدك قليلاً.. لا بد بأن الغطاء ثقيل عليك..

زفرت سارة مجددًا بانزعاج منه.. و حاولت أن تحرر يدها من يده إلا أنها لم تستفد شيئًا سوى أنه قام بالتمسك بها أكثر.. حينها تنهدت مستسلمة.. و همست بيأس و بأنفاس مجهدة ؛



لم يحتج جاد لأيّ نكاء كي يفهم مقصد هذا السؤال.. و لم يحاول ادعاء عدم الفهم أبدًا ليجنبها الألم.. بل عقد حاجبيه بقلق و هو يرفع رأسه عن كتفها للحظة.. ثم قبض على كتفيها ليديرها إليه سائلًا بقوة ؛

\_و ما الذي قد يمنعكِ ؟!!!

أمالت سارة رأسها إلى الجانب قليلًا ناظرة له بنفس الحزن الذي غرس في قلبه خنجرًا سامًا.. قبل أن يرفع يديه ليطوق وجهها.. ثم همس بجدية و هو ينظر لعينيها تمامًا.. إلى أعماق عينيها ؛

\_تستطيعين بالطبع حبيبتي.. أنا و أنتِ نستطيع.. كل ما علينا فعله.. هو انتظار الوقت المناسب..

بدت سارة غير مقتنعة بكلامه بشكل كامل.. فهمت بصوت يرتعش تأثرًا بالحلم القديم الذي تسرب من بين يديها ذات ليلة عاصفة بالمشاعر المتناقضة ؛

\_حقًا ؟!!!

اقترب جاد منها ليطبع شفثيه على جبهتها بقوة أقرب إلى العنف.. و ظل على حركته تلك لعدة لحظات.. قبل أن يحتضنها بالكامل الى صدره.. بينما يهمس في أذنها مؤكدًا بحرارة.. بنبرة تحمل وعدًا صريحًا ؛

\_بالطبع.. بالطبع حبيبتي !!!

حاوطة سارة جذعه بذراعيها متمسكة به قوة و عيناها الناعستان الجميلتان مفتوحتان على اتساعهما.. تحديق في الجدار المقابل بدون أن تميز ما تراه.. ما تميزه بالفعل.. هو صوته.. و ذراعه.. و صدره الواسع حيث استكان رأسها لعدة لحظات..

وقعت عيناها فجأة على سيلين التي دلفت للمطبخ للتو.. لكنها لم تكذب تتقدم خطوة أخرى بالداخل حتى كانت تتسمر مكانها متسعة العينين بإحراج.. و همت بالفعل بأن تستدير لتغادر..

إلا أن صوت سارة الذي خرج هادئاً بينما تبتعد عن حضن جاد منعها ؛

\_تعالى..

عادت لتقف مكانها ناظرة لجاد الذي شاركها القليل من الإحراج.. لكنه رغم ذلك بدا أكثر ثباتاً منها.. فقال بينما يربت على وجنة سارة بحب قرأت منه سيلين سطوراً في عينيه ؛

\_سأذهب لأجلس مع أفراد العائلة..

اومات له سارة مبتسمة بهدوء.. فاستغرق لحظة أخرى في تأملها و كأنه غير قادر بعد على الإبتعاد خطوة عنها.. قبل أن يتركها ببطءٍ و يستدير متجهاً إلى الباب بعد أن منح سيلين ايماءة هادئة..

قبل أن تقترب هذه الأخيرة من سارة التي ظلت ابتسامتها مشعة.. بل و تألقت أكثر حينما توقفت سيلين أمامها.. ثم همست بشيء من المرح و هي تضرب طرف جبهتها بيدها ؛

\_يا للإحراج.. منذ متى و أنا و جاد مختلفيان بداخل المطبخ !! لا أعرف أي فكرة قد يكون أخذها عنا كل فرد من عائلة سليم..

قالت سيلين ترفع أحد حاجبيها بجذل ماكر ؛

\_عائلة سليم فقط !! أراهن بأن أبي كان يجلس طوال الوقت على أعصابه و هو يرمق المطبخ بنظرة و أخرى بين كل لحظة.. ثم في النهاية أمرني بأن أذهب لمساعدتك في المطبخ..

قالت سارة و هي ترفع حاجبها الرفيع مثلها ؛

\_هو من أمرك بهذا !!؟

اومات سيلين بالإيجاب.. فزمت سارة شفيتها بحزم مفاجئ.. ثم قالت و هي تشير إلى الطباخ بذقنها قبل أن تشرع في إتمام عملها ؛

\_باشري إذا أيتها السيدة الصغيرة المتزوجة حديثاً..



باشرت سيلين بالفعل.. اقتربت لتساعدها في مسح الأطباق و إعدادها لأجل  
نقل الطعام إليها.. لكنها رغم ذلك قالت تضيق عينيها قليلاً ؛

\_\_ ما الغرض من ذلك التعليق الأخير بالضبط؟! \_\_

هزت سارة كتفيها مبتسمة ببساطة دون أن تمنحها راحة سماع الجواب.. و لم  
تبدو سيلين ملحة لسماع الإجابة أساساً.. فقد كانت السعادة هي الأمر و الناهي  
الوحيد اليوم.. وحدها تتحكم بكل ردود فعلها و تعابير وجهها الجميل..

إلى أن همست فجأة و كأنها تذكرت شيئاً ما ؛

\_\_ جلبت لك هدية.. \_\_

نظرت لها سارة مبتسمة باتساع.. ابتسامة لم تخلو من بعض الدهشة.. هل هذا  
اليوم العالمي لجلب الهدايا لها؟! أولاً من جاد.. و الآن من سيلين!!!

أغرقت سيلين يدها في جيب فستانها الرقيق لتخرج شيئاً ما.. قبل أن تفرد  
راحتها أمام وجه سارة.. تلك التي لمعت عيناها و هي تنظر إلى تلك الهدية  
الغريبة..

كان بداخل يدها قلبٌ أحمر صغير.. يبدو مألوفاً لدرجة جعلتها تطرف قليلاً  
متسائلة بداخلها بغرابة..

هل عليها أن تأخذ موضوع غيره سيلين من جاد كموضوع جدي؟! \_\_

عادت لتنظر إلى سيلين مبتسمة بتساؤل.. فأشارت لها سيلين بهدوء أن  
تلتقطه.. و فعلت سارة بالفعل.. قبل أن تمسك بطرفه لتفتحه بتوجس.. و ما إن  
تطلعت عينيها على ما بداخله.. حتى كانتا تتسعان قليلاً بشيء من... الحنين!!!

كانت الهدية تشبه هدية جاد نوعاً ما.. تستطيع ربما أن تضعها في اسوارة  
ترتيديها في يدها أو بجوار مفاتيحها.. المهم أن تبقى برفقتها دائماً و إلى  
الأبد.. فهي من الغالية سيلين!!!

أول ما وقعت عيناها عليه.. كان صورة والدتها التي احتلت جهة واحدة من القلب.. قبل أن تنتقل إلى الصورة الأخرى.. و قد كانت صورة جميلة تجمعها مع سيلين الحبيبة..

فغرت شفيتها بانبهار و هي تهمس ؛

\_ هذا.....

\_ هدية مني !

رفعت عينيها لتقابل عيني سيلين مجددًا.. عيناها حزینتان تحملان انطباعًا مختلفًا عما توقعته سارة..

عقدت سارة حاجبيها قليلًا و هي تمد يدها لتلامس وجنتها بحنو هامسة بمداعبة ؛

\_ ما الحل إذاً مع هذا الحزن الذي لا يزال يطفو فوق نظراتك؟! كيف نظرده الآن؟! !!!

كانت تتكلم بلطف.. تحاول بالفعل أن تفهم سبب هذا الحزن أو أن تنسفه تمامًا عن ملامح أختها.. إلا أنها على العكس تمامًا مما تمنّت.. وجدت سيلين تغمض عينيها بشدة.. ثم همست بينما ترفع يدها لتمسك بأنامل سارة التي على وجنتها ؛

\_ بأن أقابل صورتك ما إن أفتح عيني.. دعيني أتأكد بنفسي أن هذا ليس حلمًا و أنك هنا و ستبقين هنا... معي !

ضحكت سارة بياس و عيناها تفيضان بالحنان بينما تهمس بلطف ؛

\_ لما لا تفتحين عينيك إذاً لتتأكدي بنفسك ما إن كان ما ترينه حلمًا أم حقيقة تلمسينها بيدك..

فتحت سيلين عينيها بهدوء و كأن كل مهمتها في الحياة الرضوخ عند إرادة سارة.. تلك المبتسمة بصفاء لها.. و ساد بعض الصمت.. إلى أن همست تقطعه بخفوتٍ و هي ترسم شبح ابتسامة غير مكتملة على شفيتها ؛

\_ هل كانت أمي تشبهكِ !؟

بدت نبرتها غريبة نوعًا ما.. بشكل جعل من تعابير المرح تسقط عن ملامح سارة و هي تنظر لها بعدم فهم..

قبل أن تطرق برأسها قليلاً و تمسك بالقلب فاتحة إياه أمام عينيها.. و همست بينما تنقل أنظارها بين كلتا الصورتين.. صورة سارة.. و والدتها..

\_ أقصد... هل كانت تمتلك نفس رقتك و حنانك و دفئك.. هل كان شعورك حينما تعانقنيها مشابهًا لشعوري و أنا أعانقك !!

رمشت سارة بعينيها بدهشة تامة يتخللها قلق أمام أسئلة سيلين الغربية.. لكنها رغم ذلك.. قالت تبتلع ريقها ببطء تاركة تلك الإبتسامة المُرْتجفة تلون شفيتها ؛

\_ حسنًا.. لا أعلم كثيرًا حول هذا الموضوع لكن أبي.. كان يقول أنني أشبهها شكلاً و أسلوبًا.. أما عن تصرفاتها و شخصيتها فلا أظن أننا متشابهتان كثيرًا.. أنا متأكدة أنها كانت أكثر رقة و لطفًا مني !

صمتت قليلاً.. ثم قالت باستغراب و هي تخرج من شرودها اللحظي ؛

\_ لكن ما الذي ذكرتك بهذا الآن ؟! كيف خطر هذا السؤال في بالكِ !؟

رأت نفس الشرود الذي هيمن على حواسها يرتسم على ملامح سيلين.. ثم قالت هذه الأخيرة بنبرة عميقة في حزنها ؛

\_ لطالما كانت صورتها لدي مرتبطة بالوهن و التعب.. لا أعلم لما.. لكنني أتخيلها هكذا.. ربما لأنها ماتت و هي... تلدني!.. أو ربما.. أنتما تتشابهان جدًا

حقًا لهذا أصبحت تختلط صورتك مع صورتها في عقلي كلما حاولت  
تخيلها !!

تنهدت سارة بثقل و هي تتأمل سيلين بحزن مشابه.. ثم قالت تميل برأسها إلى  
الجانب قليلاً بنبرة هادئة ؛

\_ هل تختلط صورتها مع صورتني في عقلك؟! حقًا !!

اومأت سيلين بتردد.. ثم همست بنبرة جعلت الفرع يقفز إلى قلب سارة ؛

\_ أنا ربما... أصبحت أخاف من أن تذهبي إليها و أبقى هنا بمفردي !

لوهلة بدت سارة غير مستوعبة لما سمعته و هي تتسمر تمامًا.. قبل أن تزفر  
نفسًا جديدًا مرهقًا.. و قالت بملامة بينما تجذبها إلى حضنها بشدة ؛

\_ ماذا تقولين أنت؟! بماذا تهدين?!!!!!

هتفت سيلين بنبرة عتاب لم ترتفع عن الهمس و هي تشدد من احتضانها ؛

\_ سأتوقف عن الهذيان لو سحبت كلام ذلك اليوم الأليم نهائيًا.. لست روحك أو  
ما شابه.. رأيت كيف كنت مخطأة جدًا حينما تفوهت بذلك الكلام الغبي !!

قالت آخر كلمة و هي تلکم سارة بالفعل بقبضتها فتأوهت سارة بخفوت.. ثم  
ابتعدت قليلاً لتقابل عينيها بذهول ؛

\_ ما شاء الله.. هل أصبحت ترفعين يدك على أختك الكبرى الآن؟! ماذا تبقى  
!!!!?

بدت سيلين غير متسامحة لوهلة.. فاستأنفت سارة بضيق و هي تستدير عنها  
لنتم عملها ؛

\_ الأفضل أن تخرجي و تتركيني بمفردي.. لا أحتاج لمساعدتك..

لكن سيلين لم تخرج.. بل اقتربت بإصرار يشبه إصرار جاد لتحاوط كتفيها  
من الخلف هامسة بشقاوة ؛

\_صّحي.. هذه لا تسمى ضربة.. بل تسمى عتابًا !

همست سارة هي تتمسك بموقفها تحاول أن تدفعها عنها عبثًا ؛

\_طريقة سخيفة في العتاب !!

ثم قبضت على يديها لتبعدها بالقوة مردفة الآن بنبرة أمره ؛

\_الآن اخرجي و دعيني أكمل عملي.. هيا.. سيموت الناس من الجوع و أنا

هنا أضيع وقتي الثمين عليك..

تسمرت سيلين للحظة على وجه ممتنع.. قبل أن تهز كتفيها بغير اهتمام قائلة ؛

\_لن أخرج.. اعتبريني لست هنا و أكمل عملي..

ضيقت سارة عينيها هاتفة بغير تصديق ؛

\_هل أخرج أنا إذاً؟!!!!

لكن الجواب كان نفسه تقريبًا.. فقد مطّت سيلين شفيتها بلا مبالاة و هي تحمل  
السكين لتكمل تقطيع بعض أصناف الخضروات المتبقية في المغسلة..

تاركة سارة تنظر له بشفتين مزمومتين و رغبة واضحة في خنق جانبها  
المستفز هذا.. إلا أن كل ما فعلته كان.. أن خطفت منها السكين مردفة ؛

\_حسنًا.. اجلسي هناك و دعيني أكمل عملي..

قبل أن تكمل جملتها حتى.. كانت تتسمر و هي تلمح والدة سليم تقف في إطار  
باب المطبخ.. فالتفتت سيلين لتتظر لها بدورها.. قبل أن تقول سارة متدبرة  
ابتسامة سريعة ؛

\_تفضلي !

توقفت أم سليم مكانها للحظة تنقل عينيها بينهما بتوجس.. ثم قالت بلطف ؛

\_حسناً.. دعونا نرى ما لديكم هنا.. إذا كنتما لا تمانعان فكرة أن أساعدكما  
طبعاً !

قالت سارة بسرعة و بنبرة نالها بعض التوتر الذي جعل سيلين تكتم  
ابتسامتها بصعوبة ؛

\_بالطبع.. المطبخ كله تحت أمرِكِ خالتي..

ثم رمقت سيلين بنظرة استياء.. لكن كل الإستياء تداعى حينما سمعت صوتها  
تهمس بنبرة خافتة جداً و شقية في نية إرضائها ؛

\_أسفة.. لن أعيدها أقسم لكِ !

ظلت سارة عابسة لثانية أخرى بغير رضا.. قبل أن تهمس بصوتٍ لم يسمعه  
سواهما ؛

\_مستفزة !

ثم لم تلبث أن هزت رأسها مستسلمة لابتسامتها التي كانت تكبحها قبل لحظة  
بإصرار و هي تولي اهتمامها لأم سليم المبتسمة بلطفٍ لهذا المشهد الذي مر  
على مرأى منها..

بعد دقائق.. جلس جميع أفراد العائلة حول الطاولة الكبيرة بمنتصف المنزل..

كل ما كانت تخشاه سارة أن ترى أيّ مشاعر سلبية متبادلة بين جاد و  
أبيها.. لكن الوضع بدا هادئاً جداً..

صحيح بأنهما لم يتبادلا الكلام أبداً إلا في لحظاتٍ قليلة جداً.. لكن بداخل  
أعينهما.. كان كل ما رآته.. هدوء جميل و سلام جعل من ابتسامة رضا تحتل  
عينها و هي تراقبهما بين دقيقة و أخرى بإخلاص..

و ظلت تراقبهما إلى أن انتهى اليوم الجميل المميز بمغادرتهم.. على وعد أن  
يعودوا لاحقاً لرؤيتها.. بحكم أنها لا تستطيع السفر الآن بسبب الفحوصات  
التي لا تزال ملتزمة بها..

و ما إن أغلقت الباب و استدارت مستندة عليه بظهرها.. تنظر لجاد الذي يقف أمامها مبتسمًا.. حتى كان يفرد يده ناحيتها هامسًا بسحره الخلاب ؛

\_ دعينا نرقص..

كان قد وضع أغنية بالفعل.. أغنية أجنبية جعلتها تطرف بعينيها استغرابًا و هي تسمعها ؛

\_ لماذا غيرت أغنيتنا؟!!

لم تكن قد أمسكت بيده بعد.. فهمس جاد و هو يمسكُ بيدها بنفسه ليجذبها إليه مجنبًا نفسه عناء انتظارها أكثر ؛

\_ إنها أغنية جميلة.. استمعي لها قليلًا و ستعشقينها مثلي..

و قد كانت أغنية جميلة بالفعل.. أغنية هادئة ذات لحن جميل جدًا جعل خفقات قلبها تهدأ و تهدأ.. و كل حواسها تنسجم للمرة الألف مع تحركاته و سحر أنامله..

City of stars

مدينة النجوم..

?Are you shining just for me

هل تضيئين من أجلي؟

City of stars

مدينة النجوم..

There's so much that I can't see

هنالك أشياء كثيرة لا يمكنني رؤيتها..

?Who knows

من يعلم؟

I felt it from the first embrace I shared with you

أتاني هذا الإحساس من أول ضمة تشاركتها معك..

That now our dreams

أن أحلامنا الآن..

They've finally come true

قد تحققت أخيرًا..

City of stars

مدينة النجوم..

Just one thing everybody wants

شيء واحد فقط الكل يريد..

There in the bars

هناك في الحانات..

And through the smokescreen of the crowded  
restaurants

و خلال أدخنة المطاعم المزدحمة..

It's love

إنه الحب..

Yes, all we're looking for is love from someone else

نعم, كل ما نبحث عنه هو الحب من شخص آخر..



A rush

لهفة..

A glance

نظرة..

A touch

لمسة..

A dance

رقصة..

A look in somebody's eyes

نظرة في أعين شخص..

To light up the skies

لتضيء السماء..

To open the world and send it reeling

لتفتح العالم و تفقده توازنه..

A voice that says, I'll be here

صوت يقول, سأكون هنا..

And you'll be alright

و أنك ستكون بخير..

I don't care if I know

لا يهمني إن كنت أعرف..

Just where I will go

أين سوف أذهب ؟

'Cause all that I need is this crazy feeling'

لأن كل ما أحتاجه هو هذا الإحساس الجنوني..

A rat-tat-tat of my heart

رقصة في قلبي..

Think I want it to stay

أظن أنني أود البقاء..

City of stars

مدينة النجوم..

Are you shining just for me

هل تضيئين من أجلي فقط؟

City of stars

مدينة النجوم..

You never shined so brightly

لم تضيئي هكذا من قبل !

كان الهدوء هو صديق المكان الوحيد طول الوقت..و كما أخبرها..فقد وجدت نفسها تغمض عينيها مستسلمة لسحر الألحان الجميلة الهادئة..

كانت خطواتهما بطيئة متناغمة..و كأنهما ترعرا على الرقص سوياً منذ الأزل..بينما هي أكثر من يعلم بأن جاد و الرقص لا يلتقيان في خط واحد!..

إلا أنه لأجلها.. يترك العنان لحواسه.. مسلمًا زمام الأمور لخفقات قلبه لتسيره  
كما تشاء..

همست سارة بهدوء و هي تريح إحدى يديها على كتفه بينما الأخرى في يده  
؛

\_ أين سمعت هذه الأغنية؟!\_

بدا مترددًا قليلًا و هو يهمس لها بخفوت ؛

\_ هل أقول الحقيقة؟!\_

او مات له سارة بنفس الهدوء.. فهمس جاد بصدق تام ؛

\_ سمعت ابنة السيد عاطف تستمع لها ذات مرة.. و منذ ذلك اليوم أحببتها  
لأنها ذكرتني بك..

و كما توقع تمامًا.. توقفت سارة فجأة.. و قالت ترفع أحد حاجبيها بنبرة لم تبدو  
مريحة إليه ؛

\_ ابنة السيد عاطف إدا؟!\_

مط جاد شفتيه و هو يعود ليhez رأسه مستسلمًا.. فقالت سارة تزم شفتيها بأكثر  
نبرة كارهة سمعها في حياته ؛

\_ أغنية سخيفة.. سأغيرها في الحال..

همت بأن تتركه بالفعل.. إلا أنه تمسك بها بشكل جعلها ترغب في قتله.. ثم قال  
بصيغة الأمر و هو يثبتها ناظرًا لعينيها بتحد ؛

\_ لن تفعلي!!

\_ بل سأفعل!!

\_ لن تفعلي..

\_ سأفعل !!!!

هتفت آخر كلمة بصوتٍ مرتفعٍ يحمل نفس نبرة التحدي و الغضب و هي  
تحاول التملص منه عبثاً..

قبل أن ترتفع قدمها رغبة في إسقاطها فوق قدمه.. لكن حتى محاولتها تلك  
بانت بالفشل الذريع.. فلم تتوقع بأن يسبقها متفادياً تلك الحركة المتوقعة منها..  
نظرت له بذهول شديد و كأنه هو من كان يحاول للتو سحق أصابع قدمها  
بكعب حذائه المُدبب لا هي ؛

\_ تفاديتني !!!!

هز جاد رأسه بالنفي بكل هدوء و هو يهمس بصوتٍ ثابتٍ بينما يتمسكُ بها  
أكثر ؛

\_ أنقذت نفسي !!!

نظرت له سارة بعينين تشتعلان غيرة جميلة.. جميلة جداً.. فتلونت ابتسامته  
بسعادته الكبيرة.. ثم ما إن حاولت التملص منه مجدداً.. قال بنبرة تأنيب و هو  
يمنعها بالقوة ؛

\_ ما خطبك لا تسمعين إلا ما يريد عقلك سماعه !! لقد أخبرتك أحببتها لأنها  
ذكرتني بك أنت.. الأمر متعلق بك أنت فحسب !!!!

لم تتغير تعابير سارة كثيراً.. بل أبقت على نظرتها العابسة حتى بعد أن  
توقفت عن محاولة التحرر منه.. فاتبعت ابتسامته أكثر.. و همس و كأنه  
يحاول أن يسترضيها ؛

\_ هل تعلمين ماذا تكونين أنت بالنسبة لقلبي !!؟

أشاحت بعينيها عنه قليلاً بصمت.. فمال عليها ليهمس بجانب أذنها بينما  
أنفاسه الدافئة تلفح مشاعرها و حواسها لتطرد القسوة تدريجياً من ملامحها ؛

\_ دقائقه !!!

ارتعشت رموشها قليلاً في حركة غير مرئية إلا لقلبها.. فاستأنف جاد الذي  
لم يكن ينظر لها الآن.. فقد كان ذقنه ملامساً لوجنتها بينما يهمس ؛

\_و هل تعلمين ماذا تكون دقات القلب بالنسبة -للقلب- !!؟

صمت للحظة أخرى.. ثم عاد يهمس بخفوتٍ شديدٍ.. يخاطب قلبها و أنفاسها  
فقط ؛

\_حياته !!

هز رأسه قليلاً و كأنه ينفي شيئاً ما مجهولاً بينما يكمل بصدق تام.. بنبرة  
جعلت كل عضلة في جسدها.. تسترخي تماماً و كأنها على وشك التسليم بين  
أحضانها.. على وشك فقدان و عيها فداء لكلماته..

\_لا يعيش القلب بدون دقاته حتى لو تضامنت كل عضلة في الجسد رغبة في  
منحه الحياة !!!

كانت الألحان لا تزال مندلعة حولهما.. الأغنية الجميلة على وشك الإنتهاء  
كقدرتها السوية على التنفس.. إلى أن رفع رأسه أخيراً ليقابل عينيها.. و حينها  
همس بصوتٍ غريب ؛

\_لكن هذا القلب اليوم.. عاتب على دقاته !!!

بعض القلق ارتسم على ملامحها و هي تسمع منه هذه الجملة.. قلق استطاع  
رؤيته.. فلم يماطل في صمته رغبة منه في إراحتها.. فقال بخفوتٍ ؛

\_عاتب عليها لأجل جملة قالتها و حطّمتها بها قبل فترة !!

شعرت سارة بأن قلبها سقط بين قدميها و هي تنقل عينيها بين عينيها بقلق  
أكبر.. فاقترب قليلاً من وجهها ليسترسل بصوتٍ أجش بطيء ؛

\_كانت الجملة عبارة عن طلب صغير.. بأن أرقص معها للمرة "الأخيرة" !!!

هز رأسه مؤكداً أمام عينيها اللامعتين بدموع محتجزة.. و همس مستأنفاً  
بصوتٍ قارب على التحشرج ؛

\_ و كم أمتي تلك الكلمة !! رقصتنا الأخيرة !!!

اقترب منها أكثر فأكثر إلى أن لامس جبينها بجبينه يراقب تعابيرها عن قرب.. ثم همس بينما يهز رأسه بالنفي قطعاً ؛

\_ لا يمكنها أن تكون الأخيرة.. كل ما فعلته اليوم أنني أثبتت لك بأنها ليست... "الأخيرة" !!

أغمضت سارة عينيها على دمعة انسابت بهدوء من تحت جفنيها.. قبل أن تشعر بأنامله تلتقطها بنعومة من فوق وجنتها.. فعادت تفتح عينيها مانحة إياه أجمل نظراتها..

منحته نظرة بددت ظن السنين.. بأنه مجرد هامش يأتي بعد أختها و أبيها !! إنه ليس مجرد هامش.. بل هو أساس.. ركيزة تستند عليها لتحيًا.. لتبتسم.. مثله تمامًا.. ألا يمكن أن تنطبق قاعدة القلب على دقاته أيضاً !!!

\_ ألا يمكن لقاعدة القلب أن تنطبق على دقاته أيضاً !!؟

و كأنما كانت تقرأ أفكاره.. ارتفع حاجباه دهشة و هو يسمع هذا السؤال يصدر منها.. بصوتها.. قبل أن تقول مستأنفة بصوتٍ مرتعش متحشرج.. لا يزال جبينه حتى الآن على جبينها ؛

\_ إذا كان القلب لا يستطيع العيش بدون دقاته.. فالخفقات أيضاً لا وجود لها.. لا حياة لها بدون قلب تنبض بداخله !!!

انسابت دمعة أخرى من عينيها لامست قلبه المتيّم بعشقها.. و قبل أن يقول شيئاً.. وجدها تعود لتهمس بضعفٍ بينما تحاوط وجهه القريب منها ؛

\_ لا تتركني مجدداً جاد.. لا تمنحني لهذه الحياة القاسية بدونك.. لا تتخلى عني أبداً حتى و لو تحامقت و طلبت يوماً ما.. رغم أنني لن أطلب.. ما حبيت !!!

همس جاد ببطءٍ و هو يشاركها نفس اللمعة الدامعة بعينيها.. يتجول بأنامله فوق ملامحها و كأنه فنان يحاول أن يحفظ تفاصيلها حتى يشكلها في لوحة متقنة الرسم..

الفرق بينه و بين الفنان.. بأنه لا يحتاج لحفظ ملامحها حتى يقوم برسمها في قلبه.. فهي تعيش هناك منذ زمن طويل.. أطول من سنين حياتهما سوياً !!

\_ لن أفعل... أفضل الموت على أن أفعل !!!

ابتسامة خلابة شقت شفثيها بعد سماعها لهذا الرد.. و ظلت صامتة قليلاً.. قبل أن تهمس برقة ؛

\_ هل نعيد تشغيل الأغنية إذا ؟!

لم يبدو جاد مستعداً للإبتعاد انشٍ واحد عنها.. فهمس و هو يلامس ذلك الوريد النابض في عنقها بشفثيه.. حركته المفضلة دائماً..

\_ لأي سبب ؟!!!

همست بنفس نبرتها الساحرة و هي تطوق عنقه بشدة مقربة إياه منها أكثر ؛

\_ على الأرجح.. أريد تعليمك بعض الخطوات الجديدة !

هنا فقط.. كان يفتح عينيه و يرفع رأسه مبتعداً عن نعيمه الخاص.. ثم همس مبتسماً رافعاً أحد حاجبيه ؛

\_ هل هذا يعني بأنك أحببتها ؟!!

همست سارة و هي تبادله ابتسامته بابتسامة إقرار تفوق ابتسامته جمالاً ؛

\_ يعني بأنني أحببتها جداً..

ثم أضافت فوراً برقة ؛

\_ لكن ليس أكثر من أغنيتنا بالطبع !!

بدا و كأن جوابها أسعده بشدة.. أكثر من المتوقع.. فتألقت ابتسامته العذبة أمام  
عينها.. و همس ببساطة مهلكة ؛

\_و لا أنا !!

ثم بدون أن يضيف كلمة أخرى.. تركها للحظة ليعيد تشغيل الأغنية  
الجميلة.. ثم عاد إليها فاردًا كفه بنبل.. و هذه المرة.. لم تتردد في تسليم يدها  
إلى يده..

إلى أن قبض عليها برفق ليجذبها نحوه.. و سرعان ما كانت الألحان الناعمة  
تتنافس مع لحن خطواتهما التي كانت تنقر الأرض بخفة شديدة..

في لحظاتٍ ما.. كان يبدو الوضع و كأنه هو من يعلمها فنون الرقص لا  
العكس.. فكانت تذوب بين يديه خائرة القوى العاطفية.. مستسلمة لصوت  
أنفاسه و همسات خفقات قلبه التي شبهها بها.. و هي شبهته بقلبها.. الموطن  
الوحيد لخفقاتها..

إلى أن بدأت الألحان في التلاشي مجددًا.. و وجدت نفسها بتلاشيها تنصهر  
معه.. و له.. خاضعين لألحان أخرى عُزفت بانسجامهما..

فاستسلمت للغرق "الأمّن" في دوامته الجميلة التي لا تتمنى مغادرتها  
أبدًا.. أبدًا !!

---

ثم بعد دقائق طويلة جدًا.. خرجت من الحمام ترتدي ردائه الأبيض الرقيق و  
الذي كان يبتلج جسدها النحيل بنعومة.. كان شعرها مبللًا و ملامحها البيضاء  
متوردة بشكل مبهر..

و كان جاد مستلقيًا فوق السرير.. يعقد ذراعيه تحت رأسه بينما يطالع السقف  
الأبيض بعينين هادئتين..



لكن القليل من هدوءه تبدد إلى شغف و هو يستدير إليها ليرمقها بنظرة طويلة  
تحمل بريق عشقه الكبير..

حرر ذراعيه من تحت رأسه ببطء و هو يراقبها بصمت بينما تقترب منه..و  
ما إن أوشكت على أن تصل إليه..حتى كان يرتفع قليلاً و يمد يده متمسكاً  
بيدها الرقيقة إلى أن جلست بجواره فوق السرير..

كانت ابتسامته واسعة جداً و هو يتأملها بينما عيناها بنظرتها الصافية  
تتهربان منه بخبث..و وجنتاها المتوردتان تفضحان شعور الحياء الجميل  
الذي يكتنفها..

امتدت يده بهدوء إلى أن لامس جانب وجهها..لا تزال عيناها عليها تتأملانها  
بانشدها..قبل أن يعقد حاجبيه قليلاً و هو يرى تلك الإبتسامة الشاردة التي  
لامست عينيها فقط.. فهمس ببطء و أنامله تتحرك برقة على ملامحها ؛

ما الخطب ؟!!

رفعت عينيها إليه بعد بعض الصمت لتقابل عينيه بهدوءها الجميل..ثم  
همست و ابتسامتها تصبح أكثر عمقاً ؛

لقد رأيتك في حلمي قبل فترة..تذكرت للتو !!

تحرر حاجباه من عقدتهما قليلاً فقط و هو ينظر لها باهتمام للحظات..ثم  
همس بحنان و هو يعيد خصلة بنية ناعمة من شعرها إلى خلف أذنها ؛

ماذا رأيت ؟!!

حينها فقط رأى شبح الإبتسامة يصل إلى شفثيها..ثم قالت بعينين ساهمتين في  
البعيد..تعقد حاجبيها هي الآن و كأنها تشعر بالإستغراب ؛

لقد كنت أقف بمفردي في منتصف ظلام شاق..وحيدة تمامًا في البداية..و  
بدا و كأنني كنت أبحث عن شيء ما..شيء ربما لا أكون مكتملة إلا حين

الوصول إليه.. بقيت أدور حول نفسي بخوف.. حتى شعرت للحظة ما بأني  
لن أجد ما أرنوا إليه..

صمتت للحظة.. ثم رفعت يدها لتلامس موضع قلبه الخافق.. و استأنفت  
بعاطفة ؛

\_ إلى أن اصطدمت بك.. بصدرك.. و فجأة.. تبدد الظلام و كأنه لم يكن.. و  
شعرت بيدك من حولي تحتويان خوفي بكل مثالية.. بينما صدى خفقات قلبك  
يمتزج في أذناي مع صوت خفقات قلبي و كأننا شخص واحد.. نظرت في  
عينيك و سألتك سؤالاً غريباً.. " هل تظن بأني قد أنجوا؟! هل سأنجوا؟! "  
صمتت للحظة تنظر جانباً بعينيها المتسعيتين قليلاً.. ثم عادت تهمس بشيء من  
الرهبة ؛

\_ كان جوابك معبراً.. مريحاً.. همست و أنت تضميني إلى صدرك بنبرة لم  
أسمع في سكونها و صدقها مسبقاً.. همست لي بكلمتين اثنتين...

\_ ستفعلين.. أعدك!!!

فغرت فمها قليلاً و هي تسمع إجابته الهادئة.. و رفعت حاجبيها بدهشة و هي  
تهمس ؛

\_ هذا ما قلته تمامًا!! كيف علمت!!؟

رمش جاد بعينيها مرة واحدة.. قبل أن يجذبها برفق إلى حضنه.. ثم قال بينما  
يقبل جبينها بدفء.. يطبق عينيه بحرارة ؛

\_ لأن هذا هو الجواب الوحيد الذي سأقوله دائماً لك.. كلما سمعت سؤالاً  
مشابهاً منك..

أغمضت سارة عينيهما ببطءٍ و هي تتحسس موضع قلبه من فوق صدره  
العاري بأناملها.. ثم همست بخفوتٍ شديد ؛

\_ أظن بأنها... كانت إشارة من القدر.. لطالما حدث معي ذلك..

ابتعدت قليلاً لتقابل عينيه ناظرة له عن قرب.. ثم همست بحاجبين مائلين  
للأسفل حزناً على الذكرى البعيدة ؛

\_ لقد رأيت حلمًا ذات مرة من قبل.. لم أظن أنه قد يتحقق.. لكن ما رأيتَه  
حدث بالفعل.. هذا الحلم أيضًا.. لم يكن من فراغ..

همس جاد بصوتٍ خافت كصوتها و هو يحاوطها برفق مرتبًا على كتفها و  
ذراعها بحنو ؛

\_ أخبريني عن الحلم الأول..

بدت مترددة قليلاً في البداية.. حتى أنها هزت رأسها بالنفي و كأنها ترفض أن  
تتشارك حزن عينيه مع عينيه.. لكن جاد بدا أكثر من مصر.. فقال بنفس  
الصوت الخافت بدون أن يزيح عينيه عن عينيه ؛

\_ أخبريني حبيبتى..

حينها فقط.. تنهدت سارة تنهيدة داخلية لم يصل صوتها إلى مسامعه.. ثم  
همست باستسلام ؛

\_ كان الكابوس عن... طفلنا.. رأيت بأنني أفقده في الحلم.. و فقدته بعد فترة  
بالفعل..

أسدلت جفونها قليلاً هامسة بحزن إلتهم ملامحها ؛

\_ أقصد... فقدناه سويًا !!

تاھت عيناه تمامًا و كأنها قد صفعت قلبه بهذه الذكرى.. و مرت بداخلهما  
نظرة تنم عن عجز شديد و ألم أشد غاب عن قلبه لكن بعد أن خلف أثرًا  
صغيرًا لن يزول في حياته...

ربما بعد زمن طويل !!

و كاد أن يهمس بشيءٍ ما.. يريد أن يعلق بجملة تخرجهما من هذا المزاج  
الغريب.. إلا أن سارة تولت عنه هذه المهمة.. فوجدها هي من تهمس فجأة  
مبتسمة بركة ؛

\_ لا بأس.. ربما عليّ فقط أن أتعامل بحذر و جدية مع كل أحلامي منذ الآن..  
أخفض جاد رأسه لينظر لعينيها بنفس نظراته التائهة نوعًا ما.. فرفعت يدها  
لتقوم بحركته المفضلة.. و أراحت يدها على ذقنه تاركة إبهامها يداعب قلبه  
بنعومتها المهلكة بينما تضيف بحُب ؛

\_ خاصة التي تتواجد بها أنت.. لقد رأيت أحلامًا جميلة جدًا في آخر فترة.. لا  
تشملي سوى أنا.. و أنت !

أرغم جاد نفسه على الابتسام بصعوبة.. رغم أن قلبه كان قد ابتسم بالفعل  
استجابة للمكر الظاهر في عينيها.. ثم همس يرفع أحد حاجبيه بجذل ؛

\_ أحلام... من أيّ نوع !!؟

زمت شفيتها قليلاً على نظرة تضاعف المكر بداخلها.. فمال عليها ليقبل جانب  
وجهها بقوة هامسًا بلطف ؛

\_ أخبريني و لا تخجلي حبيبتي.. أنا مستعد لتحقيقها أيّ كانت..

ضحكت سارة بخفوتٍ ناعم و هي تهمس راضية بملامحه التي سقط عنها  
كل الحزن ؛

\_ لا أستطيع الآن.. يقال بأن الأحلام التي نسردها لا تتحقق..

تراجع جاد برأسه قليلاً و هو يهمس متفاجئًا ؛

\_ ألم تتحقّق بعد !!؟

هزت رأسها بالنفي مجددًا و هي تعض على طرف شفيتها محاولة كتم  
ابتسامتها التي على وشك التحول إلى ضحكة كبيرة.. فضيق عينيه قليلاً قائلاً  
؛

\_ و ما الحل إذا؟! !!

تلكأت عيناها قليلاً.. قبل أن تهمس و هي تنقر بأصبعها فوق صدره لعدة مراتٍ بدون أن تنظر لعينيه ؛

\_ الحل واحد من اثنين.. إما أن تحققها لي.. أو تحققها لي..

لم يتمالك جاد نفسه من الضحك بحب الآن.. ثم قال و هو يتظاهر بالتفكير العميق ؛

\_ اممم.. أختار أن... أحققها لك..

لم يكد ينهي جملته حتى كان ينقض عليها في لحظة خاطفة.. فشهقت سارة ضاحكة بشدة و هي تفرد راحتها على صدره هامسة بسرعة ؛

\_ لحظة لحظة.. أنا أقترح أن نكتفي بما حققناه حتى هذا اليوم و نؤجل الباقي إلى أوقاتٍ أخرى !

نظر لها جاد بإحباط كبير مزيف و هو يهمس ؛

\_ حقاً؟! !!

فأومأت بملامح تحمل نفس الإحباط.. ثم همست و هي تلامس صدره العريض بجبينها المرهق ؛

\_ حقاً حقاً حبيبي.. لقد نال التعب كفايته مني اليوم !!

عادت تنظر لعينيه مبتسمة بصفاء.. لكنها شعرت بأنفاسها ترتجف بعض الشيء و هي تراه يقترب منها متعمداً ببطء.. و تشعر بيديه تلامسان خصلات شعرها المبللة ممسدة برقة..

قبل أن تحرره إحداهما لتمسك بذقنها برفق ليقربها منه.. إلى أن همس لها بنبرة خافتة جداً.. ساحرة.. على مقربة من شفثتها.. يكاد أن يلامسها ؛

\_ هل سترفضيني حقاً؟! !!

غامت عيناها قليلاً.. و بدت له كمن فقدت أنفاسها بالفعل رغم أنه كان يستطيع من مكانه الشعور بحرارتها.. إلا أنها في آخر لحظة تمكنت من أن تتمالك نفسها قليلاً فقط..

فهمست بينما تطبق عينيها قليلاً و تلامس جبهته بجبهتها.. قالت بصوتٍ تخنقه العاطفة و هي تغطي ذقنه الملتحي قليلاً بيدها ؛

\_ لا.. أنا فقط... افعل ما شئت.. لا ضرر من تحقيق القليل منها اليوم !!!

لم تلمح ابتسامته الدافئة التي اكتسحت كل وجهه و هو يسمع هذا الجواب الذي لم يتوقعه.. يستطيع أن يلاحظ أطراف التعب الشديد و النعاس تحت عينيها.. يستطيع أن يلمح من مكانه القريب ارتعاش رموشها.. يلمح شحوبها أيضاً و إرهاقها الشديد..

همس بخفوتٍ بدون أن يبتعد عنها إنشأً واحداً ؛

\_ حتى و أنتٍ مرهقة ؟ !!

شعر بأنفاسها الدافئة تلفح بشرة وجهه أكثر.. ثم سمع صوتها يهمس مؤكداً بعاطفة خالصة ؛

\_ حتى و أنا مرهقة !!

مالت ابتسامته قليلاً لتكتسح بعض الشرود و هو يتأملها صامتاً.. و طال صمته بشكل ملحوظ..

إلى أن فتحت عينيها لتقابل عينيهِ مجدداً عن قرب..

حينها فقط.. كان يخرج من شروده.. فتركَ ذقنها برفق كما كان يمسكُ به.. و سحب يده بخفة من بين خصلات شعرها إلى أن طوق وجهها البهي ناظراً لها بعينيهِ العاشقتين..

و رغم التعب الذي يحاوط وجهها.. كانت عيناها تلمعان بشدة.. كجوهرتين من الذهب المصقول بعناية فائقة..

ظل يتأملها قليلاً و ابتسامته تتسع ببطءٍ.. ببطءٍ..

بينما هي تراقب ظهورها بحرص شديد.. بتركيز شديد.. إلى أن ملأت كل وجهه و انتقل القليل من صداها إلى وجهها لتضاعف من جمال عينيها..

لقد كانت تعلم بخطوته التالية.. جاد حبيبها الذي لطالما كان الضعف متسيداً على جوارحها أينما نطق اسمه.. لا يمكن أن يطاوعه قلبه بتجاهل تعليقها الأول.. حتى و لو كان بدافع الضحك !!

و رغم أنها كانت تستطيع أن ترفض بكل هدوء عالمة بأنه لن يعترض بكل هدوء أيضاً.. إلا أن قلبها لم يطاوعها أن تفعل.. قلبها كان مستعداً.. مستسلماً و مسلماً لعشقه.. فلم تشعر بنفسها إلا و هي تمنحه صكّ الإقتراب للمرة الثانية هذه الليلة..

لكنه -للأسف- لم يخيب ظنها.. فقد حاد بشفتيه عن شفتيها ليطلع قبلة بالغة المعنى بدلاً عن ذلك فوق الخط الدقيق لابتسامتها..

ثم همس لها بحنان شديد و هو يقابل عينيها مجدداً.. بنبرة تحمل صدى حبه ؛

دعينا ننام !!!

حينها.. كانت هي من تتنهد مبتسمة.. متأملة إياه للحظاتٍ فقط.. قبل أن تهز رأسها بالإيجاب ببطءٍ شاعرة بجفونها ترتخي بشدة و كأنها على وشك الإستسلام للنوم في وضعيتها تلك بالفعل..

إلا أنه لم يكن ليسمح بأكثر من أن تنام في أفضل وضعية.. فحرر وجهها برفق ليسحبها معه.. إلى أن أصبحت مستلقية فوق صدره الذي يشكل لها أجمل وسادة على الإطلاق..

هل كانت هي صاحبة تلك الإعترافات السرية العجيبة قبل قليل؟! لقد كانت تهذي إذا !!

فما كادت تضع رأسها على صدره..حتى وجدت نفسها تغمض عينيها بعد أقل من ثانية واحدة متأهبة للنوم الرحيم الذي هو أكثر ما تحتاج إليه بعد يوم طويل كهذا اليوم..

غارقة في عالم أحلامها الجميلة الذي يحتويه..بابتسامته الحانية لها..و ذراعيه الحانيتين في احتضانها..و أنامله الحانية في تمشيط خصلات شعرها..و صوته "الحاني" أيضاً الذي همس بألفة بينما يطبع أرق قبلة على جبينها ؛

\_أحلام سعيدة...حبيبي !!

---



## "الرمق الرابع و الثلاثون (النهاية)"

هناك بعض المشاعر لا توصف بالكلمات.. و لا نحن قادرين على ايصالها أو فهمها أو حتى -انتقاء- الحروف المناسبة لقولها..

هناك مشاعر تلون حياتنا.. تصرّفها الأفعال و النظرات..

النظرات !! أو من أن النظرات كفيّلة باحتواء كل أحياءنا !

العيون وحدها قادرة على اختزان كل مشاعرنا و البوح بها.. خاصة إذا كان من نكنّ له هذه المشاعر الغربية شخص أعلى من أن نحدّد له مكانة في حياتنا !!

هل تتذكرون ذلك المكان الذي أخبرها بأنه يريد اصطحابها إليه؟! لقد أخذها بالفعل..

و قد كان هذا المكان هو "المكتبة".. نعم.. المكتبة الراقية الجميلة التي جاء إليها ذات مرة.. اليوم الذي تأكد فيه قلبها من صدق كلمة نعتته بها بينها و بين نفسها لأكثر من مرة من قبل... "مهووس" !!!

هو لا يزال مهووسًا بالفعل..

مهووس بكل تفاصيلها الدقيقة.. بعينيها و شعرها و ملامحها الحبيبة.. مهووس بصوتها و قلبها و أسلوبها.. مهووس بابتسامتها و شفقتها..

بتلك الحركة التي تدغدغ قلبه حينما تمسح على ذقنه بكل رقة.. لتنتهي حركتها بقبلة على باطن كفها الرقيق..

ربما تبدو حركة بسيطة.. لكنها بالنسبة إليه كانت مختلفة.. المشاعر التي يتبناها قلبه كلما قامت بها و هي تنظر إلى عينيّه تخصه بنظراتها المعبرة...مختلفة !!!

شتان بين تلك المرة و هذه المرة..شتان بين ملامحها الشاحبة الكارهة لكل شيء ذلك اليوم..و ملامحها المبتسمة المتوردة و كأنها فراشة قد خرجت حديثاً من شرنقتها المظلمة اليوم..

شتان بين نظراته الباردة ذلك اليوم..و نظراته العاشقة حد المبالغة اليوم..شتان بين أناملها المتشنجة رغبة في الهرب منه يومها..و أناملها المُتمسكة باستماتة بأنامله اليوم..

و كأن كل عالمها يتوقف على تلك الحركة..على مدى شعورها بقربه..بتواجده معها !

اليوم أيضاً استقبلتهما "حلا"..تلك الشابة اللطيفة المبتسمة في غالب الوقت..و كذلك اليوم أيضاً..ما إن رأتها..حتى انقضت عليها معانقة..مرحبة بالزائرة المخفية منذ وقتٍ طويل..

دون أن تعلم بأن هذه الزائرة البسيطة قد عاشت حياة كاملة من الألم و الفرح و الحزن و السعادة و النقص و الإكمال..كلها خلال هذه الفترة !!!

كيف يمكنه أن يكون بارعاً إلى هذا الحد؟!

أن يستبدل كل لحظة بائسة حرفياً بأخرى غاية في الجمال.. و كأنما الزمن يعيد نفسه بطريقة أخرى..بطريقة جميلة !!

" لست الرجل الذي يترك زوجته تمشي بلا سند ! "

عبارة قالها ذات يوم بغاية إقناعها بالتمسك به..عبارة ربما كان يجب أن تمر بشكل عابر كما أخبرته..لكنها لا تجد عقلها إلا يعيد تكرارها في كل مرة..

لكن بتأثير مختلف في كل مرة !!!

كانت واضحة نظرة الإستغراب التي لامست عيني حلا في لحظة من الثانية و هي تنقلها بينهما..و كأنها لا تستوعب كمية الإشراق الذي ومض في عيني سارة..أليست نفس الفتاة صاحبة التعليق الأثير..

" إنها تبدو منطفأة !! "

سارت سارة معه بين الرفوف المحملة بكل أنواع الكتب بهدوء.. و بينما كانت هي منشغلة بتفقد الكتب.. عيناها تتوقفان بين لحظة و أخرى أمام كتاب معين لتخرجه و كأنها تبحث عن عنوان معين..

كان هو يمارس أجمل هواياته.. تأمل كل حركاتها و سكناتها و تعابيرها بإخلاص.. ثم ما إن ترفع عينيها إليه.. يمارس هوايته الجميلة التي تأتي بعد هوايته الأولى الأجل.. يبتسم لها بعشق !!!

إلى أن وقعت عيناها في بعض الشرود و هي تنظر إلى كتاب معين في يدها.. فاقترب جاد ليتفقد محل اهتمامها..

و هناك قرأ ذلك العنوان الذي جعل ابتسامته تقع في شرود مشابه للابتسامة غير المكتملة على شفيتها..

" Getting the love you want "

" الحصول على الحب الذي تريده ! "

\_ هل حصلتِ عليه ؟ !!

سمعت هذا السؤال يوجه إليها بصوته الخشن الهامس.. فطرفت قليلاً و كأنها تحاول أن تنبه عقلها الذي فقد تركيزه لوهلة.. ثم رفعت رأسها إليه لتقابل عينيه السوداوين المُبهمتين..

قبل أن تمد يدها لتلامس ذقنه برفق.. حركتها المحببة لقلبه.. و همست بنبرة ذات مغزى عميق جداً ؛

\_ إنه يقف أمامي بأَم عينيه !!!

قبض جاد على يدها برفق ليطبع شفثيه على راحتها بدون أن يزيح عينيه عن عينيها.. قبل أن يقترب منها قليلاً ليهمس بنبرة حرص على أن لا يسمعها أحد غيرها ؛

\_لما لا نعود للمنزل الآن؟! اشتقت إليك!

راقبت سارة ابتسامته التي أخذت تتحول من وديعة بريئة إلى...ماكرة!! بل  
شديدة المكر!!

و ظلت تنظر له عاقدة حاجبها بغباء لوهلة..قبل أن تلکم ذراعه هامسة  
باستنكار؛

\_يا لك من منحرف!!!

تظاهر جاد بالبراءة و هو يهتف باستنكار مشابه بدون أن يرتفع صوته؛

\_ماذا!! ماذا فعلت؟! ألا يحق لي التعبير عن اشتياقي لزوجتي!!!

تجاهلته سارة تمامًا و هي تعود لتتنظر إلى الكتاب في يدها بانسجام..قبل أن  
تهمس فجأة مبتسمة بارتياح؛

\_سأشتريه..

ثم قبضت على يده لتسحبه هي هذه المرة..غير أنه كان يسير معها بكل  
إرادته..همس يرفع حاجبيه بحماس؛

\_هل سنعود إلى المنزل الآن?!!!

\_أخرس..

هتفت سارة بصوتٍ خافتٍ كصوته بدون أن تنظر له..قبل أن تشعر بأنامله  
تتحرك بداخل أناملها إلى أن أصبح هو من يتمسكُ بها الآن لا العكس..

ثم في حركة مفاجئة..كان يختطف الكتاب من يدها..نظرت له سارة فاعرة  
فمها قليلاً بدهشة..فقال بخشونة زائفة؛

\_ماذا؟! هل تظنين بأنني سأدعكِ تحملين كتابًا بهذا الثقل بينما أسير

برفقتك..هل أنا رجل كرسى!!!

ضحكة يائسة بلا صوتٍ شقت شفثيها و هي تسمع منه هذا التعليق  
الأحمق.. قبل أن ترفع يدها الأخرى التي أصبحت فارغة الآن لتقبض على  
ذراعه برفق بدون أن تتوقف خطواتهما الهادئة عن التقدم..

فتنهذ جاد مبتسمًا بهدوء.. ثم لم يلبث أن همس فجأة بإصرار يثير الإعجاب ؛

\_ أنا قررت بأنني لن أشتري أيّ كتاب لي اليوم.. و إن كنتِ ستسألين عن  
السبب.. فسأجيبك بكل رحابة بأنني رجل التزاماتٍ معقدة تجعلني مضطرًا  
لاصطحاب زوجتي و العودة إلى المنزل فورًا و في الحال !!!

بدت سارة بعد هذه الكلمات عاجزة تمامًا عن كتم صوت ضحكاتها.. فزمت  
شفثيها بقوة.. و رفعت يدها إلى فمها لعلها تستطيع أن تخفيها عن الأنظار  
الهادئة..

و بدا جاد أكثر من متسليًا بهذا الوضع.. فقد كانت ابتسامته عريضة  
جدًا.. بشكل مستنفر جدًا..

و لم تخفي أبدًا حتى بعد أن سمع صوتها يهتف به بغیظ.. بصوتٍ غير  
مسموع إلا إليه ؛

\_ تبًا لك !!!

و بعد ذلك اليوم.. بثلاثة أيام بالضبط.. كانت تجلس في المقاعد المخصّصة  
للمتفرجين.. تشاهد برفقته.. متمسكة بيده.. مباراة سباق الأحصنة.. هوسها  
الأجمل..

الحقيقة أن هذا "الهوس" ليس بغريب أبدًا عليها.. لقد كانت امرأة ذات ميولات  
مميزة تتوافق مع شخصيتها تمامًا.. امرأة جمعت ما بين الرقة و القوة و  
الكبرياء في مزيج مذهل جدًا..

رغم أنها رفضت أن تراهنه على فوز أيّ حصان من المائلة أمامهما.. إلا أن  
حماسها كان كبيرًا جدًا و هي تتابع المباراة بتركيز.. متناسية إياه تمامًا..

حتى أنها و في طور انفعالاتها الجميلة لم تكن تشعر بضغط يدها الذي كان يزداد و يزداد مطبقاً على يده..و لا بيدها الأخرى التي كانت تلکم ذراعه بين كل لحظة و أخرى..

و كأنها تطلب منه أن يشاركها حماسها في متابعة هذه المباراة التي لا يدرك ما المُميز فيها بالضبط..و الذي يجعل عينيها تبرقان و هي تشهد تلك اللحظة الأهم..لحظة قطع أول حصان فائز لنقطة النهاية..

أجفل جاد على صوت ضحكتها الخلابة..و التي تزامنت مع حركة يدها التي امتدت لتلكمه مجدداً..لكنها لكمة خفيفة كباقي لكماتها..قبل أن تلتفت إليه هاتفة بسعادة ؛

\_أنظر..لقد فاز الحصان الأبيض كما توقعت.. رأيت !!!

كانت تخاطب النسيم المداعب لخصلات شعرها على الأرجح..فقد وجد جاد نفسه عاجزاً تماماً عن الالتفات و لو إنشأً واحداً بعيداً عنها لينظر إلى حيث طلبت..

فكان كل ما فعله..أن أوماً لها في حركة غير مرئية تماماً..

و قد كانت تلك الحركة أكثر من كافية لها..

فسرعان ما عادت لتتشغل عنه بمتابعة ما تبقى من الاجراءات الخاصة بالمُسابقة..بينما هو كل شغله الشاغل...هي !

---

" بعد حين... "

كانا يقفان في ذلك الممر الطويل الخاص بالمشفى..اليوم موعد استلامها لنتيجة آخر فحص وقائي قامت به..حينما اقترب منها ببطءٍ ليطلع شفثيه على جبهتها محاولاً كتفيها بذراعيه..

كان القلق يكتنف قلبه.. لكنه يحجبه بابتسامة هادئة مشجعة.. قبل أن يطبق عينيه غير قادر على فصل تلك القبلة المعبرة عن حرارة مشاعره و خوفه الداخلي عليها إلا بعد لحظات طالت..

حينها فقط كان يقابل عينها هامسًا بحنان ؛

\_إياك أن تقلقي.. سيكون كل شيء على ما يرام.. اتفقنا حبيبتي؟!!

اومأت له سارة مبتسمة بهدوء.. فرمق الباب المغلق حيث ستدلف سارة بعد قليل.. ثم عاد لينظر لها هامسًا بعدم ارتياح ؛

\_هل أدخل معك؟!!

هزت سارة رأسها بالنفي دون أن تختفي ابتسامتها.. قبل أن تتراجع خطوة تهم بالدخول لكن يده ظلت متمسكة بيدها رغم ذلك.. قبل أن تتركها مضطرة على مضض و تستدير مبتعدة إلى أن اختفت بداخل الغرفة..

زفر جاد و هو يتراجع ببطءٍ ليستند بظهره إلى الجدار مغرقًا يديه في جيبه بنطاله.. محدقًا في الأرض بلامح غير مقروءة.. و استمر انتظاره لدقائق طالت.. قبل أن يرفع رأسه فجأة مع اختراق صوتٍ انفتاح الباب لأذنه..

كان وجهها هادئًا تمامًا و هي تقترب منه.. و لم يستطع رغم كل محاولاته أن يستشف من تعابيرها شيئًا يريح قلبه..

إلى إن توقفت أمامه.. و حينها فقط كان يستقيم بسرعة ناظرًا لها بلهفة.. لكنها ظلت صامتة لوقت.. و ظل هو ينقل عينيه بين عينها بقلق شديد..

إلى أن همس شاعرًا بأعصابه على وشك الانفلات ؛

\_م...ماذا؟!!!!

كان جوابها الوحيد أن رفعت ذراعيها لتطوق عنقه محتضنة إياه برفق.. قبل أن تطبع شفثتها بقوة على وجنته.. و همست بعدها في أذنه بنبرة تتم عن ارتياح و سكون شديد ؛

\_أنا بخير..بخير تمامًا !

بدا جاد غير مقتنعاً رغم الابتسامة المرتجفة التي بدأت تشق شفثيه ببطء..و  
بالفعل همس بحرارة و هو يبتعد قليلاً ناظرًا لعينيها ؛

\_أريد الدليل..أين نتيجة الفحص !!؟

لم تتردد سارة أبدًا في إدخال يدها في حقيبتها الصغيرة إلى أن أخرجت  
نتيجة الفحص بالفعل و وضعت الورقة في يده بهدوء..

مالت عيناها قليلاً بحنان و هي تراقبه بينما يقرأ السطور بتمعن و كأنه لم  
يسمع تأكيدًا حقيقيًا من بين شفثيها للتو.. ثم سرعان ما كانت عيناها تتسعان  
بسعادة عارمة تألقت بأعماقهما..

قبل أن يرفع رأسه إليها غير متماسكًا ليجذبها إلى حضنه معانقًا بقوة لم  
تستطع أمامها إلا أن تغمض عينيها مبتسمة بسلام و هي تبادله عناقه بهدوء..  
كان يحتضنها بقوة شديدة..ذراعه تطوقان جسدها بعنفٍ يمثل مشاعره..و لم  
تمتتع سارة أبدًا..بل أخذت ابتسامتها تتسع أكثر و أكثر..

قبل أن تتسلل يدها من بينهما لتستقر فوق بطنها..في حركة ذات مغزى !!!

---

لقد كانت تخطّط لأن تفاجئه بالخبر الجميل اليوم..في منزل عائلتها  
الدافاء..ذلك الذي لطالما احتضن حزنها و سعادتها و وحدتها و حبها..

لكنها لم تتوقع أبدًا أن تجد مفاجأة أخرى لم تحسب لها حساباً تستقبلها  
هي...مفاجأة منه هو !!!!

فعلى بعد عدة أمتار من المزرعة..وجدت جاد يتوقف بسيارته فجأة..و ما إن  
نظرت له بتساءل..دس يده في جيب سترته السوداء الأنيقة ليخرج شريطاً  
صغيراً أبيض اللون كفستانها الذي إشتراه لها بنفسه..و طبعًا بإلحاح منه  
ارتدته اليوم..



رفعت سارة حاجبها بدهشة و هي تنظر إلى الشريط في يده.. إلا أنه همس لها بكل ثبات ؛

\_ أغمضي عينيك.. لديّ مفاجأة لك..

تضاعفت الدهشة في عينيها.. إلا أنها رغم ذلك نفذت بطاعة.. قبل أن تشعر بالشريط يستقر على عينيها المغمضتين.. و أنامله الدافئة تلامس خصلات شعرها بينما يعقده برفق خلف رأسها..

\_ لحظة.. هل المفاجأة تستدعي أن تفعل هذا !!!

همس جاد بخفوتٍ و هو يلامس وجنتها الناعمة بظاهر كفه ؛

\_ بما أنني فعلت.. فهذا يعني بأنها تستدعي ذلك حقًا..

همست سارة محذرة رغم ابتسامتها الجميلة ؛

\_ حسنًا.. لكن كن حذرًا و أنت تقودني إلى مفاجئتك.. سأقتلك لو تركتني أسير خطوة واحدة بمفردي..

صوت ضحكته الخافتة التي تسللت إلى مسامعها أطرب قلبها بشدة.. قبل أن يفتح الباب من جهته و يدور حول السيارة.. إلى أن فتح الباب من جهتها.. و امتدت يده إلى يدها متمسكة برفق إلى أن جعلها تقف على قدميها..

تمسكت سارة به بشدة و هي تسير برفقته حيث يريد.. و أثناء ذلك كانت أذناها تشتغلان بمعدل مئة بالمئة.. سكون تام هو ما كانت تسمعه في البداية لا يبده إلا صوت خطواتهما الهادئة..

إلا أنها و بعد دقيقة ربما.. عقدت حاجبها مبتسمة و هي تستمع بتركيز إلى صوت الألحان الرائعة التي بدأت تداعب أذنيها.. لقد كان اللحن خاص ب... أغنيتهما !!!

شعرت بيده تترك يدها فجأة.. فتمسكت به تمنعه من الابتعاد عنها في حركة مندفعة.. قبل أن تسمع الصوت الحنون يهمس في أذنها مطمئنًا ؛

\_استرخي حبيبتى..أنا هنا..

تربيتة ناعمة شعرت بها على ظاهر كفها..ثم ترك يدها ببطءٍ و بغير امتناع  
منها هذه المرة..ليمسك بعصابة العينين محرراً عينيها من قيودهما أخيراً..

فتحت سارة عينيها بحذر لتطرف بهما لعدة مراتٍ مستقبلة نور النهار بينما  
تشعر بيديه على كتفيها..حيث كان يقف ورائها..

إنها تقف في منتصف الحديقة الخاصة بالمزرعة..هذا ما استوعبته فور  
فتحها لعينيها..لكن الحديقة تبدو غريبة هذا اليوم..بل تبدو جميلة..

لم تبدو بهذا الجمال إطلاقاً من قبل !!!

فغرت شفتيها انبهاراً و هي تتجول بعينيها في كل مكان.. كانت الحديقة  
مزينة بشكل رائع..هناك سبع طاولات دائرية بيضاء متراسة بأناقة حيث  
جلس بعض الضيوف الذين لم تعرف فائدتهم في البداية..

و عريشة بيضاء تبدو كمنصة رقص جميلة التصميم..هي الأخرى مزينة  
بشكل مبهر..

لكن ما جعل عينيها تتسعان ذهولاً..هو مجموعة الراقصات اللواتي اصطففن  
بجوار بعضهن البعض في مكان معين.. جميعهن مثلها ترتدين الأبيض..بينما  
أجسادهن تتمايل بحركاتٍ كلاسيكية تجسد الرقي الحقيقي على أنغام الأغنية..

من ينظر لهن..يشعر بأنه قد غادر عالمنا الطبيعي هذا..و انغمس في حياة  
أخرى..في عالم موازي..أجمل..أجمل بكثير من أحلامنا..

و كأنه قد جسد لها "فيديوها كليب" الأغنية في الواقع !!!!

وقعت عيناها على آخر شيء توقعته..منصة تخص العروسين !!!

فرمشت بهما على دموع احتقنت بجوفهما..و ارتعش جسدها في حركة بدت  
ملحوظة لجاد الذي كان يقف ورائها..فمال على أذنها ليهمس بصوته الذي  
يجعل أجراس الحُب تقرع بداخل قلبها ؛

\_ هل تلاحظين شيئاً غريباً !!؟

لم تستطع سارة أن تجيبه بكلمة..فاكتفت بأن هزت رأسها في حركة غير مرئية تمامًا..و لم يحتج لغيرها ليهمس مستأنفاً ؛

\_ نحن لم تحتفل بحفل زفافنا حتى الآن !!

همست سارة بصوتٍ متهدج ؛

\_ هل تلاحظ شيئاً غريباً !!؟

عقد جاد حاجبيه قليلاً مبتسماً بجدل..قبل أن يهمس بنبرة و أنفاسٍ تحسده على ثباتها ؛

\_ سيكون هذا..ثاني زفاف يقام في العائلة بحضور كلا العروسين !!!

أصدر جاد صوت اعتراض خافتٍ..قبل أن يهمس باقياً على ابتسامته المتألقة ؛

\_ تؤ تؤ..لن يحدث إلا بعد أن يحصل هذا الرجل المسكين على الموافقة من العروسة !!

همست سارة بصوتٍ مختنق غير قادرة على التحكم في خفقات قلبها أو تأثرها بما تراه ؛

\_ لتتأكد العروس أولاً بأن ما تراه حقيقي !!!

كان صوتها يحمل نفس ارتعاشة جسدها..فأحاطها بذراعيه أكثر و كأنه يحاول احتواء مشاعرها المتوهجة بسببه..ثم همس و هو يستند بذقنه إلى قمة رأسها ؛

\_ إذا..هل تقبل الأميرة الجميلة بالتنازل للزواج من هذا الرجل المسكين !؟

كانت العبرات قد بدأت تنساب ببطءٍ على وجنتيها الآن.. حينما همست بحرارة و هي تلامس بأناملها المرتعشة ذراعه المُلْتَف حول عنقها ؛

\_أقبل...ألف مرة أقبل !!!

همس لها جاد مبتسمًا باتساع ؛

\_قولي أحبك إذا !

لكنها رفضت أن تمنحه الرضا بسهولة..فهمست ضاحكة باكية ؛

\_لأيّ سبب أقول !!؟

و قد جاءها الجواب أبسط ممّا توقعته ؛

\_لكي تزيد وسامتي !!!

قبل أن يكمل إجابته..سمع صوت ضحكتها المحملة بمشاعر لا تحصيلها حروف أو كلمات..لكنها انتفضت حينما سمعت صوت التصفيفات من حولهما..

فنظرت للعدد المتواضع من الضيوف الذين كانوا قد انتبهوا إليهما أخيرًا.. لم يكن هناك أيّ أشخاص غرباء..فقط بعض أصدقاء العائلة و أصدقاء سليم و سيلين..بالإضافة إلى أفراد عائلته الذين كانوا ضمن الضيوف.. اتسعت ابتسامتها أكثر بسعادة حقيقية و هي تعيش مشهدًا كان من المفترض أن تعيشه قبل وقتٍ طويل..قبل أن تهمس و هي لا ترى أيّ أثر لسيلين و سليم و والدها ؛

\_أين باقي أفراد العائلة !!؟

لم تكذ تتم سؤالا حتى كانت تلمح سيلين التي كانت قد نزلت للتو تزامناً مع صوت جاد الذي قال برحابة ؛

\_هناك !!

كانت سيلين تقف أمام الباب الداخلي العريض..تحمل بين ذراعيها طفلها حديث الولادة..بينما بجانبها..يقف سليم مبتسمًا بلطفه الأقرب إلى السذاجة..

و ما إن وقعت عيناها على عيني سارة..حتى برقت عيناها و وضعت الطفل في يديه لتقترب منها بسرعة..إلى أن وصلت إليها..و ارتمت عليها محتضنة إياها بقوة جبارة لم تبخل سارة عن مبادلتها إياها بما يفوق القوة قوة..

اقتربت بعدها من سليم الذي تقدم نحوها بخطواتٍ ثابتة..إلى أن وصلت إليه ومنحته تحية ودودة جدًا..قبل أن تقرّر اختطاف الطفل الرضيع منه بإرادته..احتضنته بين يديها مداعبة إياه بابتسامتها المحبة و التي تصبح أكثر رقة و حنانًا كلما قابلت هذه الملامح الجميلة..

شعرت بخطواتٍ وقورة تقترب منها..فرفعت رأسها لتقابل عيني والدها..ذلك الذي لم يدخر لحظة واحدة في الإنتظار قبل أن يحتضنها إلى صدره بقوة.. ثم قال يتنهد بارتياح شديد و هو يلثم جبهتها ؛

\_ الحمد لله على سلامتِك يا سيدة كل البنات..

التقت عيناها بعيني جاد.. فأوماً له مبتسمًا مرحبًا..مانحًا إياه تحية ودودة صامته قابله جاد بمثلها..

لقد تحقق حلم سارة في النهاية..و عادت المياه لتستقر في مجاريها..

عادت خيوط العائلة المتشابكة لترتيبها المناسب !!!

نظر لها جاد بحب و هي تبسّم بثبات..تحتضن والدها بيد واحدة بينما الأخرى متمسكة بالطفل الجميل بين ذراعيها.. تحتضنه بحنان و ألفة و كأنها تحتضن طفلها..

غامت عيناها قليلاً و هو يرى نظراتها للطفل..كانت عيناها متعطشتان..

تحملان وميضًا يجعل قلبه يرتجف رغبة في منحها...طفلاً !!!

قبل أن ينتفض على صوت سيلين التي هتفت فجأة مخاطبة والدها بتذمر ؛

\_ هذا غير عادل.. هذا اللقب لي أنا..قلته لي في يوم ولادة " سامي " ..لماذا

تقوله لها الآن ؟!!!

سرعان ما تحولت ابتسامة سارة إلى ضحكة خلابة.. ثم قالت و هي تداعب  
ملامح الصغير بشفتيها و أناملها ؛

\_هل سمعت أمك؟! إنها تتذمر لشدة غيرتها من علاقتي بأبي التي تتفوق  
على علاقتها به قوة.. إياك أن تكون مثلها!!!

\_توقفي.. لا تملئي عقل طفلي بهذه التفاهات عن أمه!!!

هتفت سيلين عابسة بتصنع.. فهي لم تكن لتشعر بالتضايق أبدًا من  
سارة.. فهمست سارة بحب و هي ترمقها بنظرة خاطفة لتعود و تتشغل بهذه  
الروح الصغيرة البريئة ؛

\_يليق بك لقب "الأم" جدًا أيتها الصغيرة.. لكن هذا الصغير يشبه خالته  
أكثر.. اعذريني على صراحتي!!

كانت قد تناست المفاجأة الجميلة في طور انشغالها بعائلتها.. إلا حينما قالت  
سيلين فجأة تزيد من التشبث بدور الأم الحانقة المتدمرة ؛

\_ألا يفترض أن هذا حفل زفافك المؤجل؟! فلماذا تتشغلين بطفلي  
إدًا.. انظري.. حتى زوجك المسكين سيفقد صبره منتظرًا!!!

رفعت سارة رأسها فورًا لجاد و كأنها لم تتذكره إلا الآن.. لكنها لم تجد ما  
يدل على فقدان صبره.. بل رأت بعض الغيظ المكتوم يكتسح نظراته لسيلين  
التي تتعمد إزعاجه دائمًا.. و كأنها لا ترتاح إلا بإغاظته..

لكنه لم يكن حانقًا عليها اليوم لإغاظته.. بل لتذميرها لذلك المشهد.. أجمل  
مشهد يمكن لرجل مثله أن يراه..

مشهد امرأة خلقت بقلب أم و هي تحتضن جنينًا ليس لها.. لكن نظرتها.. تتم  
عن أمومة حقيقية تعيشها بجواره!!!

ألم يعترف قبل قليل بينه و بين نفسه.. بأنها امرأة خلقت بقلب أم... بل و أجمل  
أم!!!!

لمعت عيناها بفكرة غريبة طرأت في عقلها.. فاقتربت منه لتهمس بينما  
أناملها لا تزال تداعب ملامح الطفل الناعمة ؛

\_ أنظر كم يبدو جميلاً !

رمق جاد الطفل بنظرة طويلة نوعاً ما.. ثم همس بصوتٍ معبرٍ و هو يراقبها  
هي بإخلاص لا الطفل ؛

\_ جميل... جداً..

رفعت سارة رأسها إليه باستغراب و كأن عقلها قد تنبه بأنه لا يقصد الطفل  
حتمًا بهمسته تلك.. إلا أنه سرعان ما طرد هذه الفكرة من عقلها نهائيًا.. حينما  
قال مبتسمًا و هو يشيح بعينه عنها محققًا بالطفل ؛

\_ إنه يبدو... كنسخة مصغرة منك.. جميل جدًا جدًا !!

و أمامهما.. على بعد مسافة ملحوظة كانت تقف سيلين.. هي الأخرى مندسة  
في حضن سليم.. تتكأ برأسها على كتفه.. همست و هي تراقبها من مكانها  
بمشاعر صادقة ؛

\_ أنظر كم يليق بهما دور الأبوين..

نظر لها سليم عاقدًا حاجبيه قليلاً و هو يردف بضيق غير حقيقي ؛

\_ أكثر منا !!

و كان الجواب أن هزت رأسها بالإيجاب أولاً.. لكن مع أول ارتفاع  
لحاجبه.. عادت تهزه بالنفي مبتسمة بشقاوة.. فربت على وجنتها بنعومة هامسًا  
بابتسامة عاشقة ؛

\_ لقد زادتكِ الأمومة جمالاً فوق جمالكِ الطبيعي !

منحته سيلين ابتسامة تفيض حبًا.. ثم لم تلبث أن عادت عيناها لتراقبان  
سارة.. تلك التي همست بإلحاح مزعج لجاد ؛

\_حاول على الأقل..لن تندم صدقني !!

قال جاد و هو يطوق وجنتها بيده..ناظرًا إلى عمق عينيها و كأنه يحاول أن يشرح معادلة معقدة لطفلة صغيرة ؛

\_لن أستطيع حبيبتي..ماذا لو تأذى في يدي !!؟

قالت سارة معترضة بعناد ؛

\_ولماذا قد يتأذى؟! أنا سأضعه في يديك بالطريقة الصحيحة..أنت احتضنه للحظة فقط..

صمت جاد للحظة ناظرًا لها بياسٍ..قبل أن يتنهد أخيرًا و يرفع يديه الإثنتين نحوها بترددٍ منتظرًا..حينها فقط..وجد ابتسامتها تتألق أكثر كالطفلة بالفعل.. ثم برفق شديد..كانت تضع الطفل في أمانته..بين ذراعيه اللتين ارتجفتا على شعوره به..

ابتلع ريقه بصعوبة و هو يهدده برفق بين ذراعيه..يتأمله بعينين متسعيتين انبهارًا لم تدر...أم دهشة!

بدا و كأن عقله يتساءل عن ماهية شعور غريب استفحله.. أن يحمل طفلًا بهذا الحجم الصغير بين ذراعيه لأول مرة.. لهو شيء...ممتع !!!  
تراجعت سارة خطوة غير محسوبة و هي تراقبه بعينين دامعتين..

لقد ناسبه دور الأب بالفعل..لم تكن هي الوحيدة هنا التي خلقت بقلب أم..بل هي تكاد أن تقتنع الآن...بأنه ما خلق إلا ليصبح...أبًا !!

همس لها مبتسمًا بغير تصديق و هو يرفعه قليلًا..يحتضنه برفق و كأنه قطعة كريستال صغيرة يخشى عليها من التكسر ؛

\_ما أجمله يا الله..لم أكن أعلم بأن ضمه سيكون ممتعًا إلى هذا الحد !!!

اتسعت عيناه بدهشة غريبة و هو يهمس ؛



\_ هل كنت تشعرين بنفس ما أشعر به الآن في كل مرة تحتضنينه؟!!

اومأت له سارة ببطءٍ و دموعها السّخية تنساب بهدوءٍ.. قبل أن تقترب منه  
الخطوة التي ابتعدتها قبل قليل.. و همست بخفوت و بطءٍ بينما يدها ترتاح  
على ذقنه ؛

\_ أنا أيضًا.. لديّ مفاجأة لك !!!

نظر لها جاد في الوهلة الأولى بتساءل طبيعي.. لكن حركة غريبة قامت  
بها.. جعلت من عينيه تتسعان قليلاً و هو يرى يدها الحرة.. تستقر على بطنها  
في حركة ذات مغزى واحد..

تسمرت عيناه على حركتها تلك للحظات فقد فيها الشعور بكل شيء.. حتى  
أنه و أثناء صدمته.. تناسى الطفل الذي لا يزال في يده فكاد أن يفلته لولا أن  
تمسكت سارة به بسرعة لتأخذه منه محتضنة إياه برفق..

قبل أن تلتفت نصف التفاتة لتشير لسيلين في حركة ذات مغزى.. فاقتربت هذه  
الأخيرة بهدوء لتحمل الطفل عنها..

و لم تستطع أن لا تمنح جاد ابتسامة أخبرته بوضوح بأنها تعلم عن المفاجأة  
التي تخفيها سارة حتمًا.. قبل أن تستدير عائدة إلى سليم..

همست سارة بخفوتٍ و هي تشعر ببعض القلق غير المفسر ينتاب قلبها مع  
ردة فعله ؛

\_ جاد !!!

نظر لها جاد مجفلاً كشخص قادم من عالم آخر.. على الأرجح نفس العالم  
الذي صنعه لها بهذه الحديقة..

ثم فجأة.. وجدته يمد يده ليلمسك بيدها و يسحبها برفقته نحو باب المنزل بدون  
أن ينبس بكلمة..

هتفت سارة في منتصف الطريق و هي تجاري خطواته السريعة الأقرب إلى  
اللهفة ؛

\_ جاد.. لحظة... ألم نكن سنحتفل بزفافنا المؤجل أولاً !!! جاد.. جاد.....

لم يبدو جاد و كأنه قد سمعها بالفعل.. فقد كان يسير بخطواتٍ سريعة و كأنه  
لا يحتمل لحظة انتظار واحدة.. فتنهدت سارة بياسٍ و صممت شاتمة نفسها..

ألم تكن تستطيع تأجيل إطلاعه على هذا الخبر إلى ما بعد انتهاء هذا الحفل  
البائس المُنتظر !!!!

توقف بعد لحظاتٍ خلف الباب المفتوح.. في مكان لا يخول لأيٍّ أحد فيه  
رؤيتهما.. و لم يكذب يفعل.. حتى كان يهتف قابضًا على كتفيها يهزها كالأحمق  
؛

\_ هل صحيح ما فهمته قبل قليل ؟! هل أنت.....

لم يستطع أن يكمل.. صمت شاعرًا بغصة الخوف من أن يكون كل توقعه  
خاطئًا ترتكز في حنجرته.. و قد زادت سارة من سوء وضعه حينما همست ؛

\_ دعنا نتحدث لاحقًا جاد.. الآن... أريد أن نحتفل بزفافنا المؤجل..

هتف جاد بصوتٍ منخفض غير قادر على التحكم في تشنج أعصابه ؛

\_ تكلمي أولاً !!!!

شعرت سارة بالشفقة عليه.. تمزق قلبها بنظراتٍ عينيه التي احتقنت بمختلف  
المشاعر في ظرف لحظاتٍ.. فاستسلمت.. استسلمت تمامًا كعادتها معه.. و  
رفعت يديها لتطوق وجهه.. قبل أن تهمس ببطءٍ.. كل كلامها موجه لعينيه  
اللامعتين كرجل على وشك البكاء ؛

\_ كل ما فهمته صحيح.. أنا حامل.. أنا حامل... جاد !!!

فغر جاد شفتيه محدقًا بها بعينين فقدتا كل قدرة على الإدراك.. و استطاعت  
من مكانها القريب أن تسمع صوت أنفاسه التي تسارعت و كأنه على وشك  
فقدان الوعي..

فتمسكت بيده لتفرد راحته فوق بطنها..

ثم همست بدون أن تترك يده.. بل تمسكت بها أكثر و هي ترى تلك التعابير  
على ملامحه.. كمن دخل في صدمة قوية..

\_ألن تقول شيئًا؟! ألا تعليق لأجلي... لأجلنا!!!!

على عكس ما توقعت.. لم تسمع أيّ تعليق منه.. بل رأته.. رأته بركة الدموع  
التي تجمعت في جوف عينيه بدون أن تنساب..

قبل أن يسقط جبينه على جبينها مطبقًا جفونه على أنفاس متهدجة.. بينما  
أخذت يده تنقلص فوق بطنها و كأنه يحاول أن يستشعر تلك الروح الصغيرة  
التي بدأت تتكون هناك.. جزء منه و منها.. طفلها المنتظر!!!

إلى أن همس يلفحها بأنفاسه المتسارعة ؛

\_كيف يعقل أن تتحقق الأمنية التي طرأت في عقلي حتى قبل لحظاتٍ بهذه  
السرعة؟! كيف يمكن أن يكون القدر كريمًا معي إلى هذا الحد؟! مع رجل  
مثلي... بغباءه كان السبب... في موت طفله الأول!!

انتفضت سارة على جملته الأخيرة.. فرفعت يدها في لمح البصر لتكتم فمه  
ناظرة له بجزع.. قبل أن تهمس بحدة لا تتناسب مع نظراتها و صوتها  
المختنق ؛

\_هذه آخر مرة أسمعك تتكلم بهذه الطريقة.. أنت لم تكن السبب.. لست  
السبب.. إنه قدر محتم من الله... لست السبب.. لا يمكنك أن تكون السبب!!!!

كانت تتحدث بانفعال شديد رغم نبرة صوتها التي لم ترتفع عن الهمس.. و ما إن انتهت..حتى كانت تغمض عينيها و هي تنقل يدها من وضعية تكميم فمه إلى تطويق وجهه..ثم همست مكررة بعذاب ؛

\_ لا يمكنك أن تكون السبب !!!

كان نفس العذاب مرتسمًا على ملامحه.. و هو نفسه ما جعله يهمس بصدق و حرارة ؛

\_ لا تتخيلين كم كنت خائفًا..كنت خائفًا بشدة أن يعاقبني الله على استهتاري بحرمانني من طفل منك..كنت خائفًا من أن لا أستطيع إرضاء الجوع المتعطش في عينيك لاستشعار الأمومة مجددًا..كان الخوف ينهشني في كل مرة وقفت فيها أمامك..ناظرًا في عينيك بينما أمنحك وعودًا و أملاً لست أضمن نتيجته..كنت خائفًا من أن يقف المرض حائلًا بيننا و بين تحقيق هذه الأمنية..من أن.....

صمت فجأة و تنبعت ملامحه و كأن فكرة مفاجأة اكتسحت عقله..قبل أن يقول فجأة بقلق ؛

\_ ماذا قال الدكتور عن حملك؟! هل...هل هناك احتمالية أن يؤثر على.....

\_ ليست هناك أيّ احتمالية من أيّ نوع!!!!

قاطعته سارة بأعصاب مشتدة..لكن نفس القلق ظل يلتهم ملامحه بضاوّة فعادت تهمس بحزم و ثبات ؛

\_ أنا بخير تمامًا..كل شيء بخير..توقف عن القلق أرجوك!!!

همس جاد بصوت متحشرج خافت سمعته بصعوبة ؛

\_ حقًا؟!!!

و لم تتردد من الرد ببطء..بصدق تام ؛

\_ أقسم لك !!!

صمتت للحظات.. ثم عادت تردف بجدية و هي تنقل عينيها بين عينيه  
المحتقنتين بمشاعر متناقضة ؛

\_ حينما يمنحك الله شيئاً ما بعد صلاحك.. فهذا لأنه رأى فيك ما يجعلك  
تستحق.. فلا تتعامل مع عطاياه بهذا الاستنكار... إياك أن تفعل !!!!

أغمض جاد عينيه بصمتٍ و هو يترك نفسه لها.. يصغي إلى كلماتها بتركيز  
شديد.. إلى أن استأنفت سارة بحنان ؛

\_ اتركي الماضي للماضي !!! أليست هذه عبارتك أنت !!!

أطبق جاد عينيه أكثر و كأنه لا يقوى على الكلام.. و بالفعل.. فقد ساد صمت  
طويل ظلت سارة تراقب خلاله كل انفعالاته بتدقيق.. إلى أن همست بحزن  
بينما تقبض على يده لتريحها فوق بطنها مجدداً ؛

\_ أنت لم تبتسم حتى منذ أن أخبرتك.. لم تبتسم حتى الآن !!!

جملتها صفعت عقله بقوة.. ففتح عينيه فجأة على نظرة بدت أبلغ من كل  
كلام.. فلمعان دموعه كان يوضح مدى تأثره.. و هي بالطبع أغلى لديها من  
كل ابتسامة !!

ظلت عيناه مستقرتان في مكان واحد للحظات.. على بطنها حيث تستقر يده و  
فوقها يدها.. قبل أن يرفع عينيه إليها.. و ابتسم أخيراً.. ابتسم بحزن و سعادة  
معاً.. ابتسم بحنان شديد تلقف قلبها الخافق..

ثم رفع يده الحرة ببطء ليلا مس جانب وجهها مرتباً بنعومة.. قبل أن يهمس  
بنبرة من يشعر بالخوف من أن يتم إيقاظه بالإرغام من غفوة لا تحمل سوى  
الأحلام الرائعة التي انتظر طويلاً أن يحققها ؛

\_ هل تعلمين ما الذي سأفعله بك لو اتضح لي أن كل ما سمعته الآن محض  
هذيان من عقلي الحالم !!؟

لم ترد سارة.. ظلت تنظر له مشاركة إياه الابتسامة الحزينة اللامعة تلك.. فما  
كان منه إلا أن استأنف بنفس النبرة ؛

\_ سأقتلك !!

لم تستطع أن تمنع ابتسامتها من الظهور أكثر و هي تسمع هذا التهديد  
المخيف جدًا منه.. مخيف جدًا في الحقيقة.. لكنها رغم ذلك همست تتظاهر  
بالإحباط.. تستعيد بعقلها موقفًا مشابهًا ؛

\_ و أهون عليك ؟!

هتف جاد متأوهًا و هو يجذبها إلى حضنه فجأة.. يتنعم بعبق خصلات شعرها  
حيث اختفت كل ملامحه ؛

\_ كل الدنيا تهون إلا أنت.. إلا أنت !!!

حاوطة سارة عنقه بقوة و هي تضم نفسها إليه أكثر مطبقة عينيها.. و ساد  
بعض الصمت الجديد.. قبل أن تسمع صوته يعود ليهمس بحرارة في أذنها ؛

\_ هل علمت جنسه بعد ؟!!

قالت تتنهد بارتياح و ابتسامتها على وشك التهام كل شحوب لامس ملامحها  
يومًا ؛

\_ ليس بعد.. لكنني قريبًا.. قريبًا جدًا سأعرف !!

ابتعدت عنه قليلًا لتقابل وجهه مجددًا.. ثم همست على مقربة منه.. بنبرة  
يشوبها حماس لذيذ رغم اتزانها ؛

\_ هل سنعود إذا لنتمّ حفل زفافنا ؟!!

قال جاد مبتسمًا بأسف ؛

\_ أظن بأننا سنضطر لإلغاءه.. فالعروس حامل !!!

إلا أن سارة بدت غير راضية أبدًا.. فقالت عاقدة حاجبها باعتراض حقيقي ؛

\_إِغَاءَهُ !!! مستحيل..لن نفعل ذلك جاد!!!!

كانت تتكلم بجدية بالفعل..فحرّر جاد ضحكته الرائعة المكتومة التي جعلت  
من حاجبيها ينعقدان أكثر..قبل أن همس يقلدها بيأس ؛

\_لن نفعل ذلك جاد !!! أنا رجل جاد نعم..لكن لا ضرر من بعض المزاح  
أحياناً..

ثم عاد ليقول بمحبة و هو يمنحها ابتسامته بسخاء ؛

\_هل تظنين بأنني أستطيع أن ألغي المفاجأة التي كنت أخطّ لها منذ فترة  
طويلة !!!

همست سارة و هي تحرك رأسها بالنفي بوداعة جميلة ؛

\_قطّعاً لا..

لكنه رغم ذلك لم يخرج فوراً..بل تحرك بؤبؤ عينيه على كل إنشٍ في  
ملامحها لعدة ثوان..قبل أن يقترب منها فجأة ليلتقط شفثيها بين شفثيه في قبلة  
كانت بدفء مشاعره..

قبلة جعلت قلبها يترنح للحظة و هي تتمسك بجذعه و كأنها طفلة تتعلق في  
ثياب أبيها..قبلة احتوت كل مشاعره المتدهورة اليوم و مشاعرها..

قبلة..النهاية المثالية السعيدة التي تسبق إسدال الستار الأبيض بعد مسرحية  
التهم البؤس أبطالها بشتى الطرق..لولا أن النهاية كانت تستحق !!

إلى أن ابتعد عنها أخيراً ليهمس لاهثاً بشدة ؛

\_الآن دعينا نخرج..

همست سارة بتهدج و هي تغمض عينيها تتمسك أكثر بسترتة و كأنها ليست  
نفس الشخص الذي طلب الخروج قبل قليل ؛

\_لأيّ سبب !!؟

ابتسم جاد بهدوء و هو يرى بنفسه مدى تأثيره الخلاب عليها.. قبل أن يردف مقتبسًا جملة قالتها هي له قبل فترة أصبحت تبدو طويلة.. طويلة جدًا..

\_ على الأرجح.. أريد تعليمك بعض القواعد الجديدة !!!

الآن فقط.. كانت تفتح عينيها لتنظر له مبتسمة برقة.. ثم همست بأنفاسٍ لم تستعد ثباتها التام بعد ؛

\_ في الرقص !؟

كان صوتها يحمل نبرة من التوجس.. فهمس جاد مجيبًا بهدوء ؛

\_ بل في الحب... حبيبي !!!

خرجت بعد لحظاتٍ متمسكة بيد جاد.. و ما كادت أن تنزل الثلاث درجات أمام الباب.. حتى كانت تعود لتتوقف للحظة حينما وقعت عيناها على سيلين و هي ترى ذلك الحاحب الشرير الذي رفعته لها و كأنها تخبرها بلا صوت..

"أعرف جيدًا ما الذي كنتِ تفعلينه بالداخل.."

عبست سارة بشدة في وجهها رغم الإحتقان الطفيف الذي لامس وجنتيها.. قبل أن تنصاع ليد جاد التي سحبتها برفق لمنصة الرقص.. إلى أن حاوط خصرها بدفئه المعهود لتشرع أقدامهما في الرقص بتناغم..

و بعد أقل من دقيقتين.. كان هناك زوج من الأزواج يرقصون بتناغم مشابه.. هي و جاد.. و سليم و سيلين..

و كالعادة هذه الأخيرة لم تدخر الفرصة لإزعاج جاد.. فهتفت فجأة بحماس ؛

\_ دعونا نتبادل !!!

شحبت أنظار جاد و هو ينظر لها ممتنع الملامح و كأنها شتمته.. إلا أنه في لمح البصر.. وجد التبادل الذي تكلمت عنه قد وقع بالفعل..



فنظر لسارة التي طارت من بين يديه في لحظة لم يستوعبها لتكمل الرقصة  
الهادئة مع سليم..و سيلين التي أصبحت ترقص معه هو !!!

كانت سيلين مبتسمة ابتسامة عريضة جدًا..للحد الذي جعله يزم شفثيه و يعقد  
حاجبيه متجهماً..و لم يكلف نفسه عناء النظر لها طويلاً و منحها لذة  
استفزازه..فقد كانت عيناه طوال الوقت على سارة..

يراقبها بتوتر..يترصد كل حركة من سليم و الغيرة تنهش قلبه كمسمار  
حديدي ثم تثبيته في خشبة صلبة..

\_إِذَا..هل أطلعناكَ سارة على خبر حملها؟!\_

استطاع بصعوبة أن يبعد عينيه عن سارة لينظر لهذه المزعجة أمامه..قبل أن  
يهز رأسه في حركة متجهمة محدقًا بها بنفس العبوس..فهمست سيلين و  
ابتسامتها تتسع أكثر و أكثر بتسفي ؛

\_لقد أخبرتني قبلك..رأيت كم هي تفضلني عليك !!!\_

شعر جاد برغبة قوية في خنقها بشدة لعلها تبتلع هذه الابتسامة المزعجة فلا  
يراها مجددًا..إلا أنه و بصبر يشكر عليه..استطاع أن يكتم غيظه و هو يقول  
من بين أسنانه ؛

\_أليس من المفترض أن تكوني الآن مستلقية في فراشك..بما أنك أم حديثّة  
الولادة !!\_

هزت سيلين رأسها بالنفي بهدوء..و قد بدت له ككابوس يرفض الإستيقاظ  
منه و هي تردف ؛

\_من يعرفني جيدًا..يعلم بأنني لا أشبه أيّ أم أخرى..أنا أقوى من ذلك يا  
عزيزي..\_

ثم همست فورًا متداركة آخر كلمة ببراءة زيفتها بإنقان ؛

\_أقصد..يا ابن عمتي العزيز !!\_

لم تعلم..بأنه و على بعد خطوة واحدة..كان هناك شخص يراقبها بنفس القلق  
و اللفتة..إلى أن سمع صوت سارة تهمس بنبرة تشبه الإعتذار ؛

\_ على الأرجح..اقتراح سيلين لم ينل إعجابك !

نظر لها سليم بإحراج شديد كمن تم ضبطه متلبسًا في جرم كبير..ثم قال  
يحاول أن يتدارك الأمر بطريقته غير الفعالة ؛

\_ لا..ليس الأمر كذلك أبدًا..أنا.....

قاطعت سارة كلماته المتلعثمة بصوتها الثابت الهادئ ؛

\_ بما أنك تحاول الكذب عليّ الآن فأنت غالبًا تناسيت أم تحاول تناسي من  
أكون !

نظر لها سليم بقلق أكبر..فابتسمت سارة شاعرة بالشفقة عليه..قبل أن  
تسترسل بنفس نبرتها ؛

\_ أنا أكون الدكتورة النفسية سارة فؤاد الغالي..أي أنني أستطيع أن أستشف  
كل ما تشعر به من نظرة واحدة فقط..

تساعد الإحراج إلى ملامح سليم أكثر..و لم يجد مهربًا سوى أن يبتسم  
متنهدًا باستسلام و هو يطرق رأسه بعض الشيء و كأنه يقر لها بأنها قد  
كشفتة..

ذلك الإستسلام الذي هو كلمة مهمة في قاموس جاد..فما إن وقعت عيناه  
مباشرة على يد سليم على خصر سارة..حتى كانتا تتسعان بقوة..

ثم بدون أن يهتم لصورة الرجل المتحضر التي لم تعد تروق له أساسًا..ترك  
سيلين..و اقترب من سارة ليجذبها بسرعة إليه..إلى أن أعادها إلى مكانها  
الطبيعي..صدره حيث استقرت يداها الإثنتان برقة..

كانت ملامحه لا تزال على نفس التجهم..و رغم ذلك فقد ظهر بعض الإرتياح عليها و هو يراقصها بانسجام..لكن سارة ربما رفضت أن يمر الأمر مرور الكرام..فهمست تمط شفثيها قليلاً تتظاهر بالتعاطف ؛

\_ اووبس..هل زار شعور الغيرة قلب زوج الأميرة المسكين للتو !!

ضيق جاد عينيه محدقاً بها بتبلد لوهلة..قبل أن يهمس بنبرة مضحكة في خطورتها و هو يقرأ المكر اللذيذ في عينيها ؛

\_ هل تعلمين ما الذي سأفعله بك لو لم تسقطي هذه النظرة من عينيك !!؟

مطت سارة شفثيها متظاهرة بالتفكير لوهلة قبل أن تجيب ؛

\_ اممم..ستهددنني بالقتل..لكن بما أنني لا أهون عليك فستراجع في الحال !!!

أمالت رأسها قليلاً مستدركة بابتسامة واسعة أنيقة ؛

\_ صحيح..لقد كانت الجملة حرفياً..كل "الدنيا" تهون إلا أنت !!

ثم اقتربت منه قليلاً لتهمس مضيضة في أذنه بنبرة ساحرة واثقة ؛

\_ و في كل مرة تقولها..أسمع منك تأوهاً حاراً حزيناً..و كأن عقلك يعجز عن

مجرد تخيل حياة كاملة بدوني !!!

سقطت كل أقنعة الهزل و المزاح عن وجهه و هو يسمع منها هذه الكلمات..و كأنها تتعمد أن تضغط على أكثر مواطن ضعفه المتجسدة بها..و بعينيها..

فلم يشعر بنفسه و هو يهمس متأوهاً بالفعل..يقبل وجنتها بقوة و كأنها مجرد حركة يحاول من خلالها التخفيف من حدة مشاعره كلما تطرق عقله لفكرة العيش بدونها ؛

\_ ليس عقلي فقط..عقلي و قلبي و كل جوارحي تعجز عن تخيل ما سيكون

موقفي لو افترقت عنك لمدة يوم واحد فقط..فماذا عن حياة كاملة !! لن

أحتمل حبيبيتي صدقيني.. إلا أنت !!!

صمت للحظة سريعة ثم عاد يهمس بحرارة ؛

\_إلا أنتما !!!

صمت قصير ساد بينهما لعدة لحظات.. ظل فيه كل منهما يحدق بعيني الآخر  
بسلام..خطواتهما تتحرك في انسجام مثير للإعجاب..إلى أن همست فجأة  
متأملة إياه عن قرب ؛

\_هل تعلم ماذا اكتشفت !؟

\_هممم ؟!!

همس جاد باهتمام و هو يداعب روحها بنظراته..فقالته بهدوء و هي تنظر  
إلى أعماق عينيه بتدقيق غريب ؛

\_بأنك أنت من كنت تضع غشاوة حول عينيك في الماضي.. غشاوة تجعلني  
بعيدة عنك بعد السماء عن الأرض !

لم يظهر أيّ تعبير واضح على ملامح جاد و هو ينتظرها أن تكمل..لكنها  
التزمت الصمت قليلاً فقال يحثها باهتمام ؛

\_و الآن ؟!!

همست سارة بنبرة عميقة جداً..أعمق من نظراتِ عينيها ؛

\_الآن زالت تلك الغشاوة تمامًا..الآن أصبحت أستطيع أن أقرأ كل مشاعرك  
التي بحت بها للتو من عينيك فقط..الآن أستطيع أن أقرأ كل دواخلك و خبايا  
روحك..لقد زالت الغشاوة تمامًا و أصبحت قادرة على الغوص في بئرك  
الشاهق بدون أن أفقد حياتي..لما كنت استطعت لو لم يسمح لي قلبك !!!

كانت قد فردت يدها بنعومة فوق قلبه بعد نهاية كلامها.. بينما ظل جاد  
صامتاً ينظر لها بنفس التعبير الجميل.. يبتسم لها ابتسامة جذابة مقروءة..

ثم فتح فمه ليسألها رافعاً أحد حاجبيه مغيراً كل منحى الموضوع ؛

\_لقد كنت أفكر أن أترك لك أمر اختيار البلد الذي سنقضي فيه شهر العسل..

رفعت سارة حاجبيها بدهشة مكررة ؛

\_شهر ماذا؟! عسل!!!!

قالت باستنكار و عيناها شبه متسعيتين..إلا أن جاد همس لها بكل براءة  
تناقضت مع العبث المتطير من عينيه ؛

\_ماذا؟! هل قلت شيئاً غريباً؟!!

قالت سارة ترفع حاجبيها مبتسمة بغير تصديق ؛

\_قطعا لا !!

تجاهل جاد نبرة السخرية بصوتها و هو يهز رأسه بكل رضا..على و عد أن  
يسافرا سوياً فى رحلة ساحرة يطلق عليها اسم "شهر العسل"..قبل أن يهمس  
فجأة و هو ينظر إلى نقطة معينة ورائها ؛

\_الآن دعينا نذهب لنشرف على تقطيع كعكة زفافنا..

لم يمنحها لحظة استيعاب واحدة و هو يمسك بيدها فوراً تزامناً مع نطقه  
لحروف جملة ليسحبها معه نحو الطاولة العريضة التي تحمل قطعة الكعك  
بالفعل..

إلى أن توقفا خلفها تماماً..و وقف الجميع امتثالاً لهذه اللحظة..

كانت سارة مبتسمة ملاً قلبها الآن..عيناها كالعادة على عينيه بينما يدها على  
يده التي استلمت مهمة تقطيع الكعكة المتقنة التصميم من منتصفها..و أعين  
الجميع تراقبهما بابتساماتٍ صادقة جميلة..

ترك جاد السكين بهدوء بعد أن قطع قطعة صغيرة قربها إلى فمها..و لم  
تتردد سارة من أن تتناول جزءاً صغيراً غير متخلية عن تأملها لعينيه  
البراقتين..قبل أن تمسك القطعة منه لتفعل المثل..

كانت ابتسامتها متسعة جدًا و هي تجعله يتناول بيدها.. لكن جاد لم يكن ليضيع فرصة إزعاجها فتأوهت بخفوت و هي تسحب يدها بسرعة بعد أن كاد أن يلتهم أصبعها السبابة مع الكعك..

\_ لقد عضضتني بالفعل..يا إلهي !!!

همست بغير تصديق و هي تنظر إلى أثر أسنانه غير الموجود أساسًا على سبابتها..فضحك جاد بقوة و هو يمسك بيدها ليتفقد أصبعها بالفعل..ثم همس لها و هو يربت عليه باهتمام و حنان ؛

\_ هل أمتك حبيبتى؟! ليس هناك أي أثر !!!

ابتسامة أقرب إلى السذاجة لامست عينيها فقط و هي تتأمل جميع انطباعاته..لكنها لم تستطع أن تجيبه..فقد منعها صوت التصفيق الذي علا من طرف كل الحاضرين..

فانفضت من شرودها به..و نقلت عينيها حولهم مبتسمة برجفة السعادة..بينما امتدت ذراع جاد لتطوق خصرها برفق بدون أن يترك يدها الأخرى..

كان صوت الألمان لا يزال منتشرًا بهدوء..لكنها ألحان مختلفة غير لحن أغنيتهما..اقترب منها جاد ليلثم جبهتها بدفء..

فأطبقت عينيها مستشعرة تلك القبلة بكل حواسها..و تركت يدها على صدره تستمع إلى ألحان قلبه..و لم تفتحها إلا حينما فصل تلك القبلة مبتعداً قليلاً..ليهمس لها بحماس يلتهم عينيهِ ؛

\_ لقد فكرت بأن أعلن عن الخبر الجميل للجميع الآن..ما رأيك!؟

بعض الإحراج لأمس عينيها و هي تهمس بما يشبه الاعتذار ؛

\_ سيلين تعلم بالفعل..

أوماً جاد بهدوء زائف و هو يقول بنبرة مزجت ما بين العتاب و الغيظ ؛

\_ أعلم..لقد أخبرتني تلك المتبجحة قبل قليل..

لاح شبح ابتسامة على شفيتها و هي تستأنف بصدق ؛

\_ لقد كان من المفترض أن تكون الشخص الأول الذي أطلعه على هذا الخبر.. لكنك كنت قلقًا جدًا في الأونة الأخيرة.. لهذا فكرت أن أوجل الأمر إلى ما بعد ظهور نتيجة الفحص الأخير.. أردت أن لا يعكر نظرة السعادة التي أراها في عينيك اليوم أيّ خوفٍ أو قلق..

هزت كنفها ببساطة و هي تضيف بخفوتٍ ؛

\_ أنت تعلم.. لقد كنت قلقة مثلك فلم أستطع أن أعيش هذا الشعور بمفردي فاخترت سيلين.. و في الحقيقة.. كانت أكثر من بارعة في تبيد القليل من ذلك القلق عني الى ما بعد ظهور النتيجة... إنها تفلح في ذلك دائمًا !

شعر جاد بالغيرة تطحن قلبه من عبارتها الأخيرة.. كما شعر بكل كلمة قالتها تمسّ قلبه الضعيف في حبها حتى الأعماق.. فهمس و هو يسند جبهته إلى جبهتها غير مكثرت بالأنظار حولهما ؛

\_ تلك كانت مهمتي أنا !! لقد سلبتني أحد أكبر حقوقي و منحنتها لسيلين المزعجة.. فقط خوفًا على مشاعري !! تبًا لمشاعري !!!!

ضحكت سارة بنعومة و هي تهمس بنبرة خافتة ؛

\_ لا تقل ذلك.. إلا مشاعرك حبيبي.. لا أتحمل أن يلمسها أذى..

قال جاد من بين أسنانه بغیظ و هو يبتعد قليلًا ناظرًا حوله إلى الأعين المتربصة بهما ؛

\_ هل تدركين بعد ما الذي تفعله بي كلمة "حبيبي" كلما سمعتها منك بتلك النبرة !! تبًا للأعين الفضولية لولاها لكنت قد.....

لم يستطع أن يكمل فقد دسّت سارة فجأة في فمه قطعة أخرى من الكعك جعلته يتسمر للحظة ناظرًا لها بذهول عابس.. لكنه سرعان ما ابتلعها منصاعًا لإشارة عينيها الصارمتين..

ألم يقل بأنها تذكره بأمه؟! إنها تجيد تقمص دور الأم بالفعل في مثل هذه اللحظات!!!

\_سأعود في الحال..

همس فجأة و هو يبتعد عنها متجهًا إلى حيث يقف منسق الأغاني.. بينما ظلت سارة تراقبه بعينيها الهادنتين للحظة..

ثم تراجعت بهدوء لتقف بجانب سيلين و تمد يدها لتلاعب الطفل الجنين الذي تحمله بين ذراعيها بنعومة بينما عيناها عليه و هو يتبادل بعض أطراف الكلام مع المنسق الذي يقف في مكان بعيد بعض الشيء..

إلى أن اوماً له مبتسمًا و هو يأخذ منه مكبر الصوت و يقترب من منصة العروسين التي لم تحظى بشرف و قوفهما فيها اليوم..

نفس مرتجف هرب من بين شفتيها و قلبها يخفق لابتسامته منتظرة أن يبدأ بالكلام.. و بدأ بالفعل..

تنح و كأنه يختبر عمل المكبر.. ثم تردّد للحظة كشخص يريد أن يقوم بارتجال بعض الكلمات لأجل حدث كهذا.. حفل زفاف بسيط.. و خبر حمل زوجته التي يعشقها حد الجنون..

إلى أن قال بصوتٍ بدا لها هي فقط أخرقًا.. و للجميع هادئًا.. ثابتًا ؛

\_قبل ما يقارب السنتين من الآن كنت شخصًا مختلفًا.. كنت شخصًا مختلفًا جدًا بغباء.. شخص يعيش على مرارة الماضي.. يعيش على أطلال حقد لم يحاول أن يدعه ينضب من داخله.. شخص محمل برغبة كاسحة في الأذى.. في الانتقام.....

شحبت أنظار سارة و هي تستمع إلى هذه الكلمات التي لم تتوقع أن تسمعها اليوم إطلاقًا.. و تأهبت عيناها بشيء من الخوف الذي لم تفهمه هي ذاتًا..



دون أن تستطيع أن ترى ملامح سيلين و أبيها التي استفعلها نفس الشحوب و  
الترقب أمام هذا الموضوع الذي تم وأده في أبعـد مكان قبل وقتٍ طويل..  
بينما أكمل جاد بنفسِ نبرته و عيناه على عينيها رغم نظرة الحزن بهما  
تمنحـانها كل وعود الأمان ؛

أردت أن أقتنص العقاب من كل ابتسامة لم أكن أنا من رسمتها على عيني  
أقرب الناس لقلبي.. أن أدمر و أنتقم لكل نظرة حزن منحـتها لنفسي في  
المرأة.. و قد حصلت عليه بالفعل.. حصلت على الانتقام المثالي الظالم.. ثم هل  
تعلمون ماذا اكتشفت في النهاية؟!؟

هز رأسه و كأنه يؤكد لنفسه حقيقة قوية بينما يستأنف ؛

بأنني كنت الشخص الوحيد الذي كان يستحق أن تنتقم منه كل الحياة !!  
لحظة صمتٍ جديدة.. ثم عاد صوته ليرتفع بين جموع الناس.. يخاطب  
عينيها.. يخاطب عينيها فقط رغم أن كلماته موجهة للجميع و لنفسه قبل  
الجميع!

لقد انتقمت مني الحياة بالفعل.. منحتني صفة مدوية و قفت على إثرها أمام  
المرأة مجددًا.. لكن تلك المرة لم أقف لأقابل انعكاس نظرة الحزن التي  
اعتدتها.. بل كل ما فعلته.. أن حاولت الابتسام!.. حاولت أن ابتسم حتى أنني  
كدت أن أرغم نفسي على صنع ابتسامة حقيقية.. و كما هو متوقع فشلت في  
المرة الأولى.. لكنني لم أكف عن المحاولة.. بدون أن يراني أحد.. بمفردي  
وقفت كل يوم أمام المرأة أحاول أن أمنح انعكاسي ابتسامة.. مجرد ابتسامة  
صغيرة.. إلى أن نجحت.. قابلت ابتسامة حقيقية خالية من شوائب الحقد لأول  
مرة.. و سرعان ما وجدتها تتردد إلى قلبي لتشحنه ب... الحُب !!! حينها  
أدركت شيئاً مهماً.. أن تلك النظرة التي لطالما قابلتها لا تمثلني.. لا تمثل جاد  
الحقيقي.. إنها نظرة تعمدت أن أمنحها لنفسي.. حاولت من خلالها أن أعزز  
من مشاعري السلبية.. و تركتها تدفعني نحو الهاوية بكل الألم الكامن فيها !!!

يا الله.. إنه مصر في جميع الحالات أن يجعلها تذرف الدموع.. سابقًا دموع  
ألم.. و اليوم دموع أمل لن يذبل إلا بذبول زهرة حياتها !!!

لم تستطع سارة أن تقابل عينيه أكثر.. فأشاحت بوجهها قليلًا و كأن قلبها  
يعجز عن تلقف كل الألم المسيطر على كلماته.. إلى أن سمعته يسترسل بنبرة  
هادئة الآن.. يخاطب الجميع في تلك اللحظة باستثناءها ؛

\_ تتسائلون لماذا أخبركم بكل هذا اليوم !؟

صمت للحظة واحدة.. ثم قال يرسم ابتسامة غير مكتملة.. بنبرة مميزة علمت  
بأنها لن تنساها في حياتها!

\_ لأن جاد الذي نفذ انتقامه في العن.. لم يكن ليقبل بأن يبقى اعتذاره حبيس  
الكتمان !

طرفت بعينيها الدامعتين قليلًا و هي تعود لترفعهما إليه.. تسمعه يقول ببطءٍ  
محددًا بها و كأنه كان ينتظرها أن تمنحه عينيها مجددًا ليتّم كلامه ؛

\_ لهذا... أنا اليوم.. أريد أن أعتذر لحبيبتى أمامكم جميعًا.. بعد أن أطلعكم على  
الخبر الأجل في حياتي..

فرد يده في اتجاهها في دعوة واضحة لأن تقترب منه.. فتسمرت عيناها على  
يده لعدة لحظات.. قبل أن تحفز قدميها على التحرك مقتربة منه..

اقتربت منه بغير تردد.. إلى أن وضعت يدها فوق يده التي سحبتها برفق  
لتصعد بجانبه.. و حينها هتف مبتسمًا ابتسامة واسعة جميلة جدًا ؛

\_ أنا و حبيبتى سارة.. سنرزق بطفل عمًا قريب..

قالها بسعادة شديدة ملأت كل إنش من وجهه.. فارتفع صوت بعض الشهقات  
التي شاركتها السعادة.. بينما برقت عينا فؤاد بشدة و هو ينظر إلى ابنته.. ينقل  
عينيه بينهما سويًا..

و بداخلهما..لمعة دموع بدأت تتكاثف ببطءٍ بدون أن تسقط و لو دمعة واحدة..فقد اكتفى بأن ابتسم باتساع لابنته..مانحًا إياها فيضًا من نظراته الحنونة..

بينما ضحكت سيلين باكية بتأثر و هي ترفع يديها الإثنتين مضمومتين لتلامس بهما ذقنها تراقبهما بحُب يشع من نظراتها..

و سليم بجوارها كعادته..عيناه تحملان ابتسامة سعيدة صادقة لأجل أغرب شخصين قابلهما في حياته..و يدها تعزفان اللحن المعروف للتصفيق..

\_أحبك !!

همست سارة بضعفٍ و عيناها تذرفان الدموع أكثر بسخاء..فاقترب منها جاد ليطلع شفثيه بقوة على وجنتها بينما أذناه تلتقطان صوت التصفيقات الحارة التي علت لأجلهما..ثم همس في جوف أذنها بسحر خلاب ؛

\_لا أظن بأنني قد أكتفي من سماع ذلك الاعتراف الجميل مهما زادت وسامتي..ربما بعد أن يتم إعلاني كأجمل رجل في العالم !

همست سارة و هي تطوق عنقه بقوة بذراعيها الإثنتين ؛

\_بالنسبة لي..أنت أجمل رجل في العالم...بعد أبي !!

عبس جاد بشدة و هو يقول متظاهرًا بالضيق ؛

\_هل كان من الضروري أن تضيفي ذلك التعقيب الأخير !!!

همست سارة مبررة برقة و بساطة..تاركة مهمة مسح سيل عبراتها المتأثرة لأنامله المتجولة على وجنتيها ؛

\_بالنسبة لنا..كل فتاة في هذا العالم ترى في والدها الرجل الأجمل في العالم..ثم بعده تمامًا يأتي حبيبها..

رفع جاد حاجبيه بدهشة أجاد تمثيلها و هو يهمس متساءلاً ؛

\_ حبيب؟! هل لديك حبيب؟!\_

و كان الجواب أن ضحكت بنعومة و هي ترد بثبات ؛

\_ بالطبع لدي.. سأعرفك عليه ما إن نصعد إلى غرفتنا..

همس جاد برجاء حار و هو يمسك بذراعيها برفق ليقربها منه أكثر ؛

\_ دعينا نصعد الآن.. رجاء!!

إلا أنها هزت رأسها بالنفي بغير شفقة.. ثم قالت بجدية و هي تعود لتطوق

عنقه تضمه برفق ؛

\_ ليس بعد.. أولاً... سنتال جائزتك التي انتظرتها طويلاً.. طويلاً جداً..

---

لقد حصل على جائزته بالفعل.. فبعد دقائق طويلة من تلك اللحظة.. و بعد

رحيل الجميع و اختفاء سيلين و سليم برفق طفلهما الجميل بداخل

المنزل.. توقفت سارة برفقة جاد بجانب حصانه الأسود..

لقد حاول بشدة استمالتها حتى تؤجل الجائزة المنتظرة هذه إلى وقتٍ

لاحق.. إلا أنها و بعناد شديد رفضت.. فاضطر في النهاية لأن يرضخ على

مضض..

الحقيقة أنه لم يكن يبالي حينما أخبرها ذلك اليوم بأنه أصبح يخاف عليها

بشكل مبالغ به.. و أكبر مخاوفه كانت أن يتكرر مشهد سقوطها الذي عاشه

ذلك اليوم..

هو أيضاً كان عنيداً حينما يتعلق الأمر بها.. فكان يرفض بإصرار السماح لها

بامتطاء الحصان بعد تلك الحادثة.. و ها هي ذي اليوم تصر على امتطاءه..

لكن برفقته هو.. و هي تتمسك بحضنه حيث لا يمكن أن يمسه سوء.. فكيف

عساه يمنعها؟!\_

عاد ليهمس في محاولة أخيرة يائسة و هو يلمس وجنتها الناعمة بينما بريق  
عينيها يجعل قلبه يختلج رغبة في تحقيق لها أي أمنية مهما كانت ؛  
\_لما لا نؤجل هذا إلى يوم آخر حبيبيتي ؟ لقد بذلت الكثير من المجهود  
اليوم..تحتاجين للراحة !!

و كما توقع تمامًا..هزت سارة رأسها بالنفي قطعًا و هي تجيب ؛  
\_أخبرتكَ لن نصعد إلا بعد أن تنال جائزتكِ المنتظرة..

همس ببطءٍ و هو يتطلع إلى عمق عينيها ؛

\_أنتِ جائزتي الوحيدة و الأجل !!!

إلا أنها مجددًا..زمت شفثيها و كأنها لا تشعر بالرضا من إلقاءه في  
الرفض..ثم قالت بنفاد صبر رغم هدوء صوتها ؛

\_هل ستساعدني على الصعود الآن أم سنبقى واقفين هنا إلى أن تغيب  
الشمس و يطفو الظلام !!

حينها..تنهد جاد بتعب..قبل أن يقترب منها ليساعدها على الصعود  
بالفعل..يحملها بين ذراعيه بمنتهى السهولة و كأنها بوزن ريشة..

ثم صعد بخفة ليمسك بلجام الحصان بيد و يحاوطها بيده الأخرى بينما يجلس  
ورائها..

و على عكس تلك المرة..سار الحصان بهدوء شديد.. بخطواتٍ ثابتة بطيئة  
تعمد أن تكون كذلك خوفًا عليها..

و كانت قدمها متدلّيتان على جهة واحدة..و عيناها تتأملان الأفق بهدوء..

كانت تغتنم فرصة الحياة التي منحت لها مجددًا..

همست بعد لحظاتٍ بخفوتٍ ؛

\_في المرة القادمة التي سنتسابق فيها..سأفوز عليك..

همس جاد باعتراض و هو يشدد من احتضانه لخصرها ؛

\_ قطعاً لن تكون هناك مرة قادمة.. لقد كانت حركة حمقاء أساساً.. كل ما قد  
أسمح لك به هو جولة صغيرة تخوضينها فوقه برفقتي أنا.. و أنتِ مخيرة بين  
امتطاء حصانك الأبيض الحبيب أو حصاني..

قالت سارة باستنكار هادئ ؛

\_ تسمح لي؟! من طلب منك أن تسمح لي أساساً!! أنا أسمح لنفسي!!

\_ سارة!!!

همس باسمها بصوتٍ حاول أن يكون صارماً.. إلا أن سارة لم تتأثر أبداً.. بل  
قالت بنبرة تشابهت مع نبرته إلى حد ما ؛

\_ جااد!!

قال جاد و هو يحتضنها أكثر ملصقاً ظهرها بصدره.. يتمسك بلجام الحصان  
جيداً..

\_ حتماً لن تفعلي..

همست سارة و هي ترفع ذقنها قليلاً بتحدٍ بارد ؛

\_ حتماً سأفعل..

عاد ليقول بنفس صرامته.. بصوتٍ بطيء بجوار أذنها ؛

\_ لن... تفعلي...

\_ بل سأفعل..

\_ لن تفعلي سارة..

\_ سأفعل جاد و أمامك خيار من اثنين.. إما أن تتسابق معي أو أنا التي

ستتسابق معك..

زفر جاد بيأس و هو يقول باستياء ؛

\_ أنتِ مصرّة إذا !!!

فقالّت سارة بكل رقة ؛

\_ مصرّة جدًّا ..

هنا فقط.. كان يهمس متنازلاً على مضض ؛

\_ حسنًا.. لكن بشروط واضحة.. أولاً.. ممنوع امتطاء الحصان بمفردك أثناء فترة الحمل إلا بتواجدي معك.. و ثانيًا.. لن نخوض أيّ سباق من أيّ نوع إلا بعد أن تلدي.. مفهوم !!؟

شعر بالجنون و هو يسمعها تقول بكبرياء قوي معقبة على آخر كلمة ؛

\_ لا أحب تلك الكلمة.. لا تخاطبني بها مجددًا..

قال بصوتٍ بطيء يجبر نفسه على التسلح بكل الصبر الموجود في العالم ؛

\_ مفهوم يا سيدتي.. هل اتفقنا الآن ؟!!

حينها فقط.. كانت تقول مبتسمة برضا ؛

\_ اتفقنا..

ثم صمتت للحظة.. و عادت تهمس بهدوء ؛

\_ لم تخبرني حتى الآن.. ماذا تتمنى أن يكون جنسه ؟!!

كانت قد التفتت إليه الآن لتقابل عينيه بابتسامتها الدافئة.. فهمس بارتياح تام و تنهيدة كبيرة تهرب من بين شفثيه تأثرًا بجمال بسمتها..

\_ كل شيء يأتيني منك أحبه !!

رغم الأثر الرائع الذي خلفته جملته هذه في أعماقها ككل كلماته.. إلا أنها قالت تكرر سؤالها بإصرار و هي تعدل شيئاً وهمياً في ياقة قميصه ؛

\_ رغم ذلك.. أريد أن أسمع جوابك..

تظاهر جاد بالتفكير قليلاً.. قبل أن يهمس بصدق ؛

\_ اممم.. في الحقيقة أتمنى توأمان.. صبي صغير و صبية جميلة مثلك.. لكنني  
أخشى أن يؤثر هذا الأمر على صحتك..

رفع يده بهدوء ليغطي وجنتها مسترسلاً بنفس نبرته الصادقة تمامًا ؛

\_ لهذا سأقول بأنني أريد صبية جميلة مثلك فقط..

كان الظلام قد بدأ يكتسح الأجواء من حولهما بالفعل.. فتوقف جاد فجأة ليقفز  
بخفة و يرفع يديه متلقيًا وزنها إلى أن جعلها تقف أمامه بينما يهمس بجديّة ؛

\_ لقد تأخر الوقت.. دعينا نصعد لنرتاح..

همست سارة مبتسمة بنعومة شديدة ؛

\_ لقد كنت محققًا.. وجهي شاحب و لا بدّ أنني لن أستطيع أن أسير الطريق من  
هنا إلى غرفتنا بمفردي..

كان تلميحها واضحًا.. لكنه رغم ذلك اختار أن يدعي الغباء.. فهمس مبتسمًا  
بخبث و هو يرفع أحد حاجبيه ؛

\_ و الحل إذاً!؟!

قالت سارة بدلال و هي تمسكُ بيديه الإثنتين ؛

\_ حل من اثنين.. إما أن تحملني.. أو لا تحملني.. لكن لو كنت ستختار الثاني  
فضع بعين الإعتبار احتمال أن أفقد وعيي في منتصف الطريق.. ثم ماذا لو  
تأذى أصبع مني لو سمح الله.. ستفقد عقلك لا محالة !!

اتسعت ابتسامته ببطءٍ و هو يسمع جملة قالها لها ذات يوم بحرارة كبيرة  
تتكرر بصوتها الرقيق.. قبل أن ينخفض بصمتٍ ليحملها بين ذراعيه برفق  
مغرقًا يداً واحدة تحت ركبتيها و الأخرى خلف ظهرها..



فتعلقت سارة بعنقه بكل رضا بينما تسمع جوابه المُعبر و هو يسير بها  
بخطواتٍ هادئة نحو القصر الكبير ؛

يبدو بأنني سأضطر لتكرار نفس الجملة طويلاً..أنا..لست الرجل الذي  
يترك زوجته تمشي بلا سند!..إذا كنتِ أنتِ لا تهونين..فهل يهون عليّ  
أصبعك الصغير حبيبتي لأتركه يتأذى !! قطعاً لا يهون !!

---

**" تمت بحمد الله "**

## " رسالة الكاتبة "

كإنسانة أنا أوّمن بأن لكل شخص الحق في الحصول على فرصة  
ثانية.. ليندم.. ليتراجع.. ليحب.. ليطلب السماح.. و ليناله.. و الأهم من كل  
ما سبق ليتعلم من ما مضى..

كما تعلم -جاد-.. وتعلمت أنا !!

التضحية لأجل الحب ليست تنازلاً.. و الحب لا يحتاج إلى طرفين لينمو  
بداخلنا.. و الإعتراف به و الصبر عليه ليس تقليلًا من شأنه.. بل هو  
إثبات لمدى قوته بداخلنا..

هذا ما تعلمته من سليم !

و تعلمت من سيلين أن لا حب حقيقي بعد حب الأخت لأختها.. و أن  
العلاقات القوية مهما تضررت و توترت لا يمكن أن تنكسر أبدًا ما دامت  
قلوبنا مفعمة بالحب و الإخلاص و التسامح لبعضنا البعض !  
و من جاد أن الندم و طلب السماح مرارًا و تكرارًا من من آذيناهم حتى  
نحصل عليه ليس ضعفًا..

بل هو بحد ذاته شجاعة !

فالحب وحده قادر على تدمير مشاعر الحقد و الانتقام بداخلنا.. بهذه  
المشاعر التي بحد ذاتها ليست سوى وهمًا نسمح له بتشويه أرواحنا و  
إنسانيتنا !

لكل شيء يحدث في هذه الحياة حكمة معينة حتى لو كانت مخفية..  
فهناك حكمة.. لهذا وجب علينا أن نواجه كل أحكام القدر بالصبر و  
الابتسامة..

تبقى الابتسامة هي أقوى سلاح نمتلكه ضدّ قسوة الحياة و مآسيها.. هذا  
ما تعلمته من سارة !

في هذه الرواية.. أنا أودعتكم أحاسيسي.. ربما من تابع روايتي من  
البداية حتى النهاية سيكون قد لمح كمية -المشاعر- التي استودعتها  
بداخلها..

هي ليست قصة حب أبطالها طرفان وقعا في الحب تحت ظروف  
قاهرة...

هي قصة عاطفية بامتياز..

أبطالها.. أخت.. و والد.. و طفلة.. و ابن.. و عاشق.. و حبيبة..... !  
و مثلي أتمنى أنكم لم تحصلوا على أي لحظة ملل و قنوط أثناء قراءة  
روايتي.. و أنكم استمتعتم بمتابعتها كما استمتعت أنا بكتابتها..

شكرًا لكن من تابع روايتي حتى الآن..

و لمن سيتابعونها مستقبلاً..

شكرًا لكم أيضًا..